الجزء الأول		المجلد الثامن والسبعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



شوال ١٤٢٣ هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م	**١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية** **١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية** **١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية**

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



شوال ١٤٢٣ هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣

لجنة المجلة

أمين المجلة

خاطرات تثيرها كثرة الاستشهادات
بأبيات لابن المعتزّ

أ. عبد القادر زمامة

الباحـــثون والدارســـون والناقدون والمهتمون بالأدب العربي في هذا العصـــر، نصوصاً وأعلاماً وموضوعاتٍ وعصوراً ومميزاتٍ إقليمية وتاريخية، أَلِفـــوا أن يجـــدوا فـــيما يمر أمام أعينهم من أفكار وآراء وتجارب وتعابير ومؤلفات ونصوص شعرية وأخرى نثرية... ألسنَتَهُم أحياناً تتحرك بما نَسُوه أو تناسَوه مما كان قد خُزِن في ذاكرتهم، كما ألفوا أن يجدوا ذاكرتهم اليقِظَة تـــئِنُّ مـــن تزاحم هذه الخاطرات الأدبية والفكرية والنقدية، التي تأبى إلا أن تحـــلق بهم مراتٍ في آفاق: قديمة وحديثة، ضيقة ومتَّسعة، ترفعهم بها رافعة، وتخفضـــهم بهـــا خافضة، تبعاً لملابسات ومناسبات وظروف، تقتضي منهم أحيانـــاً تشبيهاً أو تمثيلاً أو استشهاداً أو جمعاً ضرورياً لأشباه ونظائر تأتيهم من هنا ومن هناك.

فهـــذا الـــبيت من الشعر العربي العباسي، سمعتُه وحفظتُه منذ صباي المـــبكر. واستشـــهدتُ بـــه مرات، كما سمعتُ غيري يستشهد به في عدة مناســـبات، لأنـــه كان في نظري ونظر غيري إذ ذاك نموذجاً لأدب يخاطب المشاعر ويُرضي الأذواق ويسمو في التعبير ولا يُسِفُّ في التصوير. ويصح أن يستشهد به الإنسان الأديب في المكان المناسب.

ثم تهيـــأتُ لمجابهة النّصوص الأدبية في مصادرها وربط فروعها بأصولها،

فوجــدتُ نفسي تبحث عن صاحب هذا البيت وديوانه، والمصادر التي ذكرتْه، والأقــلام التي استشهدتْ به قديماً وحديثاً، لأربط بين هذا البيت والقصيدة التي جاء فيها والمضامين التي جاء هذا البيت معبّراً عنها.

وأسارع فأقول إن هذا البيت هو:

وكــانَ مَاكَانَ مِمَّا لستُ أذكرهُ فظُــنَّ خَيراً ولا تَسْأَلْ عنِ الخبر

فالــبيتُ كما هو معلوم للشاعر العباسي ابن المعتز(١)، يقع ضمن قصيدة لا تتجاوز عشرة أبيات كان هذا البيت آخرها.

وقــد أثارت هذه الأبيات العشرةُ اهتمام المؤرخ الأديب شمس الدين ابن خلكان المتوفَّى سنة ٦٨١هــ فنقلها بتمامها في كتاب: وفيات الأعيان في ترجمة ابن المعتز بعد التنويه بالقصيدة وصاحبها(٢).

ومــنذ ذلك اليوم الذي عرفتُ فيه القصيدة في مصادرها، وتفهمتُ موضــوعها، وما كان يقصده الشاعر ابن المعتز بهذا البيت من إجمال وإبهام للموضوع الذي خاض فيه كما خاض فيه آخرون، صِرتُ إذا صادفتُ هذا البيت في كتاب قديم أو حديث، أو في بحث أدبي، أو مقال نقدي، أو رسالة جامعيــة، وما أكثر ما يستشهد الناس بهذا البيت، أتجاوزُه بعد قراءة الكلمة الأولى، لأنه في رأيي الخاص، كان قد وُضع مع كثير من الأبيات المبتَذَلة عند المستشهدين بها في كل مناسبة، في زاوية من زوايا ذاكرتي. وهي الزاوية التي أضــع فيهــا اجــتهاداً مــني كلَّ ما أريد أن أنساه، أو أتناساه، من أشعارٍ

(١) ديوان ابن المعتز ص ٢١٨- ٢١٩.

(٢)وفياتُ الأعيان ج٢. ص ٢٥٦. ط. القاهرة. تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٩٤٨م.

وكلمات وأفكار وموضوعات، استهلكها التكرار والابتذال عند السابقين واللاّحقين. ولشهرة بيت ابن المعتز يَقَعُ الاستشهادُ به لا عند عامّة أهل المعرفة والثّقافة، بل وكثيرٍ من خاصّة الباحثين، والدارسين، ممن يُظَنُّ بهم أنهم عرفوا كل ما يتعلق به وكل ما قَصَد به قائله يوم نَظَمَهُ، وجعَلَه خاتمةً لما تحدث به في موضوع خاصٍ به، كان معروفاً في عصره.

وإننا لا ننسى أن الاستشهاد به جاء في فصولٍ مهمة ومفيدة، من كتب مؤلفُوها من: رجال التّصوّف، والإرشاد، والتّذكير، وما كان يسمَّى بكتب: الحَقَائق، والرَّقائق، وغيرها.

كما جاء الاستشهاد به في كتبٍ ورسائل، مُؤلِّفُوها من أهل التاريخ، والأدب، والنقد، والرحلة، وغيرها، ولمؤلفيها إشعاعاتٌ مختلفة.

وكأنَّ المستشهدين بهذا البيت وَجَدوا فيه ضالتهم المنشودة، حينما يُريدون طيّ بِسَاط الحديث في موضوع، وإبهامَ ما يقتضي المقامُ إبهامه لِتَذْهَبَ نَفْسُ القارئ - كما يقولون- مذاهبَ شتى، اقْتداءً بالشاعر الذي ختم موضوع قَصيدِهِ به لأول مرّة، في القرن الثالث الهجري.

ومن باب غَلَبة الظن أنَّ الذين أَسْرفُوا على أنفسهم، وعلى قرائهم بكثرة الاستشهاد بهذا البيت، وقلّد اللاّحق منهم السَّابقَ، في الموضوعات المختلفة: جديّة وهذلية، موضوعيّة وذاتيّة، لو تأمّلوا في الموضوع، وتعمّقوا في المقاصد، لكان لهم رأي آخر في الاستشهاد بهذا البيت.

وبطبيعة المنهاج الذي ننهجه في مقالنا هذا لا ننتقدُ خاصة، ولا عامّة، من الذين استشهدوا بهذا البيت، ولا نعيب المؤلفين: القدامى

والمحدثين، وإنما نريد فقط التنبيه بلباقة، واتزان، وموضوعية على أن يكون الاستشهاد بنص أدبي مناسب للموضوع يزيده إيضاحاً، ويُكسبه إشراقاً وتألقاً، ويُبعده عن مرجعية لا تليق به. وأن يتصرف الكاتب تصرفاً يجعله حذراً لا يسُوق ذلك النصَّ المقتطَعَ من أصله المعروف كما يسوق الحكمة الشهيرة بين النَّاس، أو المثل المضروب بينهم، ويمرّ على ذلك مرَّ الكرام. مهما كان الموضوع الذي يكتب فيه، أو يتحدث، أو يُخبر عن أشياء لها مكانتُها، وتقديرُها. فلكلٍّ مقام مقالٌ، كما يقولون، ولكل موضوع منهاجٌ يليق به، واستشهادٌ يناسبه لمزيد من الإيضاح.

– ولا ينبغي أن نقول هنا: إنَّ هذا البيتَ جَرى مَجْرى المثل، كما جرت أبياتٌ أخرى، مجرى الأمثال، فيصبح الاستشهاد بها جائزاً، ولو كانت في عُمق الدلالة مغايرةً، أو مناقضةً لما قيلتْ فيه أول الأمر.

– ولا ينبغي أن نحاول هنا تضييق تلك القاعدة المعروفة، والتي كان يعرفها بعض المؤلفين والدارسين، والتي قَعَّدَهَا أهلُ الرأي السَّديد، والفهم الرشيد للنّصوص، والتي تقول:

«العِبْرةُ بعُموم اللّفظ، لا بخصوص السَّبَب.» ويُرّددون ذلك مرَّات، فتلك قاعدة مُحترمة، تُطبَّق في نصوصٍ وموضوعات محترمة، مُسَلَّمة، لها مكانتُها الخاصة، فوق كل اعتبار، ولا مجال للحديث الآن عنها.

وقد آن الأوان للحديث عن بيت: **وكان ما كان**... وصاحبه، – وبعض الملامح التي يجر إليها – موضوعياً – الحديث.

– فالشاعر هو ابنُ المعتز الشهير بأشعاره، وتشبيهاتِه، ومُركّباته النَّفْسِيَّة،

وعُقَده الذّاتية، التي كان يُعانيها، ويحاول نسيانَها، وشَغْل النّاس عنها، منذ أُصيب والدُه: المعتز بمأْسَاةِ خَلْعه، وقَتْله. وبَقِيَتْ المأساة تنتظره هو حتّى حَلَّ به ما حَلَّ بوَالده المعتز وجده المتوكل وما حلَّ بمن جاء بعدهما من العبّاسيّين في تاريخهم الطويل، المعروف مع المتغلبين عليهم.

وقد تحدثت كتب التاريخ، والأدب، والنّقد، والطبقات عن الشاعر ابن المعتز، ونال حظاً لابأس به من الدراسة عند المهتمين بتاريخ الأدب العربي في القرن الثالث الهجري، ممَّا هو معروف، متداول، يُبرز مكانته الشعرية في الأدب العربي التي لا جدال فيها.

- والقصيدة التي جاء بيت: (وكان ما كان) في آخرها، موجودة في ديوان الشاعر، وكان يتحدث فيها عن دار سكناه التي كان يسكنها بالقرب من (سُرَّ مَن رأى)، والواقعة بالمكان المعروف باسم: «المَطيرة» المحاط بالبساتين والمتنـزَّهات في ذلك العصر، وفي تلك المنطقة بالذات. وكانت هذه «المَطيرة» قريبة من دَيْر شهير هناك. وهو: «دَيْر عَبْدُون» الذي سجل الشاعر ابن المعتز اسمه في هذه القصيدة، كما سجَّل شعراءُ آخرون أسماء أدْيِرَة أخرى معروفة، كانوا يتردَّدُون عليها، ولهم فيها أخبارٌ وذكرياتٌ وأحاديث ووقائع مع رُهبانها، والمُزَنَّرين من قُصَّادِها، الذين يتسابقون إليها سَحَرَ كلَّ يومٍ، في هيئة وطقوس خاصة بهم(٣).

وابْنُ المعتز تحدث بأسلوبه الخاص، ومشاعره الخاصة عن داره بالمطيرة، ودَيْر عبدون القريب منها، وما كانت تجيش به نفسه، وهو يتابع نشاط

(٣) انظر كتاب الديارات لأبي الحسن الشابشتي، ط. بغداد ١٩٥١م.

وحركات رُواد هذا الدَّيْر، كما كان يفعل أمثاله من شعراء ذلك العصر.

– ومن الجدير بالذكر هنا أن نجد ياقوت الحموي في كتابه: (معجم البلدان) يذكر هذه «المطيرة»، ويذكر دَيْر عَبدون، ويُعَرِّف قراء معجمه هذا بعبدون، وأخيه صاعد، ومعلومات أخرى، بل إنه يأتي بنص قصيدة ابن المعتز، التي ختمها بقوله فيها[٤]:

وكانَ ما كانَ مما لستُ أذكره فظُن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ونحن بطبيعة عملنا الدراسي والنقدي في هذا العصر لا نظنُّ شراً، ولا خيراً، ولا نسأل عن الخبر، استجابة لرغبة شاعرنا المِفَن: ابن المعتز، بل إننا نسكت عن هذا الموضوع الذي جاء في شعره، وفي شعر غيره سكوتاً.

– وهذا لا يمنعنا من أن نبدي في هذا العصر ملحوظة ترى من المستحسن ألاّ نكثر من الاستشهاد بهذا البيت في كل الموضوعات: الجدية، والهزلية. لاسيما حينما يكون البَونُ شاسعاً بين شاعرنا: ابن المعتز العباسي ومقصده، وبين مقاصد الآخرين المستشهدين ببيته بكثرة، وفي كل الموضوعات.

– وأظنني بعد هذا لا أحتاج إلى الاعتراف والتأكيد أن بيت ابن المعتز في حدّ ذاته ومن الناحية النقدية الموضوعية له إشراقة أدبية بيانية لا تخفى، عندما نضع الموازين ونُحدد المفاهيم.

– فمن ناحية المضمون، حقّق الشاعرُ بدقّة هدفَهُ في الإبهام والطيِّ، أو ما

(٤) انظر ما ذكره عن المطيرة في حرف الميم، وما ذكره عن دَيْر عَبدون في حرف الدال من معجمـه. [وجاءت أبيات ابن المعتز في معجم البلدان عند الحديث عن دير عبدون/ المجلة].

يُسمَّى في عُرف عصرنا هذا بالتَّعتيم. فجاء باحْتشَام ذاتي، حاول به أن يَجُرَّ ذَيْلَ التناسي والتستر، وألا يترك هناك ثغرةً للفضوليين الذين يحلو لهم أن يُحرجوا الشعراء بتساؤلاتهم، وسيئ ظنونهم، كما يحلو لهم أن يحاولوا تفسير ما لا يُفسَّر، وتفصيل ما لا يُفَصَّل، عند هؤلاء الذين يهيمُون في كل وادٍ.

– فالمضمون حُقق بذَوْقٍ، ولَبَاقةٍ. وهذا سرُّ جمال المضامين التي تروق النقاد والمحللين والدارسين، الذين يضعون الأسس الموضوعية، لتكون أحكامهم محترمة عند مُخاطَبِيهم.

– ومن ناحية الشكل، عمد الشاعر إلى فعل معروف في اللّغة، والنَّحو، وهو: **كان التَّامَّة**، التي تعني: **الوقوع**. وكرَّر هذا الفعل، كأنَّه قال: وقع ما وَقَع، ثم سَكَتَ.

ومعلومٌ أنَّ كلمة: **ما**، في اللّغة العربية هي من صِيَغ العُموم. وقد استُعملت كثيراً في فصيح النثر، وبليغ الشعر، والأمثلة في ذلك لا تُحصى.

– وهناك في الشَّطر الثاني من البيت جُمْلَتان: الأولى منهما وهي: فظُنَّ خيراً، تُوحِي بالثانية، وتجذبها إليها، وهي: ولا تسأَلْ عن الخَبَر. فكأنَّ الجملة الأولى مقدِّمةٌ، وكأنَّ الجملة الثانية نتيجةٌ. مع إيجازٍ جيدٍ أعانَ على جمال البيت وإشراقه.

ولعلَّ ما ذكرنا هنا عن مضمون البيت، وشكله، هو الذي جعل الحظَّ يصاحبُه منذ قرون، ويقع الاستشهادُ به عند السابقين واللاَّحقين. وقد قدمنا ملحوظتنا ورأينا الخاصَّ في ذلك.

– بعدَ هذا يُمكننا أن نتعرَّض للأشياء الأخرى التي أثارتْ هذه الخاطرة حول بعض أبيات ابن المعتز التي ألف الناس الاستشهاد بها في عدة موضوعات:

ونبدأُ بالبيت الشهير المحظوظ أيضاً عند مَن يزعمون أنهم مَحرومون في هذه الدنيا، وحِرمَانهم جاءهم -كما يزعمون- من أنَّ الدَّهر له تقديرٌ كبيـــرٌ لمنْ هُمْ راسخونَ في الجهل والبلادة والغباوة، ولذلك وجدوا في بيت ابن المعتز هذا:

كـــنْ جـــاهلاً أو فـــتجاهلْ تَفُزْ للْجهل في ذا الدَّهر جاهٌ عريض[٥]

ضَالَّتَهُمْ المنشودة، ومتَنَفَّسَهم الدائم، ليعبِّروا به، عن طريق نصح السامع، عما أصاب أَهل الجاه والمعرفة والمقدرة والعلم، من إِبعادٍ عن كل ما يحقق رغباتهم، بخلاف أهل الجهالة الراسخين في البلادة والغباوة، فلهم جاهٌ عريض، يتمتعون به في دَهْرهم، أَو هكذا يقصِدُ ابنُ المعتز، ليتهكم، ويستخفَّ بالحياة والأحياء.

- وهذا البيت من شعر ابن المعتز هو في واقع الأمْر رسَالةٌ مفتوحةٌ من رجلٍ محروم مُهَمَّش في مجتمعه رغم أدبه، ونسبه، واطلاعه، وانغماره في حياة أهل الأدب والثقافة. وهذا شيء نفهمه في عُمق الدلالة وعُمق التحليل، لمُرَكبات ابن المعتز، وعُقَده النَّفسية التي تظهر بشكل واضح في ديوانه وفي مؤلفاته الأخرى كما تظهر تردده، وتناقضه.

أمَّا فيما يرجع إلى الاستشهاد بهذا البيت على أنّه «حِكمة»، أو «تجربةٌ»، أو «خبْرةٌ»، فهذا - في رأيي- مما لا يسوغُ لا في الذّوق السَّليم ولا في الواقع الذي عاش فيه، ويعيش الإنْسانُ مهما كانت الأحوال ومهما كانت أَزْمَةُ المفاهيم في تاريخ الحضارات قديماً وحديثاً. والشاعريةُ توحي في أحوال صعبة، وفي ظروف خاصة، تحيطُ بالشاعر فيشعر بالغَبْن، والتهميش، والإحباط. ثم يخلو بنفسه ليصبَّ مشاعِرَه، ورسائله المفتوحة إلى عصرِه، ومن

(٥) ديوان ابن المعتز ص ٢٥٩.

يظنهم حرموه حقوقَه، في شكل قصائد، ومقطعات، وأبيات، لها وجود بارز في كثير من دواوين الشعر العربي: القديم والحديث.

وكما قلنا قبل فإننا ننبه هنا على مراعاة مقاصد أصحاب النصوص قبل إقحامها في باب الاستشهاد.

- فصاحب النص في هذا البيت عاش مهيضَ الجناح، فهو من شخصيات ذلك العصر الذين كان ينبغي إقصاؤُهم في نظر الحاكمين بأَمْرِهمْ عن مراكز الأمر والنَّهي، والصَّدارة، والترشيح للحُكْم المعروف في ذلك العصر.

- ومن قبيل هذا البيت «الجهلي» من شعر ابن المعتز، نجد أبياتاً أخرى يُسْتَشْهَدُ بها عند كثيرين، منها على الخصوص قوله[٦]:

من يشتري حَسَبِي بأَمنِ خمول		من يشتري أدَبي بحظ جهول

فكأن الشاعر ابن المعتز دخل سوقاً من أسواق بَلدته، يحاول أن يقوم بعملية تجارية مُرْبِحَة، فيها بيعٌ وشراء:

- يبيعُ ما وَرِثَهُ من جاهٍ وقَدْر، وما يكلفُه ذلك من هَلَع وخوف وحَسَد،

- ليشتري بذلك «أَمْنَ خمول»

- فيريح نفسه، ويريح الآخرين.

وبطبيعة عُقَد ابن المعتز ومركَّباته النفسية، لم يجد أيَّ غَضَاضة في القيام بهذا العَرض في هذه السوق التي لا أظن أنه وجد فيها مشترياً، أو مهتماً بهذا العَرض.

- ومنها: بيتٌ آخر يتحدث فيه عن لَذَّةِ النَّاس المجانين، فيقول، ممَّا

(٦) ديوان ابن المعتز ص ٣٤٥.

يَسْتَشْهِدُ به كثيرون[٧]:

قالوا: جُنِنْت بلا شكٍّ فقلتُ لهم: ما لذّةُ العيش إلاَّ للمجانين

فما هي هذه اللّذة التي يزعم ابنُ المعتز في هذا البيت أنه وَجَدَها في: **الجنون**، كما وجدها غيره من **المجانين** حتَّى يقع الاستشهاد بالبيت؟

نحن موضوعيّاً لا نستنكر الخيالَ الشعري، ولا المجازَ البياني ولا التصوير الفني عند الشعراء، بل إنها من عناصر الجمال التي كان الشعر بها فناً جميلاً تتوارثه الثقافات والحضارات ويثير في الإنسان على مَمرِّ العُصور كامن المشاعر والإحساسات بألوان شتَّى من التعبير.

وهذا شيءٌ **واستشهاد كاتب أو مفكر أو ذي رسالة في الحياة الاجتماعية والإنسانية بقول ابن المعتز هذا:**

«ما لذة العيش إلا للمجانين».

شيء آخر! ولو كان ذلك من باب التهكم. فابن المعتز وغيره من أصحاب هذه الرسائل المفتوحة وهذه الانفجارات المتوالية ينبغي أن تُفْهَمَ على حقيقتها: أقوالُهُم وتصرفاتُهُم، فهي ردُّ فعل نفسي، وفنٌّ من القول له حدودُه وظروفُه الخاصَّة.

وهذا البيت بأسلوبه الحِوَاريّ شكلياً: قالوا... وقُلتُ... يذكرنا بأُسلوب الشاعر: عمر بن أبي ربيعة الذي كان فارس هذا الميدان وله فيه جولات معروفة متداولة.

---

(٧) الديوان ص ٣٧٧.

كما يذكّرنا سابقُه في هذا المقال:

كُـــنْ جـــاهلاً أو فَـــتجاهلْ تَفُزْ لــــلجهلِ في ذَا الدَّهر جاهٌ عريض

بأبيات وأقوال عديدة لشعراء مرموقين معروفين، ولهم مكانة في الأدب العربي، ودواوينهم تفيض بالمعاني الإنسانية، والإشراقات الفنية.

- وأقربُهم إلينا الآن شاعر المعاني أبو الطيب المتنبي الذي له بصماتٌ معروفة في عدة موضوعات من محاسن الحياة ومباذلها. فنجده يقول في: «انفجارته المعهودة» و«رسائله الشعرية المفتوحة» التي بثّها في ديوانه مُؤرخاً «أطوار» حياته، التي لا تخلو في جملتها من: فَرْديَّة، وأنانية، وتبرُّم بالحياة والأَحياء.

ذُو العقلِ يَشْقَى في النّعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم[٨]

وبيتُ المتنبي هذا لا يقل «حُظْوَةً» في الاستشهاد به عن أبيات ابن المعتز عند المؤلفين، والمتحدثين، والكاتبين، منذ سمعه السامعون وقرأه القارئون في ديوانه، الذي شرَّقَ وغرَّب، ومنذ القرن الرابع الهجري حتى صار — مع بعض أبيات الشاعر ابن المعتز - وأبيات شعراء آخرين، من الاستشهادات المبتذَلَة، التي نتجاوزُها عندما نسمَعْها، أو نَرَاها مكتوبةً عند مَن يستشهد بها، في موضوع ما في عصرنا هذا.

- ولعل القارئ الكريم أدرك من هذه المقالة الموجزة، أنّ الأمر يتعلّق بالإكثار من هذه الاستشهادات، ولا يتعلّق بأصحاب الأبيات، إلا بإيضاحات، وإشارات لائقة بالموضوع. فلابن المعتز مكانته الشعرية التي لا تُنسى، ولا تُنَسَّى. ويوم قُتل بَعْد الفِتْنَة الشهيرة ببغداد، وكانت فتنةً عمياء صَمَّاء لا نَدخل الآن في تفاصيلها التاريخية وقد أودَتْ بحياة هذا الأمير الشاعر الأديب المؤلف

(٨) ديوان المتنبي: ضمن قصيدة مطلعها: «لهوى النفوس سريرةٌ لا تُعلم».

كما أودَتْ بحياة زميله و«وزيره» في يوم وليلة الأديب المعروف محمد بن داود بن الجراح. صاحب كتاب: «الورقَة» المطبوع المتداول...

- رثاه الشاعر ابن بسَّام البغدادي ببيتين شهيرين[٩]:

لِله درُّك مِنْ ميْت بمضْيعةٍ ناهيك في العِلم والآداب والحسب

ما فيه لوٌّ ولا ليت فتنقصه وإنما أدركتْه حِرفة الأدب[١٠]

ويظهـــر حســـب الاستقراء والتتبع أن هذا الشاعر ابن بسَّام كانت له صلات ومحاورات ومساجلات مع الشاعر ابن المعتز الذي عاصره وتتبع خطواته وإنتاجاته حسبما ورد في مصادر شتى.

ولا ينبغي أن نتجاوز هذا التعبير: «أدركته حرفة الأدب» دون أن نقف عنده قليلاً.

فقد تحدث أبو منصور الثعالبي في كتابه: «ثمار القلوب[١١] في المضاف والمنسوب» عن هذا التعبير فقال:

«حِرفة الأدب. قال الخليلُ: حِرفة الأَدب آفةُ الأدباء... وفي كتاب: «المُبهِج»[١٢] حِرفَةُ الأَدب حُرْفةٌ...» [١٣].

(٩)أبـــو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور المتوفى سنة ٣٠٣ هــــ. وله ترجمة شـــهيرة في عدة مصادر وقد سبق للمرحوم مصطفى صادق الرافعي أن ذكر البيتين في ص٣٥ ج١ من كتابه تاريخ آداب العرب.

(١٠) انظر البيتين في فوات الوفيات ج١ ص٥٠٦. ط. القاهرة ١٩٥١م.

(١١) ص ٥٢٩. ط. القاهرة ١٩٠٨م.

(١٢) في تفسير أسماء شعراء الحماسة لابن جني.

(١٣) الحُرفَة: الحِرمان، وسوء الطالع.

ثم استشهد أبو منصور الثعالبي ببيت ابن بسَّام في رثاء ابن المعتز بعد أن حلت به نكبته الشهيرة.

ولم يكن ابنُ بسام البغدادي هو الشاعر الوحيد الذي رثى ابن المعتز الشاعر الأديب الكاتب المِفَنّ، بل إننا نجد في مصادر أخرى شعوراً بالخسارة الأدبية التي تجلت في نفس ابن بسَّام كما تجلت في الوسط الأدبي، فبكاه ابنُ بسام وكانت بينهما علاقة خاصة، كما أشرنا إلى ذلك قبلُ. ورثاه من شعراء العصر آخرون.

- ونجد في كتب الأدب وفنون البلاغة والموازنات والمقارنات بين مشاهير الشعراء مكاناً بارزاً للاستشهاد بأبيات للشاعر ابن المعتز بعضها قِمَّةٌ في: التشبيه بأنواعه، والاستعارة بأصنافها، والوصف بأساليبه، مع الانسجام والدِّقَّة في الإشارة إلى المعاني الطريفة.

ويحضرنا هنا قوله:

عجباً للزَّمان من حَالتيْه وبلاء دُفِعتُ منْهُ إليه
رُبَّ يوم بكيت منه فلمَّا صِرتُ في غَيرِه بكيتُ عليه

ولعل قُرائي هنا لا يحتاجون في هذه «الخاطرات» إلى الإشارة إلى ما قدَّمه صاحبُ «الأغاني» في أجزاء موسوعته من أشعار وألحان رواها عن ابن المعتز بواسطة الأسانيد التي يستعملها، وبذلك أنصف هذا الشاعر المِفَن الذي كان في عصره عارفاً بالألحان والموسيقى ووقف صاحبُ «الأغاني» وقفات فنيةً أدبيةً شعرية حول ما أجاد فيه ابن المعتز وما توسَّط فيه وما قصَّر فيه من قصائده، ومقطَّعاته، وأبياته. وذلك شيء كثير.

ولقد سار في نفس الاتجاه الأَدَبي النَّقديّ البيانيّ الأَخَوانِ الخَالديَّان في

كتابهما: «الأشباه والنَّظائر» حيث إن هذا الكتاب اشتملت أقسام جُزْأيْه على كثير من أبيات ومقطعات الشاعر ابن المعتز مع مقارنات ومتابعات وتناول أدبيّ فيه تقدير وتفهم لأشعار هذا الشاعر العباسي المَغْبون، ولاسيما من جهة المعاني المبتكرة، والصفات المستحدثة بل إنّ الأمر بلغ بصاحبي كتاب الأشباه والنظائر إلى أنْ نصّا في كتابهما هذا على:

- أنَّهما ألّفا كتاباً معروفاً باختيار شعر ابن المعتز والتَّنبيه على معانيه[١٤].

- وعلى انتقاد كتاب «البديع» لابن المعتز لأنه في نظرهما أغفل بعض الأنواع[١٥] من البديع.

- وإذا أمكننا أن نرجع إلى الوراء لنشاهد حظ بعض أمصار المغرب العربي وما لها من اهتمام بأدب ابنِ المعتز الأمير الشاعر الكاتب، فإننا نكتفي هنا بالإشارة إلى:

- كتاب: زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق الحصري،

- وكتابه الآخر: المصون في سر الهوى المكنون وإننا لنجد عند هذا الأديب المؤلف الذي عاش في القرن الخامس الهجري بمدينة القيروان، نصوصاً حية من أدب ابن المعتز شعراً ونثراً مع تعليقات ومقارنات مما يدل على أن الحصري كان ريَّان من أدب ابن المعتز عارفاً لمؤلفاته وآثاره.

ومن الطريف أنه ذكر بيتيْن لابْن المعتز يهجو بهما «ابن بسَّام» وهما:

مـــن شـــاء يهجـــو عـــليّاً فشـــعره قـــد كفـــاهُ

(١٤) انظر ج٢ ص ٥٣ وص٧٧. ولا نعلم -الآن- عن هذا الكتاب شيئاً...!!.

(١٥) انظر ج٢ ص ٣١٠.

لـــــو أنَّـــــه لأبيــــــهِ مـــا كـــان يهجُـــو أبـــاهُ

– ولَقَدْ كَانَتْ أبياتُ الشعر التي استشهد بها ابنُ رشيق في كتابه «العُمدة» وافرةً محظوظة، حيث إننا نجد هذا المؤلف كان على اطلاع واسع على شِعْر عبد الله بن المعتز فاستشهد بنحو الخمسين بيتاً من شعره، منها قولُه في وصف نسوة:

أَشَرْنَ على خَوْفٍ بأغصان فِضَّةٍ مُقَوَّمـــةٍ أثمـــارُهُنَّ عَقيــقُ

وقوله:

لئِنْ نزَّهتَ سمعَك عنْ كلامي لقد نزَّهتُ في خَديْكَ طَرْفي
لَهُ وجهٌ به يُصبي ويُضني ومُبْتَسَمٌ به يُشقِي ويَشْفي

وقوله يصف خَيلاً..[١٦]:

صَبَبْنَا عليها ظالمينَ سياطنا وطارتْ بها أيد سِراعٌ وأَرْجُلُ

كما أنَّ معاصر ابن رشيق أبا الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبـــي البرقي في كتابه الشهير المفيد الذي شرح فيه: «المختار من شعر بشار» اختيار الخَالديَّيْن، يستشهد كثيراً أثناء شرحه وتعليقه ونقده بأبيات ومقطعات ذات معانٍ وتشبيهات وكنايات واستعارات لطيفة لابن المعتز، وذلك في نحو ثلاثين مرة من كتابه المذكور.

منها قول ابن المعتز[١٧]:

(١٦) انظر العمدة: ج١ ص ٢٦٩ وص ٢٩٥ وج٢ ص٥٢. ط. القاهرة ١٩٣٤.

(١٧) المختار من شعر بشار ص ٦٨ – ٦٩ و٢١.

تعاونت فيه من قرن إلى قدم
محاسن بدع تستوقف الحدقا
فكم تحيـــر من عقل ومن نظر
فيه وكم تاه من قلب وكم خفقا

ومنها قوله في حاسديه:

مـــــا عــــابني إلا الحســـــو د وتـــلك مـــن خـــير المـــناقبْ
فــــإذا مـــلكت المجـــد لم تمـــلك مـــودّات الأقـــاربْ
والمجـــد والحســـاد مقــــ رونـــان إن ذهـــبوا فذاهـــبْ
وإذا فقــــدتَ الحاســـديــ ــــن فقدتَ في الدنيا الأطايبْ

ولو فرضنا أنَّ مؤرخاً من الباحثين في عصرنا هذا استشارنا لندلّه على مصدر معاصر لعهد المعتضد العباسي ومعاركه ولاسيما مع الزنج، وموقفه من عدة شخصيات حاكمة في عصره، لما تردَّدنا - بناءً على معرفتنا بمنظومة ابن المعتز - أن نذله عليها وعلى عدة أبيات منها يصح الاستشهاد بها في تصوير أحداثٍ وأشخاصٍ وأعمالٍ ومحاسن ومباذل كان ابن المعتز قد جمعها في منظومته الرجزية التي أرّخ بها عهد الخليفة العباسي المعتضد، والتي تبلغ ٣٦٣ من الأبيات.

وإذا كنَّا لا نجهل أن رجزية ابن المعتز يغلب عليها طابع التاريخ والتسجيل وربط الأحداث بغَمرات المعتضد فإن بعضَ أبياتها يغلب عليه الطابع الأدبي والخيال والمبالغة وما إلى ذلك.

وأبيات ابن المعتز في هذه الرجزية كأنها تسير مع تاريخ معاصره المؤرخ الشهير ابن جرير الطبري في خط واحد، والأمر يحتاج إلى مزيد من المقارنة

والتعمق في الاستنتاج.

ومن الطريف في هذا العصر أن نجد د. طه حسين حينما كان يُحاضِرُ عن شاعرنا ابن المعتز يقدّم لسامعيه ما يأتي[١٨]، قائلاً:

«... وكان ابنُ المُعتزِّ رفيقاً في فنِّه هذا، وفي حبّه، وفي لهوه، زعموا أنَّ أصحابَه اجتمعوا إليه ذات يومٍ وكانتْ تُغنيِّهم جَاريةٌ قبيحةُ الوجه جدّاً، وكان صوتُها عَذْباً، وكان ابنُ المعتز مفتوناً بصوتها فكان يداعبُ هذه الجاريةَ القبيحةَ، ويُسْرِفُ في مُداعبتها، فلما قامتْ قال له بعض نُدمائه:

- ما الذي تُحبُّ في هذه الجارية الشَّوهاء؟

- فقال الشاعرُ ابن المعتز هذين البيتيْن:

قَلْبي وثَّابٌ إلى ذَا وذَا ليس يرى شيئاً فيأبَاهُ
يَهيمُ بالحُسنِ كما يَنْبغي ويَرحَم القُبْحَ فَيهْوَاهُ

* * *

(١٨) انظر كتاب: من حديث الشعر والنثر. د. طه حسين ص ١٥٨ ط. دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م.

من المصادر والمراجع

- الأشباه والنظائر للخالديَّيْن القاهرة ١٩٥٨م.
- «ابن المعتز» تأليف د. محمد عبد المنعم خفاجة. ط. القاهرة ١٩٩١م.
- «البصائر والذخائر» تأليف أبي حيان التوحيدي. ط. بيروت ١٩٨١م.
- «تاريخ الشعر العربي» تأليف د.نجيب البهبيتـــي ط. ثالثة ١٩٦٧م.
- «تاريخ الأدب العربي» تأليف د.عمر فرّوخ. ط. بيروت ١٩٨١م.
- «ديوان ابن المعتز» تأليف ابن المعتز ط. بيروت ١٩٦٩م.
- «زهر الآداب وثمر الألباب» لأبي إسحاق الحصري ط. القاهرة ١٩٢٥.
- «العُمدة» لابن رشيق القيرواني ط. القاهرة ١٩٣٤م.
- «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي. ط. القاهرة ١٩٥١.
- «المختار من شعر بشار» شرح التجيبـــي ط. بيروت (مصورة).
- «معجم البلدان» ياقوت الحموي ط. بيروت ١٩٥٧.
- «الموشح» للمرزباني ط. القاهرة بدون تاريخ.
- «من حديث الشعر والنثر» د. طه حسين ط. القاهرة ١٩٦٩م.
- «الورقة» لابن الجراح ط. القاهرة ١٩٥٣م.
- «وفيات الأعيان» لابن خلكان ط. القاهرة ١٩٤٨.

أحمد فارس الشدياق ورأيه في بَعْض المُستَشْرِقين وفي مشكلات الترجمة*

د. محمد سواعي

مُقدِّمة:

نَتناوَل في هذا البَحْث جُهودَ أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤؟ – ١٨٨٧) ورأيه في مشكلات الترجمة الذي عبَّر عنه في تعليقاته على ترجمات بعضِ المُستشرقين الأوائل لبعض المُؤلَّفات العربية. ونَتَناول أيضاً عَلاقَتَه ببعض المُستَشْرقين ورأيه في من عرفه منهم شخصيّاً في أثناءِ إقامته في بريطانيا وفرنسا، ممَّن قَرأَ تَرْجماتِهم ومُؤلَّفاتِهم، أو سَمِع عنهم من مَصادِر أُخرَى. ونعرض بالتفصيل عَلاقةَ الشدياق بالمُستَشرِق الإنجليزي الدكتور صموئيل لي Samuel Lee (١٧٨٣– ١٨٥٢)، الذي أوكَلَت إليه الجَمعيَّةُ الإنكليزية المعروفةُ بـ «جمعية تَرْقِيَة المعارِف المسيحيَّة» Church Missionary Society مَهَمَّة تصحيح نَقْل «الكتاب المُقدَّس» إلى اللغة العربية. وجديرٌ أنْ نذكرَ أنَّ هذا المُستَشْرِقَ عارض ترجمة الشدياق، في أثناء عمله معه، بالأصْل الذي كان يُترجِم منه[1]. وقد بنى الشدياق موقفه من قدرات بعض المستشرقين اللغوية وكفايتهم في العربية على خبرته التي اكتسبها من هذه العلاقة مع الدكتور (لي) والعمل الوطيد مع بعض المستشرقين الآخرين.

لابُدَّ للباحثِ أو القارئ الجادّ حين يطالع ترجمةً ما مِنْ طَرْح بعض الأسئلة –كما فَعَلَ الشدياق – من مثل: ما الشُّروط اللازمةُ في المُترجِم

للـــنَّقْل من لغة إلى أُخرَى؟ وهل إتقانُ المهارات اللغوية شَرْطٌ كافٍ لإتقان الترجمة من لغة أجنبية؟ وهل معرفةُ ثقافةِ مُجتمعٍ تلك اللغة ضَرورةٌ أساسيَّة؟ إذا كـــان الأمرُ كذلك، فكيف يكتسب المترجم هذَيْن المجالَيْن من المعرفة؟ ولابـــدّ، قـــبل الإجابة عن هذه الأسئلةِ من وُجهَة نَظَر الشدياق، من ذِكْر الملاحظات التالية:

أوَّلاً: إنَّ قراءتَـــنا وُجْهَةَ نَظَر الشدياق هذه تَعْتَمد اعتماداً كُلِّياً على الفكَـــر الـــتي أوْرَدَها حَوْل القضايا اللغوية المُتَّصلة بالعربية، وعلى رأيه في المُستشرقين الإنجليز أو الفرنسيين الذين ذكَرَهم في كتابه «كشف المخبا عن فـــنون أوربـــا»[٢]. فقد أورد الشدياق في هذا الكتاب إشاراتٍ قصيرةً عن بعض هؤلاء المستشرقين كانت لاذعة في كثير من الأحيان.

ثانيـــاً: إنَّ عمَـــلَ الشدياق مُتَرْجِماً كان ضِمْن حَرَكةٍ ثقافية عربية أخذت تَنْشَط في النَّقْل من اللغات الأوروبية، ولاسيّما الفرنسية والإنجليزية، إلى الـــلغة العربية، في كُلٍّ من مصر وبلاد الشام في النِّصْف الأول من القرن التاسع عشر.

ففضـــلاً عن ترجمة العلوم الغربية في مُؤسَّسات محمد علي في مصر، نَلْمَس أيضاً النشاطَ في الترجمات الدينية على أيدي مُؤسَّسات التبشير الغربية ومُعاضَدة بعض المساعدين العرب، وكذلك في نَقْل المُؤَلَّفات الأدبية الأوَّلِيَّة وبخاصَّـــة في مَجـــالَيْ المسْرَح والشِّعْر. فينبغي لنا، حتَّى نَفهم رأي الشدياق في الترجمة، أنْ نَعْرِضَ تاريخ الترجمة في هاتَيْن المنطقَتَيْن من العالم العربي عرضاً سريعاً.

ثالثاً: رافقَ قيامَ هذه الحركةِ العربيةِ حركةٌ غربيَّةٌ قامَ بها المُستشرقون الأوائـــل من خريجي برامجِ الدراسات الإسلامية في بعضِ جامعاتِ أوروبا،

وبخاصَّـةٍ جامعـةِ لايْدن في هولندة وبعضِ الجامعات الفرنسية والجامعات البـريطانية. فقد تعاظم الاهتمام بالعربية فِعلاً في القرْن التاسعَ عشَر، أيْ مع بِداية الأطماع الاستعماريَّة والنَّشاطات التبشيريّة في البلاد العربية.وقد تزامَن هـذا الاهتمام مع ظُهور ترجمات من العربية إلى الفرنسية والإنجليزية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى. ولهذا نُقَدِّم عَرْضاً موجَزاً للدراسات الإسلامية في أوروبا وخاصَّةً في بريطانيا وفرنسا في ذلك الحين، حتى نتعرَّف على مستوى الإعـدادِ الـلغوي لهؤلاء المُستشرِقين المُترجِمين، وكان هذا المستوى أهم العوامـل التي دفعت الشدياق إلى ما قاله فيهم، وما قاله، في كتابه المذكور سـابقاً، عـن حال تدريس العربية في الجامعات الغربية وبخاصَّةٍ الجامعات الإنجليزية، والمكانة المهمَّشة التي احتلتها هذه اللغةُ في البرامج الأكاديميّة.

جُهود المترجمين العرب في مصر وبلاد الشام:

لعَلَّنا لا نُجانبُ الصَّوابَ إذا قُلنا إنَّ القِيامَ بعَمَل الترجمة والاهتمامَ بها في النِّصْـف الأوَّل من القرن التاسعَ عشرَ كان نتيجةَ اهتمامَيْن مُختلفَيْن في مصـر وبلاد الشام. ففي مصر، كان الدافِعُ وَراءَ هذا النَّشاط الجَمّ في بداية القَرنْ ترجمةَ العلوم الغربية للُغة العربية مِن أجْل بناء دولةٍ حديثةٍ وفق ما كان يَرْتئي محمَّد علي ويُخَطِّط. ومن المعروف أن المُؤَسَّسات الحديثة التي أنشأها حَسْـب الأنظمـةِ الأوروبيّـة آنذاك، وبخاصّة النِّظام الفرنسي، قد تطلبت موظفـين مؤهلين لإدارة تلك المؤسسات، من مثل المعاهد العلمية المختلفة، وإدارة الجيـش، والمطبعة وغير ذلك. ولهذا أوفد محمد علي كثيرين من أبناء الـبلاد في بعـثاتٍ عِلميَّة إلى المؤَسَّسات الأوروبية ليَعُبُّوا العلومَ الحديثةَ من

مَناهـــلها وليتدرّبوا في المدارس، والمعاهد، والمصانع، وليكتسبوا الخبراتِ التي كـــانت مؤسَّساتُه بحاجةٍ إليها. وتُعدُّ البعثاتُ العلميّةُ المصريَّة إلى أُوروبّا من أهـــمِّ الخُطوات التي دَفَعَت مصر بخاصّة، والشرقَ العربيَّ بعامّة، نَحْوَ النهضة الجديدة. ويُمكِن للمَرْء أنْ يتصوَّرَ الوضْعَ اللغويَ الشّائكَ الذي وَجَدَ هؤلاء المبعوثون أنفسَهم فيه لَدَى عودتِهم إلى مصر والالتحاقِ بوظائفهم، وعَمَلِهم في مُختَـــلف المُؤَسَّسات، ولاسيما تلك التي استَدْعَت تعليمَ العلوم الأوروبيّة الحديثة باللغة العربية.

ومن ناحيةٍ أُخرى كان لإقدام محمد علي على فَتْح مدرسة الطبِّ في مستشفى «أبو زعبل» في القاهرة عام ١٨٢٧م لتعليم الطبّ أو العلوم المساندة له، على أيدي أساتذةٍ استُقدموا من أوروبا كبيرُ الأثَرَ في تَنميَة حَرَكة الترجمة. فقد كان هؤلاء الأساتذةُ يعرفون الفرنسيةَ ولا يُجيدون العربية. ومن جهةٍ أُخرَى، لم يكن الطلابُ على مَعرفةٍ باللغة الفرنسية، لغة الأساتذة. ويُمكننا أنْ نُقَدِّرَ الصُّعوباتِ في الاتّصال بَيْن العالِم والمُتَعَلِّم في مثل هذه الحال. وخُروجاً من هذا المأزَقِ، استقرَّ رأيُ كلوت بك Clot Bey، رئيسِ مدرسة الطِّب، أَنْ يكونَ تعليمُ الطبِّ بالعربية على يَدِ مُترجمين ضَليعين traducteurs érudits، عارفين بلُغَة الطلاب والأساتذة[٣]. وكان كثير من هؤلاء المترجمين، في بداية الأمْر، من المُهاجِرين الشّوام، فكانوا ينقلون الدروسَ من اللغة الفرنسية، لغة المُعلِّمين العلميّة، إلى اللغة العربية، لغة الطلابِ. ويُوردُ هِيْوِرْثْ- دَنْ Heyworth- Dunne أنَّ كلُوت بيك اعتَرَفَ بأن المُترجمين المُلِمِّين بترجَمَة المادّة العلميّة كانوا غير موجودين في البداية[٤]. وقد أُسست «مدرسة الترجمة» على يدي محمد علي أوائل عام

١٨٣٥، نظراً للحاجة الماسَّة لمثل هؤلاء المترجمين، وريثما يتخرَّج مُترجمون من أبناء البلاد قادرون على نَقْل العلوم إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية، وبخاصَّة من الفرنسية، للعَمَل في دوائر الدولة العديدة. وقد سُمِّيَت هذه المدرسةُ فيما بَعْدُ باسْم «مدرسة الألْسُن»، ورَأَسَها عام ١٨٣٧ رفاعة رافع الطهطاوي، الذي كان قد مارَسَ الترجمة في أثناء دراسته في باريس، ومارسها أيضاً بِنَقْل موضوعات عِلميَّة وتاريخية من اللغة الفرنسية إلى اللُّغة العربية حين عودته من بِعثته في فرنسا عام ١٨٣١، وفي أثناء الوظائف المختلفة التي شَغَلَها.

أمـا في بـلاد الشام، فكان الدافعُ وراءَ التَّوَجُّه إلى الترجمة إمّا دينيّاً مُتَمَثِّلاً في ترجمات «الكتاب المقدَّس» والكُتُب والمنشورات الدينيّة العديدة الأخرى، أو اقتصاديّاً للاستفادة من العَلاقات التجارية مع الغرب، التي أخذت بالتوَّسع إثْرَ إنشاء البُيوتات التجارية الغربية في حَلَب وطرابلس وبيروت وغَيرِها من المُدُن الشاميَّة. وقد نذكر عاملاً آخَر ألا وهو دافِعُ العَمَل في القُنْصليّات الأجنبية في مُختلف مُدُن الولايات العربية الخاضعة للحكم العُثماني. ويَجب أنْ نذكرَ أنَّ تعلُّم اللغات الأجنبية واتخاذ الترجمة مهنةً في بلاد الشام في القرن التاسع عشر لم يَكُن شيئاً جديداً طارئاً. فَمُنذ عصور بعيدة، عرَفَت هذه المنطقةُ الحاجة إلى المترجمين للعَمَل في البيوتات التجارية، أو في الأديرة وإرشاد الحُجّاج المسيحيين الغربيين في أثناء زياراتهم للبلاد المقدَّسة. وقد قامَت الأديرةُ والمدارسُ التبشيريّة بمَهَمَّة تعليمِ لغاتٍ أجنبية مختلفةٍ لأبناء هذه المنطقة. ففي حين تَوَلَّت بعضُ الأديرة، وبخاصة في لبنان تعليمَ اللغات الشرقية كالسريانية والعِبرية، قامَت المدارسُ التبشيريةُ، التي

تأسَّست وتوَسَّعَت في القرن التاسعَ عشرَ، بنصيب هامٍّ من تعليم أبناء الطوائف المسيحية اللغات الغربية، ولاسيّما اللغتَيْن الإيطالية واللاتينية. وفيما بعد أضافَت هذه المدارسُ والأديرةُ الإنجليزيةَ والفرنسيةَ إلى برامجها في تعليم اللغات الأجنبية. وقدّم تعلُّم هذه اللغات مَيادين عَمَلٍ للخرّيجين، سَواءً في التعليم، أو في الترجمة، أو العَمَل في المكاتب القُنْصُلية أو التِّجاريَّة. ونورد، على سبيل المثال، من أسماء هؤلاء المُترجمين بطرس البستاني (١٨١٩- ١٨٨٣)، وابنه سليم (١٨٤٨- ١٨٨٤)، وحبيب اليازجي (١٨٣٣- ١٨٧٠)، ورُشَيْد الدَّحْداح (١٨١٣- ١٨٨٩)، ورزْق الله حسّون (١٨٢٥؟ - ١٨٨٠)، وأحمد فارس الشدياق (١٨٠٤؟- ١٨٨٧)، الذي نُخصُّه بهذه الدِّراسة.

الدِّراسات الإسلاميَّة والعربية في أوربة في القَرْن التاسِع عشر:

مــن المعــروف أنَّ الاهتمامَ باللغة العربية والإسلام يعود إلى مراحل الاحــتكاك الأولى بين العــرب والغرب بعد فَتْح الأندلس في القرْن الثامن لــلميلاد. وعلى الرَّغم من الاتّصال المُباشِر إبّان الحُروب الصليبيّة، غير أنَّ الصــليبيّين أهمــلوا، كما يبدو - حسب قول آرْثَر آربري A. Arberry- فُــرَصَ تعــلُّم لغــة أعدائهم الفرسان مع أنَّهم تعلّموا الكثيرَ من مهارات الفُروسِــيَّة من العرب(٥). ولكنَّ حقبة زمنيةً طويلةً مَرَّت قَبْل أنْ تُصبحَ اللغةُ العــربية والدراســاتُ الإســلامية موضوعات تُدَرَّس بذاها في الجامعات الأوروبيــة، متمــتعة باستقلالها الأكاديمي، كغيرها من المباحث التي حواها المــنهاج الجــامعيّ. ولمــا كانت دراسةُ اللغة العربية مُعظَم الأحيان مُلحَقةً بأقســام الدراســات العِبريَّة والتوراتيّة في جامعاتٍ كثيرةٍ في أوروبة، فإنَّها بَقِيَــت معــزولةً في زاويــة ضَيِّقة من المؤسَّسة العلميَّة، وبَعيدَةً من التلاقح

الفكري الناشط في البرامج الأكاديمية الرئيسة في الجامعات.

فَفـــي بــريطانيا، لم يكـــن حالُ الدراسات الإسلامية والعربية على المُستَوى المُتَوَقعْ، فقد ذكر آربري[٦] أنّه باتَ ثابتاً أنَّ أوَّلَ عالِمٍ باللغة العربية كـــان المُـــدرِّسَ الخـــاصَّ للملك هنري الثاني وهو أدلارْد من مدينة باث Adelard of Bath، الـــذي لَمَع نَجْمُه في القرن الثاني عشر (حوالي ١١٢٥ لـــلميلاد). وكان أدلارد هذا قد ارتحل في الأندلس وسورية، وترْجَمَ عَدَداً مـــن النُّصـــوص العربية إلى اللغة اللاتينية. ويذكر أربري أيضاً أنَّ من الذين اهتمّوا بتعلُّم العربية والعلوم الإسلامية في الأندلس في القرن الثاني عشر دانيل مـــن مدينة مورلي Daniel of Morley، لينقلها إلى بلاده. وفي القرن الثالث عشـــر بـــرز ميخائيل سكوتس Michael Scotus، عالِم الفَلَك والكيمياء ومُترجم مُؤلّفات ارسطوطاليس من العربية. فمن الواضح أن العربية لم تكن تُدَرَّس بذاتها بل كانت وسيلةً للتعرُّف على عُلوم اليونان القديمة التي حفظَت العربيةُ الكثيرَ منها[٧].

أمـــا الاهتمام بتدريس العربية فقد بَدَأَ في القرن السابع عشر، وذلك إثـــرَ التوَسُّع التجاري في مناطق الشرق، الذي صاحَبَه أيضاً اهتمامٌ بالتبشير إلى المسيحية في المُجتَمعات العربية الذي استَدْعَى مَعرِفةَ العربية. فبَيْنَما تَبَرَّعَ تاجـــرُ الأقمشـــة والملابـــس في لندن السيـــر توماس آدامز Sir Thomas Adams بتأســـيسِ أوَّلِ كُرسيٍّ لدراسة العربية بجامعة كمبردج عام ١٦٣٢ لـــلميلاد، رعـــى المُطـــران لاود Archbisohp Laud تأسيسَ أوَّل كرسيٍّ لتدريس العربية بجامعة أكسفورد عامَ ١٦٣٦، وربما كان هذا بدافِعِ المُنافسة التقليدية بين هاتَيْن الجامعتَيْن[٨].

لقـــد بدأ الاهتمام بدراسة العربية في انجلترة منذ أوائل القرن السابع عشر، وتعاقَبت أجيالٍ من الأساتذة على كرسي العربية في جامعة كمبردج على سبيل المثال، ومع هذا فإن الاهتمام لم يُصبِحْ واضحاً في هذه الجامعة إلا في نهايـــة القرن التاسع عشر، حين عُيِّن وليم رايت William Wright (١٨٣٠- ١٨٨٩) أســتاذاً للعربية عام ١٨٧٠، بعد أنْ أكملَ دراستَه في لايدن[٩]. وكذلك الحال في جامعة أكسفورد حيث عُيِّن د. س. مرغوليوث D. S. Margoliouth (١٨٥٨- ١٩٤٠) في عـــام ١٨٨٩ أستاذَ كرسي اللغة العربية الذي أسَّسه بجامعة أكسفورد رئيس الأساقفة لاود عام ١٦٣٦. ومع أنَّ اســـمَ مرغوليوث اقترَنَ بالدِّراسات العربية واشتَهَرَ بإنتاجه الغزير في هذا الميـــدان، غير أنَّ اهتماماته شَمَلَت الدراساتِ الساميَّةَ بوجه عامٍّ، فلقد مَهَرَ عـــلومَ اللغة السريانية والعبرية والحبشيَّة[١٠]. ومرغوليوث هذا كانَ قد علَّم نفسَـــه بنفسه اللغةَ العربية والإسلام، ولم يكن تلميذاً لأيٍّ من الأساتذة في الحَلَقَة الضيِّقة من العلماء المُتخصِّصين في الدراسات الإسلامية.

أمّا في فرنسا وهولندة، فَمِن المعروف أنَّ كوليج دي فرانس Collège de France في مديـــنة باريس وجامعة لايْدن بمدينة لايدن في هولندة كانتا المُؤَسَّستَيْن العلميَّتَيْن اللتيْن اشتَهَرَتا بالاهتمام بالدِّراسات العربية والإسلامية وأصـــبحتا المُؤَسَّستَيْن العلميَّتَيْن اللتين يَرتادُهُما طُلابُ هذه الدِّراسات من الـــبِقاع الأوروبية المختلفة. ففي كوليج دي فرانس كانَ جان جاك كوسان دي برســـفال الأب (١٧٥٩- ١٨٣٥) Jean- Jacques Caussin de Perceval père قد عُيِّنَ أستاذاً للعربية[١١] عام ١٧٨٤. وقد ازداد الاهتمامُ بالدراســـات الإسلامية ودراسة اللغة العربية في فرنسا، وبخاصَّة بعد تأسيس

«مدرسة اللغات الشرقية الحيّة École spéciale des langues orientales vivantes» في ٣٠ مارس (آذار) عام ١٧٩٥، فأُنْشِئ فيها كرسيٌّ لدراسة العربية الفصحى وكرسيٌّ آخَر لتعليم اللهجات، فضلاً عن تعليم اللغة التركية والتّتارية والفارسية والملاوية. وقد جاء هذا كله مع نموّ المصالح التجارية، والأطماع السياسية في البلاد العربية بدءاً من نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشرٍ وازدياد النفوذ الأوروبي في هذه البلاد. ومن المعروف أن سِلْفِسْتر دي ساسي (١٧٥٧/ ١٧٥٨؟- ١٨٣٨) Silvestre de Sacy عيِّن أستاذاً لتدريس اللغة العربية في «مدرسة اللغات الشرقية الحيَّة» في عام ١٧٩٦، وبتعيينه بَدَأت الحقبة الأولى من ازدهار العربية في هذه المدرسة الجديدة[١٢]. ومن المعروف أن دي ساسي دَرَسَ العربية والسريانيّة والكلدانية والعبرية. ولكنَّ العربيةَ هي اللغة التي فتحَت بابَ الدراسات الشرقية له. وله مُؤَلَّفاتٌ تعليميّةٌ في النَّحْو العربي تَتَلْمَذَ عليها كُلُّ مُتخَصِّصٍ في الدراسات العربية في أوروبا في القرن التاسع عشر. وليس من قبيل المُبالَغة القول إنَّه ليس من طالبٍ في المعاهد العليا الفرنسية والإسبانية والنرويجية والسويدية والدنماركية خاصةً لم يتربّع أمام قدَمَيْ دي ساسي ويستفد من الكُتُب التعليمية التي كان هذا المستشرق قد أعدَّها[١٣]. ويذْكُر الشدياق أنَّ دي ساسي كان أبْرَعَ من عَرَف العربية والفارسية. ولا نَعْرِف كيف يُؤكِّد الشدياق مثلَ هذه المعلومة. فلعلَّه عَرَف من اتّصالاته مع المُستشرقين العديدين أنَّ دي ساسي شَغَلَ كرسيّ اللغة الفارسية في كوليج دي فرانس[١٤] عام ١٨٠٦.

ومع كُل هذه التطوُّرات في دراسة العربية والإسلام، وشُهرة بعض

الأساتذة في بعض الجامعات الأوربية والتحاق طلاب لدراسة هذه الموضوعات واهتمامهم بها، فإنّ دراساتِ الإسلام والعربية بقيَت محدودةً ومقصورة على عَدَدٍ قليلٍ من العُلَماء. وكانت لايدن وباريس مركزَيْ جَذْبٍ للطلاب الأوروبيين المُهتمّين الذين وَفَدوا إلى هاتين المدينتَيْن طلباً للعلوم الإسلامية ولدراسة اللغة العربية.

الشدياق والترجمة:

بَدأ الشدياق دراستَه الأوَّلِيّة في بَواكير سنواته في قَرْية الحَدَث حيث وُلِد وَنَشَأَ. ثم أُرسِل بعد ذلك إلى مدرسة «عين ورقة» الشهيرة، حيث كانت تُدَرَّس اللغات الشرقية كالسريانية والعبريَّة. وبعد تَرْكِه المدرسة، واصَلَ تعليمَه في بَيْت والدِه الذي حَوَى «كتباً عديدة في فنون مختلفة...»(١٥). وبعد أنْ توَقّفَ عن الدراسة بسبَبَ ظُروفٍ عائلية، عَمِلَ في نَسْخ الكُتُب ومارَسَ مِهنةَ التعليم الخاصّ. ثم غادَرَ لبنان في الثاني من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٢٦ إلى الإسكندرية(١٦) في طريقه للعَيْش في القاهرة وإعداده للعَمَل مع «جمعية تَرَقّي المعارف المسيحية» التي ذكرناها سابقاً. وفي القاهرة، واظب الشدياق على تعميق معرفته باللغة العربية بالمواظبة على الدراسة في الأزهر(١٧). ثمّ عمِلَ في تحرير جريدة «الوقائع المصرية». وأرسلته «جمعية ترقي المعارف المسيحية» بعد ذلك إلى مالطة، حيْثُ بَدَأَ دراسةَ اللغة الإنجليزية لكي يتمكن من تعليم اللغة العربية للأجانب والقيام بتَصحيح الترجمات الدينيّة التي كانت جمعيات التبشير تقوم بها لنشر الكُتُب الدينيَّة باللغة العربية. ومارَسَ الترجمةَ أيضاً مع الطائفة التبشيرية الأمريكية الصغيرة

في مالطــة عام ١٨٢٨، ومارسها بعد ذلك مع هيئات التبشير الإنجليزية، ثمّ مــع الطائفة التبشيرية المحليّة في القاهرة إثْرَ عودته إلى مصر(١٨)، إمّا في نهاية عام ١٨٢٨ أو أوائل عام ١٨٢٩.

وفي عام ١٨٣٤ غادَرَ الشدياق القاهرة في طريقه إلى مالطة ليبْدأ مَرّةً ثانيةً عَمَلَه مع «جَمعيّة ترقّي المعارف المسيحية» مُترجماً ومُحَرِّراً، ومُصَحِّحاً لُغويّــاً للمطبوعات العربية. ويُخبِرُنا الشدياق أنّه قام بتعليم اللغة العربية في «... مدرسةٍ جامعة يعلم فيها الفنون واللغات...» في أثناءَ إقامته هناك(١٩).

وفي عــام ١٨٤٨ وُجِّهَــت له دعوةٌ لزيارة إنجلترة ليقومَ بترجمة «الكتاب المُقدَّس» إلى العربية، بالتعاون مع المُستَشرِق الإنجليزي(٢٠) الدكتور صَمُوئيل لي (١٧٨٣- ١٨٥٢م). وقد أتاحَت له هذه الإقامةُ القصيرةُ في كمْبرِدج، والأمــاكنِ الأُخــرى في انجلترة، واسكتلندة، وفرنسا فُرصةَ التعرُّف على المجــتمعات الإنجــليزية، والفرنســية، وعلى لُغات هذه البلاد أيضاً، وعلى الحَــرَكات الأَدبيَّة، والفِكريَّة هناك. كما شحذ نشاطُه في الترجمة وعلاقاته الواسعة في هذه المجتمعات وبالعاملين في شُؤون الفِكر والتعليم والترجمة طاقاته اللُغويةَ والفِكْريّةَ، وهو ما أكسبه سُمعةً فائقةً، فاستدعاه السُّلطان العثماني عــبد المجيــد (١٨٣٩- ١٨٦١) ليعمَلَ مُترجماً ومُصَحِّحاً لغويّاً في مكاتب «الباب العالي» في الدَّولة العُثمانية التي استمَرَّ في خِدمتها، فأقامَ في (الأستانة) إبان حُكم السُّلطان عبد العزيز (١٨٦١- ١٨٧٦). وعاش فيها أيضاً عِقْداً من حُكْم السُّلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦- ١٩٠٩).

وقــد تعرَّف الشدياق في غضون إقامته في بريطانيا وفرنسا، وزيارته للمُؤسَّسات التعليمِيَّة فيها، على وَضْعَ تعليم اللغة العربية في جامعاتها، وكَوَّن

آراءَه في كفاية المستشرقين اللغوية وقدراتهم على الترجمة. ولاحَظَ أنَّ اللغات السامِيَّةَ مُرَتَّبَةٌ ترتيباً هَرَمِيّاً في الجامعات الغربية، لا من حيث أهميَّةُ اللغة في العُلوم اللغوية وحسب، بل من حيث رواتبُ مُدرِّسي هذه اللغات أيضاً، فعلوم اللغة العربية يُنظَر إليها - كما يقول الشدياق بالنص - بأنّها «...سبب يتوصل به إلى النتف من غيرها كالعبرانية والسريانية...» إذ إنَّ هاتَيْن اللغتَيْن أهَمُّ وأكثرُ نفْعاً. زد على ذلك، أنَّ دَخْلَ مُدرِّس اللغة العبريَّة في كمبردج كان «ألف ليرة في السنة» في حين أن «دخل مدرس العربية سبعون ليرة فقط...»[٢١].

ولعلَّ الشدياق قد عَرَفَ مستشرقين غربيين كثيرين شخصيّاً أو عَرَفَ عنهم وعن مُؤَلَّفاتهم من مَصادرَ أُخرى[٢٢]. ومن الآراء التي بَثَّها في صَفْحات كتابه عنهم يُمكِنُنا تقسيمُ هؤلاء المُستشرقين إلى فِئتَيْن: فئَة أولى تحظى بإعجابه، فيُغدِق عليها عبارات مُنمَّقَةً تعبيراً عن إعجابٍ شديد. ومن المُستَشرقين الإنجليز الذين عُنُوا بالعربية والذين كان الشدياق مُعجباً بهم نَذكُر دكطر جون نيكلسن John Nicholson، [الدكتور جون نيكلسون]، الذي تعلَّم العربية، ولم يكن سَمِعها أبداً من أبنائها، وكان يَطرَبُ كثيراً حين يُنشده الشدياق بعضَ الأشعار. وسَكَن هذا المستشرق في مدينة بنريث Penrith في شمال إنجلترة حيْث حَلَّ عليه الشدياق ضيفاً في هذه المدينة فأظهَرَ له من الإكرام ما حظي بإعجابَ الشدياق[٢٣]. وكذلك يذكر الشدياق مستر وليمس Williams [وليمز]، المُدرِّس في كِمبردج، ومستر برسطون Preston [برستون]، الذي تَرْجَمَ خمساً وعشرين مَقامةً من «مقامات الحريري» إلى اللُّغة الإنجليزية. ويقول الشدياق إنَّ برسطون عاش

في «الديار الشامية واستصحَبَ بعض أهاليها...». وعلى ما يقول أربري، فقد شَغَل كُلٌّ من هنري غِرِفِن وِلْيَمْز Henry Griffin Williams من كليّة عمّانوئيل Emmanuel وثيودور برسْتون Theodore Preston من كليّة تْرِنتي Trinity كُرْسِيَّيْ دراسات العربية في جامعة كِمبردج عام ١٨٥٤، وكانا حينئذ شاغرين. وكانت سُمعةُ تدريس العربية في هذه الجامعة، في ذلك الحين، قد انحدَرَت كثيراً، ولم ينجح أيٌّ منهما في وَقْف تدهور سُمعة تدريس العربية في هذه الجامعة[٢٤].

ويذكرُ الشدياق مستر جون برطون John Breton [برتون]، الذي قرأ عليه جُزءاً من المقامات، أي «مقامات الحريري». ويُضيف الشدياق أنَّ السيِّد برتون كانَ يتعلَّم العبريّة على يَد يهودي في كِمبردج[٢٥]. ومن الذين حازوا إعجابَ الشدياق وثناءَه مستر صال George Sale (١٦٩٧– ١٧٣٦) مُترجِم القرآن (١٧٣٤). ويُشكِّك الشدياق بصَّحَّة قول فولتير بأنَّ صال مَكَثَ بين العرب سنواتٍ عديدةً تقربُ من خمسةٍ وعشرين عاماً، وهذا ما ساعدَه على تعلّم العَربية عنهم وسهَّل عليه ترجمةَ القُرآن ترجمةً جيِّدةً مازالت تحظى بالثناء حتّى اليوم. ويُؤكِّد الشدياق اعتماداً على مُقدِّمة ترجمة صال الطويلة أنَّ المُترجِمَ لم «يُخالِط العرب»[٢٦]. ومما يزيد في صَحَّة استنتاج الشدياق، أنَّ صال ماتَ عام ١٧٣٦ عن عُمرٍ يقِلُّ عن الأربعين عاماً[٢٧]. ولكن هذا التشكيك في مُخالَطَة صال للعرب، لا يُنْقِصُ من قَدْرِه وعَمَلِه المُتَميِّزين في الترجمة.

ويذكر الشدياق أيضاً مستر لان Edward William Lane [إدوارد وليم لين] (١٨٠١– ١٨٧٦) مُترجم حكايات «ألف ليلة وليلة»،

الــذي عــاش، عــلى ما يَذْكر الشدياق، سنوات عديدةً في مصر خالط فيها عُــلماءَها وأُدباءَها. والمعروفُ أنَّ لين عاش في مصر ما يَقْرُب من اثنَتَيْ عشرة سنةً على ثلاث مراحل ما بين ١٨٢٥ و١٨٤٩ كَتَبَ في أثنائها كتابَه المشهورَ في العادات والتقاليد في مصر، وكتاباً في وَصْف مصر، وجَمَعَ أيضاً المادَّة اللازمةَ للمُعجَم الشهير «مدّ القاموس»[٢٨].

ويذكــر الشدياق من العلماء الفرنسيين الذين عُنوا بالعربية البارون دي ساسي، الذي جاء ذِكرُه سابقاً، ويَصِفُه بأنَّه أبْرَعُ مَنْ في «بلاد الإفرنج كــلها» في اللغــتَيْن العربية والفارسية[٢٩]. ويُورِد أيضاً اسمَ موسيو دوكان Dugat [دوغا]، الذي تَرجَم في عام ١٨٥١ قصيدةَ الشدياق في مَدْح أحمد باشــا والي تونــس أثــناء زيــارة الــوالي لفرنسا[٣٠]، والكونت دكرانج A. Desgranges [ديغرانج] رئيس تراجم باب الإمبراطور الذي نَصَحَ الشدياق ألا يُــترْجِمَ قصيدتَه في مَدْح الإمبراطور لويس نابليون لِصُعوبة ترجمة هذه القصــيدة[٣١]. ولعــلَّ دكــرانج هو الذي ترجَمَ من الفرنسية للعربية كتابَ نقــولا بن يوسف الترك[٣٢] «تــاريخ الإمبراطور نابليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر إلى مــوت نابليون سنة ١٨٢١» الذي طُبِع في باريس سنة ١٨٣٩.

أمّا الفئةُ الثانية من المُترجمين فتَلقَى من الشدياق نَقْداً جارِحاً. وسَنُورِدُ هنا أسماءَ بعضِ الذين سلَّطَ عليهم نَقدَه الحادّ. فمِن هؤلاء يذكرُ ريشردصون [كــذا] [ريتشاردْسِن ?Richardson] مُؤلِّفَ كتابٍ في اللغة يُقارِن فيه اللغةَ الإنجــليزيةَ باللغَتَيْن العربية والفارِسيَّة. ويَرى الشدياق أنَّ ريشردصون هذا لا يَعْــرِف مِــنَ العربية نِصْفَ ما يعرفُه هو نفسُه من اللغة الإنجليزية، غامِزاً من

قُــدْرَة ريشردصــون على القيام بالمقارنة بكفاية، أو بمقدرته على الترجمة من العــربية. ويرى الشدياق أنَّ ترجماتِ ريشردصون كانت ملأى بأخطاءٍ لُغويةٍ يُمكِن تَصنيفُها في ثلاثة أنواع:

(أولاً) تراكيب لغوية مَغلوطة مثل تركيب الإضافة الذي أوردَ الشدياق مــنه بعــضَ الأمثلةِ التاليةِ: «ملك كسرى»، و«رأس أمان»، و«قدح فضة»، و«الغالب عجم»، و«غالب عجم»[٣٣].

(ثانياً) التصحيف إذ صَحَّفَ ريشردصون «جلوها» بـ «جلدها» في العبارة «ولا أزال كذلك حتى تتم جلوها». وفي العبارة «حتى يقول جميع من حضر» كَتَبَ في الحاشية «حظر» بَدَلاً من «حضر» و«حضرة بمنزلة السمو في الانكليزية»[٣٤]. ولعلَّ نقْدَ الشدياق لتصحيف مُستَشرِقٍ تعلَّم العربية لغةً أجنبيةً ولا يعيش في وَسَــطها اللغوي يبدو مُتَشَدِّداً، ولاسيَّما أنَّ هذه الظاهرةَ شائعةُ الحدوث في الكتابات العربية. ويُخَصِّص الشدياق في «الجاسوس على القاموس» مَساحةً لإيراد أمثلةٍ على التَّصحيف من قُرّاء القرآن، والمحَدّثين، والكُتّاب والأئمَّة الأعــلام. وخَصَّصَ النَّقدَ الثالث والعشرين من «الجاسوس على القاموس» لـــ «خطأ صاحب القاموس وتحريفه وتصحيفه...»[٣٥].

(ثالــثاً) الترجمة الرديئة لعدم معرفة السِّياق الحضاري والثقافي للُغة أو لتصورٍ خاطئٍ لهذا السّياق. فمثلاً، ترْجَمَ ريشردصون «ولا أخلي روحي إلا في موضــعها» بقوــله «لا أعطي الحرية لنفسي أي لزوجتي إلا في حجرها». ويُــورِد الشــدياق مثالاً آخَرَ من ترجمة منشورٍ ملكيٍ يَحُضُّ على الجهاد على الــنَّحو التالي: «ليس لعبّاد النبي من خلاص في هذه الدنيا ولا في الآخرة إلا بجهاد الكفار». ويتساءَل الشدياق إنْ كان المسلمون يَرَوْن أنَّ النبيَّ معبود[٣٦].

ويَعيب الشدياق على هذه الترجمات أن المُترجم يعطي لنفسه الحريَّةَ ليكتُبَ ما يَعِنُّ له، فكثيراً ما يَسبكُ ترجمتَه في قالبِ لُغته دون مراعاة لأفكار المؤلِّف الأصليّة. ويذكر مثالاً على بعض المترجمين الذين يطلقون لأنفسهم العنان في نَقْل معاني اللغة الأصلية للغاتهم، فيرتكبون أخطاءً في فَهْم الأصْل، وينتهجون أساليب لا تنم عن إدراك السِّياق الحضاري لاستعمال المُصطَلَح اللغوي. فلو قال أحَدُ السبَّابين لآخَر «يحرق دينه» - على حَدِّ قول الشدياق - فَرُبَّما لا يُدرِكُ المترجمُ السِّياقَ الاجتماعيَ الحضاريَ للعبارة في مُجتَمَع السبّابين. ويَرَى أنَّ هذا السَّبَّ يعني أنَّ دينَ المسبوب «ساطع ملتهب» «... يحرق جميع ما عداه من الأديان أي يغلب عليها فهو الدين الحقيقي القاهر»(٣٧).

وينتَقِد الشدياق الجامعاتِ الغربيةَ، التي يُسمّيها «المدارس»، لأنها لا توظف «الغريب»، ولعلَّ المقصودَ بذلك أبناءُ اللغة، وإن كانت تسمح لهؤلاء بتعليم أشخاصٍ مُنفردين. ويَرَى الشدياق أنَّ مثلَ هذه المُمارسات تَضُرُّ بتحصيل الطلاب اللغوي، فهم «لا يتعلّمون حقَّ التعليم». وينتقد أيضاً الأساتذةَ الذين يصِفُهم بـ «المُستَبدّين» بالنظام لأنهم لا يسمحون لغيرِهم بأنْ يُعلِّموا تعليماً يُوفونَه حَقَّه. ويُشير إلى مُشكلة مُتَفَشِّية في الجامعات الفرنسية، حيْث يُفرَضُ على مُعَلِّم العربية أنْ يكونَ عالِماً باللغة اللاتينيّة. فإذا كان مُعلِّم العربية غيرَ عارفٍ اللغةَ على نَحْوٍ جيِّدٍ فإنَّه يَزْعُم معرِفةَ اللاتينيَّة عوَضاً عن معرفة العربية(٣٨).

الشدياق والدكتور صموئيل لي:

انتقلَ الشدياق من مالطة إلى إنجلترة، كما ذكَرْنا سابِقاً، ليعمَلَ قريباً

مـــن الدكتور صموئيل لي (١٧٨٣- ١٨٥٢)، أستاذ العربية بجامعة كمبردج الـــذي اعتمدته «جمعيةُ ترقّي المعارِف المسيحية» ليُعارِضَ ترجمةَ الشدياق لـِ «الكـــتاب المقَدَّس» بالنَّص الأصليّ الذي كان يُترجم منه[٣٩]. ذلك أنَّ أهمِّيَّةَ الدكـــتور لي العـــلميَّة لدراسته اللاهوت، ومَركزَه الهامّ في جامعة كمبردج ومعرفته اللغة العربية، وتقديرَ هذه الجمعية لجهوده، كلٌّ ذلك شَجَّع الشدياق عـــلى المَجيء إلى بريطانيا ليكونَ بجوار هذا المُستَشْرِق المشهورِ في أثناء عمله بمُـــراجعة تـــرجمة الشدياق لـِ «الكتاب المُقَدَّس»[٤٠]. ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الشـــدياق لم يتمكَّن من مغادرة مالطة للالتحاق بصموئيل لي إلا بعد أن أخَذ إذْنـــاً مـــن حـــاكِم مالطة، وهذا يدُلُّ على أهمِّية عمل الشدياق مُترجِماً مع جمعيات التبشير الإنجليزية والأمريكية في مالطة.

وكـــان صـــموئيل لي في بِدايةِ حياته – على ما قال الشدياق – يتخذ الـــنجارة حِرفَةً له. ولكنَّه أخَذَ يهتمُّ بالعلوم التَّوْراتيَّة واللغات الشرقية بعد أنْ تجـــاوَزَ الثلاثين من عُمْرِه. ويذكرُ الشدياق أنَّ الدكتور لي كانَ يَتمتَّع بشُهرةٍ عظـــيمةٍ في إنجلترة لمعرفته اللغات الشرقية، وأنَّه لم يكُن يُحسِن التَكَلُّم باللغة [أي العربية] «ولو بجُملة واحدة»[٤١]، على أن هذا النَّقد الحادّ لم يمنع الشدياق من أن يُوفيه بعضَ حَقِّه، فيَقول إنَّه كان مُجِدّاً في عمله، لا يُصيبه مَلَلٌ، فكان يستطيع الجلوسَ إلى مكتَبه أربعَ ساعاتٍ دون حراك.

وكـــان الدكتور لي – على ما رواه أربري – في أثناءَ تَدَرُّبه على عَمَل النِّجارة، يقتطعُ جُزءاً من راتِبه اليسير ليَشتري به كُتُباً ليتعلَّمَ اللاتينية، واليونانية، والعِبرية، والكلدانية، والسِّريانية، والسومرية والعربية، والفارسية، والهندوستانية، ويعطـــي دُروســـاً خاصَّة في الفارسية والهندوستانية. ونظراً لهذا التحصيل غير

العـــادي أوْفَدَتـــه «جمعيـــةُ تـــرَقّي المعارف المسيحية» للدراسة في كليّة كوينز Queens College [في جامعـــة كِمـــبردج] عام ١٨١٣، حيث حَصَلَ على درجـــة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية عامَ ١٨٣٣، في حين كان يَشغَل كرسيَّ الدراسات العربية في الجامعة نفسها من العام ١٨١٩ إلى العام ١٨٣١. ثُمَّ انتقَلَ لِيَشـــغَلَ كرســـيَّ دراسات اللغة العِبريَّة في عام ١٨٣١. والدكتور لي مَعروفٌ بتخصُّصِه في العِبرية أكثر من تَخَصُّصِه في ميادين أُخرى، في رأي أربري[٤٢].

وعـــلى هـــذا يُمكنـــنا أنْ نَتصَوَّرَ العلاقةَ بين لُغويٍّ أصيلٍ مُتَضَلّعٍ من العـــربية، مُعْـــتَدٍّ بعلمِه وبلُغَتِه، يَنْظِم الشّعرَ في المُناسبات من مَدْحٍ أو هِجاء، وذي باعٍ طويلٍ في السِّجالات اللغوية، وعالِمٍ غربيٍ تَمَرَّسَ بالعربية في مُحيطٍ أجنبيٍ مُنعزلٍ عن جَوّ اللغة الأدبي والحضاري يزعُم أنّه يعرِفُ العربيةَ، ومن ثَمَّ يستطيعُ، في اعتقاده، أن ينظم الشِّعر بها. وذات مرّة، دارَ جدالٌ بين الاثنين في أثـــناء عملهما معاً تناولَ قضايا لغويةً عامّةً، وقضيّةَ نظْمِ الشِّعر العربي خاصَّةً. وكـــان الشـــدياق قد قرأ أبياتاً نظمَها بالعربية أحَدُ المُستشرقين النمساويين، فـــأخَذَ عليه أخطاءً كثيرةً من زِحافٍ ولَحْنٍ، وانتهى إلى نتيجة أنّه يُشترَط في من يكتب الشِّعرَ أنْ يعرِفَ قواعِدَ النَّظم، وأنْ يأخذَ هذه القواعدَ عن العرب. ويشتَطُّ الشدياق في رأيه هذا إلى حَدّ القول إنَّ نَظْمَ الشِّعر في العربية يَصعُب عـــلى الإفرنج [كذا]. وكان الدكتور لي لا يتّفِق مع الشدياق في هذا الرأي. وللبرهان على وُجْهة نَظره كان يضرِب مثالاً على قُدرته — وغيرِه من الإنجليز - عـــلى نَظْـــم الشِّعر باليونانية واللاتينية، مع أن مُخالطةَ أبناء هاتَيْن اللغتَيْن لَيْسَـــت قائمَةً. أمّا الشدياق فيَرَى فَرْقاً بين ادّعاء المقدرة على نَظم الشِّعر في هاتيْن اللغتَيْن ونظْمِه في العربية، فاليونانيةَ واللاتينيّةَ أصْلُ الإنجليزية - على ما

يعتقد الشدياق – ويتعلّمها الإنجليز صغاراً، على عكس العربية، البعيدة الصِّلة بالإنجليزية، والتي لا يتعلّمها الإنجليز وهم صغارٌ في مدارسهم. وأصرَّ كلٌّ من الطرفَيْن على رأيه. فراهَنَ الشدياق أنّه سيُقَدِّم كتُبَه هديّةً لأيّ أجنبيٍ يستطيع نَظْمَ بيتَيْن من الشِّعر العربي على الوَجْه الصَّحيح البليغ. ويبدو أنَّ الدكتور لي قَبِلَ تَحدّي الشدياق. ففي اليوم التالي عَرَضَ ثلاثةَ أبياتٍ من نَظْمه على الشدياق. ولكنَّ الشدياق سارَعَ إلى بيان مَواطن الزِّحاف والخطأ في هذه الأبيات. وعلى ما قاله، ما كان من الدكتور لي إلا أن لاذ بالصَّمْت. وقال من بعد إنَّ العلَّةَ تَكمُنُ في طبيعة اللغة العربية، فهي لغةٌ متكلّفةٌ، فيها قواعدُ وضَوابطُ كثيرةٌ على عكْس لغات أوروبا(٤٣).

واختلف الاثنان في أثناءَ عملِهما بمُراجعة الترجمة، حَوْل أُمورٍ لُغويَّة عديدة. فانتَقَدَ الشدياق الدكتورَ لي على استعمال عبارات يَستنبطُها بِنَفسه مُنافياً بذلك الأساليب العربية بدَلاً من قُبول المُصطَلَح العربي الرائج الاستعمال. مثال ذلك إصرارُ الدكتور لي على استعمال عبارة «قال قائلاً» بَدَلاً من «تكلّم قائلاً»، لرغْبته في المُحافظة على الأصْل الوارِد في التوراة؛ وأيضاً «قال لهم مثلاً» بدلاً من و«ضَرَب لهم مثلا». ويفسّر الشدياق، رُبَّما على سبيل التفكُّه، السَّبب في تَجنُّب الدكتور لي قوْل «وضرَبَ لهم مثلاً» باعتقاده بأنَّ «ضَرَب» تعني بالضَّرورة إحداث الألم(٤٤).

وكان الدكتور لي يغيِّر بعض العبارات فيقع في أخطاء لُغوية. فمثلاً، في العبارة «وما أولئك بعابرين من هناك إلينا» لم تُعجبْ الدكتور لي كلمةُ «عابرين» فبَدَّلها بـ «يعبرون» فجاءت العبارةُ على النَّحو التالي: «ما أولئك يعبرون من هناك إلينا» فاعتَبَرَها الشدياق غيرَ مقبولةٍ بالمقارنة مع العبارة السابقة(٤٥).

وانتقَدَ الشدياق أيضاً تحاشي الدكتور لي السَّجْعَ إلى أقْصَى حُدود الإمكان على أساس وُجوب تَجَنُّب السَّجْع في كلام الله حسبما كان يعتَقد. فمثلاً، رأى في العبارة «وكان هناك قطيع من الخنازير كبير» وعبارة «خرجتم إليّ بعصى كلص» سَجْعاً يَجب تجنُّبه في ترجمة «التوراة»[٤٦]، وكذلك تحاشيه الجُمَلَ المُنتَهيَةَ بالواو والنون أو الياء والنون، وذلك- حسب قول الشدياق- خَشيَة أنْ تُضاهِيَ هذه الجُمَل لغةَ «القرآن» التي كان يعتقد أنَّه يعرفُها. فكان يستَبْدل بهذه الجمل غيرها[٤٧].

وكان الدكتور لي يَتحاشى الوَقْف أيضاً، ظَنّاً منه أنَّ هذا الوقفَ شبيهٌ بوَقْف «القرآن». فمثلاً، رأى - على ما روى الشدياق - في الجملة «وأنتم على ذلك شهود» وَقْفاً يُشابه وَقْفَ «القرآن» فاستبدل بها «وأنتم شهود على هذا»[٤٨].

ولعَلَّ تراكيبَ اللغة الإنجليزية حَدَت بهذا المُستشْرِق للاختصار إذا ما شَعَرَ أنَّ في العِبارة حَشْواً. وكان هذا المَيْلُ يتعارَضُ مع ما يَراه الشدياق الأسلوب الأفضل في العربية. فمثلاً، يذكر الشدياق أنَّ الدكتور لي رأى قوْلَ «وكان رجل اسمه فلان» أخْصَرَ من «وكان رجل يسمى فلان». وقد يَنْحو عكْسَ ذلك. فإذا قرأ عبارةً بها ألفاظٌ كثيرةٌ لا داعي لها كان يَرَى في كثرَة الألفاظ هذه تقْوِيَةً للمعنَى[٤٩].

وكان الدكتور لي يَلْجَأُ دوْماً للعبريَّة واللغاتِ الأخرى لتوضيح نُقطة يختلفان عليها، وكان هذا يُثير حفيظةَ الشدياق. ففي استفسارٍ عن الألف في كلمة «قفا» في مُعلَّقة امرئ القيس، طرَحَ الشدياق التفسيرَ المعهودَ في كُتُب التُّراث العربية على أنَّ هذه الألفَ هي ألِفُ التَّثنيَة كما يراها البعضُ، إذ يُخاطِب الشاعرُ صاحِبَيْن له، ويراها البعضُ الآخرُ أنَّها مقلوبةٌ من نون

التوكيد. ولم يقْبَل الدكتور لي هذا التفسير لتعسُّف هذا الرأي – على حدِّ زعْمه – بَلْ رَأى أنّ الألفَ مقلوبةٌ عن الهاء في العبْريَّة، إذ تُلْحَق الهاء في هذه اللغة بِفِعْلَيْ الأمرْ والنَّهْي لتَدُلَّ على الطلَب والتَّوَسُّل، على حَدِّ قول الدكتور لي[٥٠]. ويسوقُ الشدياق أمثلةً أُخرى من المفردات العربية نَسَبَها لأصولٍ ساميَّة. ففي مثال «آمَن»، أرجَع المدَّةَ في هذا الفعْل إلى الألف في السِّريانية، كما أنّه أرجَعَ «يومنا» في قَوْل العرب «إلى يومنا هذا» إلى السُّريانية، كما في الكلمة السُّريانية «يومنان». وأرْجَع كذلك أصْلَ «الزِّناء» إلى العبريَّة إذ يَعني الفعْل «زنى» في هذه اللغة معنى «باع»[٥١]. ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الشدياق كان قد تلقَّى بعض تعليمه في اللغتَيْن السُّريانية والعبرية في مدرسة «عين وَرْقَة»، وأنّه كان يعي العلاقات المشتركة بين اللغات الساميَّة ولاسيّما على مُستَوى المفردات. ولكنَّه لم يتَوَقَّف عند دراستها دراسةً مُقارَنَةً كما كان دأبُ الدكتور لي. ولعلَّ السبَبَ في ذلك هو التقليد المُعجمي الذي كان يُركِّز على دراسة مُفرَدات اللغة العربية بِمَعزَلٍ عن الدراسات المُقارَنة ورَبْط العربية باللغات الشقيقة.

ولعله ينبغي أن نقول إنَّ مُشكلةَ التَّصحيف التي أشَرْنا إليها لم تكن مَحْصورةً في ترجمات الدكتور لي، فالشدياق نفسه يذكر أنّه لَدَى زيارته مكتبة جامعة أكسفورد أراه «شيخ العربية» — كما يُسمّيه الشدياق، دونَ ذكْر اسمه — أوَّلَ كتابٍ وصَلَت يَدُه إليه. وكان هذا الكتابُ مكتوباً بالخطِّ الكوفي. وعندما فتَحَه كانت الكلمةُ الأولى في أوّل الصَّفْحة لفظةَ «ألا» فقرأها «الا». وفسَّرَ «الشيخُ» الأكسفوردي هذه الكلمةَ على أنّها «الله»[٥٢].

ويُوردِ طُرفَةً كان لها نتائجُ وخيمةٌ ومُضحِكةٌ في الوقت نفسه بِسَبَب

تصــحيف لُغوي حَدَث في مُفردَتَيْن في اللغة الإنجليزية في أثناء المُراسلات بَيْن الهَيْئة المُشرِفَة على مَعْرِض لندن عام ١٨٥١ والجهات الرَّسمية المسؤولة في مصر. وعــرف الشدياق بهذا الخطأ في أثناء زيارته لجَناحِ مصْر في هذا المعْرِض(٥٣) فقد كــان الــبرنس الــبرت طَلَبَ من الدُّوَل المُشارِكَة «أنْ يرسلوا من بدائع صنائع بلادهم» أشياءً للعَرْض. وترجَم أحدُهُم لفظةَ «صنائع» (أرتس) [arts] بـ «أرض» (إرث) [earth] لتقارُب «صورة الخط» و«النطق» في هاتين الكلمتَيْن — على حدّ قول الشدياق. ولهذا السَّبب لم تُرسِلْ مصر إلا ما أنتجته الأرضُ من «القطاني وبعض أشياء أخرى لا طائل تحتها»(٥٤).

ويَــرَى الشــدياق أنّه من الحُمْق بمكان أنْ يُترجِمَ إنسانٌ من لغة إلى أُخــرى باســتعمال الألفــاظ والتراكيب نفسها في اللغتَيْن لأنّه من المحال أنْ تَتطابَقَ لغتان تماماً في التعبير. وإذا جوَّزت لغةٌ ما عبارةً مُعَيَّنةً فعلى المُترجِم ألاّ يَتوقَّع أنْ تستعملَ اللغةُ المنقولُ إليها العباراتِ والمفرداتِ نفسها. ويَضْرِب مثلاً عــلى ذلك من العِبريّة واليونانية، إذْ تُجوِّز الأولى العبارة «خرج الدخان من مناخر الله» وتُجوِّز الثانية «خرج الدخان من أحشاء الله» قِياساً على استعمال عبارات تَصِف الله مثل «وجه الله» و«عين الله» و«يد الله». ويستنكِرُ استعمالَ مثل تلك العبارات في العربية لأنها لا تليق في التعبير عن الله جلّ جلاله(٥٥).

خاتمة:

لقــد انشغَلَ الشدياق بالقضايا اللغوية رَدَحاً طويلاً من الزَّمَن، وقَضَى ســنوات مــن عُمْرِه يَنْقُد وينتَقِد مُنْخَرِطاً في صِراعاتٍ مع علماءَ عَرَبٍ وغيرِ عَــرَب، على نحو ما رأينا من آرائه التي أوْرَدناها هنا حَوْل بعض المُستشرقين

ومقدراتهم اللغوية وترجماتهم. وللتذكير فقط باهتمام الشدياق بالأمور اللغوية يَجِب ألاّ يغيبَ عن بالِ القارئ المعاركُ اللغويةُ التي نَشبَت بين الشدياق واليازجي، والمحاورات المُعجميَّة واللغوية بين الشدياق وبطرس البستاني.

طَرَحْنا في بداية هذا البحث بعضَ الأسئلة حَوْلَ الشُّروط اللازم توافُرُها في المُسترجِم الجيِّد، ومَدَى الكفاية اللغويةِ اللازمة للنَّقْل من لُغَة إلى أُخرى، وضرورةِ مَعرفةِ ثقافةِ مُجتمَعِ اللغة المنقولِ منها وكيف يتأتىَ تحصيلُ مثْلِ هذه الثقافة. ومن قراءَتنا لآراءِ الشدياق في المؤسّسات التعليميَّة في بريطانيا وفرنسا التي أدخلت العربيةَ مادَّةً دراسيَّة فيها، وفي ظُروفِ تعليم العربية في هذه المُؤسَّسات، وحالِ بعض المُدرِّسين ومَقدراتهم اللغوية كما خَبِرها الشدياق عن كَثَب، أو عَرَفَ عنها من مَصادرِ أُخرى، نَستطيعُ أنْ نَسْتَشفَّ بعضَ آرائه التالية:

أوَّلاً: يستطيعُ العالِمُ اكتسابَ معرفةٍ في اللغة وفي بعضِ جوانبِ تُراثِها، ويستطيعُ أيضاً تعلُّمَ المُفردات تعلُّماً قاموسياً، والإبداعَ في بعض الكتابات. ومع ذلك، يَبْقَى كثير من مثل هؤلاء العلماء غَيْرَ قادرين على استيعاب المعاني الدقيقة للتعابير الحضارية والكثير من المُصْطَلَحات اللغوية.

ثانياً: إنَّ العالِمَ الذي يدرُسُ اللغةَ في سِياقِها الثقافي، ويَعيشُ في وَسَطِها الحضاري، ويأخذُ عُلومَها عن أبنائها يكون أقدَرَ على نَقْل أفكار هذه اللغة الأجنبية من العالِم الذي يكتَسبُ اللغةَ في بلاده ويُمارِس الترجمةَ بعيداً عن وَسَط اللغة وسياقها الحضاري. ونَستَشفُّ أيضاً أنَّ الشدياق يُثمِّن العالِمَ الذي يَرتَحِلُ إلى موْطِن اللغة ويُقيمُ فيه باحِثاً مُنَقِّباً عن دَقائق اللغة وغوامِضها. ومثل هذه الأمة تُهيئ للباحِث فُرَصَ التعاون مع المُختَصِّين باللغة والوصول إلى

معرفتها معرفةً أفضل.

ثالثاً: على العالِم اكتسابُ معرفةٍ أوسعَ من الاكتفاء بالاطّلاع المُعجَمي أو القاموسي والنَّحوي على لغةٍ ما. وعليه أنْ يتعامَلَ مع اللغة على أنَّها ليست شكلاً بنائياً خالياً من أيِّ مُحتوَىً ثقافي أو حضاري. وعليه أنْ يدرسَها لغةً حَيَّةً لها استعمالاتها الأدبية والحياتية.

رابعاً: تحتوي اللغةُ على مُصطلحاتٍ لُغويةٍ لا يُمكِن فَهمُها من المعاني الحرفِيَّة للكلمات التي تكوِّنها. لذا يَرَى الشدياق أنَّ الترجمةَ الحرفِيَّة تقود إلى أخطاءٍ فادحةٍ.

يجب ألا يغرُبَ عن البال أنَّ بعضَ آراء الشدياق الواردة هنا في بعض المُستشرقين قد تكون مُتأثِّرةً بعَلاقته الشخصيَّة بهم وحُبِّه أو كُرْهه لبعضهم. وقد تكون هذه الآراء مُتأثِّرةً أيضاً بالتَّجرُبة الحضارية أو الاجتماعية التي خَبِرَها في أثناءَ إقامته في بَعْضِ مُدُن فرنسا وبريطانيا ولقائه بعض العُلماء العاملين في حقل الدراسات العربية والإسلامية. ولعلَّنا، في نهاية المطاف، لا نُبالِغ إذا قُلنا إنّنا نَرَى في رأي الشدياق مُحاولَةً مُبَكِّرةً لنَقْد المنهَج الاستشراقي في دراسة المُجتمعات العربية وتعامُل المُستشرقين مع اللغة العربية.

والشدياق، على تصلّبه في القضايا اللغوية، نراه في لحظةٍ من لحظات صَفاء الذِّهْن والصِّدْق مع النَّفس يتخَلَّى - للحظات وجيزة — عن هَوَس النحويِّين وتعليلاتِهم واعتراضاتِهم وتجويزاتهم وترجيحاتِهم، ويُطالب بإعطاء العلوم التي عَرَفَ أهميَّتَها في الحياة اليومية في الغرب أولويَّةً كبيرةً، فَقد طالَبَ بإدراج هذه العلوم في قائمة «العلوم الإلهية»، على حَدِّ تعبيره. وقد حَدَثَ هذا التحوُّلُ حين زار مرَّةً «محل التلغراف» وشاهَدَ كيف تُنقَل الأخبار بسُرعةٍ

مُذهــلَة، وكيف أنَّ حرَكةَ إبرةٍ طَرَقَت مِسمارَيْن وتحرّكت ثانيةً «بأسرع مـن أن يـنطق المتكـلِّم بعشر كلمات» وإذا بخَبَرٍ يُبلَّغُ من «ويانة»[i] إلى لِفربول (في بريطانيا)، ويُستَلَم الرَّدّ إيذاناً بوُصول هذا الخَبَر. ويُقارِنُ الشدياق مـثلَ هـذا الإنجاز العلميّ و«...سرّ الكيمياء الذي يتعلمه الإفرنج الآن...» بانشـغال النحويين بتجويز ستة عشر وَجْهاً في الصِّفة المُشَبَّهَة ومَنْع وَجْهَيْن واخـتلاف وَجه واحد. ويَرَى أنْ يُوَجَّهَ اهتمامَ العرب إلى الاشتغال بالعُلوم الأكـثرِ أهمِّيَةً ونفْعاً من الانشغال بالتجويزات النحويَّة العديدة في مسألة لُغَوِيَّة يـراها سَـبَباً في ضَياع العُمْر، فهو يقول بالنص: «...فإن وصول الخبر من قـاعدة مملكة أوستريا[ii] إلى ليفربول في أقل من ثانية أنفع من تجويز عشرين وجهاً في مسألة واحدة...»(٥٦).

ومـع تَعَصُّـب الشدياق الشديد للُّغة العربية فإننا نَستَشفُّ من نقده للنحويّين وتشدُّدهم في بعض القضايا النحويّة – التي لا طائلَ منها في رأيه – دعوتَـه للتساهُل في الاستثناءات اللغوية تيسيراً للمُتَعَلِّم ليُقْبِلَ على تعلُّم اللغة راغِـباً فيهـا وبلا مُعاناة. ولعلَّ هذَيْن المَوْقفَيْن المُتناقضَيْن للشدياق، المَوْقف المُتَشَـدِّد تِجاه المُستَشرقين الذين يَشْعُر بقُصُورِهم في اللغة العربية من ناحيةٍ، والموْقِـف الداعـي للتساهُل اللغوي من ناحيةٍ أُخرَى، يُشيران إلى نوْعٍ من التناقُض في تفكير عالِمٍ لُغويٍ تَتنازَعَه أفكارٌ مُتناقضَةٌ من مثل التَّشبُّث بالقديم والتقـليدي مـن جِهـةٍ، والشعور، من جهة أخرى، بأهمِّيَّة مَظهرٍ حَضاريٍّ حديـثٍ له أثَرٌ كبيرٌ في حياة العامَّة يتَخَطَّى الاستثناءات اللغوية العديدة. أما

(i) فينّا، عاصمة النمسا.

(ii) أوستريا هي النمسا.

تجربةُ الاتصال التلغرافي التي مَرَّ وَصفُها فتبين دعوتَه إلى اللحاقِ بالغرب والاهتمام بالعلوم اللازمة لنقل المُجتمع العربي إلى المراحل المُتقَدِّمة التي وَصَلَت إليها المُجتمعاتُ الغربيةُ آنئذٍ.

* * *

الهوامش

قدَّمت عرضاً لموضوع هذا البحث في المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق في شهر كانون الثاني (يناير) عام ٢٠٠١، وفي المعهد العالي للُّغات بتونس في أواخر شهر نيسان (إبريل) من العام نفسه، وأفدت من تعليقات جمهور المستمعين وأسئلتهم في هاتَيْن المؤسَّستَيْن. فلجميع من ساهم بالسؤال أو التعليق أو التوضيح جزيل الشكر. وأودّ أيضاً أن أُنوِّه تنويهاً خاصاً بملاحظات سهيل شباط من المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ووضّاح الخطيب من جامعة فرجينيا.

١- انظر «كشف المخبا»، الصفحتان ٧٢ و٧٥.

٢- جاء اسم الكتاب في نهاية الجزء الأوَّل على «كشف المخبا عن تمدن أوربا». انظر الصفحة ٦٦ وأول الصفحة ٦٧ من «الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبا عن فنون أوربا»، الطبعة الثانية، عام ١٢٩٩هـ(١٨٨١م) المطبوعة في مطبعة الجوائب في استنبول.

٣- يظهر من كتابات كلوت بيك نفسه وكتابات غَيْره أنَّ وُجود مُترجمين واسِعي المعرفة للقيام بهذا العمل كان نادراً.

٤- انظر ص ١٢٧، الهامش٤ من كتاب Heyworth- Dunne, An Introduction to the History oF Education in Modern Egypt,1968. ولم يُحَدِّد

هيورث دَن الصفحة التي أورَدَ بها كلوت بيك هذا القول في كتابه.

٥- انظر آرثر آربري في: British Orientalists، ص١٤.

٦- المصدر نفسه، ص١٢.

٧- المصدر نفسه، الصفحتان ١٣- ١٤.

٨- المصدر نفسه، ص١٦، انظر أيضاً المؤلف نفسه، Oriental Essays، ص١٢.

٩- انظر آرثر آربري، The Cambridge School of Arabic، الصفحات ٢٥-٢٧. ويُناقض آربري برنارد لويس في تَثْبت تاريخ ميلاد وليم رايت، إذ يذكر آربري (المصدر نفسه، ص٢٥) أنّ ميلاد رايت كانَ عام ١٨٣٠، في حين يذكر برنارد لويس في كتاب British Contributions to Arabic Studies، ص٢٥، أن مولده كان عام ١٨٤٠. ويجب أنْ نذكر هنا أنّ وليم رايت شَغَل الكرسي الأول للدراسات العربية، الذي أسَّسه توملس آدمز عام ١٦٣٢ بجامعة كمبردج. انظر آربري، Oriental Essays، ص٢٣٦. انظر أيضاً نجيب العقيقي: «المستشرقون»، ج٢، ص٦٢.

١٠- انظر آربري: British Orientalists، ص٢٥.

١١- انظر: ص ١٤٨من كتاب Fck,Die Arabischen Studien, 1955. انظر أيضاً ص ٦٧ في الهامش، وص٨٥ من كتاب Reig, Homo Oritentaliste 1988

١٢- انظر ص ١٤٢من كتاب Fck، المصدر السابق.

١٣- انظر إدوارد سعيد Orientalism: Edward Said، الصفحات ١٢٣- ١٢٩

١٤- انظر Homo Orientaliste, Reig ، الصفحات ١٠٥- ١١٠.

١٥- الشدياق، «الساق على الساق»، ص ٩١.

١٦- يذكر طنوس الشدياق في «أخبار الأعيان في جبل لبنان»، ج١، ص ١٢٠، أنَّ فارس الشدياق أرسِل إلى مصر عام ١٨٢٥ لتعليم المرسلين الأمريكيين اللغة العربية. انظر أيضاً: بولس مسعد: فارس الشدياق (١٩٣٤، ص١٧).

١٧- (حيث قرَأ النحوَ والصَّرْفَ والمنطِقَ والفقه وعلم الكلام). وذكر بولس مسعد، (المصدر السابق، ص٢٣) الشيوخ الذين دَرَسَ عليهم، ومنهم شهاب الدين الخفاجي، ونصر الله الطرابلسي الحلبي. للمزيد انظر الشدياق، «الساق على الساق»، (١٨٥٥)، الصفحات ٣٥٩- ٣٦١، وطنوس الشدياق، المصدر السابق، ص١٢٠.

١٨- انظر رسالة الدكتوراه لـ Mohammed Bakir Alwan, Ahmad Faris ash- shidyaq and the west 1970، (ص٤٠، هامش ١٢٧).

١٩- الشدياق، «الواسطة في معرفة أحوال مالطة»، ص٢٥.

٢٠- انظر آربري: The Cambridge School of Arabic (الصفحتان ٢٢- ٢٣).

٢١- الشدياق،«كشف المُخبا»، ص ١٢٢.

٢٢- الشدياق، المصدر نفسه، الصفحات ١٢٠- ١٢٢، ١٢٥، ١٩٧- ١٩٨، ومواضع أخرى.

٢٣- الشدياق، المصدر نفسه، الصفحتان ١٩٧ و١٩٩. ويُعرِّفنا آربري بأن الدكتور جون نيكلسون رجل من عَلِيَّة القوْم، وأنه اقتفى خُطَى أبيه مارك نيكلسون، فالتحق بكليّة كوينز بجامعة أكسفورد واشتهر في مجال العلوم التوراتيّة،

وتعـلّم العربية أيضاً، وجَمَعَ قَدْراً لابأْسَ به من المخطوطات الإسلامية. ونَشَرَ عام ١٨٤٠ كتاباً بعنوان «تأسيس الأسرة الفاطمية في إفريقيا» An Account of the Establisment of the Fatemite Dynasty in Africa. وجون نيكلسون هو جَدُّ المُستَشرِق المشهور رينولد آلن نيكلسون Reynold Alleyne Nicholson، الذي تخصَّصَ بعلوم العربية والفارسية والعلوم الإسلامية وبخاصَّة الصوفية. وكتابه «تاريخ أدب العرب» Literary History of the Arabs غَنِيٌّ عن التعريف في اللغة الإنجليزية لطلاب الأدب العربي. للمزيد انظر آربري: Oriental Essays، الفصل السادس، ولاسيما الصفحتان ١٩٧- ١٩٨.

٢٤- انظر آربري، The Cambridge School of Arabic، ص٢٥.

٢٥- الشدياق، «كشف المُخبا»، ص١٩٨.

٢٦- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢١. أما زَعْم فولتير عن إقامة (صال) بين العرب مُدَّة خمسة وعشرين عاماً، فانظر فولتير Philosophical Dictionary، الجزء الأوَّل، ص٦٨ (مادة القرآن- القسم الأول من هذه المادّة). وليس من الغريب أنْ يكون الشدياق قد عَرَف مثل هذه المعلومة عن زَعْم فولتير هذا من قراءاته أو من أحاديثه مع المُستشرقين الذين كان يختلط بهم في أثناء إقامته في بريطانيا وفرنسا، ولاسيما أنهم كانوا على الأغلَب يتطرّقون إلى الحديث عن «القرآن» وترجماته بوجه خاص والإسلام بوجه عامٍّ. ويذكر برنارد لويس (ص١٧، المصدر السابق) أنَّ ترجمة (صال) هي الترجمة الأولى الكاملة لـ «القرآن» في أي لغة أوربية، وأنَّ الترجمات إلى اللغات الأوربية الأخرى كالفرنسية والألمانية والبولندية اعتمدَت ترجمة (صال) اعتماداً كاملاً.

٢٧- انظـــر الصفحات XI- XV في: R.A. Davenport, "A sketch of the Life of George Sale" The Koran.

٢٨- إدوارد وليم لين Edward William Lane (١٨٠١- ١٨٧٦) واضـــع القـــاموس الشّهير «مَدّ القاموس» An Arabic- English Lexicon، الذي نُشِر في لـــندن بين ١٨٦٣ و١٨٩٣، والذي مازال يحظى بسُمعَة طيّبة، ولاسيما في أوْساط المُستشـــرقين، حتّى أيامنا هذه. وهو كذلك مُؤلّف الكتاب الشهير «عادات المصريين المعاصـــرين وتقـــاليدهم» An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians ، الـــذي صَدَرَ في لندن عام ١٨٣٦، ومُتَرجِم «ألف ليلة وليـــلة» (١٨٣٩ – ١٨٤١)، ومُؤلّف كتاب «وصف مصر» Description of Egypt، الـــذي أصدرَته الجامعة الأمريكية في القاهرة حديثاً عام ٢٠٠٠. وتَتوافَر كـــتاباتٌ كـــثيرةٌ عن لين، من أهمّها كتاب ليلى أحمد بعنوان: Edward W. Lane: A Study of His Life and Works and of British Ideas of the Middle East in the Nineteenth Century، وقد نُشِر هذا الكتاب في لندن عام ١٩٧٨. انظر أيضاً الفصل الثالث (الصفحات ٨٧- ١٢١) من كتاب آربري (Oriental Essays).

٢٩- الشـــدياق: «كشف المخبا»، ص٢٧١. انظر أيضاً إدوار سعيد: Ed - ward Said Orientalism. الصفحات ١٢٣- ١٢٩.

٣٠- الشدياق، المصدر نفسه، ص٢٨٣. والصَّحيح هو غوستاف دوغا Gustave Dugat (١٨٢٤- ١٨٩٤). ولعـــلّ الرسْمَ الكتابي «دوكان» كما وَرَدَ في «كشف المخبا»، بإثبات حَرْف النون في نهاية الاسم بَدَلاً من حَرْف الـــتاء، كان نتيجة خطأ مطبعيّ. ولاشكّ في أنّ الشدياق كان مُتأثراً بالرَّسْم الكتابي الفرنسي لهذا الاسم فأثبت التاء في آخره ، مع أن التاء تكون في هذا

المَوْقع صامتةً، فلا تُلفظ، وإن ثبتت في الرَّسم الكتابي. وكان غوستاف دوغا يُمارِس التعليم في مدرسة اللغات الشرقية École des langues orientales في باريس، وتوفي عام ١٨٩٤. وهو مُؤلِّف كتاب بعنوان «تاريخ المستشرقين في أوروبا من القرن الثاني عشر إلى القرن التاسع عشر» Histoire des orientalistes de l'Euorpe du XII[e] siècle au XIX[e] siècle وهذا الكتاب في مُجَلَّدَيْن ويَقتَبِسُ منه الباحثون معلوماتٍ كثيرةً. (انظر ص ١٨٣، هامش ٤٦٦ من كتاب Fck، المصدر السابق). وقد ألَّف دوغا أيضاً كتاباً بعُنوان «تاريخ الفلاسفة والفقهاء المسلمين من ٦٣٢– ١٢٥٨» (Histoire des philosophes et des théologiens musulmans de 632 1258). طُبِعَ في أمستردام بهولندة عام ١٨٧٨، وأعيدَ نَشرُه عام ١٩٧٣. ويذكُرُ العقيقي في «المستشرقون»، (ج١، ص١٩٣)، عدداً من مُؤَلَّفات دوغا، منها تصنيف كتاب قواعد اللغة الفرنسية عام ١٨٥٥ للعرب الراغبين في تعلُّم اللغة الفرنسية. والصحيح أنَّ هذا الكتاب مُؤَلَّفٌ مُشتَرَك بين غوستاف دوغا والشدياق، بعنوان (La Grammaire française à l'usage des Arabes de l'Algérie, de Tunisie, du Maroc, de l'Egypte et de la Syrie). وكان نشْرُه في عام ١٨٥٤ وليس في ١٨٥٥ كما يُورِد العقيقي. (للمزيد انظر مقالة محمد الفاضل البشراوي في قائمة المراجع باللغات الأوروبية).

٣١– الشدياق، المصدر نفسه، ص٢٨٤. ولعلَّ هذا المُستشرِق المشهورَ هو ألِكْس ديغرانج Alix Desgranges، الذي عَمِل في تعليم اللغة الفارسية، وشَغَل كذلك كرسي اللغة التركية. انظر كتاب Reig، المصدر السابق، الصفحتان ٦٦و٦٧، الهامش ٢٦. ويذكر الشدياق في «الساق على

الســـاق»، ص٦٤٨، أنّـــه «تعـــرّف برئيس تراجم الدولة، وهو الكونت ديكـــرانج. فأما غيره من التراجمين [كذا] وشيوخ العلم ومدرسي اللغات الشرقية فلم يطأ لهم عتبة...». ويذكر في المصدر نفسه، ص٦٣٩، أنّه تعرَّف العالم المشهور كاترْمير Quatremére، الذي عرفه على كوسان دي برسفال، ولكن هذه العلاقة لم تكن مرضية له، فمعرفته لهم على حدّ قوله: «...كأداة التعريف في قولك اذهب إلى السوق واشترِ اللحم...».

٣٢- لويس شيخو، «الآداب العربية» (١)، ص٢٤.

٣٣- الشدياق، «كشف المخبا»، ص١٢١.

٣٤- الشدياق، المصدر نفسه، ص١٢١.

٣٥- الشدياق، «الجاسوس على القاموس»، الصفحات ٣- ٥ و٤٠٤- ٥١٣.

٣٦- الشدياق، «كشف المخبا»، ص ١٢١.

٣٧- الشدياق، المصدر نفسه، ص١٢١.

٣٨- الشدياق، المصدر نفسه، الصفحات ١٢٥- ١٢٧.

٣٩- الشدياق، المصدر نفسه، ص٧٢.

٤٠- الشدياق، المصدر نفسه، الصفحتان ١٢٤- ١٢٥.

٤١- الشدياق، المصدر نفسه، ص١٢٤.

٤٢- انظر The Cambridge School of Arabic, Arberry، الصفحتان ٢٢- ٢٣

٤٣- الشدياق، المصدر نفسه، ص١٢٢.

٤٤- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

٤٥- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٤.

٤٦- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

٤٧- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٤.

٤٨- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٤.

٤٩- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٤.

٥٠- الشدياق، المصدر نفسه، الصفحتان ١٢٢- ١٢٣.

٥١- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

٥٢- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٥.

٥٣- يُسميّه الشدياق «معرض التحف»، ويُضيف: «وهو المُسَمَّى عند الفرنسيس إكْسْبوزِسْيون». انظر الشدياق، المصدر نفسه، الصفحتان ٢٧٥- ٢٧٦.

٥٤- الشدياق، المصدر نفسه، الصفحتان ٢٧٥- ٢٧٦.

٥٥- الشدياق، المصدر نفسه، ص ١٢٤. ولعلَّ الشدياق يُشير هنا إلى «الكتاب المُقَدَّس»، «سِفْر أيوب»، الإصْحاح الحادي والأربعين، الآية العشرين: «من مِنْخَرَيْه يَخرُجُ دُخانٌ كأنَّه من قِدْرٍ منفوخٍ أو مِن مِرْجَل...»، وَوَرَدَت هذه الآيةُ في ترجمة الشدياق («الكتب المقدسة»، ج١: ٧٥٦) كالآتي: «...ومن مناخِره يَنبَعِث دخان كأنَّه من نار مِرْجَل...». وهناك إشارةٌ أخرى إلى «دخان» و«أنف» في «سِفْر أشعياء»، الإصحاح الخامس والستين، الآية الخامسة، حيث وَرَدَ: «هؤلاء دُخانٌ في أنفي نارٌ مُتَّقِدَة كل النَّهار». وجاءت الآيةُ نفسُها في ترجمة الشدياق («الكتب المقدسة»، ج٢، ٩٧١) كالتالي: «إنما هؤلاء دخان في أنفي ونار مُتَّقَدَة النهار كله...». ونُشير إلى أنَّ الترجماتِ العربيةَ الأخرى لِـ «الكتاب المقدَّس» رُبَّما أوْرَدَت كلماتٍ تُغايِر قليلاً نصَّ هاتَيْن الآيَتَيْن اللتَيْن اعتمدتُهما في النُسْخَتَيْن

المُشار إلَيْهما. فمثلاً بَدَلَ «مُتَّقِدَة» قد ترد «مُشتَعِلة»، وترد «يَنْبَعِث» بَدَلاً من «يخـــرج»، وهكذا دواليك. وينبغي لنا أن نذكر أنَّ كلمةَ «أنْف» في العبرية التوراتية مُرادِفة عُموماً للغَضَب.

٥٦- الشدياق، المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

*   *   *

المصادر والمراجع العربية

- البستاني (بطرس)، ١٨٦٠، قصة أسعد الشدياق، بيروت: دار الحمراء للطباعة والنشر، (إعادة نشر)، ١٩٩٢.
- بوســـت (جورج)، ١٩٩٤، فهرس الكتاب المقدس، (ط٨)، القاهرة، دار الثقافة.
- داغـــر (شـــربل)، ١٩٩٨، «الشدياق/ الفارياق: العربية والتمدن»، في العربية في لبنان، الصفحات ٨٩- ١٤٨، لبنان، منشورات جامعة البلمند.
- ســـواعي (محمد)، ١٩٩٩، أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر: مقدمـــة تاريخيـــة عامة، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق وبيروت، دار الغرب الإسلامي.
- الشـــدياق (أحمـــد فارس)، ١٢٩٩هـ: الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبا عن فنون أوروبا، (ط ٢)، استنبول، مطبعة الجوائب.
- الشـــدياق (أحمـــد فارس)، ١٨٥٥: الساق على الساق، بيروت، دار مكتبة الحياة، (إعادة نشر)، ١٩٦٦.

- الشدياق (طنوس)، ١٨٥٩: أخبار الأعيان في جبل لبنان، (الجزء الأول)، تحقيق وتقديم فؤاد أفرام البستاني، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية (١٩)، ١٩٧٠.
- شيخو (لويس)، ١٩٩١: تاريخ الآداب العربية، (ط٣)، بيروت، دار المشرق.
- الصلح (عماد)، ١٩٨٧، أحمد فارس الشدياق، آثاره وعصره، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- طرازي (فيليب دي)، ١٩١٣، تاريخ الصحافة العربية، بيروت، دار صادر.
- العقيقي (نجيب)، ١٩٨٠، المستشرقون، ج١و٢، (ط٤)، القاهرة، دار المعارف.
- الكتاب المقدس (أي العهد القديم والعهد الجديد)، ١٨٦٧، كِمبردج (ماساتشوستس)، المطبعة الجامعية. انظر أيضاً: «الكتب المُقَدَّسة، وهي كتب العهد العتيق وكتاب العهد الجديد»، (إعادة تصوير بالأوفست)، طرابلس (لبنان)، مكتبة السائح، ١٩٨٣.
- مسعَد (بولس)، ١٩٣٤، فارس الشدياق، القاهرة، مطبعة الإخاء.
- المطوي (محمد الهادي)، ١٩٨٩، أحمد فارس الشدياق، ١٨٠١-١٨٨٧، (قسمان)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- المقداد (محمود)، ١٩٩٢، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٧.

المصادر والمراجع باللغات الأجنبيّة

Agius, Dionisius A.1989. "Arabic Under Shidyaq in Malta 1833-48." Journal of Maltese Studies, Vol. 19/ 20, 52- 57.

Alwan, Mohammed Bakir. 1970 Ahmad Faris ash – Shidyaq and the West. Ph.D. Dissertation, Indiana University. Bloomington, Indiana...

Arberry A [rthur] J. 1943?? British Orientalists, London, William Collins...

Arberry, Arthur J. 1948. The Cambridge School of Arabic, ... Cambridge University Press.

Arberry, A[rthur] J. 1960. Oriental Essays: Portaits of Seven Scholars. London, George Allen & Unwin Ltd.

Bechraoui, Mohamed- Fadhel, 2001. "La Grammaire française. à l' usage des Arabes (1854) de Gustave Dugat et Farès Echchidiak." Histoire Épistémologie Langage 23/1 (in Press).

Davenport, R.A. 1906. A sketch of the Life of George Sale: The Koran, George Sale (translator), 8th ed., Philadelphia: J.P. Lippincott Company.

Fück, Johann. 1955. Die Arabischen Studien in Europa, Leipzig: Otto Harrassowitz.

Hadidi, Djawad, 1974, Voltaire et L' Islam, Paris:...... L' Association Langues et Civilisations.

Heyworth- Dunne, J. 1968, An Introduction to the History of Education in Modern Egypt. London: Frank Cass & Co. (new impr.).

Hourani, Albert. 1991. Islam in European Thought: Cambridge University Press.

Lewis, Bernard. 1941. British Contributions to Arabic Studies: London. Longmans, Green & Co.

Reig, Daniel. 1988. Homo orientaliste: la langue arabe en France depuis le XIXe siècle. Paris/ Edition Maisonneuve & Larose.

Said, Edward W. 1978. Orientalism. New York: Pantheon Books.

Voltaire, M. De. 1824. Philosophical Dictionary, (English Translation), Vol. I, 2nd ed., London, J.& H. Hunt.

«ابن التَّيَّاني والمُوعَب»

د. عبد الله الجبوري

ابن التياني، أبو غالب، تمام بن غالب بن عمر، القرطبي، المرسي، من أئمة العربية في الأندلس، صاحب ثالث معجم لغوي يؤلف في دياره[1].

وذلك بعد:[2] «البارع» لأبي علي القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، و:[3] «مختصر العين» لأبي بكر الحسن بن محمد الزبيدي المذحجي (ت ٣٧٩هـ).

كان[4] «بقية مشيخة أهل اللغة، الضابطين لحروفها، والحاذقين بمقاييسها، وكان ثقة صدوقاً عفيفاً». زانه[5] ورع وديانة.

كما كان: «مقدماً في علم اللسان أجمعه، مُسلَّمة له اللغة، شارعاً مع ذلك في أفانين من المعرفة»[6].

قرطبي المنبت، مرسي السكن والشهرة، مري الوفاة. عرف بابن[7] البناء، وشهر بابن التياني.

---

(١)المعجم العربي في الأندلس: عبد العلي الودغيري: ٨٢- ١٠٨.

(٢)البارع – تحقيق ودراسة هاشم الطعان (رحمه الله) ٩- ٧٠ بيروت، ١٩٧٥.

(٣)مختصر العين، تحقيق: صلاح الفرطوسي ١/ ١٣- ٤٠ بغداد، ١٩٩١.

(٤)الصلة ١/ ١٢٠- ١٢١، وجذوة المقتبس ١٨٣، وبغية الملتمس ٢٣٦، والمقتبس ١٧٢.

(٥)البغية، والعبر ٣/ ١٨٥، ابن خلكان ١/ ٣٠٠.

(٦)الصلة، والمظان المذكورة الأخرى.

(٧)معجم البلدان – رسم (مرسية) ٥/ ١٠٧.

وابن التيان، هذه شهرة والده غالب بن عمر. وهي: بفتح المثناة من فوق، وتشديد المثناة من تحت. ونون بعد الألف. قالوا[٨]: «لعله نسب (جده) إلى بيع التيـــن.».

والقياس: أن تكون بكسر المثناة من فوق[٩].

تحول إلى مرسية، وهي بلدة مشهورة بالتين، يجلب منها إلى سائر البلدان. وهذا يشير إلى أن اللقب لحقه من جده، لأن والده غالب بن عمر، عرف بابن التيان. وذكر المؤرخون: أن أبا غالب تمام بن غالب، سكن مرسية. وربما شهرت به الأسرة في (قرطبة)[١٠].

كان والده غالب بن عمر، من أهل العلم، رَوَى عن أبي علي القالي البغدادي، وكان صاحبه[١١]. روى عن ثابت بن قاسم السرقسطي كتاب: «الدلائل في غريب الحديث» من تأليف جدّه[١٢] ورواه: أبو غالب تمام بن غالب لغيره.

وكتاب الدلائل[١٣]، ألّفه: قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي المتوفى سنة ٣٠٢ هـــ، مات قبل إكماله، وأكمله أبوه[١٤] ثابت بن حزم

(٨)الوافي بالوفيات ١٠/ ٣٩٨، وابن خلكان ١/ ٣٠١، وبغية الوعاة ١/ ٤٧٨.

(٩)ينظر: المشتبه ١/ ٩٣ وبغية الوعاة ١/ ٤٧٨، والتكملة ٦/ ٢٠٢، والتاج ١٦/ ٥٠١.

(١٠)الروض المعطار ٥٣٩، ومعجم البلدان ٥/ ١٠٧، والتاج ١٦/ ٥٠١.

(١١)المشتبه ١/ ٩٣.

(١٢)الصلة ٢/ ٤٥٦.

(١٣)الذيل والتكملة ٤/ ١٨٨.

(١٤)يـــنظر: الأعـــلام ٥/ ١٧٤ و٢/ ٩٦، ومقـــدمـــة: غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٧، وفهرس الظاهرية — اللغة/ ٨٨.

المتوفى سنة ٣١٣هـ، فنسبه بعض المؤرخين إليه. وتمام اسم الدلائل هو: «الدلائل على مصاف الحديث بالشاهد والمَثَل» وهو: شرح ما أغفله أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وابن قتيبة(١٥).

كما روى عن أبي بكر الزبيدي، وعن ابن القوطية محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ).

وقد وجدت الحُمَيْدي (ت ٣٨٨هـ) يذكر في (جذوته/ ٣٢٥) رجلاً اسمه: غالب بن عمر الأندلسي، قال: «يروي عن محمد بن وضاح، مات بها سنة أربع وعشرين وثلاث مئة». وغالب أبو تمام روى عن القالي وكان صاحبه. والقالي(١٦) دخل الأندلس سنة ٣٣٠هـ. وعليه، فإن المذكور لم يكن والد صاحبنا ابن التياني.

ولـه سَنَد موصول بابن قُتيبة(١٧) (ت ٢٧٦هـ) الذي اشتهرت مؤلّفاته في الأندلس، وتصدَّر علماءُ اللغة وأهلُ الأدب مجالس الدرس لتدريسها وإقرائها(١٨).

فقد رواها عن شيخه: عبد الوارث بن سفيان(١٩) بن جُبْرُون المعروف بالحبيب المتوفى سنة ٣٩٥هـ. وكان من أخص أصحاب قاسم بن أصبغ البياني، سمع منه أكثر روايته، وعرف بضبط روايته لكتاب: «الدلائل»

---

(١٥) [انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٥٠ ج٣ ص ٥١٢ – ٥٢٧/ المجلة].

(١٦)طبقات الزبيدي: ٢٠٥، وأبو بكر الزبيدي للعزاوي: ٨٧.

(١٧)بغية الملتمس: ٢٣٦. والصلة ٢/ ٤٥٦.

(١٨)ابن قتيبة والشعوبية، عبد الله الجبوري، بغداد، ١٩٩٠م، ص: ٣٥- ٣٦.

(١٩)الصلة ٢/ ٣٨٢- ٣٨٣.

كما أخذ عن شيخ أبيه: أبي بكر الزُّبيدي[٢٠]، وعالم مثل أبي غالب وصفَه الذهبي[٢١] المحدّث بـ «العلاّمة، ثقة في نَقْله». وهذا مدعاة إقبال أهل الأدب وطلاب اللغة على درسه والرواية عنه. وربما كانت روايته (للدلائل)[٢٢] من معالم شهرته عند الطَّلَبة.

وممن قرأ عليه اللغة والأدب، محمد بن مضاء[٢٣] النحوي، كان من مشاهير علماء النحو في دياره، وأبو القاسم[٢٤] بن حاتم بن محمد، روى شعر أبي تمام الطائي عنه، رواه أبو غالب تمام عن أبيه غالب بن عمر، عن أبي سعيد عثمان بن سعيد الصقيل عن (الرياضي) أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني عن أبي تمام الطائي.

وكذلك روى عنه أبو بكر ابن المصحفي[٢٥] الوزير المتوفى سنة ٤٨١هـ وهو الذي روى كتاب: «تلقيح العين» لابن خير الإشبيلي[٢٦] (ت ٥٧٥هـ).

وفي خبر ساقه ابن بسّام في:[٢٧] (الذخيرة) أن ابن التيّاني «كان أحد أعضاء ديوان الندماء زمن المنصور بن أبي عامر» والمنصور هذا: محمد بن

(٢٠)الصلة ١/ ١٢٠.

(٢١)العبر ٣/ ١٨٥.

(٢٢)بغية الملتمس ٢٣٦، والصلة ٢/ ٤٥٦، وفهرس ابن عطية: ١٠٩.

(٢٣)إنباه الرواة على أنباه النحاة ٣/ ٢١٥.

(٢٤)نفح الطيب ٣/ ١٣٥.

(٢٥)الصلة ٢/ ٥٥٦ – ٥٥٧، وإنباه الرواة ٣/ ٢١٥، وفهرسة ابن خير ٣٥٩.

(٢٦)ابن خير الإشبيلي: ٣٥٩.

(٢٧)الذخيرة ٤/ ١ ص ١١.

عبد الله، توفي سنة ٣٩٢هـ.

وانتقل ابن التّيّاني إلى مدينة (المَرِيّة)، وكان فيها مدفنه، وذلك في سنة[٢٨] ست وثلاثين وأربع مئة، في إحدى الجمادين.

ولم يشذ عن ذكر هذا التاريخ أحد من المؤرخين، إلاّ الجلال السيوطي[٢٩] الذي جعله في سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة.

مؤلفات ابن التيّاني:

١ – أخبار تهامة[٣٠].

٢– شرح فصيح ثعلب[٣١].

٣– تلقيح العين.

٤ – الموعب.

فكتاب: (أخبار تهامة) انفرد بذكره حاجي خليفة، ومنه أخذ البغدادي.

أما شرح فصيح ثعلب، فقد وصلت منه نقول في كتاب: (تاج العروس). ومنه تتبين مشاركة ابن التياني في علوم العربية والأدب[٣٢]. «كان شارعاً في أفانين من المعرفة».

---

(٢٨) ينظر: مظان ترجمته، و:العبر ٣/ ١٨٥، والصلة ١/ ١٢١، وجذوة المقتبس ١٨٣، وابن خلكان ١/ ٣٠٠– ٣٠١.

(٢٩) بغية الوعاة ١/ ٤٧٩، وأشار محققه إلى كتاب: الصلة. وفيه: ست وثلاثين وأربع مئة.

(٣٠)كشف الظنون ١/ ٢٦، وهدية العارفين ١/ ٢٤٦.

(٣١)ينظر: ابن درستويه: ١٥٦– ١٥٧.

(٣٢)الصلة ١/ ١٢١.

ولذيوع مكانة (فصيح ثعلب)[٣٣] في معاهد الدرس في الأندلس تولى شرحه والتأليف في نقده أو نظمه، علماء من أهل اللغة، منهم: ابن التياني، وابن هشام اللخمي محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٧٧هـ، وشرحه[٣٤] مطبوع في بغداد. وأبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي المتوفى سنة ٦٩١هـ، وشرحه[٣٥] «لم تكتحل عين الزمان بمثله في تحقيقه وغزارة فوائده.»، والبطليوسي[٣٦] ابن السيد عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٥٢١هـ.

ونظمه غير واحد من أدباء الأندلس، منهم: ابن جابر الأعمى المتوفى سنة ٧٨٠هـ، نظمه في ألف وست مئة بيت، سماه: «حلية الفصيح» وهو مخطوط. ومن نقول (تاج العروس) من: شرح ابن التياني قال المجد[٣٧] الفيروزآبادي: «والأَثْر: فرند السيف. قال الزبيدي[٣٨]: أثر السيف: مثال: صقر، وأثره، مثال: طنب، فرنده. عن شرح الفصيح لابن التياني.».

وقال في[٣٩] (التاج) أيضاً: «الموعب لابن التياني، شارح الفصيح وغيره.». ونقل منه في مادة[٤٠]: عهد: في شرح الفصيح لابن التياني: تقول

---

(٣٣)ابن درستويه ١٥٦.

(٣٤)نشر بتحقيق الدكتور مهدي عبيد جاسم، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٣٥)كشف الظنون ١٢٧٣.

(٣٦)المزهر ١/ ٢١٥، ٢٢٥، ٢٧٢، ٣٠٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٩.

(٣٧)القاموس ١/ ٣٦٢ (أثر).

(٣٨)تاج العروس ١٠/ ١٥ (أ/ ث/ ر) طبعة الكويت.

(٣٩)التاج ٢١/ ٤١٢ (ض/ ر/ ع).

(٤٠)التاج ٨/ ٤٥٨ (ع/ هـ/ د) وينظر: ٣٤٤، ٣٦٠ ، ٩/ ٣١١.

العرب: تعهدت ضيعتي، ولا يقال: تعاهدت».

المُوعَب:

معجم لغوي فريد، طارت شهرته في الآفاق، وضَعَه ابن التيّاني في نَسَق بديع، فهو عند فريق من العلماء[٤١]: «كتاب مشهور جمعه في اللغة، لم يؤلّف مثله اختصاراً و[اكتنازاً][٤٢]».

قُرن بأسماء ثلاثة: تلقيح العين، وفتح العين، وتنقيح العين. ومردُّ هذا الاضطراب في معرفة اسمه أمران:

الأول: نقص في مطبوعة كتاب: «المزهر» للسيوطي.

الثاني: قناعة الباحثين بهذه الأسماء، لأجل دورانه في فلك (العين). فالتلقيح، والتنقيح، والفتح صفات متقبلة عندهم.

و«تنقيح العين» ورد هذا الاسم في أصل مخطوطة كتاب[٤٣]: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» لجمال الدين القفطي. وأبدلها محققه بلفظ: «تلقيح».

و«تلقيح العين». سأفرد له كلاماً خاصاً به بعد قليل، أمّا: «فتح

(٤١)جذوة المقتبس ١٨٣، والمقتبس ١٧٢، وفهرسة ابن خير ٣٥٩، والصلة ١/ ١٢٠ – ١٢١، بغية الملتمس ٢٣٦، وابن خلكان ١/ ٣٠٠، والمغرب ١/ ١٦٦، وإنباه الرواة ١/ ٢٥٩، ومعجم الأدباء ٢/ ٣٩٤.

(٤٢)وردت هذه الكلمة عند مترجميه بصورة [وإكثاراً] وهي مصحَّفة من (واكتنازاً).

(٤٣)إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٢٦٠ (الهامش/٤) وقال محققه الفاضل رحمه الله: «في الأصل: تنقيح العين، وصوابه من: كشف الظنون، ومعجم الأدباء» وعنه أخذ الدكتور حسين نصار في: (المعجم العربي ١/ ٣٠١).

العين». فهو نقص وقَعَ في مطبوعة كتاب:[٤٤] «المزهر» للسيوطي، وإليكه: قال السيوطي، نقلاً عن أبي الحسن الشاري السبتي في وصف (الموعب): «ولما علم ذلك من مختصر العين، الإمام أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيّاني، عمل كتابه العظيم الفائدة، الذي سماه بفتح العين.».

فكان صواب العبارة هكذا: «الذي سمّاه: الموعَب بفتح العين». بسقوط لفظة (الموعب) حصل هذا الاضطراب في حقيقة اسم الموعب عند بعض الباحثين، إذ هو تقيد بالحرف، لاسم المفعول، والتبس هذا الأمر عند من ذكره بعد الجلال السيوطي. وربما يكون حاجي خليفة[٤٥] (ت ١٠٦٧هـ) في مقدمة هؤلاء الباحثين. قال في رسم (كتاب العين: وصنَّف أبو غالب ابن التياني، كتاباً متعلقاً به (بكتاب العين). سمّاه: فتح العين، قال السيوطي: وهو عظيم النفع.).

وعنه أخذ المرتضى الزبيدي في: «تاج العروس»[٤٦] والبغدادي في: (هدية العرفين) قال الزبيدي[٤٧]: «ثم ألف الإمام أبو غالب تمام بن غالب، كتابه العظيم الذي سماه: فتح العين».

وأول من تنبه إلى هذا الوهم، هو الأب: أنستاس ماري الكرملي (ت ١٩٤٧م)، إلا أنه ألحق هذا السهو بكلام ابن حيان (ت ٤٦٩هـ) منقولاً عن «معجم الأدباء - لياقوت».

---

(٤٤)المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٨٧- ٨٨.

(٤٥)كشف الظنون: ١٤٤٤.

(٤٦)تاج العروس ١/ ٣٧، وهدية العارفين ١/ ٢٤٥.

(٤٧)التاج (١/ ٣٧ – المقدمة).

قال الأب الكرملي: «قال ياقوت في أول باب التاء ٢/ ٣٩٤: تمام بن غالب بن عمر. ذكره الحميدي فقال: كان إماماً في اللغة ثقة في إيرادها.. وله كتاب [الموعب] بفتح العين، في اللغة.». انتهى نقل الأب الكرملي.

وفي هذا النص وهم جديد، تسرب إلى الأب الكرملي، إذ أن ياقوتاً الحموي (ت ٦٢٦هـ) لم يذكر ما نقله الأب عنه.

قال ياقوت الحموي: «ذكره الحميدي فقال: كان إماماً في اللغة وثقة في إيرادها.. وله كتاب: تلقيح العين لم يؤلف مثله اختصاراً و[واكتنازاً]».

ثم نقل ابن حيان قوله: «. وله كتاب جامع في اللغة سماه: تلقيح العين، جم الفائدة.»[٤٨].

فاسم كتاب أبي غالب، هو: (تلقيح العين) عند ياقوت الحموي كما نقله عن الحميدي وابن حيان. ولم يرد ذكر لاسم «الموعب – بفتح العين». كما ذكر الأب الكرملي[٤٩] منسوباً للحميدي بواسطة الحموي.

وتكرر ما ذكرت عند الدكتور حسين نصار في كتابه[٥٠]: «المعجم العربي».

وفيه: «كثر الخلاف في اسم هذا الكتاب (أي: الموعب)، بين: تنقيح العين، وتلقيح العين، وغيرها. والسبب في ذلك أن ابن حيان قال في صدد الترجمة له، فيما يخيل إلي، وله كتاب جامع في اللغة سماه [الموعب] بفتح

(٤٨)معجم الأدباء ٢/ ٣٩٤ (طبعة مرغيلوث).

(٤٩)لغة العرب (الجزء الأول من السنة الرابعة – شعبان ١٣٣٢هـ – تموز ١٩١٤م) ص: ٥-٦.

(٥٠)المعجم العربي ١/ ٣٠١.

العين. وسقط من العبارة لفظ (الموعب) فصارت تقرأ: سماه بفتح العين.)).

فاسم الكتاب عند الحميدي: ((تلقيح العين)). كما ورد في: (جذوة المقتبس)[٥١] ونقله عنه غيره.

تلقيح العين:

هو من الأسماء التي عرف بها (الموعب)[٥٢] عند فريق من الباحثين والأدباء، وقطع آخرون بتفرد ابن التياني بموعبه تأليفاً، إذ ضن بعضهم عليه أن يكون الموعب هو الأثر اليتيم الذي تركه. قال الأب الكرملي: ((ومن الأدلة على أن هذه الأسماء الثلاثة ترجع إلى واحد، أن ابن التياني لم يؤلف في اللغة إلا كتاباً واحداً لا غير باتفاق جميع المترجمين.)).

ويريد بالأسماء الثلاثة: تلقيح العين، وفتح العين، والموعب. صحيح أن معجماً مثل ((الموعب)) حري أن يقطع العمر كله في تأليفه، لكن ليس من المعقول إجماع الأدباء والمؤرخين الذين ترجموا لمؤلفه على سعة نشاطه العلمي، وعلى إمامته في اللغة.

وقد عرفنا من مؤلفاته: (شرح الفصيح) عبر نقول المرتضى الزبيدي منه، ولم يذكره غيره ممن ترجم لصاحبه، كما ذكر ((كشف الظنون)) و((هدية العارفين)) كتاباً آخر له، هو: أخبار تهامة.

ولا يبعد أن يكون (تلقيح العين) معجماً آخر وضعه مع (الموعب)، وإني أكاد أقطع بهذا الرأي. ولي من هذه الأدلة التي أسوقها حجة على ما أذهب إليه. وإليكها:

---

(٥١)الجذوة: ١٨٣ ولا يوجد فيه اسم (تلقيح العين).

(٥٢)لغة العرب: (١/ ٤ ص ٩ – الهامش –).

أولاً: ذكره ابن حيان المتوفى سنة ٤٦٩هـ، وهو من أوعية العلم في قطره، له قدم صدق في كتابة التاريخ.. وإنه قرطبي أيضاً.

وكتابه: (المقتبس في تاريخ الأندلس)(٥٣) مدونة صادقة في مادته. نقل مؤرخون عنه وعن الحميدي قولاً ذكره بقوله: «. وله كتاب جامع في اللغة سماه: تلقيح العين. جم الإفادة.»(٥٤).

من هؤلاء: ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ). وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) الذي نقل عن ابن حيان والحميدي(٥٥). وكذلك ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) والقفطي جمال الدين (ت ٦٤٦هـ) ثم تواصل خبره حتى اتصل بمرويات الجلال السيوطي الذي ذكره في(٥٦): «بغية الوعاة».

ثانياً: رواه ابن خير الإشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥هـ، وروايته له حجة لا تدفع. قال: «تلقيح العين في اللغة، تأليف أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي ويعرف بابن التياني. حدثني به أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن معمر رحمه الله، حدثني به الوزير أبو بكر محمد بن هشام بن محمد

---

(٥٣)جذوة المقتبس: ٢٠٠، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٨ والأعلام ٢/ ٢٨٩ والمطبوع من المقتبس في بيروت بتحقيق الدكتور محمود علي مكي، يراه المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي كتاباً آخر لابن حيان.

(٥٤)الصلة ١/ ١٢٠- ١٢١، معجم الأدباء ٢/ ٣٩٠، وفيات الأعيان ١/ ٣٠٠، إنباه الرواة ١/ ٢٦٠، وفهرسة ابن خير ٣٦١.

(٥٥)ما نقل عند هؤلاء عن الحميدي لا وجود له في: الجذوة، وهو في فهرسة ابن خير/ ٣٦١.

(٥٦)بغية الوعاة ١/ ٤٧٨.

المصحفي، قال: حدثني به أبو عبد الله محمد بن مضي النحوي عن أبي غالب تمام بن غالب مؤلفه رحمه الله. قال أبو بكر المصحفي: وقد لقيت أنا الأديب ابـــن التياني هذا ثلاث مرات. ثم نسب القصة التي تناقلتها مظان ترجمته إلى أصـــولها، ورواهـــا المؤرخون عن الأمير أبي الجيش، مجاهد بن عبد الله، أيام غلبـــته على مرسية: «وقد وجه إلى أبي غالب المذكور ألف دينار (أندلسية) عـــلى أن يـــزيد في ترجمة هذا الكتاب: مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجـــاهد، فـــرد الدنانير، و لم يفتح في هذا باباً البتة، وقال: والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت، ولا استجزت الكذب، فإني لم أجمعه له خاصة، لكن لكل طالب عامة.»[٥٧].

وهذه القصة قرنت بذكر أبي غالب ابن التياني عند كل من ترجم[٥٨] له في تراجمهم، دون أن تصرح باسم الكتاب الذي استبد بإعجاب الأمير مجاهد، وبعضها جعلها (للموعب).

ثالثاً: وذكره مجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـــ) صاحب (القاموس المحيط) في كتابه[٥٩] (البلغة) وقال: (وله كتاب الموعب، لم يؤلف مثله وله: تلقيح العين، جم الفوائد.».

ورواية ابن خير المتقدم ذكرها آنفاً، لها خطرها، لأنه ذكر في مقدمة (فهرسته) شروط تدوينه لما روى عن شيوخه. قال: «أن أذكر لهم ما رويته

---

(٥٧)فهرسة ابن خير: ٣٦٠.

(٥٨)ينـــظر: ياقوت ٢/ ٣٩٤، والمغرب ١/ ١٦٦ والصلة ١/ ١٢٠- ١٢١ والعبر ٣/ ١٨٥، ونفح الطيب ٣/ ١٧٢ و١٩٠.

(٥٩)البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٧٤. وينظر: بغية الوعاة ١/ ٤٧٨.

عن شيوخي، رحمهم الله، من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، وأن أذكر أسانيدي عنهم فيها إلى مصنفيها، وما قرأته من ذلك عليهم أو سمعته عليهم بقراءتهم أو بقراءة غيري. وأن أضيف إلى ذلك ما ناولوني إياه وأجازوه لي.»[٦٠].

ومن رواته: أبو بكر بن المصحفي[٦١]، الوزير العالم الأديب القرطبي المتوفى سنة ٤٨١هـ، ومحمد بن عبد الرحمن بن[٦٢] معمر القرطبي المتوفى سنة ٤٢٣هـ، «كان حاذقاً بمعرفة الكتب، عارفاً بعللها، مميزاً في خطوط ناسخيها، حجة في عزوها إلى وراقيها» وروايته هكذا:

رواه ابن خير عن ابن معمر عن/ أبي بكر المصحفي عن ابن مضاء[٦٣] النحوي القرطبي عن مؤلفه ابن التياني.

وابن مضاء (ابن مضي) نحوي مشهور، قال القفطي: «روى عن ابن التياني وغيره، وكان من كبار النحويين في وقته، ورؤساء المتأدبين، أخذ عنه أهل وقته جزءاً كبيراً من نوع الأدب..»).

الموعب:

أراد ابن التياني لمعجمه (الموعب) أن يكون معجماً مكتنزاً بالمادة اللغوية، المحررة المحققة، ضم فيه ما صح من متن ورد في (العين) وطرح ما

---

(٦٠)ابن خير ٦– ٨، وينظر: ١٢– ٢٨.

(٦١)الصلة ٢/ ٥٥٦– ٥٥٧.

(٦٢)التكملة ٣٨٤، والذيل والتكملة ٦/ ٣٦٥.

(٦٣) إنباه الرواة ٣/ ٢١٥، وهو غير ابن مضاء المشهور صاحب (الرد على النحاة) المتوفى سنة ٥٩٢هـ.

فيه من شواهد مختلقة، أو حروف مصحفة، دون إخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب.

وهو نقد لمعجم (مختصر العين)[٦٤] لأبي بكر الزبيدي المذحجي المتوفى سنة ٣٧٩هـ، وهو شيخه.

وصفه أبو الحسن الشاري[٦٥] في (فهرسته) فيما نقل عنه السيوطي قال: «وأتى فيه بما في العين من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه، دون إخلال بشيء من شواهد القرآن، والحديث، وصحيح أشعار العرب.. ثم زاد فيه ما زاده ابن دريد في الجمهرة، فصار هذا الديوان محتوياً على الكتابين جميعاً، وكانت الفائدة فيه: فصل كتاب العين من الجمهرة، وسياقه بلفظه، لينسب ما يحكي منه إلى الخليل، إلا أن هذا الديوان قليل الوجود، لم يعرج الناس على نسخه.»[٦٦].

وعليه، فإن (الموعب) ديوان ضم (الجمهرة) و(العين)، والموعب، من: إيعابك الشيء في الشيء، مثل: استوعب[٦٧]، واستأصل، وأوعب، كأنه يأتي عليه كله، اسم مفعول، وهذا يتفق مع كلام الشاري في (الموعب). لكن وصفه عند الأب الكرملي، يجعل الباحث في شك من أمر كمال

---

(٦٤) ينظر: مقدمة مختصر العين ١/ ٢٥- ٣٢، وأبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، ص: ٤٥٧ وما بعدها.

(٦٥) أبو الحسن الشاري، علي بن محمد السبتي (٥٧١- ٦٤٩هـ) من أعلام اللغة والأدب، ينظر: صلة الصلة ١٥٢، وبرنامج المجاري ١٠١، ١١٤، ١٤٧.

(٦٦) المزهر ١/ ٨٨ – ٨٩.

(٦٧) اللسان والتاج، (و/ ع/ ب).

المخطوطة التي وصلت إليه، قال الأب الكرملي[٦٨]: «الموعب: معجم لغوي. عدد فيه مساوئ ما وقع في ديوان الليث: العين.».

مخطوطة الموعب:

كانت في خزانة السيد حسن صدر[٦٩] الدين الكاظمي وهي نادرة يتيمة، دفعها السيد حسن إلى الأب الكرملي بدلاً من كتب أخرى فأصبحت من ملك (دير المبعث/ الآباء الكرمليين في بغداد، أي: في خزانة مخطوطات كتب الكرملي).

تقع في أربع وعشرين ومئة ورقة، (كل ورقة منها قائمة بنفسها غير متصلة بأختها). وقع لها هذا الاضطراب بفعل الهدم الذي حدث في دار السيد الصدر، وكان عنوانها هكذا: (كتاب الموعب في اللغة لابن التيان).

طول كل ورقة من هذه الأوراق الدرية اللون والثمن ١٩ سنتيمتراً في عرض ١٦، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً، وطول كل سطر ١٣ سنتيمتراً، والحبر أسود، وأغلب ألفاظه مضبوطة في المواطن التي تحتاج إلى ضبط، والورق قديم، وليس فيه تاريخ لكنه إن لم يكن من خط المؤلف فهو من عصره بدون ريب. وخطه خط عالم لا كاتب[٧٠].

منهجه:

أقام أبو غالب معجمه على طريقة لغوية جديدة، تعتمد أوزان كل

---

(٦٨)أغلاط اللغويين الأقدمين، بغداد ١٩٣٣م. ص: ٥.

(٦٩)حسن بن هادي الحسيني، المعروف بحسن الصدر، من أعلام العراق، توفي سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ . ينظر: الأعلام ٢/ ٢٢٤- ٢٢٥.

(٧٠)لغة العرب ١/ ٤ ص: ١٢.

فعل أو اسم، ثم يأتي بالألفاظ التي وردت على ذلك الوزن، مرتباً إياها ترتيباً معجمياً، مع مراعاة أواخر الكلم، فكل وزن (فصل) وهو مثال فصول المعاجم اللغوية وأبوابها.

فهو معجم غريب لا نظير له في المعاجم اللغوية. إذ هو معجم نحوي لغوي. فضلاً عن[٧١] «أنه يحوي ألفاظاً وأبياتاً شعرية لا وجود لها في أكبر المعاجم التي بين أيدينا.». ثم نشر الأب الكرملي فصلة منه[٧٢]، بعنوان: (مثال من نص الموعب). وإليك بعضها: «باب فَعل يفعِل، بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل[٧٣]،

تب: إذا هلك، تباباً وتباً. وحببته حباً، بمعنى: أحببته، وهذا شاذّ، لا يأتي يفعِل (بالكسر) في المضاعف، وهو واقع[٧٤]، إلاّ أن يشركه يفعُل (بالضم). ودبَّ الشيخ دبيباً، أي: مشى مشياً رويداً، وزبت الشمس زبوباً إذا دَنَت للغروب، وشبَّ الظلام شباباً، وشب الفرس إذا قمصْ. وضبَّ الماء ضبيباً، إذا سال، ويقال للرجل إذا اشتدَّ حِرْصُه على الشيء: جاء تضبُّ لثاتُه، قال بشر بن أبي خازم:

وبني تميم قد لقينا منهم خيلاً تضبُّ لثاتُها للمغنم

وغب عندنا أي: بات. ومنه سمّي اللحم البائت: الغابّ، وغبت

(٧١)لغة العرب ١/ ٤ ص ١٤.

(٧٢)لغة العرب ١/ ٤ ص: ١٢- ١٤.

(٧٣)أي المضارع.

(٧٤)أي متعد.

الأمور، أي: صارت إلى أواخرها. ويقال في المَثَل: رويداً الشعر يغبّ(٧٥).
وغبت الحمّى، من الغب. وغببت عن القوم، أي: جئتهم يوماً وتركتهم يوماً. وغب اللحمُ، أي: أنْتَن.

ونبَّ التيس نبيباً: صاح عند السِّفاد. وهبَّ التيس هبيباً مثل: نبَّ نبيباً. وبتَّ الشيء: قَطَعه. وشتّ الأمر: تفرَّق شتاتاً. وكتَّ البعير كتيتاً، أي: صاح صياحاً ليناً. وكتت القِدْر إذا غلَت. وكذلك الجرّة وغيرها.

ودثت السماء، أي: جاءت بالدّث وهو المطر الضّعيف. ورثّ الثوب رثاثة ورثوثة. وغثّ الحديث غثوثاً، أي: صار غثّاً وهو الرديء. وغث الجرح، إذا أمدَّ. وغثت الشاة أي: هزلت. ومث الزق مثيثاً، إبدال من النون. ونث الزق إذا رشح نثيثاً. قال عمر ﷺ لرجل: وأنت تنث نثيث الحميت. وثج المطر والدم ثجيجاً وهو شدة انصبابه.

ومروا يدجون دجيجاً. ولا يكون (يدجون) حتى يكونوا جميعاً.

وشج رأسه شجا: شقه. وضج القوم ضجاجاً: إذا جزعوا من شيء وغلبوا. وضج البعير: صاح ضجيجاً. وعج الرعد عجيجاً: إذا صوت، وكذلك غيره. ولج في غيه لجاً ولجاجاً، أي: تمادى. ونجت القرحة، أي: سالت بما فيها. قال القطران:

فإن تك قرحة خبثت ونجت   فإن الله يشفي من يشاء

[و] «سحت الشاة سحوحة، إذا سحنت. وشح: بخل مع الحرص شحا.» (٧٦).

---

(٧٥) [وروي: رويدَ الشعر يغبّ (مجمع الأمثال ١: ٣٠، أساس البلاغة — غبّ)/ المجلة].

(٧٦)هذا نصف النص الذي نشره الأب الكرملي (١/ ٤ ص ١٢- ١٣) لغة العرب، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

ومن خلال تطوافي في الآثار التي نَوَّهَتْ بهذا المعجم النفيس، وقفت على ذرو من خبره، ثم تصيدت شذرات من نصوصه.

جاء في:(٧٧) «لسان العرب: (أ/ ك/ ك): وفي الموعب: ويوم عك أك: حار(٧٨) [ضيق غام] وعكيك أكيك. والأكة: فورة شديدة في القيظ. وهو الوقت الذي تركد فيه الريح قال:

إذا الشـــريب أخذتـــه أكـــه فخلـــه حـــتى يـــبك بكـــه

في الموعب: الشريبُ الذي يسقي إبله مع إبلك».

وهذا النص من: حواشي ابن بري على الصحاح:

وابن بري توفي في سنة ٥٨٢هـ، وعليه فإنه أقدمُ مَنْ ذَكَرَ (الموعب) من أهل اللغة والأدباء.

ثم يأتي بعده أبو الحسن الشاري السبتي المتوفى سنة ٦٤٩هـ الذي وصفه في: «فهرسته» (٧٩).

وممن نقل منه قديماً، اللبلي أحمد بن يوسف المتوفى سنة ٦٩١هـ في كتابه:(٨٠) (بغية الآمال في مستقبل الأفعال).

قال اللبلي: «.. فهذا حكم كل مضارع لفَعَل المفتوحة العين. وقد

(٧٧) اللسان ١٠/ ٣٩٢ (أ/ ك/ ك)، وينظر: التهذيب ١٠/ ٤١٤، والصحاح ١٥٧٤ (ج٤).

(٧٨) كذا في اللسان. ولم أجد ضبطه في: (تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب) للمرحوم الأستاذ عبد السلام محمد هارون.

(٧٩) المزهر ١/ ٨٧- ٨٨.

(٨٠) بغية الآمال (ط. جامعة أم القرى ١٩٩١م): ٧٦.

وجدتُ حرفاً واحداً نادراً جداً، لم أر أحداً استثناه من النحويين واللغويين، وهو: بَرَأتُ من المرض أبرُؤ، بفتح الباء وضم الراء، وهو نادر جداً. حكاه الإمام تمام بن غالب المعروف بابن التياني في كتابه الموعب، وقال: إنها لغة، قبيحة لم يوجد غيرها».

وعده أبو حيان النحوي الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ من «الكتب المطولة في علم اللغة. منها كتاب الأزهري والموعب لابن التياني.»[٨١].

ونقل بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ كلام أبي حيان بحروفه في: (البرهان في علوم القرآن).

كما ذكره الحميدي، محمد بن عبد المنعم (توفي سنة ٧٢٧هـ) في: (الروض المعطار في خبر الأقطار).

ثم جاء دور المرتضى الزبيدي فذكره في مقدمة (تاج العروس) قال: «ويقال: إن أصح ما أُلف في اللغة على حروف المعجم، كتاب: البارع لأبي علي البغدادي، والموعب لأبي غالب، ولكن لم يعرج الناس على نسخهما ولذا قلّ وجودهما.». [تاج العروس (ط١) ١٢٠١]. ونقل منه نصوصاً لغوية.

قال في مادة[٨٢]: «إخ: إخ، صوت إناخة الجمل، وفي الموعب: ولا يقال: أخخت الجمل، ولكن أنخته».

وفي مادة[٨٣] (ضرع: تضارع، بضم المثناة فوق والراء، وبضمها وكسر الراء وبفتحها وضم الراء، عن الموعب [على صيغة المفعول] جبل بنجد).

---

(٨١)البحر المحيط ١/ ٦.

(٨٢) تاج العروس ٧/ ٢٢٥.

(٨٣)التاج ٢١/ ٤١٢.

وهذا التفسير جاء تعقيباً على قول المجد في[٨٤] (القاموس) كما ذكره المجد في مادة (تين): «وتمام بن غالب بن عمر التياني أديب، صاحب الموعب».

وقال في (التاج[٨٥]: ع/ ب/ د: قال أبو جعفر، وحكى صاحب الموعب، عن أبي زيد: عبدت الرجل: ذللته حتى عمل عمل العبيد).

وعنه أيضاً قال: «العبد: الإنسان، حراً كان أو رقيقاً. كذا في المحكم والموعب».

وقال[٨٦]: «عود أسر: كقفل، وعود الأسر، بالإضافة والتوصيف، كما في: شروح الفصيح. وعود يسر: بالياء بدل الهمزة: لحن أنكره الجوهري فقال: ولا تقل: عود يسر، ووافقه على إنكاره صاحب الواعي[٨٧] والموعب.».

والواعي، كتاب في شرح حديث الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

واسمه: الواعي في اللغة، ومؤلفه: عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ.

وفي تاج العروس ٦/ ٢٣: ز/ و/ ج: واعي اللغة، ونقل منه.

وقال الزبيدي[٨٨]: «وحكى صاحب الموعب عن أبي عمرو بن العلاء أنه

---

(٨٤)القاموس المحيط ٣/ ٥٦ (طبعة القاهرة ١٣٣٠هـ - المطبعة الحسينية، أشرف عليها الشيخ نصر الهوريني).

(٨٥)التاج ٨/ ٣٤٤، ٣٢٧.

(٨٦) التاج ١٠/ ٤٩.

(٨٧)يـنظر عنه: كشف الظنون ١٩٩٦، وعن مؤلفه الأزدي: برنامج الوادي آشي ٢٠٩، وتهذيب النووي ١/ ٢٩٢، والفوات ١/ ٢٤٨.

(٨٨)تاج العروس ٩/ ٣١١ (و/ع/د)، وينظر مادة (ت/ ي/ ن).

قال لعمرو بن عبيد، إنك جاهل بلغة العرب، إنهم لا يعدون العافي مخلفاً، إنما يعدون من وعد خيراً فلم يفعل مخلفاً، ولا يعدون من وعد شراً فعفا مخلفًا.».

ومن الخير أن أشير إلى اسم كتاب آخر عرف بـ[٨٩] (الموعب في تفسير الموطأ). تأليف القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله المتوفى سنة ٤٢٩هـ.

* * *

جريدة المراجع والمصادر

ابن درستويه: عبد الله الجبوري، بغداد مطبعة العاني، ١٩٧٤م.

أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة: نعمة رحيم العزاوي، النجف، مطبعة الآداب ١٣٩٥– ١٩٧٥ .

إرشاد الأريب (معجم الأدباء): ياقوت الحموي، القاهرة، ١٩٢٣– ١٩٢٥، تحقيق: مرغليوث.

الأعلام: خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٩

إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين القفطي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠ — ١٩٧٣، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

البحر المحيط: أبو حيان النحوي الأندلسي — القاهرة ١٣٢٨هـ.

برنامج المجاري: عبد الله بن محمد المجاري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، تحقيق: محمد أبي الأجفان ١٩٨٢.

البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، القاهرة ١٩٥٧، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

---

(٨٩) الديباج المذهب ٢/ ٣٧٤.

بغية الآمال في معرفة مستقبل الأفعال: اللبلي، أحمد بن يوسف، تحقيق: جعفر ماجد. (تونس ١٩٧٢، الدار التونسية). [وله طبعه محققة صدرت عام ١٩٩١م عن جامعة أم القرى — السعودية/ المجلة].

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: الضبي، أحمد بن يحيى، نشرته مكتبة المثنى (طبعة مدريد ١٨٨٤م).

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، القاهرة، ١٩٦٤، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، الكويت ١٤٠٧هـ.

تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى الزبيدي محمد، القاهرة، ١٣٠٦- ١٣٠٧هـ، وطبعه الكويت (١- ٢٦) لم يكمل بعد. [اكتمل طبعه سنة ٢٠٠١م وصدر في أربعين مجلداً/ المجلة].

التكملة والذيل والصلة: الصغاني، رضي الدين، مجمع اللغة العربية، القاهرة (١٩٧٠) تحقيق جماعة.

تهذيب اللغة: الأزهري، محمد بن أحمد، القاهرة، ١٩٦٤، تحقيق: جماعة.

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي، القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦.

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: ابن فرحون المالكي، دار التراث، القاهرة، ١٩٧١ تحقيق: محمد الأحمدي أبي النور.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني، بيروت، دار الثقافة، تحقيق: إحسان عباس، ١٣٩٨- ١٩٧٨.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ابن عبد الملك المراكشي، محمد بن محمد، بيروت، دار الثقافة، تحقيق: إحسان عباس، ١٩٦٥.

الروض المعطار في خبر الأقطار: الحميدي، محمد بن عبد المنعم، بيروت، ١٩٧٥، تحقيق: إحسان عباس.

الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، إسماعيل بن حماد، بيروت، دار العلم للملايين، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ١٣٩٩- ١٩٧٩.

الصلة: ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦م.

العبر في خبر من غبر: شمس الدين الذهبي، (ج٣) تحقيق: فؤاد سيد، الكويت ١٩٦١م. (دائرة المطبوعات والنشر).

فهرس ابن خير الإشبيلي: محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي، الطبعة الثانية ١٣٨٢ — ١٩٦٣.

فهرس ابن عطية: عبد الحق بن عطية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٠- ١٩٨٠، تحقيق: محمد أبي الأجفان، ومحمد الزاهي.

القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي، القاهرة، ١٣٣٠هـ، المطبعة الحسينية.

كشف الظنون: حاجي خليفة، أنقرة، ١٩٤٦.

لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر — دار بيروت ١٣٧٥- ١٩٥٦.

المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: ابن سيده، علي بن إسماعيل، القاهرة، تحقيق: جماعة ١٩٥٨ (لم يكتمل بعد).

المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، القاهرة، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرين، البابي الحلبي.

المشتبه في الرجال: شمس الدين الذهبي، القاهرة، ١٩٦٢، تحقيق: علي محمد البجاوي.

معجم البلدان: ياقوت الحموي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٥.

المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد الغرناطي، القاهرة، تحقيق: شوقي ضيف. دار المعارف ١٩٦٤.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري، أحمد بن محمد، بيروت، دار صادر ١٣٨٨- ١٩٦٨ تحقيق: إحسان عباس.

الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي. (ج١٠) تحقيق: جاكلين سوبلة وعلي عمارة. دار صادر — بيروت ١٤٠٠ — ١٩٨٠ (جمعية المستشرقين الألمان).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، محمد بن أبي بكر، بيروت، دار الثقافة تحقيق: إحسان عباس، ١٩٧١.

هدية العارفين: إسماعيل البغدادي، إستانبول ١٩٥٥.

المجلات:

لغة العرب: الأب أنستانس ماري الكرملي (السنة الرابعة/ الجزء الأول، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م).

المعجم العربي في الأندلس: عبد العلي الودغيري، (عالم الفكر — الكويت) المجلد الثاني عشر، العدد الأول.

(التعريف والنقد)

الرسالة البغدادية

بطلان نسبتها وتسميتها

د. عبد الكريم محمد حسين

تتـــناول هذه المقالة ما أسماه أ. عبود الشالجي: الرسالة البغدادية، ونسبتها إلى أبي حيـــان الـــتوحيدي، وغرضـــها إبطال ما ادعاه من حجج متماسكة في صورها لإثبات العنوان والنسبة معاً. وذلك وفق الخطوات الآتية:

١- التعريف بالكتاب إجمالاً بإيجاز ليكون المتلقي على تصور عام لهيئة الكتاب.

٢- عرض آراء الشالجي في تسمية الرسالة، ومناقشتها، وإبطال ما جاء به.

٣- عرض رأي الشالجي في نسبة الكتاب إلى أبي حيان، ومناقشته في أسس احتجاجه.

٤- تثبيت نسبة الكتاب إلى مؤلفه أبي المطهر أحمد بن محمد الأزدي على الأصل الثابت.

وستكون المعالجة قائمة على دمج الآراء. ذلك أن ما جاء به الشالجي سيأتي أولاً، ويؤلف كلام المصنف القديم جزءاً من الرد على تعجل الفاضل محقـــق الرســـالة، وما جاء به أ. عبد القادر زمامة إذا اقتضى السياق ذلك. فـــالخطوات متدرجة في الذهن متحدة في العمل لشدة اقتضاء بعضها بعضاً، متداخلة في البنيان، ومعاد بعضها لاختلاف الوظيفة من الإعادة.

تعريف الكتاب:

يمكن تعريف الكتاب من جهتين الأولى قريبة تعرض له كما قسمه الشالجي، والثانية على نحو ما قسمه مؤلفه أو مصنفه، وسيأتي عرضه في سياق المناقشة من غير إفراده بفقرة منفردة. أما تصنيف الكتاب كما أخرجه أ. عبود الشالجي فهو كما يأتي:

أ – غلاف الرسالة: الرسالة البغدادية.

ب – مقدمة المحقق[١].

ج- ترجمة المؤلف[٢].

د- مقدمة الرسالة[٣].

هـ- الرسالة البغدادية[٤].

و – ختامها[٥].

ز- الفهارس: أسماء الأعلام[٦]، وفهرس جغرافي[٧]، وفهرس عمراني[٨]،

(١) انظــر: الرسالة البغدادية، نسبها ناسخها وشارحها عبود الشالجي إلى أبي حيان التوحيدي، بيروت – دار الجمل، ط٢، ١٩٩٧م: ٥- ١٢.

(٢) انظر: الرسالة البغدادية: ١٣- ٤١.

(٣) انظر: الرسالة البغدادية: ٤٢- ٤٥.

(٤) انظر: الرسالة البغدادية: ٤٦- ٣٩٠.

(٥) انظر: الرسالة البغدادية: ٣٩١.

(٦) انظر: الرسالة البغدادية: ٣٩٥.

(٧) انظر: الرسالة البغدادية: ٤٢٥.

(٨) انظر: الرسالة البغدادية ٤٣٢.

وفهرس الكتب والمراجع[٩].

عنوان الرسالة:

يبدأ التقسيم بعنوان الرسالة المختلق من أ. عبود الشالجي، وهو يعترف أن العنوان من صنعه، وذلك بقوله:

«الرسالة البغدادية، كما يدل عليها اسمها، رسالة قصرها صاحبها على الحديث عن بغداد، فهي - كما قال - تكشف عن أخلاق البغداديين على تباين طبقاهم... ثم يصف الفواكه التي يطعمها البغداديون... والعنب الرازقي، المخطوف الخصور، كأنه أصابع البلور[١٠]... ثم أثبت إحصاء قام به وجماعة من أهل الكرخ، في السنة ٣٦٠هـ للمغنيات والمغنّين في بغداد، فذكر أهم أحصوا أربع مائة وستين جارية في الجانبين (جانبي بغداد) ومائة وعشر حرائر - في الإمتاع ٢/ ١٨٣ - يجمعون من الحسن والحذق.. وهو في كل فصل من فصول الرسالة، إذا أتم حديثاً عن بغداد، عاد فقارن ذلك بما يقابله في أصبهان، وأسرف في ذم أهلها...»[١١].

وقوله: «وهناك كثير من الأخبار والأحاديث التي وردت في البصائر والذخائر وردت بألفاظها، أو بشيء من التحوير في هذه الرسالة... وزيادة على ما تقدم فإن ياقوتاً في معجمه، ومن أعقبه من المؤلفين أثبتوا أن الرسالة

(٩) انظر: الرسالة البغدادية ٤٥٩- ٤٦٤.

(١٠) ومعلوم أن هذا الكلام إشارة إلى شعر ابن الرومي، ديوانه: ٣/ ٩٨٧، وهو في الرسالة البغدادية: ١٧٠ إلخ.

(١١) الرسالة البغدادية: ٥- ٨.

البغدادية من جملة مؤلفات أبي حيان التوحيدي، فهو في الرسالة يمتدح بغداد دار صباه وفتوته، ويذم أصبهان التي أقام فيها ثلاث سنين...»(١٢).

من النصين السابقين ومما حولهما في مقدمة المحقق نجد أن مسوغات التسمية جاءت من جهات عدة، منها:

١- رسالة قصرها صاحبها على الحديث عن بغداد.

٢- الرسالة تكشف عن أخلاق البغداديين.

٣- أثبت أنه قام وجماعة من أهل الكرخ في سنة: (٣٦٠هـ) بإحصاء المغنيات والمُغنّيين في بغداد، فذكر أنهم أحصوا أربع مائة وستين جارية في الجانبين، ومئة وعشر حرائر. في الإمتاع [٢/ ١٨٣].

٤- وهو في كل فصل من فصول الرسالة، إذا أتم حديثاً عن بغداد عاد فقارن ذلك بما يقابله في أصبهان، وأسرف في ذم أهلها.

٥- ذهب المحقق إلى أن أجزاء من هذه الرسالة قد أثبتها التوحيدي في مؤلفاته الأخرى، ثم نقلها بنصها وفصها إلى كتاب الإمتاع والمؤانسة فاستغرق فيه فصلاً كاملاً طوى عشرين صفحة.

٦- هناك الكثير من الأخبار التي وردت في البصائر والذخائر جاءت بألفاظها أو بشيء من التحوير في هذه الرسالة.

٧- زيادة على ذلك إن ياقوتاً في معجمه، وغيره من المؤلفين ذكروا الرسالة البغدادية من جملة مؤلفات أبي حيان.

٨- والمنافرة التي أقامها صاحب الرسالة البغدادية بين بغداد

---

(١٢) الرسالة الغدادية: ٩.

وأصبهان، ففيها يمتدح بغداد دار صباه وفتوته، ويذم أصبهان.

٩- أسلوب الكتابة يشير إلى أبي حيان.

١٠- شعر أبي حيان المضاف إلى الرسالة، لقول الشالجي: «وأضاف إليها التوحيدي من شعره الذي ينحط عن طبقة المتوسط، ويجمع بين الغثاثة والبرودة، فضلاً عما فيه من المجاهرة بما هو أقبح مما جاهر به ابن الحجاج..»[١٣].

هذا مجموع حججه التي عرضها المؤلف – على غير ما موضع للشك كما سنرى– وبها دهش الأستاذ عبد القادر زمامة وأعجب، ولا شك أن التسليم بصحة ما قاله الشالجي قاده إلى القول:

«وهكذا – وبفضل هذا الاكتشاف الموضوعي المدعوم بالأدلة القوية الناصعة – تصبح حكاية أبي القاسم البغدادي، الكتاب الذي حقق وطبع منذ أكثر من تسعين سنة، هي الرسالة البغدادية، ويصبح المؤلف المجهول الغامض أبو المطهر الأزدي، هو المؤلف المفكر أبا حيان التوحيدي...! الذي قيل عنه: إنه مات حياً وعاش ميتاً، نظراً لما كتبه وما فكر فيه، وما وضعه. والفضل في ذلك نحمده له، ونعترف به للمحقق الذي بذل مجهوداً كبيراً في الإجادة والإفادة؛ ليسترد هذا الكتاب اسم مؤلفه الحقيقي، واسمه الحقيقي...»[١٤].

على أن دهشة الرجل (الزمامة) ستنتهي بمناقشة هذه الحجج التي تبدو متماسكة في صورها الشكلية، غير أنها متهالكة في حقيقتها الواقعية، وذلك ما تكشف عنه معالجة حججه من أسِّها، بدراستها من جهات عدة، منها ما

---

(١٣) الرسالة البغدادية: ١١.

(١٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٦) الجزء (٣): ص (٦٣٣).

يتصل بأوليات المعقول، وغير المعقول، وهو من مقتضى علم الدراية، واختبار دعاوى الشالجي قياساً ببعض ما جاء به أبو حيان التوحيدي في الموضوع المعروض للبحث والمناقشة، فيما يأتي.

مناقشة حجج الشالجي:

أما أن صاحب الرسالة قصرها على بغداد فلا يعد دليلاً كافياً، ولا مرجحاً، ذلك أن صاحب الرسالة لم يقصرها على بغداد باعتراف الشالجي - رحمه الله - ذلك أنه كان يفاضل بينها وبين أصبهان، فهي ليست محبوسة على بغداد في موضوعها كما رأى الشالجي، ولو كانت كذلك ما جاز عقلاً ولا نقلاً أن نزعم أنها هي الرسالة البغدادية التي ألفها أبو حيان التوحيدي وأشار إليها ياقوت الحموي في معجم الأدباء(١٥)، والصفدي في كتابه الوافي بالوفيات(١٦).

أو يظن الشالجي والزمامة معاً أن الرسالة البغدادية وصلت إلى الحموي والصفدي تحمل اسم أبي المطهر، ثم نسباها إلى أبي حيان؟! أيعقل هذا؟ وهل هذا الظن له ما يسنده من العقل أو النقل؟! أو أن الرجلين عرف أحدهما أو كلاهما - بفرض أن الصفدي نقل عن ياقوت - الرسالة البغدادية فوجدها على أصلها منسوبة إلى أبي حيان، فلم يجد داعياً لإثارة مشكلة من عدم، وهي نص آخر غير الذي نتحدث عنه بتحقيق الشالجي ومباركة الزمامة، وهل من المعقول

(١٥) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، بتحقيق: د. عمر فاروق الطباع، بيروت - مؤسسة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م: ٥/ ٣٣٧.

(١٦) انظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، باعتناء هلموت ريتر، ألمانيا، فسبيادن - دار النشر فرانز شتاينر، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م: ٢٢/ ٤٠.

أن يسكت ياقوت عن هذا الأمر لو كان مثل هذا كلام الشالجي أو الزمامة له أدنى رصيد من الواقع أو المعقول؟ ذلك أن طبيعة المقدمة والأسلوب ليسا من أساليب أبي حيان التوحيدي الذي كان يجاهر بالرسائل التي يخترعها، وينسبها لنفسه ولا ينسبها لغيره(١٧)، فلا تقية في الأمر، ولا رهبة.

أيقبل العقل أن يلجأ أبو حيان التوحيدي إلى نسبة كتاب من كتبه إلى غيره من أبناء زمانه، وهو العالم المقدر للعلماء الساعي دوماً لإسناد ما قالوه إليهم ليبقى ذكرهم غضاً طرياً على الأيام(١٨)؟ أيعود عن هذا المبدأ في حق نفسه؟!!

موضوع الحكاية (الرسالة):

وأما موضوع الرسالة فقد تناول بغداد، وليس كل من تحدث عن بغداد كان من حقنا نسبته إلى أبي حيان التوحيدي بحجة أنه صاحب الرسالة البغدادية، يدلك على ذلك بعض المقامات التي تناولت بغداد، وحملت اسمها (المقامة البغدادية)(١٩)، فهل إذا تقدم أحد العلماء من القرن الرابع الهجري

---

(١٧) انظر: لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م: ٧/ ٣٩.

(١٨) انظر: الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، بتحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، بيروت – مكتبة الحياة، [د. ت]: ٢/ ١٣٥.

(١٩) انظر: شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين، بتحقيق: د. يوسف البقاعي، بيروت – الشركة العالمية للكتاب، ط١، ١٩٩٠م: ٤٣.

– وانظر: شرح مقامات الحريري، للإمام أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا– المكتبة العصرية، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م: ٣/ ١٠٦– ١٣٠.

- وفيه ولدت المقامات فكتب على نمطها أو ابتدأها من غير معرفة مصطلحها قبل التواضع على تسميتها مقامات - يجب أن يكون النص هو الرسالة البغدادية بحجة أن أبا حيان له رسالة بهذا الاسم، وأن بعض النصوص فيها مقتبسة من كتب أبي حيان؟!! إن هذا الفرض من المعقول بعيد ذلك أن الكتاب نفسه كما سنرى مبنـــي على فكرة الاختيار، وكل ما فيه اختيار أبي المطهر، وعبقريته في إخفاء تضمينه وإشارته بسياق حكاية أبي القاسم البغدادي، والحكاية آية عبقريته، وسيتضح دليلنا عند نقل ما قاله أبو المطهر عنها. ليس من حق أحد أن يشك في حقيقة اسم المؤلف المذكور في مقدمة الحكاية التي ألبسها الشالجي اسم الرسالة البغدادية، ونحلها التوحيدي، على أن أبا المطهر يقول مشيـــراً إلى الموضوع، وموضحاً الغاية التي يسعى إليها كتابه:

«**ثم إن هذه الحكاية عن رجل بغدادي، كنت أعاشره برهة من الدهر، فتفتق منه ألفاظ مستحسنة ومستخشنة، وعبارات لأهل بلده مستفصحة ومستفضحة، فأثبتها خاطري لتكون كالتذكرة في معرفة أخلاق البغداديـــن على تباين طبقاتهم**»[٢٠]. ووسمه باسم هو أبو القاسم أحمد بن علي التميمي البغدادي[٢١]، وسنقف على هذا الاسم عند مناقشة نسبة النص إلى أبي حيان.

ويقول أيضاً محدداً محتوى الرسالة: «**وإذا قدمت هذه الجملة فأقول:**

- المقامات الزينية، لبي الندى معد بن نصر الله بن رجب البغدادي، دراسة وتحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، بيروت — دار المسيرة، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ٨٣.

(٢٠) الرسالة البغداية: ٤٢.

(٢١) انظر: الرسالة البغدادية: ٤٦.

هذه حكاية على أحوال يوم واحدٍ، من أوله إلى آخره، وليله كذلك، وإنما يمكن استيفاؤها واستغراقها في مثل هذه المدة..»[٢٢]، فبقدرة عجيبة على الاختراع خطا الشالجي في الفراغ خطواته، وغيَّرَ اسم الحكاية للاحتجاج، رافعاً رايةً بعد رايةٍ، ونسب إلى أبي حيان ما ليس له، ورماه بما ليس فيه.

لعل مما أغراه بذلك أنه لم يعثر على ترجمة تفصح عن شخصية أبي القاسم، كما أنه لم يعثر على ترجمة مؤلف الرسالة أبي المطهر أحمد بن محمد الأزدي، ففكّر بموضوع الحكاية، وقدَّر لها اسماً ومؤلفاً، فاجتهد في غير موضع الاجتهاد، ولم يطمئن إلى أن الأصل في التحقيق هو إذا نصَّ الناسخ أو الراوي على المؤلف وقف الباحث عن الاجتهاد في تقدير اسم المؤلف واسم الكتاب، ولو فعل الباحثون ما فعل الشالجي لاضطربت بنا نسبة الكتب إلى أهلها فهذا أصل في التحقيق ركين، واستتار الأزدي في نسبة الحكاية إلى بطلها أبي القاسم البغدادي التميمي هو موضع التأويل والتقدير، فهل أراد الأزدي أن يصور أحد العلماء المعاصرين له؟ هل كان في بغداد من يحمل هذا الاسم (أبو القاسم أحمد بن علي التميمي) صراحة؟ فلو أن الشالجي تلبث قليلاً في البحث، واتهم ظنونه، لقال ما قاله زكي مبارك.

د. زكي مبارك وحكاية أبي القاسم:

وقف المبارك على النص متناً، ولم يتطرق إليه أي هاجس من هواجس الشك في نسبة الكتاب إلى مؤلفه؛ ذلك أن مقتضيات الشك منفية، غير ظاهرة ولا باطنة، فمن أين يأتيه الشك، وهو يقول:

(٢٢) انظر: الرسالة البغدادية: ٤٤.

«ليست حكاية أبي القاسم التي وضعها أبو المطهر الأزدي إلا فنوناً من القول، أراد بها وصف المجون وتصوير الماجنيـــن، من أهل بغداد وأصفهان.. وأبو القاسم البغدادي بطل القصة رجل جمع أدوات النصب والاحتيال والنفاق، وهو يشبه من بعض الوجوه.أبا الفتح الإسكندري في مقامات بديع الزمان، فإنا نراه يداري أهل المجلس فيلبس ثوب التقى والصلاح، حتى إذا رآهم على استعداد للهزل انقلب لاعباً متمرداً، عارفاً بغرائب الخلاعة والمجون»(٢٣).

فالمبارك قرر ضمناً سلامة العنوان، وصحة الإسناد؛ لأنه لم يجد مسوغاً للشك، وجرى على الأصل، والتفت إلى المتن، فعقد شبهاً بالمقامات من جهة أن المؤلف اتخذ له قناعاً هو أبو القاسم التميمي البغدادي، ووجد شبهاً بين تصرفات هذه الشخصية وشخصية أبي الفتح الإسكندري، وله بعض الحق في ذلك الحذر بالتشبيه، لأن التشبيه عند العرب لا يعني المطابقة، ذلك أن المقامات تقوم على منهج راسخ يتناول بانيها تسمية المقامة، ويردف ذلك بالإسناد، فيقول مثلاً بديع الزمان:

«المقامة الأسدية/ حدثنا عيسى بن هشام قال: كان يبلغنـــي من مقامات الإسكندري ومقالاته..»(٢٤).

فالثابت عنوان المقامة، وإسنادها إلى عيسى بن هشام مراقباً وشاهداً ومشاركاً أحياناً على فعل شخصية سردية مجهولة تتبدى في وسط العمل أو

(٢٣) النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، بيروت – دار الجيل، ١٩٧٥م: ١/ ٤١٧.
(٢٤) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني: ٢٢.

أواخر المشهد السردي بالمفاجأة المعهودة: فإذا هو - والله - أبو الفتح الإسكندري. لكن صاحب الحكاية المؤلف تخلى عن الرواية، وأنزل نفسه برتبة عيسى بن هشام مما أغرى الشالجي بما قال، لكنه لم يفطن إلى أن ناسخ العمل بل راويه تحدث عن اسم المؤلف الصريح بقوله:

«قال الشيخ الأديب أبو المطهر محمد بن أحمد الأزدي، رحمة الله عليه: أما الذي أختاره من الأدب فالخطاب البدوي، والشعر القديم، والنوادر التي اخترعتها خواطر المتأخرين من أعلام الأدباء، والنوادر التي اخترعتها قرائح المحدثين من أعيان الشعراء. هذا الذي أحصله من أدب غيري وأقتنيه، وأتحلى به وأدعيه، وأرويه من ملح ما تنفسوا به، وتنافسوا فيه، ويصدق شاهدي عليه، ويُصَدِّق شاهدي عليه، أشعار لنفسي، ورسائل سيرتها، ومقامات حضرتها..»(٢٥).

فالمؤلف يحدثنا عن نفسه، واحترس بالدعاء راوي العمل أو الحكاية عنه، أو الناسخ، تنبيهاً على موته مما يؤكد حقيقة وجوده، ولعل من المناسب أن نذكر أن أبا المطهر قد تحدث عنه «كارل بروكلمان» في تاريخ الأدب العربي النسخة الألمانية(٢٦).

وفي كلام أبي المطهر عن نفسه ما يؤكد حقيقة وجوده على الأصل،

---

(٢٥) الرسالة البغدادية: ٤٢.

(٢٦) انظر: تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان [النسخة الألمانية] القسم الثاني وفيه الجزءان الثالث والرابع معاً: ١٥٤، وقد أعانني بترجمة الرجل أ. أحمد درماز أمين مكتبة جامعة الكويت - قسم المخطوطات، فله شكري وتقديري.

وصراحته واضحة، باتخاذه قناعاً هو أبو القاسم التميمي البغدادي الذي سيحمل عن أبي المطهر اختياره وشعره، وبعضاً من مواقفه، مفصحاً بذلك عن خطة البحث وغايته.

أما اختياره من طريقة الخطاب فبدوي، يرعى حال الجماعة، ويميل مع غلبتها حيث مالت، فيكون خطابه جاداً بجدهم، هازلاً بهزلهم، يرضي طموحهم، ليشعروا أنه واحد منهم، على أي جهة مالوا يميل معهم، ذلك أن الاختيار يدل على شخصية صاحبه.

صحيح أن المثل المضروب للشخصية يدل على الضعف الإنساني، لكنه مثال موجود في ذلك القرن إلى حد الدهشة من كثرة منتحليه، وإلى حد تكوين ظاهرة مرضية، ذلك أن الناس على منهج حكامهم الذين كانوا يظهرون للناس على صورة، ويعيشون مع خلصائهم صورة أخرى من العيش تنقض ما قالوه أو تظاهروا به على الملأ.

وأما اختياره من الشعر فقبلتُه جهتا الإبداع: القديم والمحدث، ليرضي أذواق الحاضرين من محافظين ومجددين مبدعين، فهو يختار الشعر القديم، والنوادر التي اخترعتها قرائح المحدثين من الشعراء، على ما نص كلامه.

وأما اختياره من الأخبار المنثورة فمصروف إلى النوادر التي اخترعتها خواطر المتأخرين من أعلام الأدباء، فأخذ من أبي حيان ما أخذ إشارة إلى اعترافه به علماً من أعلام معاصريه، وشهرته، وسيرورة ذكره في الناس، كما تخير لأبي بكر الخوارزمي، وغيرهما، وربما تخير من غيرهما ممن لا نعلم من أدباء ذلك القرن ممن لم تصل إلينا إبداعاتهم، وربما أخذ التوحيدي

والخوارزمي والأزدي عن مصدر ثالث مازال مجهولاً عندنا.

وأما ما أضافه إلى أعمال غيره فأمور اشتقها من حياته، وهي بلسانه: أشعار لنفسي، ورسائل سيرتها، ومقامات حضرتها. وعلى هذا العرق جرت كتب عدة في ذلك الزمان، منها نشوار المحاضرة، ومنها البصائر والذخائر، والأنيس والجليس... وغيرها من المؤلفات، بيد أنها لم تعرض بطريقة الحكاية لكنها جاءت بأسلوب الرواية الصريح مما يميط اللثام عن جديد أبي المطهر المبدع المقدام.

وأما طريقته في أدب الاختيار فقد عبَّر عنها بقلبٍ نصيحٍ ولسان عربي فصيح، إذ قال: «**هذا الذي أحصله من أدب غيري وأقتنيه، وأتحلى به وأدعيه، وأرويه من ملح ما تنفسوا به، وتنافسوا فيه، ويصدق شاهدي عليه، أشعار لنفسي، ورسائل سيرتها، ومقامات حضرتها**».

فأبو المطهر يوضح لنا منهجه في سبك ما تخيـــره، وإعادة صياغته ليعود خلقاً آخر يستحق نسبته إليه، ليس من جهة المادة الأصلية، لكن من جهة طريقة الصياغة، ولتكون نسبة الحكاية إليه دالة على حقيقة الملكية لهذا الميراث بإعادة تكوينه ثانية على نحو مختلف. فهو كما ادعى الجد في المجلس تارة، وصار في الهزل عنواناً تارة أخرى عندما عرف طبيعة الحاضرين، تناول تلك المادة المتخيـــرة، وصاغها في حكاية مواطن بغدادي، جاعلاً أدب غيره له، كأنما اشتراه، أو سطا عليه فاقتناه، كما يقتنـــي البدوي الدابة يشتريها أو يسرقها، فالأمر عنده سواء بسواء، بيد أن مؤلفنا نبه على مصادره عامة، وأعتق نفسه لإبداع الحكاية فنياً، فبعد اقتناء ما أخذه صرح لنا بقوله: كل

ما في النص بعد أشعار متخيـرة من أشعاري، ورسائل من رسائلي، ومواقف من مواقفي، إنما كان من أدب غيري قمت بامتلاكه، وتزينت به، وادعيته لنفسي بعد إعادة تكوينه في هذه الحكاية مع روايته صراحة أو ضمناً اقتضاء، لمتطلبات الفن والإبداع الفني المتخيـر وسيلة لعرض هذه المادة، ورضى لواجب الأمانة العلمية أعلن ما أعلن في مطلع حكايته.

واختياره شخصية أبي القاسم ربما كان عن اختراع لها، أو كانت شخصية مشهورة في بغداد، ولا تضار الحقيقة إذا أشرت إلى أن أبا حيان ذكر رجلاً مشهوراً بالكذب في بغداد يحمل هذه الكنية، والنسبة من غير تصريح بالاسم عندما قال:

«هكذا حكاه لنا أبو القاسم التميمي اللغوي، وكان قدم بغداد، مع عضد الدولة سنة أربع وستين وثلاث مائة، وشاهدته، وكان جيد الكلام فسيح العارضة، وكان يقرف بالكذب،... وحسبك خساسة بخلّة ماحقةٍ لكل خلةٍ حسنةٍ، أعاذنا الله تعالى منه، ولا اضطرنا إليه» (٢٧).

لعل أبا القاسم الذي ذكره أبو حيان، وأنف منه، ومن كذبه، هو الذي تخيره أبو المطهر ليكون قناعاً، ليجلد به النموذج البغدادي المنحرف عن الاستقامة ممن يظهر خلاف ما يبطن، ويقول ما لا يفعل، وربما صرح أنه اتخذه لسانَ حالٍ له، إبعاداً لألسنة الناس عنه، فلم يعرض حاله كما هي بل اضاف إليها من سلوك الآخرين ليروا صورهم في فنه، ويبتعدوا من

(٢٧) البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، بتحقيق: وداد القاضي، بيروت- دار صادر، ط١، ١٩٨٤م [تاريخ المقدمة للجزء الأول].

مكروه سلوكه، فقد جرده من نفسه، ثم غمسه بأفعاله وأفعال غيره من أبناء بغداد، فجاء كما قال عنه أبو المطهر في ختام الحكاية:

«هذه حكاية أبي القاسم البغدادي التميمي، وأحواله التي توضح لك أنه كان عرةالزمان، وعديل الشيطان، ومجمع المحاسن والمقابح، متجاوزاً للغاية والحد، متكاملاً في الهزل والجد، موفوراً من الإخلاص والنفاق، متخلقاً بأخلاق أهل العراق»(٢٨).

ولعـــل غرض أبي المطهر إمتاع المتلقين بما يلقيه عليهم من ملح أهل بغداد وأصبهان، ونوادر ما يفعلون ويسلكون، ولو جعلت مجرد رواية المجون عـــاراً على الأديب لخرجت عن فلسفة أدباء القرن الرابع في الإمتاع والملح، بيـــد أن مـــا جاء في الحكاية البغدادية، ليس على فلسفة أبي حيان في رواية المجون، والملح عن سابقيه ومعاصريه(٢٩)، وحسبك نتفاً سريعة تكشف عن

---

(٢٨) الرسالة البغدادية: ٣٩١.

(٢٩) انظر: نشوار المحاضرة، للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي، بتحقيق: عبود الشـــالجي المحامي ١٣٩١هـــ- ١٩٧١م: ١/ ٥، وقال في موضع آخر (وكان القوم الذين استكثرت منهم، وأخذت ذلك عنهم، يحكونه في أثناء مذاكراتهم، وفي عـــرض مجاراتهم، وبعد انقضاء ملحهم وآدابهم، والخوف من مللٍ يلحق الســـامعيـــن لعلومهم وحكمهم، نفياً للمساكتة، واجتـــراراً للمثاقفة، وصلة للمجالســـة، وفتحاً للمؤانسة، وسبراً لأحاديث الدنيا ماضيها وباقيها.) نشوار المحاضرة: ١/ ٧- ٨.

- شرح مقامات الحريري: ١/ ٣١، ٤٥- ٤٦.

فلسفة الأملوحة عند أبي حيان؛ لتتضح المسافة بين الحكاية البغدادية ومذهب أبي حيان في هذا الفن الأدبي المروي، وذلك بقوله:

«وأما حديث الزهاد وأصحاب النسك... فإن فيه تنبيهاً حسناً، وإرشاداً مقبولاً، وكما قصدنا بالهزل الذي أفردنا فيه جزءاً جماماً للنفس، قصدنا بهذا الجزء الذي عطفنا عليه إصلاحاً للنفس، وتهذيباً للخلق، واقتداء بمن سبق إلى الخير»(٣٠).

وقال في موضع آخر على لسان الوزير البويهي: «**وقال مرة: تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية، ونأخذ من الهزل بنصيب وافر، فإن الجد كدنا، ونال من قوانا، وملأنا قبضاً وكرباً**»(٣١).

وقال أيضاً على لسان الوزير في هذا الأمر: «**وربما عيب هذا النمط كل العيب، وذلك ظلم؛ لأن النفس تحتاج إلى بشْرٍ، وقد بلغني أن ابن عباس كان يقول في مجلسه، بعد الخوض في الكتاب والسنة والفقه والمسائل: أحمضوا(٣٢). وما أراه أراد ذلك إلا لتعديل النفس لئلا يلحقها**

- كشف المعاني عن رسائل بديع الزمان الهمذاني، للعلامة الشيخ: إبراهيم الأحدب الطرابلسي، بيروت – دار التراث، [د. ت]: ٢٤١.

(٣٠) الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، بتحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، بيروت – دار الحياة، [د.ت].

(٣١) الإمتاع والمؤانسة: ٢/ ٥٠.

(٣٢) انظر: الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، بتحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت – دار المعرفة، ط٢، ١٣٩١هـ: ١/ ٣٢٠.

كلال الجد، ولتقتبس نشاطاً في المستأنف، ولتستعد لقبول ما يرد عليها، فتسمع، والسلام»[٣٣].

لاشك أن أبا حيان لم يذكر الليالي الماجنة لمجونها، إلا لاتباع المجون، ولا الأملوحة للهزل من غير قصد، فقد كشف لنا عن فلسفته مراراً كثيرة، مفادها أنها تأتي في عمل لدفع ملل يصيب المتلقين، وجعل لنفسه سنداً شرعياً بما روي عن ابن عباس. فوظيفة الهزل في حكاية أبي القاسم بعيدة من وظيفته في كتب أبي حيان، فكيف تنسب لأبي حيان على بعدها من فلسفته ومشاركة غيره له في هذا الأمر؟.

مما تقدم تبيّن أن المؤلف هو أبو المطهر محمد بن أحمد الأزدي، واتضح منهجه في بناء كتابه بلسانه، وغرضه من عمله، فصار لزاماً علينا قياس حجج الشاجلي بما قاله الأزدي.

النقول عن التوحيدي:

حقاً لقد نقل أبو المطهر عن أبي حيان، ولم يشر إليه صراحة، وهو ما أشار إليه الشاجلي، بيد أن هذا الأخذ لا يدل على أن المؤلف هو أبو حيان، لسببيـــن: الأول يكمن في تصريح الأزدي: «**والنوادر التي اخترعتها**

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، بيروت – دار الكتب العلمية، [د.ت] ٢/ ٢٦٥.

– فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، القاهرة – المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦هـــ: ٤/ ٤٥٩.

(٣٣) الإمتاع والمؤانسة: ٢/ ٦٠.

خواطر المتأخرين من أعلام الأدباء، والنوادر التي اخترعتها قرائح المحدثيـــن من أعيان الشعراء. هذا الذي أحصله من أدب غيري، وأقتنيه، وأتحلى به وأدعيه، وأرويه من ملح ما تنفسوا به، وتنافسوا فيه، ويصدق شاهدي عليه، ويصدق شاهدي عليه، أشعار لنفسي، ورسائل سيرتها، ومقامات حضرتها..»[٣٤].

فأبو المطهر صرح أنه يأخذ النوادر التي اخترعتها خواطر المتأخرين من أعلام الأدباء، فرمى عينه على أبي حيان وأخذ عنه ما أخذ، وتقدمت الإشارة إلى بعضه في عرض حجج الشالجي، ولكنه لم يكتف بالأخذ عنه بل أخذ عن رجل آخر يكاد يقع عليه القول الذي اشترطه من مواقف وأشعار خاصة به ورسائل، وذلكم هو أبو بكر عمر بن العباس الخوارزمي[٣٥]، وكانت علاقته بالصاحب بن عباد قوية متينة بنيت على قصائد المديح وتظاهرِ أبي بكرٍ بالتشيع، لكن العلاقة ختمت بالقطيعة[٣٦]، وكان من قبل ذلك يأخذ عطاياه كما يقول التوحيدي[٣٧].

(٣٤) الرسالة البغدادية: ٤٢.

(٣٥)انظــر: رسائل أبي بكر الخوارزمي، لأبي بكر الخوارزمي، قدم له الشيخ نسيب وهيــبة الخــازن، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٠م: ٢٤٤، وما بعدها، فقد أخذ عنه صفحات طوالاً، وأشار إلى ذلك د. زكي مبارك.

(٣٦) انظر: غربال الزمان في وفيات الأعيان، تأليف العلامة: يحيى بن حسين العامري الحَرَضــي اليماني، تصحيح محمد ناجي زعبي العمر، دمشق - مطبعة زيد بن ثابت، ١٤٠٥هــ - ١٩٨٥م: ٣٢٥.

(٣٧) انظر: أخلاق الوزيرين، لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، حققه وعلق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، بيروت – دار صادر، ١٤١٢هــ- ١٩٩٢م: ١٠٧- ١٠٨.

والسبب الثاني في إهمال الإشارة إلى من أخذ عنهم طبيعة الحكاية التي تختلف في بنيتها السردية عن الدراسات العلمية، ولذلك أخذ عن كثيرين و لم يشر إليهم.

فالاختيار من أبي حيان وغيره، ومن ثم فلا معنى لنسبة النص إلى أبي حيان دون سواه.

الأشعار ليست لأبي حيان التوحيدي:

ولو أنصف الشالجي لأسند الرسالة – على فساد حججه – للرازي بسبب الأشعار التي يتشيع فيها لآل البيت – رضوان الله عنهم – لكن التحقيق يرد ذلك، فالأبيات ليست في أشعار الخوارزمي، ولو كانت في أشعاره ما كانت الحكاية ستنسب إليه لأن أساس بنائها قائم على الاختيار من غير عزو لأهلها بل كانت تعزى للتميمي، حتى صرح الرجل أن هذا الذي حصله من أدب غيره اقتناه، وتحلى به وادعاه، أبعد هذا نتسب الأشعار كلها إليه؟ كما أنها ليست لأبي حيان، ولا أقول هذا جزافاً فصحبتي له طويلة، وما يصح له شعر عندي على الحقيقة وكل ما وصل إلينا سبعة أبيات، خمسة منهن على الكامل جاءت في كتاب الوافي بالوفيات[٣٨]:

يـــا صـــاحبيَّ دعا الملامةَ واقصُرا ... تــرك الهــوى يا صاحبيَ خَسَارَه
كـــم لمتُ قلبي كي يفيقَ فقالَ لي ... لجَّـــتْ يمـــينٌ مـــا لهـــا كفَّاره
أن لا أفيـــقَ ولا أفـــتِّر لحظـــةً ... إن أنـــتَ لم تعشق فأنتَ حجاره
الحـــبُّ أولُ مـــا يكـــون بنظرةٍ ... وكـــذا الحـــريق بـــداؤه بشراره
يـــا مـــن أحبُّ ولا أسمّي باسمها ... إيـــاكِ أعـــني واسمعـــي يا جاره

(٣٨) انظر: الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٤١.

معزوة على الوهم لأبي حيان التوحيدي؛ أقول هذا لأن التوحيدي نفسه أسند الأبيات المشار إليهن لأبي حيان البصري[٣٩]، ولم يسندهن إلى نفسه. وبيتان من الخفيف ذكرهما ابن حجر العسقلاني، وهما[٤٠]:

قـلْ لبدر الدُّجى وبحر السّماحه والـذي راحـتاه للـناس راحه
مـا تركتُ الحضور سهواً ولكن أنـت بحرٌ ولست أدري السباحه

ولو صح أن له مشاركة نظمية على طريقة أشعار العلماء، وأن الأزدي تخير من نظمه بيتيـن، فإنها لا تستحق الذكر أو الهجوم الذي قدمه الشالجي واصفاً أشعاره بالغثاثة وازناً شعره بشعر شاعر مكثر كابن الحجاج، وتمنيت لو وجدت الأبيات في حكاية أبي القاسم ليكون لقوله ممسك من الوهم، فما وجدت. فهل كان أبو حيان شاعراً؟ وهل إذا جاءت بعض أشعاره في الحكاية صارت دليلاً على أنها له، بعد أن أوضح الأزدي أن له شعراً سيذكر بعضه في الحكاية؟ فهل كان له حقيقة أو ادعاء على نحو ما نبه وصرح؟!

بغدادية أبي حيان:

حقاً عاش أبو حيان في بغداد حيناً من الدهر، لكنها ليست موضع انحياز عنده، كما أن العلماء ليست أوطانهم موضع انحياز علمي عندهم، ذلك أن نسبهم إلى العلم يجعل الحقيقة أقرب إليهم من أي عصبية أخرى،

(٣٩) انظر: أخلاق الوزيرين: ٣٠٩.

(٤٠) انظر: لسان الميزان: ٧/ ٣٩.

وآصرة العلم والبحث العلمي مقدمة على الأواصر الأخرى في باب العلم والبحث عن الحق والحقيقة، ولك أن تتصور مقدار مغامرة الشالجي، وقد ادعى انحياز أبي حيان في الرسالة إلى بغداد، وأنه هاجم أصبهان؛ لأنها لم تكن دار فتوته وصباه، وكم تدهش من علامات الانحياز لبغداد، وقد وصف أهلها بأوصاف القلة الشاذة على كثرة بوابات الفسق والمجون والغناء والكذب والنفاق. فإذا كانت هذه الصفات التي لا تخلو منها مدينة تعيش طور التفسخ الحضاري، وهي ظواهر السقوط الحضاري للدولة وللأمة تعد عند الشالجي من عوامل تفضيل بغداد على أصبهان، فإن الموازين باتت معكوسة، والأذواق أصبحت مشموسة، والتسميات صارت مقلوبة، وإذا تفاضلت الأمم بالطعام وفنونه، فما عاد للمدنية التي تقدم العقل والعلم والإرادة على جهات البطن والفرج، من معنى.

أقول هذا الكلام على جهة نقض الفرض بعد التسليم بصحة ما افترضه الشالجي. إذا عاد المرء إلى العلماء القدامى وجدهم حيارى، لا يتمتعون بهذا الاطمئنان الذي يعيشه الباحثان (الشالجي والزمامة) ذلك أنهم يدركون أمانة الكلمة، وعظم الحقيقة الخالصة من الهوى، وقلق السؤال، وقمع لجام النفس، والفصل بين تحقيق العلم، واطمئنان الغفلة، لذلك اختلفوا في أصل أبي حيان: أشيرازي[٤١]، أم نيسابوري[٤٢]، أو واسطي[٤٣]، أم

(٤١) انظر: معجم الأدباء: ٥/ ٣٣٧.

(٤٢) انظر: معجم الأدباء: ٥/ ٣٣٧.

(٤٣) انظر: معجم الأدباء: ٥/ ٣٣٧، طبقات الشافعية، :/ ١٨٥.

بغدادي[٤٤]، وأضعف الأقوال أنه ولد في بغداد، وأقواها أنه من شيراز، وحسبك ابن حجر، إذ يقول: «**قرأت في كتاب فلك المعاني، للشريف أبي يعلى ما نصه: كان أبو حيان التوحيدي من شيراز، وهو شيخ الصوفية، وأديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء، وإمام البلغاء، زاهدهم، ومحسنهم**»[٤٥].

ففي كلام الشريف ما يدفع عن أبي حيان تهمة الانحياز لدار فتوته وصباه، لو صح ما ادعاه الشالجي، وفيه ما يرد عنه حضور مجالس المجون والفسق، واتهام شعره بالغثاثة والركاكة، فهو متصوف من الجهة الأولى، وإمام البلغاء من الجهة الثانية، فأين الحق من ادعاء الشالجي؟!

مع يقيني أن الرسالة هي حكاية أبي القاسم البغدادي الشخصية الفنية التي ابتدعها أبو المطهر، أو اشتقها من حياة بغداد في تلك الأزمنة، فإني درست كتب أبي حيان، وعدت إلى فهارس كتبه، وفهارس الأفكار التي تصح لأبي حيان، فما وجدت إلا حكايات يحكيها عن أهل أصبهان كما يحكيها عن أهل بغداد، ولك أن تعود إلى مواضع ذكر بغداد وأصبهان في

(٤٤) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، بتحقيق: د. إحسان عباس، وعلي محمد السجاوي، بيروت - دار صادر، [د. ت]: ٥/ ١١٢، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، بتحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٢، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨٢م: ١٧/ ١١٩، وديوان الإسلام لشمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد السلام الغزي، بيروت - دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م: ١٤٩.

(٤٥) لسان الميزان: ٧/ ٣٩.

البصائر والذخائر، والإمتاع والمؤانسة، وستجد أن ما يحيه يكاد يكون واقعاً لا يدفع، ولا أعلم سنداً لقول إنه كان ينتصر لبغداد على حساب أصبهان، ولا أريد أن أثقل على المتلقين الكرام بمزيد من النقول عن المدينتيـــن، فإذا لم يكن لهذا القول أصل في كتبه الثابتة فكيف نقبل مثل تلك الادعاءات التي لا تثبت على النظر، في كتاب نسب إليه ظلماً وعدواناً.

مما تقدم تثبت براءة أبي حيان من تهمة الانحياز لبغداد على حساب أصبهان، فلم تكن فكرة الموازنة بينهما مما يرد على ذهنه أو عقله، بل كان ذلك من شأن الأزدي والتميمي في حكاية أبي القاسم البغدادي.

مما تقدم يثبت أن ما جاء به الشالجي من أدلة على تسمية حكاية أبي القاسم البغدادي لا دليل فيها، ولا علامة تصح على نسبتها لغير أبي المطهر محمد بن أحمد التميمي البغدادي، ومن الملاحظ في الباحث أنه حمل على أبي حيان حملة مبنية على كره شديد له، فقد التمس العفة والعذر لمغنيات بغداد وجواريها في القرن الرابع، ورمى أبا حيان بكل نقيصة إلى حد الاختراع وإلصاق الرذائل به، من غير مراعاة لآداب العلم وحقوق العلماء بعضهم على بعض، فقال يدافع عن جارية من جواري بغداد:

«إن جارية مثل زاد مهر في أدبها وترفعها لا يعقل أن تبعث مثل هذه الرسالة، ولكن التوحيدي يتخيل ثم يخال، ويزور الكلام في صدره»(٤٦).

هل هذا هو الورع المرغوب الذي يلتمس العفة للجواري والمغنيات، ويرمي العلماء بالتخيل والكذب والتزوير؟ يا له من ورع!!

---

(٤٦) الرسالة البغدادية: ٢٣٢.

وأحَب أن أختم المقالة بما رواه أبو حيان التوحيدي، عن ابن المقفع، وأتجه به إلى العاملين في حقول العلم كافة، إذ قال:

«قلتُ: قال ابن المقفع: عملُ الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف. وتركه العمل بما يعلم أنه صواب تهاونٌ، والتهاون آفة الدين. وإقدامه على ما لا يعلم أصواب هو أم خطأ لجاج، واللجاج آفة الرأي» (٤٧).

* * *

المصادر والمراجع

١- أخلاق الوزيرين، لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، حققه وعلق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، بيروت - دار صادر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، بتحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، بيروت - مكتبة الحياة، [د.ت].

٣- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، بتحقيق: وداد القاضي، بيروت - دار صادر، ط١، ١٩٨٤م [تاريخ المقدمة للجزء الأول].

٤- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان [النسخة الألمانية] القسم الثاني وفيه الجزءان الثالث والرابع معاً.

٥- ديوان الإسلام لشمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد السلام الغزي، بيروت - دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٦- ديوان ابن الرومي، بتحقيق د. حسين نصار.

---

(٤٧) الإمتاع والمؤانسة: ٢/ ٢٣.

٧- رسائل أبي بكر الخوارزمي، لأبي بكر الخوارزمي، قدم له الشيخ نسيب وهيبة الخازن، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٠م.

٨- الرسالة البغدادية، نسبها ناسخها وشارحها عبود الشالجي إلى أبي حيان التوحيدي، بيروت - دار الجمل، ط٢، ١٩٩٧.

٩- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، بتحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٢، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨٢م.

١٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، بيروت – دار الكتب العلمية، [د.ت].

١١- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين، بتحقيق: د. يوسف البقاعي، بيروت - الشركة العالمية للكتاب، ط١، ١٩٩٠م.

١٢- شرح مقامات الحريري، للإمام أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا - المكتبة العصرية، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٣- غربال الزمان في وفيات الأعيان، تأليف العلامة يحيى بن حسين العامري الحَرَضي اليماني، تصحيح محمد ناجي زعبي العمر، دمشق - مطبعة زيد بن ثابت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٤- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، بتحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت- دار المعرفة، ط٢، ١٣٩١هـ.

١٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، القاهرة - المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٦- كشف المعاني عن رسائل بديع الزمان الهمذاني، للعلامة الشيخ: إبراهيم الأحدب الطرابلسي، بيروت - دار التراث، [د.ت].

١٧- لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

١٨- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٦) الجزء (٣)، سنة ٢٠٠١م.

١٩- مجمع البحرين، للشيخ ناصيف اليازجي، بيروت دار صادر، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٢٠- المقامات الزينية، لأبي الندى معد بن نصر الله بن رجب البغدادي، دراسة وتحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، بيروت- دار المسيرة، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢١- النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، بيروت - دار الجيل، ١٩٧٥م.

٢٢- نشوار المحاضرة، للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي، بتحقيق: عبود الشالجي المحامي،؟؟ ، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٢٣- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، باعتناء هلموت ريتر، ألمانيا، فسبيادن - دار النشر فرانز شتاينر، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.

٢٤- وفيات الأعيان، لابن خلكان، بتحقيق: د. إحسان عباس، وعلي محمد البحاوي، بيروت - دار صادر، [د.ت].

تعليق على الرسالة البغدادية

الدكتور إحسان النص

ذهب الباحث الفاضل الدكتور عبد الكريم حسين إلى أن الرسالة البغدادية التي حققها ونشرها الأستاذ عبّود الشالجي، رحمه الله، ليست لأبي حيّان التوحيدي، خلافاً لما ذهب إليه الأستاذ الشالجي.

وقد عرض الدكتور عبد الكريم جملة من الأدلة التي تدفع نسبة الرسالة إلى أبي حيان، والأستاذ الباحث مشكور لما بذل من جهد في تحقيقه نسبة هذه الرسالة.

وقد رجعت إلى نص الرسالة التي نشرها الأستاذ الشالجي ونظرت في الأدلّة التي سوّغ بها نسبة الرسالة إلى التوحيدي، وحين ميّلت بين الرأيين اتجهت إلى موافقة الشالجي في رأيه، بيد أنني لم أقطع بيقين فيما بدا لي.

ومسوّغات نسبتها إلى أبي حيّان تتلخص فيما يأتي:

١- ورود ذكر الرسالة البغدادية في جملة مؤلفات التوحيدي التي ذكرها ياقوت في معجم الأدباء، ولم تصل إلينا من مؤلفات التوحيدي رسالة بهذا العنوان غير الرسالة التي حققها الشالجي والتي تحمل في الأصل عنوان: حكاية أبي القاسم البغدادي.

٢- ورود نقول بنصها في الرسالة البغدادية في مؤلفات التوحيدي التي انتهت إلينا ومنها: الإمتاع والمؤانسة، وأخلاق الوزيرين، والبصائر والذخائر.

٣- نسبت الرسالة إلى أبي المطرّف الأزدي، ولم نقع على ترجمة لهذا الرجل في أي من كتب التراجم، ولا ندري إن كان له وجود حقيقي أو أنه شخص اخترعه المؤلف.

٤- الرسالة تروي حكاية أبي القاسم التميمي البغدادي، ويذكر أبو حيان في (البصائر والذخائر) أنه لقي هذا الرجل حين قدم بغداد مع عضد الدولة، ونعته بسعة المعرفة ولكنه معروف بالكذب والخسّة. فشخصية أبي القاسم هذا حقيقية وليست من اختراع المؤلف، واجتماع أبي حيان به يرجّح ترجيحاً قوياً أن الرسالة من تأليفه.

٥- لم يشأ أبو حيان نسبة الرسالة إلى نفسه لما احتوت عليه من ألفاظ فاحشة وصور نابية، تجنباً لما قد يُوجه إليه من اللوم، مع أن الرسالة مروية على لسان أبي القاسم البغدادي، فآثر أن يتوارى وراء اسم المؤلف أبي المطرّف، ولاسيما أن أبا حيان كان يجالس الوزراء والكبراء. وهذا يشبه صنيع بديع الزمان الهمذاني في مقاماته، إذ اخترع اسم راويها عيسى بن هشام وبطلها أبي الفتح الإسكندري.

(آراء وأنباء)

قانون المجمع

قانون رقم ٣٨

رئيس الجمهورية

بناء على أحكام الدستور

وعلى ما أقره مجلس الشعب في جلسته المنعقدة بتاريخ ٧- ٣- ١٤٢٢هـ و٢٩- ٥- ٢٠٠١م.

يصدر مايلي:

المادة ١- يقصد بالتعابير التالية في معرض تطبيق هذا القانون ما هو مبين بجانب كل منها:

المجمع: مجمع اللغة العربية

الوزير: وزير التعليم العالي

الأمين: أمين المجمع

المجلس: مجلس المجمع

المكتب: مكتب المجمع

المؤتمر: مؤتمر المجمع السنوي

المادة٢- مجمع اللغة العربية هيئة عامة مستقلة ذات طابع علمي وشخصية اعتبارية واستقلال مالي وإداري ترتبط بوزير التعليم العالي ومقرها مدينة دمشق وتلحق بها دار الكتب الظاهرية.

المادة٣- أغراض المجمع:

أ – المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطورة.

ب – وضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهجية محددة والسعي في توحيدها ونشرها في الوطن العربي.

ج- العناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها وصلتها بالحضارات الأخرى.

د – العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقاً ونشراً.

هـ- النظر في أصول اللغة العربية وضبط أقيستها، وابتكار أساليب ميسرة لتعليم نحوها وصرفها وتوحيد طرائق إملائها وكتابتها، والسعي في كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية وتطويرها وانتشارها.

و- السعي في الحؤول دون استفحال العامية في شتى المجالات.

ز- النظر في كل ما يرد إلى المجمع من موضوعات تتصل بأغراضه.

المادة ٤- وسائل تحقيق أغراض المجمع:

آ – وضع معجمات لغوية عصرية ومعجمات للمصطلحات العلمية ذات تعريفات محددة.

ب – إصدار الكتب والنشرات ونشر ما يراه مناسباً لأغراضه في مجلة المجمع، وما يلائم أعماله المجمعية والثقافية من نصوص ودراسات ومصطلحات.

ج – عقد مؤتمر سنوي وندوات وإلقاء محاضرات تتصل بأغراض المجمع، والاشتراك في ما يدعى إليه المجمع من ندوات ومؤتمرات مماثلة.

د – توثيق الصلة باتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية والتعاون مع المجامع والهيئات اللغوية والعلمية الأخرى لخدمة أغراضه.

هـ – الاستعانة بكل ما تتيحه التقانات الحديثة من وسائل لخدمة اللغة العربية.

و – السعي لدى الجهات المسؤولة لاتخاذ كل ما يكفل تنفيذ ما ينتهي إليه المجمع من قرارات لسلامة اللغة وتيسير تعميمها وتوحيد المصطلحات فيها.

ز – اتخاذ ما يراه من تدابير لخدمة أغراضه.

المادة ٥– للمجمع مجلس ومكتب ولجان دائمة ولجان مؤقتة، وتحدد اختصاصات هذه اللجان وكيفية تأليفها في اللائحة الداخلية.

المادة ٦– يتألف المجلس من أعضائه المنتخبين، الذين صدرت مراسيم اعتماد انتخابهم، وعددهم خمسة وعشرون عضواً من العرب السوريين.

المادة ٧– يشترط في عضو المجمع أن يتحلى بصفة أو أكثر من الصفات التالية:

أ – الاطلاع الواسع والعميق على علوم اللغة العربية وآدابها والأصالة في البحوث اللغوية والأدبية.

ب – الإنتاج اللغوي أو الأدبي أو العلمي الرفيع في مجال اللغة العربية.

ج- التخصص في أحد العلوم العصرية مع إتقان لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية الحديثة أو القديمة مع إطلاع حسن على قواعد اللغة العربية.

د - الاهتمام البالغ بالتراث والمخطوطات العربية مع دراية تامة بعلوم اللغة العربية.

هـ- التخصص في تاريخ الأمة العربية أو آثارها أو تراثها اللغوي أو العلمي أو الأدبي مع التمكن من علوم اللغة العربية.

وفي جميع الأحوال ينبغي أن يكون العضو المنتخب محمود السيرة، حسن الخلق ذا سلوك قويم.

المادة ٨- ينتخب المجلس أعضاء المجمع بالاقتراع السري من بين المرشحين الذين تتوافر فيهم شروط العضوية ويتم الترشيح بتزكية عضوين من أعضاء المجمع، ولا تعد جلسة الانتخاب قانونية إلا إذا حضرها ما لا يقل عن ثلثي الأعضاء وفقاً للائحة الداخلية، ويكون انتخاب المرشح صحيحاً إذا حصل على الأغلبية المطلقة من أصوات الحاضرين، ويصدر مرسوم باعتماد العضوية.

المادة ٩- عضوية المجمع تكريم لمن يكتسبها، فهي ذات صفة دائمة، وفي أحوال استثنائية يفقد العضو صفة العضوية بمرسوم مبني على اقتراح من المجلس في إحدى الحالات التالية:

أ - إذا تقدم باستقالة خطية وقبلها المجلس.

ب- إذا انقطع عن المشاركة في أعمال المجمع وحضور جلساته أكثر من سنة من غير عذر يقبله المجلس.

ج- إذا صدر بحقه حكم مبرم في جريمة مخلة بالشرف.

المادة ١٠– يجوز منح لقب – عضو شرف – في المجمع لمن يكون قد أدى خدمات جليلة للغة العربية أو للثقافة أو للمجمع. ويكون ذلك بقرار من المجلس، ويصدر مرسوم باعتماد منح اللقب.

المادة ١١– يتألف المؤتمر من أعضاء المجمع وممن يرى المجلس دعوتهم من الأعضاء المراسلين وأعضاء الشرف وأعضاء المجامع الأخرى.

المادة ١٢– ينعقد المؤتمر في دورة سنوية في الربع الأخير من العام، وتصدر الدعوة إليها بقرار من رئيس المجمع بعد موافقة المجلس.

المادة ١٣– يختص المؤتمر بالنظر في ما يعرض عليه من أعمال المجمع العلمية ومن البحوث والمقترحات.

المادة ١٤– للمجمع رئيس ونائب رئيس وأمين يختارهم المجلس بالاقتراع السري من بين المرشحين من أعضائه لمدة أربع سنوات في جلسة يحضرها ما لا يقل عن ثلثي الأعضاء، ويكون انتخاب المرشح صحيحاً إذا حصل على أصوات أغلبية الحاضرين المطلقة ويصدر مرسوم باعتماد انتخاب رئيس المجمع ويعتمد انتخاب كل من نائب رئيس المجمع والأمين بقرار من الوزير.

المادة ١٥– يعقد المجلس جلسات عادية أو استثنائية وفقاً لما هو مبين في اللائحة الداخلية، ولا يكون اجتماعه قانونياً إلا بحضور ما لا يقل عن نصف الأعضاء، وفي غير الأحوال التي يشترط فيها أغلبية خاصة تصدر القرارات بأغلبية الأعضاء الحاضرين وعند التساوي يرجح الجانب الذي فيه الرئيس.

المادة ١٦- يختص المجلس بما يلي:

أ – انتخاب أعضاء المجمع ورئيس المجمع ونائبه والأمين وعضوي المكتب.

ب – اقتراح اللائحة الداخلية والنظام الداخلي للمجمع ودار الكتب الظاهرية الملحقة به.

ج- تأليف لجان دائمة أو مؤقتة، وله أن يضم إليها بعض الخبراء من ذوي الاختصاص.

د – النظر في ما تنتهي إليه هذه اللجان من أعمال أو قرارات.

هـ – تسمية من يمثل المجمع في المؤتمرات أو الندوات أو الهيئات العلمية.

و – النظر في ما تعرضه الهيئات العلمية أو الجهات الرسمية أو الخاصة أو الأفراد في الجمهورية العربية السورية أو خارجها على المجمع مما يتصل بأغراضه.

ز – قبول ما يرد للمجمع من هدايا وتبرعات ووصايا ضمن حدود الأنظمة النافذة.

ح – اعتماد مشروع موازنة المجمع.

ط – وضع خطة سنوية لأعمال المجمع.

ي – دراسة التقرير السنوي للمجمع وإقراره.

ك – النظر في كل ما يتصل بأغراض المجمع ووسائل تحقيقها.

المادة ١٧- يمارس رئيس المجمع الصلاحيات التالية:

أ — الإشراف على أعمال المجمع العلمية والإدارية والمالية وتمثيله أمام القضاء والنيابة عنه لدى الغير.

ب — صلاحيات الوزير بالنسبة للعاملين في المجمع وفي جميع شؤونه المالية والإدارية.

ج — دعوة المجلس إلى الاجتماع ورئاسة جلساته وتنفيذ ما يصدر عنه من قرارات وله أن يحضر اجتماعات اللجان وأن يدعو أي لجنة إلى الاجتماع عند الحاجة، وبوجه عام يتخذ كل ما يراه مناسباً من قرارات لتنشيط أعمال المجمع.

المادة ١٨— يتولى نائب رئيس المجمع الأعمال والمهام التالية:

أ — معاونة رئيس المجمع في مهامه وقيامه بما يكلفه من أعمال.

ب — إعداد الخطة السنوية لعرضها على المجلس.

ج — الإعداد لعقد المؤتمر السنوي.

د — جميع اختصاصات رئيس المجمع وصلاحياته عند غيابه.

المادة ١٩— يمارس الأمين الصلاحيات التالية:

آ — معاونة رئيس المجمع ونائبه في الأعمال العلمية والإدارية والمالية والإشراف عليها إشرافاً مباشراً، وخاصة محاضر الجلسات والمراسلات، ومتابعة تنفيذ قرارات المجلس والمكتب واللجان، وله صلاحيات معاون الوزير فيما يتعلق باختصاصاته.

ب - إعداد جداول أعمال جلسات المجلس والمكتب.

ج- مراقبة إنفاذ الخطة السنوية وإعداد التقرير السنوي عن أعمال المجمع لعرضه على المجلس.

د – إعداد مشروع موازنة المجمع.

هـ– الإشراف على دار الكتب الظاهرية وأعمالها.

المادة ٢٠– يثابر رئيس المجمع ونائبه والأمين الذين تنتهي مدة تعيينهم على القيام بأعمال مناصبهم إلى أن تصدر الصكوك القاضية بتعيين من يخلفهم.

المادة ٢١– يتألف المكتب من رئيس المجمع ونائبه والأمين واثنين من أعضائه ينتخبان لمدة أربع سنوات.

المادة ٢٢– يختص المكتب بما يلي:

أ – إدارة أعمال المجمع المالية والإدارية واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها.

ب – دراسة مشروع موازنة المجمع، ورفعه إلى المجلس.

المادة ٢٣– للمجلس أن يختار أعضاء مراسلين له ممن يرى الاستعانة بهم في تحقيق أغراضه، ويصدر باعتمادهم قرار من الوزير.

المادة ٢٤– أ – للمجمع أن يعين فنيين من حملة المؤهل العلمي المطلوب لعضوية الهيئة الفنية في جامعات الجمهورية العربية السورية عن طريق المسابقة أو النقل. تطبق على هؤلاء الفنيين الأحكام القانونية المطبقة على أعضاء الهيئة الفنية في الجامعات الواردة في قانون الموظفين الأساسي رقم ١٣٥ لعام ١٩٤٥ وتعديلاته وقانون تنظيم الجامعات رقم ١ لعام ١٩٧٥ ولائحته التنفيذية الصادرة بالمرسوم رقم ٢٠٥٩ لعام ١٩٨٢ وتعديلاتهما ويتقاضون تعويض التفرغ الذي يتقاضاه أمثالهم في الجامعات

ويخضعون لأحكام التفرغ الواردة في المرسوم التشريعي رقم ٨٧ تاريخ ١٠ - ١٠- ١٩٧٥ وتعديلاته.

ب – يجوز تفرغ عضو هيئة التدريس في جامعات الجمهورية العربية السورية للبحث العلمي في المجمع بقرار من الوزير لمدة عام بناء على اقتراح المجلس وموافقة مجلس الجامعة المختص. كما يجوز تجديد القرار سنوياً.

المادة ٢٥–

أ – يتقاضى أعضاء المجمع تعويضاً شهرياً يعادل ٦٠% من الحد الأقصى لأجر العامل من الفئة الأولى الوارد في الجدول رقم ١ الملحق بالقانون الأساسي للعاملين في الدولة رقم ١ لعام ١٩٨٥ وتعديلاته.

ب – يتقاضى رئيس المجمع ونائبه والأمين التعويضات الممنوحة بالمرسوم رقم ١٠٣٨ لعام ١٩٧٣ إضافة إلى التعويض الشهري المنصوص عليه في الفقرة /آ/ من هذه المادة.

تحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح المجلس، التعويضات المتعلقة بحضور جلسات المجلس واللجان الدائمة والمؤقتة وتعويضات الإنتاج الفكري والتعويضات التي تمنح للخبراء وسائر التعويضات المتعلقة بنشاطات المجمع، ولا تسري القيود في القوانين والأنظمة المختلفة على التعويضات والمكافآت التي يستحقها أعضاء المجمع وخبراؤه.

المادة ٢٦– يحدد الملاك العددي لأعضاء الهيئة الفنية في المجمع وفق الجدول المرافق.

المادة ٢٧– تصدق اللائحة الداخلية للمجمع بقرار من الوزير بناء على اقتراح المجلس.

المادة ٢٨– تستمر عضوية أعضاء المجمع الحاليين.

المادة ٢٩– يبقى رئيس المجمع ونائبه والأمين الحاليون في مناصبهم حتى تمام مدة كل منهم.

المادة ٣٠– يصبح عضوا اللجنة الإدارية الحاليان عضوين في مكتب المجلس حتى تمام مدة كل منهما.

المادة ٣١– أ – يستمر العمل باللائحة الداخلية للمجمع الصادر بالقرار الوزاري رقم ٣١ لعام ١٩٦٠ انفاذاً للقرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠ حتى صدور لائحته الداخلية الجديدة.

ب – يضع مجلس المجمع التعليمات التنفيذية التي يراها ضرورية لمعالجة الحالات التي لم يرد عليها نص في هذا القانون وبما لا يتعارض مع أحكامه.

المادة ٣٢– ينهى العمل بالقرار الجمهوري ذي الرقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ وسائر الأحكام المخالفة لهذا القانون.

المادة ٣٣– ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية.

دمشق في لـ ١٥/ ٣/ ١٤٢٢هـ و٦/ ٦/ ٢٠٠١

رئيس الجمهورية

بشار الأسد

جدول أعضاء الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية

اسم الوظيفة والمرتبة	العدد
قائم بالأعمال — رابعة أو ثالثة	٧
مشرف على الأعمال — ثالثة أو ثانية أو أولى	٧
مدير أعمال - ثانية أو أولى أو ممتازة	٧
المجموع	٢١

* * *

اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية

قرار رقم ٢/ ت.ع

بموجب القرار رقم ٢/ ت.ع تاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٢

يعمل **باللائحة الداخلية** لمجمع اللغة العربية المرافقة لهذا القرار وينهى العمل باللائحة الداخلية الصادرة بالقرار الوزاري رقم ٣١ لسنة ١٩٦١م.

اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية

الفصل الأول

تعريفات

المادة ١– يقصد بالتعابير التالية في معرض تطبيق هذه اللائحة الداخلية ما هو مبين بجانب كل منها.

المجمع: مجمع اللغة العربية.

الوزير: وزير التعليم العالي.

الأمين: أمين المجمع.

المجلس: مجلس المجمع.

المكتب: مكتب المجمع.

المؤتمر: مؤتمر المجمع السنوي.

قانون المجمع: القانون رقم ٣٨ تاريخ ٦/ ٦/ ٢٠٠١م.

الفصل الثاني

مجلس المجمع

المادة ٢–

أ – يحدد المجلس دورة عمله السنوية، وعدد جلساته الشهرية ومواعيدها، وتعطل الجلسات من أول شهر تموز إلى آخر شهر آب من كل عام.

ب – يجوز لرئيس المجمع دعوة المجلس إلى عقد جلسة استثنائية في أثناء عطلة المجمع السنوية أو في غير المواعيد المحددة لها إذا رأى ضرورة لذلك.

المادة ٣– يجتمع المجلس بدعوة من رئيسه، وتوجه الدعوة إلى أعضائه مصحوبة بجدول الأعمال قبل الجلسة بوقت كاف ويفتتح رئيس المجمع الجلسة ويتولى إدارتها ويدعى المجلس للانعقاد إذا طلب ذلك كتابة ثلث أعضائه على الأقل.

المادة ٤– إذا غاب رئيس المجمع تولى نائب الرئيس دعوة المجلس للانعقاد ورئاسة الجلسة وفي حال غيابهما يقوم الأمين برئاسة المجلس.

المادة ٥– لا تكون جلسات المجلس صحيحة إلا إذا حضرها نصف أعضائه على الأقل ويجوز أن يجتمع المجلس بصفة لجنة عامة إذا حضر الاجتماع ثلث أعضائه على الأقل على أن يصدق على أعمال هذا الاجتماع في أول انعقاد صحيح للمجلس.

المادة ٦– يجوز لأعضاء الشرف وللأعضاء المراسلين إلقاء البحوث في المجلس والمؤتمر والاشتراك في المناقشة بموافقة رئيس المجمع.

المادة ٧– يعرض الأمين على المجلس في غضون الشهرين الأولين من دورته السنوية تقريراً عاماً سنوياً يبين فيه الأعمال التي قام بها المجمع في دورته السابقة.

الفصل الثالث

المؤتمر

المادة ٨– مع مراعاة أحكام المادتين ١١ و١٢ من قانون المجمع:

أ – يحدد المجلس بناء على اقتراح المكتب في كل دورة موعد الاجتماع السنوي للمؤتمر كما يحدد المجلس الموضوع الذي يتناوله المؤتمر.

ب – يوجه رئيس المجمع الدعوة لحضور المؤتمر إلى أعضائه مصحوبة بجدول الأعمال ومرافقاته قبل شهر على الأقل من موعد انعقاده.

ج – يجوز بموافقة المكتب أن توجه الدعوة إلى الهيئات العلمية لإيفاد من يمثلها في المؤتمر كما يجوز للمكتب أن يدعو من يرى دعوته من العلماء والباحثين.

المادة ٩– يتولى المكتب بنفسه أو بتزكية عضو أو أكثر من أعضاء المجمع ترشيح أعضاء المؤتمر من غير السوريين ويعرض الترشيح مصحوباً بمسوغاته على المجلس لتسمية أعضاء المؤتمر في تلك الدورة طبقاً لنص المادة ١١ من قانون المجمع.

المادة ١٠– يعرض الأمين في جلسة افتتاح المؤتمر بياناً بما قام به المجمع من أعمال علمية بين دورتي انعقاد المؤتمر.

المادة ١١– للمؤتمر أن يؤلف من أعضائه لجاناً يحيل عليها ما يرى إحالته من موضوعات لدراستها وتقديم تقارير عنها.

المادة ١٢– يعرض الأمين في الجلسة الختامية للمؤتمر بياناً بأعمال المؤتمر وقراراته وتوصياته.

الفصل الرابع

رئيس المجمع ونائبه والأمين

المادة ١٣– لكل عضو من أعضاء المجلس أن يرشح نفسه أو غيره من الأعضاء لمنصب رئيس المجمع أو نائبه أو الأمين ويكون الترشيح مكتوباً وتسلم الترشيحات إلى أمين المجلس قبل الجلسة المحددة للانتخاب بأسبوع على الأقل ويجري الانتخاب وفقاً للأحكام المنصوص عليها في المادة ١٤ من قانون المجمع.

المادة ١٤– مع مراعاة حكم المادة ١٩ من قانون المجمع يكون الأمين هو المسؤول عن العاملين في المجمع ويتولى توزيع الأعمال عليهم كما يشرف على الأعمال الإدارية والمالية وفقاً لذلك القانون وغيره من القوانين والأنظمة النافذة.

المادة ١٥– يكلف الأمين من يختاره من العاملين أو الموظفين لمساعدته في إعداد جداول أعمال المجلس والمكتب ودعوة أعضائهما إلى الاجتماع وفي تهيئة وسائل العمل للجان وفي إعداد الرد على الرسائل التي ترد إلى المجمع وتتناول أغراضه واتخاذ الوسائل لتنفيذ قرارات المجمع ويكون المكلف مسؤولاً أمامه.

الفصل الخامس

المكتب

المادة ١٦– يفتتح باب الترشيح لعضوي المكتب وفقاً للمادة ٢١ من قانون المجمع قبل جلسة الانتخاب بأسبوع على الأقل وتسلم الترشيحات

إلى أمين المكتب، وتعد جلسة الانتخاب قانونية إذا حضرها نصف أعضاء المجلس على الأقل.

المادة ١٧- تكون جلسات المكتب دورية، ويلزم لصحة انعقاد الجلسة حضور ثلاثة من أعضائه على الأقل، ولرئيس المكتب أن يدعو لعقد جلسة استثنائية عندما يرى ضرورة لذلك.

المادة ١٨- يرسل الأمين جدول الأعمال مصحوباً بما يلزم من مذكرات تتعلق بالمسائل المدرجة فيه إلى أعضاء المكتب قبل موعد الاجتماع بثلاثة أيام على الأقل إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك.

المادة ١٩- يقترح المكتب مكافأة لكل من يسهم في نشاط المجمع بالبحوث أو تحقيق التراث أو إعداد مواد المعجمات أو غير ذلك من الجهود العلمية والفنية والطباعية، وينظم ما يقرره المجلس من مسابقات دورية لتشجيع الإنتاج اللغوي والفكري والأدبي. ويقدر جوائز الفوز فيها.

المادة ٢٠- ينظم المكتب إجراءات دعوة أعضاء المؤتمر السوريين وغير السوريين إلى حضوره وفقاً لحكم المادة ١١ من قانون المجمع، ويحدد المكتب النفقات المترتبة على حضورهم ويسري هذا الحكم على من يدعوهم المجلس في مناسبات أخرى.

المادة ٢١- يختص المكتب بما يلي:

١- دراسة مشروع موازنة المجمع والبيانات الموضحة لها ورفعه إلى المجلس.

٢- تحديد المكافآت لمن يعاونون المجمع في أعماله.

٣- تحديد أثمان مطبوعات المجمع وقيمة الاشتراك في مجلته، ووضع قواعد الإهداء.

٤- رفع الاقتراحات إلى المجلس بإيفاد من يمثله في الندوات والمؤتمرات الثقافية ووضع قواعد إيفاد العاملين في مهمات علمية أو تدريبية لتحقيق أغراض المجمع.

٥- دراسة الأوضاع الوظيفية للموظفين والعاملين وفق أحكام قانون المجمع وقانوني الموظفين والعاملين الأساسيين والنظام الداخلي للمجمع.

الفصل السادس

عضوية المجمع

المادة ٢٢- إذا خلا مكان أحد أعضاء المجمع، يعلن رئيس المجمع خلوه في أول جلسة تعقد بعد ذلك. ويقرر المجلس شغله في مدة يحددها لا تتجاوز ثلاثة أشهر وله أن يمد هذه المدة إن دعا الأمر.

المادة ٢٣- إذا تعددت الأماكن الخالية في عضوية المجمع جاز شغلها دفعة واحدة أو أكثر وفقاً لما يقرره المجلس، ولا يتخصص انتخاب المرشح بمكان بعينه.

المادة ٢٤- على المجلس أن يبحث قبل الترشيح في ما ينبغي توافره في المرشحين من تخصصات معينة بهدف سد حاجات المجمع.

المادة ٢٥-

آ – تقدم الترشيحات في مدة يحددها المجلس، ويتم الترشيح بتزكية اثنين من أعضاء المجلس على الأقل، ولا يجوز للعضو أن يزكي من المرشحين عدداً يجاوز عدد الأماكن المطروح شغلها، ويجب أن يرافق الترشيح بيان

كتابي مفصل موقع عليه من المزكيين للتعريف بالمرشح ومكانته العلمية وما نشره من أعمال. ولا تقبل الترشيحات غير المصحوبة بهذا البيان أو التي لا تحمل توقيع العضوين المزكيين.

ب – تسلم الترشيحات مصحوبة بالبيان المشار إليه في الفقرة السابقة إلى الأمين لمراجعتها والإشراف على إعدادها للعرض على المجلس.

المادة ٢٦– يجري الانتخاب بطريق التصويت السري في مدة لا تزيد على أسبوعين من تاريخ إقفال باب الترشيح.

ويشترط لصحة انعقاد جلسة الانتخاب أن يحضرها ثلثا أعضاء المجمع الذين صدرت مراسيم اعتماد انتخابهم واستقبلوا. ويكون انتخاب المرشح صحيحاً إذا حصل على أكثر من نصف أصوات الحاضرين، ويصدر مرسوم باعتماد انتخابه ولا يشترك في أعمال المجلس إلا بعد استقباله.

المادة ٢٧– تبطل ورقة التصويت التي يذكر فيها من أسماء المرشحين عدد يجاوز عدد الأماكن المطروح شغلها، ولا تبطل إذا كانت الأسماء المذكورة فيها أقل من عدد هذه الأماكن.

المادة ٢٨– إذا لم يحصل أحد المرشحين على الأصوات اللازمة لشغل المكان الخالي يعاد التصويت مرة واحدة في الجلسة نفسها.

ولا يجوز إعادة فتح باب الترشيح لما يتم شغله من الأماكن الخالية والتي جرى التصويت عليها إلا في الدورة المجمعية التالية ما لم ير المجلس غير ذلك.

المادة ٢٩– أ – يرسل رئيس المجمع إلى العضو الجديد رسالة يبلغه فيها صدور مرسوم اعتماد انتخابه في غضون شهر على الأكثر من ورود

هذا المرسوم إلى المجمع، يدعوه فيها للاجتماع به للتداول في إجراءات استقباله.

ب — يحدد في هذا الاجتماع موعد انعقاد جلسة استقبال العضو الجديد في مهلة أقصاها ستة أشهر، كما يحدد فيه الموضوع الذي سيتحدث فيه العضو الجديد في الجلسة سواء أكان متصلاً بأحد الأعضاء الراحلين أم بموضوع ذي صلة بأغراض المجمع.

ج — إذا تأخر العضو الجديد عن تلبية الدعوة سنة كاملة منذ تاريخ صدور مرسوم اعتماد انتخابه يدعو رئيس المجمع المجلس للنظر في أمر غيابه وفق أحكام المادة ٩ من قانون المجمع.

المادة ٣٠– لكل من أعضاء المجلس أن يقترح منح لقب عضو شرف وفقاً لأحكام المادة ١٠ من قانون المجمع، ويقدم الاقتراح مصحوباً بمسوغاته إلى المكتب لدراسته وإعداد مذكرة به تعرض على المجلس لاتخاذ القرار بشأنه.

المادة ٣١– يختار المجلس العضو المراسل وفقاً لما هو منصوص عليه في المادة ٢٣ من قانون المجمع بناء على اقتراح من أحد أعضاء المجلس يقدم إلى المكتب لدراسته وإعداد مذكرة تعرض على المجلس لاتخاذ القرار بشأنه.

المادة ٣٢– في حال صدور حكم قضائي على عضو من أعضاء المجمع في جريمة ماسة بالشرف تفقده العضوية وفق المادة ٩ من قانون المجمع يعرض الأمر على المكتب للتحقق من السبب الموجب لفقد العضوية، فإذا تحقق لديه السبب قدم مذكرة إلى المجلس لاتخاذ قرار بفقد العضوية، وإعداد مشروع مرسوم بذلك.

المادة ٣٣– مع مراعاة حكم المادة ٩ من قانون المجمع:

أ – إذا رغب عضو من أعضاء المجمع في الإقامة خارج الجمهورية العربية السورية لمدة تستغرق دورة كاملة من دورات المجمع وجب عليه الحصول على موافقة المجلس، ولا يدخل الأعضاء المقيمون في الخارج بمقتضى هذه الموافقة في حساب النصاب القانوني لجلسات المجلس.

ب – إذا أقام العضو خارج الجمهورية العربية السورية للعمل أو لأي سبب آخر مدة تزيد على سنة دون موافقة المجلس فقد عضويته وعد مكانه خالياً.

ج – لا يحول فقدان صفة العضوية بمقتضى الفقرة (ب) من هذه المادة دون تسمية العضو الذي فقدها عضو شرف أو عضواً مراسلاً وفقاً للنصوص ذات الصلة في قانون المجمع.

د – لا يستعيد العضو الذي فقد عضويته بمقتضى الفقرة (ب) هذه العضوية إلا إذا عاد إلى الإقامة في الجمهورية العربية السورية، وجدد المجمع انتخابه لملء أحد الأماكن الخالية وفق شروط العضوية والانتخاب الواردة في قانون المجمع.

الفصل السابع

اللجان

المادة ٣٤– مع مراعاة أحكام المادتين ٣ و٤ من قانون المجمع.

أ – يلتمس المجمع كل وسيلة متاحة لتشجيع الإنتاج اللغوي والأدبي وتحقيق التراث اللغوي والعلمي والأدبي والفني ونشره.

ب — يستعين المجمع لتحقيق أغراضه بما يؤلف من لجان تتوزع على الاختصاصات المختلفة.

المادة ٣٥– أ — يؤلف المجلس لجاناً دائمة أو مؤقتة تحدد مهامها واختصاصاتها في هذه اللائحة أو في قرار تأليفها، وللمجلس أن يضم إلى عضويتها ما تحتاج إليه من الخبراء المختصين بناء على اقتراح رئيس اللجنة.

ب — اللجان الدائمة هي التي تكون مستمرة، وإن تغير أعضاؤها. أما اللجان المؤقتة فتؤلف للقيام بمهمة محددة، وتنتهي اللجنة المؤقتة بإنجاز مهمتها.

ج — تتألف كل لجنة من ثلاثة أعضاء من المجلس على الأقل وفي حال ضم خبراء إلى عضوية اللجنة يجوز الاكتفاء بعضوين اثنين من أعضاء المجلس.

د — يكون لكل لجنة رئيس ومقرر تنتخبهما اللجنة في أول اجتماعاتها من بين أعضائها المجمعيين.

هـ - يتمتع الخبراء في اللجنة بجميع حقوق أعضائها.

و — يكون انضمام عضو المجلس إلى أي لجنة باختياره على أن لا يقل عدد اللجان التي ينضم إليها عن ثلاث لجان.

ويصدر تأليف اللجان بقرار من رئيس المجمع.

المادة ٣٦– أ — تعقد اللجان جلساتها في مقر المجمع مرة كل أسبوعين على الأقل، ولها أن تعقدها خارج المجمع إذا رأى رئيس المجمع ضرورة لذلك، ولا يكون الاجتماع صحيحاً إلا إذا حضره أكثر من نصف أعضاء اللجنة، وتؤخذ قراراتها بالأكثرية، وتقدم مقترحاتها إلى المجلس أو المكتب حسب الاختصاص، ولا تكون نافذة إلا بموافقة المجلس أو المكتب.

ب – يتولى رئيس اللجنة دعوتها إلى عقد جلساتها ويبلغ الأعضاء موعد الجلسة وجدول الأعمال قبل وقت كاف ويشرف رئيس اللجنة على تسجيل محاضرها وإحاطة رئيس المجمع بمنجزاتها وإعداد خطة عملها في مطلع كل دورة وتقديم تقرير سنوي عن أعمالها في الدورة السابقة، وينوب المقرر عن الرئيس في الدعوة إلى عقد الجلسات وتولي رئاستها في حال غيابه.

ج – يجوز عند الحاجة عقد اجتماعات مشتركة بين لجنتين أو أكثر.

المادة ٣٧– اللجان الدائمة هي:

١– لجنة المجلة والمطبوعات.

٢– لجنة المخطوطات وإحياء التراث.

٣– لجنة المكتبة.

٤– لجنة المعجمات اللغوية.

٥– لجنة الأصول.

٦– لجنة النشاط الثقافي.

٧– لجنة تعزيز اللغة العربية.

٨– لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها.

٩– لجنة مصطلحات ألفاظ الحضارة.

١٠– لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية.

١١– لجنة مصطلحات العلوم الفيزيائية والكيميائية.

١٢– لجنة مصطلحات التقانة والعلوم الهندسية الإنشائية والميكانيكية والكهربائية والإلكترونية والاتصالات.

١٣– لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية وعلم الأحياء (علوم الحيوان والنبات والجيولوجية والبيئة والزراعة والطب البيطري).

١٤– لجنة مصطلحات العلوم الصحية (الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة).

١٥– لجنة مصطلحات العلوم القانونية والاقتصادية والإدارية.

١٦– لجنة مصطلحات العلوم الإنسانية (الآداب والفلسفة والتاريخ والجغرافية وعلم السكان وعلم الاجتماع والأخلاق والتربية وعلم النفس والانتروبولوجية والفنون).

وللمجلس أن يزيد أو ينقص عدد اللجان، فينشئ من بعضها لجنة أو أكثر أو يدمج بعضها في بعض، وله أن يرجئ تأليف بعضها إلى أن يستكمل أسبابه.

المادة ٣٨– اختصاصات اللجان:

١ – لجنة المجلة والمطبوعات:

تختص بإصدار مجلة المجمع واختيار موضوعات البحوث التي تنشر فيها والنظر في صلاح ما يقدم إليها من بحوث للنشر، كما تختص بالموافقة على ما ينشره المجمع من كتب ومطبوعات قبل نشرها.

٢– لجنة المخطوطات وإحياء التراث العربي:

تختص بالتعريف بالمخطوطات العربية النادرة والمساعدة على الكشف على مظان وجودها، وجمع المخطوطات المختلفة أو تصويرها حيثما وجدت، كما تختص بالعمل على إحياء التراث العربي في اللغة والعلوم والآداب والمساعدة على تحقيقه ونشره.

٣- لجنة المكتبة:

تختص بتزويد مكتبة المجمع ودار الكتب الظاهرية بشتى المراجع والكتب والدوريات الضرورية، وتعنى بتنظيمها وصيانتها، ووضع الفهارس لمحتويات المكتبتيـــن وتزويدهما بالوسائل التقنية الحديثة، وتيسير سبل المطالعة فيهما، والعناية بالمخطوطات والمصورات والتعاون مع المكتبات المحلية في القطر العربي السوري والمكتبات العربية في الأقطار العربية والمكتبات العالمية.

٤- لجنة المعجمات اللغوية:

تختص بدراسة المعجمات التي تصدرها المجامع والمؤسسات الأخرى لبيان الرأي فيها ونقدها، وتختص كذلك بإصدار المعجمات اللغوية العامة أو التاريخية أو معجمات المعاني.

٥- لجنة الأصول:

تختص بالنظر في علوم اللغة العربية بغية تسييرها والنظر فيما تصدره المجامع العربية في هذا الشأن، والإجابة عن الأسئلة التي ترد في الموضوعات التي تدخل في نطاق اختصاصها.

٦- لجنة النشاط الثقافي:

تختص بالاتصال بالهيئات العلمية وتنظيم الندوات والمحاضرات الثقافية، وإقامة محافل التكريم والتأبين وتسهم في الإعداد للمؤتمر وتنظيمه وتقترح إنشاء جوائز تشجيعية للإنتاج الفكري الذي يقدم خدمة لإعلاء شأن اللغة العربية.

٧- لجنة تعزيز اللغة العربية:

تختص برفع شأن اللغة العربية الفصحى وتعمل على محاصرة اللهجات العامية ولها في ذلك اقتراح النصوص القانونية والإدارية والاقتراح على المجلس للاتصال بالمسؤولين عن الإعلام والتعليم وغيرهما لتحقيق أغراض المجمع وهي تعنى -إلى ذلك- بتقويم الأخطاء اللغوية والنحوية التي تقع في الكتب والمجلات والصحف والإذاعة والتلفزة ونحوها.

٨- لجان تنسيق المصطلحات وتوحيدها:

تتولى هذه اللجنة تنسيق أعمال لجان المصطلحات وتوحيد هذه المصطلحات في الجامعات ومراكز البحوث والوزارات والهيئات العلمية في سورية والسعي إلى توحيدها في سائر أنحاء الوطن العربي.

٩- لجان مصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة:

تختص اللجان من التاسعة وما بعدها المذكورة في المادة السابقة بوضع مصطلحات لما يجد من ألفاظ وتراكيب في مختلف الميادين الثقافية، علمية كانت أو تقانية أو فنية أو قانونية أو غير ذلك، كما تقوم بدراسة المصطلحات التي تحال عليها من مختلف الجهات، والمناسبة لاختصاص كل منها وتقرير صلاحها أو عدمه وتقوم كذلك بجمع ما تصدره المجامع اللغوية العلمية العربية والمؤسسات الثقافية والمؤتمرات والندوات وغيرها.

وتختص أيضاً بتأليف معجمات المصطلحات المتخصصة كل في مجال اختصاصها وبدراسة ما تصدره الهيئات الأخرى من مصطلحات ومعجمات متخصصة ونقدها.

الفصل الثامن

دار الكتب الظاهرية ومكتبة المجمع

المادة ٣٩- المدرسة العادلية الكبرى جزء من دار الكتب الظاهرية الملحقة بالمجمع وفق المادة (٢) من قانونه ويصدر نظام إدارة هذه الدار بقرار من الوزير بناء على اقتراح المجلس.

المادة ٤٠- للمجمع مكتبة خاصة به، ويقرر المجلس أوجه الانتفاع بها، وتغذى بما تحتاج إليه من مصادر المعرفة ولا سيما المصادر اللغوية والمعجمات والموسوعات وفهارس المكتبات العالمية والدوريات التي تعنى بهذه الموضوعات، وتضم قسماً خاصاً بالمخطوطات والمصورات والمطبوعات النادرة والأفلام الدقيقة والأقراص المدمجة، ولا تعار محتويات هذا القسم.

الفصل التاسع

المجلة والمطبوعات

المادة ٤١- للمجمع مجلة خاصة به وهي مجلة محكمة فصلية ينشر فيها ما يرد من الأعضاء وغيرهم من بحوث ودراسات وأعمال المؤتمر والمجلس واللجان، ويكون رئيس المجمع رئيس تحريرها ومديرها المسؤول.

الفصل العاشر

العاملون والموظفون

المادة ٤٢- يتبع المجمع في شأن العاملين فيه قانون العاملين الأساسي رقم ١ لعام ١٩٨٥ وتعديلاته والنظام الداخلي للمجمع كما يتبع في شأن الهيئة الفنية قانون الموظفين الأساسي رقم ١٣٥ لعام ١٩٤٥ وتعديلاته وقانون تنظيم الجامعات رقم (١) لعام ١٩٧٥ ولائحته التنفيذية وقانون

التفرغ الصادر بالمرسوم التشريعي رقم ٨٧ لعام ١٩٧٥ وتعديلاتهما في كل ما لا يخالف أحكام قانون المجمع.

الفصل الحادي عشر

أحكام ختامية وانتقالية

المادة ٤٣– يراعى في ترتيب وظائف الفنيين الذين يعينون بالمجمع إنفاذاً للفقرة (آ) من المادة (٢٤) من قانون المجمع وتسمياتهم الجدول المرفق للقانون المشار إليه في المادة (٢٦) منه ويراعى في معادلتها وشروط شغلها شروط شغل أمثالها في الهيئة الفنية في جامعات الجمهورية العربية السورية.

المادة ٤٤– يراعى في تطبيق الفقرة آ من المادة ٢٥ من القانون ما يأتي:

أ – يصرف التعويض الشهري بدءاً من تاريخ نفاذ القانون، لجميع أعضاء المجمع الذين تم استقبالهم والمقيمين في الجمهورية العربية السورية ويتولى رئيس المجمع إشعار دائرة المحاسبة بأسماء هؤلاء الأعضاء.

ب – يستحق العضو الجديد في المجمع التعويض الشهري بدءاً من تاريخ جلسة استقباله، ويتولى رئيس المجمع إشعار المحاسبة بهذا التاريخ.

ج – يستحق العضو العائد من إقامته في الخارج بمقتضى الفقرة (آ) من المادة (٣٣) من هذه اللائحة، التعويض الشهري بدءاً من عودته إلى عمله في المجمع، بناء على إشعار للمحاسبة يوقعه رئيس المجمع.

د – يوقف صرف التعويض الشهري للعضو إذا فقد عضويته بمقتضى المادة (٩) من القانون، وذلك بدءاً من تاريخ مرسوم فقد العضوية. ويتولى رئيس المجمع إشعار المحاسبة بذلك.

المادة ٤٥- أ - تسوى أوضاع أعضاء المجمع الذين مر على غيابهم أكثر من دورة مجمعية وفق قواعد يضعها المجلس في مدة أقصاها ستة أشهر من تاريخ صدور هذه اللائحة.

ب - تحدد مواعيد استقبال أعضاء المجمع الذين لم يستقبلوا بعد وفق أحكام المادة ٢٩ من هذه اللائحة وفي مدة لا تزيد على ستة أشهر من تاريخ نفاذها.

* * *

الجمهورية العربية السورية

المرسوم رقم (٣١٧)

رئيس الجمهورية

بناء على أحكام قانون مجمع اللغة العربية رقم (٣٨) تاريخ ٦/ ٦/ ٢٠٠١م.

وعلى جلسة مجلس المجمع المنعقدة بتاريخ ٦/ ١/ ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٢ التي تم فيها انتخاب الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضواً في المجمع.

يرسم ما يلي:

المادة ١– يعين الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضواً في مجمع اللغة العربية.

المادة ٢– ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق في ١٤٢٣/٧/١٠ هـ
٢٠٠٢/٩/١٦م

رئيس الجمهورية
بشار الأسد

الجمهورية العربية السورية

المرسوم رقم (٣١٨)

رئيس الجمهورية

بناء على أحكام قانون مجمع اللغة العربية رقم (٣٨) تاريخ ٦/ ٦/ ٢٠٠١م.

وعلى جلسة مجلس المجمع المنعقدة بتاريخ ٦/ ١/ ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٢ التي تم فيها انتخاب الأستاذ شحادة الخوري عضواً في المجمع.

يرسم ما يلي:

المادة ١– يعين الأستاذ شحادة الخوري عضواً في مجمع اللغة العربية.

المادة ٢– ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق في ١٠/٧/١٤٢٣ هـ **رئيس الجمهورية**

١٦/٩/٢٠٠٢م **بشار الأسد**

حفل استقبال

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته السابعة التي عقدت (في ١٤٢٢/١/١٨هـ= ٢٠٠١/٤/١١م)، (من الدورة المجمعية لعام ٢٠٠١) الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني عضواً في مجمع اللغة العربية، الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٧٢ (في ١٤٢٢/٢/٢١هـ= ٢٠٠١/٥/١٤م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني في جلسة علنية عقدها (مساء يوم الأربعاء ١٦ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ - ٢٦ حزيران ٢٠٠٢) في قاعة المحاضرات في المجمع؛ حضرها نخبة من رجال السياسة والعلم والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع بكلمة موجزة رحب فيها بالسادة الحضور، مهنّئاً الزميل المجمعي الجديد، مباركاً انضمامه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أمين المجمع كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، وذكر طرفاً من سيرته، ونوّه فيها بمكانته

العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب.

وننشر فيما يلي كلمات الحفل.

* * *

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

في حفل استقبال الدكتور محمد مكي الحسني

عضواً في مجمع اللغة العربية

السادة العلماء الأجلّة ـ أيها الحفل الكريم

أحييكم أطيب التحيات وأحسنها، وأرحّبُ بكم أجمل الترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور، ومشاركتنا في الحفاوة باستقبال الزميل الكريم الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني.

لقد انتخب مجلس مجمع اللغة العربية الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني عضواً في جلسته السابعة التي عقدت (في ١٤٢٢/١/١٨هـ= ١١/ ٢٠٠١/٤م)، وصدر المرسوم الجمهوري رقم ٢٧٢ (في ١٤٢٢/٢/٢١ هـ= ٢٠٠١/٥/١٤م) بتعيينه.

وإنني لأهنئ الأستاذ الحسني بثقة زملائه المجمعيين الذين اختاروه على علم، فانضمَّ إلى مسيرة المجمع، نشدّ به الأزر، ونمضي معاً نعمل بجدّ وتصميم لتحقيق غايات المجمع وأهدافه، كي تبسط العربيةُ سلطانَها لغةَ العلم والبيان والإبداع في جميع أقطار الوطن العربي، وتستجيب لمعطيات الحضارة، ومتطلبات العصر، وتشارك في التقدم والرقي.

لقد عُرف الأستاذ مكي الحسني بالجِدّ والدأب في حياته. قضى سنوات دراسته صديق الكتاب وخدينه، فكان متفوقاً بين أترابه، يتقدم صفوف الناجحين. وكان إذا واجهته قضية اتكأ على نفسه لحلها.

قابلته مشكلة قلة الكتب الجامعية العربية في المرحلة الجامعية الأولى، فأكبَّ على دراسة الفرنسية حتى أتقنها، واستطاع دراسة الكتب المعتمدة من أساتذته ذوي الثقافة العلمية الفرنسية.

ولما أصبح معيداً في قسم الفيزياء بكلية العلوم (١٩٥٥م) شعر بضرورة إتقان الإنكليزية ليستعين بها في مطالعة كتب الفيزياء الحديثة، وبلغ بجهده ودأبه ما كان يطمح إليه.

وكان أول سوري يوفد إلى الاتحاد السوفييتي للقيام بدراسات عليا في الفيزياء النووية فلم يجد بدّاً من تعلم اللغة الروسية، وانصرف إلى الدراسة يساعده توفُّر معجم روسي – فرنسي كبير، ومعجم روسي- إنكليزي كبير، وواصل العمل بكدٍّ واندفاع حتى تعلم الروسية، واستدرك متطلباته من معرفة الفيزياء النووية.

وهكذا أتقن الفرنسية والإنكليزية والروسية.

وعُين مدرساً في قسم الفيزياء بكلية العلوم بدمشق عام ١٩٦٥م، ليرقى إلى أستاذ مساعد عام ١٩٧٠م فأستاذ عام ١٩٧٥، ونهض بتدريس جميع المواد العلمية التي أُسندت إليه.

وقد أهّلته مواهبه وجدّيته في عمله أن يشارك في لجان علمية خارج نطاق الجامعة، فسمي عضواً في لجنة الطاقة الذرية، ثم في هيئة الطاقة الذرية التي خلفتها. إلى جانب مناشط علمية عدة نهض بها على خير وجه.

وعُني الدكتور الحسني بإعداد الأمليات وتأليف الكتب لطلابه وترجمة المراجع، وكان شديد الحرص على الكتابة بلغة سليمة فصيحة، ودفعه ذلك أن يسأل معارفه من مدرسي العربية أحياناً عن بعض ما استوقفه في كتابته، فلم يجد ما يلبّي رغبته، ويشفي غُلّته، فالتفت إلى كتب النحو واللغة والأدب باحثاً منقّباً. وكان يحرص على تسجيل كل مسألة في أوراق مستقلة ليعود إليها عند الحاجة. ولم يلبث أن رغب إليه أصدقاؤه أن ينشر هذه النظرات اللغوية في مجلة لتعمَّ الفائدة، ويجتنب الباحثون الأخطاء الشائعة في الكتابة العلمية.

واستجاب الأستاذ الحسني ونشر نظراته في حلقات تحت عنوان: «**نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية**»(١) وبلغت عدتها حتى الآن تسع حلقات، عالجت ثلاثاً وتسعين مسألة، وهي مسائل تزخر بالفوائد، وقد كُتبت بأسلوب سهل واضح.

وللأستاذ الحسني فضلٌ كبير في تدقيق جملة من الكتب العلمية تدقيقاً لغوياً، مثل كتاب «**المدخل إلى المعلوماتية**» (١٩٩٨م) و«**معجم مصطلحات المعلوماتية**» وكتب «**كلية الهندسة المعلوماتية**» التي بلغ عدد كتبها حتى الآن ثلاثين كتاباً.

---

(١) مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، الأعداد: مج ١٤ ع٢ – مج ١٨ ع٢ .

ويطيب لي أن أعبّر عن مسرتي البالغة بانضمام هذه الكفاية العلمية إلى أسرة المجمع.

وإني لمكتفٍ بهذه الكلمة القصيرة، أفتتح بها جلسة المجمع العلنية المعدة لاستقبال العضو الجديد، مرحّباً بانضمامه إلى أسرة المجمعيين، ممهّداً للاحتفاء به.

ويسعدني أن أدعو الأستاذ الدكتور واثق شهيد أمين المجمع ليلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم، ويتحدث عن سيرته العلمية.

ثم يتلوه الأستاذ الدكتور مكي الحسني، فيتحدث إلينا عن سيرة سلفه الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب رحمه الله الرحمة الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

* * *

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور مكي الحسني

السادة الزملاء أعضاء المجمع،

أيها الحفل الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله

صدر مرسوم تسمية الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري عضواً في مجمع اللغة العربية منذ سنة تقريباً، وكان من المقرر استقباله في أواخر شهر شباط الماضي، إلا أن بعض المستجدات حالت دون ذلك، وأرجئ الموعد إلى يومنا هذا.

والدكتور محمد مكي الحسني الجزائري، أو مكي الحسني كما عُرِف بين زملائه وطلابه، هو أحد أحفاد الأمير عبد القادر الجزائري، وقد سبقه إلى عضوية المجمع حفيد آخر للأمير البطل، هو الأمير جعفر الحسني (١٩٤٢- ١٩٧٠) الأمين العام للمجمع ما بين عامي ١٩٥٧و١٩٧٠.
تلقى مكي الحسني دروس العربية، كما علمت منه، في ثانوية جودة الهاشمي عن أساتذة كبار، كان من بينهم سعيد الأفغاني رحمه الله والدكتور إحسان النص أطال الله بقاءه. دخل الجامعة طالباً في كلية العلوم في بداية الخمسينيات من القرن الماضي وكان فيها من المتفوقين، ونجح في شهادة الفيزياء العامة بتقدير امتياز، وهو تقدير قلما حصل عليه طالب في هذه الشهادة في تلك الأيام. فقد كان أستاذنا مأمون الكناني رحمه الله، يتوق إلى

تقليد جامعة الصوربون بإعلان نتائج الامتحانات الكتابية لشهادة الفيزياء العامة في لوحة الإعلانات وقد كتب فيه «لم ينجح أحد». في تلك الأيام كان الطلاب يكتبون ما يلقيه عليهم أساتذتهم من المحاضرات ويتبادلون ما كتبوا لتنقيحه ولاستكمال ما فاتهم منها أثناء إلقائها، شأنهم في ذلك شأن أقرانهم في الجامعات الفرنسية والأوربية. وقد يدفع أستاذ بمحاضرته بعد انتهاء الدرس إلى أحد الطلاب النجباء ليستكمل منها مع زملائه ما فاتهم أيضاً. وكثيراً ما كان يكلف الأستاذ طالباً أو مجموعة من طلابه الذين يتوسم فيهم النباهة والمقدرة، ترجمة الكتاب الذي اعتمده في محاضراته أو ترجمة فصولٍ منه منتقاة. لم تجمع في العقد الأول من عمر كلية العلوم محاضرات أيٍ من الأساتذة في كتاب مطبوع. إذ لم يكن الإنفاق على طباعة الكتاب في وسع أعضاء هيئة التدريس فيها، بل ما كان هذا الحلم يخطر ببال أحدٍ منهم في تلك المرحلة. فالمرحلة كانت لا تزال مرحلة إنشاء وبناء. بناتها رجالٌ عُلِّقت عليهم الآمال، دخلوا حَلبة التعليم الجامعي والزادُ العلمي لجلّهم فيه، لم يكن يتجاوز مستوى الدرجة الجامعية الأولى. درسوا في فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية أو في أثنائها. اجتهدوا وجاهدوا ليعلّموا ويستعيدوا ما تعلموه في فرنسا بجُرأة وتواضع علمي منقطعي النظير. تعلموا مع طلابهم، وتعلموا مما يطرحه هؤلاء من أسئلة، ومن إجاباتهم الذكية عليها، ومن نقدها ونقضها. لقد كان لتعاون الأساتذة والطلاب أكبر الأثر في نجاحهم جميعاً، أساتذةً وطلاباً، وفي تنشئة الأجيال الأولى تنشئة علمية تربوية فريدة، فتعلموا التواضعَ العلمي والاعتمادَ على الذات والثقةَ بالنفس.

تعلموا كيف يعلمون ويتعلمون، بل تعلم من شاء منهم، بفهمه قوانينَ الفيزياء، تأمُّلَ عظمة الكون، تَعلُّمَ التفكر في خلق السموات والأرض.

رحم الله أساتذتنا الأجلّة الذين أسسوا كلية العلوم وأكرم مثواهم: توفيق المنجد ونادر النابلسي ومجدي الشوا وإسحاق الحسيني ووجيه القدسي ومأمون الكناني...ومتع الله من المؤسسين أستاذنا الجليل الدكتور عبد الحليم سويدان بطول العمر. هؤلاء نذروا حياتهم في الجامعة لتعليمنا وانقطعوا إلينا فاحتلوا في تاريخ التعليم الجامعي في وطننا مراتب صفوة الصفوة وحلوا في أفئدتنا ضياء وفي ذاكرتنا نوراً.

في هذه البيئةِ العلميةِ الطيبةِ الخيِّرةِ تكونت شخصية الدكتور مكي الحسني العلمية، فأتقن اللغة الفرنسية ليحسن الرجوع إلى مراجع أساتذته والمشاركة فيما يكلف زملاؤه ترجمتَه. كان في أقرانه من المتفوقين، كما كان نجاحه في مسابقة المعيدين نتيجةً منتظرة. عرفته بعد عودتي من فرنسا، وكنت قبيل عودتي إلى الوطن استقصي أخبار الكليةِ عامة وقِسم الفيزياء خاصة. كنت أتقصى أخبار أستاذي الدكتور إسحاق الحسيني أستاذ الترموديناميك أو التحريك الحراري، إذ كان من المحتم تكليفي تدريسَ هذه المادة إذا ما ترك الكلية. كان رحمه الله رجلاً فذاً عالماً متواضعاً، له في فلسفة الفيزياء أحاديث ماتعةٌ. كتب محاضراته بلغة عربية سهلة سليمة، وقدم الكثير من المصطلحات العربية في الفيزياء عامة وفي مجاله العلمي الدقيق خاصة. ترك إسحاق الحسيني الجامعة السورية فحزنت لتركه حزناً عميقاً، فقد كان جديراً بالتكريم تقديراً لمساهمته الثمينة في الشدائد، في سنوات البناء والإنشاء. إلا أن قسم الفيزياء عُوِّض عنه خيراً: المهندسَ الشاب عبد الرزاق

قدورة والمعيدَ مكي الحسني. لقد ذهب صيتهما في الكلية بين طلابهما وزملائهما،وحل المهندس عبد الرزاق قدورة محل الدكتور إسحاق الحسيني في تدريس التحريك الحراري وسار على هديه وجدد وتوسع في تحديث المادة وجاء بكثير مما لم يكن له ذكر في قسم الفيزياء، وأما مكي الحسني فهو المعيد الناجح الوحيد والذي حصل على شهادة الفيزياء العامة بتقدير امتياز، وليس هذا فقط فهو أيضاً ، بين أعضاء الهيئة التعليمية، الوحيدُ الذي يدخل حرم الجامعة ممتطياً دراجة!!

عدت إلى الوطن في صيف عام ١٩٥٧ فتسلمت من المهندس عبد الرزاق قدورة، الذي كان يستعد للسفر لتحضير الدكتوراه، مكتبةَ القسم وعُهدةَ تدريس التحريك الحراري. أما المعيد مكي الحسني فقد حظيت بالتعاون معه في الإشراف على دروس الفيزياء العملية المخبرية في العام الدراسي الجديد ١٩٥٨/١٩٥٧ وبدا واضحاً مما كان يدور بيننا من مناقشات وأحاديثَ أنه أتقن، في السنوات التي قضاها معيداً، اللغة الإنكليزيةَ العلميةَ على الأقل، واكتسب المفيد من المعارف في الفيزياء الحديثة، على الرغم من عدم استقراره في الكلية، إذ أدى الخدمة الإلزامية في سنتين ولبّى بعد أدائها الدعوات المتتالية للخدمة الاحتياطية. كان ككل معيد، يهيئ نفسه للإيفاد، الذي يكون عادة إلى بلد غربي، وقد تزود له باللغتين الفرنسية والإنكليزية ولكنه أوفد بمنحة من الاتحاد السوفييتي إلى جامعة موسكو لتحضير الدكتوراه في الفيزياء النووية. كان عليه إذن أن يتعلم لغة أجنبية أخرى، عليه أن يتعلم اللغة الروسية ويتقنها ليتمكن من متابعة دراسته في جامعتها، كما كان عليه أن يستكمل عُدته من الفيزياء النووية التي لم

يكن لها وجود يذكر في مناهج الإجازة في الفيزياء في كلية العلوم، ومن الرياضيات العالية التي لا غنى عنها لفهم نظريات الفيزياء النووية ومتابعة بحوثها. إلا أن مكي الحسني كان قد اعتاد التصديَ للصعاب وقهرها. وهكذا كان، فقد أنجز أطروحته وناقشها في ربيع عام ١٩٦٥ وعاد إلى دمشق لينضم إلى هيئة التدريس في قسم الفيزياء.

وهذه هي بداية المرحلة الغنية من دربنا الطويل في التعليم الجامعي. عاد الدكتور مكي الحسني إلى كلية العلوم، والادعاءات بضعف مستوى التعليم في الاتحاد السوفييتي أو بحجب العلم فيه عن الغرباء تصم الآذان، تلك الادعاءات التي ترعرعت في بيئة تدهور العلاقات السياسية بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتي والتي أدت إلى انسحاب عدد من موفدينا من جامعاته للالتحاق بجامعات الولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن الدكتور مكي الحسني الذي اعتاد التصديَ للصعاب كما ذكرت، صمد أمام هذه الادعاءات ودحضها بشدة فدرّس بنجاح جميع المواد التي كلفه القسم تدريسَها وكان بين زملائه في القسم موضع احترامٍ وتقديرٍ علماً ومسلكاً. وكان القسم وسطاً تعليمياً متميزاً، لم يكن من اليسير على المدرسين الجدد الارتقاء إلى مستوى أساتذةٍ كبارٍ كانوا فيه. فمع أن الدكتور عبد الرزاق قدورة كان قد انتقل من القسم إلى كلية الهندسة إبان إنشائها بعد أن عاد من الإيفاد وأمضى معنا زهاء عامين فيه، فإن الدكتور طاهر تربدار رحمه الله كان في علم الضوء أستاذاً لا ينازع، وكان الدكتور أدهم السمان رحمه الله المعلمَ إذا حاضر في الكهرطيسية، كما كان الدكتور محمد بغدادي خير من يحدث في الفيزياء النظرية ويدرسها. في هذا الوسط التعليمي المتميز أخذ نجم

المدرس الجديد الدكتور مكي الحسني بالصعود مع ظهور أماليه «القياسات الفيزيائية وتحليل نتائجها»، أماليه التي لفتت الأنظار إليه ونشرتها فيما بعد جامعة دمشق عام ١٩٧٤ في زهاء مئتين وسبعين صفحة. ولا يزال مؤلّفه هذا الوحيدَ في الجامعات السورية الأربع، استوفى فيه بلغة علمية سليمة وسهلة جميع قضايا القياسات الفيزيائية في مختلف مجالاتها وربط بدقة بين التجربة والقياس والنظرية ، وزاد عملَه دقة ونجاحاً الانتقالُ إلى تحليل القياسات، وفي التحليل يظهر مدى تكاملِ فهمِ الموضوعِ في ذهنِ المؤلفِ وتتضح أهميةُ ما يهدف إليه ومدى نجاحِه في بلوغ الهدف.

مارس الدكتور مكي الحسني التدريس في أوساط جامعية مختلفة، فقد غادر دمشق عام ١٩٧٥ إلى الجزائر معاراً للتدريس في الشعبة المعربة بجامعة الجزائر وأمضى فيها ثلاث سنوات، وكان من قبل قد أمضى عاماً دراسياً في التدريس بدار المعلمين العليا بمكة المكرمة، وأعد أماليات في جميع ما قام بتدريسه من مواد. وإعداد الأماليات والمحاضرات هو من أهم أسباب عنايةِ أعضاء هيئة التدريس باللغة، ووسيلةٌ فعالةٌ لتحسين كتابةِ المحاضرات وإلقائها، وبخاصة في جامعات المملكة العربية السعودية والجزائر التي كانت قد شرعت في تعريب التعليم الجامعي، والتي يعد فيها أعضاءُ الهيئة التدريسية في الجامعات السورية روّادَه في الوطن العربي، الذي لا يزال تعريبُ التعليم يخوض فيه معاركَ شرسةً، حدّث الدكتور مكي الحسني زملاءه في دمشق عن بعض ما شهد منها في الجزائر مع المدرسين الفرنسيين في الشعب المفرنسة.

كان الدكتور مكي الحسني قد كتب وترجم في وقت مبكر من حياته الجامعية طالباً ومعيداً وباحثاً. إلا أن جل جهوده انصرف في تلك المرحلة إلى إتقان اللغات الأجنبية التي كانت – وما زالت– الوسيلةَ لورود مناهل العلوم البحتة والتطبيقية. ولئن شارك وهو عضو في هيئة التدريس زملاءه في ترجمة محاضرات (فاينمان) في الفيزياء بأجزائها الثلاثة، وراجع ترجمة كتاب آخر، فإن النجاح في هذه المرحلة، مرحلةِ التعليم بما يواكبها من إعداد الأمليات وإلقاء المحاضرات، يقتضي إيلاء إتقانِ اللغة العربية والبحثِ الجادِّ في أساليب ومنهجية وضع المصطلح، مزيداً من العناية. وهكذا انصرف الدكتور مكي الحسني بإعداد أمليات محاضراته وتأليف الكتب في بعض ما درّس، إلى اللغة العربية، ووضع مع بعض زملائه كتاباً في تعليم اللغة العربية لغير المختصين نشرته جامعة حلب عام ١٩٨٦، ووضع كتاباً في الكهرباء والمغنطيسية لطلاب الإجازة في الفيزياء نشرته جامعة دمشق، وأعادت طبعه مرتين في الثمانينيات، وفي ذلك ما يكفي للدلالة على ما حظي به هذا الكتاب من مكانة وتقدير. أما كتابه «المدخل إلى الفيزياء النووية» فقد نشرته جامعة دمشق عام ١٩٨٣ وأعادت طبعه عام ١٩٨٦.

كلف الدكتور مكي الحسني مهامَّ علميةً متعددةً إضافةً إلى عمله الجامعي،فسُميَ بعد عودته من الإيفاد إلى الاتحاد السوفييتي، عضواً في لجنة الطاقة الذرية في المجلس الأعلى للعلوم وأميناً لها، فقام بما تقتضيه هذه المهمة من مراسلة للمنظمات الدولية المختصة وتوجيه عناية الجهات المعنيّة في الدولة للاستفادة مما تقدّم تلك المنظمات من دوراتٍ تدريبيةٍ وتجهيزاتٍ مخبرية،وما تدعو إلى المشاركة فيه من مؤتمراتٍ وندوات. وتعاقدت معه هيئة الطاقة

الذرية منذ عام ١٩٧٩ للعمل ضمن إطار قانون التفرغ الجامعي، وتولى فيها رئاسةَ دائرة التدريب والتأهيل والإيفاد ورئاسةَ دائرةِ الترجمة والإعلام والنشر. وكان عليه في الأولى إعداد دوراتٍ تأهيلية في اللغات الأجنبية للطلاب الموفدين وتأمين قبولهم في الجامعات الأجنبية ومتابعة تحصيلهم دورياً، أما في الثانية فقد هيأ لإصدار نشرة يومية ومجلة شهرية بإشرافه. تعرض النشرة اليومية أخبار الطاقة النووية في العالم وتوزع على الباحثين في الهيئة وعلى بعض كبار المسؤولين في الدولة، كما كانت تترجم بعض التقارير المهمة الصادرة عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ولم يتوقف إصدارها إلا منذ وقت قريب. وتعرضُ المجلةُ الشهريةُ، واسمها «عالم الذرة» البحوثَ التي أجراها باحثو الهيئة، ومواضيع أخرى في المجالات العديدة المختلفة في الطاقة الذرية، وهي لا تزال تصدر بانتظام. كما ترجم للهيئة كُتيِّباً بعنوان «النظائر المشعة في الحياة اليومية»، نشرته الهيئة عام ١٩٨٥، وشارك في ترجمة «معجم المصطلحات العلمية والتقنيّة في الطاقة الذرية» الذي نشرته الهيئة عام ١٩٨٦ .

ترك العملَ في الهيئة عام ١٩٨٦ وانصرف إلى عمله الجامعي وترجمة مقالات لـ«مجلة العلوم» الكويتية، وهي الإصدار العربي لمجلة أمريكيةٍ مرموقة[١]، تُترجَمُ إلى عشر لغات، ولا يزال يترجِم مقالاتٍ لها في بعض الأحيان .

ثم سمي في سنة ١٩٨٩ عضواً في لجنة فعالية النشر في مركز الدراسات والبحوث العلمية التي كان من مهامها انتقاءُ كتبٍ علمية الطابع

(١) المجلة هي مجلة Scientific American.

رفيعةِ المستوى، موجهةٍ لغير المختصين، ومن ثم ترجمتها. وقد تولت دار طلاس نشر تلك الكتب في «سلسلة الثقافة المميزة» وترجم منها الدكتور مكي الحسني أربعة كتب هي: نشوء العصر الذري، والمرشد إلى وحدات القياس، ومستقبل العلم، والبحث عن اللانهاية الذي شارك في ترجمته الدكتور أحمد الحصري.

وترك العمل في المركز عام ١٩٩٦، ثم أحيل على التقاعد من عمله في الجامعة وتوقف عن التعليم فيها وانفك في ١٣/٩/١٩٩٨ . إلا أن جميع الأعمال التي قام بها إضافة إلى عمله الجامعي كانت امتداداً له ومكملةً لأغراضه، وهو لذلك لايزال رفيق دربنا الطويل في التعليم الجامعي، إذ لايزال يبحث ويكتب في المواضيع التي تخدم التعليم العالي وتعريبه. فقد وكل إليه الدكتور موفق دعبول وكيل جامعة دمشق للشؤون العلمية عام ١٩٩٧ مهمة التدقيق اللغوي لكتاب جامعي أعد لتعليم مبادئ المعلوماتية لجميع طلاب الجامعات والمعاهد العليا. وهي مهمة لابد أن يتوافر فيمن يكلف القيام بها إتقان العربية وعمق الثقافة العلمية وسعة الاطلاع. وأدى النجاح الذي أصابه الدكتور مكي الحسني في إنجاز مهمته هذه، إلى مدها لتشمل جميع كتب المعلوماتية في كلية العلوم بجامعة دمشق، فكتب كلية الهندسة المعلوماتية، فمراجع في المعلوماتية ارتأت الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية ترجمتها، فمراجعة النصّ العربي لـــ «معجم مصطلحات المعلوماتية» الذي أصدرته، ومقابلته بالأصل الإنكليزي وضبطه لغوياً، وهو يضم أكثر من سبعة آلاف مصطلح. وقد تجاوز عدد ما أنجز تدقيقه من الكتب المؤلفة

والمراجع المترجمة في المعلوماتية الثلاثين، كما يقوم بالتدقيق اللغوي لما ينشر في مجلة الثقافة المعلوماتية التي تصدرها الجمعية.

وقد خصّه الدكتور دعبول رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق أيضاً عام ١٩٩٨ بركن لغويٍ في المجلة موجهٍ «نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية». لقيت حلقات هذا الركن استحسان من اطلع عليها من المختصين باللغة العربية، فقرر الدكتور دعبول رئيس تحرير مجلة الثقافة المعلوماتية نشرها في هذه المجلة أيضاً تعميماً لفائدها، وقد صدرت الحلقة التاسعة منها في هذا الشهر.

لا يفوتنــي أخيراً أن أذكِّر بأن رئيس المجمع الراحل الدكتور حسني سبح كان قد كلف عام ١٩٨٠ عضو المجمع الراحل المهندس وجيه السمان والدكتور مكي الحسني مراجعة مشروع معجم مصطلحات الكهرباء الذي أعده مكتب تنسيق التعريب، وبأن الدكتور مكي الحسني نشر في مجلة المجمع (المجلد ٦٥ الصفحات ٥٤٠-٥٤٣) مقالة بعنوان: «لغتنا العربية، بين مجامع اللغة ووسائل الإعلام». وبالأمس تسلّمت منه مراجعته معجم مصطلحات الحرب الإلكترونية، أحد المعاجم الخمسة التي أعدها مكتب تنسيق التعريب للعرض على المؤتمر العاشر للتعريب، الذي سيعقد في دمشق في الشهر القادم بالتعاون مع المجمع ووزارة التربية، والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

أهلاً بك يا أخي الكريم في المجمع الذي انتخبك أعضاؤه رصيفاً لهم تكريماً، أهلاً بك في المجمع الذي أحببت مذ كنت فتى يافعاً تتردد على المسكية وترتاد الظاهرية حيث كان أبوك رحمه الله فيها أميناً، وتطل منها على العادلية مقر هذا الصرح الذي عشقت، أهلا بك تشد أزرنا، أهلا بك يا أبا خلدون.

كلمة الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري
في حفل استقباله في المجمع



سيدي رئيس المجمع

سادتي أعضاء المجمع

أيها الحفل الكريم

يُسعدني في البداية أن أقوم بواجب شكر الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع، الذي تَطوَّل عليَّ بكلمته الترحيبية الطيبة.

وأن أشكر السادة الأجلاّء أعضاء المجمع، الذين بقبولهم إياي بينهم، كرّموني تكريماً أرى أني لا أستحقه. وسوف تكون ثقتهم بي موضع اعتزازي الدائم.

وآمل أن أكون عند حسن ظنهم بي..

ولا أدري كيف أشكر أخي العزيز الدكتور عبد الله واثق شهيد على تفضُّله بتقديمي إليكم. إن ثناءه عليّ، إذا لم يصادف مني ما أستحق، فقد صادفتُ منه ما أعتز به حقاً.

وأشكر أيضاً أصحاب الفضل، الذين شرّفوني وأكرموني بحضورهم هذا الحفل.

أيها السيدات والسادة

لقد قُدِّر لي أن أخلُف في هذا الصرح، الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب طيَّب الله ثراه. ويطيب لي أن أُثنيَ على سَلَفي الصالح هذا، وأن أُعَدِّد مآثره ومنجزاته، عملاً بوصية العلاّمة الشيخ طاهر الجزائري، الذي فَقَدَه مجمعنا هذا قبل نحوٍ من ثمانين سنة (عام ١٩٢٠م). فقد كان يقول وهو على فراش الموت، لِمن حوله من أصحابه:

«اُذْكُروا مَنْ عندكم من الرجال، الذين ينفعونكم في الشدائد، ودَوِّنوا أسماءهم في جريدة، لئلا تَنْسَوْهم، ونوِّهوا بهم عند كل سانحة، واحْرِصوا عليهم حرصكم على أعزٍّ عزيز... تجاوزوا عن سيئاتهم، وانتفعوا بحسناتهم».

وأرى أن هذا الكلام الطيب ينطبق على الأحياء، وعلى الأموات أيضاً.

وقد اقتبست الكثير مما سأقوله الآن عن الفقيد الدكتور الخطيب، من كلمة الأستاذ رئيس المجمع، وكلمة الأستاذ نصرت منلا حيدر رحمه الله، اللتين أُلْقِيتا في حفل تأبين الفقيد في ١٩٩٥/١١/٩.

وُلد عدنان الخطيب في دمشق سنة ١٩١٤ ونشأ في بيت عِلم وفضل، فقد كان والده عبدُ القادر خطيب الجامع الأُمَوي، فتفتّحت نفسه على حُبّ العربية، وملأته الرغبة في دراستها ومطالعة كتبها. ثم كان للحركة الوطنية التي كانت تنافح المستعمر الفرنسي الغاصب آنذاك أثرُها الواضح في تأجيج حماسته للعربية، إذ رأى في التشبث بها والحفاظ عليها وجهاً من وجوه الدفاع عن الهُوِيّة العربية ومقارعة المستعمر.

التحق عدنان الخطيب بعد أن أكمل دراسته الثانوية، بكلية الحقوق في بغداد؛ فنال إجازتها سنة ١٩٤٢، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من

جامعة باريس سنة ١٩٤٧. مضى بعد ذلك يشق طريقه في اتجاهين: الحقوق والدراساتُ العربية. وقد أُوتِي فيهما نصيباً وافياً. فَتَنَقَّل من محراب القضاء إلى محراب الجامعة إلى محراب المجمع. ونهض بكل ما وُكِل إليه من وظائف نهوضاً دلّ على قدرته وكفاءته.

عمل الدكتور الخطيب في القضاء سنة ١٩٤٧ معاوناً للنائب العام في حمص، ثم معاوناً للنائب العام في دمشق سنة ١٩٥٠، ثم قاضياً في محكمة الاستئناف سنة ١٩٥٣، ثم قاضياً في الدائرة القانونية بوزارة العدل. ثم عُيِّن مستشاراً في مجلس الدولة عام ١٩٥٩ وسُمِّي عضواً في لجنة التشريع في الدولة، التي كوّنها رئيس مجلس الوزراء وجعلها برئاسة وزير العدل، وضَمَّت عدداً من الوزراء وكبار القضاة والعاملين في الدوائر القانونية.

وعمل أيضاً في كلية الحقوق بجامعة دمشق أستاذاً لطلبة الإجازة، وطلبة الدراسات العليا؛ كما عمل في كلية الشريعة بالجامعة نفسها، وفي معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة.

ووصل عام ١٩٦٩ إلى منصب رئيس مجلس الدولة، وبقي فيه حتى تقاعد عن العمل سنة ١٩٧٥.

نشر الدكتور الخطيب عدداً من **المقالات القانونية** منها:

١ً- القضاء، طبيعته والأركان التي يقوم عليها. مَجلّة نقابة المحامين بدمشق، العددان الأول والثاني لعام ١٩٤٤.

٢ً- الشريعة الخالدة؛ المرجع السابق، العددان الثالث والرابع.

٣ً- لغة القانون في البلاد العربية؛ المرجع السابق، العدد العاشر.

٤ً- الوصف القانوني للجريمة، العدد السادس لعام ١٩٥٧.

٥- الإجراءات الإدارية، طبيعتها وميزاتها، العدد السادس لعام ١٩٦٤.

٦- المحامي بين الولاء لموكّله، وبين قواعد الأخلاق؛ العدد السادس لعام ١٩٦٥.

وقد عُرف الدكتور الخطيب في حياته القضائية الطويلة بالنـزاهة في المسلك، والتقصّي في تحرّي الحق والإنصاف، والاجتهاد في الرأي، فكانت سيرتُه سيرةً عَبِقَ المسك بها، نقاءً وطيباً.

وفي سنة ١٩٦٠ انتُخب عضواً في هذا المَجمع، وكان قد بلغ السادسة والأربعين من عمره. وفي عام ١٩٧١ صدر مرسوم جمهوري بتسمية رئيس المجمع الدكتور حسني سبح رحمه الله، والمرحوم الدكتور الخطيب ممثلَيْن لمجمع اللغة العربية بدمشق لدى اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. وبعد وفاة أمين المجمع الأسبق المرحوم الدكتور شكري فيصل سنة ١٩٨٥، شغل الدكتور الخطيب هذا المنصب حتى وفاته سنة ١٩٩٥.

أمضى الدكتور الخطيب في رحاب المجمع خمساً وثلاثين سنةً حافلةً بالبذل والعطاء. وألقى فيه قبل أن يصير من أعضائه أربع محاضرات في مجال القانون، وذلك في سنوات ١٩٤٣ و١٩٤٤ و١٩٤٦. وضمَّت مَجلة المجمع أول مشاركة له على صفحاتها عام ١٩٤٩ بمقالة عنوانها: النهضة العربية في العصر الحديث.

وتناولت كتبه ومؤلفاته القانونية وغير القانونية موضوعات شتى. وقد أعدّ نجل الفقيد الدكتور المهندس مؤنس الخطيب قوائم بآثار والده المنشورة استغرقت ثلاث عشرة صفحة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[1]، ونُشرت مع كلمته والكلمات الأخرى التي أُلقيت في حفل تأبين والده.

---

(١) الجزء الثاني من المجلد الحادي والسبعين، بدءاً من الصفحة ٤٠٢.

ومن أبرز كتب الفقيد **القانونية**:

١ً- شرح الجرائم المُخلّة بالأخلاق والآداب العامة؛ في ثلاثة أجزاء.

٢ً- شرحُ الأحكام العامة لقانون العقوبات.

٣ً- شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية.

ومن مؤلفات الدكتور الخطيب المهمة:

١ً- كتابٌ عن الشيخ طاهر الجزائري(٢)، أحدِ رجال النهضة والإصلاح البارزين في بلاد الشام. وقد كشف فيه عن أعمال هذا المصلح الفذ الذي كان نبراساً يضيء في ليل مظلم، وبيَّن آثاره العميقة في نفوس مُريديه وطلابه، فاقتَدَوا به وساروا على نهجه، دفاعاً عن الهوية العربية، وتأصيلاً لها.

كتب الأستاذ محمد كرد علي في مطلع أحد كتبه ما يلي:

إلى روح مَن أشْربَ قلبي حب العرب، وهداني إلى البحث في كتبهم، صدر الحكماء، سيدي وأستاذي الشيخ طاهر الجزائري، أهدي كتابي «كنوز الأجداد»(٣).

٢ً- كتابٌ عنوانه: «المعجم العربي بين الماضي والحاضر» وقد صدر في القاهرة عن معهد البحوث والدراسات العربية، سنة ١٩٦٦/ ١٩٦٧.

٣ً- كتابٌ عنوانه: «المعجم العربي ونظراتٌ في المعجم الوسيط» أصدره مجمع دمشق سنة ١٩٦٥ أي بعد خمس سنوات من صدور الطبعة

(٢) صدر عن معهد البحوث والدراسات العربية؛ القاهرة ١٩٧١م.

(٣) كنوز الأجداد لمحمد كرد علي (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٠م)، الشيخ طاهر الجزائري: ٣٠.

الأولى من المعجم الوسيط. وهو كتاب يقع في ٣٠٧ صفحات، تشغَل فيه «النظرات» ٢٥٠ صفحة.

ويستحق المعجم الوسيط ونظرات الدكتور الخطيب وقفة قصيرة. فهو أول معجم عربي تصدره هيئة لغوية، هي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بعد إعدادٍ طويلٍ استغرق الكثير من السنين، وبعد أن أمضى أربعةٌ من أعضاء المجمع القاهري ثلاث سنوات في مراجعته وتنقيحه وتهذيبه وتنسيقه. وقال عنه الدكتور إبراهيم مدكور رحمه الله، الأمين العام للمجمع القاهري آنذاك في تصدير الطبعة الأولى: «لا سبيل إلى مقارنته بأي معجم من معاجم القرن العشرين العربية، فهو دون نزاع أوضح، وأدق، وأضبط، وأحكم منهجاً وأحدث طريقة. وهو فوق كل هذا مجدِّدٌ ومعاصر، يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام...» اهـ. وختم الدكتور مدكور تصديره بالترحيب بالنقد والمعارضة لهذا المعجم.

وقد نقد عددٌ من اللغويين بعض مواد المعجم على صفحات المجلات المختصة. بيد أن الدكتور الخطيب هو الوحيد الذي نشر في مجلة مجمع دمشق سلسلةَ مقالاتٍ نقدية، ثم أصدرها في الكتاب المذكور آنفاً بعد أن أسماها «نظرات في المعجم الوسيط». ولم يورد ملاحظاته في هذا الكتاب وفقاً لترتيب المعجم، بل جعلها طوائفَ تَبَعاً لموضوعاتها وهي:

١- تعريف الوحدات الزمنية.

٢- تعريف المقاييس والمكاييل والموازين.

٣- تعريف وحدات النقود.

٤- تعريف النباتات.

٥- تعريف الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات.

٦- تعريف رجال الكهنوت المسيحي والطوائف والكلمات النصرانية ومختلِف أماكن العبادة.

٧- تعريف الرتب والمصطلحات العسكرية.

٨- تعريف نجوم السماء والمصطلحات الفلكية.

٩- تعريف الأعلام الجُغرافية والتاريخية والشعوب.

١٠- تعريف الملل والنحل والمذاهب المختلفة.

وجعل الخاتمة: أشتات مجتمعات، هي:

١- تعريف بعض الدرجات العلمية.

٢- المصطلحات القانونية.

٣- كلمات متفرقات.

وبالحق، إن نظرات الدكتور الخطيب هذه في المعجم الوسيط نظراتٌ ثاقبة، تنم على بصيرةٍ واطلاعٍ واسع على تراثنا اللغوي والتاريخي والفقهي والعلمي.

وجاء في مقدمة الطبعة الثانية المنقحة للمعجم الوسيط التي صدرت سنة ١٩٧٢: «...شاكرين كلَّ من تفضل بإبداء رأي علمي، أو لغوي أو منهجي. وفيما عُنيت اللجنة بدراسته [المراد لجنة المعجم] كتاب للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب أخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق، عنوانه: المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط» اهـ.

هذا، وقد صدر للمعجم الوسيط طبعة ثالثة منقحة ومزيدة، وذلك سنة ١٩٨٥.

ومع كل المزايا التي ذكرتُها للمعجم الوسيط، فإنه في نظري -ككلِّ معاجم العربية بلا استثناء- ليس بالمعجم الذي يسدّ حاجاتنا **في الوقت الحاضر**. فهو يفتقر إلى استقصاء الاستعمالات المختلفة للمادة المعجمية، وإلى بيان ذلك بأمثلة نموذجية يُنسج على منوالها. ومن المعلوم أنه في عصرنا هذا، صارت لغة المواطن العربي **السليمة** لغةً غير سليقية، ولا يمكن أن يكتسبها إلا بالدراسة الجادَّة، وذلك بقراءة الكثير من النصوص الفصيحة قراءةً مُتأنِّيَةً مُتَدبِّرة، وبكثرة الرجوع إلى المعجم. لذا فإن الحاجة **الآن** ماسّة جداً إلى معجمٍ يسدّ الثغرة التي أشرت إليها، ويساعد الدارس العربي المعاصر على التمكن من لغته. ولمزيد من البيان أقول: نحن محتاجون إلى معجم عربي على غرار المعجم الإنكليزي المسمى «معجم أكسفورد للدارسين المتقدمين». وليس من الضروري في المرحلة الأولى أن يستغرق المعجم المنشود جميع مواد اللغة (في المعجم الوسيط ثلاثون ألف مادة!) بل يكفي في البداية أن يشتمل على ثلاثة آلاف مادة مستوفاة! وآمُل أن تنهض لجنة المعاجم في مجمعنا هذا بالمهمة العظيمة التي هي إعداد ما أسمّيه «المعجمَ الوافي الصغير».

٤ً- ومن أعمال الدكتور الخطيب المهمة، كتاب أصدره هذا المجمع سنة ١٩٦٩ عنوانه: «المجمع العلمي العربي، مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً». وذلك حين احتفلت هذه الهيئة العلمية بعيدها الذهبي. فقد رأى الدكتور الخطيب أن خير ما يقدّم للمجمع في تلك السانحة هو «مجموعةُ تراجمَ موجزةٍ لأولئك الأعلام الذين حملوا مَشْعل النهضة العلمية في العصر الحديث، وأضاؤوا به طريق المجد وسبيل الحضارة والعرفان، بانين للأمة العربية صرح مجمعها الأول، مجمع اللغة العربية بدمشق».

لقد بلغ عدد العاملين من أعضاء المجمع، الذين تعاقبوا على كراسيّه العشرين منذ تأسيسه حتى نهاية عام ١٩٦٨ خمسةً وأربعين عضواً. وكان في نية الفقيد رحمه الله أن يترجم لهؤلاء جميعاً. ولكن الشواغل المتزاحمة لم تتح له إلا تسطير القسم الأول من الكتاب الذي تناول فيه سِيَــر الأعضاء المؤسسين الثمانية، وهم:

١- الأستاذ الرئيس محمد كرد علي (١٨٧٦- ١٩٥٣).

٢- الشيخ أمين سويد (١٨٥٥- ١٩٣٦).

٣- أنيس سلوم (١٨٦٢- ١٩٣١).

٤- الشيخ سعيد الكرمي (١٨٥٢- ١٩٣٥).

٥- الشيخ عبد القادر المغربي (١٨٦٧- ١٩٥٦).

٦- عز الدين التنوخي (١٨٨٩- ١٩٦٦).

٧- عيسى إسكندر المعلوف (١٨٦٩- ١٩٥٦).

٨- متري قندلفت (١٨٥٩- ١٩٣٣) (ديمتري).

وذكر الدكتور الخطيب في آخر جلسة حضرها من جلسات المجمع أنه أنجز تأليف كتاب يتحدث فيه عن مجمع اللغة العربية في **خمسة وسبعين** عاماً، ليقدمه في الحفل التذكاري الذي عزم المجمع على إقامته في المدة ٢٦-١٩٩٥/١١/٢٩؛ ثم فاجأته المنية، ولم يُعثر على مخطوطة الكتاب...

ولكن الفقيد ترك مخطوطات أخرى غير مكتملة، وتمنى نجله الدكتور المهندس مؤنس أن يقيض الله لها من يُعنى بإتمامها.

لقد حدثتكم أيها السادة والسيدات عن شيءٍ من صفات هذا المجمعي المتميز، وعن بعض أعماله، وهي أعمال يذكرها ويفيد منها الناس بعد غياب صانعها، كما أفادوا منها في حياته.

ومن أجمل ما قيل في هذا الصدد، بيت من شعر الحكمة لأستاذنا المفضال الدكتور عبد الكريم اليافي حفظه الله، أختم به كلمتي عن الفقيد الدكتور عدنان الخطيب:

وقيمة المرء ما يُسديه مِن عملٍ   ما المرء في هذه الدنيا سوى خبرِ

أشكر لكم حسن استماعكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

حفل استقبال

الأستاذ شحادة الخوري

عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته المنعقدة بتاريخ عضواً عاملاً في جلسته السادسة التي عقدت (٦/ ١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٢م)، (من الدورة المجمعية لعام ٢٠٠٢) الأستاذ شحادة الخوري عضواً في مجمع اللغة العربية، الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور مسعود بوبو، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٣١٨) في (١٠/ ٧/ ١٤٢٣هـ - ١٦/ ٩/ ٢٠٠٢م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ شحادة الخوري في جلسة علنية عقدها (مساء يوم الأربعاء ١٤ شوال ١٤٢٣هـ - ١٨ كانون الأول ٢٠٠٢) في قاعة المحاضرات في المجمع؛ حضرها نخبة من رجال السياسة والعلم والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع بكلمة موجزة رحب فيها بالسادة الحضور، مهنّئاً الزميل المجمعي الجديد، مباركاً انضمامه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، وذكر طرفاً من سيرته، ونوّه فيها بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ شحادة الخوري وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور مسعود بوبو.

وننشر فيما يلي كلمات الحفل.

* * *

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

في حفل استقبال الأستاذ شحادة الخوري

عضواً في مجمع اللغة العربية

السادة العلماء الأجلة ــ أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن التحيات وأطيبها، وأرحّب بكم أجمل الترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور لنحتفي معاً باستقبال الزميل العزيز الأستاذ شحادة الخوري عضواً في مجمع الخالدين.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في (٦/ ١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٢م) الأستاذ شحادة الخوري عضواً في مجمع اللغة العربية.

ثم صدر بتعيينه المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٣١٨) في (١٠/ ٧/ ١٤٢٣هـ - ١٦/ ٩/ ٢٠٠٢م).

وإني لأهنئه التهنئة الخالصة بثقة زملائه المجمعيين الذين اختاروه لينتظم في صفوفهم يشدّ أزرهم، ويؤيد مسعاهم، يتابعون معاً المسيرة التي وقفوا نفوسهم عليها، من العناية بالعربية المبينة، والعمل الجاد الدائب لتنميتها وازدهارها لتلبي حاجات العصر المتجددة، وتحقق ما يهيئها لتحتل مكانتها السامية بين اللغات.

* * *

عُرف الأستاذ شحادة الخوري منذ نشأته بميله إلى الدراسة، وحُبّب إليه الكتاب فاتخذه خديناً له. وكان متفوقاً في دراسته ما قبل الجامعية، ثم نال إجازة الحقوق (١٩٤٧م) فإجازة كلية الآداب – قسم اللغة العربية (١٩٥٧م).

أحب اللغة العربية الحب الجمّ وأتقنها، كما أتقن اللغة الفرنسية، وألمّ باللغة الإنكليزية إلماماً جيداً.

بدأ في حياته مدرساً في المدارس الأهلية والرسمية في مدينتي حلب ودمشق (١٩٤٨ – ١٩٥٨م)، وعمل من بعدُ في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل (١٩٦٠ – ١٩٦٩م) مما هيأه لاكتساب خبرة عملية غنية. ثم أمضى نحو اثني عشر عاماً في وزارة التعليم العالي (١٩٦٩- ١٩٨١م) كان فيها مديراً للترجمة والنشر، إلى جانب مناشط أخرى في الوزارة تتصل بميدان عمله. وكانت له اليد الطولى في إنجاح مشروع الوزارة الرامي إلى ترجمة أمهات الكتب العلمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية لتكون مراجع مفيدة للأساتذة والطلاب الجامعيين، ودليلاً حيّاً على طواعية اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن مستجدات المعرفة العلمية في هذا العصر.

وفي وزارة التعليم العالي أتيح لي التعرف على الأستاذ شحادة عن قرب، وتبينتُ ما يتمتع به من مزايا علمية وإدارية، وما يتجلى في عمله من دقة وعناية وثّقت من صلتي به.

واختيـــر الأستاذ شحادة بعد ذلك خبيراً لوحدة الترجمة بإدارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلبث في عمـــله نحو ثماني سنوات (١٩٨١- ١٩٨٨م)، وقام بعدة أعمال أساسية مثل «وضع الخطة القومية

للترجمة»، وكتاب «دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي» وإعداد مشروع «المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر» الذي افتُتح بدمشق عام ١٩٩١.

وأتيح للأستاذ شحادة أن يقوم وهو في المنظمة بمناشط عدة ذات صلة بعمله، وذلك بمشاركته في المؤتمرات والندوات والاجتماعات الفكرية والثقافية واللغوية.

ولما انتهى عمله في المنظمة في نهاية عام ١٩٨٨ عاد إلى دمشق، وتفرغ لإنجاز الدراسات والمشروعات التي كان قد بدأها، ولإعداد ما يستجدّ من دراسات.

وكانت هذه المرحلة من أخصب مراحل حياته. وقد توجت بتولّيه رئاسة اتحاد المترجمين العرب الذي تأسس في ٣٠/ ١/ ٢٠٠٢م، ومقره بيروت. ونتمنى له المزيد من التوفيق والنجاح.

* * *

ليس من همي أن أعدد مناشط زميلنا العزيز فهي كثيرة متعددة وإنما أكتفي بالإشارة إلى محبته اللغة العربية محبة ملكت عليه قلبه، وقد كشف عن بعض ذلك بقوله: «إنه بعد دراسته العربيةَ وتدريسها سنوات عدة وممارسته الكتابة بها والترجمة إليها قرّ في ذهنه أنها جديرة بالعناية الفائقة لخصائصها الفريدة، وتراثها النفيس الديني والأدبي والعلمي، وأنها المقوم الأساسي والمهم بين مقومات هويتنا القومية، وبالتالي ينبغي أن نتمسك بها لتكون لغة الحاضر والمستقبل، وتحقق علميتها وعالميتها من جديد» ومن هنا فقد «وجه

نشاطه في السنوات الخمس والعشرين الأخيرة للدعوة المستمرة إلى تحسين تعليم اللغة وتنميتها وإغنائها بالمصطلح الموحد، والترجمة إليها ومنها لتتمكن من مواكبة التطور العلمي والتقاني في العالم».

وعُرف الأستاذ شحادة بغزارة نتاجه الذي تجلى في كتبه المؤلفة والمترجمة وفي دراساته ومقالاته الكثيرة المتنوعة.

ومجال القول ذو سعة، ولكني مكتف بهذه الكلمة القصيرة وفاءً للعرف الذي جرى عليه المجمع، وهو أن أفتتح جلسة المجمع العلنية المخصصة لاستقبال العضو المنتخب، مرحّباً بانضمامه إلى أسرة المجمعيين، تمهيداً للاحتفاء به.

فأهلاً بك في رحاب المجمع بين زملائك المجمعيين نعمل معاً لرفعة اللغة وازدهارها حتى تبلغ مكانتها السامية بين اللغات العالمية.

ويسعدني أن أدعو الأستاذ الدكتور زهير البابا عضوَ المجمع ليلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل العزيز، ويتحدثَ عن سيرته العلمية، ليتلوه الأستاذ شحادة الخوري فيعرضَ لنا أطرافاً من سيرة سلفه الراحل الأستاذ الدكتور مسعود بوبو رحمه الله الرحمة الواسعة.

* * *

كلمة الأستاذ الدكتور زهير البابا

في حفل استقبال الأستاذ شحادة الخوري

عضواً في مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم،

إنها لمسرة لي أن نستقبل اليوم، في مجمعنا، مجمع اللغة العربية، عضواً جديداً هو الأستاذ شحادة الخوري، وإنني لأعتقد أنه سيقدم إلى المجمع عوناً ونفعاً، لما حصَّل من معرفة واكتسب من خبرة، خلال عمله في خدمة اللغة العربية تدريساً وتأليفاً، واهتمامه بالترجمة والمصطلح والتعريب في أثناء عمله مدة عقدين من الزمن في وزارة التعليم العالي والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

لقد عرفت الأستاذ شحادة الخوري في مطلع الخمسينيات، وانعقدت بيننا صداقة مشبعة بالمودة. وقد رفدت هذه العلاقة اهتمامات مشتركة بشؤون تراثية ولغوية وثقافية متنوعة. ولطالما التقينا على هذا الصعيد، فكنا نتذاكر ونتناقش، وقد يُطلع واحدنا الآخر على مقال كتبه أو دراسة أعدها أو كتاب نشره أو مشروع فكّر به، للاستئناس برأيه والإفادة من نصحه، ونجد في جلسات التواصل الفكري هذه متعة وفائدة. وخلال هذه «الصحبة» المديدة، وجدته على الدوام لطيف المعشر، صادق الوطنية، محباً للعربية، باحثاً عن الحقيقة، يريد لغيره أكثر مما يريد لنفسه.

واسمحوا لي أن أقدم لكم تعريفاً موجزاً بالزميل الكريم.

ولد الأستاذ شحادة الخوري عام ١٩٢٤ في بلدة صيدنايا قرب دمشق، وهي بلدة تتمتع بشهرة واسعة تاريخية ودينية وسياحية، وتتميز بنقاء جوِّها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها. «وكان والده الخوري أغابيوس (حبيب) إبراهيم الخوري، كاهناً للبلدة ودير السيدة العذراء للروم الأرثوذكس».

• تلقى تعليمه في مدرسة البلدة التي ولد فيها مدة أربع سنوات، ثم انتقل إلى دمشق فتابع دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية مدة سبع سنوات، في المدرسة التجهيزية الأرثوذكسية المعروفة باسم «مدارس الآسية» التي تقع في حي القيمرية بدمشق القديمة.

حصل على شهادة الدراسة الثانوية السورية — القسم الأول — وشهادة الدراسة الثانوية الفرنسية — القسم الأول — عام ١٩٤٢. ثم انتقل إلى مدرسة التجهيز الأولى التي سميت فيما بعد ثانوية جودة الهاشمي وحصل على شهادة الدراسة الثانوية السورية (القسم الثاني — فلسفة) عام ١٩٤٤.

• انتسب إلى معهد الحقوق بجامعة دمشق، ونال الإجازة منه عام ١٩٤٧، ثم انتسب إلى قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة دمشق ونال الإجازة منه عام ١٩٥٧. ومن خلال دراسته هذه أتقن اللغتين العربية والفرنسية وألـمَّ بالإنكليزية.

• أما العمل فقد باشره خلال مدة دراسته، إذ تولى إدارة المدرسة الإعدادية الأرثوذكسية ببلدة قطنا والتدريس فيها مدة عامين، وقام بتدريس

اللغة العربية في المدرسة الإعدادية الأرثوذكسية للبنات بدمشق عامين آخرين. وفي عام ١٩٤٧ نجح في المسابقة التي أجرتها وزارة التربية لانتقاء المدرسين فعمل مدرساً بحلب مدة سنتين، وانتقل بعدهما إلى دمشق حيث درّس اللغة العربية وآدابها في ثانوياتها الرسمية والأهلية والخاصة حتى نهاية ١٩٥٨.

● وفي العام ١٩٥٠ شارك في تأسيس «رابطة الكتاب السوريين» التي تحولت عام ١٩٥٤ إلى «رابطة الكتاب العرب» ثم بعد ذلك صار عضواً في اتحاد الكتاب العرب، منذ تأسيسه عام ١٩٦٩ حتى اليوم.

● وفي عام ١٩٦٠ انتقل إلى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، فعمل رئيساً لدائرة التسجيل التعاوني ثم مديراً معاوناً للتعاون ثم مديراً للعلاقات الدولية ثم مديراً للتخطيط فمديراً لإنعاش الريف. وخلال سنوات تسع بذل كل جهد ممكن لتطوير مشروعات التنمية الريفية.

● وفي أيلول ١٩٦٩ انتقل إلى وزارة التعليم العالي مديراً للتأليف والترجمة والنشر، فاجتهد لإنجاح مشروع الوزارة الرامي إلى ترجمة أمهات الكتب وبخاصة العلمية منها من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية لتكون مراجع للمدرسين والطلاب الجامعيين، فتدعم التدريس بالعربية في الكليات والمعاهد، وتهدى إلى جميع الجامعات في الوطن العربي لتكون برهاناً على قدرة اللغة العربية على التعبير عن علوم العصر الحديث، وقد صدر خلال عشر سنوات ما يزيد على خمسة وسبعين مجلداً في العلوم المختلفة. لقد كان هذا المشروع ومازال من المشروعات الرائدة التي تستحق الدعم والمساندة.

وفي هذه الفترة شارك في لجان عديدة، وأسهم في النشاطات الثقافية المختلفة التي قامت بها وزارة التعليم العالي والمجلس الأعلى للعلوم والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

وفي منتصف عام ١٩٨١ اختير خبيراً لوحدة الترجمة بإدارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، هذه الوحدة التي أحدثت لتطوير حركة الترجمة في الوطن العربي. فصرف اهتماماته إلى شؤون الترجمة وقضاياها المختلفة تخطيطاً وتنسيقاً. وكان مما قام به وضع «الخطة القومية للترجمة» عام ١٩٨٥، وإعداد كتاب «دليل المترجمين ومؤسسات الترجمة في الوطن العربي» عام ١٩٨٧ وإعداد كتاب «دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي» بقسميه الأول عام ١٩٨٥ والثاني عام ١٩٨٧، وأسهم في مراجعة وإعداد «المعجم العربي الأساسي» الصادر عام ١٩٨٩. وأهم ما قام به وضعه دراسة جدوى لمشروعين تابع السعي لقيامهما أمام الهيئات المختصة، أولهما: «المعهد العربي العالي لإعداد المترجمين» الذي ووفق عليه واختيرت الجزائر مقراً له، ولم يفتتح لأسباب مالية، وثانيهما «المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر» الذي اتخذ دمشق مقراً له وافتتح عام ١٩٩٠، فأصدر حتى الآن حوالي مئة كتاب مرجعي لدعم التعريب، منها حوالي عشرين مازالت قيد الطبع، وهو يصدر مجلة تدعى «التعريب» ويقيم الندوات الدورية لتنشيط حركة التعريب في البلدان العربية.

وبعد انتهاء عمله في المنظمة، شارك بناءً على تكليفها، بمناقشة وصياغة «الخطة القومية للتعريب» عام ١٩٩٦، و«الخطة القومية المحدثة

للترجمة» عام ١٩٩٧.

وقد أهلّه نشاطه في ميدان الترجمة في وزارة التعليم العالي والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارةً وتخطيطاً، بالإضافة إلى ممارسة الترجمة، لينتخب في المؤتمر الأول للترجمة الذي عقد بدعوة من المنظمة العربية للترجمة ببيروت من ٢٨- ٣٠ كانون الثاني من هذا العام، رئيساً لاتحاد المترجمين العرب الذي تم تأسيسه، وبإجماع الأعضاء المؤسسين.

هذا وقد زار، في نطاق أدائه الأعمال السابقة العديد من البلدان العربية والأوروبية، وحضر ما يزيد على عشرة مؤتمرات وخمس عشرة ندوة لغوية وثقافية، وقدم فيها دراسات تتصل بموضوعاتها.

وأما أعماله الثقافية والأدبية واللغوية المطبوعة فتبلغ ستة عشر كتاباً منها معجمان وثلاثة كتب مترجمة. وقد نشر دراسات ومقالات يزيد عددها على مئتين في المجلات والصحف السورية والعربية.

ونذكر من كتبه المطبوعة:

١- «الأدب في الميدان» ١٩٥٠، تقديم الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢- ترجمة كتاب: «التجديد في تدريس العلوم»، بالتعاون مع الأستاذ المرحوم الدكتور صلاح الأحمد.

٣- كتاب «الترجمة قديماً وحديثاً» ١٩٨٨، تقديم الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام الأسبق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٤- كتاب «دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح» في جزأين الأول عام ١٩٨٩ والثاني عام ٢٠٠١ تقديم الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

٥- كتاب «قصة الأيام والشهور والأرقام وتسمياتها» عام ٢٠٠١.

٦- كتاب «القدس في مواجهة الخطر» عام ٢٠٠١.

إن من يطلع على مجمل كتابات الأستاذ شحادة الخوري ونشاطاته الفكرية يلحظ فيها أموراً ثلاثة:

١- يحاول أن يجمع بين التمسك بالأصالة والأخذ بالجديد. فإن الاعتزاز بتراث أمتنا العربية والعناية به لا يتعارض البتة في رأيه مع السعي لإيجاد ثقافة عربية متطورة تؤهلنا لمواكبة هذا العصر.

٢- يعتقد أن اللغة العربية هي المقوم الأساسي لهويتنا، وبالتالي فهي تستحق الجهد المخلص للحفاظ عليها ورفدها بالمصطلح اعتماداً على الطرائق المعروفة لتعبر عن مستجدات العلم والحضارة.

٣- يرى أن الكتابة ليست سبيلاً لكسب المال أو الجاه، بل هي جهد ذهني هادف يبذله الكاتب خدمة لمجتمعه.

أيها السيدات والسادة

إن مجامع اللغة العربية في الوطن العربي تضطلع بمسؤوليات جسيمة إذ تتصدى لحماية اللغة العربية والحفاظ عليها بكل السبل، وتُعنى بتراث أمتنا العربية المجيدة، وهذا التراث هو مستودع ثقافتها وثمرة جهدها وإبداعها،

والنبع الذي نهل منه الغرب لإقامة حضارته المعاصرة.

إنها لمهمة نبيلة تستحق كل جهد لموقع اللغة العربية في نفوسنا. وحسبها شرفاً ورفعة أنها لغة القرآن الكريم الذي أنزل بها فمنحها غنىً وروعةً بمعانيه السامية وبيانه الناصع وأفسح لها سبيل الانتشار في أنحاء الأرض.

ولذا تجهد المجامع لصون لغتنا العربية من تأثير العاميات الهجينة، ومن ضعف الناشئة باللغة الفصيحة وقواعدها، ومن مزاحمة اللغات الأجنبية لها، ولاسيما في مجال تدريس المواد العلمية في مرحلة التعليم العالي في أكثر الأقطار العربية.

وإزاء ذلك تعمل المجامع لتحقيق استخدام اللغة الفصحى على أوسع نطاق وتدعو أهل التربية والثقافة والإعلام إلى العناية الشديدة بتعليم العربية السليمة للناشئة، وتدريبهم على حسن نطقها وكتابتها ومعرفة ضوابطها وتذوق روائعها الشعرية والنثرية، وتقديمها للسامع والقارئ، في الكتاب والمجلة والصحيفة والإذاعة والتلفزة بأبهى حلّة وأنصع بيان.

كذلك تعمل المجامع على وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية والسعي لتنسيقها وتوحيدها في الوطن العربي، وتبذل الجهد لإنجاح التعريب في التعليم العلمي الذي بدأ في الجامعات والمعاهد منذ عهد قريب في بعض الأقطار العربية لتحل اللغة الأم، اللغة العربية، محلها اللائق الذي تستحق مثلما هي الحال في الكليات والمعاهد في جامعاتنا العربية السورية، كما تعمل على تشجيع الترجمة تحقيقاً لتواصل الثقافات، دون أن يتعارض

ذلك كله مع تعليم الناشئة لغة أجنبية أو أكثر.

ونتيجة للجهود التي بُذلت، تحققت أمور كثيرة، ولكن الهدف المنشود مازال بعيداً والمسيرة إليه شاقة بسبب تشعب الموضوعات وبعد المسافات وتعدد المرجعيات في الوطن العربي.

لقد انقضت ثلاث وثمانون سنة على قيام مجمع اللغة العربية بدمشق، وهو يؤدي الأمانة وينهض بالتبعة بفضل همم من تولّوا رئاسته وإدارته أو كانوا أعضاء عاملين أو مراسلين فيه، وبفضل من أسهم في أعماله من رجال المعرفة والعلم في هذا البلد والبلدان العربية الأخرى.

وفي هذا المقام أرى من الواجب عليَّ أن أشيد بالرعاية الكريمة التي أولاها لمجمعنا هذا الرئيس الخالد حافظ الأسد، والتي تستمر اليوم في عهد الرئيس بشار الأسد حفظه المولى ورعاه.

بوركت يدٌ تبني من أجل حاضر نحياه ومستقبل نأمل أن يكون زاهياً يعيد لأمتنا العربية المجيدة أَلَقَها الذي سطع على العالم قروناً عديدة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة الأستاذ شحادة الخوري

في حفل استقباله عضواً في مجمع اللغة العربية

أيها السيدات والسادة

يطيب لي بادئ ذي بدء، أن أسوق الشكر جزيلاً وخالصاً إلى إخواني الأكارم، أعضاءِ مجمعنا العريق، مجمعِ اللغة العربية بدمشق، لتفضلهم بانتخابي عضواً عاملاً فيه، وذلك تشريف لي أتقبله بامتنان وإلّم أكن أهلاً لمثله.

وإنني إذ أقدِّرُ لهم هذه الثقة الغالية التي أولَوْني إياها، لأعدُ ببذل كلِّ ما في وسعي، بالتعاون معهم، للإسهام في أعمال المجمع وتحقيق أهدافه السامية التي ترمي للحفاظ على لغتنا العربية الغالية. إنها لسان الآباء والأجداد ولغة القرآن الكريم التي أثرت بمعانيه السامية وبيانه الناصع، ووعاء حضارتنا الباذخة وذاكرة تراثنا الأدبي والعلمي عَبْر العصور، والتي علينا أن نجعلها لساننا الأثير على وجه الشمول، في الزمن الحاضر والمستقبل.

وأود أن أشير إلى أنني لم أكن في العقدين الأخيرين بعيداً عن المجمع وأعضائه والقائمين على شؤونه. فقد حَضَرْت الندواتِ العلميةَ التي أقامها وشاركت في بعضها، ونشرت بعضَ الدراسات في مجلته الغراء ، وتابعت نشاطه اللغوي والثقافي.

وقبل هذا وذاك أشير إلى الصلات الحميمة التي تربُطني بعدد من أعضائه الأكارم منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمن، صلاتٍ قائمةٍ على الصداقةِ والمودة والاحترام. وإني لأخص بالذكر صلتي بسيادة رئيسِ المجمع العلامةِ الفاضل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام. لقد تعارفنا في بداية الستينيات، على صعيد تعلقنا باللغة العربية وقيامنا بخدمتها كتابةً وتدريساً.

وتوثقت علاقتنا حين جمعتنا وزارة التعليم العالي في السبعينيات، عندما تولى قيادة هذه الوزارة آنئذ، بكل القدرة والإخلاص والدأب، فوسَّعَ اهتماماتِها وعزَّزَ دورَها، وكنتُ سعيداً بمعاونته إياي بوصفي مديراً للتأليف والترجمة والنشر فيها، وكانت ثمرات دعمه لعملي إذاك طيبة ووافرة. وكذلك أذكر باعتزاز صلتي بالأخ الأستاذ العلامة الدكتور عبد الكريم اليافي الذي تكرم بتقديم كتابي «الأدب في الميدان» عام ١٩٥٠، ثم كتابي «دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح» عام ١٩٨٩، فغمرني بمودته وأفادني بعلمه.

أيها السيدات والسادة:

إنني وقد شاء لي المجمع وشئت أن أتحدث عن عضو سبقني من أعضائه الأفاضل، هو الأستاذُ والأديبُ والباحثُ المرحوم الدكتور مسعود بوبو، فإنني لأُحِسُّ بشعور مزدوج: شعورٍ بالحزن العميق لفقده في وقت مبكر، إذ وافته المنية وهو في أوج نشاطه وذُرْوة عطائه، لم يزد على الستين إلاّ قليلاً، وشعورٍ بالرضا إذ سنحت لي فرصةُ التحدثِ عن فارسٍ من فرسانِ الكلمة، وعلمٍ من أعلام اللغة والثقافة في بلادنا ممن نذروا حياتهم للعلم والمعرفة، للنهوض والارتقاء، للوطن والأمة، على السواء.

لقد لقيت الدكتور مسعود، رحمه الله، مراتٍ عديدة، أذكر منها لقاءنا خلال محاضرة ألقيتها في قاعة اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٩١ حول «اللغة العربية والتقدم العلمي والتقاني والتقني» وتباحثنا بعدها فيما تلقى اللغة العربية في هذا العصر من تحديات إزاء المصطلحات التي تدخل ساحة العلم بتأثير الكشوف الجديدة والتقدم المعرفي السريع. وكذلك لقيته في الندوة التي أقامتها كلية الآداب بجامعة تشرين في اللاذقية عام ١٩٩٦ والتي ألقيت فيها دراسة موضوعها: «التعريب والمصطلح» وألقى الدكتور مسعود

دراسة قيّمة موضوعها: «التعريب والشخصية الوطنية». وقد نشرت الدراستان مع الدراسات الأخرى في مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، العدد السادس لعام ١٩٩٦.

وأود هنا أن أورد المقطع الأخير من دراسته القيمة: «.... إن علينا أن نعرب العلوم والمسمياتِ الحديثة، وأن نتحاشى اعتمادَ تسمياتٍ أجنبية في المحافل الرصينة أو في الحياة العامة أو في الخِدْمات والمرافق السياسيةِ والإعلامية وغيرها، وحتى في الدعايات التي باتت تتسرب إلى أسماعنا وذواكرنا كالأوبئة. فلنحذر من هذا التغريب قبل استفحاله ولنبقِ في الحسبان أن عملية التعريب تتطلب أساساً لا معدىً عنه هو الإخلاصُ للعلم والعربية وصدقُ التصميم على إعلاء الشخصية القومية في هذا الميدان، وإتقاناً للغة العربية وإتقاناً للغات التي سنعرب منها حتى لا يكونَ كلامُنا صرخةً في القفار....».

لقد وجدت في الدكتور مسعود بوبو رجلاً نيِّر العقل، غزير العلم، نبيل العاطفة، صادق الانتماء، يتطلع ويسعى لإغناء الثقافة العربية وتنميةِ اللغة العربية في هذا العصر الزاخر بمعارفه وعلومه وآدابه وفنونه.

وإني لأحرص على تقديم تعريف موجز بهذا الأديب العالم: نشأته وإنجازاته، و لم أجد أشملَ وأصدقَ مما خطه بقلمه، فأوجزه بما يلي:

ولد الدكتور مسعود بوبو في منطقة البسيط بمحافظة اللاذقية عام ١٩٣٨، وتنقل في عدة قرى من تلك المحافظة حتى حصل على الشهادة الابتدائية من قرية مشقيتا عام ١٩٥١. ثم أنهى دراسته الإعدادية في اللاذقية والتحق بخدمة العلم، وإبَّان هذه الخدمة حصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٦٣. وفي عام ١٩٦٨ حصل على إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق، فعمل مدرساً ثم أوفد إلى جامعة الإسكندرية فحصل على شهادة الماجستير في علوم اللغة العربية عام ١٩٧٦ وشهادة الدكتوراه في العلوم المذكورة عام ١٩٨٠.

عُيِّن مدرساً لفقه اللغة العربية بجامعة دمشق، ثم أُعير عام ١٩٨٣ إلى جامعة صنعاء باليمن فدرّس مواد العربية فيها وعاد إلى جامعة دمشق بعد ثلاث سنوات.

في عام ١٩٨٥ رُفع إلى رتبة أستاذ مساعد، وفي عام ١٩٩٠ رُفِّع إلى رتبة أستاذ في العلوم اللغوية، ثم عُيِّن رئيساً لقسم اللغة العربية. وفي ٢تشرين الأول ١٩٩٣ صدر القرار الجمهوري رقم/٤٦/ بتعيينه مديراً عاماً مساعداً لهيئة الموسوعة العربية ثم صدر القرار الجمهوري رقم/٤٨/ بتاريخ ١٣آذار ١٩٩٧ بتعيينه عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق. ثم عُين مديراً عاماً لـــهيئة الموسوعة العربية بالقرار الجمهوري رقم /٣٦/ تاريخ ٢٦نيسان ١٩٩٧، وظل في هذا المنصب إلى وفاته في ١٩٩٩/٩/٢٠م.

كان يعرف اللغتين الإنكليزية والفرنسية وله بعض الإلمام بالسريانية والفارسية. تزوج عام ١٩٦٧ وأنجب ثلاثة أولاد.

لقد كان، رحمه الله، عاليَ الهمة وافرَ النشاط. فإلى جانب ما ذكرناه، تولى الفقيد الكبير مناصبَ إداريةً وعلميةً عديدة، يأتي في مقدمتها قبولُه عضواً في اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٨٤، واختيارُه مقرراً للجنة البحوث والدراسات في الاتحاد المذكور، وانتخابُه عضواً في مجلس الاتحاد عام ١٩٩٥ ثم اختيارُه عضواً في موسوعة أعلام العلماء العرب والمسلمين التي تتولى إعدادها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

أما نتاجه الأدبي والعلمي من الكتب فهو:

- **كتاب «أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج» إصدار وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٨٢.**
- **كتاب «نافذة على اللغة» إصدار دار البعث بدمشق ١٩٨٣.**

- كتاب «دراسات في اللغة في قسمين «اللسانيات» و«فقه اللغة» إصدار جامعة دمشق عام ١٩٨٤.
- كتاب «أبحاث في اللغة والأدب» إصدار دار شمأل بدمشق ١٩٩٤.
- كتاب «في فقه اللغة العربية» إصدار جامعة دمشق ١٩٩٥.
- كتاب «الصوت والصدى» إصدار اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩.

أضف إلى ذلك عشراتِ المقالاتِ والقصص والخواطر في المجال الأدبي وعشراتِ الأبحاثِ والمحاضراتِ في المجال اللغوي.

ومن خلال عمله الجامعي أشرف على إعداد العشراتِ من رسائل الماجستير والدكتوراه، وحضر عدداً كبيراً من المؤتمرات والندوات العلمية واللغوية والأدبية.

إن كلمتي لتضيق حقاً عن الإحاطة بكل ما قدمه هذا العالم الأديب. إنه واحد من الرجال البناة: بنى نفسه أولاً علماً غزيراً وثقافة واسعة وخلقاً كريماً، ثم بنى للغة والثقافة العربيتين صَرْحاً من النتاج القيم. لقد كان طالباً مجداً ومدرساً وأستاذاً ومحاضراً مرموقاً، ومؤلفاً مدققاً وأديباً بارعاً وإدارياً قادراً.... ولكم أتمنى أن تطَّلع أجيالنا القادمة على سيرةَ هذا الرجل لتتعلمَ منه كيف تذللُ العزيمةُ الصادقة الصعاب وتحققُ النجاح والفوز، وكيف يعيشُ الإنسان ويناضل في سبيل شعبه، ويسخِّرُ قدراتِهِ الفكريةَ والعلميةَ من أجل تقدم أمته ورفعتها.

لقد جمع الدكتور مسعود بوبو، رحمه الله، في وقت واحد، وطيلة سنوات عدة مسؤوليات مختلفةٍ: كان مديراً عاماً لهيئة الموسوعة العربية، وأستاذاً في كلية الآداب، وعضواً في مجمع اللغة العربية، وعضواً في اتحاد الكتاب العرب.

وقد نهض بهذه المسؤوليات معاً وفي آن واحد، بكل جدارة وكفاءة وأدى الأعمال التي تتطلبها أداءً عالياً فلم يخلّ بواحد منها. وفي الوقت ذاته لم ينقطع عن الكتابة في ميدان اللغة والثقافة والأدب.

ولئن كان نشاطه هذا مدعاة للإعجاب، فقد أعانه عليه ما كان يتمتع به من طاقة لا تنضب وعزيمةٍ لا تلين وإحكامٍ في تصريف الأمور وضبطٍ للمواعيد واستفادةٍ من الوقت.

أما كتابته فقد تنوعت موضوعاتها، فما كان منها متصلاً باللغة اتسم بالرصانة والدقة والجزالة، وما كان منها متصلاً بالأدب فثمة العبارةُ المشرقة، واللفظةُ المنتقاة و«السهلُ الممتنع».

لقد اختطفته المنون وهو في قمة عطائه، ولكنها أعجزُ من أن تختطف ذكراه الباقية. لقد بقيت منه شمائلُ رفيعةٌ اتصف بها وقيمٌ سامية اتخذها نبراساً في حياته، وروح عربية متوثبة تحلى بها، ونزوع صادق إلى كل ما هو أفضل وأكرم وأسمى لوطنه وأمته وللإنسانية جمعاء.

لقد صاغ حياته حبّة حبّة ونسجها خيطاً خيطاً، فجاءت قصةً تُحكى وأنشودة تُغنّى: قصةَ جدٍّ واجتهاد، وصبر ومصابرة، وأنشودةَ نضال لا يفتر من أجل نهضة أمتنا العربية وإرساءِ مكوناتِ هذه الأمة وفي مقدمتها اللغةُ والثقافةُ العربيتان اللتان تشكلان نسيجَ العروبة الخالد على الزمن من الخليج إلى المحيط.

وتخليداً لذكراه أصدرت هيئة الموسوعة العربية، بعناية الأستاذ الفاضل الدكتور إحسان النص نائب رئيس مجمع اللغة العربية، كتيباً يضم الكلماتِ التي ألقيت في حفل تأبين الفقيد الغالي الذي انعقد في الثالث من تشرين الأول ١٩٩٩، والتي أشادت بمناقبه وخلقه الحميد وأدبه الجم، وذلك إلى جانب مسيرته الذاتية والعلمية.

أيها السيدات والسادة،

لقد كانت سورية، وطنُنا العربيُّ الصغير وفيَّةً دوماً لوطننا العربي الكبير، وفصيلاً رائداً من فصائل أمتنا العربية المجيدة، تعمل في صمت وتعطي بلا حساب، ويتجلى دورها المضيء في ميدان اللغة العربية، على وجه التحديد، بأمور عديدة كان لها فيها السَّبْق والريادة.

– إن أولَ مجمع للغة العربية هو مجمع دمشق الذي نجتمع في رحابه، وأولَ تعليم عالٍ بالعربية ناجح ومستمر، إنما كان في معهدي الطب والحقوق بدمشق، واعتُمِدَتِ اللغة العربية لغةَ الأنشطة الفكرية كلها: السياسة والإدارة والقضاء والثقافة والإعلام والاقتصاد... كان ذلك في العهد الفيصلي عام ١٩١٩، واستمر حتى اليوم بنجاعة ونجاح.

وبعد أن تحقق الجلاء وأعلن الاستقلال عام ١٩٤٦، شمل التعريب جميع العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية في جميع كليات التعليم العالي ومعاهده.

– قام أبناؤها بنقل تجربتها وخبرتها إلى الأقطار العربية الأخرى بعد نيلها الاستقلال، فأمدت بلداناً عربية مشرقيةً ومغربيةً عديدة بالمدرسين الأكفياء في جميع المواد في التعليم العالي وفيما قبله، إعارةً أو استيداعاً، واستقبلت في جامعاتها ومعاهدها ألوف الطلبة العرب، وزودت بعضَ الأقطار بالكتب المدرسية والجامعية والثقافية، وما تزال على هذه الحال منذ نصف قرن حتى الآن فكانت داعية للتعريب وداعمة له بكل وسيلة. وكذلك استضافت المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر الذي أحدثته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لخدمة التعريب وتأمين الكتب المرجعية باللغة العربية بالتعاون مع الجهات المختصة في البلدان العربية.

– نهض أبناؤها بتأليف عدة معجمات لغوية وأكثرَ من ثلاثين معجماً

متخصصاً، ونشرت جامعاتها وإداراتها الحكومية ومؤسساتها الأهلية ألوفاً من الكتب المنهجية والمرجعية وكتب الثقافة العامة... تأليفاً وترجمةً، فكان جهدها في هذا الميدان مثمراً مرموقاً.

ولست أريد الإطالة في هذا الموضوع، فأنتم عالمون به وبعضكم مشاركٌ فيه، ولم أذكره تباهياً بما قدم قطرنا بل إظهاراً للحقيقة. إنها خطةٌ اختطتها سورية العربية منذ ملكت أمرها، بيد أن هذه الخطة قد ازدادت إحكاماً ونفاذاً، ووضوحاً واتساعاً بعد تسلم الرئيس الخالد حافظ الأسد زمام الأمور في أوائل السبعينيات إذ غدت مبدأً راسخاً ونهجاً متصلاً. إن من أقواله في هذا الصدد: «إن لغتنا هي عنوان هويتنا وهي الرابطة بين الناطقين بالضاد، وهي من أهم صلات الماضي بالحاضر والمستقبل. بها نعبر عن ذاتنا وننشر في الوطن العربي والعالم نتاج الفكر العربي، وننقل إلى أبناء الأمة العربية النتاج الفكري للشعوب الأخرى». ولقد قرن أقواله بالأفعال فازداد الاهتمام بالعربية عندنا وارتفعت صروح العلم وانتشرت مراكز الثقافة في أرجاء القطر، ورافق ذلك شروع بعض الأقطار العربية بتعريب التعليم في كلياتها العلمية، ولكنَّ التحدياتِ كثيرةٌ والمسؤولياتِ كبيرةٌ والعنايةَ باللغة العربية وتنميتها لا تقف عند حدٍّ أو زمن.

وها نحن بعزائمَ رجال آمنوا برسالة أمتهم على مثال من تشرفت بالتحدث عنه اليوم، نتابع المسيرة في عهد الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية الذي اتخذ التطوير والتحديث منهجاً ومنطلقاً بغيةَ مواكبةِ العصر والتماسِ أسباب القوة والتقدم مع الحفاظ على ثوابتنا الوطنية وذاتنا الثقافية وهويتنا القومية.

أكرر الشكر خالصاً للسادة رئيسِ وأعضاءِ المجمع الوقور ولكم جميعاً لحضوركم وإصغائكم لي، سدد المولى تعالى خطانا إلى ما فيه الخير والسلام.

حفل تأبين فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور مختار هاشم

(١٩١٤ - ٢٠٠٢)

أقام مجمع اللغة العربية وأصدقاء الفقيد وأسرته حفل تأبين لفقيد الطب العربي.

الدكتور مختار هاشم

مساء يوم الثلاثاء الواقع في ٢٧ شوال ١٤٢٣هـ/ ٣١ كانون الأول ٢٠٠٢م في قاعة مجمع اللغة العربية بدمشق، وشارك في تأبين الفقيد الراحل:

- الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية
- الأستاذ الدكتور وليد جمران نقيب أطباء دمشق
- الأستاذ الدكتور برهان العابد من أصدقاء الفقيد
- الأستاذ الدكتور غياث هاشم نجل الفقيد

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

في حفل تأبين المرحوم الدكتور مختار هاشم

(١٩١٤ – ٢٠٠٢م)

رحـــم الله فقيدنا الغالي الدكتور مختار هاشم، الذي فارقَنا أحبَّ ما كـــان إلينا. لقد نعمنا بصحبته في المجمع نحو خمس عشرة سنة، شارك فيها المشـــاركة الجـــادّة، وكان رضي النفس، طيب القلب، حسن الخلق، يألف إخوانـــه ويودُّهـــم، فإذا ناقش قضية بسط آراءه بهدوء، مصحوبةً بالحجة الموثّقة، والمنطق المقنع. وقد جعل الكتاب خِدنَه وصديقه، يواصل القراءة ليل نهـــار. وكان من رواد مكتبة الأسد، يطالع ما فيها من فرائد، ويطلّع على الجديـــد الوافـــد من الكتب والمجلات، حتى يظل على صلة حية بما يصدر، وكـــثيراً مـــا كـــان يئل إلى ما لقفه من الفوائد في مناقشة القضايا الفكرية والعلمية التي يتناولها مجلس المجمع.

ولم يكن الدكتور مختار هاشم بالغريب عن المجمع قبل تسميته عضواً فيه، فقد كان أحد من اختارهم الأستاذ الدكتور حســـني سبح رئيس المجمع (١٩٦٨- ١٩٨٦م) خبراءَ في لجنة المصطلح، لما عُرف به الدكتور مختار من حبّ للعربية، وعناية بها، واهتمام بالغ بالمصطلح والطرق المثلى في وضعه. وبلغ من إعجاب الأستاذ الدكتور سبح به أن رشّحه بنفسه بعد ذلك لينتخب عضواً في المجمع.

رحم الله الدكتور مختاراً الرحمة الواسعة، ولقّاه نضرة وسرورا.

وسأقدّم كلمة وجيزة تتحدث عن سيرته العلمية.

* * *

ولد الدكتور مختار هاشم في (٢٤/ ٩/ ١٣٣٣هـ - ٤/ ٨/ ١٩١٤م)، وقد بدأ دراسته في الكُتَّاب، فتعلم القراءة والكتابة، وختم القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة العلمية الوطنية التي أحبها أشد الحب، وتحدّث عن أيامها أجمل الحديث. يقول في كلمة له «ومما أذكر عن هذه المدرسة تيار الشعور الوطني الذي أذكاه الانتداب الفرنسي بقانون رد الفعل، فما كان أشدَّ وقع قصيدةِ أحمد شوقي القافية، وقصيدةِ خير الدين الزركلي الرائية، وقصائدِ ديوان الثورة على قلوبنا الصغيرة. وهل أنسى أستاذي الجليل خليل مردم بك، وكان يسحرنا برقة شمائله، فضلاً عن أسلوبه التعليمي المنظم، وهو الذي دلنا على طريق المكتبة الظاهرية، وقاعة محاضرات المجمع العلمي، إذ كان يطلب منا إنشاء نكتبه في موضوع المحاضرة التي استمعنا إليها.

وهو الذي شجعنا على نظم الشعر، وأمر بوضع دفتر سماه «ديوان الصف» تُسجل فيه أشعار طلاب الصف. وهذه الواقعة سجلتُها فيما بعد بقصيدة ذكرتُ فيها المدرسة وأستاذنا الجليل[1].

وبعد أن حصل على البكالوريا الأولى، قسم العلوم، التحق بالمدرسة

---

(١) ويقول في هامش كلمة له: «مازالت صورةُ هذا الأستاذ العظيم تلوح لخيالي حتى ذكرته في قصيدة (ذكريات المدرسة) (مجلة المجمع/ سنة ١٩٨٩م، مج ٦٤، ج ٣، ص ٤٣٦). وقـد روى الدكـتور عدنان الخطيب ثمانية أبيات منها (مجلة المجمع، مج ٦٤، ج٣، ص٤٢٧).

الأرثوذكسية للحصول على البكالوريا الثانية، قسم الفلسفة، وكان من أساتذته آنذاك الدكتور جميل صليبا، وقد أفاد من مدرسته ازدياد تمكنه واتقانه اللغة الفرنسية، وإجادة الفلسفة. وكان الأول بين رفاقه كعادته.

ولما أنهى دراسته الثانوية التحق بالمعهد الطبي العربي، وأكبَّ على دراسة الطب. كان ذلك عام ١٩٣٤م، وكان في التاسعة عشرة من عمره. وقد دفعه ما وجده في الدراسة الطبية من مصطلحات إلى دراسة مبادئ اللغتين اللاتينية واليونانية، كما أنه ترجم بعض الكتب الفرنسية التي كلفه بها بعض الأساتذة. وفي أثناء العمل وجد كلمات أجنبية لم يوضع لها ما يقابلها بالعربية، أو أنها مترجمة بكلمات لا تعبر عن معناها بدقة، فوضع لها مصطلحات طبية رآها أوفى بالمراد، وأرسلها إلى مجلة المعهد الطبي العربي التي نشرتها مقدمة إياها بتقريظ مشجع.

وقد تابع دراسته الطبية وحصل على شهادة دكتور في الطب سنة ١٩٤٠م. وكانت الحرب العالمية قد نشب أوارها فلم يستطع السفر للتخصص، ومارس المهنة حرّاً أولاً، ثم التحق بوزارة الصحة يعمل في مشافيها.

ولما وضعت الحرب العالمية أوزارها أُوفد للاختصاص في طب الأطفال بجامعة جنيف لمدة سنتين، بعد أن نجح في المسابقة. وعاد إلى الوطن وقد أنجز دراسته (١٩٤٦- ١٩٤٨م). وكانت البلاد قد نعمت بالاستقلال، وأخذت تنشئ جيشها، فتطوع الدكتور مختار في الجيش السوري في عام ١٩٤٩م، والحماسةُ ملءُ إهابه، وبذل جهوده وطاقاته في العمل، وقدّم خير ما عنده، وبقي فيه حتى عام ١٩٧٠م، وانتهت خدمته وهو برتبة (عميد).

وفي أثناء خدمته قدم دراسات كثيرة اقتضاها سير العمل، ونشر جملة

من المقالات في مجلة (الجندي) و(المجلة العسكرية). كما كان المنتدب من إدارة الجيش ليكون خبيراً في لجنة المصطلحات الطبية التي عُهد إليها بوضع المعجم العسكري (فرنسي — عربي) وكانت برئاسة المجمعي الكبير مصطفى الشهابي، وقد صدر المعجم في عهد الوحدة.

ووجد الدكتور مختار في أوقات الفراغ، بعد ما أُحيل على التقاعد، ما فسح له أن يعود إلى «المطالعة العلمية والأدبية، وتحقيق المفردات الواردة في كتب التراث الطبي العربي» يرى فيها المتعة الكبرى، ونشر بحوثاً ومقالات وتحقيقات نشراً تجلّى فيه العمق والمتابعة والتوثيق الواسع من المصادر.

١- فمن بحوثه المعمقة مقالتُه التي نشرها في مجلة المجمع بعنوان: «كلمات حائرة»(١)، ودار بحثه في تعريف ثلاث كلمات من المعدنيات هي: المعدِنُ والفلزّ والجوهر، وثلاث كلمات من النباتات هي: الأشنة والطحلب والحزاز.

واستعرض ما جاء من اضطراب وتردد في معاني الكلمات الست، ووضع بين يدي الباحثين صورة بيّنة واضحة لهذا الاضطراب، ودعا المجامع والمؤسسات اللغوية إلى توحيد المصطلحات.

٢- ونشر مقالة بعنوان: «أوزان الأطباء ومكاييلُهم»(٢).

وبدأ الدكتور مختار فذكر في مطلع المقالة العقبات التي تعترض سبيل الباحث، واستقصى من بعدُ أطراف البحث:

١- فذكر مصادر الأوزان والمكاييل الطبية (ص ٩).

٢- ثم أورد نصوصاً في الأوزان والمكاييل (ص ١٥).

---

(١) مجلة المجمع (سنة ١٩٨٤م) مج ٥٩، ج٣، ص ٥٣٩- ٥٦٥.

(٢) مجلة المجمع (سنة ١٩٨٦م) مج ٦١، ج١، ص٣- ٤٨.

٣- وعرض وحدات الوزن وما يعادلها بالغرامات في النظام المتري عند باحثين معاصرين. (ص ٢٩)

٤- وكانت الفقرة الأخيرة في تبيان الأوزان والمكاييل في الطب العربي — مراجعة وتعليق (ص ٣٥).

وإن المرء ليحارُ وهو يرى كثرة الكلمات التي وردت في كتب الطب العربي للتعبير عن المقادير الطبية في مداواة الأمراض المختلفة.

وقد حرص الدكتور مختار أن يعرض أبرز النصوص العربية المتعلقة ببحثه، وقدّم جملة من النتائج التي توصل إليها، ثم ختم كلامه بتواضع العالم الذي ينشد الحقيقة فقال: «وإذا قُدّر لي أن أُلقي بصيصاً من الضوء على هذا الموضوع فإن ما يكتنفه من ظلمات لا يمكن تبديده إلا بتضافر جهود الباحثين، وأملي في ذلك كبير»[1].

لم يسعدني الحظ بالاطلاع على ما سمعت أن الدكتور هاشم رحمه الله قد سطّره، فقد ذكر بعض المقربين إليه أنه عُني عناية خاصة بدراسة مفردات ابن البيطار، وقاموس الأطباء وناموس الألباء للقوصوني، فقد كانا خير رفيقين له، ولعل قادمات الأيام تجود علينا بما ضنت به الآن.

وللدكتور مختار عناية أيضاً بتحقيق التراث. وقد اطلعت على تحقيقه كتابين:

أولهما: العبورية الودية في الأبحاث الوردية، لمحمود بن يونس الخطيب[2].

عثر الدكتور مختار على مخطوطة الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس،

(١) مجلة المجمع، مج ٦١، ج١، ص ٤٨.

(٢) العبورية الودية في الأبحاث الوردية (مجلة التراث العربي، العدد ٢٢، كانون الثاني ١٩٨٦م).

وقد ورد أول لفظ من اسمه محرفاً بالمخطوطة، يليه إشارة استفهام (الأبورية). وحين اطلع على المخطوطة تبين له أنها بحث في الأزهار والورود، وأن صحة الاسم هو (العبورية).

قدم الدكتور مختار بين يدي التحقيق كلمة تحدث فيها عن موضوع الكتاب، وذكر أن المخطوطة مخرومة في أولها، وقد تناول الخرم المقدمة والفصل الأول وجزءاً من الفصل الثاني، ثم تحدث عن مؤلف الكتاب محمود بن يونس الخطيب (ت سنة ١٠٠٨هـ) بعد أن أطال البحث حتى عثر على سيرته، ونشر النص محققاً خير تحقيق، وأشار في الحواشي إلى الكلمات التي لم يستبن له معناها في النص، أو خالفت المألوف وفسَّر الكلمات الصعبة.

وقد أورد تعليقات هامة في ختام النص، عرَّف فيها بالورود التي ذكرها المؤلف، وعددُها ستة عشر نوعاً من الزهر.

وقد ألهمته هذه المخطوطة قصيدة جميلة، استوحى فيها ما حدّثته المخطوطة عن غربتها، وقد نشرت القصيدة في مجلة آفاق الثقافة والتراث بعنوان: «غربة المخطوط العربي»[١].

أما الكتاب الثاني الذي حققه الدكتور مختار فهو:

كشف الأسرار عن حِكَم الطيور والأزهار لعز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (ت ٦٧٨هـ) .

عثر الأستاذ المحقق على مخطوطة في دار الكتب الظاهرية، وتبين له حين طالعها أنها كتاب تراثي من نمط عالٍ فريد، وتابع البحث في الظاهرية ليجد نسختين أخريين، وعاد فأمعن في البحث فتوفر له مطبوعة باريس، ومخطوطة دار الكتب القومية بباريس، ومطبوعة القاهرة سنة ١٢٩٠هـ،

(١) آفاق الثقافة والتراث (س ٢، ع٨- آذار ١٩٩٥): ٦٤- ٦٥.

ونسخة من مخطوطات الظاهرية غير سابقتيها.

وقد قدم بين يدي الكتاب بمقدمة نفيسة ترجم فيها لثلاثة علماء من أسرة المؤلف، ثم ترجم للمؤلف ترجمة ضافية، وعرَّف بالكتاب، وأنه كان من أكثر الكتب رواجاً في العصرين المملوكي والعثماني[١].

وتجلّى في الكتاب ما اتصف به المؤلف عبد السلام... بن غانم من بلاغة وقوة عارضة، ومن تُقى وورع وصلاح، ومن سموّ روحاني، وسلوك على طريقة أهل التحقيق (المتصوفة)، يقول في مقدمته: «والناطق بلسان الحال مخاطِبٌ لذوي الأحوال... وقد وضعتُ كتابي هذا مترجماً عما استفدته من الحيوان برمزه، ومن الجماد بغمزه، وما خاطبتني الأزاهير بلسان حالها والشحارير عن مقرها وارتحالها...» (ص٣٧).

وقد قسم عظاته على ثمان وثلاثين إشارة، موزعة على النبات والحيوان، فالكتاب صورة لهذا التسامي الإنساني والتهذيب الروحاني. يقول ابن غانم يصف كتابه: «وجعلته موعظة لأهل الاعتبار، وتذكرة لذوي الاستبصار ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾، فمن طالع مقالي، وفهم ضرب أمثالي فذاك من أمثالي، ومن أعجم عليه إشكالي فليس من أشكالي» (ص٣٧).

رحم الله الفقيد الغالي، وأدخله فسيح جنانه (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

---

(١) كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار تأليف عز الدين عبد السلام بن أحمد ابن غانم المقدسي (ت ٦٧٨هـ) تحقيق الدكتور مختار هاشم (دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٩م) ٥- ٢٤.

كلمة الدكتور وليد جمران

نقيب أطباء دمشق

في حفل تأبين المرحوم الدكتور مختار هاشم

أيها الحفل الكريم:

قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون لكل بداية نهاية، ولا يوجد في هذا الوجود إلا مخلوقات قدر الله بدايتها وحدد نهايتها، ليأتي الإنسان مقدماً كشف حساب عما قدمت يداه أو اقترفت خلال فترة الحياة الدنيا لتبدأ حياة أخرى لا نعرف كينونتها ولا ماهيتها ولا ساعتها، ولكننا على يقين من أمرها، وعلى إيمان أنه لا ينفع فيها مال ولا بنون.

وقضت إرادة الله أن تكون الحياة الثانية دار استقرار وجزاء، ومن هنا جاءت حتمية النهاية، وتقتضي هذه الحتمية التسليم والرضا، وإننا وإن كنا قد أسلمنا أمرنا إلى الله وقبلنا الحق ورضينا بالقدر، إلا أن حرقة الفراق تتحكم بعواطفنا تحكماً يتناسب عادة مع الفراغ الذي يتركه الفقيد.

والفراغ الذي تركه فقيدنا المرحوم الدكتور مختار هاشم كبير جداً كبر سجاياه العظيمة التي يظهرها تتبع رحلة حياته المليئة باللطف والشفافية ونبل الأخلاق والعمل الدؤوب وتحري الحقائق وتوثيقها، هذه الحياة التي كانت بدايتها عام ١٩١٤ وكانت بدايته العلمية إذ تابع دراسته إلى أن تخرج طبيباً من معهد الطب عام ١٩٤٠ وانتسب إلى نقابة أطباء سورية

– شعبة دمشق – عام ١٩٤٣ وعمل طبيباً إنساناً بكل ما في هذه الكلمة من معنى وشاءت الأقدار أن يكون مجال اختصاصه الطب الداخلي وطب الأطفال الذين يحتاجون بطبيعتهم إلى العطف والحنان وقد وجدوا لدى الفقيد ما فيه الكفاية من هذه المتطلبات الإنسانية.

وبعد مضي ما يقرب من أربعين عاماً في الممارسة الجادة والحكيمة لمهنة الطب، وكان خلالها الطبيب الصادق النصوح، اختار المختار التوقف عن مزاولة الطب وطلب الإحالة على التقاعد عام ١٩٨٢، وكان له ما أراد ولكنه لم يتوقف عن إبداء النصح في المجال الطبي ولم يكن يضن على أحد بما أعطاه الله إياه من علم ودقة نظر، فاستمر بإعطاء النصائح والتوجيهات الطبية طيلة حياته.

وقد تطوع في القوات المسلحة فكانت له إسهامات علمية كثيرة إضافة إلى التطبيب، وكان لي الشرف بأن أعمل تحت إشرافه عندما كان رئيساً للشعبة الداخلية في مشفى المزة العسكري عام ١٩٦١.

ولا يفوتنا أن نذكر أن حياته المهنية لم تقض على ميول علمية فنية واهتمام بالغ باللغة العربية والإسهام في إعطائها حقها لتصبح لغة علم وتقنيات بعد أن مر عليها وقت وضعت خلاله العقبات في وجهها، وذلك بنشر الجهل وتقديم لغة أخرى غريبة عن العروبة والبلاد، وهذا ما دفع زميلنا وأستاذنا وفقيدنا إلى ممارسة هواياته وإنجاز تطلعاته في البحث والتحقيق والنشر، فحقق قدراً لابأس به مما كان يهوى من بحوث، وما يرغب في نشره من أعمال، فوفقه الله إلى تحقيق جزء كبير من طموحاته الكبيرة

وغالبيتها تنصب في مجرى الاهتمام باللغة العربية وإعطائها حقها.

إن تاريخ حياة فقيدنا الغالي ينبئ عن اهتمام كبير وإنجاز علمي في ميدان الأدب العربي واللغة العربية خاصة، وكان من نتائج الإنجازات الأدبية أن انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته المنعقدة بتاريخ ٤/ ٩/ ١٩٨٥ فقيدنا عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ محمد مبارك.

إن إجماع أهل الفكر السوري في ذلك الوقت على انتخاب الزميل الكبير لعضوية المجمع العلمي العربي هو بمثابة اعتراف عام بقيمة المنجزات العلمية التي حققها سواء في دراسات خاصة أم في اشتراكه في لجان تعريب المصطلحات العلمية الطبية منها والعسكرية.

وإذا كان الوفاء للراحل الكبير يقتضي منا أن نعدد سجاياه ومزاياه، فإننا نجد أن الوقت أضيق والقلم أعجز عن أن نعطيه حقه وأن ننصفه، فسيرته عامرة بدقة النظر والمحبة والإخلاص للأهل والأصدقاء والوطن. ولو عدنا إلى طوايا نقابة الأطباء لوجدنا بين طياتها الاعتراف الجميل ليس للجهود العلمية والممارسة المعطاءة فقط وإنما نجد الترديد الكثير لتقدير أخلاق الراحل العظيم.

وإن خرجنا من نطاق نقابة الأطباء إلى المجال الرحب الذي أسهم فيه الفقيد بإنجاز تحقيقات وأبحاث علمية تتوجها جهود مشكورة في الاهتمام باللغة العربية المضرية، لوجدنا الكثير من المفاخر التي يحق لكل من عرفه الاعتزاز بتلك المعرفة والتمني لو كان هناك المزيد منها.

إن زملاء الفقيد يشهدون له بحسن التفكير وتقدير الأمور إضافة إلى

أصالة في النفس وصفاء سريرة ومحبة ومساعدة غير مشوبة بالمن، فإذا كانت هذه هي نظرة الزملاء للراحل الكريم فكيف يمكن أن تكون نظرة الأصدقاء وقد عرفه الجميع بأنه لين العريكة قوي الشكيمة مشاء بالخير مناعاً للشر، كما عرفه مرضاه بأنه الطبيب العطوف المحكم النظرة ودقيق التشخيص.

وإننا نقدر شعور الأهل بمرارة الفراق حق قدره كما نقدر خسارتهم المعنوية نتيجة فقدان عزيز عليهم رؤوف بهم، ونحن على يقين أيضاً بأنهم أناس لن تحولهم النكبات من أقوياء إلى ضعفاء، فالمحن محك الشخصيات وقد أثبتت شخصياتهم صفاء معدنهم وشدة تحملهم لكل شيء بإيمان قوي.

أيها الأخوة:

بعد هذه اللمحة القصيرة عن حياة فقيدنا الكريم الدكتور مختار هاشم، بعد هذا يحق لنا أن نشعر بالأسى والحزن ليس لمجرد الوفاة وإنما لغياب ودود محب للخير ساع إليه، فالموت حق والخطب جلل والفراق صعب وأليم.

ختاماً باسمي وباسم أطباء دمشق أتقدم بعبارات التعزية لآل هاشم، وأخص بالذكر زوجته الكريمة وأبنائه راجياً لهم ثواب الصبر، وللفقيد الرحمة و**﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾**.

والسلام عليكم

كلمة الدكتور برهان العابد

في حفل تأبين المرحوم الدكتور مختار هاشم

منذ ما يزيد على خمسين عاماً شاءت الصدف أن يجمعني بالزميل الراحل الدكتور مختار هاشم عملي في مستوصفات إدارة الخدمات الطبية العسكرية عندما دعيت لأداء خدمة العلم مما أدى إلى إقامة علاقات بيننا لا تتعدى الصلات السطحية التي تقوم بين الموظفين والتي يحددها الدوام الرسمي والعمل الروتيني الرتيب في جو تتحكم الرتب والمقامات بطرق التعامل بين الأفراد.

لقد دام هذا الوضع سنة كاملة لقيت فيها من هذا الزميل الذي يفوقني رتبة وسناً كثيراً من التواضع والترفع عن إظهار التفوق الذي تتسم به طبيعة العلاقات بين العسكريين. فقد كان دائم الهدوء خفيض الصوت ينتقي من الكلمات ألينها وأقربها إلى إشاعة الود والمحبة. إلى أن انقضى أمد خدمتي دون أن أسمع أو أرى أو ألقى منه ما يخدش الحس أو يجافي الذوق السليم.

مضت سنوات كثيرة قبل أن يجتمع شملنا مرة أخرى في مكتب الأستاذ الكبير الدكتور حسني سبح رئيس المجمع رحمه الله فقد كنت أتردد عليه بين الفينة والفينة أستشيره في أمور تتعلق بصياغة المصطلحات الطبية التي كان حجة فيها لا يدانيه في كفايته بها قرين.

ومن العجيب أن زيارات الزميل الدكتور مختار هاشم كانت لنفس الغرض إذ كان من المهتمين بأمر المصطلحات الطبية والنباتية كلف بانتقاء الدقيق السهل منها. فقد تعددت لقاءاتنا عند أستاذنا وتفرع حديثنا خلال تلك الزيارات التي أصبحت متقاربة تتضمن أحاديث عن تاريخ نشأة كلية الطب وسيرة الرواد الذين قامت على سواعدهم وأستاذنا من صميمهم وبحبوحة دارهم.

لقد لذ له الحديث عنهم وأنس بنا وأنسنا به إذ كان الدكتور مختار تغمده الله برحمته يرفد ذاكرة الأستاذ أحياناً ويذكره بما نسيه من تفاصيل طريفة من ندور الحوادث التي محتها السنون.

إن هذه الاهتمامات المشتركة قربت بيننا وقلبت الود إلى صداقة عميقة كانت وساطة إغناء جعبتي مما ينقصني من تاريخ الكلية فقد كلفني مجلس الجامعة آنذاك بكتابة بحث عن تاريخ كلية الطب ومراحل تطورها استعداداً للاحتفال باليوبيل الماسي لتأسسها.

فانطلقت أبحث عن من يغني معرفتي بتلك الفترة من الرواد الأوائل وممن أخذ عنهم من الأجيال التي سبقتني وكان فقيدنا المختار واحداً منهم.

لقد زاد في عمق صداقتنا وحدة المشارب وتقديس التراث وجوار المسكن في المصيف حيث تتعدد الزيارات بين الجيران ويطول السهر والسمر في الأماسي الندية. فكانت هذه المناسبات باباً ولجت منه للتعرف على مختلف محطات حياته وتكشفت لي مسيرتها الحافلة بجليل الأعمال. فقد كان منذ نعومة أظفاره عزوفاً عن ما يجذب صغار التلاميذ من لعب ولهو يأنس بالوحدة وينفر من الجلبة والضجيج مما جعله يطرق أبواب المعرفة يافعاً ويلفت أنظار شيوخ أساتذته باكراً ويكفيه رفعة ما اكتشفه في شاعر الشام الكبير الأستاذ خليل مردم بك من موهبة شعرية عز نظيرها بين رفاقه. وكانت هذه اللفتة فاتحة تفوق لازمته في جميع مراحل دراسته.

ولعل من أبرز نجاحاته تفوقه في فحص البكالوريا ونيله الدرجة الأولى على جميع المتقدمين عام ١٩٣٢ وكذكرى لتلك المناسبة العزيزة تحتفظ العائلة بساعة جيب ذهبية قدمها الزعيم الوطني آنذاك المغفور له الرئيس شكري القوتلي جائزة للمتفوق من طلاب الكلية العلمية الوطنية كانت من نصيب فقيدنا الغالي الدكتور هاشم شاهدتها بأم عيني منذ أيام قليلة. ولقد حافظ على هذا التميز أيضاً عندما كان طالباً في كلية الطب شهد بذلك

كثير من أساتذته ورفاقه الذين عاصروه في الدراسة والذين ظلوا سنين عديدة يرددون ويتناقلون ما نظمه من أراجيز في دروس التشريح الصعبة على منوال ألفية ابن مالك وأرجوزة ابن معطي تساعد الطلاب على ترسيخ أسماء العصي على الحفظ من الأعصاب والشرايين والأوردة وفروعها ومجاوراتها فيها فن وظرف وطرافة وبلاغة وكانت باكورة إنتاجه العلمي عندما كان طالباً في السنة الثانية بالمعهد الطبي بحثاً نقدياً لمصطلحات اقترحها مجمع فؤاد الأول في القاهرة نشرته له مجلة المعهد الطبي عام ١٩٣٥. اعترافاً بقيمته اللغوية وتقديراً لوعي كاتبه وميله المبكر لموضوع صياغة المصطلحات العلمية الذي اختصت به فئة قليلة من جهابذة العلم واللغة. هذا وقد أسرع الخطى في هذا السبيل عندما كان طبيباً في الجيش حيث أهّلته ثقافته اللغوية للانضمام إلى لجنة المصطلحات التي كان رئيسها الطيب الذكر الأمير مصطفى الشهابي فقد كلفت وضع المعجم العسكري فأسهم بهذا العمل العلمي الجليل إلى أن طبع وتداولته الأيدي عام ١٩٦٤.

ومن محطات مسيرة التفوق التي سلكها نجاحه في مسابقة الإيفاد إلى فرنسا التي نظمتها وزارة الصحة حيث قضى ثلاث سنوات في باريس وعاد بعدها اختصاصياً بطب الأطفال قبل أن يلتحق بالجيش عام تسعة وأربعين وتسع مئة وألف.

ولعل أهم إنتاجه العلمي ما كتبه بعد انتهاء خدماته في الجيش حيث تفرغ للمطالعة والبحث والتنقيب في تراثنا العلمي إذ نشرت له مجلة المجمع أكثر من مقالة أهمها بحث مطول عن «أوزان الأطباء ومكاييلهم» تحوي تعليقات على خلو معاجمنا من إيضاح لتلك الأوزان تدنيها من تفهم أطباء أيامنا هذه. كما نشر بحثاً مستفيضاً عنوانه ألفاظ حائرة ناقش فيه بعض الألفاظ والمسميات النباتية والمعدنية أغنى به ما يدور حولها من حوار بين المجمعيين العرب في مختلف بلدانهم. ومن أبرز إنتاجه في ميدان تحقيق

الكتب التراثية تحقيقه لرسالة من القرن العاشر الهجري ألفها طبيب دمشقي اسمه شرف الدين محمود بن يونس الخطيب عنوانها (العبورية الودية في الأبحاث الوردية) عثر عليها في باريس أثناء تردده على مكتبتها الوطنية فنفض عنها غبار الأيام وترجم لمؤلفها ونشرها في مجلة التراث العربي التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب. إن هذا الإنتاج الذي يتميز بالأصالة وسعة الاطلاع أهاب بهذه الفئة الخيرة النيرة من علمائنا الذين يعملون بصمت وصدق وإخلاص على فتح باب مجمع الخالدين له وقديماً قيل لا يعرف الفضل إلا ذووه.

أيها السيدات والسادة

لئن عجز بياني عن إيفائه حقه من التبجيل والإكبار فإن زملاء له من أفاضل المجمعيين عرفوا قدره وكشفوا لنا ما أخفاه علينا تواضعه وفراره من الأضواء فقد تضمنت الكلمة الجامعة المانعة التي استقبله بها المرحوم الدكتور عدنان الخطيب أمين المجمع الأسبق أبلغ وأشمل ترجمه لفقيدنا حوت كثيراً مما نجهله عن مولده ومسكن آبائه وأجداده وشرف محتده كما شرح وناقش الكثير مما كتبه وأبان مواضع الإبداع فيها بأسلوب فيه من نكهة الماضي ما يذكرنا بابن أبي أصيبعة والقفطي وابن خلكان ولا غرابة في ذلك فقد قالت العرب الكريم لكريم مجل.

أيها السادة الأصدقاء:

لقد ضمّ مجمع الخالدين فيمن ضمّ من أئمة في شتّى العلوم نخبة من شيوخ الأطباء وأنبلهم أضاؤوا بحكمتهم دروب الأجيال وخلفوا تلاميذ يمثل زميلنا المختار أنموذجاً لهم جُبل على الزهد والتواضع والعمل الصامت سيظل الاحتفال بذكراهم موسم وفاء وتقدير واعتراف بما خلفوا لنا من إرث علمي وأخلاقي ووطني.

والسلام عليكم

كلمة أسرة الفقيد

الدكتور غياث هاشم

نجل المرحوم الدكتور مختار هاشم

أيها السيدات والسادة

لم أتوقعْ أن تكونَ أولُ كلمةٍ ألقيها في تأبين والدي، وفي قاعة مجمع اللغة العربية في دمشق، أمام نُخبة من علماء سورية ومثقّفيها. فتروني أعتذرُ مسبقاً إنْ حلَّ بيَ بعضُ الاضطراب.

ولِدَ والدي الدكتور مختار هاشم عام ١٩١٤ في حي الشاغور في دمشق، وتعلمَ في مدارسِها حتى الثانوية. وكان الشاعرُ خليل مردم يُدَرِّسُهُ العربية، أما الفلسفة فقد درسها مع الدكتور جميل صليبا. لقد وجد مختار لدى هذين المعلمين ما يُفَتِّحُ اهتماميه: الأدبي والفكري.

في عام ١٩٣٤ دخل المعهد الطبي العربي، حيث ساهمَ بنقلِ بعضِ المراجعِ الفرنسية إلى العربية، وتقدم وهو في السنة الثانية بترجمة لبعض مصطلحات الطب نشرها في مجلة المعهد الطبي العربي، بتشجيع من الأستاذ مرشد خاطر. وكان من أساتذتِه حسني سبح، وحمدي الخياط.

في عام ١٩٤٠ حصل على شهادة دكتور في الطب.

كانت سورية في الأربعينات تموجُ بالتياراتِ الفكرية التي تحاول رسمَ

طريق الاستقلال، ووضعَ تصورٍ عن مستقبل الأمة العربية فساهم والدي في هذه الحركة مع المشتغلين بالقضية القومية في نواة حزب البعث العربي الاشتراكي. ولكنه بقيَ نائياً عن العملِ السياسي لأن ميلَهُ إلى التفكير والتأمل كان أشدَّ من ميله إلى الاندماج في النشاط الاجتماعي.

في عام ١٩٤٥ عُين الدكتور هاشم في وزارة الصحة، وعمل طبيباً في أنحاء سورية. ثم أُوفد إلى سويسرا للتخصص. وعندَ عودته كان الجيشُ السوري حديثَ التكوين، فتطوع فيه عام ١٩٤٩ وبقيَ طبيباً عسكرياً حتى عام ١٩٧٠. لقد اشتغلَ في هذه الفترة بإعداد المعجم العسكري الذي صدر في عهد الوحدة، وفي عِدَةِ لجان للمصطلحات كانت مُهِمَتها توحيد المصطلحات بين الجيوش العربية. وكتب وترجم كثيراً تلبيةً لضرورات الوظيفة، وله ثلاثُ مقالاتٍ في المجلةِ العسكرية.

بعد أن ترك الجيش عاد والدي إلى حبه الأول، إن كانَ قد تَركَهُ، فطالع ما حلا له من أطايب الآثار العلمية والأدبية، في أواخر عام ١٩٨٠ التقى أستاذَه الجليل الدكتور حسني سبح ودار الحديث عن التراث العلمي العربي، وضرورة إحيائه، وكان هذا اللقاء أولَ خطوة نحو ترشيح والدي لعضوية بمجمع اللغة العربية، حيث استُقبِلَ عام ١٩٨٩، وكان من آخر أعماله تحقيق «قاموس الأطباء وناموس الألباء» للقوصوني وقد وافته المنيةُ عندَ إتمامِ هذا العمل في شباط ٢٠٠٢.

* * *

هذه نُبذَة عن حياة الدكتور مختار هاشم، وقد كان له في رحلة عمره ثلاثُ رفاق:

أبو العلاء المعري: شاعراً على حِدة، لقوة لغته، ولأن نفسه كانت تأبى التملُّق.

الشيخ الرئيس ابن سينا، طبيباً، فيلسوفاً.

والشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، عالماً روحياً.

ولقد قال والدي مشطراً لبيت شهير لابن عربي:

قــالوا جُننتَ بمن تهوى فقلتُ لهم ... إن الجــنونَ مــن الأوهام يشفيني
لا حــبذا العقل إمّا كان يُبعدني ... عــنكم ونعمَ جُنوني حين يُدنيني
أشــقانيَ العقــلُ عهداً ثم أنبأني ... مــا لَــذَّةُ العيــش إلا للمجانين
هم يسرحون بجوٍّ لا حدودَ له ... ويــنعمون بظــلٍّ غــير ممنون
الكوثرُ العذب يجري في حدائقهم ... أيــا من الكوثرِ المعسولِ يسقيني

* * *

لقد سعى والدي في دراسته للتراث الطبي العربي إلى فهمه على ضوء العلمِ الحديث. يشهدُ على ذلكَ ما كَتبه من جداول في الأدوية والأعشاب المستعملة في الطب العربي، ومقابلها في التصنيف العلمي، ودراسته للأوزان والمكاييل لفهم الوصفات المستعملة.

لم يعمل الدكتور مختار هاشم في السياسة ولكنه كان ملتزماً ثقافياً، قانعاً بأن بعثَ حضارة العرب لا يكونُ بالحفاظِ عليها فحسب، بل بفهمها وتقييمها موضوعياً.

وكان قد فهم أن حضارة العرب تختلف عن حضارة الغرب في موقفها من الطبيعة والإنسان، وهذا ما شرَحَهُ في مقدمة تحقيقه لكتاب «كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار» لابن غانم المقدسي؛ حيث قارن بين هذا الكتاب و«كتاب الغابة» للكاتب الإنكليزي (كيبلينغ) حيثُ يتسلطُ الإنسانُ على الطبيعة، بينما يقول المقدسي: إنَّ الإنسانَ خليفَةُ الله في أرضه، وهو من الكونِ من غيرِ أن يدرك، بدليل هذا البيت:

وكـلٌّ لأجْـلِـكَ مسـتيقظٌ لمـا فيـه نفعُـكَ يـا جـاحدُ

بينما يبينُ كتاب المقدسي أن المخلوقات تمجد كلها قيمَ الحقِّ والخير والجمال، كأنَّ كلَّ واحدٍ منها نغمة ذات جرس خاص، جمعها الحب الإلهي، فألَّف منها نشيداً متناغماً، يأخذ بمجامع القلوب. يُمَجِّدُ (كيبلينغ) إنساناً حول الطبيعة إلى جسم بشري يُجري عليه الجراحة فيستأصل عضواً ويزرع عضواً بديلاً، عابثاً بجغرافية الأرض والسكان، مطبقاً على المجتمعات البشرية تقنيات أفادها من التجارب المخبرية.

كان تعاطف والدي مع ابن غانم المقدسي مشاركة وجدانية وفكرية في تجربة فرد عاش زمنَ سقوط بيتِ المقدسِ بيد الصليبيين فجاء دمشق مهاجراً. زمن يشبه زماننا الذي يقول فيه في مقدمته لكتاب كشف الأسرار: «أمستِ الأنغامُ الصادرةُ عن قيثارة عبد السلام لا تُرضي الذوقَ العصري الذي أَلِفَ دويَّ المدافع وأزيز الرصاص. وإذ أصبح معنى القداسة غيرَ مفهومٍ. ومن أجمل الأبيات التي وَلِعَ بها والدي من هذا الكتاب إشارة الياسمين:

رأيــتُ الفــألَ بشَّــرني بخــيرٍ وقــد أهــدي إليّ اليــاسمين
فــلا تحــزن فــإن الحُزْنَ شَين ولا تيــأس فــإن اليــأس مَيْــن

* * *

لقد وَلِعَ والدي بالبحث عن المخطوطات العربية ففي أثناء رحلة إلى باريس في صيف ١٩٨٢ زار المكتبة الوطنية حيث عَثَر على كتاب سُمّيَ «الأبوريه الودية في الأبحاث الوردية» فعجب لهذا الاسم وعكف على دراسة المخطوط، حتى توصل إلى أن عنوانه هو «العبورية الودية في الأبحاث الوردية» مؤلفها محمود بن يونس الخطيب الطبيب الدمشقي فكتب فيها والدي قائلاً:

عــبوريةٌ وديــةٌ طوحَــتْ بهــا صُروفُ النوى حتى استقر اغترابُها
بشارع ريشليو أضيفت وسُميت أبوريــةً، مــا إن يهونُ مصابُها
تقــولُ جعلتُ الوردَ مني رسالةً إليكــم ولكن لم يعد لي جوابُها
وهُنتُ على أهلي ولم ألق عندهم مقامــاً، وهــرتني بداري كلابُها
تــلقفني شخصٌ غريبٌ وحطّ بي بــدار ودادٍ لا يضــيق رحابهــا
ولكــنني خــلّفْتُ بعضــي بجلّقٍ وقــد ضاعَ لم يحفظهُ مني كتابُها
وكم ضاعَ مثلي من كرائمِ يعربٍ إلى الغرب زفت حيث تم انتهابُها
وكم مِن سبايا للتراث قد اختفت ولم يــدر أهــلُ الدار أين جنابها
فــأين حُماة الدار من آلِ يعربٍ لِمَــنْ تُقــتنى أســيافُها وحرابُها
ســلامٌ عــلى شهمٍ أحسَّ بغربتي وغــربةِ نفــسٍ يســتحدُ عذابُها
مــن الأهل أدناني وكنت شريدةً ومعــرفتي بــالأهل عــزَّ طِلابُها

ولكــنني قد عُدتُ وجهي مشوَّهٌ وتــلك ديــونٌ لا يُوفّى حسابُها
أنــا ابــنة محمود حفيدة يونسٍ فــتاة سمــا في المكرمات انتسابُها

وهذه الحادثة لتشهد بأن الدكتور مختار كان يشعر بأن في كلِ مخطوطٍ عربي «إنسانية» ويَحزُّ في نفسه أن يعيش هذا المخطوط غريباً عن أهله.

* * *

لم يبق من أشعار والدي الكثير وإن كان يفاجِئُنا من حين لآخر بإنشاد قصيدة كتبها منذ ٤٠ عاماً. كان الشعر لديه طريقة تعبير، وكان يحبُ إنشادَه دونما «دافع ظاهر». سمعت من فمه أشعار المعري وأبي تمام وشوقي.

أتوقف هنا في كلمتي ذاكراً قوله:

إنّي لأَهفو غيرَ عامد زلّة واللهُ أدرى بالفؤادِ وشجوهِ
فتظلُّ نفسي لا يَقِرُّ قَرارُها حتى يوافيني الكريمُ بعفوهِ

ختاماً أتقدم بالشكر باسمي واسم عائلةِ فقيدنا الدكتور مختار هاشم. إلى مجمع اللغة العربية لإعداده هذا الحفل، وإلى رئيسه الدكتور شاكر الفحام، وإلى الدكتور برهان العابد والدكتور وليد جمران لمساهمتهم في الحديث عن الدكتور مختار هاشم شاكراً للسيدات والسادة حضورهم الكريم.

* * *

[١]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ٢٠٠٣م (ذي القعدة ١٤٢٣هـ)

أ ــ الأعضاء

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الدكتور شاكر الفحام «رئيس المجمع»	١٩٧١	الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥	الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦	الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦	الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠٠٠
الدكتور محمد إحسان النص «نائب رئيس المجمع»	١٩٧٩	الدكتور محمد الدالي	٢٠٠٠
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩	الدكتور محمد مكي الحسني	٢٠٠١
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣	الدكتور محمود السيد	٢٠٠١
الدكتور عبد الله واثق شهيد «أمين المجمع»	١٩٨٨	الأستاذ شحادة الخوري	٢٠٠٢
		الدكتور موفق دعبول	٢٠٠٢

* * *

ب- الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

المملكة الأردنية الهاشمية

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة	١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة	١٩٨٦
الدكتور نشأت حمارنة	٢٠٠٢
الدكتور عدنان بخيت	٢٠٠٢
الدكتور علي محافظة	٢٠٠٢

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي	١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة	١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي	١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي	١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور سليم عمار	١٩٩٣
الدكتور عبد الوهاب بوحدیبة	٢٠٠٠
الدكتور صالح الجابري	٢٠٠٠

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد السلام المسدّي	٢٠٠٢
الدكتور عبد اللطيف عبيد	٢٠٠٢

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	١٩٧٧
الدكتور أبو القاسم سعد الله	١٩٩٢
الدكتور عبد الملك مرتاض	٢٠٠٢
الدكتور العربي ولد خليفة	٢٠٠٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حسن عبد الله القرشي	١٩٩٢
الأستاذ عبد الله بن خميس	١٩٩٢
الدكتور أحمد محمد الضبيب	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله صالح العثيمين	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله الغذامي	٢٠٠٠
الدكتور عوض القوزي	٢٠٠٠

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ دخول المجمع

جمهورية السودان

الدكتور محيي الدين صابر	١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب	١٩٨٥
الأستاذ سر الختم الخليفة	١٩٩٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	١٩٩٣

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم	١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين الملوحي	١٩٩٢
الدكتور عبد السلام العجيلي	١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر	١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
قداسة البطريرك مار اغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠٠٠
الدكتور محمود فاخوري	٢٠٠٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠٠٠
الدكتور عدنان درويش	٢٠٠٠
الدكتور عدنان حموي	٢٠٠٠
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠٠٠
الدكتور محمد مراياتي	٢٠٠٠
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٠
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور رضوان الداية	٢٠٠٢
الأستاذ مروان البواب	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢

الجمهورية العراقية

الدكتور فيصل دبدوب	١٩٦٩
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور حسين علي محفوظ	١٩٩٣
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠٠٠
الدكتور محمود حياوي حماش «رئيس المجمع»	٢٠٠٢
الدكتور هلال ناجي	٢٠٠٢
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢

فلسطين

الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	١٩٩٣
الدكتور إدوارد سعيد	١٩٩٣

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور محمد يوسف نجم	١٩٩٣
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٠٠
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠٠٢
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٢

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم	١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور شوقي ضيف	١٩٩٢
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٠
الدكتور محمود حافظ	٢٠٠٠
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠٠٠
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٠
الدكتور جابر عصفور	٢٠٠٠
الدكتور فاروق شوشة	٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٢
الدكتور حسين نصار	٢٠٠٢
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢

المملكة المغربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠٠٠
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠٠٢

الجمهورية العربية اليمنية

الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٠٠

* * *

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفييتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

أزبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

الدكتور فولف ديتريش فيشر ٢٠٠٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

الدكتور محمد علي آذر شب ٢٠٠٢

الدكتور محمد مهدي الآصفي ٢٠٠٢

الدكتور هادي معرفت ٢٠٠٢

الدكتور محمد علي التسخيري ٢٠٠٢

باكستان

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

البوسنة والهرسك

الدكتور محمد أرناؤوط ٢٠٠٢

الدكتور أسعد دراكوفيتش ٢٠٠٢

د. فتحي مهدي ٢٠٠٢

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو ١٩٨٦

رومانية

الدكتور نقولا دويرشيان ٢٠٠٢

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ أندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

الهند

الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥

الدكتور عبد الحليم الندوي ١٩٨٦

الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي ٢٠٠٢

[٢]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ– رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ – ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)

* * *

ب- أعضاء مجمع اللغة العربية الراحلون

١- الأعضاء

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥

الاسم	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل «أمين المجمع»	١٩٨٥
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب «أمين المجمع»	١٩٩٥
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الدكتور محمد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢

* * *

٢- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

المملكة الأردنية الهاشمية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩

الجمهورية التونسية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥

الجمهورية الجزائرية

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨

المملكة العربية السعودية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠

جمهورية السودان

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد نور الحسن	

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ الوفاة
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد	
«بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمد تقي الحكيم	٢٠٠٢

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨

	تاريخ الوفاة
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧

	تاريخ الوفاة
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩

	تاريخ الوفاة
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١

* * *

٣- الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
«سابقاً»	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوارد دو فيتش)	١٩٥٧
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريتشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
إيطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
الأستاذ غبرييلّي (فرنسيسكو)	١٩٩٦
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢

	تاريخ الوفاة
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (ألفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
سويسرة	
الأستاذ مونتة (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	

	تاريخ الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	
النمسا	
الدكتور اشتولز (كارل)	
الأستاذ جير (رودلف)	١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦١
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
هولاندة	
الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ اراندونك (ك. فان)	١٩٤٧
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١

* * *

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الرابع من عام ٢٠٠٢م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **ابن ماجد: الملاح والشاعر والعالم العربي/** فريد جحا– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة أعلام تاريخية).

– **أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر/** مجموعة من الباحثين– الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٢– (سلسلة الدورات).

– **أزمة مفهوم الأدب في فرنسة في القرن العشرين/** ألبير ليونار؛ ترجمة: زياد العودة– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة الدراسات الأدبية).

– **الاستدامة البيئية الحضرية/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠١.

– **الإسلام في يوغسلافيا: من بلغراد إلى سراييفو/** د. محمد. م. الأرناؤوط– ط١– عمان: دار البشير، ١٩٩٣.

– **الأعمال القومية ١٩٥٧– ١٩٦٥/** د. عبد الله عبد الدائم– ط١– بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢.

- **أعمال اليوم الدراسي عن مشروع الميثاق الوطني للتربية والتكوين/** إعداد وتقديم: د. الشاهد البوشيخي- فاس: مطبعة آنفو برانت، ٢٠٠٢- (سلسلة دراسات مصطلحية ١).

- **الألفاظ المهموزة وعقود الهمز/** ابن جني؛ تحقيق: د. مازن المبارك- ط١- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٨.

- **إمعان في أقسام القرآن/** عبد الحميد الفراهي- ط١- دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٩٩٤.

- **الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات المحلية/** د. محمد صفوح الأخرس- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١.

- **الأميرة الصغيرة/** فرانز هودجسون بورنت؛ ترجمة: رنا جوزيف زحكا- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة روايات عالمية ٩٠).

- **أوراق إسكوا التحضيرية لمؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٢- ١٨ج.

- **أوربا والإسلام: أوراق المؤتمر الدولي الثاني/** تحرير: محمد. م . الأرناؤوط، محمد صفي الدين، حمدي عبد الرحمن- عمان: جامعة آل البيت، ١٩٩٨.

- **أوضاع البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي الأردنية/** د. محمد عدنان البخيت وآخرون- عمان: جامعة آل البيت، ١٩٩٧.

- **الإيضاح في علل النحو/** الزجاجي؛ تحقيق: د. مازن المبارك- ط٤- بيروت: دار النفائس، ١٩٨٢.

- **بحوث وتنبيهات/** أبو محفوظ الكريم المعصومي؛ اعتناء: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي- ط١- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢- السفر ١و٢.

– **بعض قضايا العالم الإسلامي في القرن العشرين/** تحرير: محمد. م. الأرناؤوط– عمان: جامعة آل البيت، ٢٠٠١– (سلسلة أوراق ومحاضرات ٤).

– **بهاء وتعاسة الغانيات/** بلزاك؛ ترجمة: ميشيل خوري– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة روايات بلزاك ٣٣).

– **التأليف في اللغة العربية في البوسنة/** د. محمد. م. الأرناؤوط– ط١– إربد: مؤسسة حمادة؛ دار الشروق، ٢٠٠١.

– **تاريخ الآداب الأوربية/** مجموعة من المؤلفين؛ ترجمة: صياح الجهيم– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠– ٣ج– (سلسلة الدراسات الأدبية).

– **تاريخ طوس/** محمد مهدي العلوي– شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢١هـ.

– **التاريخ العام للاشتراكية/** جاك دروز؛ ترجمة: د. أنطون حمصي– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– ج٣، ق٢– (سلسلة دراسات فكرية ٧١).

– **ترجمات القرآن الكريم إلى لغات الشعوب والجماعات الإسلامية/** تحرير: د. محمد. م. الأرناؤوط– عمان: جامعة آل البيت، ١٩٩٩.

– **تصوف/** سامر الحموي– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١– (سلسلة من الشعر العربي ١٠٠).

– **التعزير في الفقه الإسلامي/** يحيى الطائي– ط١– قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ١٤٢٣ هـ.

– **تقييم الآثار الاقتصادية والاجتماعية لقروض برنامجي.../** موسى شتيوي– نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠١– (سلسلة دراسات مكافحة الفقر ١٣).

– **تقييم البنية الأساسية والنقل/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠١.

- **تمهيد القواعد/** ابن تركه الأصفهاني؛ حواشي: آقا محمد رضا قمشه أي، آقا ميرزا محمود قمي؛ تصحيح: جلال الدين آشتياني- قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ٢٠٠٠- ج٣- (سلسلة آثار الآشتياني ١٩).
- **ثلاث مبادرات من أجل حقوق حضارة العرب والمسلمين/** د. جورج جبور- دمشق: دار الجمهورية، ٢٠٠٢.
- **جزء في تسمية أعضاء الإنسان/** بدر الدين الغزي؛ تحقيق: عدنان عمر الخطيب- ط١- دمشق: مكتبة الفارابي، ٢٠٠٢.
- **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي/** ابن طرار النهرواني؛ اعتنى بتحقيقه: رياض الرحمن الشرواني- ط١- حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٩٤- ج١.
- **حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية/** محب الدين الحموي؛ دراسة وتحقيق: محمد عدنان البخيت- ط١- الكرك: جامعة مؤتة، ١٩٩٣.
- **الحجج البالغة على تجرد النفس الناطقة/** حسن زاده الآملي- ط١- قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ١٤٢٣هـ- (سلسلة آثار الآملي ١٨).
- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/** زكريا الأنصاري؛ تحقيق: د. مازن المبارك- ط٢- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١.
- **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والإعلان العالمي/** د. علي القاسمي؛ تقديم: عبد الهادي بوطالب- الرباط: رمسيس، ١٩٩٨- (سلسلة المعرفة للجميع ٢٢).
- **حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم/** رواية: ابن أخي طاهر العلوي؛ تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي- ط١- القاهرة: دار الحرمين، ٢٠٠١.

– **حياة البوذا: سيرة مفسرة/** دايساكو إيكيدا؛ ترجمة: محمود منقذ الهاشمي- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة أعلام تاريخية).

– **خريف الغبار/** أسامة شاليش- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة من الشعر العربي ١٠٧).

– **دراسات حول الحكومة- الدولة العربية في دمشق ١٩١٨- ١٩٢٠/** د. محمد. م. الأرناؤوط- ط١- إربد: مؤسسة حمادة؛ عمان: دار الشروق، ٢٠٠٠.

– **دراسات في التاريخ الحضاري لبلاد الشام في القرن السادس عشر/** د. محمد. م. الأرناؤوط- ط١- دمشق: دار الأبجدية، ١٩٩٥- (سلسلة مكتبة الأبجدية ٣).

– **دراسات في التاريخ الحضاري للإسلام في البلقان/** د. محمد. م. الأرناؤوط؛ تقديم: د. عبد الجليل التميمي- زغوان: مؤسسة التميمي؛ دبي: مركز جمعة الماجد، ١٩٩٦.

– **دراسات في وقف النقود.../** د. محمد.م. الأرناؤوط، د. عبدو سوتشسكا، د. جون ماندفل- زغوان: مؤسسة التميمي، ٢٠٠١- (السلسلة الأولى، الولايات العربية أثناء العهد العثماني٢٢).

– **دراسة حول القرآن الكريم/** محمد حسين الحسيني الجلالي- ط١- القاهرة: دار الحرمين، ٢٠٠٢.

– **الدعوة التامة/** د. مازن المبارك- ط١- دمشق: مكتبة الغزالي، ٢٠٠٠.

– **دفتر مفصل لواء عجلون/** دراسة وتحقيق وترجمة: محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود- عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩١.

- **دفتر مفصل لواء اللجون: طابو دفتري (١٨١) (٩٧٠)**/ دراسة وتحقيق وترجمة: محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود- عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩- ٢ج.

- **دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر وتوابعها...**/ دراسة وتحقيق وترجمة: محمد عدنان البخيت، نوفان رجا الحمود- عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩.

- **دلائل الصدق لنهج الحق**/ محمد حسن المظفر- ط١- دمشق: مؤسسة آل البيت، ١٤٢٢هـ- ٢ج.

- **الدليل البيليوغرافي لمنشورات المنظمة**/ إعداد: صلاح الدين بن عيسى، سهام هاجر الغربي، محمد الزاهي- تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.

- **دليل الرسائل الجامعية في البلاد العربية (١٩٨٩- ١٩٩٨)**/ إعداد: د. خميس بنحميدة، د. مختار الغول- تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.

- **دليل المصطلحات الفقهية**/ محمد القدوري، د. محمد المختار ولد اباه، د. الشاهد البوشيخي- الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٠.

- **دليل النباتات الطبية: تحليل ٤٠٠ نبات ووصفها واستخدامها**/ بول شونبرغ، فرديناند باريس؛ ترجمة: ميشيل خوري- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١- (سلسلة دراسات علمية ٤١).

- **الدولة العثمانية: بدايات ونهايات**/ تحرير: د. محمد. م. الأرناؤوط، د. هند أبو الشعر- عمان: جامعة آل البيت، ٢٠٠١.

- **الذئب الراكض في المدينة**/ سهيل الشعار- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة قصص عربية ٢٠).

– ذرائع: **أفكار حول بعض النقاط في الأدب والأخلاق/** أندريه جيد؛ ترجمة: د. زبيدة القاضي– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة الدراسات الأدبية).

– **الذرية الطاهرة/** الدولابي– ط٢– القاهرة: دار الحرمين، ٢٠٠١.

– **الـــذات الفرويدية/** ميكيل بورش، جاكوبسون؛ ترجمة: د. أنطون حمصي– ط١–دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة الدراسات الفكرية ٧٠).

– **ذيل الأعلام والإعلام بما وقع في أعلام الزركلي من الأوهام/** أحمد العلاونة– ط١– جدة: دار المنارة، ٢٠٠٢.

– **الرأي الصحيح في من هو الذبيح/** عبد الحميد الفراهي– ط١– دمشق: دار القلم، ١٩٩٩.

– **الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه/** د. مازن المبارك– ط٣ – دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥.

– **الزجاجي: حياته وآثاره ومذهبه النحوي/** د. مازن المبارك– ط٢– دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤.

– **سرفانتس: دراسة تاريخية/** ويليم بيرون؛ ترجمة: عيسى عصفور– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة أعلام تاريخية).

– **السيدة زينب وزيارتها إلى مصر/** محمد حسين الحسيني الجلالي– ط١– القاهرة: دار الحرمين، ٢٠٠١.

– **السينما تجدد شبابها/** محمد الأحمد– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١.

– **السياسة المائية والأمن الغذائي للمغرب في أفق بداية القرن ٢١/** مجموعة من الباحثين– الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠١– (سلسلة الدورات).

- **شرح المسلسل بالعترة الطاهرة**/ محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني- القاهرة: دار الحرمين، ٢٠٠١.

- **شروط الانتفاع بالقرآن الكريم**/ د. الشاهد البوشيخي- ط١- فاس: المحجة، ٢٠٠١- (سلسلة رسائل الهدى ٢).

- **شعر ابن شخيص الأندلسي**/ حققه وقدم له: أحمد عبد القادر صلاحية- ط١- دمشق: شراع؛ دار ابن القيم، ١٩٩٢.

- **شعر أبي مروان الجزيري الأندلسي**/ جمعه وحققه: د. أحمد عبد القادر صلاحية- ط١- دمشق: دار المكتبي، ١٩٩٧.

- **شعر أبي نخيلة الحماني**/ جمع وتحقيق ودراسة: عدنان عمر الخطيب؛ مراجعة: د. فيصل الحفيان- ط١- القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠١.

- **الشعر العربي الأندلسي بين المشرقية والأندلسية**/ د. أحمد عبد القادر صلاحية- ط١- دمشق: شراع، ١٩٩٦.

- **شعر علي بن المقرَّب العيوني: دراسة فنية**/ د. أحمد موسى الخطيب- الرياض: دار المريخ، ١٩٨٤.

- **الشعور وتجلياته في التطور، الفن، العلم**/ وائل بشير الأتاسي- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة الدراسات الفكرية ٧٣).

- **ضوء المشكاة في سلسلة الرواة**/ محمد حسين الحسيني الجلالي- شيكاغو: المدرسة المفتوحة.

- **ضياء المفازات في طرق مشايخ الإجازات**/ آغا بزرك الطهراني؛ تحقيق: أحمد الحايري- شيكاغو: المدرسة المفتوحة.

- **الطوق والسلسلة**/ دلال حاتم- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة قصص عربية ١٩).
- **ظواهر في لهجات العرب الأواخر: لهجات قبائل البادية**/ سلطان بن عبد الهادي السهلي- ط١- الفنطاس: منشورات الجزيرة، ١٤١٩هـ- (سلسلة المعلمة اللغوية ١).
- **العروة الوثقى في تفسير سورة الحمد، الرحلة**/ البهائي؛ محمد رضا النعمتي، أسعد الطيب- ط١- قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ.
- **عصفور الثلج: مسرحية**/ صفوان صفر- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١.
- **علم الدين اللورقي الأندلسي: حياته وقصيدته الميمية**/ د. أحمد عبد القادر صلاحية- ط١- دمشق: شراع، ١٩٩٨.
- **فن القصة القصيرة: مقاربات أولى**/ محمد محيي الدين مينو- ط١- دبي: مدرسة الإمام مالك، ٢٠٠٠.
- **الفهرس العام لمجموعة بلاغات المالية العامة لسنة ١٩٢٠**/ د. محمد عدنان البخيت- عمان: البنك الأهلي الأردني، ١٩٩٨.
- **فهرس المخطوطات العربية المصورة**/ جمع وإعداد: د. محمد عدنان البخيت وآخرين- عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٥، ١٩٨٦، ٢٠٠٠- ٤ج.
- **في انتظار جودو: دراسة عن أدب صموئيل بيكيت**/ آلان ساتجيه؛ ترجمة: قيس خضور- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.
- **القدر بوصفه فرصة: المعرفة الأولى لأجل كمال الإنسان**/ تورڤالد دتلفزن؛ ترجمة: د. إلياس حاجوج- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة الدراسات الفكرية ٧٤).

- **قدرة المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة على الابتكار.../** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٢.

- **القدس الشريف: وثائقها وسجلاتها ومخطوطاتها.../** إعداد: محمد عدنان البخيت، نوفان الحمود، أحمد خريسات- عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩١.

- **القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية/** د. الشاهد البوشيخي- ط٣- فاس: المحجة، ٢٠٠١- (سلسلة رسائل الهدى ٢).

- **القرآن الكريم طبيعته ووظيفته/** د. الشاهد البوشيخي- فاس: المحجة، ٢٠٠١- (سلسلة رسائل الهدى ١).

- **قرى الطين: دراسة تاريخية هندسية/** آزاد أحمد علي- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة الدراسات التاريخية).

- **قصص عالمية: قصص مختارة/** كاثرين مانسفيلد؛ ترجمة: عارف حديفة- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة قصص عالمية ١٦).

- **قصائد لغيره/** حسان الجودي- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة من الشعر العربي ١٠٩).

- **كتاب مفردات القرآن للفراهي وأهميته في علم غريب القرآن/** د. محمد أجمل محمد أيوب الإصلاحي- المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٠.

- **كشاف إحصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية في بلاد الشام/** إعداد: د. محمد عدنان البخيت وآخرين- عمان: الجامعة الأردنية؛ مركز الوثائق والمخطوطات، ١٩٨٤- ج١.

– **الكشاف التحليلي للمؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ١٩٧٤– ١٩٨٧**/ إعداد: محمد تيسير درويش، عدول سلامة البخيت– عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٠.

– **كلود ليفي، شتراوس**/ إدموند ليتش؛ ترجمة: ثائر ديب– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة الدراسات الفكرية ٧٢).

– **كوسوفو، كوسوفا: بؤرة النزاع الألباني الصربي في القرن العشرين**/ د. محمد. م. الأرناؤوط؛ تقديم: د. نادية مصطفى– ط١– القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ١٩٩٨.

– **كوسوفو، كوسوفا ١٩٨٩– ١٩٩٩**/ د. محمد. م. الأرناؤوط– ط١ – إربد: مؤسسة حمادة؛ عمان: دار الشروق، ٢٠٠٠.

– **كي تكوني**/ محمد الشيخ علي– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١– (سلسلة من الشعر العربي ١٠٣).

– **كيف نواصل مشروع حوار الحضارات**/ مجموعة من الباحثين– دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٢– ج١.

– **اللامات**/ الزجاجي؛ تحقيق: مازن المبارك– ط٢– دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥.

– **اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي**/ د. مازن المبارك– ط٤– بيروت: دار النفائس، ١٩٩٨.

– **الليل والعين في التراث الموسيقي والشعري: دراسة موسيقية**/ محمود عجان– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١.

– **المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية**/ ابن هشام؛ تحقيق: د. مازن المبارك– ط١– دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٧.

- **مبادئ النقد الأدبي/** آ. أي. ريتشاردز؛ ترجمة: د. إبراهيم الشهابي- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة الدراسات الأدبية).

- **مجمع اللغة العربية وأثره الاجتماعي: دراسة ميدانية/** إعداد: رامي شريف جديد- دمشق: ٢٠٠٢.

- **محارات الروح/** عصام ترشحاني- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١- (سلسلة من الشعر العربي ١٠٤).

- **مختصر لآلئ العرب/** سالم خليل رزق؛ حققه: خير الدين قبلاوي؛ إشراف: عدنان درويش- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- ج٣- (سلسلة إحياء التراث العربي ١٠٩).

- **مخطوطات الحديث النبوي الشريف وعلومه في دار صدام للمخطوطات/** أسامة ناصر النقشبندي، ظمياء محمد عباس.

- **مخطوطات الموسيقى والغناء والسماع في دار صدام للمخطوطات/** أسامة ناصر النقشبندي- بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١.

- **مداخلات عربية بلقانية: دراسة/** د. محمد. م. الأرناؤوط- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

- **مدخل إلى التاريخ العثماني: دراسات ووثائق حول الدفشرمة/** ترجمة وتقديم: د. محمد. م. الأرناؤوط- ط١- إربد: دار قدسية، ١٩٩١- (سلسلة دراسات تاريخية ٢).

- **المرأة والرجل في الزراعة وتصنيع المنتجات الزراعية في لبنان/** الإسكوا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠١.

– **المرض بوصفه طريقاً: تفسير الصور المرضية ومعناها/** تورڤالد دتلفزن، روديغر دالكه؛ ترجمة: د. إلياس حاجوج- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١- (سلسلة الدراسات الفكرية ٦٦).

– **المرفأ المظلم: قصائد أمريكية/** مارك ستراند؛ ترجمة وتقديم: جولان حاجي- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة الشعر العالمي الحديث ٨).

– **مراجعة الاستشراق.../** د. محمد.م. الأرناؤوط- ط١- بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢.

– **مسح للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الإسكوا/** الإسكوا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٢- ٤ج.

– **مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية/** د. الشاهد البوشيخي- ط٢- فاس: مطبعة آنفو برانت، ٢٠٠٢- (سلسلة دراسات مصطلحية ١).

– **مصادر البغدادي النحوية في خزانة الأدب/** د. محمود نجيب- ط١- دمشق: دار الفارابي، ٢٠٠١.

– **مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين/** د. الشاهد البوشيخي- ط١- الكويت: دار القلم، ١٩٩٣.

– **مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ/** د. الشاهد البوشيخي- ط٢- الكويت: دار القلم، ١٩٩٥.

– **معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب/** أبو الوفا العرضي؛ دراسة وتحقيق: سليمان أبو سليم- عمان: مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، ١٩٩٢.

– **معارج نهج البلاغة/** علي بن زيد البيهقي؛ تحقيق: أسعد الطيب- ط١- قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ.

- **المعجم العسكري الموسوعي**/ إشراف: العماد مصطفى طلاس- ط١- دمشق: مركز الدراسات العسكرية، ١٩٨٧- ٢ج.

- **معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد**/ أحمد شفيق الخطيب- ط١- بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠.

- **معدِّل الصلاة**/ البركوي؛ تحقيق: د. أحمد عبد القادر صلاحية، محمود كبارة لابيدي- ط١- دمشق: شراع، ٢٠٠٠- (سلسلة مكتبة الإمام البركوي ١).

- **معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر: وقفية سنان باشا**/ د. محمد.م. الأرناؤوط- ط١- دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٣.

- **مفتاح الحساب**/ جمشيد الكاشي؛ تحقيق: نادر النابلسي- دمشق: وزارة التعليم العالي، ١٩٧٧.

- **مقالات في تاريخ القرآن وصدر المتألهين الشيرازي**/ أبو عبد الله الزنجاني- دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٢- (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١١).

- **مقالات في العربية**/د. مازن المبارك- ط١- دمشق:دار البشائر، ١٩٩٩.

- **المقتضب في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين**/ ابن جني؛ تحقيق: د. مازن المبارك- ط١- دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٨.

- **المكتبات ومراكز المعلومات في الأردن الواقع والتحديات**/ يوسف قنديل وآخرون- ط١- عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠٠٠.

- **ملاحم على الورق: أبو نواس، أبو الطيب، أبو العلاء**/ جميل حسن- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- (سلسلة من الشعر العربي ١١٠).

– **ملامح عربية إسلامية في الأدب الألباني: دراسة**/ د. محمد.م. الأرناؤوط– دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠.

– **مملكة الكراسي الخشبية: قصص للأطفال**/ محمد محيي الدين مينو– دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

– **من أين وإلى أين**/ عبد الكريم عبد الصمد– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة قصص عربية ١٨).

– **المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية**/ ابن محاسن؛ دراسة وتحقيق: محمد عدنان البخيت– ط١– بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١.

– **منازل وطيور**/ ناصر زين الدين– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١– (سلسلة من الشعر العربي ١٠١).

– **من روائع الأدب المغربي: قراءات**/ د. علي القاسمي– الرباط: الزمن، ٢٠٠٢– (سلسلة شرفات ٧).

– **الموجز في تاريخ البلاغة**/ د. مازن المبارك– ط٢– دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩.

– **الموريسكيون في المغرب: الندوة الثانية**/ مجموعة من الباحثين– الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠١– (سلسلة الندوات).

– **ناحية بني كنانة شمالي الأردن..**/ محمد عدنان البخيت– عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩.

– **نادب الحياة الأحزن**/ طالب هماش– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠١– (سلسلة من الشعر العربي ١٠٢).

– **النحو العربي: العلة النحوية، نشأتها وتطورها**/ د. مازن المبارك– ط٣– بيروت: دار الفكر، ١٩٨١.

– **نحو وعي لغوي**/د. مازن المبارك– ط٢– بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

- **نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**/ د. الشاهد البوشيخي- ط١- الكويت: دار القلم، ١٩٩٣.

- **نظرات لغوية في بعض الترجمات الأردية لمعاني القرآن الكريم**/ د. محمد أجمل بن أيوب الإصلاحي- المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٢.

- **نظرية النقد**/ تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢- ٣ج- (سلسلة قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٦).

- **نوادر المخطوطات العربية من القرن الثالث إلى السادس الهجري..**/ تقديم ومراجعة: د. محمود المرعشي النجفي- قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ٢٠٠٢.

- **النوع الاجتماعي والمواطنة ودور المنظمات غير الحكومية..**/ الإسكوا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٢- (سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية ٢٩).

- **هبة العاشق**/ طاغور؛ ترجمة: تميم صائب- دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ - (سلسلة الشعر العالمي الحديث ٧).

- **هل تكسب الإنسانية معركتها**/ ترجمة: محمد عصفور؛ مراجعة: محمد عدنان البخيت- عمان: مكتبة الشباب، ١٩٩٥.

- **الوثائق الهاشمية**/ د. محمد عدنان البخيت وآخرون- عمان: جامعة آل البيت، الدار العربية الأردنية، ١٩٩٣- ٢٠٠١- ١٦مج (٢٠ج).

- **الوجه الآخر للاتحاد والترقي**/ د. حسن كلشي؛ ترجمة وتقديم: د. محمد الأرناؤوط- ط١- إربد: دار قدسية، ١٩٩٠- (سلسلة دراسات تاريخية ١).

- **الوليمة المتنقلة: سيرة روائية**/ إرنست همنغواي؛ ترجمة: علي القاسمي- ط٢- الرباط: الزمن، ٢٠٠١- (سلسلة روايات الزمن ٥).

ب- المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
بناة الأجيال	١٣٨	٢٠٠٢	سورية
التراث العربي	٨٥	٢٠٠٢	سورية
الحياة المسرحية	٥١	٢٠٠٢	سورية
الحياة الموسيقية	٢٤ (عدد خاص)، ٢٥ (٢٠٠١)،٢٦(٢٠٠٢)		سورية
دراسات تاريخية	(٧٧– ٧٨)	٢٠٠٢م	سورية
صوت فلسطين	٤١٦، ٤١٧، ٤١٩ (٢٠٠٢)، ٤٢١ (٢٠٠٣)		سورية
الضاد	٥، ٦	٢٠٠٢	سورية
عالم الذرة	٨١	٢٠٠٢	سورية
الفكر السياسي	١٥	٢٠٠١–٢٠٠٢	سورية
مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية	١٦	٢٠٠٢	سورية
المجلة البطريركية	(٢١٦ و ٢١٧)	٢٠٠٢	سورية
مجلة جامعة البعث	مج ٢٣ (العلوم الأساسية: ٤)	٢٠٠٢	سورية
	مج ٢٣ (سلسلة العلوم الهندسية: ٢)٢٠٠١		
	مجلة جامعة دمشق		سورية
	مج ١٧ (الآداب والعلوم الانسانية: ٢)٢٠٠١		
	مج ١٧ (العلوم الزراعية: ٢)٢٠٠١		
	مج ١٨ (الآداب والعلوم الانسانية: ١)٢٠٠٢		
	مج ١٨ (العلوم الاقتصادية والقانونية: ٢،١)٢٠٠٢		
	مج ١٨ (العلوم الصحية: ١) ٢٠٠٢		
	مج ١٨ (العلوم الهندسية: ١) ٢٠٠٢		
المعلم العربي	٢	٢٠٠٢م	سورية
الموقف الأدبي	٣٧٦، ٣٧٧	٢٠٠٢	سورية
نشرة الأرمن الكاثوليك	٤	٢٠٠١	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	٣	٢٠٠٢	سورية

نضال الفلاحين	٢٥	٢٠٠٢	سورية
نهج الاسلام	(٨٨-٨٩) عدد ممتاز	٢٠٠٢	سورية
الشريعة	٤٤٠	٢٠٠٢م	الأردن
الموسم الثقافي العشرون لمجمع اللغة العربية	٢٠	٢٠٠٢م	الأردن
آفاق الثقافة والتراث	٣٨	٢٠٠٢م	الإمارات
تعليم الجماهير	٤٨	٢٠٠١	تونس
نشرة المعلومات	١، عدد خاص	٢٠٠١	تونس
جذور التراث	مج ٥ (ج٩/٢٠٠٢) مج ٦(ج١٠/ ٢٠٠٢)		السعودية
الحج والعمرة	٥	٢٠٠٢م	السعودية
الراوي	٩	٢٠٠٢	السعودية
علامات في النقد	مج ١١(ج٤٤ عدد خاص/٢٠٠٢) مج ١٢ (ج ٤٥/ ٢٠٠٢)		السعودية
المجلة العربية	٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧	٢٠٠٢م	السعودية
نوافذ	٢٠	٢٠٠٢	السعودية
البيان	٣٨٦	٢٠٠٢	الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢٢ (١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨)	٢٠٠١-٢٠٠٢م	الكويت
مجلة العلوم	مج ١٨ (٥/٦)، (٧/٨) ٢٠٠٢		الكويت
مجلة البحوث التاريخية	١، ٢	١٩٩٦	ليبيا
التمويل والتنمية	٢ (مج ٣٩)	٢٠٠٢	مصر
نشرة الإيداع	تشرين الأول، أيلول	٢٠٠١	مصر
فكر وفن	٧٥	٢٠٠٢	ألمانيا
رسالة التقريب	٣٣	٢٠٠٢م	إيران
الدراسات الاسلامية	٣، ٤ (مج ٣٦) ٣ (مج ٣٧)	٢٠٠١م ٢٠٠٢م	باكستان
وضع نظام أكثر أمنا في تحديد هوية البحارة- (التقرير السابع)	الدورة ٩١، ٢٠٠٣		سويسرا

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

١- Books:

- An Introduction to Modern Arabic/by Farhat j. Ziadeh - Britain.
- AL- Marje/ by Joseph N. Hajjar - Liban (Dictionary) .
- Aux Origines métallurgie du fer / par unesco ٢٠٠٢.
- Arabische Handschriften/ by von Rosemarie Quiring – Stuttgart, ٢٠٠٢.
- Civil Society and Social Movements / by Nadje S.Al Ali - United nation.
- Droits des femmes et bioéthique / par unesco, ٢٠٠٢.
- Expressions Expressions Et Locutions / par Alain Rey, Sophie Chantrean - paris. (dictionary).
- Folia Orientalia - poland .
- La Rousse Chambers - Paris . (dictionary) .
- Le dialogue Social dans Les services - United nation .
- Le Robert and Collins / par Beryl T. Atkins – France, ١٩٩٨ (dictionary).
- L'evolution de L'emploi , du Temps du travail et de la formation - Genéve .
- Sustainable Human Development / by A. A. Kubursi – New york.
- Social policy and development / by Ramya Subra hanian - United nation.
- Women and men in the Arabregion – New york ١٩٩٩ .

- Women in Contemporary Democratization / by Shara Razavi - New york .

2 – Periodicals :

- Acta Oriental Vol. 54 , No. 4 , 2001 .
- ARS Orientalis Vol. XXX 1, 2001 .
- Common Ground No. 2 , 2002 .
- DAWAH Vol. XIII , No . 1, 2, 3, 4 , 7 , 8 . 2002.
- Deutschland No. 4 August, 5 October, 2002.
- Dijitall . Vol. 24, No. 11, 2002.
- Dirasat / An International Refereed Research Journal . Vol.29, No. 2 August .
- EAST Asian Review . Vol. 13 . No. 1, 2, 3 , 4 . Spring 2001 . Vol. 14 . No. 1,2,3 - Korea .
- International Family Planning Perspectives . Vol. 28 . No. 1 , 2, 3 . 2002, USA .
- Journal Of Asian and African Studies . No. 63 , 2002.
- Koria and World Affairs . No. 1 , 2002 .
- Perspectives Vol. XXX . No. 1 , 2 , 3 , 2000.
- Population and development Review Vol. 28 , No. 1, 3 . 2002 New york . USA .
- Revue internationale des Sciences Sociales, Decembre No. 166 .
- Revue internationale Du Travail, Vol. 141 . No. 1, 2 . 2002 .
- Resistance, No. 7 , 2002 .
- SGI Quatterly , No. 28 , 29 , 30 . 2002 .
- Selfe realization, No Fall. 2002 .
- الهند إبريل ٢٠٠٢ – معارف

فهرس الجزء الأول من المجلد الثامن والسبعين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدي كرب جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج١ تحقيق محمد كامل القصار
- معرفة الرجال ليحيى بن معين، ج٢ تحقيق حافظ وبدير
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١ تحقيق عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٢٤ تحقيق مطاع الطرابيشي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٩ تحقيق سكينة الشهابي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٢ تحقيق غازي طليمات
- المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي تحقيق مصطفى الحدري
- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢ وضع ياسين السواس
- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني تحقيق سبيع الحاكمي
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣ تحقيق إبراهيم عبد الله
- المستدرك على فهرس (الشعر) إعداد رياض مراد
- تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش تحقيق إبراهيم صالح
- الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً للدكتور عدنان الخطيب
- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

- المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ـــ٤ تحقيق غلاونجي والذهبي
- شعر خداش بن زهير العامري صنعة د. يحيى الجبوري
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٨، ٤٠ تحقيق سكينة الشهابي
- إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢) تحقيق عبد الإله نبهان
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦ وضع غزوة بدير

- الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية وضع الخيمي والحافظ
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٤ تحقيق أحمد مختار الشريف
- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان وميرعلم
- فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥ وضع محمد خير محمد

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

- تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة)
- رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية)
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية)
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية)
- الإتباع لأبي الطيب اللغوي، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ)
- عمر فروخ، كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام، للدكتور عدنان الخطيب
- الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب
- الدكتور صبحي المحمصاني، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب
- الأستاذ عبد الهادي هاشم فقيد المجمع (فصلة)، للدكتور شاكر الفحام

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

- ديوان أبي الفتح البُسْتي، تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال
- الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد بن حزم الأندلسي، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي
- فصول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع، الدكتور فهد أبو خضرة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)، تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤١، تح سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تح نشاط غزاوي
- عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة، للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري، تح وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي
- ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر
- بقية الخاطريات لابن جني (وهي ما لم ينشر في المطبوعة) تح الدكتور محمد أحمد الدالي
- حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ — ١٩٩٢ م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ ـــ ١٩٩٢م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا »



المحرم ١٤٢٤هـ

نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاًمن مطلع العام ١٩٩٦م	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية ١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية ١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابِها المقالات التي يخصّونَها بِها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكَتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الثاني المجلد الثامن والسبعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



المحرم ١٤٢٤هـ

نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م

المجمع العلمي العربي بدمشق والمرأة

د. ليلى الصباغ

إنّ إنشاء البلاد العربية «المجامع العلمية» أو كما سميت في الوقت الحاضر بـــ «مجامع اللغة العربية»، ظاهرة فكرية اجتماعية، عربية جديدة، انطلقت في بداية «عصر النهضة العربية الحديثة» في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. وكان هدفها اهتمام العاملين فيها من الأدباء، والعلماء، والمفكرين، باللغة العربية، والحفاظ على أصالتها، مع السعي لتطويرها وإغنائها في «عصر الحداثة»، حتى تساير التطور العلمي والتقني، والحضاري العالمي. ولكن هذا لا يعني أن البلاد العربية قد خلت في الماضي مما يشبه تلك «المجامع العلمية»، وإن لم تختص باللغة العربية وحدها. فالمتتبع لتاريخ العرب الحضاري في العصور الإسلامية، يرى أنه كان يطلق على تجمعات العلماء والأدباء اسم «مجالس». وكانت هذه المجالس تنعقد أحياناً حول رأس الدولة، أو بعض كبار أصحاب السلطة من مشجعي العلم والأدب والفكر، ويحضرها ثلّة من علماء العصر وأدبائه، وكبار مفكريه، ويجري فيها تداول الحديث والنقاش بحرية، في الأدب: نثره وشعره ومصنفاته، وفي اللغة: مفرداتها وتراكيبها وعلومها، وفي المعارف بفروعها المختلفة، بما فيها العلوم الدينية والعقلية. وقد تعقد هذه المجالس بين العلماء والأدباء والمفكرين، ودون دخيل من السلطة السياسية، فتكون أشبه بـــ «جمعيات»، أو «نواد حرة»، يتلاقى فيها المهتمون بأفانين المعرفة. وقد تضم تلك المجالس الرجال والنساء، وقد تكون للنساء فقط، أو للرجال دون

النساء[١]. وقد يكون على رأس بعضها نساء تميزن في عصرهن بسعة المعرفة، والشغف بالعلم والأدب والفن[٢].

ومع وجود تلك «المجالس» العلمية — الأدبية في الماضي، فإنه لابد من التأكيد أن «المجالس العلمية العربية» عندما فُكر بإنشائها في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، لم تكن مماثلة لتلك «المجالس» على تنوعها الفكري، وإن كان فيها بعض شبه منها، يتمثل بصفة خاصة بأنها تضم نخبة من الأدباء والعلماء والمفكرين. فـ«المجامع العلمية» ظهرت في الواقع آنئذ لمعالجة قضية فكرية هامة جداً اصطدم بها المجتمع العربي في معظم أقطاره، وهي «قضية اللغة العربية» بالذات، في تلك المرحلة الزمنية من تاريخ العرب الحديث. فمنذ أن تبنت مصر اللغة العربية في نهضتها الحديثة، لغة رسمية في عهد «محمد علي»، وأحلّتها محل اللغة التركية، ولاسيما في التعليم الحديث الذي أوجدته، أخذ المفكرون العرب، وبصفة خاصة في مصر وبلاد الشام، يشعرون بأنهم بحاجة ماسة وملحة، في اللغة العربية التي يستخدمونها،

---

(١) انظر عن مجموع تلك المجالس: عيسى إسكندر المعلوف: «المجامع العلمية في العالم»، في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق»، المجلد الأول/ ٩٧- ١٠٥. وفيه الحديث عن المجامع العلمية في المشرق، وفي المصدر نفسه/ ١٤٧- ١٥٤، ما يخص المجامع العلمية في أوربة وأمريكة.

- وانظر أيضاً: مادة «مجلس Madjlis» في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة باللغة الفرنسية، المجلد الخامس/ ١٠٢٧- ١٠٢٩:

- Encyclopédie de L' Islam (E.I^{2}), Vol. 5, 1027- 1029.

(٢) من أمثلة تلك المجالس الشهيرة: مجلس السيدة «سكينة بنت الحسين» (المتوفاة ١١٧ هـ/ ٧٣٥م)، ومجلس السيدة «عائشة بنت طلحة» (المتوفاة ١٠١هـ/ ٧١٩م)، ومجلس السيدة «ولادة بنت المستكفي» (المتوفاة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م).

إلى مفردات أوفر، وقواعد أبسط، وذلك بعد اتجاههم إلى ترجمة المؤلفات الغربية، العلمية والأدبية، المتنوعة إلى لغتهم العربية، بما تحمله تلك المؤلفات من ألفاظ أوربية لمخترعات، أو لمسميات حديثة، كانت غير معروفة سابقاً في اللغة العربية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن اندفاعهم نحو ممارسة الصحافة العربية، التي نشأت في هذه المرحلة، ونمت نمواً كبيراً، والتي تزايد مع نموها جمهور القرّاء من جميع فئات المجتمع، دفعهم أكثر فأكثر إلى حثّ الخطا للبحث عن لغة عربية صحيحة، وسهلة الفهم، ومنسجمة مع حداثة الفكر العربي، الذي شرع يخوض في موضوعات كانت غير مطروقة سابقاً في الوطن العربي. وكان لابد لهذه اللغة المطلوبة أيضاً، أن تكون مستوعبة للمعاني الواردة في نصوص اللغات الأجنبية المترجمة، ومرادفة في دلالاتها لتلك المعاني. إن جميع تلك الأمور المستجدة كانت تحدّياً للّغة العربية الفصيحة التقليدية، ومهددة لها بالخطر، بعد أن أظهرت هذه اللغة ضعف تجاوبها الآني مع التطورات الغربية والعالمية في الميادين الحضارية المتنوعة. ومن ثم أيقن الأدباء العرب ومفكروهم، الحريصون على البنية الأصلية للغة العربية، وعلى صيانتها مما قد يصيبها من تشوهات وخروج عن قواعدها، أنه لابد من العمل الحثيث لإيجاد الوسائل الكفيلة بالحفاظ عليها، وفي الوقت ذاته لتحديثها وإغنائها، حتى تنسجم مع متطلبات العصر.

وكانت المشكلة الصعبة التي جابهتهم، كيف يمكن تطويرها دون التخلي عن أصالتها أو المساس بها، أي دون التخلي عن الفصحى بمفرداتها، وتراكيبها، وقواعدها، التي هي لغة «القرآن الكريم»، والدعامة الأساسية في بنية الثقافة العربية في مختلف العصور.

وفي الحقيقة، إن بعض ما يشبه هذه المشكلة، كان قد عاناه العرب

المسلمون خلال بعض العصور الإسلامية السابقة، نتيجة تمازجهم مع ثقافات الشعوب الأخرى، وسعيهم لترجمة إنتاج حضارات تلك الشعوب، كاليونانية، والفارسية، والهندية، والسريانية. إلا أنها لم تكن بمثل تلك الحدة التي بدت فيها هذه المشكلة في القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر للهجرة/ التاسع عشر ومطلع العشرين للميلاد. فإذا كان بعض الأدباء والعلماء واللغويين، في تلك العصور الإسلامية السالفة، قد سعوا بجهودهم الفردية لاستنباط مفردات تناسب الأبنية اللغوية العربية، عبروا بها عن العلوم الدخيلة عليهم[٣]، كما عمل بعض آخر، عندما رأى ما تعرضت له اللغة العربية بمجموعها من آفات: «حتى أصبح اللحن في الكلام يعدّ لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية» [٤]، على الإسراع للحفاظ على سلامة هذه اللغة بوضع معجمات لغوية موسوعية، تتضمن «أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها»[٥]، أو بتدوين مؤلفات خاصة، توضح الأصيل في اللغة والدخيل عليها من اللغات الأخرى، وتذكّر بقواعدها الأساسية، فإن اللغويين والمفكرين العرب، في هذه المرحلة الحديثة من تاريخهم، أدركوا أنه لا يمكن لأفراد متفرقين أن يضعوا حلاً ناجعاً لهذه المشكلة الكبيرة، ولاسيما بعد أن ظهر في الساحة عدة تيارات فكرية لغوية، بعضها خطير جداً: فمنها ما طالب بالتخلي عن اللغة العربية الفصحى

---

(٣) محمد سواعي: أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر. دمشق ١٩٩٩/ ١٩– ٣٧، ٣٨– ٥٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ١٥ مجلداً. دار صادر بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥، مج ١/ ٨.

(٥) المصدر نفسه/ ٩.

وإحـــلال العامية المحلية في كل قطر محلها؛ ومنها ما كان أقل غلواً، فنادى بتنمية اللغة بإدخال مفردات، ومصطلحات، وتراكيب جديدة، منسجمة مع عصــر الحداثة، ومقتبسة بصفة خاصة مما هو قائم في اللغات الغربية. إلا أنه بالمقـــابل، بقـــي هناك التيار المحافظ، الذي أصرّ على إبقاء اللغة العربية التي حفظتها معجمات اللغة، بكل مفرداها، وقواعدها، وتراكيبها، والبحث في اللغة نفسها عما يمكن أن يستجيب للمتطلبات الجديدة، أي بتطوير اللغة من ذاهّا، هذا مع التأكيد أن اللغة العربية قابلة لمثل هذا التطوير.

وأمام هذه المشكلة والجدل الفكري اللغوي حولها، اقترح بعض الأدباء والمفكرين اللغويين إنشاء «مجمع علمي عربي» يتداول في الأمر، ويصل إلى حلول فيه. وكان من أوائل من اقترح إقامة مثل هذا «المجمع»، أو كما سمي آنذاك بالتعبير الأوربي، «أكاديمية اللغة العربية»، الأديب واللغوي اللبناني «أحمد فارس الشدياق» (١٢١٩- ١٣٠٤هـ/ ١٨٠٤- ١٨٨٧م)[٦]. وقد تناول آخرون هذه الفكرة وأيدوها.

ولقد صاحب في الواقع، الأهداف اللغوية المشار إليها للنهوض باللغة العربية، أهداف سياسية وثقافية، واجتماعية. إذ إن دعم اللغة العربية، وإعادها حيّة، ونشرها معافاة في تلك المرحلة الزمنية، هو نهوض بأمة العرب، بعد أربعة قرون من السيطرة التركية، وتقوية للوحدة العربية، التي كانت ومازالت الأمنية الغالية لتلك الأمة، مما يجعلها تقف قوية في وجه الأتراك العثمانيين الحاكمين، والغربيين المستعمرين من إنكليز وفرنسيين، ويفتح مجتمعاها للعلم المتطور، ولأدوات المعرفة الحديثة وتمثلها.

---

(٦) انظر موجزاً لترجمته في الزركلي: الأعلام. ٨ أجزاء. بيروت ١٩٧٩، ج١/ ١٩٣.

وهكذا ظهرت في بعض البلاد العربية، منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وحتى الربع الأول من القرن الرابع عشر (النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين)، ولاسيما في مصر، وبلاد الشام، عدة «مجامع علمية»، و«جمعيات»، همها اللغة العربية، وقضايا النهوض بها وتطويرها(٧). إلا أن تلك التجمعات الفكرية ما كانت لتتكون

---

(٧) انظر حول تلك التجمعات، عيسى إسكندر المعلوف. المصدر السابق نفسه (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق) مج١/ ٩٧- ١٠٥ و«مادة: المجمع العلمي Al-Madjma al- Ilmi» للباحث J.D.J. Waardenburg في EI٢ (باللغة الفرنسية)، المجلد الخامس/ ١٠٨٧- ١٠٩١.

من تلك المجامع التي تكوّنت: «المجمع العلمي الشرقي» الذي أُنشئ سنة ١٨٨٢، بإسهام من الأديب «فارس نمر» (١٨٥٦- ١٩٥٢)؛ و«المجمع» الذي أقيم سنة ١٨٩٢ بمبادرة من الشيخ «توفيق البكري» (١٨٧٠- ١٩٣٥م)، إلا أنه اضمحل، وأسس «إبراهيم اليازجيّ (١٨٤٧- ١٩٠٦)، و«جرجي زيدان» (١٨٦١- ١٩١٤)، و«الشيخ محمد رشيد رضا» (١٨٦٥- ١٩٣٣) «جمعية ترقية اللغة العربية». كما أقام الطلبة القدماء في «دار العلوم» بالقاهرة، وعلى رأسهم «حفني ناصف» (١٨٥٥- ١٩١٩م)، ومنهم «عاطف بركات بك» «نادي دار العلوم» سنة ١٩٠٧، وهدفه تعريب الألفاظ الأجنبية. ومثله ناد أسسه «فتحي زغلول» (١٨٦٣- ١٩١٤م) في الوقت نفسه تقريباً. وتشبهه «لجنة المصطلحات العلمية» التي أنشأها «أحمد حشمت باشا»، عندما كان وزيراً للتربية، وكان من أعضائها البارزين «أحمد زكي باشا» (١٨٦٠- ١٩٣٤م). كما أن «لطفي السيد» (١٨٧٢- ١٩٦٣م)، أسس سنة ١٩١٧ « المجمع» وكان على رأسه أولاً «الشيخ سليم البِشْري» (١٨٣٢- ١٩١٧م)، فـ«الشيخ أبو الفضل الجيزاوي» (١٨٤٧- ١٩٢٧م)، وكان يضم (٢٨) ثمانية وعشرين عضواً، ودام سنتين. وفي (١٩٢١- ١٩٢٥م) كان في القاهرة «مجمع» يرأسه «إدريس راغب بك»، ومن أعضائه -

حتى ينفرط عقدها، إذ لم تجد سلطة حاكمة تدعمها.

وإذا كان كثير من الأدباء والمفكرين قد أدركوا المشكلة التي تمر بها اللغة العربية، فسعوا للتجمع لإيجاد بعض حل لها، فإننا لا نملك في الواقع ما يوضح مدى إسهام المرأة في أوليات تلك «المجامع»، أو ما يبين مدى مطالبتها بمثلها. ومع ذلك فإنه يمكن القول، إنه من المتوقع أن تكون المناقشات الدائرة حول هذا الموضوع، قد أثارت في أذهان الصحافيات والأديبات آنذاك اهتماماً بمثل تلك الأمور المطروحة. فقد كان هناك، على سبيل المثال فقط، بعض تجاوب من هذا القبيل عند الأديبة «مي زيادة» (١٣٠٣- ١٣٦٠هـ/ ١٨٨٦- ١٩٤١م)(٨)، التي عرف عنها بأنها «كانت تتتبع بشوق واهتمام بجهود المجمع اللغوي القديم الذي كان يعقد جلساته في «دار الكتب المصرية»، وترجو بإلحاح أن يضع «المجمع» ألفاظاً ملائمة، تحل محل الألفاظ الأجنبية التي شاعت على الألسنة والأقلام بالرطانة والعجمة». و«لما تسربت الدعوة للعامية، كتبت في الصحف العربية مستهجنة هذه الدعوة، ومؤكدة أن الفصحى هي أقوى رابطة لشعوب العرب في مساعيهم للتحرر والنهضة. وطالبت بتيسير القواعد للمتعلمين، مبينة أن بعض المعلّمين على الطريقة القديمة هم من أقوى أسباب التجافي عن تعلم اللغة العربية والشكوى من صعوباتها»(٩). وألحت في القول بأن «العامية تفكك الأواصر

- «منصور فهمي» (١٨٨٦- ١٩٥٩م) و«طه حسين» (١٨٨٩- ١٩٧٣)، وكان هدفه إنشاء معجم عربي حديث، ولكن المشروع أخفق لعدم دعم الدولة له.

(٨) انظر حولها: وداد سكاكيني: مي زيادة في حياتها وآثارها. دار المعارف بمصر. د.ت.- ومحمد عبد الغني حسن: حياة ميّ. -والأعلام ج٥/ ٢٥٣- ٢٥٤، والمصادر التي أوردها المؤلف.

(٩) وداد سكاكيني: مي زيادة في حياتها وآثارها/ ٤٨.

وهدم البيان»[١٠]. وقد تبنت مثل هذه الأفكار من الأديبات، وإن كان هذا في وقت متأخر قليلاً عن «مي زيادة» الأديبة السورية- اللبنانية الناقدة، السيدة «وداد سكاكيني»[١١]، وغيرها.

وإذا كانت تلك «المجامع العلمية» الأولية السابقة، والجمعيات الأدبية اللغوية الخاصة، هي باكورة إنشاء «المجامع العلمية العربية» القائمة اليوم، فإن أول تلك «المجامع» التي تبنتها الدولة ورسَّختها، كان «المجمع العلمي العربي بدمشق»، الذي أسس سنة ١٩١٩م، في عهد الحكومة العربية الفيصلية، التي تسلمت السلطة في سورية بعد خروج الأتراك العثمانيين من بلاد الشام. وقد حلّ محل «شعبة ديوان المعارف»، وكانت الحكومة العربية قد أنشأها فرعاً من «الشعبة العليا للترجمة والتأليف»، لتدبر أمر اللغة العربية الرسمية، التي أُحلّتْ محل اللغة التركية في الدواوين وشؤون الدولة، ولنشر الثقافة العربية، واستخدام المصطلحات العربية الإدارية بدل التركية. وقد اكتسب هذا «المجمع» كياناً مستقلاً عندما صدر مرسوم تأسيسه تحت الرقم (٥٦٩٨/ ٢٤٧)، بتاريخ الثامن من حزيران (يونيو) ١٩١٩، وسُمِّي فيه بـ «الأقاده مي» أي «الأكاديمية»،

---

(١٠) المصدر نفسه/ ٥٥.

(١١) أديبة قاصة وناقدة من أهالي لبنان فسورية (١٣٣٢- ١٤١٢هـ/ ١٩١٣- ١٩٩١م)، تعلمت في بيروت، وعملت في التعليم والأدب. تزوجت الأديب «زكي المحاسني». كتبت في الصحافة، ورحلت إلى مصر واتصلت بأدبائها، وخاضت معارك أدبية دفاعاً عن المرأة. لها عدد من المؤلفات الأدبية. كتب عنها السيد «محمود شعيب» رسالة ماجستير في جامعة المنصورة بمصر، ولها شعر.

- نزار أباظة ومحمد رياض المالح: إتمام الأعلام. بيروت ١٩٩٩/ ٣١٢- عبد القادر عيّاش: معجم المؤلفين السوريين دمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م/ ٢٥١- ٢٥٢.

- انظر كتابها «شوك في الحصيد» دمشق ١٩٨١، و«فصل اللغة والأدب» فيه/ ٣١- ٣٥.

أو «المجمع العلمي العربي» -كما عُرِّبت آنذاك تلك التسمية الأجنبية[١٢]-. وقد عقد هذا «المجمع» أولى جلساته في المقر الذي خصص له في «المدرسة العادلية»، قرب الجامع الأموي، في الثالث من ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ، الموافق ليوم الثلاثين مـــن تموز (يوليو) ١٩١٩م، وبرئاسة الأستـــاذ الأديب الكبير، المرحوم «محمد كرد علي»[١٣]، الذي كان إنشاء مثـــل هذا «المجمع» من أمانيه منذ ١٩٠٩، أي منذ زيارته لفرنسة، واطلاعه على مجمعها في باريس المعروف بـــ «الأكاديمية الفرنسية»، وما كان يقدمه من خدمات للغة الفرنسية والثقافة. وكان عدد أعضائه ثمانية، هم الأساتذة «محمد كرد علي»، و«محمد أمين سويد»[١٤]، و«عبد القادر المغربي»[١٥]، و«عيسى إسكندر المعلوف»[١٦]، و«سعيد الكرمي»[١٧]،

(١٢) أحمد الفتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي. دمشق ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص ١ - ٢ مع الهامش، وص٧.

(١٣) غني عن التعريف. فهو أحد كبار الأدباء العرب السوريين، وصاحب جريدة «المقتبس». مولده ووفاته بدمشق (١٢٩٣- ١٣٧٢هـ/ ١٨٧٦- ١٩٥٣م). له مـــؤلفات كـــثيرة، منها «خطـــط الشام». انـــظر ترجمة أوفى له، في الأعلام، ج٦ / ٢٠٢- ٢٠٣- وكتاب عدنان الخطيب: مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً دمشق ١٩٦٩/ ٢٧- ٤٥.

(١٤) فقيه مناظر، دمشقي المولد والوفاة (١٢٧٣- ١٣٥٥هـ/ ١٨٥٥- ١٩٣٦م). جاب مناطق كثيرة من العالم الإسلامي، وكان من مدرسي «المدرسة الصلاحية» في القدس أيام الحرب العالمية الأولى. له عدة مصنفات. الزركلي: الأعلام، ج٦/ ٤٤ - عدنان الخطيب: المصدر السابق نفسه/ ٤٧- ٥٢.

(١٥) من العلماء باللغة والأدب. أصله من تونس، ومولده في اللاذقية ونشأته في طرابلس الشام، ووفاته بدمشق (١٢٨١- ١٣٧٥هـ/ ١٨٦٧- ١٩٥٦م). اتصل بالأفغاني ومحمد عبده. كتب كثيراً، وألقى محاضرات وفيرة، وله عدة مصنفات.- الأعلام: ج٤/ ٤٧- عدنان الخطيب: المصدر نفسه/ ٧١- ٩١.

و«متري قندلفت»[١٨]، و«أنيس سلوم»[١٩]، و«عز الدين علم الدين»[٢٠]. ثم انضم إليهم «الشيخ طاهر الجزائري»[٢١]، بعد عودته من مصر في تشرين

---

(١٦) مؤرخ باحث، من أسرة حورانية الأصل. ولد في قرية من قرى المتن في لبنان. تولى تدريس الأدب العربي في لبنان ودمشق، وجمع مكتبة نفيسة استقر في زحلة وتوفي فيها. (١٢٨٦- ١٣٧٥هـ/ ١٨٦٩- ١٩٥٦م)، له عدد من المؤلفات- الأعلام: ج٥/ ١٠١- الخطيب: المصدر نفسه/ ١٠٥- ١١٥.

(١٧) سعـــيد علي الكرمي: فقيه من علماء الأدب والشعر. ولد في طولكرم وتوفي فيها (١٢٦٧- ١٣٥٣هـ/ ١٨٥١- ١٩٣٥م) شارك في الحركة القومية العربية، وحكم عليه بالإعدام، ثم اكتفي بسجنه. عمل في القضاء، له عدة مصنفات- الأعلام، ج٣/ ٩٨- ٩٩- الخطيب: المصدر نفسه/ ٦١- ٦٩.

(١٨) دمشقي المولد والوفاة (١٢٧٦- ١٣٥٢هـ/ ١٨٥٩- ١٩٣٣). له عدة مؤلفات مترجمة عن الإنكليزية التي كان يتقنها. نفته الدولة العثمانية لأفكاره الوطنية. درّس علم النفس والتربية والإنكليزية في مدارس دمشق. أشرف في المجمع على طبع مجلة المجمع — معجم المؤلفين السوريين/ ٤٢٦- الخطيب: المصدر نفسه: ١١٧- ١٢٤.

(١٩) ولد بحمص وتوفي بدمشق (١٢٧٩- ١٣٥٠هـ/ ١٨٦٣- ١٩٣١م). له عدد من الكتب المدرسية في علم النحو، وفي علم الاجتماع والاقتصاد. وكان شاعراً. — معجم المؤلفين السوريين/ ٢٥٥- الخطيب: المصدر نفسه/ ٥٠- ٦٠.

(٢٠) مولده ووفاته بدمشق (١٣٠٧- ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٩- ١٩٦٦م). عالم بالأدب والشعر. تعلم في يافا والأزهر، وأوفد إلى فرنسة. عمل في التعليم، وله مؤلفات كثيرة حقق فيها بعض التراث. — الأعلام ج٤/ ٢٢٩- الخطيب: المصدر نفسه/ ٩٣- ١٠٥.

(٢١) جزائري الأصل ودمشقي النشأة. من أكابر العلماء باللغة العربية والأدب. ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية بدمشق. والخالدية في القدس. مولده ووفاته بدمشق (١٢٦٨- ١٣٣٨هـ/ ١٨٥٢- ١٩٢٠م). كان يحسن عدة لغات، وله عدد من المصنفات.- الأعلام: ج٣/ ٢٢١- ٢٢٢.

الأول (أكتوبر) ١٩١٩. وقد تقرر أن يكون في «المجمع» فرعان: فرع لغوي أدبي، ويضم «الشيخ أمين سويد»، و«الشيخ عبد القادر المغربي»، والأستاذ «عيسى إسكندر المعلوف»، و«الشيخ سعيد الكرمي»؛ وفرع علمي فني، اختير له الأساتذة: «أنيس سلوم»، و«متري قندلفت»، و«عز الدين علم الدين». وانتقى «المجمع» من العاصمة دمشق أعضاء شرف يستعين بهم الفرعان.

ويلاحظ أن المرأة كانت غائبة عن هذا التجمع العلمي، أو أنها لم تُدعَ للمشاركة في عضويته، على الرغم من أنه كان هناك «عدد من الكاتبات، والشواعر، والخطيبات»، وباعتراف الرئيس محمد كرد علي نفسه(٢٢). ويشك جداً أن يكون قد مرّ في خاطر أي واحد من شيوخ العلم المؤسسين حتى مجرد فكرة مشاركة المرأة في بناء ذلك الصرح العلمي الجديد. لأن النساء في ذلك الوقت، مع ولوجهن أبواب التعلم والتعليم، والأدب، والصحافة، وبلوغهن فيها مستوى حسناً، فإنهن لم يكنَّ في نظرهم قد بلغن في مستواهن الفكري والثقافي ما بلغوه هم. ويجب ألا ننسى أنه على الرغم من الدعوة الجادة في الوطن العربي آنذاك، وفي مصر بصفة خاصة، إلى تحرير المرأة، وإلى مساواتها بالحقوق مع الرجل، فإن الرجل بقي على موقفه الجافي من هذه الدعوة.

ومع أنه طرأ على «المجمع العلمي العربي بدمشق» بعض تنظيمات جديدة مع الزمن، وفي سنة ١٩٥٨ بصفة خاصة، حين رُبط بمجمع «اللغة العربية» بالقاهرة، على إثر الوحدة السورية- المصرية، فإنه لم يفتح أمام المرأة، أكان في سورية أو في مصر، باب «العضوية العاملة»، أو «المراسلة»، أو «الشرفية»، علماً أن المرأة كانت في هذين القطرين، قد ثبتت قدمها في

(٢٢) خطط الشام، ٦ أجزاء. بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج٤/ ٧٠.

ميادين المعرفة المختلفة، وانطلقت في مجال السياسة والخدمات الاجتماعية. بــل وكان في سورية نفسها بعض المؤسَّسات الثقافــية الأهلية تطالب بذلك بإلحاح. ولكن لابد من الاعتراف بأنه إذا لم يفتح أمامها باب العضوية، فإنه لم يُقفله أيضاً من الناحية القانونية. ومع ذلك، فمن الضروري العودة إلى التذكير بأن المرأة، مع شقها الطريق في مجالات الثقافة، والعلم، والأدب، والصحافة، «فإنها ظلت تُتَّهم من قبل الرجل بصورة عامة، بالقصور، والتخلف، والحرمان من كل موهبة ومزية وتُرمى بكل نقيصة»[٢٣]. «وإن هذه المعاداة للمرأة لم تكن منطلقة من الرجل العادي فحسب، بل من كبار المفكرين والأدباء العرب، من أمثال «عباس محمود العقاد»[٢٤]،و«إبراهيم عبد القادر المازني»[٢٥]، و«توفيق الحكيم»[٢٦]، و«محمد

---

(٢٣) وداد سكاكيني: شوك في الحصيد/ ٢١١- ٢١٢، وانظر أيضاً كتابها: إنصاف المرأة.

(٢٤) إمام في الأدب. ولد في أسوان ودفن فيها (١٣٠٦- ١٣٨٣هـ/ ١٨٨٩- ١٩٤٤م). عمل في الصحافة والتأليف. أتقن الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية. له (٨٣) مؤلفاً. كان عضواً في المجامع العلمية العربية الثلاثة. دافع بحماسة عن أصالة اللغة العربية.- الأعلام: ج٣/ ٢٦٦- ٢٦٧.

(٢٥) أديب مجدد، ومن كبار الكتاب. مولده ووفاته بالقاهرة (١٣٠٨- ١٣٦٨هـ/ ١٨٩٠- ١٩٤٩م). عانى التدريس والصحافة والترجمة عن الإنكليزية. وكان شاعراً، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. له عدة مؤلفات.- الأعلام ج١/ ٧٢.

(٢٦) أديب عربي مصري كبير. مولده في الإسكندرية ووفاته بالقاهرة (١٨٩٨ أو ١٩٠٢ – ١٩٨٧). عمل في التأليف والصحافة، ومديراً لمكتبة دار الكتب في القاهرة، وعضواً في مجمع اللغة العربية فيها. له مؤلفات كثيرة ومنها مسرحيات. R.M.A.Allen. Tawfik Al - Hakim. In EI^2. Vol. X. P. 414- 416. –

مبارك»(٢٧) وغيرهم. حتى إن علامة دمشق «محمد كرد علي نفسه، الذي دعا لتعليمها وإعدادها لحياة لائقة، لم يتورع أن يقول فيها ما قاله العقاد»(٢٨).

وقد يكون من الأسباب أيضاً لعدم الترحيب بالمرأة عضواً في «المجمع العلمي العربي بدمشق» والمجمعَيْن العربيين الآخرين في القاهرة وبغداد، أن المرأة في الوطن العربي بصفة عامة، مع إسهامها في مجالات الفكر، لم يُعرف عنها توغلها في دراسة الجوانب المتنوعة في اللغة العربية بالذات. إذ لم يُسمع في الماضي والحاضر القائم آنذاك، عن لغويات عربيات برعن في دراسة بنية اللغة العربية وعلومها، كما كان الحال بالنسبة للرجل. ولا يُسهى في هذا المقام أيضاً عن «عامل العادة»، إذ اعتاد الرجل، وبيده الحل والعقد، أن يُنصِّب في جميع مواقع العمل خارج المنزل، رجلاً مثله، ولا سيما إذا كان كما ذكر، يؤمن بعدم قدرة المرأة على القيام بما تتطلبه تلك المواقع، ولا سيما الفكرية منها.

وهكذا قد يتضح سبب تلكؤ «المجمع العلمي العربي بدمشق»- أو «مجمع اللغة العربية بدمشق» كما أسمي منذ ١٩٥٨- في إدخال العنصر النسائي في بنيته العضوية.

وفي الحقيقة قد لا تكون العوامل المذكورة آنفاً هي وحدها وراء إحجام

= - محمد خير رمضان يوسف: تتمة أعلام الزركلي. بجلدان. بيروت ١٩٩٩، ج١/ ٩٥-٩٧.

(٢٧) لغوي وبحاثة ومرب وسياسي. أصوله من الجزائر. ولد بدمشق وتوفي بالمدينة المنورة (١٣٣٢- ١٤٠٢هـ/ ١٩١٢- ١٩٨١م) درس في السوربون بباريس، علم الاجتماع وعلم الأخلاق عمل مدرساً ومفتشاً بوزارة المعارف ووزيراً. كان عضواً في المجامع العلمية الثلاثة. له عدة مؤلفات. - محمد خير رمضان يوسف: المصدر نفسه، المجلد ٢/ ١٠٨، - إتمام الأعلام ٢٥٢.

(٢٨) وداد سكاكيني: شوك في الحصيد/ ٢١٢.

«المجمع» عن ذلك الأمر، بل قد يكون هناك عامل آخر ساعد على ذلك ودعمه. فمن المعروف، وكما أشير إلى ذلك سابقاً، أن مؤسسي «المجمع العلمي العربي بدمشق» قد اتخذوا «الأكاديمية الفرنسية» في باريس نموذجاً لهم. وهذه «الأكاديمية»، على الرغم من أنه قد مضى على تأسيسها ما يقرب من أربعة قرون (أسست سنة ١٦٣٥م)، فإنها لم تكن قد أدخلت في عضويتها امرأة؛ بل إن المرأة الفرنسية لم تُقبل في استقبالات الأكاديمية حتى ١٧٠٢م[٢٩]، مع أنها استقبلت في ١١ آذار ١٦٥٨م ملكة السويد «كريستين»[٣٠] ! و لم تُناقش فيها قضية إمكانية اختيار النساء أعضاء في الأكاديمية حتى سنة ١٨٩٧[٣١]؛ بل صدر أمر أكاديمي سنة ١٩١١ يعترض على انتخاب النساء في الأكاديمية[٣٢]. إلا أن هذا لم يمنع عند إنشاء «الأكاديمية الملكية للرسم والنحت» في باريس سنة ١٦٥٥م، من قبول هذه الأكاديمية في عضويتها (١٥) خمس عشرة امرأة. إذ يبدو أنه كان هناك اعتقاد أن المرأة قد نجحت وتنجح في المجال الفني، لتوافقه مع طبيعتها،

---

(٢٩) انظر: مادة: «الأكاديمية الفرنسية» "Académie française" في
Grand larousse Encyclopédique. 12 Tomes. Paris 1960- 1975 T.I. P. 36.

(٣٠) - Ibid.

- الملكة «كريستين» (١٦٢٦- ١٦٨٩م) ورثت عرش السويد وهي صغيرة السن. و لم تتسلم السلطة بنفسها حتى ١٦٤٤. كانت ذات ثقافة واسعة، وفكر نَهِم للعلم والأدب والفلسفة، وكانت راعية للآداب والفنون، وجذبت إلى بلاطها عدداً من كبار العلماء ومنهم «ديكارت» تنحّت عن العرش سنة ١٦٥٤ لصالح ابن عمها، وتركت السويد إلى هولاندة. وزارت فرنسة (١٦٥٦- ١٦٥٧م)، واعتنقت الكاثوليكية؛ وأنهت حياتها في روما. انظر ترجمتها في: - Ibid., T.3. P. 96

(٣١) - Ibid., T. I, P.37, article:((Académie française))

(٣٢) - Ibid.

أكثر مما تفعل في المجال العلمي أو اللغوي. إلا أن هذه الأكاديمية نفسها، عادت فقررت سنة ١٧٧٠م، أنه لن يمكنها أن تقبل أكثر من أربع أكاديميات في آن واحد[٣٣]. هذا ومن المعلوم أن المرأة في فرنسة، قبل أن تحقق تقدمها الكبير في جميع المجالات، وفي نيل حقوقها خلال القرن العشرين بصفة خاصة[٣٤]، فإنها كانت قد قطعت شوطاً بعيداً في ميدان الفكر والثقافة، وكان لها يد طولى في «حركة التنوير» الكبيرة في فرنسة في القرن الثامن عشر. إذ كانت على رأس تلك «الصالونات» الأدبية- العلمية الشهيرة التي انطلقت في القرن السابع عشر في فرنسة، وازداد نشاطها في القرن الثامن عشر، وخبت فعالياتها في القرن التاسع عشر. فقد كان يجتمع في تلك «الصالونات» نخبة من كبار الأدباء والمفكرين، ويتناقشون في السياسة، والدين، والعلم، والأدب، والفلسفة، بل إن أحد هذه الصالونات وكان على رأسه الأديب الفرنسي «كونرار V. Conrart» (١٦٠٣- ١٦٧٥)، كان هو في الحقيقة النواة الأولى «للأكاديمية الفرنسية»، إذ حوّله الوزير «ريشليو» ليكون تلك الأكاديمية، وجعل أعضاءه أول أعضاء فيها[٣٥]. ومن تلك الصالونات النسائية الكثيرة التي اشتهرت في باريس وترأستها امرأة، صالون الأديبة الفرنسية «مادلين دوسكوديري Madeleine de Scudéry» (١٦٠٧- ١٧٠١م)[٣٦]، التي منحتها «الأكاديمية الفرنسية» سنة ١٦٧١م، ولأول مرة في تاريخها جائزة

---

(٣٣) انظر «مادة» (أكاديميّة Académicienne) - Ibid., p.33

(٣٤) انظر: «مادة» (المرأة femme): - Ibid. ,T. 4, PP- 947-950

(٣٥) انظر حول الصالونات في فرنسة (مادة صالون Salon) في:
- Ibid., T. 9, PP. 557- 558.

(٣٦) انظر ترجمتها في: - Ibid., PP. 694- 695

البلاغة والشعر(٣٧). وصالون «مدام دومنتنون» (٣٨)، و«مدام دوليسبيناس»(٣٩)، و«مدام دوفان»(٤٠)، و«مدام جوفران»(٤١)، و«مدام نيكر»(٤٢)، وغيرهن. ومن المعروف أنه كان لتلك «الصالونات» الفكرية أثر كبير في اندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩، إذ أن كبار مفكريها كانوا من رواد تلك «الصالونات» والناشطين فيها. ومع تقلص فعاليات هذه الصالونات بعد الثورة الفرنسية، فإن بعضها ظلّت له فعاليته

---

(٣٧)انظر (مادة: Académie française)في: - Ibid.,T. 1. P. 34

(٣٨) كانت زوجة للشاعر «سكارون Scarron»، وعرفت بحبها للأدب، وكان لها صالونها الشهير. عاشت خلال (١٦٣٥- ١٧١٩م). أعجب بها الملك «لويس الرابع عشر» وتزوجها بعد وفاة الملكة سنة ١٦٨٤م.

- Ibid., T.6, PP, 987- 988.

(٣٩) عرفت بحيويتها الفكرية واطلاعها الواسع. كان «تورغو» من روّاد صالونها، وكذلك المفكر الفرنسي «دالامبير» عاشت (١٧٣٢- ١٧٧٦م)

- Ibid., T.6, P, 702.

(٤٠) كانت من طبقة النبلاء، واستقبلت في صالونها أدباء وفلاسفة، ومنهم «مونتسكيو» و«فولتير» و«كوندورسه» وغيرهم. عاشت (١٦٩٧- ١٧٨٠م)، وفقدت بصرها سنة ١٧٥٣.

- Ibid., T.3, PP. 860- 861

(٤١) كانت قوية الشخصية (١٦٩٩- ١٧٧٧). فمع عدم نيلها قسطاً كبيراً من التعليم، فإنها تمكنت من السيطرة الفكرية على صالون كثير الرواد من الفنانين والأدباء والطبقة الارستقراطية ولمدة خمس وعشرين سنة.

- Ibid., T.5, P. 438.

(٤٢) عاشت خلال (١٧٣٩- ١٧٩٤م) وهي زوجة المصرفي السويسري الشهير «نيكر» الذي عمل وزيراً للملك «لويس» السادس عشر. وكان لها صالونها الشهير الذي حفل بكبار أدباء «الثورة الفرنسية» ومفكريها. من أمثال «ديدرو» و«دالامبير» و«لاهارب» وغيرهم.

- Ibid., T.7, p. 701.

في محيط الأدب.والفكر، ومنها بالذات صالون «مدام دو ستايل» الشهيرة [٤٣].

ولكن إذا كان «المجمع العلمي العربي بدمشق» قد تغاضى عن إدخال المرأة في عضويته كما فعلت «الأكاديمية الفرنسية» مع المرأة الفرنسية، فإن هذه الأخيرة، الأديبة، والمثقفة، والعالمة، والمتفاعلة مع أحداث مجتمعها المتطور، كانت أكثر جرأة وشجاعة من المرأة السورية والعربية بصفة عامة؛ إذ إنها منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر شرعت ترشح نفسها، منافسةً للرجل، لكل مقعد يشغر في «الأكاديمية» بوفاة صاحبه. ومع أنها ما كانت لتفوز في تلك الانتخابات، وليسبقها الرجل إلى ذلك المقعد، فإنها بقيت مثابرة على هذا النهج، حتى كللت مساعيها بالنجاح سنة ١٩٨٠، وتم انتخاب الأديبة «مرغريت يورسينار Marguerite Yourcenar» (١٩٠٣- ١٩٨٧)، فكانت بذلك أول امرأة تُستقبل تحت قبة «كلية الأمم الأربع»، حيث كانت تجتمع «الأكاديمية الفرنسية». وسارت على خطوها «جاكلين ورمز دو روميي Jacqueline Worms de Romilly» (ولدت ١٩١٣)، التي تم انتخابها في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ومثلها «هيلين كارير دانقوس Hélène Carrère d'Encausse» (ولدت سنة ١٩٢٩) التي انتخبت في ١٣ كانون الأول ١٩٩٠، و«فلورنس ديله» «F. Delay» التي انتخبت في ١٤ كانون الأول ٢٠٠٠م. وبذلك غدت «الأكاديمية الفرنسية» تضم في الوقت الحاضر ثلاث نساء من أصل

(٤٣) هي «جرمين نيكر» (١٧٦٦- ١٨١٧م) ابنة «السيدة نيكر» والوزير الفرنسي «نيكر». وقد كانت المحرّك الأول في صالون والدها. وفيه تعرفت النخبة الفرنسية من الفلاسفة والأدباء والمفكرين، وكانت هي نفسها أديبة وشاعرة، وخلّفت عدة مؤلفات. وكان صالونها أحد المراكز السياسية والأدبية الفرنسية الهامة في مطلع القرن التاسع عشر.

- Ibid, T.g, P. 979.

أربعين عضواً هم أعضاء «الأكاديمية»(٤٤).

ومع أن المرأة في سورية لم تحظ بعضوية «المجمع» حتى شباط ٢٠٠١م، إلا أن «المجمع» لم يُهمل في الواقع شأنها الثقافي تماماً. فعندما قرر في جلسته الخامسة والثمانين بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٢١، افتتاح سلسلة من المحاضرات، متبنياً دوراً تثقيفياً للجمهور الدمشقي، فإنه وضع ضمن برنامجه، وإكمالاً لرسالته الثقافية العامة التي ارتآها، والتي وجد أنه يخدم عبرها اللغة العربية في المجال الشعبي، إلقاء محاضرات خاصة على السيدات، في موضوعات أدبية وعلمية وأخلاقية. وتقرر هذا المبدأ في الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٢٣(٤٥).

وفي الحقيقة حدث جدل طويل حول قيام «المجمع» بإلقاء محاضرات على الجمهور، أكان ذلك للرجال أم للنساء وانقسم الأعضاء إلى ثلاث فئات: فئة رأت أن «المجمع» قد أُسس لإحياء اللغة العربية وتطويرها، وإغنائها بالجديد من المصطلحات الحديثة، ولاسيما العلمية منها؛ فهو مركز للبحوث اللغوية والأدبية، يستقي أهل الاختصاص باللغة العربية من معينه حاجتهم، ويعمل على نشر ما توصل إليه في بحوثه في أوساط العلماء العرب ليكون له صفة الشمول، ومن ثمَّ فإلقاء المحاضرات على الجمهور ليس من أهدافه وأعماله. وفئة ثانية من الأعضاء رأت أن تُلقى المحاضرات، ولكن لتكن في ميدان اللغة العربية وآدابها فحسب، وبذلك يبقى «المجمع» محافظاً على هدفه الكبير في إحياء اللغة العربية وإخصابها بالمصطلحات العلمية. أما الفئة الثالثة من الأعضاء فرأت أن يقوم المجمع بإلقاء محاضرات على الجمهور، على أن تتناول أنواع العلوم والفنون والآداب دون تخصيص، وأن تكون أهدافها الثقافة العامة، ولجميع طبقات الشعب. وهذه المحاضرات تخدم في الحقيقة

(٤٤) الشبكة الدولية للمعلومات» (انترنت)، موقع الـ:Académie française»
www. Academie -française. fr/.

(٤٥) انظر أحمد الفتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق. مصدر سابق/ ٣٨.

اللغة العربية، لأنها ستلقى بلغة عربية فصيحة وسليمة، وسيتلقفها الجمهور المتعطش للثقافة واللغة الجميلة بشوق ولهفة، ويستفيد منها لغة وعلماً[٤٦].

ولكن على الرغم من هذا الاختلاف في الرأي حول تبني «المجمع» مبدأ إلقاء محاضرات تثقيفية على الجمهور، وعلى النساء بصفة خاصة، فإن «المجمع» كان قد حزم أمره على السير في هذا الطريق، ولاسيما أنه لا يتعارض مع مهمته الأساسية وإنما يستكملها. والظاهر أنه كان بحاجة ماسة لمثل هذا العمل لإثبات وجوده، وتعريف الجمهور به، ولاسيما أن الجمهور العربي الشامي آنذاك، وبصفة خاصة المرأة، كان يفتقر إلى نواد ومؤسسات ثقافية تفتح أمامه آفاق المعرفة الحديثة، وتزيده ارتباطاً بلغته العربية الفصيحة. وفي الواقع لما ضعفت هذه الدوافع مع الزمن، وأصبح للمجمع «مجلته» ومطبوعاته، وانتشرت في دمشق وبقية بلاد الشام، الجمعيات الثقافية، والمعاهد التي تلقى فيها المحاضرات للرجال والنساء، وتوسع التعليم بجميع مراحله، فإن «المجمع» عمل على الإقلال من تلك المحاضرات، وانصرف إلى أعماله اللغوية الخاصة التي هي هدفه الأول.

وهكذا، أخذ «المجمع العلمي العربي بدمشق»، ولأكثر من ربع قرن من نشأته، يقوم بالوظيفة التثقيفية للجمهور، التي رأى إضافتها إلى مهامه. وقد هيأ برنامجاً خاصاً لهذا الغرض: على أن تلقى في كل أسبوع محاضرة في موضوعات أدبية، واجتماعية، وعلمية، وأن يكون المحاضرون من أعضاء المجمع، والعاملين فيه، وممن يكلفهم «المجمع» هذا الأمر. وقد يقترح «المحاضر» الموضوع أو «المجمع». وكانت المحاضرة تخضع للمراقبة قبل إلقائها، وذلك من لجنتين: إحداهما للنظر في

---

(٤٦) المصدر نفسه/ ٧٤- ٧٥.

موضوعها، وتضم الأساتذة: «فارس الخوري»[٤٧]، و«مسعود الكواكبي»[٤٨]، و«مصطفى الشهابي»[٤٩]، و«عارف النكدي»[٥٠]، وثانيتهما للنظر في لغة الحاضرة، وتضم من الأساتذة «عبد القادر المبارك»[٥١]، و«سليم الجندي»[٥٢]،

---

(٤٧) من كبار رجال السياسة والأدب في سورية (١٢٩٠- ١٣٨١هـ/ ١٨٧٣- ١٩٧٢م). درس بالجامعة الأمريكية ببيروت. وعمل ترجماناً للقنصلية البريطانية احترف المحاماة، وعين أستاذاً في معهد الحقوق، واختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. نفاه الفرنسيون إلى «أرواد» لتبنيه الحركة الوطنية. انتخب رئيساً لمجلس النواب السوري، فرئيساً للوزارة. له عدة مؤلفات – الأعلام، ج٥/ ١٢٨.

(٤٨) أديب حلبي (١٢٨١- ١٣٤٨هـ/ ١٨٦٥- ١٩٢٩م). من مؤسسي حزب الحرية والائتلاف المعارض لـ «جمعية الاتحاد والترقي». له أبحاث وشعر. كان نقيباً للأشراف في حلب، توفي بدمشق. – الأعلام، ج٧/ ٢١٦.

(٤٩) أمير من آل شهاب، وأديب لغوي، وعالم بالمصطلحات الزراعية. حصل على شهادة مهندس زراعي من فرنسة. آمن بالقومية العربية وعمل لها. له مؤلفات في السياسة والزراعة. وترأس «المجمع العلمي العربي» بدمشق لتسع سنوات. عاش خلال المرحلة (١٣١١- ١٣٨٨هـ/ ١٨٩٣- ١٩٦٨م).- الأعلام، ج٧/ ٢٤٥.

(٥٠) لبناني المولد (١٣٠٦- ١٣٩٥هـ/ ١٨٨٨- ١٩٧٥م)، ولكنه عمل في سورية وحمل جنسيتها. شغل وظائف قضائية وإدارية هامة، كرئاسة مجلس الشورى، ومحافظ جبل العرب. درّس علم الاجتماع في معهد الحقوق بدمشق. وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. وله عدة مؤلفات.- المصدر نفسه، ج٣/ ٢٤٥.

(٥١) أديب، جزائري الأصل. مولده ووفاته بدمشق (١٣٠٤- ١٣٦٤هـ / ١٨٨٧- ١٩٤٥م). عالم باللغة العربية له مؤلفات وشعر.- المصدر نفسه/ ج٤/ ٤٥.

(٥٢) أديب ولد في معرة النعمان، وانتقل إلى دمشق حيث استقر فيها وقرأ على علمائها (١٢٨٨- ١٣٧٥هـ/ ١٨٨٠- ١٩٥٥م). عمل في التدريس في ثانويات دمشق وفي كلية الآداب، له مجموعة من المؤلفات.- معجم المؤلفين السوريين/ ١٠٨.

و«خليل مردم بك»[٥٣]، وخصص يوم الجمعة لإلقاء المحاضرات قبل الظهر للسيدات، وبعده للرجال طوال أيام السنة، ما عدا فصل الصيف. وتكون في رمضان بعد صلاة العشاء للرجال فقط. وكان يدعى الرجال لتلك المحاضرات عن طريق الصحف اليومية، أو عن طريق كتب ترسل إلى البارزين منهم. وجرت العادة أن يلقي أحد الشعراء بعد المحاضرة قصيدة في الحماسة، أو في موضوع يناسب المقام[٥٤]. وتلقف الجمهور الدمشقي هذه المبادرة الثقافية بترحاب ولهفة، فتوافد على تلك المحاضرات، حتى غصت بهم القاعة المخصصة، لها في المجمع، ووقف المستمعون على النوافذ والأبواب[٥٥].

وقد تبدو الإجراءات التي اتخذها «المجمع» في محاضرات السيدات غريبة للوهلة الأولى بالنسبة لزمننا الحاضر، وإن كانت آنذاك منسجمة مع الواقع الاجتماعي المحافظ، إذ كان اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، حتى للاستماع إلى محاضرة، أو لحديث طويل نسبياً، أمراً غير مستحسن وغير مستحب. ومن ثم فقد خصَّ «المجمع» النساء دون الرجال بمحاضرات لا يحضرها الرجل، سوى المحاضِر. ويكون بناء «المجمع» أثناءها خالياً تماماً من الرجال والـموظفين. ويقوم بتنظيم هذه «المحاضرات النسائية» إحدى المعلمات الفاضلات. وتدعى النساء لهذه المحاضرات بطريق أزواجهن أو أولياء أمورهن. إلا أنه مع تقدم الزمن، أخذت تُنشر دعوتهن في الصحف، على غرار ما كان عليه

(٥٣) أحد كبار الأدباء السوريين: مولده ووفاته بدمشق (١٣١٣- ١٣٧٩هـ/ ١٨٩٥ - ١٩٥٩م). درّس الأدب العربي في كلية الآداب بجامعة دمشق، شغل مناصب وزارية، وكان رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق. وله عدة مؤلفات، وديوان شعر.- الأعلام ج٢/ ٣١٥.

(٥٤) أحمد الفتيح. المصدر نفسه/ ٣٨- ٣٩.

(٥٥) المصدر نفسه/ ٣٨.

الأمر مع الرجال[٥٦].

وقد ألقيت في المجمع بين عامي ١٩٢١ و١٩٤٦، وهي نهاية مرحلة المحاضرات في «المجمع»، (٤٠٠) أربع مئة محاضرة، هذا مع انقطاع في بعض السنوات، وكان نصيب المرأة منها (٦١) واحداً وستين، أي ١٥% من المجموع. وقد كُلِّفت بعض الأديبات، والمثقفات، والمعلمات إلقاء قسم منها، وبلغ عددها (٣٥) خمساً وثلاثين. وقد تنوعت موضوعات مجموع المحاضرات، وخرجت في الحقيقة عن المقاصد اللغوية «للمجمع»، إلى مقاصد اجتماعية، وعلمية، وفنية، وأدبية، فكانت مزيجاً من المعارف، وتنطلق من ثقافات المحاضرين والمحاضرات، واتجاهاتهم الأدبية والعلمية، ومدى تجاوبهم مع التطور الفكري والحضاري في عالم الغرب. ويلاحظ في محاضرات السيدات بصفة خاصة، أنها كانت في معظمها اجتماعية وتوجيهية، وتدور حول المرأة بالذات، في آدابها، وأخلاقها، وحياتها الزوجية، وأمومتها، وتربية أولادها، وفي الموازنة بين التربية الشرقية والغربية، وفي حقوق المرأة في الإسلام، وفي واجباتها في الهيئة الاجتماعية، وفي أعلام نساء الإسلام. وهناك قلة من تلك المحاضرات النسائية عالجت موضوعات أدبية بحتة، أو لغوية[٥٧]، ولكن لم تلبث تلك الموضوعات النسائية التي كانت تلقيها المرأة نفسها، أن انعطفت مع الزمن، نحو الأدب ونقده، والمستجد في ميدان العلم، كالحديث مثلاً عن الشاعر «البحتري»، وعن «فن القصة»، و« شعر الفكاهة»[٥٨]، بل أخذت المرأة نفسها مع مرور السنين، وتطور الحياة

---

(٥٦) المصدر نفسه/ ٣٨- ٣٩.

(٥٧) انظر موضوعات المحاضرات على الجمهور والسيدات، وأسماء المحاضرين والمحاضرات، وتواريخها، وعددها، المصدر نفسه/ ٤٠- ٧٣.

(٥٨) المصدر نفسه/ ٦٩، ٧٠.

الاجتماعية نحو الانفتاح، تلقي المحاضرة على الجمهور برجاله ونسائه، كما فعلت الأستاذة «جهان الموصلي»[٥٩] في موضوعها «مدام كوري: عبقرية المرأة تكشف عن أعظم سر من أسرار الكيمياء»، ومثلها الأديبة «عفيفة حصني»[٦٠] في موضوعها «التربية السورية ومبادئ التربية الحديثة».

وكان الرجال المحاضرون في جلسات السيدات هم إما من أعضاء «المجمع»، من أمثال الأساتذة: «محمد كرد علي»، و«عبد القادر المغربي»، و«عيسى إسكندر المعلوف»، و«أنيس سلوم»، و«محمد بهجت البيطار»[٦١]، أو من خارج

---

(٥٩) جهان صالح الموصلي (١٣٣١- ١٤١٧هـ/ ١٩٠٢- ١٩٩٦م): حقوقية وإحدى رائدات الخدمة الاجتماعية والتربية في سورية. عملت مدرّسة ومديرة في المرحلة الثانوية من التعليم. مارست المحاماة، وانتخبت أثناء الوحدة السورية — المصرية عضواً في «الاتحاد القومي» و«مجلس الأمة». تولت أمانة سر «الاتحاد النسائي العربي العام». لها مساهمات في الأعمال الوطنية والاجتماعية، ولها مؤلفات في القانون. دمشقية المولد والوفاة- نزار أباظة ومحمد رياض المالح: إتمام الأعلام/ ٦٧ - ٦٨.

(٦٠) من مواليد دمشق ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م. من أسرة الحصني التي عرفت بالعلم والأدب بدمشق. درست أولاً في دمشق، ثم التحقت بمعهد التربية — قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس بالقاهرة. عملت مدرّسة للغة العربية في ثانويات البنات بدمشق ومديرة؛ كما عملت أيضاً في وزارة التربية المركزية بالقاهرة أثناء الوحدة السورية — المصرية. شاعرة متميزة، لها مؤلفات وعدة دووابن.— معجم المؤلفين السوريين/ ١٣٢.

(٦١) ابن الشيخ محمد بهاء الدين البيطار. أصل الأسرة من الجزائر. درس العلوم الدينية. ودرّس في المدارس الثانوية في دمشق، وفي المملكة العربية السعودية. وحاضر في كلية الآداب السورية. وكان عضواً في «المجمع العلمي العربي بدمشق». له عدة مقالات. ميلاده ووفاته بدمشق (١٣١١- ١٣٩٦هـ/ ١٨٩٤ - ١٩٧٦)- معجم المؤلفين السوريين/ ٧٥- إتمام الأعلام/ ٢٢٤.

«المجمع» ممن عُرف بعلمه وثقافته، ومعظمهم من الشيوخ، من أمثال الأساتذة: «أحمد النويلاتي»(٦٢)، و«عبد الله العلمي»(٦٣)، و«محمد علي ظبيان»(٦٤)، و«محيي الدين الخاني»(٦٥)، و«خالد نقشبندي»(٦٦)، و«سعيد مراد الغزي»(٦٧).

أما السيدات اللائي كلِّفن إلقاء المحاضرات على النساء فكنَّ كما أشير سابقاً، إما أديبات، أو معلمات، أو ممن جمعن بين التعليم، والأدب، والنشاط الاجتماعي. ومنهن السيدات: «مسرة الأدلبي»(٦٨)، والأديبة «ماري

---

(٦٢) من رجال العلم الديني، واعظ شهير، وأحد مدرسي الجامع الأموي، ومن حفظة القرآن على العشرة. الحصني: منتخبات لتواريخ دمشق، ٣أجزاء في مجلد واحد. بيروت ١٩٧٩/ ٩١٣- ٩١٤. (لم يُذكر تاريخ الوفاة والميلاد).

(٦٣) عبد الله بن محمد (١٢٧٨- ١٣٥٥هـ/ ١٨٦١- ١٩٣٦م)، عالم فاضل، كان مفتشاً للمعارف في القدس، وانتخب رئيساً لبلدية غزة، ثم استقر في دمشق وتوفي فيها. وكان يلقي دروساً في التفسير في الجامع الأموي- الأعلام، ج٤/ ١٣٣- ١٣٤.

(٦٤) أحد قضاة الشرع في أقضية دمشق. ومن الشعراء الذين اشتهروا بالأدب والفضيلة. منتخبات التواريخ لدمشق/ ٨٩٤. لا ذكر لتاريخ ميلاد أو وفاة.

(٦٥) هو ابن أحمد بن محمد الخاني. نسبة أسرته إلى خان شيخون «قرب معرة النعمان. مولده ووفاته بدمشق. توفي ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م كان معلماً، وألف كتباً. وقرظه «الحصني» في كتابه/ ٨٨٦- ٨٨٧- الأعلام، ج٧/ ١٨٩.

(٦٦) ابن أخ «خالد النقشبندي» الكبير. كان أحد علماء دمشق ومن مشاهير وعاظها. منتخبات التواريخ/ ٨٤٤.

(٦٧) عالم حقوقي. عُيِّن أستاذاً للحقوق المدنية ببيروت، وبمعهد الحقوق بدمشق. له خطب ومؤلفات. توفي بدمشق سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م- الأعلام ج٧/ ١٤٢.

(٦٨) من المعلمات النشيطات آنذاك كما ذكر بعض معارفها. لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

عجمي»[٦٩]، و«سارة الخطيب»[٧٠]، و«روز شحفة»[٧١]، و«فلك دياب»[٧٢]، و«فلك الطرزي»[٧٣]، و«ثريا الحافظ»[٧٤]، و«عزيزة حشيمي»[٧٥]، و«مقبولة

(٦٩) أديبة كبيرة وشاعرة (١٣٠٥- ١٣٨٥هـ/ ١٨٨٨- ١٩٦٦م). أصلها من حماة، تمكنت من العربية والإنكليزية. أسست «النادي الأدبي النسائي» بدمشق، وأنشأت «مجلة العروس»، وكتبت في الصحافة والإذاعة في الأقطار العربية والمهجر- الأعلام ج٥/ ٢٥٤- عيسى فتوح: أديبات عربيات شهيرات جزءان. دمشق ١٩٩٤، ج١ / ١٢٥- ١٣٨.

(٧٠) من المعلمات اللائي عرفن بنشاطهن التعليمي والثقافي. لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

(٧١) أديبة ولدت في بيروت سنة ١٨٩٠ من أبوين لبنانين، وتعلمت في المدارس الأمريكية والإنكليزية في لبنان. انتقلت إلى سورية مع زوجها السوري «سرحان شحفة» سنة ١٩٠٩، ثم عادت إلى لبنان، وتولت رئاسة الاتحاد النسائي فيه. كتبت مقالات كثيرة وخطباً، جمعها لها «جرجي نقولا» في كتاب أسماه «وحي الأمومة» صدر سنة ١٩٥٠. ودعت إلى الإصلاح الاجتماعي، وعملت في «النادي الأدبي النسائي» بدمشق. عيسى فتوح: مصدر سابق، ج١/ ٦٣- ٦٥.

(٧٢) مدرسة نبيهة ومثقفة. أسهمت مع زميلات لها في تأسيس «جمعية الندوة الثقافية النسائية بدمشق». كان لها بعض محاضرات. تزوجت من الاقتصادي السوري «السيد أنور الدسوقي». مولدها ووفاتها بدمشق (١٩١٣- ١٩٨٠م) لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

(٧٣) أديبة دمشقية. مولدها ووفاتها بدمشق (١٩١١- ١٩٧٤م). درست في المعهد الفرنسي العربي (اللاييك). نشرت مقالات في الصحف السورية واللبنانية. لها كتاب «آرائي ومشاعري» — معجم المؤلفين السوريين/ ٣١٧.

(٧٤) ابنة الشهيد أمين لطفي الحافظ. مولدها ووفاتها بدمشق (١٩١٢- ٢٠٠٠م). نالت شهادة «دار المعلمات» بدمشق. وعملت معلمة فمدرسة في الثانوي، ومديرة لعدة مدارس. لها نحو مئتي مقالة ومحاضرة، وحديث إذاعي. أسست «منتدى سكينة» الأدبي، وكان يعقد في بيتها كل أسبوعين مرة، ويضم ثلة من الأدباء والأديبات والمفكرين. اقترنت بالأستاذ «منير الريس» صاحب جريدة «بردى». لها مواقف قومية عربية ووطنية=

شلق» [٧٦]، و«وداد سكاكيني»، و«عدوية الطباخ» [٧٧]، و«ليس الشهابي» [٧٨]، و«مديحة حمودة» [٧٩]، و«ريمة كرد علي» [٨٠]، و«قمر قزعون» [٨١]، و«مديحة برازي» [٨٢]، و«نديمة منقاري» [٨٣]، و«خيرية الريّس» [٨٤]، و«منيرة

=تشهد لها بالإخلاص والصدق في النضال. كما كان لها نشاط اجتماعي محمود. ألفت بعض المقالات والقصص. – معجم المؤلفين السوريين/ ١١٥- ١١٦.

(٧٥) مدرسة للغة الإنكليزية في ثانويات دمشق. لها نشاطها الاجتماعي والثقافي. لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

(٧٦) أديبة دمشقية (١٣٤٠- ١٤٠٧هـ/ ١٩٢١- ١٩٨٦م) تميزت في ميدان القصة تخرجت من كلية الحقوق بدمشق، وعملت بالتدريس. وتخصصت من باريس بـ «دور الحضانة ورعاية الطفولة». أسست «جمعية حماية الطفولة» في قرى الغوطة. من مؤلفاتها: «قصص من بلدي»، و«أغنيات قلب»، ولها ديوان شعر. عيسى فتوح: المصدر نفسه ج١/ ١٥٥- ١٦٢ وإتمام الأعلام/ ٢٨٩.

(٧٧) من المثقفات الدمشقيات، لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

(٧٨) من المعلمات النشيطات في الميدان الثقافي والتعليمي. لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

(٧٩) من المعلمات النشيطات في الميدان الثقافي والتعليمي. لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

(٨٠) ولدت في دمشق سنة ١٩١٦، وجذبتها الثقافة إليها مبكراً. فعملت وزميلات لها على تأسيس «جمعية الندوة الثقافية النسائية»، وهي لاتزال تعمل إلى اليوم رئيسة لتلك الجمعية. لها نشاطها الثقافي والاجتماعي. اقترنت بالدكتور الطبيب «بشير العظمة». وليس لها ترجمة مدوّنة.

(٨١) من مواليد دمشق ١٩١٧، واستهواها العلم والثقافة. فكانت عضواً مؤسساً ونشيطاً في «جمعية الندوة الثقافية النسائية» ولاتزال. وجذبتها الخدمة الاجتماعية، فكانت رئيسة لجمعية «الهلال الأحمر» في سورية. اقترنت بالطبيب «منير شورى». ولها كلمات أدبية في عدة مناسبات.

(٨٢) معلمة نشيطة في ميداني التربية والثقافة. لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

المحايري»[٨٥]. وأحياناً لم تكن تذكر أسماء المحاضرات، وإنما كان يشار إليهن بنسبتهن فقط إلى أولياء أمورهن المعروفين، كأن يقال مثلاً في محاضرة للسيدات سنة ١٩٢٤، بأنها لـ «كريمة السيد شاكر الحنبلي»[٨٦]، وفي محاضرة أخرى

(٨٣) أديبة وصحفية نشيطة وفعالة (١٣٣٢- ١٤١٣هـ/ ١٩٠٤- ١٩٩٢). ولدت بحلب، ودرست الفرنسية بمدرسة الأرمن الكاثوليك، وتخرجت من دار المعلمات، وعملت في التعليم. أصدرت بحماة مجلة «المرأة» وانتقلت بها إلى حلب. ولما توقفت أصدرتها ثانية بالاشتراك مع الأستاذ «حمدي طربين». وكان يشد أزرها زوجها «محمد عطا الله الصابوني». أقامت في منزلها ندوات أدبية وفكرية، كما كانت لها نشاطات ثقافية أخرى. — معجم المؤلفين السوريين/ ٥٠٢- إتمام الأعلام/ ٣٠١- عيسى فتوح: المصدر نفسه ج١/ ٢١٥- ٢١٨.

(٨٤) من المعلّمات النشيطات. لم يعثَر لها على ترجمة مدوّنة.

(٨٥) منيرة المحايري المرعشلي: ولدت في القاهرة، وتخرجت من دار معلمات دمشق. عـملت معلمة، ومدرسة ومديرة في ثانويات دمشق، ومفتشة للغة العربية (١٩٦٤- ١٩٦٦). نالت إجازة في الأدب العربي من مدرسة الأدب العليا في الجامعة السورية سنة ١٩٣٢. عملت مع زوجها الأديب والصحفي «فهمي المحايري» وهي أديبة وشاعرة. وكان لها زاوية في صحيفة زوجها «الحضارة». أسست وزميلات لها «جمعية خريجات دار المعلمات» سنة ١٩٢٨، التي أنشأت بدورها «ميتم دار كفالة الفتاة». أسهمت في عدة ندوات ومؤتمرات نسائية وثقافية. معجم المؤلفين السوريين/ ٤٧٨- ٤٧٩.

(٨٦) أحمد الفتيح: المصدر نفسه/ ٤٩. - وشاكر الحنبلي، ميلاده ووفاته بدمشق (١٢٩٣- ١٣٧٨هـ/ ١٨٧٨- ١٩٥٨م) تخرج من «المكتب الملكي في الآستانة»، وأصدر فيها جريدة «الحضارة»، مع الزهراوي. كما أصدر جريدة «القلم» وحرر جريدة العاصمة في دمشق. كان أستاذاً في معهد الحقوق بدمشق، ووزيراً للمعارف، فوزيراً للعدل. له عدة مؤلفات.- المصدر نفسه/ ١٥٤- ١٥٥.

بأنها لـ «كريمة السيد مصباح محرم»(٨٧). ولا يعرف بالضبط إذا كان عدم ذكر الاسم الصريح كانَ لمجرد إخفاء الاسم حتى لا تعرف تماماً صاحبته تمشياً مع بعض التقاليد الاجتماعية الشديدة، أو كنوع من التشويق لحضور المحاضرة، إذا نسبت المحاضرة لأبيها العالم أو الأديب.

ومع أن موسم المحاضرات قد دام حتى نهاية سنة ١٩٤٦، إلا أن «المجمع» رأى أن يقيم حفل تكريم للمحاضرين والمحاضرات، سنة ١٩٤٢، لأنه وجد أنه كان من أخصب السنين عطاءً: إذ استمرّ ثمانية أشهر دون انقطاع، وحظي بثمان وثلاثين محاضرة في فروع العلم والأدب، قدمها نخبة من المحاضرين والمحاضرات، ونالَت إعجاب الحاضرين. وقد أقيم الحفل في دار «المجمع»، وألقى رئيسه، وكان آنذاك الأستاذ الكبير «محمد كرد علي» كلمة أسدى فيها شكره للمحاضرين والمحاضرات، وأظهر فيها بصفة خاصة تقديره لنشاط المرأة، ورأى في إسهامها «ظاهرة في الحياة الثقافية الحاضرة تقرّ بها عين العلم والفضيلة، وتذكّر بفضليات السلف من عالمات، ومحدثات، وأديبات، أخذ الرجال عنهن فضلاً عن النساء». وألقى على أثره الدكتور الأستاذ «موفق الشطي»(٨٨)، بالنيابة عن رفاقه المحاضرين، خطاباً أثنى فيه على «المجمع» وأعضائه، ورفاقه المحاضرين، وخصَّ

---

(٨٧) أحمد الفتيح: المصدر نفسه/ ٤٧- مصباح محرم ولد في بيروت وتوفي بدمشق (١٢٧٠- ١٣٥٠هـ/ ١٨٥٤- ١٩٣١م). عالم بالحقوق وأديب. حمصي الأصل. تعلم في بيروت وتولى رئاسة محكمة الاستئناف فيها، وقام بالعمل نفسه في دمشق، وكان وزيراً للعدل مرتين. وصنف كتباً في الحقوق والقضاء- الأعلام ج٧/ ٩٨- ٩٩- الحصني/ ٩٠٣.

(٨٨) هو أحمد شوكت بن عمر الشطي (١٣١٧- ١٣٩٩هـ/ ١٩٠٠- ١٩٧٨م). من كبار أعلام الطب في دمشق، ومن المؤلفين في بابه، وفي الحضارة العربية. معجم المؤلفين السوريين/ ٢٧٧- ٢٧٨- إتمام الأعلام/ ٢٧- ٢٨.

السيدات بالثناء لأبحاثهن القيّمة. وشبه موسم المحاضرات «بسوق عكاظ»، أو بمدرسة لتخريج المحاضرين والمحاضرات في «فن المحاضرة». وانبرت بعده الأديبة السيدة «منيرة المحايري»، فتحدثت بدورها نيابة عن رفيقاتها المحاضرات، ونوّهت بـ«المجمع» الذي أقام «المحاضرات النسائية»، وأكدت أنه كان لها أثرها في رفع مستوى الثقافة النسائية بدمشق، كما بينت أن «المجمع» لم يكتف بذلك، بل ألف من النساء لجنة دعاها «لجنة المحاضرات النسائية»، ففسح بذلك المجال أمام المرأة الدمشقية كي تتلافى أسباب تأخرها، وتذلل الصعوبات التي تعترضها[٨٩].

ولا يعرف بالضبط إذا كان «المجمع» قد فسح للمرأة في مرحلة نشأته الأولى سبل الإسهام في نشاطاته العامة، من حفلات تكريم أو تأبين لأدباء وعلماء وشعراء عرب ففي تأبين الأستاذ المرحوم «طاهر الجزائري» سنة ١٩٢٠، لم يعثر على ما يشير إلى اشتراك المرأة به، حضوراً على الأقل، مع أنه أسهم في ذلك الحفل، نحو ستة آلاف طالب، وعالم، وأديب[٩٠].

والشيء ذاته يقال في حفلات تكريم وتأبين أخرى لعلماء وأدباء وشعراء[٩١]، ماعدا حفل تكريم الشاعر الكبير «حافظ إبراهيم»، في السابع عشر من حزيران ١٩٢٩، إذ ذُكر حضور «عشرات من فضليات السيدات بدمشق في مكان خاص بهن»[٩٢]. والأمر نفسه كان في حفل تأبين أمير الشعراء «أحمد شوقي» في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٢، إذ «حضر نحو مئة من عقائل دمشق

---

(٨٩) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد (١٧)/ ٥٥٨- ٥٦٢.

(٩٠) أحمد الفتيح: المصدر نفسه/ ٨٣.

(٩١) أحمد الفتيح: المصدر نفسه / ٨٣- ٨٩، ٩٣، ٩٤.

(٩٢) المصدر نفسه / ٨٩.

وأوانسها»[٩٣]. ولما نظم المهرجان «الألفي للمتنبي»، واستمر لستة أيام خلال المعرض الصناعي الكبير في دمشق سنة ١٩٣٦، يبدو أن «المجمع» لم يحسب حساب المرأة، إذ لم تشر المصادر المتوافرة بأن المرأة قد شاركت فيه حضوراً أو إسهاماً، مع أنه اشترك به نخبة من أدباء الوطن العربي[٩٤]. إلا أنه في «المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري»، الذي دام ستة أيام، وافتتح في الثاني من شهر شوال ١٣٦٣هـ/ ٢٥ أيلول ١٩٤٤م، ودعي له كثير من أقطاب الفكر في الوطن العربي كله وخارجه، وشملت حفلاته مدن القطر العربي السوري الرئيسة، فتح الباب أمام المرأة لتتبوأ مكاناً مساهماً فيه مساهمة فعلية ومثّلت المرأة فيه الأستاذة «جهان الموصلي» من دمشق بموضوع عنوانه «المعري والمرأة»[٩٥]

ومع أن المرأة كما اتضح، لم تنجح في شق طريقها إلى «عضوية المجمع»، فإنها على ما يبدو اكتسبت تدريجياً ثقته. فقد آتى التعليم الجامعي للفتاة في سورية أكله، وازداد عدد الخريجات في مختلف فروع المعرفة، وشرع «المجمع» يستعين بعدد من الآنسات والسيدات في تسيير بعض شؤونه الإدارية، وتحقيق بعض أهدافه العلمية، ولا سيما في مجال «نشر التراث العربي». وقد يكون من أول من أقدم على العمل في هذا الميدان، «الآنسة ملك هنانو»، التي قدمت خدماتها «للمجمع» عن طريق الإسهام في متابعة تحقيق مخطوط «تاريخ دمشق» الضخم «لابن عساكر» (المتوفى ٥٧١هـ/ ١١٧١م).

ومما يؤسف له أنه لم يعثر في «محفوظات المجمع» على شيء كثير عنها، ولكن يتبين ممن عرفها، ومما يتداوله زميلات لها وزملاء في «المجمع»، بأنها كانت

---

(٩٣) المصدر نفسه / ٩٢.

(٩٤) المصدر نفسه / ٩٥– ٩٩.

(٩٥) المصدر نفسه / ١٠٠– ١٠٨.

خريجة «الجامعة الأمريكية» ببيروت. وهي من مواليد مدينة حلب سنة ١٩٢٨، وتتقن إلى جانب اللغة العربية اللغة الإنكليزية، وقد تكون على معرفة بالعبرية، بدليل ما أتى في بحثها القيّم «من التوراة»، المنشور في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» سنة ١٩٦٤[٩٦]. وقد عملت بجد وعلم في وضع فهارس لأسانيد «ابن عساكر»، في المجلدة العاشرة من تاريخه الكبير. وقد طُبع ما أنجزته من هذه الفهارس، و«المجمع» يحتفظ بها، إلا أن العمل لم يُستكمل، إذ انفصلت عن «المجمع» دون سبب معروف، وانقطع اتصالها به، وإن كان بعض من يعرفها في «المجمع»، وبقي على بعض صلة معها، ولوقت ليس بعيداً جداً عن حاضرنا، يذكر بأنها أعلمته بأنها لا تزال تعمل في تلك الفهارس[٩٧].

وهناك أيضاً «السيدة روحية نحاس»[٩٨]، التي عملت هي الأخرى في تحقيق قسم من مخطوطة «تاريخ دمشق» «لابن عساكر»، مع الأستاذ المرحوم الدكتور «شكري فيصل»[٩٩]، ضمن ورشة العمل التي كوّنها عندما كان أميناً

(٩٦) إن البحث هو تحقيق لرقٍّ عن «التوراة» عُثر عليه في «قبة الخزنة» بالجامع الأموي بدمشق، وقد دلّها عليه الأستاذ «الأمير جعفر الحسني»، وكان أمين سر «المجمع» آنذاك. وقد رفدته بنسخة من «التوراة» مترجمة إلى العربية من قبل «سعديا الفيومي»، وهي أقدم ترجمة وصلتنا، وكانت لدى الأستاذ الدكتور «عبد الهادي هاشم» الأمين العام المساعد آنذاك في وزارة الثقافة السورية. انظر المجلد (٣٩)، ج ٢/ ٣١٣- ٣٣٣، وج٣/ ٤٤٧- ٤٦٨، وج٤/ ٦٤٦- ٦٥١.

(٩٧) إن ما ذكر هو بعض معلومات شفوية استقيت بصفة خاصة من الأستاذ «علي صندوق»، وكان من العاملين في «المجمع» المعاصرين لها.

(٩٨) لم يعثر مع الأسف على ترجمة لها. وقد استقيت بعض أخبارها من زميلاتها في «المجمع».

(٩٩) أديب عربي سوري، دمشقي المولد ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م. تابع دراسته في القاهرة وحصل منها على إجازة الدكتوراه في الآداب. عمل أستاذاً بكلية الآداب بجامعة =

«للمجمع». فأسهمت في إخراج المجلدة(٣١) (من عاصم إلى عائذ)، والمجلدة (٣٢) (من عُبادة إلى عبد الله بن ثُوَب). وتابعت العمل في هذا المجال بعد أن انفكت عن «المجمع»، واشتركت مع الأستاذ «مطيع الحافظ»(١٠٠)، في تحقيق «مختصر تاريخ ابن عساكر» لابن منظور(١٠١).

ومن السيدات اللائي فُتح باب «المجمع» أمامهن للعمل فيه أيضاً، الأستاذة المرحومة «أسماء الحمصي»(١٠٢)، وقد عُيِّنت مديرة «للمكتبة الظاهرية» التي هي جزء من « المجمع». وقد صدر عنها أثناء عملها مؤلَّفها «المدرسة الظاهرية»، وأبدت اهتماماً خاصاً هي الأخرى بالتراث، فراجعت سنة ١٩٦٨ كتاب «التنبيه

دمشق. كان له نشاط ثقافي واسع، وعني بدراسة المخطوطات. كان عضواً في «المجمع العلمي العربي بدمشق» وأميناً له، وخلَّف مؤلفات كثيرة. عمل في المملكة العربية السعودية وتوفي في جنيف إثر عملية جراحية، ودفن بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥. إتمام الأعلام/ ١٢٢- ١٢٣.

(١٠٠) باحث سوري نشيط من دمشق ومن مواليد ١٩٤٠. كان قيّماً لمكتبة «المجمع العلمي العربي بدمشق»، اهتم بنشر المخطوطات وإنتاجه في هذا المجال وفير. عمل أيضاً في «مركز جمعة الماجد» في الإمارات العربية المتحدة، وحصل على درجة الدكتوراة في الآداب.

(١٠١) هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (٦٣٠ – ٧١١هـ / ١٢٣٢- ١٣١١م) الإمام اللغوي الحجة. ولد بمصر وتوفي فيها. وترك بخطه خمسمئة مجلد. وقام باختصار كتب الأدب. أشهر كتبه «معجم لسان العرب» في عشرين مجلداً. الأعلام ج ٣٢٩/٧.

(١٠٢) مدرّسة متميزة للغة العربية وآدابها في ثانويات دمشق للبنات، وفي المملكة العربية السعودية. ذات ثقافة واسعة، ونشاط تعليمي وعلمي. ميلادها ووفاتها بدمشق (١٩٢٥- ١٩٩٧م)- معرفة شخصية، وانظر أيضاً «معجم المؤلفين السوريين»/ ١٤٩.

على حدوث التصحيف» لـ «حمزة الأصفهاني»[١٠٣]، الذي حققه الأستاذ المرحوم الدكتور «محمد أسعد طلس»[١٠٤]. كما أنها حققت مع الأستاذ الأديب «عبد المعين الملوحي»[١٠٥] كتاب «الحماسة الشجرية» لابن الشجري[١٠٦]. وراجعت أيضاً «فهرس مخطوطات الطب والصيدلة» في «دار الكتب الظاهرية» بدمشق سنة ١٩٦٩، الذي وضعه الأستاذ الدكتور «سامي حمارنة»[١٠٧]. وفَهْرست «مخطوطات النحو واللغة من علوم اللغة العربية» المحفوظة في

---

(١٠٣) مؤرخ وأديب من أهل أصفهان (٢٨٠- ٣٦٠هـ/ ٨٩٣- ٩٧٠م). من مؤلفاته: «تاريخ أصفهان». و «الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية»، و«تاريخ سني ملوك الأرض».- الأعلام، ج٣/ ٢٧٧.

(١٠٤) أستاذ في الآداب، في الجامعة السورية بدمشق، عمل مدة من الزمن قائماً بأعمال المفوضية السورية بطهران وأثينا. شغل وظيفة أمين عام وزارة الخارجية السورية. غادر سورية إلى العراق وتوفي سنة ١٩٥٩. له عدد وفير من المؤلفات التاريخية والأدبية، وتحقيقات في كتب التراث.- معجم المؤلفين السوريين/ ٣١٩- ٣٢٠.

(١٠٥) أديب عربي سوري. ولد في حمص سنة ١٩١٧، عمل مدرساً للعربية في التعليم الثانوي، ومديراً للمراكز الثقافية زار عدداً من البلاد العربية والإسلامية. له كثير من المؤلفات، والمقالات، والقصص- المصدر نفسه/ ٤٩٣- ٤٩٤.

(١٠٦) هو هبة الله بن علي (٤٥٠- ٥٤٢هـ/ ١٠٥٨- ١١٤٨م)، من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب. ميلاده ووفاته ببغداد. كان نقيب الطالبيين، وله عدد من المصنفات وديوان شعر.- الأعلام، ج٨/ ٧٤.

(١٠٧) أردني المنشأ، أمريكي المهجر. عمل في معهد «السميشونيان» في الولايات المتحدة ثمانية عشر عاماً. اهتم بتاريخ النباتات والعقاقير. وله خبرة بمتاحف الطب والعلوم، وتاريخ الكتب المقدسة العلمي والحضاري، وهو من مواليد ١٩٢٥. (الترجمة مقتبسة من بحث «تاريخ العلوم» للدكتور المرحوم «عبد الكريم زهور»، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٥٦/ ٦١٥).

المجمع سنة ١٩٧٣. وقامت فعلاً بتحقيق مخطوطة لمؤلف مجهول، كانت ضمن مخطوطات «المجمع»، وهي بعنوان «الجراثيم»، وكان يشك بنسبتها إلى «ابن قتيبة» (المتوفى ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، وذلك بالاشتراك مع الأستاذة الدكتورة «عزيزة مريدن»(١٠٨)، الأستاذة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمشق. وقطعت الأستاذتان شوطاً كبيراً في ذلك التحقيق، وكادتا تصلان إلى نهايته، إلا أن يد المنون داهمت «الأستاذة مريدن» في ٢٥ تموز ١٩٩٢، فتوقف العمل، وتبعتها الأستاذة «أسماء حمصي» في ٢ شباط ١٩٩٧م، فلم يتسنَّ للاثنتين نشره، بينما تمكن الأستاذ «محمد جاسم الحميدي» من تحقيقه ونشره عبر وزارة الثقافة السورية في جزأين سنة ١٩٩٧م.

وقام «المجمع» أيضاً بتشجيع بعض السيدات العاملات في تـــحقيق التراث من خـــارج «المجمع»، على نشر إنتاجهن بعد مراجعته، كـــنشره مخطوطة: «نضرة الإغـــريض في نصرة القريض»، «للمظفر بن الفضل العلوي» العراقي (المتوفى ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، الذي قامت بتحقيقه الدكتورة «نهى عارف الحسني» من الجامعة اللبنانية، وذلك سنة ١٩٧٦. والشيء ذاته يقال عن نشر «المجمع» في العام نفسه، مخطوطة «الملمَّع»، «لأبي عبد الله الحسين بن علي النَمَري» (المتوفى ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، بعد أن قامت بتحقيقها الدكتورة «وجيهة السطل»(١٠٩)

---

(١٠٨) أديبة دمشقية المولد والوفاة (١٩٢٨– ١٩٩٢م). نالت إجازة الدكتوراة في الآداب من جامعة القاهرة. عملت مدرّسة للغة العربية وآدابها في ثانويات دمشق، وفي المغرب. لها عدة مؤلفات وبحوث في الأدب العربي الحديث، والشعر، والقصة، وبصفة خاصة في أدب المهجر.– إتمام الأعلام/ ١٨٥، و–معجم المؤلفين السوريين/ ٤٨٢.

(١٠٩) دمشقية المولد والنشأة، نالت إجازتي الماجستير والدكتوراه من جامعة دمشق. عملت مدرّسة للغة العربية وآدابها في دمشق وفي المملكة العربية السعودية.

وكذلك عندما أصدر «المجمع» «ديوان طرَفة بن العبد»[١١٠]، شرح الأعلم الشَنْتَمري»[١١١]، سنة ١٩٧٦، بتحقيق الأستاذة «درية الخطيب»[١١٢]، وزوجها الأستاذ «لطفي الصقال»، و«ديوان أبو الفتح البُستي»[١١٣]، سنة ١٩٨٩ للمحققين نفسيهما. كما قام «المجمع» سنة ١٩٧٦ بنشر «تصنيف العلوم والمعارف» الذي وضعه الأستاذ المرحوم الدكتور «يوسف العش»[١١٤]، وراجعته السيدة «سماء المحاسني»، المشرفة على القسم الأجنبي في مكتبة المجمع سابقاً.

---

(١١٠) شاعر جاهلي معروف (٨٦- ٦٠ ق.هـ/ ٥٢٨- ٥٦٤م) ولد في بادية البحرين وتنقل في نجد، كان من ندماء الملك «عمرو بن هند». إلا أن هذا الأخير أمر عامله بقتله وهو شاب في العشرين من عمره، لأبيات ذُكر له أنه هجاه بها. اشتهر بمعلقته. الأعلام ج٣/ ٢٢٥.

(١١١) هـو يوسف بن سليمان الشَنْتَمَري الأندلسي (٤١٠- ٤٧٦هـ/ ١٠١٩- ١٠٨٤م). عالم بالأدب واللغة عاش في قرطبة وتوفي بإشبيلية. له شروح لعدد من الدواوين الشعرية. الأعلام ج٨/ ٢٣٣.

(١١٢) من مواليد مدينة حلب، مجازة في الآداب من جامعة دمشق. مدرسة للغة العربية وآدابها في ثانويات حلب. تزوجت من الأستاذ «لطفي الصقال». وعمل الاثنان في تحقيق المخطوطات. ومنها غير ما ذكر «ديوان علقمة الفحل بشرح الشنتمري»، وتتمة «ديوان الصنوبري»- معجم المؤلفين السوريين/ ١٦٧.

(١١٣) هو علي بن محمد أبو الفتح البُستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م. شاعر عصره وكاتبه. كان من كتاب «الدولة السامانية» في خراسان. خدم الأمير سبكتكين وابنه يمين الدولة محمود. له ديوان شعر.- الأعلام، ج٤/ ٣٢٦.

(١١٤) من مواليد طرابلس الشام سنة ١٩١٩، ومن أبوينْ سوريين- نال إجازة الدكتوراة في الآداب من السوربون بباريس. تنقل بين عدد من الوظائف العلمية والثقافية الهامة. كان مديراً لمعهد المخطوطات العربية في القاهرة. توفي سنة ١٩٨٧ - معجم المؤلفين السوريين/ ٢٥٣.

ولم يقتصر عمل «المجمع» على نشر ما حققته، أو راجعت تحقيقه، أو صنفته، بعض السيدات من التراث، وإنما استقطب أيضاً من يمكنه منهن العمل في هذا المجال. فقد انتُدبت السيدة «نشاط غزاوي» (المولودة ١٩٣٢)، مدرّسة التاريخ في ثانويات دمشق للمجمع، وكلفت بتحقيق جزء من «تاريخ دمشق» «لابن عساكر»، فأنجزت منه «السيرة النبوية» التي نشرت بجزأين في سنتي ١٩٨٤ و١٩٩١م.

وقد تكون من أولى الأستاذات اللائي انكببن في «المجمع» على تحقيق التراث بهمة عالية، ودأب ومثابرة، الأستاذة «سكينة الشهابي». إذ جنّدت نفسها من سنة ١٩٧٣ وإلى الآن لمتابعة تحقيق «تاريخ دمشق» «لابن عساكر»، وتمكنت خلال هذه الحقبة أن تنجز(٢٨) ثمانية وعشرين مجلداً: عشرون منها نشرها «المجمع»، وأربعة نشرت خارجه، وأربعة أخرى في طريق النشر. ولقد أسهمت وتسهم في نقد بعض المؤلفات المحققة، كنقدها على سبيل المثال، كتاب: «الحدائق الغناء في أخبار النساء» للمؤرخ «علي بن محمد المعافري»[١١٥]، وقد حققته الدكتورة «عائدة الطيبي»، من تونس[١١٦]، كما نشرت وتنشر بعض البحوث القيّمة. بين آونة وأخرى في «مجلة المجمع».

وممن نشط في مجال «التحقيق» أيضاً في «المجمع»، الدكتورة «وفاء تقي الدين» (المولودة ١٩٤٦) التي عملت في مخطوطة «التنوير في الاصطلاحات

---

(١١٥) هو علي بن محمد بن جميل المعافري المالكي (المتوفى ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨) انتقل من الأندلس واستقر بالقدس. وأقام سنة في دمشق، وأخذ عن «أبي محمد القاسم» ابن المؤرخ الشهير ابن عساكر — دائرة المعارف الإسلامية — الطبعة الجديدة بالفرنسية. المجلد ٥/ ٩٠٢.

(١١٦) انظر النقد في «مجلة المجمع» المجلد ٥٨/ ٣٩٥- ٤١٢.

الطبية». «لأبي منصور الحسن بن نوح القَمَري»[١١٧]، وأتبعتها بمخطوطة «مشيخة ابن عساكر». وكانت قيّمة لمكتبة المجمع منذ ١٩٨٠، إلا أنها لظروف خاصة بها استقالت من العمل سنة ١٩٩٦، لتعمل في المملكة العربية السعودية، ولم تنقطع عن نشر بعض أعمالها في «مجلة المجمع»، ومنها «معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير» في كتاب «القانون» لابن سينا.

ومن السيدات في «المجمع» اللائي عملن في غير مجال نشر التراث، السيدة «غزوة بدير»، التي صنعت الجزء السادس من فهارس مجلة المجمع، وأسهمت في فهارس «السيرة النبوية» تحقيق السيدة «نشاط غزاوي»؛ والسيدتان «فادية محيي الدين»، و«سماء محاسني»، اللتان قامتا بنشر بعض البحوث والدراسات في «مجلة المجمع».

وإذا كان «مجمع اللغة العربية بدمشق» قد فسح المجال للنشاط العلمي للمرأة في ميدان التحقيق، وفي نشر إنتاجها، فإنه لم يبخل عليها، وإن كانت من خارج المجمع، بنشر بحوثها المتنوعة في مجلته بعد تقويمه لها، وبالتعريف أحياناً بما تنشر أو التعليق عليه. ومن يراجع فهارس البحوث والدراسات في «مجلة المجمع»، منذ نشأتها وحتى الوقت الحاضر، وهي سبعة أجزاء، يرى عدداً من البحوث القيمة التي تناولتها أديبات عربيات، لا من بلاد الشام فحسب وإنما من البلاد العربية الأخرى، من أمثال الدكتورة «عائشة عبد الرحمن» (بنت الشاطئ) من مصر، والدكتورة الشاعرة «عاتكة الخزرجي» من العراق، و«وديعة طه نجم» وغيرهن. كما عرّف «المجمع» في مجلته ببعض إنتاج الأديبة «وداد سكاكيني»، والأديبة «عنبرة سلام الخالدي»، و«سلمى

(١١٧) من أهالي بخارى، عاش أيام الأمير منصور الساماني، وأدركه «ابن سينا»، وانتفع به في صناعة الطب. له عدة مصنفات في الطب، منها كتاب «التنوير» المشار إليه أعلاه- الأعلام ج٢/ ٢٢٤.

حفار الكزبري»، و«الدكتورة نشأة ظبيان» وغيرهن.

وقد يكون أكبر مثال على تقدير «المجمع» لإنتاج المرأة الأدبي، ترشيحه الأديبة «سلمى حفار الكزبري»[١١٨]، سنة ١٩٩٤ «لجائزة الملك فيصل العالمية»[١١٩]. وبالفعل فقد منحت الأديبة المرشحة تلك الجائزة في موضوع «الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث». وكانت دراستها الفائزة عن الأديبة «مي زيادة».

وفي الحقيقة، يلاحظ اليوم أن عدداً غير قليل من العاملين في المجمع هو من النساء، إذ يؤلفن ما يعادل ٦٢% من المجموع. وقسم منهن جامعيات وبتخصصات متنوعة، وتسهم بعضهن في اللجان المختلفة في المجمع.

وختام القول، إن مجمع اللغة العربية بدمشق، قد سعى منذ مرحلة نشأته الأولى، إلى الاهتمام – ولو بقدر– بتثقيف المرأة؛ كما كان له نصيب خلال مراحل حياته، في توجيه أنظارها نحو التراث، وتشجيعها على إخراجه للنور، محققاً تحقيقاً علمياً سليماً، ونشره. وساعدها أيضاً ولو بطريق غير مباشر، على متابعة إنتاجها الأدبي بثقة، عن طريق فتح مجلته أمام التعريف به أحياناً ونقده، وأحياناً أخرى بنشر المستجد منه والقيّم. وفي الوقت نفسه،

(١١٨) ولدت في دمشق ١٩٢٢، درست العربية والفرنسية، وتزوجت من «محمد كرامي» من طرابلس، عادت بعد وفاة زوجها إلى دمشق، واقترنت بالسيد «نادر الكزبري». تنقلت مع زوجها في بلدان عديدة كالأرجنتين وشيلي، وإسبانية. شاركت في عدة مؤسسات اجتماعية ومؤتمرات لها عدة مؤلفات من روايات ودراسات أدبية، كما لها ديوان شعر، وقصص.– معجم المؤلفين السوريين/ ١٣٣– ١٣٤.

(١١٩) انظر الترشيح في التقرير السنوي لأعمال المجمع في الدورة المجمعية ١/ ٩/ ١٩٩٣ – ٣١/ ٨/ ١٩٩٤– مجلة المجمع، المجلد ٧٠/ ١٦٣– ١٦٤، وإعلام المجلس بالفوز بالجائزة في جلسته الثامنة بتاريخ ١١/ ١/ ١٩٩٥، المجلد (٧١)/ ٤٢٣.

استفاد من نشاط المرأة في أعماله الإدارية. إلا أنه لايزال ضنيناً على المرأة بعضويته، إذ لم يدخله حتى الوقت الحاضر، عضواً عاملاً، أي بعد ثلاث وثمانين سنة من تأسيسه سوى سيدة واحدة، وكان ذلك سنة ٢٠٠٢م(١٢٠)؛ ولم تنل عضويته المراسلة سوى سيدتين، إحداهما من سورية وهي الأستاذة الدكتورة «فاتن محجازي»، وثانيتهما من مصر، وهي الأستاذة الدكتورة «وفاء كامل فايد» وذلك في سنة ٢٠٠٢م. ولكن لما كان الطريق قد شُقّ، فإن المرأة ستجد مكانها في عضويته العاملة، على نطاق أوسع مما هو عليه الآن، لتعمل مع بقية الأعضاء من الرجال على حماية اللغة العربية، وتعزيز مكانتها، وإغنائها، والارتقاء بها باستمرار، لتواكب التطور الحضاري العلمي العالمي، ولاسيما في ميدان العلوم والتقنيات المعاصرة.

هـــذا، ولابد من الإشارة في آخر المطاف إلى أن الحديث عن «مجمع الـــلغة العربية بدمشق» والمرأة، لّما يكتمل، لأنّ على هذا «المجمع»، والمجامع العربية اللغوية الأخرى، أن تبحث عما يمكن للمرأة العربية المتعلمة أن تقدمه بصفة خاصة لدعم اللغة العربية الفصيحة على لسان الأجيال، لا عن طريق التعـــليم في مـــراحله المختـــلفة فقـــط، أو عن طريق الإعلام بكل وسائله فحسب- وهي قد غدت اليوم عنصراً أساسياً ومحركاً فيهما- ولا عن طريق تدوين المعجمات المتنوعة، وإنما عن طريق «البيت»، والحياة اليومية؛ أي عن طريق «تعويد» أبنائها وأبناء الأمة، بل وجميع من تكون بصلة مباشرة معهم مـــن الـــرجال والنســـاء، تعويدهم النطق والتخاطب بلغة عربية فصيحة، وبســـيطة، وســـليمة، تُنفى منها الكلمات الأجنبية، والعامية، الشائعة على الألســـن اليـــوم، والمشوهة للغة. وإنها لقادرة، وهي الملتصقة بمرحلة النطق الأولى لأبـــناء الأمة، وخلال مراحل حياتهم كلها، وبمساعدة رجل الأسرة

---

(١٢٠) [هي الأستاذة الدكتورة ليلى صباغ / المجلة].

وبقية أفرادها، أن تقوّم ألسنتهم لفظاً ولهجة. ولا أقول جديداً إذا أكّدت أن اللغة الصحيحة المنطلقة على اللسان عفوياً، هي أكبر ضمان للحفاظ على اللغة العربية وحمايتها، ولاسيما إذا مُكّن لها بالتعليم اللغوي السليم، والإعلام الملتزم بفصاحة اللغة العربية وبلاغتها. إنها أمنية غالية، قد يراها كثيرون بعيدة المنال، ومن الصعب تنفيذها، ولاسيما ونحن في «عصر العولمة» حيث أريد للقوميات أن تتخلى عن خصوصياتها، وبصفة خاصة إذا كانت ضعيفة أمام حضارة غربية طاغية، باقتصادها، وعلمها، وثقافتها، وسلاحها. ولكن مَنْ يسرْ على الدرب بتخطيط سليم، وإيمان وإخلاص، يصلْ، ولو تعثّر مرات ومرات.

فهرس موضوعات مجلة اللسان العربي

من العدد ١-٤٧

(القسم الثالث)[1]

إعداد عدنان عبد ربه

حرف الكاف

عنوان المقال	اسم المؤلف	رقم العدد والصفحة
الكاف التمثيلية...	أ. عبد الله كنون	١٣٠/١/٩
كانت اللغة العربية من مصادر البحث العلمي قديماً فلماذا لا تكون مرجعاً اليوم؟	أ. محمد طه النمر	٩٦/٥
كتاب «أخطاء لغوية»	تأليف أ. عبد الحق فاضل مراجعة: أ. محمد شيت صالح الحياوي	١٥٦/١/١٨
كتاب سيبويه في المغرب والأندلس	أ. محمد حجي	١٢/ ١/ ٨٦
الكتاب العربي في سوريا	أ. هيثم الكيلاني	١٧٥/٣
الكتاب العربي وقيمته بالمغرب	أ. محمد إبراهيم الكتاني	١٨٤/٣
كتاب «علم اللغة وصناعة المعجم» للدكتور علي القاسمي	بقلم: د. نايف خرما	١٥٣/١/١٨

(١) نشر القسم الأول في المجلد ٧٦ الجزء الرابع من ص ٨٥١- ٨٩٢ ونشر القسم الثاني في المجلد ٧٧ الجزء الثاني من ص ٢٧٧- ٣١٠.

كلمة رئيس جامعة القاضي عياض في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. محمد الكنيدري	٤٧/ ١٨
كلمة رئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب في المغرب في ندوة المصطلحات الموحد	د. محمد بلاجي	٤٦/ ١٧
كلمة رئيس قسم المعاجم بمكتبة لبنان	د. أحمد شفيق الخطيب	٤٧/ ١٥٢
كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. عبد الكريم خليفة	٤٧/ ١٣٧
كلمة رئيس مجمع اللغة العربية بالسودان في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. عبد الله الطيب	٤٧/ ١٤٠
كلمة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المؤتمر الثالث للتعريب	د. محيي الدين صابر	١٥/٣/٩
كلمة السيد وزير التربية الوطنية التي ألقاها بالنيابة السيد عبد القادر مخلص قيدوم – كلية العلوم – السملالية – مراكش	–	٤٣/١٣
كلمة في مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع...	د. إبراهيم مدكور	٩/١/٤٥٩
كلمة المجمع العلمي العراقي في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. منذر نعمان بكر التكريتي	٤٧/ ١٤٨
كلمة مدير تنسيق التعريب في ندوة المصطلحات الموحدة في المغرب	د. عباس الصوري	٤٦/١٥

حرف اللام

اللغة العربية انتشرت بفضل المد الحضاري للإسلام...	أ. عبد العزيز حسين	٢٣٧/٦
اللغة العربية بين التأثر والتأثير	أ. محمد السيد علي بلاسي	١٤١/٣٤
اللغة العربية بين شعوب العالم	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	٢٣٠/١/١٥
اللغة العربية بين اللغات السامية	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	٣٢/١/٧
اللغة العربية بين مؤيديها ومعارضيها	أ. ياسين رفاعية	٣٤/٦
اللغة العربية بين الواقع والادعاء	أ. محمد محمد الخطابي	١٣٩/١/١٤
اللغة العربية تضيء دور الإسلام	أ. عبد القدوس الأنصاري	١٦٤/٦
اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها...	أ. إلياس قنصل	٨٢/١/١٠
اللغة العربية الحديثة	أ. فانسان مونتي تلخيص: أ. جمال الدين البغدادي	٧٦/١
اللغة العربية: دورها وأهميتها	د. جوزيف بيلاوسكي ترجمة: أ. محمد بن زيان	٢٤٩/١/٧
اللغة العربية صالحة	أ. فاخر عاقل	١٤٦/٥
اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي	أ. كيفور ميناجيان	١٨١/٥
اللغة العربية صالحة ولكن المصطلح العلمي يتطلب التنسيق	د. أنور بكير	١٠٣/٥

للغة العربية طاقات خلاقة ولكن تنقصنا وسائل التنسيق	د. أحمد شوكت الشطي	١٣٦/٥
اللغة العربية على المحك	أ. خليل المنداوي	٤٨/٥
اللغة العربية «الفصحى والعامية»	أ. فو لكهارد فيندور	٢٨٦/١/١٠
اللغة العربية في إفريقيا	أ. الخليل النحوي	٩/٣٦
اللغة العربية في جامعة جنيف	المكتب الدائم للتعريب	١٣/٣/١٠
اللغة العربية في ظل القرآن	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	٣٠٤ /١/١٧
اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية...	أ. أنطون شال ترجمة: أ. إدريس الخطابي	٧٥/١/١٠
اللغة العربية في مواجهة مفهوم التعريب	أ. إدريس بن الحسن العلمي	١٥٥/٣٤
اللغة العربية في المؤتمر الإفريقي التاسع	المكتب الدائم للتعريب	٢٥٩/١/١٠
اللغة العربية في الهند بين الماضي والحاضر والمستقبل	د. معين الدين الأعظمي	١٤٠/١/١٨
اللغة العربية قوام الوحدة منذ ثلاثة آلاف سنة بين الشام والخليج والمحيط	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٤٣/١/١٦
اللغة العربية لا تنقصها القوة الذاتية التي تجعل منها لغة عالمية	جامعة عين شمس القاهرة	١٠٦/٥
اللغة العربية لغة عالمية بفضل الإسلام	أ. محمد أبو الفرج العش	١٩٨/٦

اللغة العربية وقيم الإسلام	أ. محمد عبد المالك الكتاني	٢٨٠/٦
اللغة العربية واللغة اللاتينية (مقارنة تاريخية)	أ. ساطع الحصري	٥٣/١/١٤
اللغة العربية ومصطلحات الحضارة الحديثة	أ. سليم طه التكريتي	٢٠٩/١/١٧
لغة العلم المعاصر	د. إبراهيم مدكور	١٧/٢٧
اللغة عنصر من عناصر الحياة	أ. الياس قنصل	١٨٦/١/٨
لغة القرآن	أ. محمد بهجة الأثري	٣٢٠/٥
لغة القرآن هي المقوم الأساسي لوحدة المسلمين	أ. محمد صغير حسن المعصومي	١٥٢/٦
لغة القرآن وذكرى نزول القرآن...	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٦/ ٥
لغة القرآن واللغات السامية	أ. عبد السلام هارون	٢١٩/٦
اللغة، الكلام والكتابة	د. محمد ياسر حماد سليمان	٢٣/٢٩
لغة الكيمياء والبتروكيمياء معجم فرنسي انجليزي عربي	د. مصطفى ديبون	٢٦/٢٩٧/٢٧/٢٧٥، ٢٨/ ١٩٣
اللغة ليست كائناً مستقلاً بذاته	د. سليمان قطاية	١٤٤/٥
اللغة المالطية لهجة عربية كتبت بحروف لاتينية	أ. إحسان محمد جعفر	٧٣/١/١٦
لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني	أ. سعيد الديوه جي	٢٢٢/١/١٠
اللغة والتعبير	تأليف: أ. جورج مونان تعريب: أ. محمد سبيلا	٧٥/٢٦
اللغة والمجتمع الإنساني	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	١٤/٦، ١٩٣/١/٧

حرف الميم

المجامع اللغوية العربية	المكتب الدائم للتعريب	٣٤٩/٢٣
مجلس البحث العلمي الأردني	المكتب الدائم للتعريب	٤٦٦/١/٩
المجلس التنفيذي لمكتب تنسيق التعريب في دورته الثانية	المكتب الدائم للتعريب	٣٠٢/٤
المجلة العربية لبحوث التعليم العالي	عرض: أ. جواد حسني عبد الرحيم	٢٦/ ٣٥٩
مجلة المجلات	-	٣٤١/٣، ٣٥٥/٤، ٣٥١/٥، ٥٩٦/٦
مجلة المجلات: اللغة العربية	أ. أحمد العايد	٥٤٨/١/٨
المجمع العلمي العراقي	رئيس المجمع العلمي العراقي	٩٨/١
المجمع العلمي العربي بدمشق	المكتب الدائم للتعريب	٩٦/١
مجمع اللغة العربية الأردني (تأسيسه وأهدافه ومنجزاته)	المكتب الدائم للتعريب	٢٢٦/١/١٦ وانظر (أنباء عامة)
مجمع اللغة العربية الأردني في المؤتمر الثالث للتعريب	د. عبد الكريم خليفة	١٩/٣/١٥
مجمع اللغة العربية [بالقاهرة] في ثلاثين عاماً ١٩٣٢-١٩٦٢ مجموع القرارات العلمية	مجمع القاهرة	٢٩٧/٣
مجمع اللغة العربية بالقاهرة	المكتب الدائم للتعريب	٩٢/١
محاضرة بكلية العلوم بالرباط للأستاذة فاختة	وضع المقابل العربي: أ. عبد الرحمن العلوي	٢٥٩/٢/١٧
محاضرة عن التعريب والمعاصرة والتكنولوجيا	د. محيي الدين صابر	٢٦١/٢٨

محاولة لاقتراح وجمع مصطلحات زراعة الأنسجة... (انجليزي – فرنسي – عربي)	أ. عبد الوهاب زايد وأ. عبد العزيز تكسانة	٢٥٣/٢٥
محنة القومية العربية	أ. أحمد الصوفي	١٣٦/١/٧
المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (انجليزي – عربي)	د. فاضل حسن أحمد	١٦١/٢٥، ٢٣١/٢٧، ٢٩/ ٢٦٩
المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (جزء خاص بالجمعيات) (انجليزي – عربي)	د. فاضل حسن أحمد	٢٤٣/٣٠، ٢١٣/٣١، ٣٢/ ٢٠٣
مخططات الأصوات العربية	د. عامر جيار صالح النداف	٨٣/٣٦
مخطوطة (كتاب اللغات في القرآن) رواية ابن حسنون المقرئ المصري بإسناده إلى ابن عباس	د. توفيق محمد شاهين	١٣٩/٢٧
مدى تفاعل اللغة مع قضايا النمو الاجتماعي	الإدارة العامة للثقافة بوزارة الدولة الليبية	٥٥/٣/١٥
مدخل إلى اللغويات التطبيقية	س. بيت كوردر ترجمة: أ. جمال صبري	٦٤/١/١٤، ١٩٧/١/١٦
المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة...	د. جعفر دك الباب	٧٥/٣٧، ٧٤/٣٨
مراجعة اللسان	أ. إدريس العلمي	٤٧/ ٢٢٥
مراحل التعريب الأولى في المغرب	د. عباس بنعبد الله الجراري	٣٥٩/١/٧
مراحل نشأة الكلام الإنساني	د. جعفر دك الباب	٢٧/٢٥

المراكز الحالية والمقبلة لانتشار اللغة العربية	تأليف: د. محمد السيد غلاب ود. محمد حسن عبد القادر صالح والأستاذ محمود شاكر تلخيص: أ. محمد أفسحي	١٢٤/١/١٨
مركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة لترجمة أمهات الكتب في الحضارة الإسلامية	للمكتب الدائم للتعريب	٣٠٦/٢٤
المركز القومي للإعلام والتوثيق	للمكتب الدائم للتعريب	٦٨/٢
مرئيات مديرية المواصفات والمقاييس الأردنية حول موضوع المصطلحات	–	٧٣/٢٧
مزالق التعريب	مصلحة التعريب	٣٨/٥
مزالق التعريب...	أ. إدريس حسن العلمي	٥٧٠/٦، ١٤٤/١/١٤
المسابقة الثانية لمكتب تنسيق التعريب قرارات التحكيم	–	١٦/٣/١٠
المسابقة الرابعة لمكتب تنسيق التعريب دراسة حول القرآن والسنة	–	١٥/٣/١٠
مسابقة المكتب الدائم للتعريب	–	٨/ ١/ ٥٣٣، ٩/ ١/ ٤٧٣
مسألة السوابق واللواحق وطرق معالجتها	أ. محمد المغنم	٩٥/٢٤
مساهمات تونسية في وضع المصطلحات العلمية ...	أ. سعد غراب	٩٣/٣٩

مسيرة الاصطلاح الطبي في الغرب	ترجمة: أ. إدريس بن الحسن العلمي	١٩٣/٤٢
مسيرة التعريب ومشكلة المصطلح العلمي الموحد بجامعة الخرطوم	د. عبد العزيز الطيب إبراهيم	٢٢٣/٣٩
مشاريع معجمية	–	٢٢٧/٢٠، ١٢٩/٢٦، ٢٧/ ١٦١، ١١٩/٢٨، ١٩٥/٢٩، ٢٤١/٣٠، ١٦٥/٤٠،
مشاريع معجمية وقوائم مصطلحات	–	٢١٩/٢١، ١٥٩/٢٥، ٣١/ ٢١١، ١٧٥/٣٢، ١٦٠/٣٥
مشاكل التعريب: دراسة تطبيقية على التعليم الجغرافي الجامعي	د. أحمد رمضان شقيلة	١٠٥/٢٧
مشاكل التعريب في الصحافة الروسية	ترجمة: أ. ماليشفسكي	٣٥٤/٣
مشاكل التعريب اللغوية	د. محمد أبو عبده	١٠٣/١/١٩
مشاكل المترجم العربي في المنظمات الدولية	د. علي القاسمي	٣٧/٣٣
مشاكل نقل الأصوات اللغوية	أ. شارل بيلا	٨٥/١
مشاكل وضع المصطلحات اللغوية	د. محمد رشاد الحمزاوي	٧٥/١/١٨
مشاكل ومعوقات التعريب	د. محمود محمد الحبيب	١٧٧/١/١٧
«المشتركة» بين الفتح والكسر	أ. إدريس العلمي	١٣٣/١/١٦
مشروع خاص بمعجم صوتي للغتين العربية والانجليزية	د. ادوارد يوحنا	١٠٨/٢/١٧
مشروع دليل للمصطلحات العربية الموحدة في العلوم الإدارية	المكتب الدائم للتعريب	٤٧/٢/١٠
مشروع الذخيرة اللغوية	–	– ورقة حول مشروع الذخيرة اللغوية

مشروع الذخيرة اللغوية العربية	الوفد الجزائري لمؤتمر التعريب السادس	٢٦/٣١ وانظر ورقة حول مشروع الذخيرة اللغوية
مشروع «راب» الدولي لترجمة مصطلحات الاتصالات السلكية واللاسلكية وتعريبها	تقدم: أ. الزبير الجيلاني موسى	٢٩٨/٢٤
مشروع سوري لشكل الكتب المدرسية	وزير التربية السوري	٥٧٨/٦
مشروع لتحويل الأطر في التعليم في أوائل السنة الدراسية ١٩٦٥-١٩٦٦	المكتب الدائم للتعريب	٦٩/٤
مشروع مصطلحات العين وأمراضها	د. صادق الهلالي ود. محمد حكمت وليد	١٣١/٢٦، ١٦٣/٢٧
مشروع معجم البيئة	إعداد: أ. المناصف محمد... مراجعة: أ. توفيق عمارين	٣١٣/٢/١٨
مشروع معجم التجارة	المكتب الدائم للتعريب	٣٥٢/٣/١٧
مشروع معجم الصناعة المعمارية (البناء)	المكتب الدائم للتعريب	٥٨/٣/١٧
مشروع معجم الطِّباعة...	المكتب الدائم للتعريب	١٥٥/٣/١٧
مشروع معجم الكهرباء	المكتب الدائم للتعريب	٥/٣/١٧
مشروع المعجم المبسط	د. محمد حسين علي	٢٩/٢/٧
مشروع معجم المحاسبة	المكتب الدائم للتعريب	١١٤/٣/١٧
مشروع معجم مصطلحات علم المواد	إعداد وتحقيق: د. نبيل عبد السلام هارون عرض: أ. هاشم منقذ الأميري	٣٥٥/٢٥

مشروع معجم الميكانيكا	المكتب الدائم للتعريب	١٨٩/٣/١٧
مشروع معجم التجارة	المكتب الدائم للتعريب	٤٢/٣/١٧
مشروع منهجية خاصة بتعريب المصطلح الطبي وإنجاز المعجم الطبي العربي	أ. إدريس بن الحسن العلمي	١٥٤/٤٠
مشروع الموسوعة المغربية	أ. عثمان الكعاك	١٢٣/٢
مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	المكتب الدائم للتعريب	٥٤٠/١/٨
مشروعات معجمية	–	١٤٥/٢٤، ١٨٩/٣٧، ٤١/ ١٠٢، ٢٢١/٤٢
مشروعات معجمية ومصطلحية	–	٢١٥/٢٢، ١٩٧/٢٣،
مشكلات العربية	الأمير مصطفى الشهابي	٣٥٧/٤
مشكلات اللغة والمصطلحات	د. يوسف الخوري	١٤٩/١/٧
مشكلة المصطلح التقني في صناعة المعجم العربي	المكتب الدائم للتعريب	٢٦٨/١/١٦
مشكلة وضع المصطلح	أ. محمد السويسي	٩/١/١٢
مصادر دراسات اللغة العربية – مراجعة وتقييم –	د. سلمان حسن العاني د. محمد أحمد عمايرة	٤٩/٢٦
مصادر المعجم العلمي والتقني العام	المكتب الدائم للتعريب	٤٨٣/٦
مصر في طليعة الركب العلمي	د. عمر الجارم	٣٧٨/١/٧

(للبحث صلة)

الدّرسُ اللّغويُّ الاجتماعيُّ
عندَ الإمامِ الغزاليّ في «المُستصفَى»

د. مهدي أسعد عرار

ليستْ تُعنَى هذه المباحثةُ بالحديثِ عن الإمامِ الغزاليّ: حياتِه وفكرِه، ولا عنْ مصنّفِه «المستصفَى مِن علمِ الأصولِ»، بل المَقْصِدُ الأوّلُ الذي تترسّمُه هو تلمّسُ أنظارٍ من «الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ»، وعلى رأسِها «سياقُ الحالِ» الذي له سُهْمةٌ في الإبانةِ عن مَقاصِدِ الكَلِمِ ورسومِ التّعبيرِ، والحقّ أنّ الإمامَ — كما سيتبيّنُ في ثِنْيِ هذه المباحثة — كان يفزعُ إلى سياقِ الحالِ الذي يفعلُ في تشكيلِ المعنى أو ترجيحِه أو ترشيحِه، ومِن ذلك التفاتتُه، على نحوٍ مُعْجِبٍ، إلى فضلِ العادةِ في الإبانةِ، وطبقةِ المتكلّمِ، والقرائنِ السّياقيّةِ الهاديةِ إلى المتعيّنِ، ولغةِ الجسمِ والوجهِ والشّمائلِ، واستشرافِ المسكوتِ عنه من المنطوقِ به. ومِن وجهةٍ ثانيةٍ جنحَ الإمامُ إلى عدّ سياقِ الحالِ والأنظارِ الخارجيّةِ وما يكتنفُ الموقفَ الكلاميَّ مِن ملابساتٍ وأحوالٍ مُحتكَماً عريضاً للحكمِ على العمومِ أو الخصوصِ، وجعلِ استرفادِ الحالِ فَيصلاً ناسخاً للاحتمالِ، كتردّدِ دلالةِ التّراكيبِ بين الحقيقةِ أو المجازِ، أو تشاكلِ هذه التّراكيبِ في وجهٍ ظاهريٍّ مُوهِمٍ مع تباينِها تبايناً يُعيّنُه السّياقُ، كلّ هذه المباحثِ وغيرُها مّما عرّجتُ عليه مُلتمِساً ومحلّلاً ومُقارِناً، في مواضعَ مخصوصةٍ، بما وردَ في علمِ اللّسانِ الحديثِ.

في مَقاصِدِ العنوانِ:

يَتبدّى، للخاطرِ الأوّلِ، أنّ في عنوانِ هذه المباحثةِ ثالوثاً ينتظمُ

سَيْرورتِها: أوّلُه الإمامُ الغزاليُّ، وثانيه كتابُه «المُستصفَى مِن عِلْمِ الأصول»، وثالثُه تلمّسُ أشتاتٍ مِن الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ في كتابه، والحقّ أنّ هذا الذي تقدّم يعوزُه فضلُ بيانٍ واستدراك؛ ذلك أنّ هذه المباحثةَ لا تُغني بالحديث عن الإمامِ الغزاليّ: حياتِه وفكرِه ومؤلفاتِه، فقدْ صُنّف فيه الكثيرُ(١)، فضلاً عن كونه ممّنْ مَلؤوا الدّنيا وشغلوا النّاسَ.

أمّا «المُستصفَى مِن علمِ الأصول» فقدْ طلبتْ إليه طائفةٌ مِن محصِّلي علمِ الفقهِ تصنيفاً في «أصولِ الفقه» فأجابهم(٢)، واستفتحه ببيانِ حدِّ الدِّلالة الشّرعيّة التي تَعتَورُ هذا المصطلحَ مُلْمِحاً إلى أنّها الوقوفُ على أدلّة الأحكامِ، ومعرفة وجوهِ دِلالتِها على الأحكامِ مِن حيثُ الجملةُ لا التّفصيلُ(٣)، وعلمُ الأصولِ عندَ الباجيِّ ما انبنتْ عليه معرفةُ الأحكامِ الشّرعيّة(٤)، وعندَ الآمديِّ: أدلّةُ الفقه، وجهاتُ دِلالاتِها على الأحكامِ الشّرعيّة، وكيفيّة حال المستدلّ بها من حيثُ الجملةُ لا مِن حيثُ التّفصيلُ(٥). أمّا موضوعُه فلا يخرجُ عن أحوالِ الأدلّة المُوصلةِ إلى الأحكامِ الشّرعيّة المبحوثِ عنها فيه، وأقسامِها وتباينِ مراتبِها، وكيفيّةِ استثمارِ الأحكامِ الشّرعيّةِ منها على وجهٍ كلّيٍّ(٦)، ومُستصفَى القولِ في «المستصفى» أنّ الأصولَ لا يُتعرَّضُ فيها لإحدى المسائلِ، «ولا على طريقِ ضربِ المثالِ، بل يُتعرَّضُ فيها لأصلِ الكتابِ، والسّنّة، والإجماعِ، ولشرائطِ صحّتِها، وثبوتِها، ثمّ لوجوهِ دِلالتِها مِن غيرِ أنْ يُتعرَّض فيها لمسألة خاصّة، فبهذا تُفارقُ أصولَ الفقه فروعَه»(٧)، وجملةُ الأصولِ – كما يجلّي هذا المَطْلَبَ الغزاليُّ– تدورُ على أقطابٍ أربع: أوّلُها: في الأحكامِ، والبَداءةُ بها أولى؛ إذ إنّها الثّمرة المطلوبةُ، وثانيها: في الأدلّة، وهي الكتابُ، والسّنّة، والإجماعُ، وثالثُها: في طريقِ الاستثمارِ، والمَقْصِدُ ههنا وجوهُ دلالةِ الأدلّة، كالدّلالة بالمنظومِ،

وبالمفهومِ، وبالاقتضاءِ والضّرورةِ، وبالمعنى المعقولِ، ورابعُها: في المُستثمرِ، وهو المجتهدُ الذي يحكمُ بظنّه، ويقابلُه المقلّدُ الذي يلزمُه اتّباعُه[٨].

أمّا الدّرسُ اللّغويُّ الاجتماعيُّ فهو مبحثٌ متطاولٌ قائمٌ على النّظر إلى اللّغةِ وهي مركوزةٌ في سياقٍ اجتماعيٍّ يلفُّها، ليَعْقُبَ هذا حديثٌ عن اللّغةِ والمجتمعِ، أو الجنسِ، أو الطّبقاتِ الاجتماعيّة، أو العُمُرِ، أو المكانِ، أو العِرقِ، أو سياقِ الحالِ...[٩].

والحقّ أنّ الذي تترسّمُه هذه المباحثةُ هو استشرافُ نظريّةِ سياقِ الحالِ والموقفِ الكلاميِّ عندَ الإمامِ في مُستصفاه ذاك؛ إذ إنّ المُبتغَى الأوّلَ من علمِ الأصولِ -كما تقدّم قَبْلاً- الوقوفُ على أدلّةِ الأحكامِ، ومعرفة وجوه دلالتها، ولذا ليس ثمّة بدٌّ من التوسّلِ بإمكاناتٍ متباينة للوصولِ إلى الأصولِ، والاستعانة بروافدَ أخرى لاستنباطِ الأحكامِ أو العِللِ، فليس يصحُّ في الفهمِ ولا يستقيمُ أنْ يُتَوَهّمَ أن في النّصّ مُستغنى عمّا سواه ومُكتفى في الإبانةِ عن مَقاصدِ الكَلِمِ ورسومِ التّعبيرِ، ولذا قرّر الإمامُ، على وجهٍ من التحكُّمِ، أنّ الحكمَ لا يثبتُ إلا توقيفاً، ولكنْ، «ليس طريقُ معرفةِ التّوقيفِ في الأحكامِ مُجرّدَ النّصّ، بل النّصُّ والعمومُ والفَحوى ومفهومُ القولِ وقرائنُ الأحوالِ وشواهدُ الأصولِ وأنواعُ الأدلّة»[١٠].

وقد قيل إنّ أوّلَ مَن اجترح مصطلحَ «سياق الحالِ» هو عالم الاجتماع البولنديّ «مالينوفسكي»، ثمّ تلقّفه عنه «فيرث» رائدُ الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ في العصرِ الحديث[١١]، فَبَلْوَرَ نظريّته جانحاً إلى تفسيرِ مصطلحِ سياقِ الحالِ، مُصرِّحاً بأنّ هذا المصطلحَ يستغرقُ ما هو لفظيٌّ، وما هو غيرُ لفظيٍّ، ومن ذلك الحديثُ عن شخوصِ الحدثِ الكلاميِّ وشخصيّاتهم، والحدثُ الكلاميّ الفعلي، والأحداثِ غيرِ الكلاميّةِ المتّصلة بالحدثِ الكلاميِّ، والأشياءِ المتّصلة

بالكلامِ والموقفِ دونَ إغفالٍ للمستوياتِ اللّغويّةِ البنيويّةِ...»[١٢]، والحقّ أنّ هذه النّظريّةَ، وهي تنصبُ دلائلَ هاديةً لاقتناصِ المعنى، لا تعزلُ اللُّغةَ عن خارجِها وعمّا يمكنُ أنْ يحتفَّ به الحدثُ الكلاميُّ من قرائنَ وملابساتٍ؛ إذ إنّها «تنظرُ إلى اللّغةِ على أنّها نمطٌ من أنماطِ السّلوكِ الإنسانيِّ، كما ترى أنّ للّغةِ وظيفتين: أولاهما أنّها تعالجُ فكرةً، أو تدورُ حولَ موضوعٍ ما، وثانيتُهما أنّ لها وظيفةً اجتماعيّةً تؤدّيها»[١٣]، ولكنّ «ليونز» يَخْلُصُ في مقالةٍ له إلى أنّ المعنى عندَ «فيرث» كلٌّ مُركّبٌ مِن عَلاقاتٍ سياقيّةٍ وصوتيّةٍ ونحويّةٍ ودلاليّةٍ[١٤]، ومِن المَقولاتِ التي يتعاطاها السّياقيّون أنّ الكلماتِ لا معنى لها خارجَ مكانِها من النّظمِ[١٥]، كلُّ ذلك باعثُه التّعويلُ على سياقِ الحالِ الذي يَهَبُ الكلمةَ أو الجملةَ معنى سياقيّاً قد يفارقُهما إذا ما وردا في سياقٍ آخرَ. ويقرّرون أيضاً أنّ اللّغةَ بالفعلِ، والمعنى بالاستعمالِ[١٦]. لنتبصّرْ فيما يأتي بياناً وتجليةً لِسُهْمَةِ سياقِ الحالِ «بمعناه العريضِ» في الإبانةِ:

إذا نحن سرّحْنا الخاطرَ مُستحضِرين مواقفَ وسياقاتٍ متباينةً يُتلفَّظُ فيها بـ «الحمدُ للهِ» فإنّنا قدْ نقفُ على معانٍ سياقيّةٍ، وإيحاءاتٍ معنويّةٍ متباينةٍ بتباينِ «سياقِ الحالِ» وما تشتملُ عليه هذه الكلمةُ مِن مكانٍ وزمانٍ وشخوصٍ وبيئةٍ وموقفٍ وأثرٍ لهذا الحدثِ الكلاميِّ. لننظرْ فيما يأتي:

السّياقُ الأوّلُ:

قدْ يقولُها صاحبُها مُنكِراً على غيرِه فعلةً ما في مَقامٍ ما، كأنْ يكونا يأكلانِ الطّعامَ معاً، فإذا ما انفضّ أحدُهما قُبيلَ الآخرِ مِن حولِه عن الأكلِ فإنّه سيحمدُ اللهَ على هذه النّعمةِ الطّيّبةِ جاهراً بها قائلاً: الحمدُ للهِ، ولكنّ الثّاني «المَضيفَ» قدْ يقولُ مُنغضاً رأسَه، منكراً مُستهجناً قيامَ ضيفِه ذاك: الحمدُ للهِ؟!،

وذلك طلباً لحثّ ضيفه على تناولِ مَزيدِ طعامٍ.

وهكذا يبدو أنّ «الحمدُ لله» حمّالةٌ لمعنيين في ذلك المَقام: الأوّل حَمْدُ الرّجلِ ربَّه على هذه النّعمة، وقدْ يكونُ إيذاناً مُلْمحاً لربِّ المنـزلِ بأنّني قدْ انتهيتُ مِن الطّعامِ فشبعتُ. والثّاني أو الثّالثُ: استنكارُ ما قدْ صدرَ مِن الضّيفِ مِن حمدٍ يُعيِّن معناه سياقُ الحالِ والملابساتُ الخارجيّةُ، أي أنّها في سياقها ذلك تقترنُ بالفُروغِ من الطّعام، وهو أمرٌ يقتضي العُرفُ العربيُّ الاجتماعيُّ أنْ ينازعَ الضّيفُ فيه ضيفَه، وعندَ ذلك تنتقلُ هذه المنازعةُ إلى مدلولِ العبارةِ في ذلك السّياقِ الهامشيِّ المحدَّدِ «سياق الطّعامِ»، وتفارقُ، أو تكادُ، أصلَ القصدِ بها، ولعلّ هذا لا يُجلّى إلاّ بالاتّكاءِ على قرارٍ مَكينٍ، وهو سياقُ الحالِ الذي قدْ يَشِطُّ عن المعنى المعجميِّ إلى مكانٍ طَروحٍ.

السّياقُ الثّاني:

قدْ يعرضُ لنا مسرحٌ لغويٌّ ثانٍ شخوصُه غيرُ ذينكما المتقدِّم بيانُهما[١٧]، فلَنا أنْ نتخيّلَ أنّ ثمّ شيخاً يتحلّقُ حولَه مريدوه هاتفين «الحمدُ لله»، أوْ قدْ ينطقُ بها مُسبّحٌ ذاكرٌ في الغدوّ أو الآصالِ أو دبرِ الصّلاة، وهي، في هذا السّياق، ذاتُ دلالة جليّة تُعيّنُها ظواهرُ الألفاظ، وليس يخفى أنّها جاءتْ شكراً وتقريراً واعترافاً بفضلِ المنّانِ الكريمِ تقدّس اسمُه.

السّياقُ الثّالثُ:

وقدْ نسترفدُ مسرحاً لغويّاً ثالثاً يتجاذبُه قطبان، فقدْ يسألُ الأوّلُ الآخرَ: كيف حالُك؟ فيقولُ الثّاني مُنغضاً رأسَه متثاقلاً: الحمدُ لله، ويعتري هذه العبارةَ تنغيمٌ لغويٌّ متساوقٌ مع حالِ القائلِ دالٌّ على ارتكاسٍ ودخيلة على النّفسِ بائسةٍ، وليس يُنسى ما قدْ يصحبُ هذا الحدثَ الكلاميَّ الحيَّ مِن حركاتٍ

وشمائلَ وعلائمَ جسميّةِ تَشي بأنّ «الحمدُ للهِ» في هذا السّياقِ المَقاميِّ ذاتُ معنى مفارقٍ للمعاني الأُوَلِ؛ إذْ إنّها قدْ لا تُنبئ عنْ شكرِ القائلِ وحمدِه، بلْ جاءتْ للجأرِ بالشّكوى مِن أحوالٍ أو أهوالٍ تعتري مُتلفّظَها في سياقِها ذاك، فتنتقلُ هذه الأحوالُ إلى مدلولِ العبارةِ، ولذا قدْ نجدُ أنّ القُطْبَ الأوّلَ الذي أخذَ بقَوابلِ الحديثِ يستدركُ على صديقِه مستشرفاً منه فضلَ بيانٍ، مُمسكاً بارتكاسِ قطبِ الحدثِ الكلاميِّ الثّاني وانقباضِه بهديٍ مِن دلالةِ «الحمدُ للهِ» في سياقِها، فيقولُ: ما لكَ يا رجلُ؟ ما بكَ؟ خيرٌ إن شاءَ اللهُ؟ لماذا تقولُها فاترةً؟.

لعلّه يحسنُ أنْ أكتفيَ بما قدّمتُ مِن مِهادٍ يدورُ في فَلَكِ مدرسةِ «السّياقِ»، ليكونَ المَطْلَبُ الآتي مِضمارُه تلمّسُ هذه الأنظارِ في مُستصفى الغزاليّ، والسبيلُ في التّأتّي إلى تحقيقِ هذا المُبتغَى هو جمعُ نثارِها، وتبويبُها، ومناقشتُها، ومقارنتُها بما قدْ يَرِدُ في علمِ اللّسانِ الحديثِ، ومنها القرائنُ، والحالُ المُشاهَدةُ، والتّنغيمُ، وأدلّةُ التّخصيصِ، وأحوالُ المتكلّمين...

جدلٌ بينَ أربابِ العمومِ وأربابِ الخصوصِ:

هذا مبحثٌ في الدّرسِ الأصوليّ عريضٌ، ومُستصفَى القولِ فيه أنّ المذاهبَ فيه ثلاثةٌ: مذهبُ أربابِ الخصوصِ، ومذهبُ أربابِ العمومِ، ومذهبُ الواقفيّةِ، ومِن أمثلةِ أربابِ الخصوصِ أنّهم يقولون إنّ كلمةَ «المشركين» موضوعةٌ لأقلّ الجمعِ. وأربابُ العمومِ يرَوْنها للاستغراقِ، فإنْ أُريدَ بها البعضُ فقد تُجُوِّزَ بها عن الحقيقةِ والوضعِ. والواقفيّةُ يذهبون فيها إلى أنّها مشتركةٌ مُحتملةٌ، «وإنّما ينزلُ على خصوصٍ أو عمومٍ بقرينةٍ أو إرادةٍ مُعيّنةٍ، كلفظِ العينِ، فإنْ أُريدَ به الخصوصُ فهو موضوعٌ له، لا أنّه عامٌّ قد خُصّص، وإنْ أُريدَ به العمومُ فهو موضوعٌ له، لا أنّه خاصٌّ قد عُمّم»[١٨].

ويُدلي الإمامُ بدلوِه في هذا المبحثِ بحديثٍ تتوزّعُه خمسةُ أبواب، كالحديثِ عن تعارضِ العمومين، وبابِ القولِ على الأدلّة المُخصِّصة، وتمييزِ ما يمكنُ دعوى العمومِ فيه عمّا لا يمكنُ، والعمومِ هل له صيغةٌ أم لا، والاستثناءِ والشّرطِ[١٩]، ويخوضُ الإمامُ في هذا الجدلِ الدّائرِ مُستعيناً بثاقبِ بصرِه، وبعيدِ تأمّله، مسترفداً ذَيْنكَ المتقدّمَين، والحقّ أنّ جمعَ نثارِ إلماحاته السّياقيّة الاجتماعيّة، ولَمْلَمةِ أشتاتها، في هذا الباب على التّعييـــن، تُفضي بالقارئ إلى التّقرير بأنّ الإمامَ الغزاليَّ ممّن تمثّلوا نظريّةَ السّياق، فكانتْ من حجارةِ الأساسِ التي تؤطّرُ للمعنى لِيَنْبَنيَ عليها، بل لتكونَ فَيْصلاً ومُحتكَماً في كثيرٍ من مواضعِ معالجاته. لننظر في بعضِها:

يُحيلُ الإمامُ نظرَه في المُساءلةِ التي تقولُ: هل وضعَ العربُ صيغةً تدلُّ على الاستغراقِ أم لا؟ واللافتُ للخاطرِ الأوّلِ أنّ المَدخلَ الرّئيسَ الذي فاءَ إليه الإمامُ في محاورةِ هذه المُساءلةِ هو الأنظارُ الخارجيّةُ وتمثّلُ سياقِ الحالِ الذي يعملُ، في كثيرٍ من المواضعِ والمواقفِ، على الإقرارِ بالعمومِ أو الخصوصِ، ولذلك كلّه نراه يَفْزعُ ثانيةً وثالثةً ورابعةً إلى قرائنَ غيرِ كلاميّة مُحَمَّلة بِدلالاتٍ تقومُ مقامَ جملٍ وكثيرِ إسهابٍ، ومنها رسومُ التّعابيـــرِ التي تُستَقى من حركاتِ المتكلّمِ، وشمائلُه الظّاهرةُ، وإشاراتُه، وعاداتُه التي تُنبئ عن تَعيُّنِ دلالةِ العمومِ أو دِلالةِ الخصوصِ، ومُستصفَى القولِ فيها أنّ «الاستغراقَ يُعلَم بعلمٍ ضروريٍّ يحصلُ عن قرائنِ أحوالٍ ورموزٍ وإشاراتٍ وحركاتٍ من المتكلّمِ وتغيّراتِ وجهِه، وأمورٍ معلومةٍ من عادته ومقاصده، وقرائنَ مختلفة لا يمكنُ حصرُها في جنسٍ، ولا ضبطُها بوصفٍ، بلْ هي كالقرائنِ التي يُعْلَمُ بها خَجَلُ الخَجِلِ، وَوَجَلُ الوَجِلِ، وجُبْنُ الجبان»[٢٠].

وكعادةِ الإمامِ الغزاليِّ المكرورةِ التي غدتْ سمتاً منهجيّاً لازماً في مُستصفاه يجنحُ إلى استشرافِ الوقائعِ الكلاميّةِ الحيّةِ المُصوّرةِ بعباراته تمثيلاً وتعليلاً وفضلَ بيانٍ بحلٍّ لذلكم الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ عندَه، والحاصلُ أنّه يعرّجُ على مسائلَ طريفةٍ لتعيينِ دعوى العمومِ فيها أو لرفعِها، والحقُّ أنّها مسائلُ تتوزّعُها أنظارٌ دينيّةٌ، ولغويّةٌ، وعقليّةٌ، وأحوالٌ اجتماعيّةٌ هي محَطُّ النّظرِ في هذا الدّرسِ، ومن ذلك مسألةُ «المخاطبةُ شفاهاً لا يمكنُ دعوى العمومِ فيها»، صحيحٌ أنّه قد يتجلّى إشكالٌ في تعيينِ أحدِ هذين المَطْلَبين في سياقِ مكتوبٍ أو مُتقادمٍ، ولكنّ التّواصلَ مع مقاميّاتِ الحدثِ الكلاميِّ التي تستغرقُه، واستحضارَ الأنظارِ الخارجيّةِ كفيلٌ أمينٌ بتعيُّنِ دِلالةِ أحدِهما، والمثالُ الذي استصفاه الغزاليُّ لبيانِ هذه الدعوى هو الرّجلُ الذي إذا قالَ لجميعِ نسائه الحاضراتِ: طلّقتُكنّ، ولجميعِ عبيدِه: أعتقتُكم، فإنّ ذلك قدْ يرتفعُ عنه العمومُ، وإنْ كانتْ وشايةُ العمومِ تَرِدُ على خاطرِنا مِن ظاهرِه، ولكنّ الدّخولَ في مقاميّاتِ الحدثِ الكلاميِّ، والوقوفَ على تفاصيلِ هذا «المسرح» اللّغويِّ الحيِّ يُفضيانِ إلى تجلّي مَقْصِدِ «الخصوصِ»، وانزواءِ مَقْصِدِ العمومِ؛ ذلك أنّه «إنّما يكونُ مخاطباً مِن جملتِهم مَن أقبلَ عليه بوجهِه، وقَصَدَ خطابَه، وذلك يُعرَفُ بصورتِه وشمائلِه والتفاتِه ونظرِه»(٢١)، وفي مقامٍ آخرَ مجلٍّ لنظرِ الإمامِ المُعْجِبِ القائمِ على استرفادِ الحالِ ولغةِ الوجوهِ القائمِ لا على وضعِ قاعدةٍ عريضةٍ، أو موقفٍ قَبْليٍّ، كالتّقريرِ بالعمومِ أو الخصوصِ، ومِن ثَمّ لَيُّ عُنُقِ النّصِّ حتّى يستجيبَ لها أو لهوى النّفسِ، عَرَضَ الغزاليُّ صورةً كلاميّةً حيّةً مفادُها أنّ الرّجلَ قدْ يحضرُه جماعةٌ مِن الغلمانِ والبالغيـــن والصّبيانِ، فيقولُ: اركبوا معي، وهنا لا يمكن دعوى العمومِ في لفظِه ذاك؛ إذْ إنّه قدْ يريدُ مَن همْ أهلٌ

للرّكوبِ دونَ مَن ليسوا أهلاً لذلك، وآنَ هذا، فإنّ خطابَه لا يتناولُ إلاّ مَن قَصَدَه، «ولا يُعرَف قصدُه إلا بلفظِه أو شمائله الظّاهرة»[٢٢].

تعاورٌ بينَ العمومِ والخصوصِ:

وفي حديثِ الإمامِ عن العمومِ والخصوصِ يقرّرُ قاعدةً أسلوبيّةً لها حضورُها في كلامِ العربِ، ومِن ذلك أنّ المرءَ قدْ يُعبّرُ بلفظِ العمومِ عن كلِّ ما حَضَرَ في فكرِه، ومِن ذلك القولُ: ليس لقاتلٍ مِن الميراثِ شيءٌ، فإذا ما استُدْرِك عليه بقولٍ ينقضُ ما ظهرَ مِن عمومٍ في كلامه: الجلاّدُ والقاتل قصاصاً! فعندَ ذلك ينسخُ المتكلّمُ الأوّلُ عمومَ لفظه بقوله: ما هذا الذي أردتُ، و لمْ يخطرْ لي بالبال[٢٣]، «فإذا اعتقدَ العمومَ قطعاً فذلك لجهله، بلْ ينبغي أنْ يعتقدَ أنّه ظاهرٌ في العمومِ، مُحتملٌ للخصوصِ»[٢٤]، و لمْ يكتفِ الغزاليُّ بالإلماحِ إلى هذا السّمْتِ الأسلوبيِّ في كلامِ العربِ، بل ذهبَ إلى التّقريرِ بأنّ «إرادةَ الخاصِّ باللّفظِ العامِّ غالبٌ معتادٌ، بل هو الأكثرُ»[٢٥]، وليس يَخفى أنّ المُعوَّلَ عليه في تعيينِ المتعيِّنِ، إنْ خُصوصاً، وإنْ عموماً، هو سياقُ الحالِ وما تشتملُ عليه هذه الدّلالةُ العَريضةُ مِن أبوابٍ تنضوي تحتَها، ولعلّه يحسنُ أنْ أعقّبَ باحتراسٍ بعدَ هذا المتقدّمِ؛ إذ إنّه لا ينبغي أنْ يَذهبَ الظّنُّ إلى عتبةِ القولِ بأنّ الإمامَ لمْ يحتكمْ إلا إلى سياقِ الحالِ في تعيينِ الخصوصِ أو العمومِ؛ إذْ إنّ الأمرَ بالضّدّ، فقدْ بيّن أنّ أدلّةَ التّخصيصِ – على سبيلِ التّمثيلِ لا الحصرِ – قد تكونُ قولاً، وفي هذا إلماحةٌ إلى سُهْمَةِ السّياقِ البنيويّ في الإبانةِ وبيانِ المَقاصد، ومِن ذلك قولُنا: جاءَ طلاّبُ المحاضرةِ كلّهم، فهذا قولٌ فيه استغراقٌ وعمومٌ باللّفظِ وتطويلِ الكلامِ، وقدْ يكونُ فعلاً أو قرينةً، وقدْ تقدمتْ مُثُلٌ تجلّي هذا المَطْلَبَ مِن قبلُ، وقدْ يكونُ دليلَ عقلٍ[٢٦]، ولذلك ردّ الإمامُ على مَن أنكرَ صِيَغَ العمومِ وجَعلَها مُجْمَلَةً مُحتملةً، فعلى هؤلاء

- كما يرى – ألاّ ينكروا التّخصيصَ إذا دلّتْ عليه قرائنُ[٢٧]، ومِن ذلك أنّ المريضَ إذا قال لغلامِه: لا تُدخلْ عليّ النّاسَ، فأدخل عليه جماعةً مِن الثّقلاءِ، وزعم أنّه أخرجَ هذا مِن عمومِ لفظِ النّاسِ، استوجبَ التّعزيرَ[٢٨].

والحقّ أنّ هذا البابَ – أعني العمومَ والخصوصَ – كان قدْ طرقَه ابنُ فارسٍ قَبْلاً، فرأى أنّ العامّ هو الذي يأتي على الجملةِ لا يغادرُ منها شيئاً، وأنّ الخاصّ هو الذي يقعُ على شيءٍ دونَ أشياءَ، وأنّ ثمّة خاصّاً يُرادُ به عامٌّ، وعامّاً يُرادُ به خاصٌّ[٢٩].

استرفادُ الحالِ ناسخٌ للاحتمالِ:

وليسَ يخفى أنّ الكلامَ، إنْ كلمةً، وإنْ جملةً، قدْ يُشكِلُ إنْ انسلخَ من سياقِه وملابساتِ حدوثِه، ومِن ذلك قولُنا: هذا حديثٌ صحيحٌ، فقدْ تحتملُ معنيينِ، أوّلُهما أنّها قيلتْ في سياقِ علمِ الحديثِ وما يعقبُه مِن تعديلٍ وجرحٍ وبيانٍ لضروبِ الأحاديثِ الشّريفةِ، وقدْ تكونُ في سياقٍ آخرَ المَقْصدُ منها أنّ الكلامَ صحيحٌ لا شبهةَ عليه ولا شِيَةَ فيه، ومِن الظّاهرِ أنّ الإمامَ نبّه إلى مِثلِ هذا في مواضعَ متفرّقةٍ في مُستصْفاه[٣٠]، ومِن ذلك دلالةُ «الماء»، والطّريفُ في هذا أنّنا جميعاً نلتقي على دِلالةِ الماءِ تواضعاً لِما رانَ عليه إلفُنا اللّغويُّ المُستحكِم، وينبنـــي على هذا أنّنا نُجمعُ على الدّلالةِ المركزيّةِ المركوزةِ في الدّالِّ «الماء»، ولكنّ للماءِ أحوالاً دلاليّةً تتباينُ بتباينُ أحوالِه في العالمِ الخارجيِّ، فثمّ ماءٌ عذبٌ فُراتٌ، وثانٍ ملحٌ أُجاجٌ، وثالثٌ آسنٌ، ورابعٌ ممّا نَسقي به الأنعامَ والبهائمَ، ومن وجهةٍ اجتماعيّةٍ خارجيّةٍ أخرى، ثَمّ ماءٌ حميمٌ، وثانٍ باردٌ، وثالثٌ فاترٌ بينَ بينَ، فإذا ما ذُكرتْ كلمةُ الماءِ مطلقةً، فإلى أيِّ ضَربٍ تُومِئ؟ لعلّ الجوابَ الشّافيَ لا يتعيّنُ إلاّ باسترفادِ السّياقِ وحالِ المُتكلّمِ والسّامعِ والمكانِ والزّمنِ، وهذا ما ألمحَ بلْ صرّحَ به الإمامُ، فلنا أنْ نُسرّحَ الخاطرَ معَه متخيّلينَ أنّ مائدةً التقى عليها

عائلةٌ، فإذا ما قالَ ربُّها على المائدة: «هاتِ الماءَ، فُهِمَ أنّه يُريدُ الماءَ العذبَ الباردَ دونَ الحارِّ الملحِ»[٣١]، كلٌّ ذلكمْ مَعانٍ نقتنصُها بهدي مِن السّياقِ بمعناه العَريضِ، وقد يُؤتَى الطالبُ بالماءِ الحميمِ في سياقٍ مقاميٍّ آخرَ، واللّطيفُ في هذا كلّه أنّ المخاطِب لا يُعيِّنُ نوعاً مِن الماءِ، بلْ يُرسلُ كلامَه مُجْمَلاً معوِّلاً على المعنى الذي يقتضيه المسرحُ المقاميُّ وما يرشّحه مِن نوعٍ مخصوصٍ مِن الماءِ.

أثرُ الدّلالةِ الصّوتيّةِ في تعيينِ المعاني الكلاميّة:

ثمّ يلتفتُ الإمامُ إلى التّنغيمِ، وهو مطلبٌ صوتيٌّ له خطرُه في الأحداثِ الكلاميّةِ الحيّةِ، وحدُّه أنّه اختلافُ درجة الصّوتِ ارتفاعاً أو انخفاضاً[٣٢]، ليَعقبَ هذا التّباينَ الصّوتيَّ تباينٌ معنويٌّ، ومِن ذلك قولُنا في حدثٍ كلاميٍّ حيٍّ: محمّدٌ جاءَ، والحقّ أنّ انسلاخَ هذا التّركيبِ البنيويِّ مِن سياقه يُفضي إلى الولوجِ في الاحتمالِ مِن بوّابةٍ عريضةٍ، ولنْ يُرفعَ ذلكم الاحتمالُ إلا باستردادِ الحالِ، فقدْ تكونُ الجملةُ، على هيئةِ تنغيمٍ معيّنٍ، استفهاميّةً، وعلى هيئةٍ أخرى تعجّبيّةً، وعلى نحوٍ ثالثٍ خبريّةً، والظّاهرُ أنْ لا قِبَلَ لنا بتعيينِ هذه المعاني النّحويّةِ في اللّغةِ المكتوبةِ إلاّ بالعَوْدِ إلى علاماتِ التّرقيمِ التي تقومُ مَقامَ التّنغيمِ، وقدْ أشارَ صاحبُ نظريّةِ السّياقِ إلى هذا المَلْحَظِ الفاعلِ في الإبانةِ وتعيينِ المقاصدِ الكلاميّةِ، فذهبَ إلى أنّ «التّجافي عن الأنماطِ التّنغيميّةِ في دراسةِ النّحوِ تجعلُها ناقصةً قاصرةً، وإلى أنّ دراسةَ اللّغةِ المنطوقةِ في علمِ المعنى الوصفيِّ لا تكونُ مكتملةً إلا إذا اعتمدتْ على قواعدَ صوتيّةٍ لأنماطِ تنغيميّةٍ...»[٣٣].

وقد عدّ الإمامُ «التّنغيمَ»، وإنْ لمْ يصرّحْ بهذا المصطلحِ اللّسانيِّ الحديثِ، إذْ لا مَشاحةَ في الألفاظِ — عدّه قرينةً تنضافُ إلى مُحدّداتٍ ترشّحُ لمعنى دونَ آخرَ، ومثالُ ذلك أنّنا نعلمُ قصدَ المتكلّمِ إذا قالَ: «السّلامُ عليكم، أنّه يريدُ

التّحيّةَ أو الاستهزاءَ أو اللّهوَ»[٣٤]، وهكذا يُقيم الغزاليُّ بَوناً جليّاً بين معنيين يتخلّقان من تنغيمين متباينين، فقدْ تغدو تحيّتُنا التي فيها سلامٌ سُبّةً واستخفافاً بمنْ أُلقيتْ عليه إذا ما حيكتْ بتنغيمٍ يُلتمَسُ منه الاستهزاءُ لا السّلامُ.

تَشاكلُ الأساليب:

الأمرُ والنّهيُ مثالَين:

مِن بَدهيِّ القولِ أنّ الأفعالَ تُقسَمُ إلى الماضي والمضارعِ والأمرِ، والذي يغلبُ على هذه القسمةِ أنّ مُحتكَمَها الأوّلَ الزّمنُ، والحقُّ أنّ هذه القسمةَ لا تُعيِّنُ زمنَ الفعلِ إلاّ وهو مُنسلخٌ مِن سياقِه في الغالبِ، فقولُنا «يَتهجّدُ» فعلٌ مضارعٌ، ولكنّه يغدو ماضياً آنَ دخولِه في سياقٍ بِنيويٍّ من مثلِ «لمْ يَتهجّدْ»، والزّمنُ المتعيّنُ منه المضيُّ، وقولُنا: «سيتهجّد» زمنُه خالصٌ للاستقبال، وقولُنا، في سياقٍ بنيويٍّ آخرَ: إذا تهجّد محمّدٌ فأَكْرِمْه، زمنُه الاستقبالُ وإنْ جاءَ في حلّةِ الفعلِ الماضي، ولذا يتعيّنُ على المرءِ أنْ يُقيمَ بَوْناً بينَ الزّمنِ الصّرفيِّ المُوغلِ في الإطلاقِ والعموميّةِ، والزّمنِ النّحويِّ المُعيَّنِ مَقْصِدُه على وجهِ الإحكامِ.

ويقفُ الإمامُ عندَ مبحثٍ فَرعيٍّ يُلابسُ ما تقدّم، وهو في الأمرِ والنّهيِ، وحدُّ الأوّلِ: القولُ المقتضِي طاعةَ المأمورِ بفعلِ المأمورِ به، وحدُّ الأخيرِ: القولُ المقتضِي تركَ الفعلِ، ولكنّه يستدركُ على نفسه مُلتمساً وجهةً اجتماعيّةً تفعلُ في تعيينِ معنى الأمرِ أو النّهيِ؛ ذلك أنّه ليس مِن ضرورةٍ أنْ يكونَ الأمرُ واجبَ الطّاعة[٣٥]، فصيغةُ الأمرِ قدْ يكونُ المَقْصدُ منها التّهديد، كقوله: «اعملُوا ما شئتُم»، وقدْ تكونُ للإباحة، كقوله: «وإذا حَلَلتُم فاصطادُوا»[٣٦]، ولوْ حُمِلَ فعلُ الأمرِ على ظاهرِ لفظِه لتعيّنَ وجوبُ الصّيدِ على كلِّ متحلّلٍ، ولكنّ ذلك ليس كذلك؛ إذْ دِلالةُ الفعلِ – وإنْ كانتْ بالمعنى الصرفيِّ أمراً – هي الإباحةُ.

وقد عرّج الغزاليُّ على وجوهِ دلالةِ فعلِ الأمرِ في سياقاته المتباينة، فقدْ عرضَ خمسةَ عشرَ وجهاً سياقيّاً في إطلاقِ صيغةِ الأمرِ، وسبعةَ أوجهٍ في إطلاقِ صيغةِ النّهيِ، ومِن ذلك أنّ النّهيَ قدْ يكونُ للتّحريمِ، والكراهيةِ، والتّحقيرِ، وبيانِ العاقبةِ، والدّعاءِ، والإرشادِ. والأمرُ قدْ يكونُ للوجوبِ، والنّدبِ، والإباحةِ، والتّأديبِ، والإهانةِ، والتّسويةِ، وغيرِ ذلك(٣٧)، وقدْ رأى الغزاليُّ أنّ هذه الأوجهَ التي عدّها الأصوليّون شغفاً منهم بالتّكثيرِ بعضُها كالمتداخلِ، ومِن ذلك قولُه: «كُلْ ممّا يَليك»، فقدْ جُعلَ للتّأديبِ، وهو داخلٌ في مضمارِ النّدبِ، والآدابُ مندوبٌ إليها(٣٨)، وقدْ وقف الغزاليُّ على مبحثٍ ذي شأنٍ في الدّرسِ اللّغويِّ مستذكراً تساؤلَ بعضِ الأصوليّيـــن: هلْ للأمرِ صيغةٌ؟ فالإشكالُ ينزغُ مِن أنّ قولَه: «افعلْ» هلْ يدلُّ على الأمرِ بمجرّدِ صيغته إذا تجرّد عن القرائنِ(٣٩)، وقدْ وقفَ عندَ هذا التّساؤلِ الباجيُّ الأصوليُّ من قبلُ، واللافتُ أنّ الغزاليَّ في مستصفاه كانَ يتردّدُ بينَ السّياقيـــنِ في الإجابة، فقدْ يُدلُّ عليه تارةً بالإشارةِ والفعلِ، وتارةً بالألفاظِ(٤٠)، وقدْ ألمحَ أيضاً بأنّ جماعةً مِن الفقهاءِ - كما يقرّر الإمامُ - يرَون أنّ قولَه: «افعلْ» أمرٌ معوّليـــن على صيغتِه وتجرّدِه مِن القرائنِ الصّارفة له عن جهةِ الأمرِ إلى الإباحةِ أو التّهديدِ أو غيرِهما(٤١)، فقدْ زعموا أنّه لوْ صدرَ مِن النّائمِ أو المجنونِ لمْ يكنْ أمراً للقرينة(٤٢)، والحقّ أنّ الذي انقدحَ في خواطرِ الإمامِ مِن تمايزٍ بينَ معاني الأمرِ المُفترِقةِ، والمؤتلفةِ في مبانٍ متّفقةٍ، كانَ قدْ هجسَ به المُبرّدُ قبْلاً، فقدْ رأى أنّ التّراكيبَ قدْ تتشاكلُ في وجهٍ ظاهريٍّ مُوهِمٍ، ولكنّها في جوهرِها متباينة، ومِن ذلك الدّعاءُ والطّلبُ والأمرُ والنّهيُ، وفي هذا يقولُ المُبرّدُ: «والدّعاءُ يَجري مَجرى الأمرِ والنّهيِ، وإنّما سُمّي هذا أمراً ونهياً، وقيل للآخرِ طلبٌ، للمعنى. فأمّا اللّفظُ فواحدٌ، وذلك

قولُك في الطَّلب: اللهمّ اغفرْ لي، ولا يقطعْ اللهُ يدَ زيد، وليغفرْ لخالد...»[٤٣].

وتبدو التفاتةُ الإمامِ إلى فضلِ السّياقِ في تعيينِ المعنى جليّةً في المُدارسةِ التي يُنشئها حولَ قولِ قائلٍ: «صُمْ»؛ إذْ إنّه من المُثُلِ المُصرِّحة بتخلّقِ الإشكالِ، وتعيُّنِ الاحتمالِ عندَ تغيُّبِ الحالِ، فالفعلُ في نفسه يتردّدُ بينَ الوجوبِ الذي يستلزمُ طاعةً، والنّدبِ الذي يستحسنُها. أمّا بالإضافةِ إلى الزّمانِ فهو متردّدٌ بينَ الفَوْرِ والتّراخي، فهلْ يقعُ عليّ فرضُ الصّومِ آنَ سماعي لهذا الأمرِ، أمْ أنّ هذا ذو دلالة عائمة مفتوحة ذاتِ تراخٍ لا فورٍ؟. أمّا بالإضافةِ إلى المقدارِ فإنّنا نُلفيه متردّداً بين المرّةِ والكرّةِ التي عمادُها استغراقُ العُمُر، والحقّ أنّ تلكم المُساءلات المتقدّمَ بيانُها آنفاً، والمُحتملةَ دلالاتُها، قدْ يغدو بابُ القولِ عليها ضَرْباً من المُعاياةِ أو التكلّفِ في الدّرسِ اللّغويّ، والحاصلُ أنّ ذلك ليس كذلك البتّة؛ إذْ إنّ تغييبَ السّياقِ بشعبيه: المَقاليّ والمقاميّ، وجَعْلَ المادّة اللّغويّة سائحةً في هواءٍ طلقٍ لا حدودَ له يُفضيانِ إلى انفتاحِ دلالتِها، وانتفاءِ وقوفِ المرءِ على المَقْصدِ المركوزِ فيها في الغالبِ الكثيرِ. أمّا جوابُ الإمام عمّا تقدّم آنفاً من دلالةِ «صُمْ» المتردّدةِ بينَ الوجوبِ والنّدبِ، والفورِ والتّراخي، والمرّةِ والكرّةِ، فهو يرى أنّ هذا التردّدَ ليس في اللّفظِ نفسه على النّحوِ الذي يَعرِضُ لنا في المُشترَكِ اللّفظيّ، بلْ لأنّ اللّفظَ خلوٌ من سياقٍ يلفُّه، وهو، من وجهةِ نظرِ الغزاليّ، خالٍ من التّعرّضِ لكميّةِ المأمورِ به[٤٤].

دلالةُ التّركيبِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ:

وهذا موضعٌ آخرُ ينضافُ إلى المواضعِ المتقدّمةِ التي إنْ سُلختْ من سياقِها غدتْ مُحتملةً متردّدةً، وأوّلُ ما يميّزُ هذه المباحثةُ الجزئيّةُ أنّها ليستْ واقعةً في جبلّةِ اللّغة، وإنّما في التّشكيلِ الأسلوبيّ الذي يعمدُ إليه المتكلّمُ في

إخراجِ كلامِه، فقدْ يُفهمُ الكلامُ فهماً لفظيّاً على ظاهرِه، وحقّه الضّدُّ، كأنْ يُحمَلَ على مَحْملِ التّجوّزِ والانزياحِ اللّغويِّ، ومُثُلُ هذا المَطْلَبِ كثيرةٌ عن وفرةِ ما يشيعُ، أو ما شاعَ في مظانِّ العربيّةِ مِن وقائعَ تشهدُ ببيانِ صحّةِ هذا الذي نحن فيه[٤٥]، وقدْ وردَ الغزاليُّ على هذه المَسألةِ، وهي دَورانُ الاسمِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ، فجنحَ إلى التّقريرِ بأنّه إذا كانَ ذلك كذلك، فإنّ اللّفظَ للحقيقةِ إلى أنْ يدلَّ دليلٌ على أنّه أرادَ المجازَ[٤٦]، ومِن ذلك قولُنا: رأيتُ اليومَ حماراً، واستقبلني في الطريقِ أسدٌ، وليس يخفى أنّ هذا التّركيبَ البِنيويَّ متردّدٌ في دلالته الكلّيّة بينَ الحقيقةِ والمجازِ؛ ذلك أنّ «حماراً» يقعُ تحتَها معنيانِ، أوّلهما: مجازيٌّ «البَليد»، وثانيهما: حقيقيٌّ كما وُضِع في أصلِ الاستعمالِ، وكذلك الحالُ في كلمة «أسد»، واللّطيفُ في تجلّي الوجهةِ الاجتماعيّةِ أنّ الإمامَ تَخذَها مُحتَكَماً مِن مُحتكَماتٍ في تعيينِ إحدى تَينِكَ الدّلالتيْنِ؛ ذلك أنّه «لا يُحمَلُ على البَليدِ والشّجاعِ إلا بقرينةٍ زائدةٍ، فإنْ لمْ تظهرْ فاللّفظُ للبهيمةِ والسّبُعِ»[٤٧].

ثمّ يولّي الإمامُ وجهَه، في مبحثِ الحقيقةِ والمجازِ، شطرَ مبحثٍ فَرعيٍّ عنوانُه في الدّرسِ اللّسانيِّ الحديثِ «المجازُ الميّتُ»[٤٨]، وقدْ وسمه بالمتروكِ، وفَصْلُ القولِ فيه أنّ دلالاتِ الألفاظِ في حركةٍ دائبةٍ متوثّبةٍ على نحوٍ يُفضي إلى تطورِّها، وانتقالِها مِن مضمارٍ إلى مضمارٍ وِفاقاً لأعراضٍ مخصوصةٍ، كالتّعميمِ أو التّخصيصِ أو الرّقيِّ...[٤٩]، وليس هذا الذي رَمَى إليه الغزاليُّ، بلْ ألمحَ إلى أنّ ما قدْ كانَ مجازاً قَبْلاً، قدْ يصيرُ حقيقةً بَعْداً، أو لنقلْها بلغةِ الإمامِ نفسه: يصيرُ كالمتروكِ، وإذا نحن استرجعْنا لغةَ الفقهاءِ فإنّ الأصلَ قدْ يصيرُ فَرعاً، والفَرعُ قدْ يصيرُ أصْلاً، وقدْ ضربَ مثالاً يُبِيــنُ عنْ مقصوده مِن هذا النّظرِ المتقدّمِ بيانُه، ومِن ذلك الغائطُ والعَذِرَةُ، والعَذِرَةُ في أصلِها فناءُ الدّارِ، ولكنّها

تطوّرتْ بفعلِ الاستعمالِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ فغدتْ تدلُّ على الغائطِ الذي هو السَّلْحُ(٥٠)، «وقيل إنّها سُمِّيتْ عَذِرات لأنّها كانتْ تُلقَى بالأفنية، فكُنِّيَ عنها باسمِ الفناء، كما كُنِّيَ الغائطُ، وهي الأرضُ المطمئنَّةُ، عنها(٥١)، وقد قيلَ إنَّ الرّجلَ إذا أرادَ التبــرّزَ ارتادَ غائطاً من الأرضِ يَغيبُ فيه عنْ أعينِ النّاسِ، ثمّ قيلَ للبرازِ نفسه غائطٌ كنايةً عنه(٥٢)، والظّاهرُ إذاً أنّ مقاميّاتِ التّواصلِ، والعرفِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ قدْ أذنتْ بهذا التّطوّرِ اللّغويِّ فغدا ممّا استحكم فرانَ عليه إلفُنا، ولوْ أنّ قائلاً قالَ: «رأيتُ اليومَ عَذِرَةً أو غائطاً»، وهو يريدُ المعنى المُتقادمَ» لمْ يُفهَمْ منه المطمئنُّ مِن الأرضِ وفناءِ الدّارِ، لأنّه صارَ كالمتروكِ بعُرفِ الاستعمالِ، والمعنى العرفيُّ كالمعنى الوضعيِّ في تردّدِ اللّفظِ بينهما، وليس المجازُ كالحقيقيِّ، لكنّ المجازَ إذا صارَ عرفيّاً كانَ الحكمُ للعُرفِ»(٥٣).

وممّا يتعلّقُ بأذيالِ هذا المَطْلَبِ؛ مَطلبِ الحديثِ عن فضلِ استرفادِ الحالِ الرّافعِ للاحتمالِ، تنبُّهُ الإمامِ إلى أثرِ تقادمِ الزّمنِ الذي قدْ يُفضي إلى قطعِ الحدثِ الكلاميِّ عن سياقه، لينبنــيَ على هذا تفاصلٌ لا تواصلٌ، وقدْ أشارَ إلى هذا المَلحَظِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ آنَ ورودِه على مبحثِ «في تعارضِ العمومَين»(٥٤)، عارضاً لُمساءلة تَرِدُ عليه مِن هذا البابِ، ويتجلّى النّظرُ اللّغويُّ الاجتماعيُّ عندَه في الإجابةِ عنْ مُساءلةٍ تقولُ: هلْ يجوزُ أنْ يتعارضَ عمومانِ، ويَخلُوَا عنْ دليلِ ترجيحٍ؟ وقدْ استقبلَ الإمامُ إجابتَه عنْ تلكم المُساءلةِ بالإشارةِ إلى أنّ قوماً مِن الفقهاءِ قالوا لا يجوزُ، وفي ذلك مَغْلَطَةٌ عندَه؛ إذْ إنّه يتّحسسُ أثرَ الزّمنِ في هذه المَسألةِ، فثَمّ قيمٌ معنويةٌ مفقودةٌ، وهي مِن الهوادي إلى المتعيّنِ، كالقرائنِ والأحوالِ والمقاميّاتِ، ولذا فقدْ قرّر الإمامُ، بالفيءِ على هذا الفهمِ الاجتماعيِّ، أنّ القولَ بتعارضِ العموميــنِ جائزٌ لا يُدْفَعُ، «ويكونُ مُبيّناً لأهلِ العصرِ

الأوّلِ، وإنّما خَفِيَ علينا لطولِ المدّةِ، واندراسِ القرائنِ والأدلّةِ»[٥٥]، والحقّ أنّ هذا النّصَّ المُقتَبسَ يتساوقُ، في دلالتِه الكلّيّةِ، معَ نصٍّ يقفُ فيه الجُرجانيّ صاحبُ «الوَساطة» على سُهْمَةِ هذا الباعثِ في تخلّقِ الإشكالِ، ومِن ذلك تعقيبُه على قولِ الأعشى:

إذا كـانَ هادي الفَتى في البِلا   دِ صَـدْرَ القَـناةِ أطاعَ الأميرا

فهو يرى أنّ هذا البيتَ خلوٌ مِن التّعقيدِ، وأنّه بعيدٌ لفظُه عن الاستكراه، فألفاظُه لا تُشْكِلُ على العامّةِ، بلْ على أدناهم، ولكنّ الإشكالَ في غيابِ شاهدِ الحالِ الذي يغلّفُ هذا السّياقَ البنيويَّ، ولذا يغدو الوقوفُ على المتعيِّنِ الكلّيٍّ مِن كلامِ الأعشى مُتعذّراً لتعذّرِ استشرافِ سياقِ الحالِ، وشاهدِ الأعشى، «فإذا أردتَ الوقوفَ على مرادِ الشّاعرِ، فمن المُحالِ عندي، والمُمتنعِ في رأيي، أنْ تصلَ إليه إلاّ مِن شاهدِ الأعشى بقولِه...، فأمّا أهلُ زماننا فلا أجيزُ أنْ يعرفوه إلاّ سَماعاً إذا اقتصرَ بهم مِن الإنشادِ على هذا البيتِ المُفْرَدِ»[٥٦]، ومِن شيعةِ نظريّةِ السّياقِ المُحدَثين الذين يَهْجِسون بمثلِ هذا الذي سبقهم إليه الجُرجانيّ والغزاليٍّ «أولمان»؛ ذلك أنّه يشيـرُ إلى أنّنا لو «قمنا بمقارنةٍ كاملةٍ بين فترتيـنِ لتكشّفَ لنا الأمرُ عن اختلافاتٍ عميقةٍ كثيرةٍ، مِن شأنِها أنْ تعوّقَ فهمَ المرحلةِ السّابقةِ وإدراكَها إدراكاً تامّاً»[٥٧].

دلالاتٌ هامشيّةٌ ومَعانٍ عاطفيةٌ:

ويلتفتُ الغزاليُّ، على نحوٍ مُعجِبٍ، إلى مبحثٍ في الدّرسِ اللّسانيِّ حديثٍ، ومضمارُه الأوّلُ الدّلالاتُ الهامشيّةُ المتأتّيةُ مِن خاصٍّ أمرِ الفردِ، ودخيلةِ النّفسِ، والهوى، وهي، بلا ريبٍ، دلالاتٌ تنضافُ إلى الدّلالةِ المركزيّةِ التي يَلتقي عليها أبناءُ النّظامِ اللّغويِّ الواحدِ مِن جهةٍ، وما تُثبتُه المُعجماتُ في

بطونها من جهة أخرى، ولذا يَحدثُ تمايزٌ بينَ معنيين يكتنفان بعضَ الكلمات؛ أوّلُهما المعنى الإشاريُّ، وهو الذي التقى عليه أبناءُ النّظامِ تواضعاً وانعقاداً لإجماعِهم على دلالتِه، وثانيهما معنى عاطفيٌّ هامشيٌّ، وهو إيحاءاتٌ عاطفيّةٌ، ومعانٍ هامشيّةٌ، تتباينُ بتباينِ الأفرادِ والثّقافةِ والطّبيعةِ التي فُطرَ المرءُ عليها(٥٨)، ومِن ذلك دلالةُ «البَحرِ»؛ إذْ إنّه قد يكونُ عندَ فرد ممّا يُستَعاذُ بالصّمتِ مِن أمثاله، لأنّه فَقَدَ عزيزاً في البحرِ أو كادَ، فيُحوّلُ جمالَه إلى شناعة، وأنغامَه إلى عويلٍ، وقدْ يكونُ عندَ آخرَ ممّا يُستَلاذُ به، إذْ هو ممّا يُفتّقُ عليه الخاطرَ، فتجودُ القريحةُ المنتشيةُ، واللافتُ للخاطرِ أنّ هذين الفردَين يتّفقان في تعيينِ المعنى الإشاريِّ وفاءً للإلْفِ اللّغويِّ المستحكِمِ، ولكنّهما يفترقان فيما يغلّفُ هذا المعنى الإشاريَّ مِن دلالاتٍ فرديّة عاطفيّة، وقدْ أشار «أولمان» إلى أنّ بواعثَ العنصرِ العاطفيِّ في الكلمة قدْ تتعدّدُ، «فأحياناً يكونُ المعنى بطبيعته مُثيراً للشّعورِ والإحساساتِ القويّة، من ذلك أنّ الكلماتِ التي تدلُّ على القيمِ الأخلاقيّةِ نحو: حريّة، عدل، حقٌّ، والصفات التي تستعملُ في المدحِ أو القدحِ، مثل: طيّبٍ، جميلٍ، رقيقٍ، شنيعٍ، دنيءٍ، حقيرٍ، كلّها ألفاظٌ يصعبُ تخليصُها أو تجريدُها ممّا فيها مِن إيحاءاتٍ ذاتيّة عاطفيّة»(٥٩).

والحقُّ أنّ هذا الذي قرّره «أولمان» قد سبقه إليه الغزاليُّ بعباراتٍ مُلمحة ومصرِّحة باستشرافِ هذا النّظرِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ، فقدْ شرعَ الغزاليُّ بمحاورةِ هذا المبحثِ مُستفتحاً قوابلَ حديثِه برأيِ المعتزلةِ الذين ذهبوا إلى أنّ الأفعالَ تنقسمُ إلى حسنة وقبيحة، ولكنّه لمْ يرَ رأيَهم، فاستدركَ عليهم مُقيماً على رأيِ ذي ثلاثِ شُعَبٍ: أوّلُها أنّ الأفعالَ تنقسمُ إلى ما يوافقُ غرضَ الفاعلِ، وثانيها أنّ بعضَها يخالفُ غرضَه، وثالثُها غيرُ متردّدٍ بينَ الموافقةِ والمخالفةِ، فالموافقُ يُسمّى

حَسَناً، والمُخالفُ يُسمَّى قُبْحاً، والثّالثُ يُسمّى عَبَثاً، ولذلك كلّه يتباينُ الأفرادُ في الدّلالاتِ العاطفيّةِ، والمعاني الهامشيّةِ التي تكتنفُ بعضَ الكلماتِ، ويضربُ الإمامُ مثالاً بجليّاً لهذا النّظرِ المتقدِّمِ مستعيناً بدلالةِ «القتلِ» و«السّوادِ»؛ ذلك أنّ المعنى الإشاريَّ لِتَيْنِكَ الكلمتيـــنِ لا يختلفُ عليه اثنان، ولكنّه قدْ ينضافُ إلى هذا الاتّفاقِ افتراقٌ؛ افتراقٌ في دِلالاتِ «القتلِ» أو «السّوادِ» الهامشيّةِ، فقتلُ الملكِ «يكونُ حَسَناً في حقّ أعدائه، قبيحاً في حقِّ أوليائه،...، وربَّ شخصٍ ينفرُ عنه طبعٌ، ويميلُ إليه طبعٌ، فيكونُ هذا حَسَناً في حقّ هذا، قبيحاً في ذاك، حتّى يَستحسنَ سُمرةَ اللّون جماعةٌ، ويَستقبحَها جماعةٌ، فالحُسْنُ والقُبحُ عندَ هؤلاءِ عبارةٌ عن الموافقةِ والمنافرةِ، وهما أمرانِ إضافيّان، لا كالسّوادِ والبياضِ؛ إذْ لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ الشيءُ أسودَ في حقِّ زيدٍ، أبيضَ في حقِّ عَمْرٍو»(٦٠).

فَضلُ العادةِ في الإفادةِ:

ويعرِّجُ الغزاليُّ على هادٍ موجِّهٍ للمعنى، وهو عادةُ المتكلّمِ التي عُرِفَ بها، وليس يَخفى، للوهلةِ الأولى، أنّنا نكادُ نتمثّلُ نظريّةَ السّياقِ عندَ «فيرث» من ألفِها إلى يائها عندَ الغزاليِّ، والمَلْحَظُ اللّطيفُ الذي يحسنُ أنْ يؤخَذَ بعينِ العنايةِ والرّويّةِ أنَّ للعادةِ فضلاً في الإبانةِ عن المعنى في مواضعَ، وقد جعلها الإمامُ مَدخلاً مُسانِداً لتعييـــنِ مَقْصِدِ العمومِ أو الخصوصِ في الحدثِ الكلاميِّ، وليسَ يخفى، مِن وجهةٍ ثانيةٍ، أنّنا نتحدّثُ، بالرّجوعِ إلى أركانِ نظريّةِ «فيرث»، عنْ حالِ المتكلّمِ والسامعِ والعَلاقةِ بينَهما، «كيفَ وصيغةُ العمومِ والأمرِ والنّهيِ قطّ لا تنفكُّ عن قرينةٍ مِن حالِ المأمورِ والمأمورِ به والآمرِ»(٦١).

ومِن المُثُلِ التي فيها فضلُ بيانٍ يجلّي مَطْلَبَ هذه المباحثةِ قولُ أحدِهم - كما يرى الغزاليُّ-: مَن دخلَ داري فأعطِه، وفي خواطرِنا أنّ صاحبَ هذا

القولِ يُعْلَمُ مِن عادته أنّه لا يقربُ الفاسقَ، ولا يكرمُه البتّةَ، فهذه قرينةٌ مخصِّصةٌ تنسخُ ما قدْ يقفزُ إلى الخاطرِ الأوّلِ مِن عمومٍ، وإذا ما أرادَ المأمورُ أنْ يستجليَ جوانبَ هذا الأمرِ فإنّه يحسنُ أنْ يسألَه بقولِه: ولوْ كانَ كافراً فاسقاً؟ لأنّ المأمورَ، في مُساءلتِه تلكم، يَحتكمُ إلى العادةِ القارّةِ في نفسِ الآمرِ، وفي الآنِ نفسِه، ليس يحسنُ استفهامٌ مِنه مضمارُه: وإنْ كانَ طويلاً أو أبيضَ، «وإنّما حَسُنَ السّؤالُ عن الفاسقِ لأنّه يُفهَمُ مِن الإعطاءِ في هذا السّياقِ الإكرامُ، ويُعْلَمُ مِن عادته أنّه لا يُكرمُ الفاسقَ...، فلتوهُّمِ القرينة المُخصِّصة حَسُنَ منه السّؤالُ، ولذلك لمْ يحسنْ في سائرِ الصّفات»[٦٢]، والحقّ أنّ الباجيَّ قدْ تنبّهَ إلى أثرِ العادةِ في الإبانة عن المعنى من قبلُ، إذْ رأى أنّ تخصيصَ العمومِ قدْ يتعيّنُ بعادةِ المُخاطبين، «لأنّ اللّفظَ إذا وَرَدَ حُمِلَ على عُرْفِ التّخاطبِ في الجهةِ التي وَرَد منها»[٦٣].

وممّا هو قريبٌ مِن بابِ القولِ على العادةِ وأثرِها في الدّلالة طبقةُ المتكلّمِ وثقافتُه، وقدْ وردَ هذا النّظرُ الاجتماعيُّ عندَ الإمامِ في مسألةِ «العددُ الكاملُ لحصولِ العلمِ»، فلمْ يفتْه التّنبيهُ إلى قرينة تعضدُ الخبرَ اللّغويَّ، ومن ذلك عرضُه لهذه المسألةِ، مُبتدئاً ببسطِ القولِ فيها، مُلمحاً إلى أنّ عددَ المُخْبِرينَ ينقسمُ إلى ما هو ناقصٌ فلا يفيدُ العلمَ، وإلى ما هو كاملٌ فيؤدّي الغرضَ، وإلى ما هو زائدٌ، وهو الذي يحصلُ العلمُ ببعضِه وتقعُ الزّيادةُ فضلاً عن الكفاية[٦٤]، ولكنّ الغزاليَّ لا يتركُ هذه المسألةَ مفتوحةً وقدْ غدا أمرُ العددِ المُحتَكَمَ الأوحدَ في حصولِ العلمِ؛ إذْ إنّه استدركَ على نفسه استدراكاً باعثُه الفيءُ إلى سياقِ الحالِ وملابساتِ الحدثِ الكلاميِّ، فرأى أنّ الخبرَ لا يستندُ إلى مُجرّدِ العددِ للحكمِ عليه بالصّدقِ أو ضدِّه، فقدْ تقومُ قرائنُ مخصوصةٌ مقامَ العددِ النّاقصِ لتُؤْذِنَ بتعيينِ صدقِ الخبرِ، وقدْ أنكرَ بعضُهم - كما يرى الإمامُ- أثرَ هذا المَطْلبِ،

«ولَمْ يلتفتْ إلى القرائنِ، ولَمْ يجعلْ لها أثراً، وهذا غيرُ مرضيٍّ...»، ومُجرَّدُ القرائنِ أيضاً قدْ يُورِثُ العلمَ وإنْ لَمْ يكنْ إخبارٌ، فلا يبعدُ أنْ تنضمَّ القرائنُ إلى الإخبارِ، فتقومَ بعضُ القرائنِ مقامَ بعضِ العددِ من المُخْبِرِينَ»[٦٥]، ويسترفدُ الغزاليُّ واقعةً مِن منسوجِ خيالِه مُحامياً بها عن نظرتِه، مُجلِّياً لفكرتِه، ومُستصفاها أنّه لو تعيّنَ أنّ ثَمّة حدثاً كلامياً مضمارُه إخبارُ خمسةٍ أو ستّةٍ عن موتِ إنسانٍ، فإنّ ذلكم – أعني الحدثَ الكلاميَّ – يغدو معضوداً بقرينةٍ عنوانُها المقامُ وأحوالُ المتكلّمينَ التي تُفضي إلى حصولِ العلمِ الكاملِ مِن الخبرِ، والقرينةُ هي انضمامُ والدِ الميّتِ إلى الخبرِ والمُخبِرِينَ، وهو – مِن بُعْدٍ اجتماعيٍّ آخرَ يُعدُّ قرينةً مُعَيِّنَةً – مِن ذوي المناصبِ والمروءةِ التي تبعثُنا على إلحاقه بِرَكْبِ مَن ينتسبونَ إلى عِلْيَةِ القومِ وخاصّتِهم، ولكنّه خرجَ مِن بيتِه «حاسرَ الرّأسِ، حافيَ الرّجْلِ، ممزَّقَ الثّيابِ، مضطربَ الحالِ، يصفِّقُ وجهَه، وهو رجلٌ كبيرٌ ذو مَنْصبٍ ومُروءةٍ، لا يخالفُ عادتَه ومروءتَه إلاّ عن ضرورةٍ، فيجوزُ أنْ يكونَ هذا قرينةً تنضمُّ إلى قولِ أولئكَ، فتقوم في التّأثيرِ مقامَ بقيّةِ العددِ»[٦٦].

ما وراءَ الكلامِ:

المسكوتُ عنه والمنطوقُ به:

وعلى صعيدٍ لغويٍّ آخرَ يتنبّهُ الغزاليُّ إلى أنّ دلالةَ الحدثِ الكلاميِّ الكلّيّةَ لا تُستقى مِن الألفاظِ وحدَها؛ ذلك أنّ ثَمّ محدّدات أخرى كلاميّةً وغيرَ كلاميّةٍ تفعلُ في تشكيلِ المعنى وتعيينه، ولذا تَلقّى القارئَ، في ثِنْي قراءته للمستصفَى، إشاراتٌ وملاحظُ مُعجبةٌ تُنبِئ عن إلحاحِ الغزاليِّ على هذا المَطلبِ، «فاعلمْ أنّ كلَّ مَن طلبَ المعانيَ أوّلاً مِن الألفاظِ ضاعَ وهلكَ، وكانَ كمَن استدبرَ المَغرِبَ وهو يطلبُه»[٦٧]، وفي مقامٍ آخرَ عرّجَ على

مباحثَ مضمونُها ما يُقتَبسُ مِن الألفاظِ لا مِن حيثُ صيغتُها، بلْ مِن حيثُ فحواهــا وإشــارتُها، ومِــن ذلك ما يُؤخَذُ مِن إشارةِ اللّفظِ لا مِن اللّفظِ، فالمتكــلّمُ قــدْ يُفهِمُ بإشارته وحركته في أثناءِ كلامه ما لا يدلُّ عليه نفسُ الــلّفظِ، وقــدْ وَسَمَ هذا بالإشارة(٦٨)، وما كانَ أكثرَ هذا المَلْحَظَ في كلامنا ومخاطباتــنا اليوميّة، ومِن مُثُلِ ما تقدّم تعريجةُ الغزاليِّ على مبحثٍ عنوانُه «فَهمُ غيرِ المــنطوقِ به مِن المنطوقِ بدلالةِ سياقِ الكلامِ ومقصوده»(٦٩)، وعلى صعيدِ لسانيٍّ غربيٍّ، تتجلّى للقارئِ مفارقةٌ لطيفةٌ بين كلامِ الإمامِ وكلامِ «جون لاينــز»، فقدْ أشارَ الأخيرُ إلى أنّ معنى الكلمةِ يتجاوزُ ما يُقالُ؛ ذلك أنّه يتضمّنُ ما هو مقصودٌ ضِــمناً، أوْ مــا يُفــتَرَضُ قبلاً، وللسِّياقِ صلةٌ وثيقة العُرى بهذا الجزءِ من معنى الوَحَــداتِ الكلاميّة(٧٠)، وفي مَقامٍ آخرَ يلتمسُ «لاينــز» أنّ ثَمّ مسكوتاً عنه أولى مِــن المــنطوقِ به، وفي هذا يقولُ في بابِ «الاستدلال والتّضمين»: «هناك معنى اعتياديٌّ للفعل "Imply"، إذ بوسعنا أنْ نعنيَ ضِمناً، بلْ إنّنا نعني ضمناً، في العادة، شــيئاً ما بواسطةِ وَحَداتنا الكلاميّة يختلفُ عمّا نقولُه فعلاً»(٧١)، وأحسبُ أنّ هذا يلــتقي مع قولِ الإمامِ، ومُستصفاه أنّ المتمسِّكَ بالمفهومِ والفحوى ليسَ متمسّكاً بــلفظٍ، بلْ بسكوت(٧٢)، وليس يخفى أنّ تلكم موضوعاتٌ لغويّةٌ اجتماعيّةٌ يتعيّنُ المَقْصِــدُ منها بالنّظرِ إلى السِّياقِ وما يكتنفُه مِن أنظارٍ وملابسات ومقاميّات تُنبئُ عــن المعنى، وهنا يقفزُ إلى الخاطرِ ملحظٌ لغويٌّ اجتماعيٌّ مفادُه أنّ المرءَ قدْ يرمي إلى مســكوت عــنْه جانحاً إلى منطوقٍ به، والقطبُ الثّاني مِن الحدث الكلاميِّ يقتنصُ هذه الدِّلالةَ المسكوتَ عنها وفاءً للحنِ القولِ وفحواه المُنعقد بينَ ذَيْنكَ القطبَيْنِ «المرسِل والمستقبِل»، ومِن ذلك عندَه ما ساقه تبييناً لهذا المبحث، وهو أنّ الدّلالةَ المسكوتَ عنها قدْ تكونُ أولى مِن المنطوقِ به، وذلك نحوُ قوله

- تعالى -: ﴿وَلا تقلْ لَهما أفٍّ﴾[٧٣]، فلفظُ التّأفيفِ ههنا يدلُّ على تحريمِ الضّربِ، بلْ يكونُ ذلك أسبقَ إلى الفهمِ مِن التّأفيفِ المذكورِ، إذْ التّأفيفُ لا يكونُ مقصوداً في نفسِه، بل يُقصَدُ به التّنبيهُ على منعِ الإيذاءِ بذكرِ أقلِّ درجاتِه، فهنا المسكوتُ عنْه هو الأصلُ في القصدِ الباعثِ على النّطقِ بالتّأفيف»[٧٤].

ويستشرفُ الغزاليُّ مقاماً آخرَ لقولنا: «وَلا تقلْ لَه أفٍّ»، والمفارقة التي تسترعي الخاطرَ في مثالِ الإمام أنه ساقَ سياقاً مقاميًّاً مغايراً لسياق قولِ الحقِّ - تباركَ في عُلاه- وذلك للإبانةِ عن تلوُّنِ الدّلالاتِ اللّغويّة بتلوّنِ المَقامات السياقيّة، إذْ إنّه قدْ تردُ على السّامعِ لهذا الأمرِ «لا تقلْ له أفٍّ» قرينةٌ لا تُحرِّمُ الضّربَ أو القتلَ المُبتغَى تحريمُه في جَنبِ الوالدَين، إذ الملكُ قدْ يقتلُ أخاه المنازِعَ له، فيقولُ للجلاّد: اقتلْه واضربْه، ولا تقلْ له أفٍّ[٧٥]، «وعندَ ظهورِ القرينة المذكورةِ ربّما تظهرُ قرينةٌ أخرى تمنعُ مِن هذا الفهمِ»[٧٦]، ولولا أنّ عهدَنا بأنّ تلكم الآيةَ قدْ سيقتْ في مقامِ تعظيمِ الوالدَيْنِ وتبجيلِهما لَمَا فَهِمْنا منعَ الضَّربِ والقَتْلِ مِن منعِ التأفيف[٧٧]، ومُستصفَى القولِ في الذي تقدّم آنفاً أنّ «ولا تقلْ له أفٍّ» مُحتملةٌ متردّدةٌ لا تتعيّنُ دلالتُها الكلّيّةُ إلاّ باسترفادِ سياقٍ يلفُّها، وأنّها - مِن وجهةٍ اجتماعيّةٍ أخرى - يُقتنَصُ منها أنّ المسكوتَ عنه أوْلى من المنطوقِ به، ومِن ذلك دِلالةُ بلْ دلالاتُ «الحمدُ للهِ» التي تقدّم بيانٌ لبعضِ المقاميّاتِ التي تَرِدُ فيها، وقدْ تبيّنَ أنّ القطبَين تواصلا وهما مُتمسّكان بسكوتِ مُلْمِحٍ لا منطوقٍ مُصرِّحٍ، وقدْ تجلّى ذلك في حادثةِ الطّعامِ التي اكتستْ فيها «الحمدُ لله» معانيَ متباينةً[٧٨].

ومِن الأمثلةِ المُبينةِ عن التمسّكِ بالمسكوتِ عنه، واطّراحِ المنطوقِ به حدثٌ

كلاميٌّ بينَ اثنينِ قدْ شرَعا في عملٍ، ثمّ لَقِيا مِن أمرِهما نَصَباً، فتوقّفَ أحدُهما قائلاً: الله، ما أشدَّ حرَّ هذه الهاجرةِ!، فقامَ الثّاني مِن مقامه راغباً عن العملِ، مُستجيباً لهذا المُثيــرُ الكلاميِّ؛ ففتحَ نافذةَ الغرفة، أوْ أدارَ المرْوَحةَ، أوْ فعلَ فعلاً يقتضيه الطّلبُ المُتضمَّنُ، واللّطيفُ في هذا أنّ المُخاطَبَ يَقَرُّ في خاطرِه أنّ مُنشِئَ الكلامِ لمْ يردْ لا التّعجّبَ، ولا الإخبارَ في قوله: «الله ما أشدَّ حرَّ هذه الهاجرةِ!»، بلْ جنحَ إلى الأسلوبِ المُغلّفِ، والمَبنى الملفّفِ القائمِ على إرادةِ المسكوتِ عنْه (بلغة الإمامِ)، أو التّضمينِ والاستدلالِ (بلغة لاينز)، فكانَ ما كانَ مِن استجابة المخاطَبِ، والظّاهرُ ههنا أنّ المسكوتَ عنْه أوْلى مِن المنطوقِ به، وقدْ يكونُ على صعيدٍ سياقيٍّ آخرَ قدْ أرادَ التّشكّي، فلا يَنْبنــي على هذا أيُّ استجابة فعليّةٍ يَنْهدُ إليها المخاطَب، كلُّ ذلكمْ يعيّنه سياقُ الحالِ عامّة، واقتناصُ المسكوتِ عنه خاصّة.

الخطابُ بينَ التّواصلِ والتّفاصلِ:

المتكلّمُ نائماً:

وفي مَعْرِضِ تعريجةِ الإمامِ على حدِّ الخبرِ يذكرُ تعريفاً جامعاً لا مانعاً؛ إذْ إنّه قدْ أُثِرَ، على وجهٍ مِن التحكّمِ، أنّ الخبرَ هو القولُ الذي يتطرّقُ إليه التّصديقُ أو التّكذيبُ، ومِن مثلِ ذلك قولُنا: زيدٌ قائم[٧٩]، ولكنّ الغزاليَّ قَلّبَ هذا التّعريفَ فألفاه قاصراً، والباعثُ على هذا أنّه فَزِعَ إلى استرفادِ سياقِ الحالِ عامّة، وحالِ المتكلّمِ خاصّة، فقولُنا: «زيدٌ قائمٌ» قدْ يكونُ خبراً، وقدْ يَنتفي عنْه الإخبارُ، فإذا ما صَدَرَ مِن نائمٍ يهذي، أوْ ممّنْ انتشى بسُكْرٍ غلبَه، فإنّه لا يكون خبراً البتّةَ، «بلْ يصيرُ خبراً بقصدِ القاصدِ إلى التّعبيرِ عمّا في النّفسِ»[٨٠]، والذي يظهرُ للمتبصّرِ مِن كلامِ الإمامِ أنّه يستبطنُ مقاميّاتِ الحدثِ الكلاميِّ وأقطابَه

إنْ مرسلاً، وإنْ مستقبلاً، حتّى يصلَ إلى تعريف جامعٍ مانعٍ لاشيَةَ عليه، ومن ذلك حالُ المتكلّمِ والقصدُ والظّرفُ الذي يشتملُ على ذلكم الحدثِ الكلاميِّ، واللّفتةُ اللّطيفةُ في الكلامِ المتقدّمِ آنفاً أنّ الإمامَ ينظرُ إلى اللّغةِ من حيثُ هي قيمةٌ تواصليّةٌ لها قُطبانِ يتجاذبانِ أطرافَ الحدث الكلاميِّ، فلا يكونُ الخبرُ عندَه إلا بالتّواصلِ والقصدِ والمَقامِ، وإلاّ كانَ كلاماً سائحاً في هواءٍ طَلقٍ ليس يتعيّنُ منه وظيفةٌ اجتماعيّةٌ هي التّواصلُ، وقد بيّنَ الآمديُّ الأصوليُّ أنّ الخبرَ قدْ يُطلَقُ على الدّلائلِ المعنويّةِ، والإشاراتِ الحاليّةِ، «كما في قولِهم: عيناكَ تُخبرُني، وقدْ يُطلَقُ على قولٍ مخصوصٍ»(٨١).

المتكلّمُ قاصداً:

وفي مُباحثاتِ الغزاليِّ الشّائقةِ يعرضُ إلى تعيينِ مفهومِ الخطابِ ومناقشةِ حدِّه، فالخطابُ ليس ثمّ بدٌّ من فائدةٍ تكتنفُه، وما لا فائدةَ فيه – من وجهةِ نظرٍ تواصليّةٍ وظيفيّةٍ- يَصيرُ وجودُه كعدمه(٨٢)، ولذا يتعيّنُ على القُطبِ الأوّلِ للحدثِ الكلاميِّ «المخاطِب» أنْ يبثَّ رسالتَه «الكلام» مُستعيناً بأداةِ الخطابِ «النّظامِ اللغويّ» الذي يمتلكُه مَنْ يقفُ وجاهَه «المخاطَب»، وإذا لمْ يكنْ المخاطَبُ ذا عهدٍ بهذا النّظامِ اللّغويِّ المُحمَّلِ بالخطابِ، فإنّ الأصواتَ التي ينتجُها المخاطِبُ تغدو في انبهامِها، واستعجامِ مرادِها، كخريرِ الماءِ، أوْ هديلِ الحمامِ. ومن وجهةٍ أخرى، قدْ يستعينُ المخاطِبُ بنظامه اللّغويّ المُستحكمِ استعانةً غيرَ وظيفيّةٍ، كأنْ يُطلسمَ أوْ يَهذيَ بلغوٍ لا طائلَ تحتَه، ومن ثَمَّ ترتفعُ عنْه صبغةُ الخطابِ، فلا «يجوزُ أنْ يقولَ: أبجد هوّز، ويريدُ به وجوبَ الصّلاةِ والصّومِ، ثمّ يبيّنُه من بعدُ، لأنّه لغوٌ من الكلامِ»(٨٣).

وعلى صعيدٍ آخرَ تشريعيٍّ، يظهرُ أنّ الرّكنَ الثّالثَ من أركانِ الحكمِ،

وهو المحكومُ عليه، ينبغي أنْ يفهمَ الخطابَ، ولذا تنتفي مخاطبةُ الجمادِ والبَهيمة، بلْ خطابُ المجنونِ والصبيِّ؛ إذْ إنّه تكليفٌ ربّانيٌّ مقتضاه الطّاعةُ والامتثالُ، «فمنْ لا يَفْهمُ كيفَ يُقالُ له افهمْ، ومَن لا يسمعُ الصّوتَ، كالجمادِ، كيفَ يُكلَّمُ، وإنْ سمعَ الصّوتَ كالبهيمةِ، ولكنّه لا يفهمُ فهو كمنْ لا يسمعُ»[٨٤].

ثمّ إنّ مفهومَ الإبانة «التّواصل» عندَه ليس مقصوراً على اللّفظِ، ومن هنا يتجلّى لنا إلحاحُ الإمامِ على هذا المَطلَبِ اللّسانيِّ القائمِ على إيلاءِ السّياقينِ عينَ العنايةِ في اقتناصِ مَقاصدِ الكلمِ، ورسومِ التّعبيرِ، ومن ذلك إشاراتُه إلى أثرِ استكمالِ السّياقِ البنيويِّ في تعيينِ المعنى، والمتأمّلُ في المُستصفَى يجدُ أنّ هذا الأثرَ مُستفيضٌ متكاثرٌ عندَه، وإخالُ أنّه يحسنُ عرضُ مُثُلٍ على وجهِ الاقتضاب، ومن ذلك «المشترَكُ اللّفظيُّ» الذي قدْ يُشكلُ إذْ يقعُ تحتَه معنيان، فقولُنا «عينٌ» مُلبسٌ محتملٌ معانيَ مُفترِقةً، تشتملُ عليها مبانٍ متّفقةٌ، ولكنّ إدخالَها في سياقٍ بنيويٍّ قدْ يُؤذِنُ، في الكثيرِ الغالبِ، بفهمِ المتعينِ منها، وقدْ صرّحَ بهذا الإمامُ، فقال: «ومَن قالَ: حدّ اللّونِ ما يُدرَكُ بحاسّة «العينِ» على وجهِ كذا وكذا، فلا ينبغي أنْ يُنكَرَ من حيثُ إنّ لفظَ العينِ مشتركٌ بينَ الميزانِ والشّمسِ والعضوِ الباصرِ، لأنّ قرينةَ «الحاسّة» أذهبتْ الاحتمالَ، وحصلَ التّفهيمُ الذي هو مطلبُ السّؤال»[٨٥]، وكذلك تصيّدُه دلالةَ كلمة «الخلق» المتلوّنةَ بتلوّنِ السّياقِ الذي تَرِدُ فيه[٨٦]، ومن مثلِ ما تقدّم التفاتُته إلى تواصلِ مكوّناتِ السّياقِ البنيويِّ؛ ذلك أنّ انفساخَه قدْ يُفضي إلى معنى غيرِ مُراد، ومنه قولُ الحقِّ -جلّ في علاه-: ﴿وَيلٌ للمصلّينَ﴾، فلا حكمَ من هذا التّركيبِ الشّريفِ قبلَ إتمامِ الكلامِ، وعندَ تمامه يغدو الويلُ مقصوراً على مَن وُجِدَ فيه شرطُ السّهوِ والرّياءِ، لا أنّ كلّ مصلٍّ دخلَ فيه «الويلُ» ثمّ خرجَ البعضُ[٨٧].

القَرينةُ الهاديةُ:

وفي بابِ القولِ على التّواصلِ والإبانةِ عندَ الغزاليِّ نجدُه يعوّلُ كثيراً على القرينةِ الهاديةِ إلى المعنى، أو المرشّحةِ له، وهي عندَه تنتسبُ إلى ضربَين: قرينةٍ لفظيّةٍ، وقدْ تقدّم الكلامُ على بعضِ أمثلتِها، وأخرى معنويّةٍ لا تُستقَى مِن السّياقِ البِنيويِّ، وإشاراتُه إلى تَيْنِكَ القرينتيـــنِ كثيرةٌ كثيرةٌ، ومِن ذلك ورودُه على سبلِ استشفافِ «البيانِ» وحصولِه، فقدْ يكونُ بعباراتٍ وُضعتْ بالاصطلاحِ والتّواضعِ، وليس يخفى على ذي نُهْيةٍ أنّه يُلمِحُ إلى الألفاظِ والتّراكيبِ، وقدْ يكونُ – مِن وجهةٍ اجتماعيّةٍ أخرى- بالفعلِ والرّمزِ والإشارةِ[٨٨]، والإشارةُ عندَ ابنِ حزمٍ في أصولِه تكونُ باللّفظِ وبعضِ الجوارحِ[٨٩]، وقريبٌ مِن هذا كلّه البيانُ عندَ الباجيِّ الأصوليِّ؛ إذْ إنّه «يقعُ بالقولِ تارةً، ويقعُ بالفعلِ والإشارةِ والرّمزِ والكنايةِ وشاهدِ الحالِ...»[٩٠].

والبيانُ الذي هو عندَ الإمامِ هو كالبيانِ الذي هو عندَ الجاحظِ، فهو اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشفَ لك قناعَ المعنى، وهتكَ الحجابَ دون الضميرِ[٩١]، وعمادُه خمسةٌ لا تزيدُ ولا تنقصُ، وهي اللّفظُ، والإشارةُ، والعقدُ (ضرب مِن الحساب)، والخطّ، والحالُ الدّالّةُ. أمّا بالإشارةِ فباليدِ والرّأسِ والعينِ والحاجبِ والمَنْكبِ[٩٢]، والإشارةُ واللّفظُ عندَ الجاحظِ شريكان، «وما أكثرَ ما تنوبُ عن اللّفظِ»[٩٣]، وفي الدّرسِ اللّسانيِّ الحديثِ يجدُ المتأمّلُ أنّ المُحدَثين تنبهوا إلى هذه المَلاحظِ فجنحوا إلى عدّها قيماً وظيفيّةً تواصليّةً تقومُ مقامَ ألفاظٍ بلْ جملٍ في أحاييـــنَ، فمنهمْ مَن عرضَ لها في عُجالةٍ كعجالةِ الرّاكبِ[٩٤]، ومِنهم مَن ألّف فيها سِفْراً قائماً برأسِه جانحاً إلى اجتراحِ مصطلحِ «لغة الجسمِ»، وإخالُ أنّ هذا الذي ذهبَ إليه الإمامُ، ومِن قبلِه الجاحظُ، يتّفقُ مع الدّرسِ اللّسانّي الوظيفيِّ الذي يرمي

أشياعُه إلى أنْ يجعلوا وُكْدَهم منصبّاً في أنْ يظهروا أنّ وجوهاً كثيرةً من الظّواهرِ اللّغويّةِ تحكمُها عواملُ غيرُ نحويّةٍ[٩٥]، أي: لا يُكتفَى بالجملِ للإبانةِ عن المعنى.

وفي بابِ فهمِ المرادِ مِن الخطابِ تنبّهَ الغزاليُّ إلى أنّ النّصَّ قدْ يعتريه احتمالٌ، فلا يُعرفُ المرادُ منه على وجهِ الإحكامِ دونَ الإبهامِ، والسبيلُ إلى هذا كلّهِ «القرينةُ»، والقرينةُ إمّا لفظٌ مكشوفٌ، وإمّا إحالةٌ على دليلِ العقلِ، وإمّا قرائنُ أحوالٍ وإشاراتٌ ورموزٌ وحركاتٌ وسوابقُ ولواحقُ لا تدخلُ تحتَ الحصرِ والتّخمينِ، يختصُّ بدركِها المشاهدُ لها»[٩٦]، ومِن هذه القرائنِ حركاتُ الجوارحِ المعبِّرةِ بلغةِ الجسمِ، وقدْ عرّج الغزاليُّ، غيرَ مرّةٍ، عليها في مُستصفاه، فجعلَها دوالَّ مستقلّةً تفعلُ في تشكيلِ المعنى، بلْ وصلَ الأمرُ به إلى عتبةِ إنكارِ كونِها تابعةً للألفاظِ كما في مذاهبِ بعضِ الأصوليّين[٩٧]، «فمنْ سلّمَ أنّ **حركةَ المتكلّمِ، وأخلاقَه، وعادتَه، وتغيّرَ لونه، وتقطيبَ وجهه وجبينَه، وحركةَ رأسه، وتقليبَ عينيه، تابعٌ للفظه؟ بلْ هذه أدلّةٌ مستقلّةٌ يفيدُ اقترانُ جملةٍ منها علوماً ضروريّةً**»[٩٨]، ومِن **هذه الأدلّة** المستقلّة التي عرضَ لها الإمامُ أنّا نعرفُ عشقَ العاشقِ لا بقولِه، بلْ بأفعالٍ هي مِن أفعالِ المحبّين، وما أكثرَها وأجلاها لِمَن تبصّرَ، وتنتهي كثرةُ هذه الدّلالاتِ «إلى حدٍّ يحصلُ لنا علمٌ قطعيٌّ بحبِّه، وكذلك ببغضه، إذا رُؤيتْ منه أفعالٌ ينتجُها البغضُ، وكذلك نعرفُ غضبَه وخَجَلَه لا بمجرَّدِ حُمرةِ وجهِه، لكنّ الحُمْرةَ إحدى الدّلالات»[٩٩]، ومِن اللّطائفِ المُعْجِبة في هذا الذي وقفَ عندَه الغزاليُّ ممّا يُستقَى مِن تعابيـــرِ الوجه كالغضبِ والخجلِ أنّ بعضَ اللّسانيّيـــنَ المُحدَثين قدْ ألّفوا في هذا المبحث، فعرّجوا على لغةِ الوجهِ وإيماءاته[١٠٠]، وهذا الضّربُ مِن القرائنِ في الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ هو حديثٌ عن لغةٍ تواصليّةٍ معجمُها ما يُستقَى مِن الشّمائلِ وتعابيرِ الوجهِ وحركاتِ

الجوارحِ في سياقِها الذي تقعُ فيه[١٠١]، ومِن ذلك الدّلالاتُ التي تُستقى مِن حركةِ الكفِّ واليدِ والوجهِ والعينِ والجِلْسةِ والوِقْفةِ[١٠٢]، وغيرِ ذلك مِن القرائنِ – بعبارة الغزاليِّ- التي «لا يمكنُ حصرُها في جنسٍ، ولا ضبطُها في وصفٍ»[١٠٣].

وَبعدُ،

«فاعلمْ أنّ كلَّ مَن طَلبَ المعانيَ مِن اللّفظِ ضاعَ وهلكَ، وكانَ كَمَن استدبرَ المَغْربَ وهو يطلبُه»

وحَسْبي، بعدَ هذا المتقدِّمِ، هذه الإلماحةُ المُعْجبةُ التي وَرَدْتُ عليها في طيّاتِ المُستصفَى، وقدْ أوردتُها في ثِنْيِ هذا البحثِ[١٠٤]، وها أنذا أوردُها ثانيةً في مُنتهاه إعجاباً، وإغراقاً، وإنكاراً:

إعجاباً به وهو يَلْحَبُ السّبيلَ أمامَ دارسي المعنى بهديٍ مِن بعيدِ التبصُّرِ، ولطيفِ التأمُّلِ، في تعيـــنِ المعنى الذي هو مدارُ الكلامِ ومُبتغاه، فوافقه على هذا، في هذه المسألةِ على وجهِ التّعيـــنِ، علمُ اللّسانِ الحديثِ.

وإغراقاً في الإلحاحِ على مكانتِها في الدّرسِ اللّغويِّ في اقتناصِ مقاصدِ الكلامِ ورسومِه، لتغدوَ – كما وصفها أولمان – حجرَ الأساسِ في علمِ المعنى[١٠٥].

وإنكاراً على الظّانّينَ بها ظنَّ السّبقِ، وأنّهم هم أبناءُ جِلدتِها، وأنّها عندَهم بنتُ ليلتِها وما الأمرُ كذلك في الأولى ولا في الآخرةِ.

* * *

هوامش البحث

(١) لمـزيد بسـط القول في حياة الغزالي انظر: أحمد الشرباصي، الغزالي، دار الجيل، بـيروت، ١٩٧٥م، والـبارون كارادوفو، الغزالي، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكـتب العـلمية، بيروت، ١٩٥٩م، وأحمد شمس الدين، الغزالي: حياته، آثاره، فلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، وأحمد فريد رفعي، الغزالي، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٦م.

(٢) انظـر: الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد(٥٠٥هـ)، المستصفى من علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٤م، ١/ ١٤.

(٣) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ١٧.

(٤) انظـر: الباجي، أبو الوليد سليمان(٤٧٤هـ)، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ١٧١.

(٥) انظـر: الآمدي، سيف الدين علي (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ١/ ٨.

(٦) انظر: الآمدي، الإحكام، ١/ ٨.

(٧) الغزالي، المستصفى، ١/ ١٨، ولمزيد بسط القول في تعريف علم الأصول ونشأته وتطوره انظر: مصطفى الزلمي، دلالات النصوص وطرق استنباط الأحكام في ضوء أصـول الفقـه الإسلامي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٨٣م، ٣- ١٤، والسيد عبد الغفار، التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، الرياض، ١٩٧٩م، ٧- ٣٧.

(٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٢٢.

(٩) انظر:

Hudson, R., A., Sociolinguistics, 2nd edition, Cambridge University Press, Cambridge, 1998, p. 202.

ولتعريف اللغويات الاجتماعية انظر:

Downes, W., Language and Society, 2nd edition, Cambridge University, Cambridge, 1998, p.9.

(١٠) الغزالي، المستصفى، ٢، ٣٦٣.

(١١) انظر:

Halliday, M.A.K, Language as Social Semiotic, The Social Interpretation of Language and Meaning, Edward Arnold, London, 1979, p. 28.

(١٢) انظر:

Firth,J., Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, 1957, p. 177- 189.

(١٣) انظر:

Gregory, M., & Carroll, S., Language and Situation, Routledge & Kegan Paul, London, 1978, p. 27.

وقـــد عرض «هدسون» إلى فكرة عزل اللغة عن سياقها الاجتماعي معرجاً على تاريخ هذه الفكرة، جانحاً إلى نقضها وتفنيدها بالدليل والمثال. انظر فيما تقدم:

Hudson' Sociolinguistics, p. 244- 245

(١٤) انظر:

Lyons, J., In Memory of J., R., Firth, Firth Theory of Meaning, Longman, London, 1966, p. 289.

(١٥) انظر: أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٢م، ٦٢.

(١٦) انظر:

Leech, G., Semantics, Hazell Watson & Viney Ltd., England, 1977, p. 71.

ولمزيد بسط القول في نظرية سياق الحال عند فيرث انظر:

Lyons, J., Semantics, Cambridge University Press, Cambridge, 2nd edition, 1979, p. 2/ 607. Palmer, F.R., and Semantics: A New Outline, Cambridge University Press, Cambridge, 1976, 46- 51.

(١٧) استعرت مصطلح (المسرح اللغوي) من كلام كمال بشر، وهو بلا ريب، دال مبين عما نحن فيه، وقد ورد هذا المصطلح في كتابه: دراسات في علم اللغة، ط٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م، ٥٨.

(١٨) الغـزالي، المستصـفى، ٢/ ٥٠- ٥١، وانظر مبحث العموم والخصوص عند الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ٢/ ٤١٣- وما بعدها.

(١٩) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٥٢.

(٢٠) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٥.

(٢١) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٢٦.

(٢٢) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٦٢، وانظر أمثلة في هذا المبحث في التنـزيل العزيز عنده.

(٢٣) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٨.

(٢٤) الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٩.

(٢٥) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٤٩، وتحدث عن أدلة تخصيص العموم عنده.

(٢٦) انظـر: الغـزالي، المستصفى، ٢/ ١٩٦، وللتفصيل في أدلة التخصيص انظر: المستصفى، ٢/ ١٤٤ – ١٥٨، الآمدي، الإحكام، ٢/ ٤٩١ وما بعدها، ودلالات النصوص، ١١١.

(٢٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٢.

(٢٨) الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٢.

(٢٩) انظـر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، الصاحبـيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٣م، ٢١٥.

(٣٠) ومن الذين أشاروا إلى فضل سياق الحال في رفع الاحتمال:

Soon, S., Lexical Ambiguity in Poetry, Longman Publishing, New York, 1994, p. 61- 73. Leech, Semantics, p. 77.

(٣١) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٦.

(٣٢) لتعريف التنغيم انظر:

Singh, S., Phonetics: Principles and Practise, University of Park Press, 1982, p. 187.

(٣٣) Firth, Paper in Linguistics, P. 18.

(٣٤) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٦.

(٣٥) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٨.

(٣٦) الآية (المائدة، ٢).

(٣٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤٦- ٧٤٨، وانظر: الآمدي، الإحكام، ٢/ ٣٧٦.

(٣٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤٩.

(٣٩) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤٧، وقد وقف عند هذا التساؤل الباجي من قبل، انظر: إحكام الفصول، ١٩١.

(٤٠) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٩.

(٤١) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤١.

(٤٢) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤١.

(٤٣) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٨م، ٢/ ٤٤.

(٤٤) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦، وانظر حديث الآمدي عن «الأمر» العَرِيّ عن القرائن، الإحكام، ٢/ ٣٧٨.

(٤٥) عالجت هذا المبحث معالجة مستفيضة في ظاهرة اللبس في العربية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩م، ١٩٢- ١٩٧.

(٤٦) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٢.

(٤٧) الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٣، وانظر حديثه عن أربع علامات يعرف بها المجاز، ١/ ٦٧٨- ٦٧٩.

(٤٨) ميز اللسانيون المحدثون بين ثلاثة أنواع من المجاز، وهي المجاز الحي، والميت، والنائم الذي يتردد بين بين. انظر:

Waldron, R. A., Sense and Sense Development, London, 1967, 162-179.

وانظر: أحمد عمر، علم الدلالة، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م، ٢٤٢.

(٤٩) انظر:

Ulman, S., The Principles of Semantics, Third Impression, London, 1963, p. 203.

(٥٠) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة «عذر».

(٥١) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة «عذر».

(٥٢) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة «غوط»، والآمدي، الإحكام، ١/ ٢٧.

(٥٣) الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٣.

(٥٤) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٧٧.

(٥٥) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٨٦.

(٥٦) الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز (٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م، ٤١٧.

(٥٧) أولمان، دور الكلمة، ١٧٠.

(٥٨) للنظر في معنى المعنى العاطفي انظر:

Malmberg, B., New Trends in Linguistics, Stockholm, 1964, P. 125. Palmer, Semantics, P. 35.

(٥٩) أولمان، دور الكلمة، ١٠٤.

(٦٠) الغزالي، المستصفى، ١/١٣٥- ١٣٦.

(٦١) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٤٧.

(٦٢) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٨٢.

(٦٣) الباجي، إحكام الفصول، ٢٦٩.

(٦٤) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠١، وانظر حديث ابن حزم عن هذه المسألة والعدد: الإحكام، ١/ ١٠٢.

(٦٥) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠٣.

(٦٦) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠٦، وفي معرض حديث الآمدي عن هذه المسألة نقل عـــن الغزالي كلامه ومثاله عن والد الميت وخروجه في الحال التي ذكرها الغزالي. انظر: الآمدي، الإحكام، ٢/ ٢٧٨- ٢٧٩.

(٦٧) الغزالي، المستصفى، ١/ ٥٥.

(٦٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٢٢٠.

(٦٩) انظر هذه المباحث: المستصفى، ٢/ ٢١٧- ٢٢٥.

(٧٠) انظر:

Lyons, J., Language, Meaning, & Context, The Chaucer Press, Britain, 1981, P. 201.

(٧١) انظر:

Lyons, Language, P. 207.

(٧٢) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ١١٥.

(٧٣) الآية (الإسراء، ٢٣).

(٧٤) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٣٥٢- ٣٥٣، وقد عرج الباجي على هذه الآية في معرض حديثه عن «فحوى الخطاب»، انظر: الباجي، إحكام الفصول، ٥٠٨- ٥٠٩.

(٧٥) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٣٥٣، وانظر حديث الآمدي عن هذه الآية ونقله عن الإمام الغزالي، الإحكام، ٢/ ٦٤.

(٧٦) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٣٥٣.

(٧٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٢٢٣.

(٧٨) انظر الصفحة ٢- ٣ من البحث.

(٧٩) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٣٩٤.

(٨٠) الغزالي، المستصفى، ١/ ٣٩٤.

(٨١) الآمدي، الإحكام، ٢/ ٢٤٧.

(٨٢) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٦.

(٨٣) الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٦.

(٨٤) الغزالي، المستصفى، ١/ ٢٢٤.

(٨٥) الغــزالي، المستصفى، ١/ ٤٤، وقارن هذا بما ورد عند Soon من حديث عن كلمة «Port» المترددة بين معنيين، وكيف أن استكمال السياق البنيوي قد يعمل على رفع الإشكال، انظر:

Lexical Ambiguity in Poetry, P. 63.

(٨٦) انظر حديثه عن دلالة الخلق في الآيات الكريمات: ﴿خالق كل شيء﴾، والمعنى: موجـد، و﴿تخـلقون إفكاً﴾، والمعنى: تكذبون، و﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾، والمعنى: تقدر، انظر: المستصفى، ٢/ ١٧٨.

(٨٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٢١٢.

(٨٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٨.

(٨٩) انظر: ابن حزم، الإحكام، ١/ ٤٧.

(٩٠) الباجي، إحكام الفصول، ٣٠٢.

(٩١) انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠م، ١/ ٧٦.

(٩٢) انظر: الجاحظ، البيان، ١/ ٧٧.

(٩٣) الجاحظ، البيان، ١/ ٧٨.

(٩٤) انظـر: أولمان، دور الكلمة، ٣٠، وقد تحدث عن دلالات هز الرأس وإشارات الطرق والبحرية، وغير ذلك.

(٩٥) انظـر: نهاد الموسى، الأعراف (أو نحو اللسانيات الاجتماعية في اللغة العربية)، المجـلة العـربية للدراسات اللغوية، المجلد ١، العدد١، معهد الخرطوم الدولي، ١٩٨٥م، ١١.

(٩٦) الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٧٥– ٦٧٦.

(٩٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٦.

(٩٨) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٧.

(٩٩) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠.

(١٠٠) انظر مستزيداً في هذا المبحث:

Mitchell, M. E., How to Read the Language of the face, Macmillan, New York, 1968.

(١٠١) انظر:

Pease, A., Body Language: How to Read Others' Thoughts by Their Gestures, Camel Publishing Company, Australia, 1987, P.17.

(١٠٢) انظـــر – على سبيل التمثيل – ما ورد في المرجع السابق من حديث عند «Pease» عن إشارات الكف ودلالاتها، ٤٠، والعين، ١٣٣، والوقفة والجلسة، ١٧٨– ١٨٨.

(١٠٣) انظر: الصفحة ٤ من البحث.

(١٠٤) انظر الصفحة ١٣ من البحث.

(١٠٥) انظر: أولمان، دور الكلمة، ٦٦.

* * *

المصادر والمراجع:

(١) أحمد الشرباصي، الغزالي، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

(٢) أحمـــد شمس الدين، الغزالي: حياته، آثاره، فلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

(٣) أحمد عمر، علم الدلالة، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٤) أحمد فريد رفعي، الغزالي، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٦م.

(٥) أ. كونـــد راتوف، أصوات وإشارات: دراسة في علم اللغة، ترجمة إدور يوحنا، وزارة الإعلام، بغداد، (د.ت).

(٦) الآمدي، سيف الدين علي (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

(٧) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٢م.
(٨) الباجي، أبو الوليد سليمان (٤٧٤هـ)، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
(٩) البارون كارادوفو، الغزالي، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.
(١٠) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت).
(١١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠م.
(١٢) الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز (٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م.
(١٣) ابن حزم، علي بن أحمد (٤٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
(١٤) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
(١٥) السيد عبد الغفار، التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، الرياض، ١٩٧٩م.
(١٦) الشاشي، أبو علي أحمد (٣٤٤)، أصول الشاشي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.
(١٧).الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، المستصفى من علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٤م.
(١٨) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٣م.
(١٩) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ط٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.
(٢٠) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٨م.
(٢١) مصطفى الزلمي، دلالات النصوص وطرق استنباط الأحكام في ضوء أصول الفقه الإسلامي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٨٣م.

(٢٢) ابـن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١هـ)- لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، (د.ت).

(٢٣) مهدي عرار، ظاهرة اللبس في العربية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩م.

(٢٤) نهاد الموسى، الأعراف (أو نحو اللسانيات الاجتماعية في اللغة العربية)، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد ١، العدد١، معهد الخرطوم الدولي، ١٩٨٥م.

(٢٥) نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، مجلة حضارة الإسلام، العدد١، دمشق، ١٩٧٤م.

(26) Akmajian, Linguistics: An Introduction to Language and Communication, The MIT Press, Massachusetts, 1979.

(27) Downes, W., Language and Socity. 2nd edition, Cambridge University, Cambridge, 1998.

(28) Firth, J., Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, 1964.

(29) Gregory, M., & Carroll, S., Language and Situation, Routledge & Kegan paul, London, 1978.

(30) Halliday, M.A.k., Language as Social Semiotic, The Social Interpretation of Language and Meaning, Edward Arnold, London, 1979.

(31) Hudson, R., A., Sociolinguistics, 2nd edition, Cambridge University Press, Cambridge, 1998.

(32) Katamba, F., Morphology, The Macmillan Press, London, 1993.

(33) Kooij, J., Ambiguity in Natural Language: An Investigation of Certain Problems in its Linguistics Description, North Holand, Publishing Company, Amsterdam, 1971.

(34) Leech, G., Semantics, Hazell Watson, & Viney Ltd. England, 1977.

(35) Lehiste, I., Suprasegmental, The MIT Press, Massachusetts, 1977.

(36) Lyons, In Memory of J., R., Firth, Firth Theory of Meaning, Longman, London, 1966.

(37) Lyons, Language, Meaning, & Context, The Chaucer Press, Britain, 1981.

(38) Lyons, J., Semantics, Cambridge University Press, Cambridge, 2nd edition, 1979.

(39) Malmberg, B., New Trends in Linguistics, Stockholm, 1946.

(40) Mitchell, M.E., How to Read the Language of the face, Macmillan, New York, 1968.

(41) Palmer, F. R., Semantics: A New outline, Cambridge University Press, and and Cambridge, 1976.

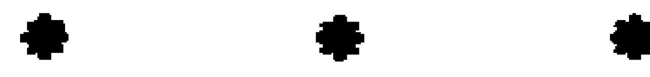
(42) Pease, A., Body Language: How to Read Others' Thoughts by Their Gestures, Camel Publishing Company, Australia, 1987.

(43) Singh, S., Phonetics: Principles and Practice, University of Park Press, 1982.

(44) Soon, S., Lexical Ambiguity in poetry, Longman Publishing, New York, 1994.

(45) Ulman, S., The Principles of Semantics, Third Impression, London, 1963.

(46) Waldron, R.A., Sense and Sense Development, London, 1967.



نظرات في كتاب (معاني القرآن)

للفراء

د. إبراهيم محمد عبد الله

المقدمة:

العلوم يتأثر بعضها ببعض في المقدمات والفرضيات والنتائج ومناهج البحث، وإذا كنّا نلحظ هذا التأثر في العلوم التجريبية جلياً فإننا نلمسه بوضوح في العلوم الإنسانية، ذلك لأن هذه العلوم تنصب في بحثها وموضوعها واهتماماتها وفرضياتها ونتائجها على الإنسان من حيث فكره وماضيه وواقعه ومستقبله وكونه فرداً في مجتمع إنساني، ولا غرابة في أن يكون تأثر العلوم الإنسانية بعضها ببعض أقوى منه في العلوم التجريبية لأن الغاية التي تتوخاها تلك العلوم هي الإنسان، والإنسان هو العنصر الفعال في المجتمع البشري، إذ بجهوده تقوم الحضارة الإنسانية وبمقدار تقدُّمه العقلي والفكري ترقى حياته وتزدهر، وبامتلاكه وسائل المعرفة الحقة تسعد البشرية وتهنأ.

وباعتبار هذا التأثر بين العلوم الإنسانية يتناول هذا البحث ظاهرة على غاية من الأهمية في الدرس النحوي، وهي مدى تأثر النحو العربي بالفلسفة والمنطق، فالنحو – بمعناه العام – والمنطق من العلوم الإنسانية المهمة في حياة الإنسان، والصلة بينهما وثيقة قوية، فالمنطق يتخذ من الفكر الإنساني مجالاً رحباً لبحثه وموضوعه، واللغة هي التي تعبر عن الفكر الإنساني وتنقله إلى الآخرين، فلابدَّ للمنطق من الاهتمام بالوسيلة التي تحمل إليه مادة بحثه، ألا وهي الفكر، وتشتد الآصرة قوة بين هذين العلمين من

جهة أخرى، وهي أن الكلام يحمل الفكر والعقل، ولا يمكن للغة أن تنقل المعنى دون أن تؤثر فيه لأنها مظهر وتعبير عما يجول في فكر الإنسان، وبسبب هذه الوشيجة بين المنطق واللغة رأى جماعة ممن أرخوا للفلسفة أن نشأة المنطق مرتبطة بالنحو، وأيدوا قولهم هذا بأن أرسطو اعتمد على اللغة والنحو للوصول إلى كثير من التصنيفات المنطقية[١].

وبناء على هذه العلاقة بين النحو والمنطق سيجري الكلام في الصفحات المقبلة على أثر المنطق في رأس من رؤوس النحويين العرب وشيخ من شيوخ مدرسة الكوفة هو يحيى بن زياد الفرّاء، لنرى مدى تأثره بالفلسفة والمنطق من خلال كتابه «معاني القرآن».

مدخل:

ما من سبيل إلى إنكار تأثر النحو العربي بالمنطق، إذ تبرز هذه الآثار في مصنفات جماعة من النحويين في القرن الهجري الرابع ومن بعدهم، كابن السراج (ت ٣١٦هـ) وأبي الحسن علي بن الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ) وابن جني (ت ٣٩٢هـ) والأنباري (ت ٥٧٧هـ) وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) وغيرهم.

وما نريد أن نقف عليه في هذا المدخل هو زمن تسرب تلك الآثار إلى النحو العربي وصاحب قصب السبق إليها، لذا لابد من العودة إلى بواكير وضع النحو واستقراء كتب التراجم وغيرها لنكون على بصيرة مما نقول.

إن أول عمل حررت به حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم كان على يد أبي الأسود الدؤلي نزيل البصرة، إذ هو الذي وضع نقطاً للمصحف، وكان حامله على هذا العمل أنه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى:

---

(١) انظر المنطق الصوري والرياضي: ٣١- ٣٢.

﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُه﴾[١]، بكسر اللام في «ورسوله» الثانية فما كان منه إلا أن استدعى كاتباً من عبد القيس وقال له: «خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنَّة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره»[٢]، وتابع تلامذة أبي الأسود[٣] عمل شيخهم و«نقطوا المصحف وأُخذ عنهم النقط والحفظ والضبط والقيد وعمل به واتبع فيه سننهم واقتدي فيه بمذاهبهم»[٤]، فنشأة النحو العربي إذاً عربية المهد والغاية لا يشوبها دخيل أجنبي.

ثم شهد النحو العربي بعد ذلك نقلة كبرى بظهور عبد الله بن أبي إسحاق، إذ شَقَّ أبوابه ووسَّع قياسه ووضَّح علله، ويُعَدُّ «أول مَنْ بعَجَ النحو ومدَّ القياس وشرح العلل»[٥].

فالنحو قبل عبد الله كان رتْقاً لا يعرف منه النحويون إلا ظواهر نحوية دون أن يقعوا على حقائقها والقوانين التي تنظمها، فجاء عبد الله وتخطى هذه

---

(١) التوبة: ٩/ ٣ .

(٢) المحكم في نقط المصاحف: ٤، ونزهة الألباء: ٩.

(٣) وجلهم من القراء كميمون الأقرن وعنبسة الفيل ويحيى بن يعمر، انظر طبقات النحويين واللغويين: ٢٧- ٣٠.

(٤) المحكم في نقط المصاحف: ٦.

(٥) طبقات فحول الشعراء: ١٤، وطبقات النحويين واللغويين: ٣١.

الظواهر إلى ما وراءها واستنبط القوانين التي تضبط العربية مستنداً في ذلك إلى ما وصل إليه من كلامهم.

ولا نملك ما يدل على أن هذا النحوي كان له علاقة بالمنطق على الرغم من أن الفترة التي عاش فيها شهدت بدايات امتزاج الثقافة اليونانية بالثقافة العربية، وشاع فيها علم الكلام على أيدي المعتزلة والقدرية، وذلك في حدود المئة من الهجرة[1]، وكان المنطق من أهم العلوم التي استند إليها المعتزلة في آرائهم ومناظراتهم.

وفي القرن الهجري الثاني لمع نجم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وضع لمدرسة البصرة أسسها ودعائمها، وقويت العلاقة بين الثقافة العربية والأجنبية، وغدت البصرة ميداناً للتفاعل الثقافي العربي الإغريقي وتأثرت به، إلا أن هذه الثقافات الواردة – ولاسيما المنطق- لم تترك أثراً على عقلية الخليل، فتراه يبحث في المسائل النحوية بعيداً عن التجريد العقلي والمحاكمة المنطقية معتمداً الذوق اللغوي والحس العربي السليم، ويعلل بالقبح، فمما ذكره عنه سيبويه أنه لم يستحسن أن يقال: «أيُّهم زيداً ضرب» وعدَّه قبيحاً[2].

وأقام الخليل وتلميذه سيبويه عللهما على اعتبارات لغوية لسانية نابعة من طبيعة اللغة بائنة عن فرض اعتبارات عقلية عليها، يعرفها الحس اللغوي قبل أن يدركها الذهن، فقد استندا في تعليلهما غير قليل من الظواهر الصرفية على أسباب لسانية تقوم على طلب الخفة وطرح الثقل[3]، وهذا ما يسميه

(١) انظر مفتاح السعادة: ٢/ ١٤٨، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: ٢٨٨.

(٢) انظر الكتاب: ١/ ١٢٦، ٣/ ٥٩- ٦٠.

(٣) انظر الكتاب: ٤/ ٣٧٤، ٣٧٦، ٤٥٠، ٤٥٤...

اللغويون المعاصرون بالاقتصاد اللغوي، وقد شمل التعليل بالثقل والخفة الأحكام النحوية، فنرى الخليل يجنح إلى الخفة ويفرُّ من التنوين فيجيز أن يقال: «هو كائنُ أخيك»[(١)].

ومّما علّلا به ما يمكن أن نسميه التماس الوضوح وتجنب اللبس في العبارة، كالذي نجده في تعليل مسألة العطف على ضمير الجر المتصل[(٢)]، والعطف على ضمير الرفع المتصل والمستتر[(٣)]، ومنه أن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله، كما جاء عنهما في تعليل حذف النون من فعل الكون المضارع المجزوم[(٤)]، ومنه أيضاً أن الكلام إذا طال جاز أو حسن فيه ما لايجوز أن يحسن فيه إذا قصر، وذلك على نحو ما نرى في تعليل حذف صدر الصلة إذا طالت[(٥)]، ومنه استغناؤهم بالشيء عن الشيء[(٦)]، ومنه تعليلهما بالكره[(٧)].

وقد يستعينان أحياناً بالعلل العقلية، وذلك إذا دار الأمر على معقولية الكلام، وتعلّق الحكم بفهم المعنى المقصود[(٨)]، ولا ينبغي أن يحملنا هذا على

---

(١) انظر الكتاب: ١/ ١٦٦.

(٢) انظر الكتاب: ٢/ ٣٨١- ٣٨٤.

(٣) انظر الكتاب: ٢/ ٣٧٦- ٣٧٩.

(٤) انظر الكتاب: ٢/ ١٩٦، وانظر أيضاً: ٢/ ٢٠٤، ٢/ ٢٥٦.

(٥) انظر الكتاب: ٢/ ٤٠٤.

(٦) انظر الكتاب: ٢/ ١٩٧- ١٩٨، ٢/ ٣٦١.

(٧) انظر الكتاب: ٤/ ٣٨٢، ٣٧٤، ٤٢٢، ٤٢٣.

(٨) انظر الكتاب: ١/ ٤٠، ١٢٣، وانظر المقتضب ٢/ ٣٣٩، ٣/ ١١٣- ١١٤.

القول بأنهما فرضا على النحو فرضيات عقلية غريبة عنه، لأن الغاية من هذا التعليل العقلي هي الوقوف على الغرض من الكلام وما يفيد السامع منه، فلم يخرجا إذاً عن بدائه الحس لأنهما يستندان إلى أسباب لسانية.

ثم نأتي على ذكر ذلك النحوي الكوفي الفراء فإنه أوثق صلة بهذا المضمار إذ يقول عنه المتقدمون: «كان يتفلسف في تآليفه وتصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة»[١]، ولا سبيل إلى الكلام على هذا العلم هنا لأن موضوع هذا البحث يقوم على تأثره بالمنطق، وسيأتي الكلام عليه مفصلاً.

فالنحويون الأوائل الذين مكنوا لهذا العلم دعائمه وأروا الناس أصوله وتفريعاته كانوا يديرون المسائل النحوية معتمدين الذوق اللغوي والحس العربي الصافي آخذين بعين الاعتبار الخصائص والاعتبارات اللغوية للنحو العربي[٢]، ويستنكر أبو حيان التوحيدي أن يخالط المنطق النحو فيقول: «ومتى

---

(١) انظر ما سلف ص: ١ح: ١.

(٢) كان للباحثين في العصر الحديث مواقف من قضية تأثر النحويين الأوائل بالمنطق، فالدكتور مهدي المخزومي يرى أن تأثير علم الكلام ظهر في أواخر القرن الهجري الأول وأوائل القرن الثاني وأن ابن أبي إسحاق والخليل تأثرا به، انظر مدرسة الكوفة: ٤٠- ٤٢، ويرجح الدكتور محمد عيد أن ابن أبي إسحاق كان له صلة بالمنطق، انظر أصول النحو العربي: ٨٠- ٨١، وذهب (سارثون) إلى أن اجتهاد العرب في النحو قد تأثر بالمنطق اليوناني، انظر النحو العربي ومنطق أرسطو: ٦٩، عن المدخل إلى تاريخ العلم: ١/ ٥٠١، ومن أشدهم تحمساً في هذا المضمار (مركس) إذ حاول أن يثبت أن تقسيم العرب الكلام إلى ثلاثة أقسام يعود إلى أصل يوناني، انظر النحو العربي ومنطق أرسطو: ٨١، واتخذ الأستاذ (ليتمان) موقفاً معتدلاً حيث ذهب إلى أن العرب أبدعوا علم النحو في الابتداء وأنه لا يوجد

عهد الناس أن النحو يمزج بالمنطق، وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر لم يعهد فيه شيء من ذلك»[١].

ويؤيد ما قاله أبو حيان أن أوائل النحويين لم يتطرقوا إلى موضوع الحدود، وإنما كان مدار كلامهم على أنواع الكلام اعتبارَ خصائصها اللغوية، واضعين نصب أعينهم الغرض الذي من أجله وضعوا علم النحو، فسيبويه «لم يَحُدَّ الاسم حدًّا يفصله من غيره، ولكنْ مثَّله فقال: «والاسم رجل وفرس، فقال أصحابه: ترك تحديده ظناً منه أنه غير مشكل، وحدَّ الفعل لأنه عنده أصعب»[٢]، ولم يخرج الأخفش (ت ٢١٥هـ) في حدِّه للاسم عن طبيعة اللغة وصحيحها فقال: «الاسم ما جاز فيه: نفعني وضرَّني، يعني ما جاز أن يخبر عنه»[٣].

بيد أننا نرى فيما بعد أن بعض النحويين سارت على ألسنتهم ألفاظ المنطقيين في حدِّ الاسم، وذلك على نحو ما ذكره الزجاجي. من أن المنطقيين وبعض النحويين «قد حدُّوه حدًّا خارجاً عن أوضاع النحو فقالوا: الاسم صوت موضوع دالٌّ باتفاق على معنى غير مقرون بزمان، وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المنطقيين ومذهبهم لأن غرضهم غير غرضنا ومغزاهم غير مغزانا.. »[٤].

في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، وأن النحو العربي تأثر بالمنطق فيما بعد، انظر ضحى الإسلام: ٢/ ٢٩٢- ٢٩٣.

(١) بغية الوعاة: ٢/ ١٨١.

(٢) الإيضاح في علل النحو: ٤٩، وانظر الكتاب: ١/ ١٢.

(٣) الإيضاح في علل النحو: ٤٩.

(٤) الإيضاح في علل النحو: ٤٨.

وكان موضوع الحدود في النحو مظهراً من مظاهر تأثر القوم بالمنطق، ومن هنا كان لكتاب «الحدود» الذي صنفه الفراء أثر كبير في هذا المضمار، وسيأتي الكلام عليه وعلى تأثر صاحبه بالمنطق مفصلاً.

والذي أطمئن إليه هو أن ابن السراج يكاد يكون أول نحوي تأثر بالمنطق، فكتب التراجم تشير إلى أنه هجر النحو والتفت إلى المنطق والموسيقى، وأخذهما عن المعلم الثاني أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩ ه) كما أخذ عنه الفارابي النحو[١]، وصنف ابن السراج كتابه «أصول النحو»، وضمنه أصول علم العربية ومسائل كتاب سيبويه ورتبها ترتيباً حسناً، وقد تبوأ هذا الكتاب منزلة كبرى عند النحويين[٢]، وخالطه آثار المنطق، فمما جاء عن المرزباني (ت ٣٨٤هـ) قوله: «صنف – أي ابن السراج – كتاباً في النحو سماه «الأصول» انتزعه من أبواب كتاب سيبويه، وجعل أصنافه بالتقاسيم على لفظ المنطقيين، فأعجب بهذا اللفظ الفلسفيون وإنما أدخل فيه لفظ التقاسيم، فأما المعنى فهو كله من كتاب سيبويه على ما قسَّمه ورتبه»[٣]، وفي هذا القول دليل على أن أثر المنطق لم يصل إلى لب المادة النحوية العلمية عند ابن السراج.

وقد تمكنت آثار المنطق في النحو وبلغت نماءها في القرن الرابع الهجري على يد أبي الحسن علي بن عيسى الرماني الذي أولع بالمنطق وأخذ به نحوه ومزجه به حتى غدا بعيداً عن طبيعة النحو الذي حمله إليه علماء هذا العلم، وفي هذا يقول الفارسي (ت ٣٧٧هـ): «إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس

---

(١) انظر إنباه الرواة: ٣/ ١٤٨- ١٤٩، ومفتاح السعادة: ١/ ١٥٦، والفهرست: ٦٢.

(٢) انظر طبقات النحويين واللغويين: ١٢٢، ونزهة الألباء: ١٧٠، ومعجم الأدباء: ٨/ ٢٠٠.

(٣) إنباه الرواة: ٣/ ١٤٩.

معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقول نحن فليس معه منه شيء»[١]، وكان له منحى خاص في المنطق يختلف عن منحى أصحاب هذا العلم[٢].

واعتنى الرماني بالحدود وصنف فيهما كتابين هما كتاب «الحدود الأكبر» وكتاب «الحدود الأصغر»[٣]، وعدد الأسماء التي يُحتاج إليها في النحو فقال: «القياس والبرهان والبيان والحكم والعلة والاسم والفعل والحرف والإعراب والبناء والتغيير والتعريف والفرض والسبب والمعرفة والنكرة والمفرد والجملة والتثنية والجمع والمرفوع والمنصوب والمجرور والتوابع والصفة والبدل والنسق والحال والتمييز والإضافة والمصدر والاشتقاق والمظهر والمضمر والفائدة والعامل والحذف والذكر والمركب والمقيد والمطلق والاستثناء والحقيقة والمجاز والجنس والنوع والقوة والضعف والتخفيف والترخيم والمقصور والممدود والمذكر والمؤنث والنظير والنقيض والتقدير والتحقيق والأصل والفرع والمطرد والنادر والخبر والاستفهام والجزاء والجواب والمستقيم والمحال والعارض واللازم والضرورة والمعنى واللفظ والكلام والداعي والصارف والاستعارة والمادة والمرتبة والمناسبة والخاصة والغني والمحتاج والعظيم والحقير والحادث، وثم حدود باب الموصولات»[٤].

وأنت ترى أن غير قليل مما ذكره الرماني غير متداول في النحو، وإنما هو إلى طبيعة المنطق أقرب منه إلى طبيعة النحو كالحادث والعارض واللازم والمحال.

---

(١) بغية الوعاة: ٢/ ١٨١.

(٢) انظر الإمتاع والمؤانسة: ١/ ١٣٣.

(٣) مفتاح السعادة: ١/ ١٦٤، ومعجم الأدباء: ١٤/ ٧٥.

(٤) الرماني النحوي: ٢٣٤- ٢٣٥، ورسالة في الحدود للرماني: ٦٥- ٦٦.

على أن تأثره بالمنطق تناول أقيسته وتعليلاته، وتجلّى في ميله إلى الجدل والمناظرة [1].

ولم يتوقف أثر المنطق في النحو عند الرماني وإنما استمرَّ بعده، ويظهر ذلك بوضوح عند ابن جني في كتابه «الخصائص»، وهو كتاب في أصول النحو، ووصفه صاحبه فقال: «وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين التأمل له والبحث عن مستودعه، فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون لهم سهم منه وحصة فيه»[2]، والأبواب التي عقد عليها كتابه تبرز أثر المنطق وعلم الكلام فيه، فقد خصَّص باباً في علل العربية أكلامية هي أم فقهية[3]، ومما ذكره في هذا الباب أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين[4]، لكنه لم يشطط فذهب إلى أن العلل النحوية ليست في سمت العلل الكلامية[5]، واعترف بأن بعض الظواهر اللغوية لا تظهر لها علة واضحة، فإذا حملت على وجه الخفة والثقل فإنها لا تعدم وجهاً تصيب به مشاكلة الحس[6].

---

(١) انظر نماذج من تعليلاته وأقيسته في «الرماني النحوي»: ٣٥١– ٣٥٢، ٤٠٠– ٤٠١، ٢٦٨– ٢٦٩، ٣٥٦– ٣٥٧، ٢٣٠، ٤١٢.

(٢) الخصائص: ١/ ٦٧.

(٣) انظر الخصائص: ١/ ٤٨– ٩٦.

(٤) انظر الخصائص: ١/ ٤٨.

(٥) انظر الخصائص: ١/ ٥٣– ٥٤.

(٦) انظر الخصائص: ١/ ٨٧– ٨٨.

وأفاض ابن جني في الكلام على العلل الموجبة والمجوزة[(١)]، والعلة القاصرة[(٢)] وعلة العلة[(٣)].

ثم تابع المنطق تأثيره على النحو وذلك كما نرى عند أبي البركات الأنباري[(٤)] (ت ٥٧٧هـ) وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)[(٥)] وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢هـ)[(٦)].

وهكذا ترك المنطق أثره الواضح على النحو العربي فكانت المقولات العشر وهي الجوهر والكمُّ والكيف والأيْن والمتى والملك والإضافة و«أن يفعل» و«أن ينفعل»[(٧)]، وهذه المقولات «أسس تفهم الأشياء مبنية عليها، فللشيء جوهر وكم وكيف وهو في زمان ومكان، ثم هو يفهم بالإضافة إلى شيء آخر ويدرك في وضع معين، وقد يكون مالكاً أو مملوكاً أو فاعلاً أو قابلاً»[(٨)]، كل ذلك على الرغم من أن بعض النحويين دافع عن النحو وتصدى لمن حاول أن يضفي عليه صبغة منطقية، وذلك على نحو ما نرى في تلك المناظرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ومتى بن يونس (ت ٣٢٨هـ)[(٩)].

---

(١) انظر الخصائص: ١/ ١٦٤- ١٦٦.

(٢) انظر الخصائص: ١/ ١٦٩- ١٧٢.

(٣) انظر الخصائص: ١/ ١٧٣- ١٧٤.

(٤) انظر الإنصاف: ٥١- ٥٢، ٢١٥.

(٥) انظر أمالي ابن الحاجب: ٣٣٠- ٣٣١، ٧٢٩.

(٦) انظر أوضح المسالك: ٢/ ٧٨- ٧٩، ٢/ ١٠٨- ١٠٩.

(٧) انظر مناهج البحث في اللغة: ٢٥- ٢٦، وضوابط المعرفة: ٣٢٨- ٣٣٣.

(٨) مناهج البحث في اللغة: ٢٦.

(٩) انظر معجم الأدباء: ٨/ ١٩١- ٢٢٧.

البحث:

بعد إذ رأينا امتداد يد المنطق إلى النحو العربي نقف لنفصل الكلام على أثره في علم من أعلام النحويين هو الفراء الذي وصفه المتقدمون بأنه «كان يتفلسف في تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة»[1]، ويقوم البحث على المحاور الآتية:

١- التعليل عند الفراء.

٢- منهج الفراء في عرض الظاهرة النحوية وتحرير أحكامها.

٣- المصطلحات التي سارت على لسانه.

٤- القياس عنده.

٥- مناقشة أقوال المعاصرين في قضية تأثره بالمنطق.

٦- كتابه «الحدود».

٧- علاقته بعلم الكلام.

٨- نتائج البحث.

التعليل عند الفراء:

إن دراسة ظاهرة التعليل تقفنا على العقلية التي يدرس بها العالم مسائله التي يعرض لها، وثقافته وميوله الفكرية والمرتكزات التي يستند إليها في تعليلاته، وبذا نستطيع أن نحدد المسار الفكري الذي يسير على هديه، والعوامل التي تركت أثراً على بحثه، وبهذا تبدو دراسة التعليل عند الفراء ضرورة لإبراز تكوينه العقلي.

علّل الفراء غير قليل من المسائل النحوية في كتابه «معاني القرآن»، و لم يكن يتسقط تلك المسائل ليبسط فيها تعليله، ولكنه تناولها بالتعليل كلما وجد

(١) انظر ما سلف ص: ١، ص: ٥.

داعياً إليه وفائدة مرجوة منه، وقد علل بأشياء كثيرة لم يتنكب فيها مدار العربية وخصائص اللسان العربي والحس اللغوي.

وأهم ما علل به ما يلي:

١- التعليل بالكثرة في كلام العرب:

علل الفرّاء كثيراً من الظواهر النحوية والصرفية بكثرة استخدامها في كلام العرب، ومن ذلك تعليله حذف الياء من المنادى في «يا بن أُمَّ» بكثرة تداوله في كلامهم، ونبَّه على أن ما لا يستعمل عندهم لم يحذفوا منه شيئاً وقال: «وقوله تبارك وتعالى: ﴿قال: ابن أمَّ﴾[١]، يقرأ «ابن أمَّ» و«أمّ» بالنصب والخفض[٢]، وذلك بأنه كثر في الكلام فحذفت العرب منه الياء، ولا يكادون يحذفون الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادي إلى نفسه إلا قولهم: «يا بن عمّ ويا بن أمّ» وذلك أنه يكثر استعمالها في كلامهم، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء فقالوا: يا بن أبي ويا بن أخي ويا بن خالتي فأثبتوا الياء»[٣].

ومنه تعليله قوله تعالى: ﴿لا جرم أنّهم﴾[٤]، وقوله في ذلك: «وقوله: ﴿لا جرم أنهم﴾ كلمة كانت في الأصل بمنزلة «لابدَّ أنك قائم» و«لا محالة أنك ذاهب»، فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة «حقاً»، ألا

(١) الأعراف: ٧/ ١٥٠.

(٢) قرأ الحرميان وأبو عمرو وحفص عن عاصم «ابن أمّ» بفتح الميم، وقرأ باقي السبعة بخفض الميم، انظر كتاب السبعة: ٢٩٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/ ٤٧٨، وحجة القراءات: ٢٩٧.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣٩٤.

(٤) هود: ١١/ ٢٢ .

ترى أن العرب تقول: «لا جرم لآتينَّك»، «لا جرم قد أحسنت»[١]، وكذلك فسرها المفسرون[٢]، وأصلها من «جَرَمْتُ» أي: كسبت الذنب وجرَّمته»[٣].

ومنه تعليله همز العرب «مصائب» في الجمع، والأصل ألاّ تهمز ويقال: مصايب لأن الياء المنقلبة عن واو في «مصيبة» أصلية لا زائدة، إلا أن العرب همزتها في الجمع تشبيهاً لمصيبة بفَعيلة لكثرة دورانها في كلامهم، وذلك قوله: «وقد همزت العرب المصائب وواحدها مصيبة شُبهت بفَعيلة لكثرتها في الكلام»[٤].

وقد حمله كلفه بما فَشَا في كلامهم على أن يفضل قراءة على أخرى متعللاً بكثرة إحداهما في كلام العرب، قال: «... وحدثني محمد بن الفضل عن عطاء عن أبي عبد الرحمن يرفعه إلى عمر بن الخطاب رحمه الله أنه قرأ «جِمالات»[٥]، وهو أحبُّ الوجهين إليَّ لأن الجمال أكثر من الجمالة في كلام العرب[٦]»[٧].

---

(١) نقل ابن منظور هذا القول في اللسان (جرم)، وانظر الصحاح (جرم).

(٢) انظر الكتاب: ٣/ ١٣٨، والمقتضب: ٢/ ٣٥١- ٣٥٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ٤٥- ٤٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩/ ٢٠، والكشاف: ٣/ ٣٧٣، والبحر المحيط: ٥/ ٢١٣.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٨- ٩.

(٤) معاني القرآن: ١/ ٣٧٤.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿كأنه جِمالة صفر﴾ [المرسلات: ٧٧/ ٣٣] بغير ألف جمع جمل وقرأ الباقون «جمالات» فهو جمع الجمع، تقول: جمل وجمال وجمالات، انظر كتاب السبعة: ٦٦٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٣٥٨، وحجة القراءات: ٧٤٤- ٧٤٥.

(٦) نقل ابن منظور ما قاله الفراء، انظر اللسان (جمل).

(٧) معاني القرآن: ٣/ ٢٢٥.

وتتابعت المواضع التي علل فيها الفراء بالكثرة في كلام العرب في معانيه[١].

٢- التعليل بالقلة:

كما علل الفراء بالكثرة في كلامهم علّل بالقلة في كلامهم أيضاً، وذلك قوله: «وقوله:﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾[٢]، أراد الأرض ﴿ومن لستم له برازقين﴾ فـــ مَنْ في موضع نصب، يقول: جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد والإماء، قد جاء أنهم الوحوش والبهائم، و«مَنْ» لا يفرد بها البهائم ولا ما سوى الناس، فإن يكن ذلك على ما روي فنُرى أنهم أُدخل فيهم المماليك على أنّا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك، فجاز ذلك.

وقد يقال: إن «مَنْ» في موضع خفض، يقال: جعلنا لكم فيها معايش ولمن، وما أقلَّ ما تردُّ العرب مخفوضاً على مخفوض قد كني عنه»[٣].

٣- التعليل بالثقل:

وجد الفراء في هذه الظاهرة مجالاً رحباً لتعليلاته فأكثر من الاتكاء عليها، ومن ذلك تعليله حذف الواو في قوله تعالى: ﴿أَوْ هم قائلون﴾[٤] إذ قال : «وقوله: ﴿أَوْ هم قائلون﴾ واو مضمرة[٥]، المعنى أهلكناهم فجاءها بأسنا بياتاً أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقاً على نسق ولو قيل لكان جائزاً كما

---

(١) انظر معاني القرآن: ١/ ٤، ٥، ٦، ٩٥، ١٢٤، ٢٠١، ٢/ ٥١، ٩٦، ١٠٢، ١٤٤، ٣٠٥، ٤١٣، ٣/ ٩٥، ١١٢، ١٧٩، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٧٤.

(٢) الحجر: ١٥/ ٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٨٦، وانظر: ٢/ ٤٤، ٤٥، ١٨٦.

(٤) الأعراف: ٧/ ٤.

(٥) أي أن هناك واواً مضمرة قبل قوله: ﴿هم﴾.

تقول في الكلام: أتيتني والياً أو وأنا معزول، وإن قلت: أو أنا معزول فأنت مضمر للواو»[(١)].

ويراعي الفراء سبيل العرب في اختيار ما خَفَّ على اللسان نطقه ويعترض على القراء الذين يحذفون الهمزة ويضعون مكانها الياء أو الواو ويحركونهما بحركة تناسبهما ويصفهم بأنهم فروا من ثقيل إلى أثقل منه ويقول: «والقراء يقولون: «يَوُوْسا»[(٢)] و«يَوُوْده»[(٣)] فيحركون إلى الرفع و«بَيِيْسٍ»[(٤)] يحركون الياء الأولى إلى الخفض، ولم نجد ذلك في كلامهم لأن تحريك الياء والواو أثقل من ترك الهمز، فلم يكونوا ليخرجوا من ثقل إلى ما هو أثقل منه»[(٥)].

وهو في تعليله بالثقل يوافق الحس اللغوي العربي الذي يؤثر الخفة على الثقل، وذلك في تفضيله الإدغام على الإظهار إذا كان في الإظهار مشقة على اللسان، ويرسم للقارئ سبيلاً في الإدغام مفاده أن كل ما أجهد اللسان نطقه فليذهب به إلى الإدغام وكل ما سهل نطقه فليذهب به إلى الإظهار، وفي ذلك يقول: «وكذلك قوله: ﴿اتخذتم﴾[(٦)] و﴿عذت بربي وربكم﴾[(٧)]، تظهر

---

(١) معاني القرآن: ١/ ٣٧٢.

(٢) الإسراء: ١٧/ ٨٣. وانظر البدور الزاهرة: ١٨٨.

(٣) البقرة: ٢/ ٢٥٥، وانظر البحر المحيط: ٢/ ٢٨٠، والبدور الزاهرة: ٥٣.

(٤) الأعراف: ٧/ ١٦٥، وانظر القراءات الشاذة (للشيخ القاضي): ٤٩.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ١٣٠.

(٦) البقرة: ٢/ ٥١.

(٧) غافر: ٤٠/ ٢٧.

وتدغم[١]، والإدغام أحب إليّ لأنها متصلة بحرف لا يوقف على ما دونه، فأما قوله: ﴿بلْ ران على قلوبهم﴾[٢] فإن اللام تدخل في الراء دخولاً شديداً ويثقل على اللسان إظهارها فأدغمت، وكذلك فافعل بجميع الإدغام، فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم وما سهل فيه الإدغام فأظهر ولا تدغم»[٣].

٤- التعليل بالخفّة:

وعلل الفراء بالخفّة في النطق، وهي جنوح الناطق إلى بذل جهد عضلي أقلّ في كلامه، وهذا ما يسمّى اليوم بـ«نظرية الاقتصاد اللغوي»، والفراء في تعليله هذا يرصد ظاهرة أخرى من ظواهر العربية، وسمة أخرى من سمات اللسان العربي، فتراه يعلل بالخفة ويشترط مع ذلك أن يكون المعنى معلوماً، ويسوق كلام العرب شاهداً على ما يذهب إليه ويقول: «وقوله: ﴿فعُمِّيَتْ عليكم﴾[٤] قرأها يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة[٥]، وهي في قراءة أبيّ «فعمَّاها عليكم»[٦]،

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم «عذت» مبينة الذال، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي «عذت» مدغمة، انظر كتاب السبعة: ١٥٥، ٥٧٠.

(٢) المطففين: ٨٣/ ١٤.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٣٥٤، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٤، ٦، ١٧٢، ٢٠١، ٢١٥، ٣٧٢، ٤٣١، ٢/ ١٦، ٣٤، ٣٣٠.

(٤) هود: ١١/ ٢٨.

(٥) قرأ حمزة والكسائي «فعميت» بضم العين وتشديد الميم وكذلك حفص عن عاصم، انظر كتاب السبعة: ٣٣٢، وحجة القراءات: ٣٣٨.

(٦) انظر القراءات الشاذة لابن خالويه: ٥٩، وحجة القراءات: ٣٣٨.

وسمعت العرب تقول: قد عُمِّي عليَّ الخبر وعَمِيَ عليَّ بمعنى واحد[١]، وهذا مما حوّلت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره، ألا ترى أن الرجل الذي يَعْمَى عن الخبر أو يُعَمَّى عنه، ولكنه في جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم في يدي والخفُّ في رجلي، وأنت تعلم أن الرجل التي تُدْخَل في الخُفِّ والأصبع في الخاتم، فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفاً لا يكون لذا في حال ولذا في حال، إنما هو لواحد فاستجازوا ذلك لهذا»[٢].

ويتتبع أساليب العرب في نطقها وإيثارها الخفة على الثقل، ويستنبط من كلامها أنها إذا استثقلت خففت ويقول: «وقوله:﴿أنلزمكموها﴾[٣]، العرب تسكن الميم التي من اللزوم فيقولون: أنلزمْكموها[٤]، وذلك أن الحركات قد توالت فسكنت الميم لحركتها وحركتين بعدها وأنها مرفوعة، فلو كانت منصوبة لم يستثقل فتخفف، إنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمَّتين متواليتين»[٥].

---

(١) قال الزبيدي: «وعمي عن رشده وحجته إذا لم يهتد وعمي عليه طريقه كذلك، وعمي عليه الأمر التبس، وكذلك عمي بالتشديد» التاج (عمى)، وانظر تهذيب اللغة: ٣/ ٢٤٣- ٢٤٥.

(٢) معاني القرآن: ٢/ ١٦.

(٣) هود: ١١/ ٢٨، وسلفت الآية.

(٤) حكي عن أبي عمرو إسكان الميم، انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/ ٢٨٠، والكشاف: ٢/ ٢١٣، والبحر المحيط: ٥/ ٢١٧، وانظر الكتاب: ٤/ ٢٠٤.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ١٦، وانظر معاني القرآن أيضاً: ٢/ ٣٥٤، ٣/ ١١٠، ٢٢٥.

٥- التعليل بالقبح:

يرى الفراء أن الكلام ينبغي له أن يكون متفقاً والذوق اللغوي مستساغاً فيه، فإذا رأى ظاهرة تنبو عن الحس اللغوي اطّرحها متعللاً بالقبح، ومن ذلك قوله: «وأما قوله: ﴿وأجدر ألاّ يعلموا﴾ [١]، فإن وضعك المصدر في موضع «أن» قبيح، لأن «أخلق» و«أجدر» يطلبن الاستقبال من الأفاعيل فكانت بـــ«أن» تبين المستقبل، وإذا وضعت مكان «أن» مصدراً لم يتبين استقباله فلذلك قبح»[٢].

ومن تعليله بالقبح قوله: «ألا ترى أنك لا : رجلٌ قام، إنما الكلام أن تقول: قام رجل، وقبح تقديم النكرة قبل خبرها أنها توصل[٣] ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة، فيقال: رجل يقوم أعجبُ إليّ من رجل لا يقوم، فقبح إذ كنت كالمنتظر للخبر بعد الصلة»[٤].

٦- التعليل بالكره:

وتتبدى لنا عقلية الفراء في التعليل شيئاً فشيئاً، فقد رأينا أنه علل بما كثر في كلام العرب وقلّ وما ثقل وخفّ وما قبح، ونراه الآن يردُّ الوجه الإعرابي مستنداً إلى أنه مستكره، ومن ذلك قوله: «وقوله: ﴿ولقد علموا لمن

---

(١) التوبة: ٩/ ٩٧.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٤٤٩.

(٣) أي: توصف.

(٤) معاني القرآن: ٢/ ٢٤٣- ٢٤٤، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٩، ١٥٤، ٢٥٢، ٢/ ١٠، ٤٣، ٧١، ١٤٠، ٢١٨، ٢٤٤، ٤٢٠، ٣/ ٥٥، ١٢١.

اشتراه﴾[١]، «مَنْ» في موضع رفع وهي جزاء لأن العرب إذا أحدثت على الجزاء هذه اللام صيَّروا فعله على جهة «فعل»، ولا يكادون يجعلونه على «يفعل» كراهة أن يحدث على الجزاء حادث وهو مجزوم»[٢].

ومنه تعليله فتح العين في المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان المصوغات من فعل أجوف مضموم العين في المضارع أو مفتوحها بكراهة قلب الواو ياءً، وذلك قوله: «وإذا كان «يفعل» مفتوحاً من ذوات الياء والواو مثل «يخاف» و«يهاب» فالاسم والمصدر منه مفتوحان مثل المخَاف والمهاب، وما كان من الواو مضموماً مثل: يقول ويقوم ويعود ويقود وأشباهه فالاسم والمصدر فيه مفتوحان، وإنما فتحوه إذا نووا الاسم ولم يكسروه كما كسروا «المغرب» لأنهم كرهوا تحول الواو إلى الياء فتلتبس الواو بالياء»[٣].

٧- التعليل بالتوهم:

ومما استند إليه في تعليله «التوهم»، فمما أثر عن العرب أن الكلمتين إذا اتفقتا في اللفظ والمعنى لم يجز إضافة إحداهما إلى الأخرى، وإذا اختلفتا في اللفظ واتحدتا في المعنى جاز عقد الإضافة بينهما كقوله تعالى: ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾[٤]، وجاء الفراء ليعلل ذلك بتوهمهم

(١) البقرة: ٢/ ١٠٢.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٦٥.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ١٥٠، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٩، ٢٠١، ٣٠٤، ٢/ ١٠٣، ١٠٤، ١٥١، ٢٦٠، ٣٢٩- ٣٣٠، ٣/ ١٦، ٩٩، ١١٤، ٢٣٧.

(٤) الأعراف: ٧/ ١٦٩.

اختلافهما في المعنى كما اختلفتا في اللفظ فقال: «قوله: ﴿وَلَلدَّار الآخرةُ﴾[١]، ومثله مما يضاف إلى مثله في المعنى قوله: ﴿إنَّ هذا لهو حقُّ اليقين﴾[٢]، والحق هو اليقين كما أن الدار هي الآخرة، وكذلك «أتيتك بارحة الأولى» و«البارحة الأولى»، ومنه «يوم الخميس» و«ليلة الخميس»، يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كما اختلف الحق واليقين والدار والآخرة واليوم والخميس، فإذا اتفقا لم تقل العرب: هذا حق الحق ولا يقين اليقين لأنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما مختلفان في المعنى»[٣].

ومن تعليله بالتوهم ما علل به جواز دخول الألف واللام على جزأي العدد المركبين في مثل «الخمسة العشر»، وذلك قوله: «فإذا أدخلت في «أحد عشر»[٤] الألف واللام أدخلتهما في أولهما فقلت: ما فعلت الخمسة عشر، ويجوز «ما فعلت الخمسة العشر»، فأدخلت عليهما الألف واللام مرتين[٥] لتوهمهم انفصال ذا من ذا في حال»[٦].

---

(١) الأنعام: ٦/ ٣٢.

(٢) الواقعة: ٥٦/ ٩٥.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣٣٠- ٣٣١.

(٤) يوسف: ١٢/ ٤.

(٥) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣١٢- ٣٢٢ المسألة رقم (٤٣) والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: ٤٣٤- ٤٣٥.

(٦) معاني القرآن: ٢/ ٣٣، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٢٠، ٣٧٣، ٣٨٩- ٣٩٠، ٤٧١، ٢/ ٨٣، ٩٣، ٩٧، ١٤٣، ٣٤٧- ٣٤٨.

٨- التعليل بالخِلْقة:

ومما يعرفنا تعلق الفراء بروح اللغة والتصاقه بها في تعليلاته أنه علّل بما سماه «الخِلْقة» ويقصد بها الأصل في استخدام الحرف أو الكلمة في العربية، ومن ذلك تعليله رفع الاسم الواقع بعد «أمَّا» ونصبه، قال: «وكان الحسن يقرأ ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾[١] بنصب، وهو وجه، والرفع أجود منه[٢]، لأنَّ «أمَّا» تطلب الأسماء وتمتنع من الأفعال، فهي بمنزلة الصلة للاسم، ولو كانت «أمَّا» حرفاً يلي[٣] الاسم إذا شئت والفعل إذا شئت كان الرفع والنصب معتدلين مثل قوله: ﴿والقمر قدَّرناه منازل﴾[٤]، ألا ترى أن الواو تكون مع الفعل ومع الاسم؟ فتقول: عبد الله ضربته وزيداً تركته، لأنك تقول: وتركت زيداً، فتصلح في الفعل الواو كما صلحت في الاسم، ولا تقول: أمَّا ضربت فعبد الله، كما تقول: أما عبد الله فضربت، ومن أجاز النصب وهو يرى هذه العلة فإنه يقول: خِلْقة ما نصب الأسماء أن يسبقها لا أن تسبقه، وكل صواب»[٥].

ومن تعليله بالخِلْقة قوله: «فأما أصبح وأمسى ورأيت فإنَّ الواو فيهنَّ

---

(١) فصلت: ٤١/ ١٧.

(٢) الجمهور على ضم الدال في «ثمود» وعن الحسن فتحها، وهي قراءة شاذة، انظر: الكتاب: ١/ ٨٢، والقراءات الشاذة لابن خالويه: ١٣٣، والبحر المحيط: ٧/ ٤٩١، والإتحاف: ٢/ ٤٤٢.

(٣) كذا في معاني القرآن، ولعل الصواب «يليه».

(٤) يس: ٣٦/ ٣٩.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ١٤- ١٥.

أسهل لأنهنَّ توامٌّ - يعني تامات- في حال، و«ليس» و«أظن» بنين على النقص، ويجوز أن تقول: ليس أحد إلا وله معاش، وإن ألقيت الواو فصواب لأنك تقول: ليس أحد، فتقف فيكون كلاماً، وكذلك «لا» في التبرئة وغيرها، تقول: لا رجل ولا من رجل، يجوز فيما يعود بذكره بعد «إلا» الواو وغير الواو في التمام، ولا يجوز ذلك في «أظن» من قبل أن الظن خلّقته الإلغاء، ألا ترى أنك تقول: زيدٌ قائمٌ أظنُّ؟ فدخول «أظنّ» للشك، فكأنه مستغنى عنه، وليس بنفي ولا يكون عن النفي مستغنياً لأنك إنما تخبر بالخبر على أنه كائن أو غير كائن، فلا يقال للجحد: إنه فضل من الكلام كما يقال للظن»[١].

٩- التعليل بمشاكلة رؤوس الآيات:

حرص الفراء على التوافق بين رؤوس الآيات القرآنية ولذا مال إلى قراءة دون أخرى معللاً بمشاكلة رؤوس الآيات، قال:« ﴿والليل إذا يَسْرِ﴾[٢]، ذكروا أنها ليلة المزدلفة، وقد قرأ القراء «يَسْري» بإثبات الياء و«يَسْرِ» بحذفها[٣]، وحذفها أحبُّ إليَّ لمشاكلتها رؤوس الآيات، لأن العرب قد تحذف

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ٨٤، وانظر معاني القرآن الكريم أيضاً: ١/ ٢٥٥، ٤٦٩، ٢/ ٨٤، ١٥١، ٣٩٦، ٤١٥.

(٢) الفجر: ٨٩/ ٤.

(٣) قرأ ابن كثير بالياء في الوصل والوقف، وقرأ نافع بالياء في الوصل وبغير ياء في الوقف، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بغير ياء في وصل ولا وقف، انظر كتاب السبعة: ٦٨٣، والتيسير: ٢٢٢.

الياء وتكتفي بكسر ما قبلها»[١].

١٠- التعليل بالمعنى:

أفاض الفراء في تعويله على المعنى في تعليله، حتى إن أكثر ما علل به في معانيه لا يتعدى مدار المعنى، فتراه يقلب النظر في معنى الآية ويحلله، ويعلل الحذف الواقع في القرآن بدلالة المعنى على المحذوف، ويجيز حذف ما دلّ عليه المعنى ويمنع حذف ما لم يدلّ عليه فيقول: «وقوله: ﴿فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر﴾[٢]، ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه: لأقتلنّك لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل لحسده لأخيه: لأقتلنّك، ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفيه والحليم حُمِدَ، تنوي بالحمد الحليم، وإذا رأيت الظالم والمظلوم أعنْتَ وأنت تنوي: أعنت المظلوم للمعنى الذي لا يُشْكِل»[٣].

ويعلل بالمعنى ويختار الوجه الإعرابي الذي يحسن به، يقول: «وقوله: ﴿فذَرْني ومَنْ يكذّب بهذا الحديث﴾[٤] معنى ﴿فذرني ومَنْ يكذّب﴾ أي: كِلْهم إليّ، وأنت تقول للرجل: لو تُركت ورأيك ما أفلحتَ، أي: لو وكلتك إلى رأيـــك لم تفلح، وكذلك قوله: ﴿ذَرْني ومَنْ خلقْتُ وحيدا﴾[٥]، و﴿مَنْ﴾

---

(١) معاني القرآن: ٣/ ٢٦٠، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٠١، ٣/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣١٤، ٣٨٣.

(٢) المائدة: ٥/ ٢٧.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣٠٥.

(٤) القلم: ٦٨/ ٤٤.

(٥) المدثر: ٧٤/ ١١.

في موضع نصب، فإذا قلت: قد تُركْتَ ورأيك وخُلِّيت ورأيك؛ نصبت الرأي لأن المعنى لو تُركتَ إلى رأيك، فنصبت الثاني لحسن هذا المعنى فيه، ولأن الاسم قبله متصل بفعل»[١].

وبذا وقفنا على أهم ما استند إليه الفراء في تعليله، وكثر تعويله عليه فيه، غير أنه علل بغير ما ذكر آنفاً، نحو تعليله بالاستحباب[٢] والحسن[٣] والاستيحاش[٤] وطباع الأعراب[٥].

فالشيخ في تعليله لم يخرج عن خصائص العربية ومدار الذوق والحس اللغويين، ولم يسلك سبلاً دخيلة على اللغة، فقد وجدناه يعلل بالكثرة - وهم إذا كثر الشيء في كلامهم أعطوه حكماً ليس لغيره - وبما قلّ في كلام العرب، ورأيناه يحكم ذوقه العربي فيعلل بالقبح والكراهة والحسن والاستحباب والاستيحاش، وإذا عدم علة لكلامهم ركب متن التوهم فعلل به، واتخذ من الأصل في الاستخدام اللغوي مستنداً يعلل به، وهو ما سماه بالخِلْقة، وألفيناه يولي معقولية الكلام اهتماماً بالغاً فيعلل بصحة المعنى أو فساده.

إنه رصد في تعليله الخصائص اللسانية العربية وأبان عن علم أصيل بهذه

(١) معاني القرآن: ٣/ ١٧٧، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ١٦٣، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٤، ١٩١، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٨، ٢/ ٧٣، ٨٥، ٢١٨، ٢٢٤، ٤١٨، ٣/ ٢٤، ٥٩، ٩٥، ١٧٧، ٢٥١.

(٢) انظر معاني القرآن: ٢/ ٣٨٦.

(٣) انظر معاني القرآن: ٢/ ٢١٨، ٢٤٤.

(٤) انظر معاني القرآن: ٣/ ٢١٤.

(٥) انظر معاني القرآن: ٢/ ٣٥٣.

اللغة وشفافية وفطرة لغويتين سليمتين وذوق عربي صافٍ، فجاءت علله موافقة لما تقتضيه الأسباب اللسانية المركوزة في الطبع اللغوي لا في العقل المجرد.

منهجه في عرض الظاهرة النحوية وتحرير أحكامها:

تبدو عقلية العالم والمؤثرات الفكرية التي أثرت فيها في المنهج الذي يسلكه في شرحه للقضايا العلمية التي يتناولها والمناقشات التي يديرها والأفكار التي يثيرها، والسبل التي يتبعها في استنباط الأحكام العلمية، والمرتكزات التي يتكئ عليها في بسطه لأفكاره وشرحها، كل أولئك يرسم صورة واضحة عن تكوينه الفكري والعوامل التي أثرت فيه.

وبناء على هذا ينبغي لنا أن نقف على سنة الفراء في بحثه النحوي في كتابه «معاني القرآن» لنتعرف منهجه الذي اصطبغ به تفكيره النحوي ولنعلم مقدار أخذه بالفلسفة والمنطق فنقف على مدى ميله إلى الجدل والافتراض والاعتراض والتجريد العقلي والأسلوب المنطقي في التقسيم والنفي والإثبات وبناء المسائل بعضها على بعض، وخير ما ننتفع به للوصول إلى غايتنا أن نستعرض بضعة نصوص من كتابه «معاني القرآن»، قال: ﴿وإِنَّا أَوْ إِيَّاكم لعلى هدىً﴾[1]، قال المفسرون: معناه: وإنا لعلى هدى وأنتم في ضلال مبين[2]، معنى «أو» معنى الواو عندهم، وكذلك هو في المعنى، غير أن العربية على غير ذلك، لا تكون «أو» بمنزلة الواو، ولكنها تكون في الأمر المفوَّض، كما تقول: إن شئت فخذ درهماً أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ

---

(١) سبأ: ٣٤/ ٢٤.

(٢) هو مذهب أبي عبيدة، انظر مجاز القرآن: ٢/ ١٤٨، والبحر المحيط: ٧/ ٢٨٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٩٤.

ثلاثة، وفي قول من لا يبصر العربية ويجعل «أو» بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ ثلاثة، لأنه في قولهم بمنزلة قولك: خذوا درهماً واثنين، والمعنى في قوله: ﴿وإنا أو إياكم﴾ إنَّا لضالُّون أو مهتدون، وإنكم أيضاً لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضالُّ: الضالون.

فأنت تقول في الكلام للرجل: إنَّ أحدنا لكاذب، فكذبته تكذيباً غير مكشوف، وهو في القرآن وفي كلام العرب كثير، أنْ يوجَّه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف كقولك: والله لقد قدم فلان، وهو كاذب، فيقول العالم: قل إن شاء الله أو قل فيما أظنُّ، فيكذبه بأحسن من تصريح الكذب، ومن كلام العرب أن يقولوا: قاتله الله، ثم يستقبحونها فيقولون: قاتعه وكاتعه[1]، ويقولون: جوعاً دعاءً على الرجل ثم يستقبحونها فيقولون: جوداً، وبعضهم: جَوْساً، ومن ذلك قولهم: ويحك وويسك، إنما هي ويلك، إلا أنها دونها بمنزلة ما مضى»[2].

في ضوء هذا النص نرى أنه بدأ كلامه بذكر قول المفسرين في الآية ثم التفت إلى العربية ليحكّمها فيه فقال: «غير أن العربية على غير ذلك»، وذكر المعنى الذي تستخدم فيه «أو» واستثمر معناها الوظيفي، وذمَّ مَنْ ليس له دراية بالعربية فقال: «وفي قول مَنْ لا يبصر العربية»، واستند إلى معنى الآية في كلامه فقال: «والمعنى في قوله: ﴿وإنا أو إياكم...﴾»، وعلَّل ما ذهب إليه بكثرته في القرآن وكلام العرب، ثم ساق أسلوب العرب في التكذيب، وعوَّل في ذلك على ضرورة فهم كلامهم، ونبه على دور الذوق العربي في استبعاد

(١) قال الزبيدي: «والمقاتعة والمكاتعة المقاتلة يقال: قاتعه الله» التاج (قتع).

(٢) معاني القرآن: ٢/ ٣٦٢.

بعض الكلمات وإحلال أفضل منها مكانها معللاً باستقباحهم، والتمس لكلامه دليلاً فلم يجده إلا في كلام العرب.

فالشيخ في هذا النص لم يتعَدَّ إطار العربية والمعاني المستفادة منها والذوق العربي والحس اللغوي ومناهج العرب في تعبيرها سواء أكان ذلك في تعليله أم في منهجه الذي تراوح بين المنهج الوصفي والمعياري.

وهذا هو دأبه في شرحه للظاهرة النحوية، يستلهم العربية ويتعلق بكلام القوم وأساليبهم في تأليف التركيب اللغوي، وينبه على أغراضهم منه غير غافل عن الإشارة إلى عنايتهم بالمقام الذي يرسلون فيه كلامهم، وتعرف كلفه بهذا كله في النص التالي، قال: «وقوله: ﴿أَمَنْ هو قانتٌ آناءَ الليل﴾[1]، قرأها يحيى بن وثّاب بالتخفيف، وذكر ذلك عن نافع وحمزة[2]، وفَسَّروها: يا مَنْ هو قانتٌ، وهو وجه حسن، العرب تدعو بألف كما يدعون بـ«يا» فيقولون: يا زيدُ أقبلْ وأزيدُ أقبلْ، قال الشاعر[3]:

أبني لُبَيْنى لستم بيدٍ ... إلا يدٍ ليست لها عَضُدُ

---

(١) الزمر: ٣٩/ ٩.

(٢) قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي «أَمَّن» بالميم المشددة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة «أَمَنْ» بالميم المخففة، انظر كتاب السبعة في القراءات: ٥٦١، والتيسير: ١٨٩، والبحر المحيط: ٧/ ٤١٨- ٤١٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٢٣٧.

(٣) ورد البيت في الكتاب: ٢/ ٣١٧ بلا نسبة ونسبة صاحب اللسان (خبل) إلى أوس، وهو في ديوانه: ٢١، وروايته فيه «.... لستم بيدٍ إلا يداً ...».

وقال الآخر[1]:

أضـــمر بـــن ضـــمرةَ ماذا ذَكَرْ　　تَ مـــن صِـــرْمةٍ أُخذَتْ بالمُرار

وهو كثير في الشعر، فيكون المعنى مردوداً بالدعاء كالمنسوق، لأنه ذكر الناسي الكافر[2] ثم قَصَّ قصَّة الصالح بالنداء، كما تقول في الكلام: فلانٌ يصلي ولا يصوم فيا مَنْ يصلي ويصوم فأَبْشِرْ، فهذا معناه والله أعلم.

وقد تكون الألف استفهاماً بتأويل «أم» لأن العرب قد تضع «أم» في موضع الألف إذا سبقها كلام، وقد وصفت من ذلك ما يُكتفى به، فيكون المعنى أَمَنْ هو قانت (خفيف) كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر؟

ومن قرأها بالتشديد فإنه يريد معنى الألف، وهو الوجه، أن تجعل «أم» إذا كانت مردودة على معنى قد سبق قلتها بأم، وقد قرأ بها الحسن وعاصم وأبو جعفر المدني، يريدون: أَمْ مَنْ، والعرب تقول: كان هذا حين قلت: أأخوك أم الذئب؟ تقال: هذه الكلمة بعد المغرب إذا رأيت الشخص فلم تَدْرِ ما هو؟ ومنه قولك: أفتلك أم وحشيَّةٌ؟ وقولك: أذلك أم جَأْبٌ[3] يطارِدُ أُتُناً؟

فإن قال قائل: فأين جواب «أَمَّنْ هو» فقد تبيَّن في الكلام أنه مضمر قد جرى معناه في أوَّل الكلمة، إذ ذكر الضالَّ ثم ذكر المهتدي بالاستفهام،

---

(١) ورد البيت في نوادر أبي زيد: ٤٣٩ منسوباً إلى سبرة بن عمرو الفقعسي.

(٢) هذه إشارة إلى الآية التي تسبق الآية المذكورة سالفاً من سورة الزمر وهي: ﴿وإذا مَسَّ الإنسانَ ضُر دعا ربَّه مُنيباً إليه ثمَّ إذا خَوَّله نعمة منه نسيَ ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليُضِلَّ عن سبيله قل تمتَّعْ بكفرك قليلاً إنَّك من أصحاب النار﴾ الزمر: ٣٩/ ٨.

(٣) «الجَأْب: الحمار الغليظ مطلقاً». التاج (جأب).

فهو دليلٌ على أنه يريد: أهذا مثل هذا أو أهذا أفضل أم هذا؟ ومَنْ لم يعرف مذاهب العرب ويتبيَّن له المعنى في هذا وشبهه لم يكتَفِ و لم يَشْتَفِ، ألا ترى قول الشاعر[(١)]:

فأُقسم لو شيءٌ أتانا رسوله سواكَ ولكنْ لم نجدْ له مَدْفَعا

أنَّ معناه: لو أتانا رسولٌ غيرك لدفعناه، فعلم المعنى فلم يظهر»[(٢)].

وهكذا يمضي الشيخ في تفسيره معتمداً المعطيات الذوقية للعربية فلا يجد لحكمه النحوي إلا أن يقول: «وهو وجه حسن»، وقد كان أشار إلى القبح في النص السابق، والحسن والقبح أمران ذوقيان، ويبحث في إعراب «أمن» على قراءة التخفيف والتثقيل ويرى لكل قراءة توجيهاً نحوياً نابعاً من روح العربية غير بائن عنها، ويعوِّل على كلام العرب – كعادته – فيعلل به فيقول: «لأن العرب قد تضع..» ويحتج به فيقول: «والعرب تقول.. »، ويلتفت إلى أشعارهم ويسوقها شاهداً بين يدي بحثه، ويولي معنى المقام اهتمامه وينبه عليه، ويحرص على أن يربط كل وجه إعرابي بالمعنى الذي يفضي إليه، وإذا لم يجد بُدّاً من الاعتراض والجواب عنه فإن ذلك لا يخرج به عن بدائه الحس اللغوي لأن مراده منه تبيان المعقولية المرجوة من الكلام، فتجده يبيِّن أن جواب «أمَّن هو» جرى معناه في الآية السابقة، ثم يستحثُّ القارئ للوقوف على مسالك العرب في كلامها وتعقُّله وفهم معناه، فإن مَنْ غاب عنه مرامي العرب من كلامها لم يتزود منه بشيء وضاق صدره وكمد قلبه.

وما إن نتقدم في قراءة «معاني القرآن» حتى يتوضح لدينا تكوينه

(١) هو امرؤ القيس، والبيت في ديوانه: ١٣٠، والخزانة: ٤/ ٢٢٧.

(٢) معاني القرآن: ٢/ ٤١٦- ٤١٧.

الفكري في الدرس النحوي وذهنه السيال بكلام العرب وتقاليبه وفهمه الدقيق لمعانيه وتذوقه لها، وهو في جماع بحثه يصدر عن أصالة عربية نقية بعيدة عن الدخيل، ويصطنع لنفسه منهجاً يتخذ من كلام العرب حقيقة مسلمة يرجع إليها على أنها ركن يأوي إليه ومَعين وافر يستقي منه أحكامه، فإذا ما بلغه شيء من كلامهم أخذه على أنه حجة دامغة وتوقف عن المناقشة والجدل، وجعل يبحث فيه غير ملتفت لغيره، ولا مسقطاً عليه ما ليس له تعلُّق به، وهذا ما يتجلى في قوله: «وقوله: ﴿الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ﴾[1]، معناه وقت الحج هذه الأشهر، فهي وإن كانت «في» تصلح فيها فلا يقال إلاّ بالرفع، كذلك كلام العرب، يقولون: البرد شهران والحرُّ شهران، لا ينصبون، لأنه مقدار الحج، ومثله قوله: ﴿ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ﴾[2]، ولو كانت الأشهر أو الشهر معروفة على هذا المعنى لصلح فيه النصب، ووجه الكلام الرفع، لأن الاسم إذا كان في معنى صفة أو محلٍّ[3] قوي إذا أسند إلى شيء، ألا ترى أن العرب يقولون: هو رجلٌ دونك وهو رجلٌ دونٌ، فيرفعون إذا أفردوا وينصبون إذا أضافوا، ومن كلامهم «المسلمون جانبٌ والكفار جانبٌ»، فإذا قالوا: «المسلمون جانبَ صاحبهم» نصبوا، وذلك أن الصاحب يدل على محلٍّ، كما تقول: نحوَ صاحبهم وقُرْبَ صاحبهم، فإذا سقط الصاحب لم تجده محلاً تقيده قرب

(١) البقرة: ٢/ ١٩٧.

(٢) سبأ: ٣٤/ ١٢.

(٣) أي في معنى الظرف والجار والمجرور، والكوفيون يطلقون لفظ الصفة والمحل على الظرف والجار والمجرور، انظر مجالس ثعلب: ٨٠، وشرح المفصل لابن يعيش: ٨/ ٧.

الشيء أو بعده، والأشهر المعلومات شَوّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، والأشهر الحرم المحرَّم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، وإنما جاز أن يقال له: أشهر، وإنما هما شهران وعشر من ثالث لأن العرب إذا كان الوقت لشيء يكون فيه الحج وشبهه جعلوه في التسمية للثلاثة والاثنين، كما قال الله تبارك وتعالى:﴿واذكروا اللهَ في أيامٍ معدوداتٍ فمَنْ تعجَّلَ في يومَيْن﴾[١]، وإنما يُتعجَّلُ في يوم ونصف، وكذلك هو في اليوم الثالث من أيام التشريق، وليس منها شيء تامٌّ، وكذلك تقول العرب: له اليومَ يومان منذ لم أره، وإنما هو يوم وبعض آخر، وهذا ليس بجائز في غير المواقيت لأن العرب قد تفعل الفعل في أقل من الساعة ثم يوقعونه على اليوم وعلى العام والليالي والأيام، فيقال: «زرته العامَ وأتيتك اليومَ»، و«قُتِل فلانٌ لياليَ الحجَّاج أميرٌ»، لأنه يُراد أول الوقت وآخره، فلم يذهب به على معنى العدد كله، وإنما يراد به إذ ذاك الحين»[٢].

فالشيخ يتناول بحثه تناولاً لغوياً صرفاً يرمي منه إلى التنبيه على المواضع التي تكون فيها الكلمة ظرفاً أو غير ظرف، ولا يقف عند صحة تقدير «في» للحكم على الكلمة بالظرفية، بل ينظر إلى المعنى المتوخى، فتقدير «في» في قوله تعالى:﴿الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ﴾ جائز ولكن المعنى ليس على الظرفية، فلا تراه يتسع في المناقشة ويسترسل فيها، وإنما يستوحي الحكم القاطع من العربية فيقول: «كذلك كلام العرب...»، ولا تجد في صدره إلا كلام العرب وفعلها في تنويع أساليب التعبير، فإذا علّل تنكّب

---

(١) البقرة: ٢/ ٢٠٣.

(٢) معاني القرآن: ١/ ١١٩- ١٢٠.

سبيل المحاكمة العقلية وأقبل على مسالك القوم في لغتهم وأخذ منها، فقال: «لأن العرب..»، فلا نزعة فلسفية جدلية ولا صبغة منطقية ترمي إلى الخروج بنتيجة، ولا مصطلحات تنبو عنها العربية، ولكنْ فهم لها وتَأَسٍّ بها ورصد لاستخدامها واستخلاص الأحكام النحوية منها بيسر وسهولة، واعتراض وجواب عنه منبثقان من صميمها، قال: «وقوله: ﴿وهو مُحرَّمٌ عليكم إخراجُهم﴾[1]، إن شئت جعلت «هو» كناية[2] عن الإخراج ﴿وتُخرْجون فريقاً منكم من ديارِهم﴾، أي: وهو محرمٌ عليكم، يريد: إخراجهم محرَّم عليكم ثم أعاد الإخراج مرة أخرى تكريراً على «هو» لمَّا حال بين الإخراج وبين «هو» كلام فكان رفع الإخراج بالتكرير على «هو»، وإن شئت جعلت «هو» عماداً[3] ورفعت الإخراج بمحرَّم، كما قال الله جل وعز: ﴿وما هو بمُزَحْزِحِه من العذاب أنْ يُعَمَّر﴾[4]، فالمعنى - والله أعلم - ليس بمزحزحه من العذاب التعمير.

فإن قلت: إن العرب إنما تجعل العماد في الظن لأنه ناصب وفي «كان» و«ليس» لأنهما يرفعان وفي «إنَّ» وأخواتها لأنهنَّ ينصبن، ولا ينبغي للواو وهي لا تنصب ولا ترفع ولا تخفض أن يكون لها عماد.

قلت: لم يوضع العماد على أن يكون لنصب أو لرفع أو لخفض، إنما وضع في كل موضع يبتدأ فيه الاسم قبل الفعل، فإذا رأيت الواو في موضع

(١) البقرة: ٢/ ٨٥.

(٢) الكناية هو الضمير عند البصريين، انظر شرح المفصل لابن يعيش: ٣/ ٨٤.

(٣) هو ضمير الفصل عند البصريين، انظر شرح المفصل لابن يعيش: ٣/ ١١٠، وشرح الكافية للرضي: ٢/ ٢٤.

(٤) البقرة: ٢/ ٩٦.

تطلب الاسم دون الفعل صلح في ذلك العماد، كقولك: أتيت زيداً وأبوه قائم، فقبيح أن تقول: أتيت زيداً وقائم أبوه، وأتيت زيداً ويقوم أبوه، لأن الواو تطلب الأب، فلما بدأتَ بالفعل وإنما تطلب الواو الاسم أدخلوا لها «هو» لأنه اسم، قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: كان مرة وهو ينفع الناس أحسابُهم»[١].

فالعماد في نظر المعترض يصلح استخدامه في مواضع بعينها، نحو «ظننت زيداً هو القائم» و«كان زيد هو المتفوق» و«إن زيداً هو الناجح» و«ظن» و«كان» و«إن» كلٌّ له عمل، والواو ليس لها عمل، فلا ينبغي لضمير الفصل أن يأتي بعدها، فأجاب الفراء مستنداً إلى أصل وضع ضمير الفصل في اللغة ونبه على الموضع الذي يأتي فيه، وضمير الفصل له غاية معنوية في الجملة العربية كما هو معلوم، فالاعتراض والجواب صادران عن طبع لغوي عربي ويرميان إلى تبيان الموضع الذي يستخدم فيه ضمير الفصل، ويستندان إلى الخصائص اللغوية للواو وضمير الفصل.

ويزداد منهجه في المناقشة وإثارة السؤال والجواب وضوحاً في قوله: «وقوله: ﴿فظلَّت أعناقهم لها خاضعين﴾[٢]، والفعل للأعناق، فيقول القائل: كيف لم يقل خاضعة؟ وفي ذلك وجوه كلها صواب:

أولها: أنَّ مجاهداً[٣] جعل الأعناق الرجال الكبراء[٤]، فكانت الأعناق

(١) معاني القرآن: ١/ ٥٠- ٥١.

(٢) الشعراء: ٢٦/ ٤.

(٣) هو مجاهد بن جبر، تابعي مفسر من أهل مكة، انظر شذرات الذهب: ٢/ ١٩- ٢٠.

(٤) انظر مجاز القرآن: ٢/ ٨٣- ٨٤، ومعاني القرآن للأخفش: ٢/ ٤٦٠، والبحر المحيط: ٧/ ٥.

ههنا بمنزلة قولك: ظلّت رؤوسهم رؤوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين للآية.

والوجه الآخر: أن تجعل الأعناق الطوائف، كما تقول: رأيت الناس إلى فلان عُنُقاً واحدة، فتجعل الأعناق الطوائف والعُصَب.

وأحَبُّ إليّ من هذين الوجهين في العربية أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعلت الفعل أولاً للأعناق ثم جعلت «خاضعين» للرجال، كما قال الشاعر(١):

عـــلى قبضـــةِ موجوءةٍ ظهرُ كفّه ... فـــلا المرءُ مُسْتَحْيٍ ولا هو طاعِمُ

فأنث فعل الظهر لأن الكف تجمع الظهر وتكفي منه، كما أنك تكتفي بأن تقول: خضعت لك رقبتي، ألا ترى أن العرب تقول: كلٌّ ذي عينين ناظرٌ وناظرة إليك، لأن قولك: نظرتْ إليك عيني، ونظرتُ بمعنى واحد، فترك «كلٌّ» وله الفعل ورُدَّ إلى العين، فلو قلت: أعناقهم لها خاضعة كان صواباً..»(٢).

فقوله: «وأحب إليّ من هذين الوجهيْن في العربية...» يصدر عن تكوين نحوي وعقلية لغوية خالصَين، وهو في هذا النص لا يسوق اعتراضه وجوابه عنه رغبة في الجدل والمناقشة ولكن لتفسير معنى الآية وتوجيه مسألة نحوية تبدو في ظاهرها مخالفة لأصول العربية، ويستعين في جوابه بقول إمام من أئمة القرّاء والمفسرين، وبأصل من أصول العربية هو «باب الحمل على المعنى»، وهو باب أفرد له ابن جني فصلاً ونبّه على أهميته في فهم العربية

---

(١) ورد البيت في الخصائص: ٢/ ٤١٨ بلا نسبة.

(٢) معاني القرآن: ٢/ ٢٧٦- ٢٧٧.

وتخريج كلامها[١]، فلا يجافي طبيعة العربية لأنه يدير اعتراضه وجوابه عنه لإدراك مضمون الكلام وكشف معانيه الدقيقة[٢].

وهكذا تكتمل صورة المنهج الذي اتبعه الفراء في تحديد المسار النحوي وشرحه وتبدو المعالم المميزة له، وتتمثل بتلك الآصرة القوية بينه وبين العربية وكلام العرب، فلا يكاد يذكر وجهاً إعرابياً أو قراءة قرآنية إلا ويحيل عليهما محتكماً، فإذا وجد ما يتفق وأحكامهما نعته بقوله: «وهو وجه العربية»[٣] أو بقوله: «وهو أقوى الوجهين في العربية»[٤]، أو بقوله: «وهو وجه قوي في العربية»[٥]، أو بقوله: «كل هذا جائز في العربية»[٦]، أو بقوله: «وهذا جائز في العربية»[٧]، أو بقوله: «وهو وجه جيد في العربية»[٨]، أو بقوله: «كلام العرب...»[٩]، أو بقوله: «والعرب تقول..»[١٠]، أو بقوله: «والعرب تفعل ذلك..»[١١]، أو بقوله: «وهو من كلام العرب..»[١]، ويرى

(١) انظر الخصائص: ٢/ ٤١١- ٤٣٥.

(٢) انظر معاني القرآن: ١/ ٥٩- ٦٠، ٢/ ٢٤١...

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٢٥٥.

(٤) معاني القرآن: ٢/ ٤٢.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ٢١٧.

(٦) معاني القرآن: ٣/ ٢٦٣.

(٧) معاني القرآن: ٣/ ٢٨٩.

(٨) معاني القرآن: ٢/ ٢١٤- ٢١٥.

(٩) معاني القرآن: ١/ ٩٤، ٢/ ١١٨، ٢٨٠...

(١٠) معاني القرآن: ٢/ ٢٠، ٢٩، ٣٦، ٣٨، ٣/ ٤٥..

(١١) معاني القرآن: ٢/ ٧٢- ٧٣.

ويرى أن المتكلم ينبغي له أن يتأسى بكلامهم فيقول: «فهذا سبيل كلام العرب»[٢].

وإذا وجد ما لا يتفق وأحكام العربية نبه عليه بقوله: «وهو ضعيف في العربية»[٣]، أو قوله: «ولا نجد ذلك مستقيماً في العربية»[٤]، أو قوله: «ولا تجد ذلك محتملاً في العربية»[٥].

كما تتمثل تلك المعالم بأن الفراء نحوي أخذ في معانيه بدرس نحوي يقوم على النظر في العربية ورصد خصائصها ومقوماتها والأخذ بها، وسبر أعماقها لإبراز أساليب أصحابها في التعبير عن أفكارهم وللوقوف على طرائقهم في الخطاب، وأدار بحثه بأسلوب يتفق وطبيعتها، لذا لم يطلب لمنهجه أن يتخلله النفي والإثبات والتقسيم ولم يلتمس لحججه.. أن تكون مجردة عقلية، ونأى بنفسه عن التطويل في الجدل، ويمَّم وجهه شطر العربية واتخذها مداراً لبحثه، فجاء منهجه متفقاً وروحها وأضفى حسه اللغوي على مصطلحاته فجاءت لصيقة بذوقه اللغوي الرفيع معبرة عن ذهنيته النحوية، وتستبين ذلك في هذه المصطلحات التي سارت على لسانه وأراد لها أن تعبر عن تكوينه النحوي، وهذا ما تتكلم عليه الفقرة التالية.

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ١٧٩.

(٢) معاني القرآن: ٣/ ٥٢.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٢٥٩.

(٤) معاني القرآن: ٢/ ٣٩٧.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ١٥٦.

المصطلحات التي سارت على لسان الفراء:

استخدم الفراء بعض التراكيب ليعبر عن رأيه في المسائل النحوية التي تعرض لها، ولما كثر استخدامه تلك التراكيب رأيت أن أسميها «مصطلحات» وأن أخصها بالدرس، لأنها تنبئ عن أصالة وذوق لغويين عند الشيخ، ويستشف منها حسُّه الفطري بمعاني العربية، وما كان عليه من علم عميق بمجاري التعبير فيها، فإذا عرض له مذهب نحوي وأراد أن يتخذ منه موقفاً اختار عبارة شفافة ترجع إلى الذوق نحو قوله: «ولست أشتهي ذلك»، قال: «وكان حمزة الزيات يهمز الأمر إذا كانت فيه الفاء أو الواو مثل قوله: ﴿واسأل القرية التي كنَّا فيها﴾[١]، ومثل قوله: ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب﴾[٢]، ولست أشتهي ذلك لأنها لو كانت مهموزة لكتبت فيها بالألف[٣] كما كتبوها في قوله: ﴿فاضرب لهم طريقاً﴾[٤] ﴿واضرب لهم مثلاً﴾[٥] بالألف»[٦].

وقد كثر استخدامه لمثل قوله: «ولست أشتهي ذلك»[٧] ومثل «ولست أشتهيه»[٨] ومثل «ولست أشتهيها»[٩] ومثل «ولا أشتهي الرفع»[١٠].

---

(١) يوسف: ١٢/ ٨٢ .

(٢) يونس: ١٠/ ٩٤ .

(٣) الفعل «واسأل» كتب في المصحف «وسئل» وكذا الفعل «فاسئل» «فسئل».

(٤) طه: ٢٠/ ٧٧.

(٥) يس: ٣٦/ ١٣.

(٦) معاني القرآن: ١/ ١٢٥.

(٧) معاني القرآن: ١/ ٢٣٨، ٢/ ٣٢٤، ٣/ ١١١، ٢٢٥.

(٨) معاني القرآن: ١/ ٢٦٥، ٤٧٣، ٢/ ٣٢٤.

(٩) معاني القرآن: ١/ ٢٧١، ٢/ ٣٨٣، ٣/ ٧٤.

(١٠) معاني القرآن: ٣/ ١٤٦.

وتبدو رقة طبعه اللغوي في عبارات لطيفة كان يطلقها كلما وجد ما لا يروق له ولا يريد ردَّه نحو قوله: «والرفع أحبُّ إليَّ» قال: «وقد قرأ بعض القراء ﴿لا يَحْزُنْهم الفزعُ الأكبرُ﴾[1] بالجزم وهو ينوون الرفع[2]، وقد قرؤوا ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾[3]، والرفع أحب إليَّ من الجزم»[4].

وتردَّدت على لسانه عبارات قريبة من قوله: «والرفع أحبُّ إليَّ» كقوله: «والوجه الأول أحبُّ إليَّ»[5]، وقوله: «والنصب أحبُّ إليَّ»[6]، وقوله: «وهو أحب الوجهين إليَّ»[7]، وقوله: «ولست أستحبُّ ذلك»[8]، وقوله: «وكأني أستحبُّ..»[9]، وقوله: «وليس لها معنى أستحبُّه»[10]، وقوله: «ولا أستحبُّ أن أقــول..»[11]، وقوله: «وهو أحبُّها إليَّ»[12]، وقــوله: «والكسر أحبُّ إليَّ»[1]،

---

(١) الأنبياء: ٢١/ ١٠٣.

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس: ٣/ ٨٢.

(٣) انظر ما سلف ص ١٢، ح ٨.

(٤) معاني القرآن: ١/ ٨٨، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٣٧٥، ٢/ ٣٨٤، ٣/ ٢١.

(٥) معاني القرآن: ١/ ٤٣.

(٦) معاني القرآن: ١/ ٣٩٣.

(٧) معاني القرآن: ٢/ ٤٢٠.

(٨) معاني القرآن: ١/ ١٩.

(٩) معاني القرآن: ٣/ ٢٥.

(١٠) معاني القرآن: ١/ ٤١٤.

(١١) معاني القرآن: ١/ ٣١١.

(١٢) معاني القرآن: ١/ ٢٢، وانظر معاني القرآن أيضاً: ٢/ ٣٣٨.

وقوله: «ولست أستحسنه»[٢]، وقوله: «والنصب في العربية أهيؤها»[٣].

واختار عبارة أخرى لإبراز موقفه النحوي وهي قوله: «ولا يعجبني ذلك» قال: ﴿إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يقيما حدود الله﴾[٤]، وفي قراءة عبد الله ﴿إلاَّ أن تخافوا﴾[٥]، فقرأها حمزة على هذا المعنى ﴿إلاَّ أن يُخافا﴾[٦]، ولا يعجبني ذلك»[٧]، وقريب من هذا قوله: «والأول أعجب إليَّ»[٨]، وقوله: «وكسر الواو في الولاية أعجب إليَّ من فتحها...»[٩]، وقوله: « ﴿نون والقلم﴾[١٠]، تخفي النون وتظهرها، وإظهارها أعجب إليَّ»[١١]، وقوله: «... الرفع أعجب إليَّ»[١٢]، وقوله: «وهذا أعجب الوجهين إليَّ»[١٣].

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ٣٥١.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٢٠.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٢٣٢، وأهيؤها: أحسنها.

(٤) البقرة: ٢/ ٢٢٩.

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس: ١/ ٣١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١٣٨.

(٦) قراءة حمزة بضم الياء في «يخافا» انظر كتاب السبعة: ١٨٢، والتيسير: ٨٠، وحجة القراءات: ١٣٥، والنشر: ٢/ ٢٢٧.

(٧) معاني القرآن: ١/١٤٥.

(٨) معاني القرآن: ١/ ٤٦١، وانظر: ٢/ ٧٨.

(٩) معاني القرآن: ١/ ٤١٨.

(١٠) القلم: ٥٢/ ١.

(١١) معاني القرآن: ٣/ ١٧٢.

(١٢) معاني القرآن: ٢/ ٣٧٨.

(١٣) معاني القرآن: ٣/ ٨٥.

ومما استخدمه في ترجيحه وجهاً نحوياً على آخر قوله: «أجود في العربية»، قال: «وقوله: ﴿وهو قائم يصلي في المحراب أَنَّ الله...﴾ [(١)]، تقرأ بالكسر[(٢)]، والنصب أجود في العربية»[(٣)]، وقوله: «والمقام بفتح الميم أجود في العربية»[(٤)]، وقوله: «وإجراؤها أجود في العربية»[(٥)].

وكان يؤثر الكلمة التي تعبر عن قناعته الفكرية كقوله: «أكرهه» قال: «... وهو مما أكرهه..»[(٦)].

القياس عند الفرّاء:

ومما يتمم الفائدة من هذا البحث ويتصل به بصلة وثيقة أن نتناول قضية القياس عند الفرّاء لنقف على رأيه فيه ومذهبه في مجاريه وصوره، وقبل ذلك ينبغي لي أن أشير إلى أنه ليس مجرد القول بالقياس والأخذ به مظهراً من مظاهر التأثر بالمنطق، ذلك لأن القياس عملية فكرية يقوم بها العقل البشري مركوزة في طباع الإنسان، «وقد أرشد الله تعالى عباده إليه في غير موضع من كتابه، فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان، وجعل النشأة

(١) آل عمران: ٣/ ٣٩.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة ﴿إن الله﴾ بالكسر وقرأ الباقون ﴿أنّ الله﴾ بالفتح، انظر كتاب السبعة: ٢٠٥، والتيسير: ٨٧، وحجة القراءات: ١٦٢- ١٦٣.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٢١٠.

(٤) معاني القرآن: ٣/ ٤٤.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ١٤.

(٦) معاني القرآن: ١/ ٢٤٥.

الأولى أصلاً والثانية فرعاً عليها، وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات»(١).

وقد عرف القياس عند العرب المسلمين في زمن مبكر، فمما أثر عن أبي بكر والصحابة رضي الله عنهم أنهم قاسوا خليفة رسول الله على الرسول، وذلك عندما امتنع بنو حنيفة من إيتاء الزكاة إلى الخليفة الأول، وتمسكوا بأن الصدقات كانت تدفع للنبي لأن صلاته سكن لدافعيها، واحتجوا بظاهر قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصَلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾(٢)، وصلاة أبي بكر ليست بسكن، فرفض أبو بكر قولهم وقاس هو والصحابة خليفة رسول الله على الرسول بجامع العلة بينهما، فالرسول يأخذ للفقراء لا لنفسه والخليفة نائب عنه في استيفاء الحقوق(٣)، ومما وصى به عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري قوله: «الفهمَ الفهمَ فيما أُدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايِسْ بين الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق»(٤).

والقياس في النحو يقترن باسم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وهو ما نبه عليه ابن سلام إذ قال عنه «أول مَنْ بعج النحو ومدَّ القياس وشرح العلل»(٥)، وبلغ القياس على يد الخليل وتلميذه سيبويه مرحلة نضجه ونموه

---

(١) أعلام الموقعين: ١/ ١٣٠.

(٢) التوبة: ٩/ ١٠٣.

(٣) انظر المستصفى من علم الأصول: ٢/ ٢٤٢ وما بعدها.

(٤) أعلام الموقعين: ١/ ٨٦.

(٥) انظر ما سلف ١/٢ .

حتى قال مترجمو الخليل عنه: «كان الغاية في تصحيح القياس»[1]، ثم اتسعت دائرة القياس في تفكير النحويين مما حدا بالكسائي (ت١٨٩هـ) أن يقول في أبيات له: « إنما النحو قياس يتبع»[2]، وقريب من هذا ما قاله السيوطي (ت٩١١هـ): «النحو هو العلم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب»[3]، وذكر التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) أن القياس عند النحويين له معنيان هما القياس اللغوي (النحوي) والقياس الصرفي، ثم ميز قياس أهل المنطق والكلام من قياس أهل اللغة فقال: «القياس بالكسر وتخفيف الياء هو في اللغة التقدير والمساواة، وفي عرف العلماء يطلق على معان منها: قانون مستنبط من تتبع لغة العرب أعني مفردات ألفاظهم الموضوعة وما في حكمها كقولنا: كل واو متحرك ما قبلها تقلب ألفاً، ويسمَّى قياساً صرفياً كما في المطول في بحث الفصاحة، ولا يخفى أنه من قبيل الاستقراء، فعلى هذا: القانون المستنبط من تراكيب العرب إعراباً وبناءً يسمى قياساً نحوياً، وربما يسمى ذلك قياساً لغوياً أيضاً حيث ذكر في «معدن الغرائب» أن القياس اللغوي هو قياس أهل النحو، والقياس العقلي هو قياس الحكمة والكلام والمنطق، ومنها القياس اللغوي وهو ما ثبت من الواضع لا ما جعله الصرفيون قاعدة...»[4].

وقد سار الفرّاء على سنن من قبله في الأخذ بالقياس في درسه النحوي

(١) انظر أخبار النحويين البصريين: ٥٤، ومعجم الأدباء: ١١/ ٧٣، وبغية الوعاة: ١/ ٥٥٦.

(٢) معجم الأدباء: ٣/ ١٩١.

(٣) الاقتراح: ٣٨.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون: ١١٨٩- ١١٩٠.

في معانيه وكان للقياس عنده صور منها:

١- القياس اللغوي أو النحوي:

أخذ الفرّاء بالأقوى قياساً في العربية في قياسه النحوي، ومن ذلك أنه رجّح رفع الاسمين بعد «ما» مع أن إعمالها عمل «ليس» أسير استعمالاً، وفي ذلك يقول: «وقوله: ﴿ما هذا بشراً﴾(١)، نصبت «بشراً» لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أحبُّوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا على ذلك، ألا ترى أن كل ما في القرآن أتى بالباء إلا هذا وقوله: ﴿ما هُنَّ أُمَّهاتِهم﴾(٢)، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وغير الباء، فإذا أسقطوها رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية»(٣).

ومن قياسه اللغوي أنه قاس الكاف في «لولاك» على الضمير «نا»، فالضمير «نا» يبقى في لفظ واحد في حالة الرفع والنصب والجر، كما في قولنا: قمنا، وضربَنا، ومَرَّ بنا، ولا تظهر عليه علامات الإعراب، فكما جاز وقوع هذا الضمير في الحالات الثلاث جاز أن يأتي الضمير (ك) في موضع «أنت» بجامع يجمع بينه وبين الضمير (نا)، وهو أنهما لا تظهر عليهما علامة الإعراب، وإنما إعرابهما بالدلالات، وفي ذلك يقول: «وقد استعملت العرب (لولا) في الخبر، وكثر بها الكلام حتى استجازوا أن يقولوا: لولاك ولولاي، والمعنى فيهما كالمعنى في قولك: لولا أنا ولولا أنت، فقد توضع الكاف على أنها خفض والرفع فيها الصواب، وذلك أنا لم نجد حرفاً ظاهراً خُفِض، فلو كان مِمَّا

(١) يوسف: ١٢/ ٣١.

(٢) المجادلة: ٥٨/ ٢.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٤٢، وانظر الخصائص: ١/ ١٢٥، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٢٦٦- ٢٦٧.

يخفض لأوشكت أن ترى ذلك في الشعر، فإنه الذي يأتي بالمستجاز، وإنما دعاهم إلى أن يقولوا: لولاك في موضع الرفع لأنهم يجدون المكنّي يستوي لفظه في الخفض والنصب فيقال: ضربَنا ومرَّ بنا، فيكون الخفض والنصب بالنون، ثم يقال: قمنا ففعلنا فيكون الرفع بالنون، فلما كان ذلك استجازوا أن يكون الكاف في موضع «أنت» رفعاً إذ كان إعراب المكنّي بالدلالات لا بالحركات»[(١)].

ومنه أيضاً قياسه قراءة من قرأ «صُمّاً بُكْماً عُمياً» بالنصب على قولهم: «ويلاً له وثواباً له وبُعْداً وسَقْياً ورَعْياً»، قال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾[(٢)]، وفي قراءة عبد الله ﴿صُمّاً بُكماً عُمياً﴾ بالنصب[(٣)]، ونصبه على جهتين:

إن شئت على معنى: تركهم صماً بكماً عمياً، وإن شئت اكتفيت بأن توقع الترك عليهم في الظلمات، ثم تستأنف «صماً» بالذم لهم، والعرب تنصب بالذم وبالمدح لأن فيه مع الأسماء مثل معنى قولهم: ويلاً له، وثواباً له وبُعْداً وسَقْياً ورَعْياً»[(٤)].

٢– القياس الصرفي:

ومنه قوله: «والعرب تقول: فعل ذلك في غُلوميَّته وفي غُلومته وفي غلاميَّته، وسمع الكسائي العرب تقول: فعل ذلك في وليديته يريد وهو وليد أي: مولود، فما جاءك من مصدر لاسم موضوع فلك فيه الفُعُولة والفُعُوليَّة

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ٨٤– ٨٥.

(٢) البقرة: ٢/ ١٨.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢١٤.

(٤) معاني القرآن: ١/ ١٦.

وأن تجعله منسوباً على صورة الاسم، من ذلك تقول: عبد بيِّن العبودية والعبودة والعبدية، فقس على هذا»[١].

ومنه أيضاً قوله: «وقوله:﴿وقالوا مجنون وازْدُجِر﴾[٢]، زُجِرَ بالشتم، وازْدُجِر افْتُعِل من زجَرْتُ، وإذا كان الحرف أوله زاي صارت تاء الافتعال فيه دالاً، من ذلك: زجر وازْدُجر ومُزْدَجَر، ومن ذلك المزْدَلَف ويزداد هي من الفعل يفتعل، فقس عليه كل ما ورد»[٣].

٣- وقد يطلق الفرّاء القياس على القاعدة التي تستنبط من استقراء كلام العرب ومن ذلك قوله: «وقول العوام: انقطع الكلام عند قوله: ﴿من كل أمر﴾[٤]، ثم استأنف فقال: ﴿سلامٌ هي حتىٰ مطلع الفجر﴾[٥]، والمطلِع كسره يحيى بن وثاب وحده، وقرأه العوام بفتح اللام «مطلَع»[٦]، وقول العوام أقوى في قياس العربية لأن المطلع بالفتح هو الطلوع، والمطلع المشرق والموضع الذي تطلع منه إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلعاً فيكسرون وهم يريدون المصدر، كما تقول: أكرمتك كرامةً فتجتزئ بالاسم من المصدر، وكذلك قولك: أعطيتك عطاءً اجتُزِئ فيه بالاسم من المصدر»[٧].

(١) معاني القرآن: ٣/ ١٣٧.

(٢) القمر: ٥٤/ ٩.

(٣) معاني القرآن: ٣/ ١٠٦.

(٤) القدر: ٩٧/ ٤.

(٥) القدر: ٩٧/ ٥.

(٦) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٣٨٥، وحجة القراءات: ٧٦٨.

(٧) معاني القرآن: ٢/ ٢٨٠- ٢٨١، وانظر معاني القرآن أيضاً: ٢/ ٢٠٣- ٢٠٤.

٤- ومما يتصل بصور القياس قضية التوجيه والتخريج لأن تأوُّل وجه نحوي لابدَّ أن يستند إلى القوانين المستنبطة من كلام العرب، وهنا نجد النحويين يختلفون في التأويل، وهذا يتيح لنا الوقوف على أنفذهم في التوجيه النحوي، فقد أجاز الفرّاء الرفع والنصب في قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾[1]، ووجه الرفع على أن «السارق» مبتدأ دخله معنى الجزاء لاتصاله بأل الموصولة ولذلك دخلت الفاء في «فاقطعوا»، ووجه النصب على أنه من باب الاشتغال ثم علل اختيار العرب لوجه الرفع، قال:«وقوله:﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما..﴾ مرفوعان بما عاد من ذكرهما، والنصب فيهما جائز كما يجوز «أزيد ضربته» و«أزيداً ضربته»، وإنما تختار العرب الرفع في ﴿السارق والسارقة﴾ لأنهما غير موقّتين فوُجِّها توجيه الجزاء، كقولك: من سرق فاقطعوا يده، فـ«مَنْ» لا يكون إلا رفعاً، ولو أردت سارقاً بعينه أو سارقة بعينها كان النصب وجه الكلام، ومثله ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾[2]، وفي قراءة عبد الله ﴿والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما﴾[3]... »[4].

وتأول سيبويه وجه الرفع في الآية على تقدير «وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة أو السارق والسارقة فيما فرض الله عليكم»[5].

---

(١) المائدة: ٥/ ٣٨.

(٢) النساء: ٤/ ١٦.

(٣) انظر القراءات الشاذة لابن خالويه: ٣٣، والجامع لأحكام القرآن: ٦/ ١٦٧.

(٤) معاني القرآن: ١/ ٣٠٦.

(٥) الكتاب: ١/ ١٤٣، وانظر إعراب القرآن للنحاس: ١/ ٤٩٥، وأمالي ابن الشجري: ١/ ١٣٦، والبحر المحيط: ٣/ ٤٧٦.

و لم يستغن الفرّاء بالقياس عن السماع، بل اطرح القياس وأهمله إذا تعارض مع السماع ووصفه بالقبح، ومن ذلك قوله: «وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في «كلا الرجلين» في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان إلا بني كنانة، فإنهم يقولون: رأيت كِلَي الرجلين، ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة، مضوا على القياس»[1].

وتوقف عند المسموع و لم يتجاوزه، ومن ذلك قوله: «وقوله: ﴿لا يكلّفُ اللهُ نفسًا إلا وُسْعَها﴾[2] الوُسع: اسم في مثل معنى الوُجْد والجُهْد، ومن قال في مثل الوُجْد: الوَجْد وفي مثل الجُهْد: الجَهْد، قال في مثله من الكلام: لا يكلف الله نفسًا إلا وَسْعَها لكان جائزاً، و لم نسمعه»[3].

وقد احتفى الفرّاء بالسماع وعَوَّل عليه في تعليلاته، قال: « ﴿وأَذِنت لربها وحُقَّتْ﴾[4] سمعت «وحق لها ذلك»، وقال بعض المفسرين: جواب: ﴿إذا السماء انشقت﴾ قوله: «وأذنت»[5]، ونرى أنه رأي ارتآه المفسر وشبهه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿حتى إذا جاؤوها وفُتحت أبوابها﴾[6]، لأنا لم نسمع جواباً

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ١٨٤، وانظر همع الهوامع: ١/ ١٣٦.

(٢) البقرة: ٢/ ٢٨٦.

(٣) معاني القرآن: ١/ ١٨٨.

(٤) الانشقاق: ٨٤/ ٢.

(٥) ذكر المبرد في جواب «إذا» في الآية ثلاثة آراء، انظر المقتضب: ٢/ ٧٧، والبحر المحيط: ٨/ ٤٤٦.

(٦) الزمر: ٣٩/ ٧٣.

بالواو في «إذا» مبتدأ ولا قبلها كلام ولا في «إذا» إذا ابتدئت[1]، وإنما تجيب العرب بالواو في قوله: «حتى إذا كان» و«فلما أن كان»، لم يجاوزوا ذلك»[٢].

فالفرّاء في قياسه يستلهم طبيعة العربية ويستوحي خصائصها ويولي السماع اهتمامه ويبني عليه ويقدمه على القياس.

وإذ وقفنا في الصفحات السالفات على أربعة الأشياء التي يظهر فيها التكوين الفكري للفرّاء، وهي تعليله وعرضه للمادة العلمية وتحريره للأحكام النحوية والمصطلحات التي سارت على لسانه والقياس عنده نرى أن القاعدة الفكرية التي انطلق منها هي خصائص العربية وطبيعتها والعادات اللسانية للناطقين بها، فلم يتنكب مدار الذوق العربي والحس اللغوي، فقد وجدناه يعلل معتمداً على الأسباب اللسانية كالثقل والخفة وكثرة الدوران في الكلام، ورأيناه آخذاً بمعطيات الذوق فيعلل بالقبح والحسن والكره والاستيحاش، وألفيناه يرجع في تعليله إلى الأصل اللغوي فيعلل بما سماه «الخلقة»، ويطيل في تعليله بصحة المعنى وفساده.

وتجلّى تكوينه الفكري أيضاً في سننه التي اختطها لعرض مادته، فكان جُلُّ اهتمامه مناقشة النص من حيث معناه وتركيبه اللغوي وموافقته لمجاري العربية التي جعلها مرجعاً له في أقواله كلها، وتوخى من مناقشته إظهار جمال النص والمعقولية المستفادة منه، لذا أكثر من التنبيه على وجوب فهم كلام العرب ومعرفة أساليبها في كلامها، واعتمد في تحرير أحكامه النحوية على

---

(١) انظر الكتاب: ٣/ ١٠٣، والإنصاف: ٢٦٨- ٢٧٢، والبحر المحيط: ٧/ ٤٤٣.

(٢) معاني القرآن: ٣/ ٢٤٩، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢١٥- ٢١٦، ٣٨٢، ٤٦٩، ٢/ ٣٣- ٤٤، ٧٨، ١٠٢، ١١٧، ١٧٣، ٢٢٦.

رصـد واسع لقوانين العربية وفهمها فهمًا ثاقباً وأسعفه في ذلك ذهنه السيال بلغة القوم ومعرفة عميقة في الأصول التي تضبطها.

ولمْ يكن الفرّاء يميل إلى الجدل والافتراض، وإذا اعترض بصيغة السؤال والجـواب عـنه، فـإن غايـته توضيح معنى أو تنبيه على وجوب الالتزام بالاسـتعمال الـلغوي الصحيح أو توضيح ظاهرة نحوية، ولا تقعْ عنده على محاكمة عقلية مجردة جافة بعيدة عن العربية وحيويتها.

ويبدو حسه اللغوي في هذه المصطلحات التي اختارها ليعبر بها عن رأيه الـنحوي، نحـو قولـه: «ولست أشتهي ذلك» و«الرفع أحب إلي» و«لست أستحسنه» و«الأول أعجَبُ إليّ» و«والنصب أجود في العربية».

ولم يكـن القيـاس عـنده إلا مظهراً من مظاهر الصبغة العربية التي اصـطبغت بها عقليته فجاء مستوحى من روح العربية وصفاتها آخذاً بمقوماتها وسبل العمل فيها نابعاً من آلية العمل فيها.

مناقشة أقوال المعاصرين في قضية تأثره بالفلسفة والمنطق:

كان للباحثين المعاصرين الذين تصدوا للفرّاء بالدرس مواقف من قضية تأثره بالفلسفة، فمنهم من لم يتطرق لها[1]، ومنهم من رأى أن كتاب «معاني القـرآن» خلا من التفلسف والمنطق[2]، ومنهم من وجد أن علة الفرّاء أقرب

(١) كالدكـتور أحمـد المختار ديرة في كتابه «دراسة النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرّاء» انظر: ١١٥– ١٣٠، ١٣٦– ١٩٦، ٣١٩.

(٢) كالدكتور عبد الفتاح شلبي، انظر أبو علي الفارسي: ٢٦٦.

إلى التفلسف والفكر المجرد منها إلى واقع الاستعمال[١]، ومنهم من اكتفى بالإشارة إلى أن أثبت للفرّاء التفلسف[٢]، ومنهم من أخذ هذه القضية على أنها حقيقة مسلمة لا تقبل البحث[٣].

أما ما ذهب إليه الأستاذ السراج فإن ما مرَّ بنا من تعليلات الفرّاء ومقدار اعتمادها الحس والذوق اللغويين ومدى اصطباغها بالصبغة اللغوية العربية دليل على أن هذه التعليلات نابعة من روح العربية بعيدة عن التفكير العقلي المجرد[٤].

وأما الدكتور الأنصاري فقد هبَّ لإثبات امتداد يد الفلسفة والمنطق إلى عقلية الفرّاء وساق بضعة نصوص من «معاني القرآن» ورأى أنها تصلح شاهداً على أن فكر الرجل وقع تحت تأثير الفلسفة، ومن ذلك قوله: «رأيت الفرّاء يوجه كلام العرب ويعلل له ويتفلسف على لسانهم كأنه يقول: لو سئلوا عن تعليل ذلك لقالوا: كذا وكذا، استمع إليه يقول: وأما أهل البدو فمنهم من يقول: الحمدَ لَلَّه، ومنهم من يقول: الحمدِ لِلَّه، ومنهم من يقول: الحمدُ لُلَّه فيرفع الدال واللام.

فأما مَنْ نصب فإنه يقول: «الحمدَ» ليس باسم إنما هو مصدر، يجوز

(١) كالأستاذ موفق السراج، ولكنه سرعان ما تدارك ما ذهب إليه فقال: «ولكن مثل هذه العلة قليل في الكتاب، فالطابع العام لعلل الفرّاء هو العلل التعليمية والقياسية الواضحة...»، انظر منهج الفرّاء في معاني القرآن: ١٨٠- ١٨١.

(٢) كالأستاذ أحمد أمين، انظر ضحى الإسلام: ٢/ ٣٠٧.

(٣) كالدكتور أحمد مكي الأنصاري وسيأتي الكلام عليه مفصلاً.

(٤) انظر ما سلف «التعليل عند الفرّاء».

لقائلـــه أن يقول: أحمدُ اللهَ. فإذا صلح مكان المصدر «فَعَل» أو «يَفْعَل» جاز فيه النصب من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضَربَ الرِّقاب﴾(١)، يصلح مكانها في مثله من الكلام أن يقول: فاضربوا الرقاب، ومن ذلك قوله: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا مَنْ وجَدْنا مَتَاعنا عنده﴾(٢)، يصلح أن تقول في مثله من الكلام: نعوذ بالله، ومنه قول العرب: سَقْيًا لك ورَعيًا لك، يجوز مكانه: سقاك الله ورعاك الله.

وأمـــا مَنْ خفض الدال من «الحمد» فإنه قال: هذه كلمة(٣) كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد مـــن كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبِل، فكسر الدال ليكون على المثال من أسمائهم.

وأمـــا الذيـــن رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمَّتان مثل الحُلُم والعُقُب»(٤).

ثم يعقـــب الدكـــتور الأنصاري فيقول: «فأنت تراه يفصل ويمثل ويعلل، وكـــل ذلـــك مـــن ألـــوان الفلسفة والمنطق، ثم هو إلى جانب ذلك يسند هذه التعـــليلات إلى أهل البدو، وغني عن البيان أن تقول: إن البدو كانوا ينطقون على سجيتهم ولا يلتفتون إلى شيء من هذه العلل التي وضعها النحاة فيما بعد»(٥).

---

(١) محمد: ٤٧/ ٤.

(٢) يوسف: ١٢/ ٧٩.

(٣) أي: الحمد لله.

(٤) معاني القرآن: ١/ ٣- ٤.

(٥) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٢.

بهذه السرعة وهذا النص الذي وجده الدكتور في الصفحة الأولى من «معاني القرآن» يجزم بتأثر الفرّاء بالفلسفة والمنطق، وما الأمر كما جزم.

إن هذا النص من كلام الفرّاء ليدل دلالة واضحة على أن الرجل ليس من الفلسفة والمنطق في شيء، فهو يحكي اللغات في «الحمد لله» ويناقشها ويوجهها توجيهاً نابعاً من خصائص العربية وطرق أدائها، وكل لغة منها قراءة قرئ بها، فـ«الحمدَ» بالنصب مفعول مطلق[1]، ثم ينتهي إلى قاعدة نحوية مفادها أنه إذا صحَّ أن يحلَّ الفعل محلَّ المصدر جاز نصبه على المصدرية ويستشهد لذلك بالقرآن وقول العرب.

ثم يمضي ويوجه كسر الدال واللام الأولى في «الحمد لله» [2]، توجيهاً نحوياً خالصاً مستوحى من روح العربية وخصائصها، ذلك أن الشيء إذا كثر في كلامهم عمدوا إلى تخفيفه، فـ«الحمد لله» كثر تداوله في كلام العرب حتى صار كأنه كلمة واحدة، فكما ثقل أن يجتمع في اسم واحد ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ثقل عليهم أن يجتمع في «الحمد لله» ضم الدال وكسر اللام، فكسروا الدال فاجتمع كسرتان لأن الكسرتين اجتمعتا في اسم واحد كإبل، ويعلل ما قاله بالكثرة في الكلام وبالثقل على اللسان، والتعليل بهذين من صميم العربية ليس بخارج عن طبيعتها.

---

(١) ينصب الدال من «الحمد لله» عامة بني تميم وناس من العرب، انظر الكتاب: ١/ ٣٢٩ والمقتضب: ٣/ ٢٢١، وإملاء ما من به الرحمن: ١/ ٥، والبحر المحيط: ١/ ١٨.

(٢) قرأ بهذا الوجه الحسن البصري وزيد بن علي، انظر المحتسب: ١/ ٣٧، والبحر المحيط: ١/ ١٨، والإتحاف: ١/ ٣٦٣، وفي كسر الدال من «الحمد» إتباع حركة الإعراب لحركة البناء، انظر أمالي ابن الشجري: ٢/ ٣٦٨.

ثم يوجه ضم الدال واللام في «الحمد لله»[١]، بأنهم لجؤوا في هذا إلى ما كثر في الأسماء التي توالى فيها حرفان مضمومان كالحُلُم والعُقُب.

فالشيخ يستلهم الخصائص اللسانية العربية في تعليله ودراسته للظاهرة اللغوية وما رأيت من تفصيل وتمثيل وتعليل فرضته طبيعة البحث، إذ هو يحصي اللغات في «الحمد لله»، وأما إسناد هذه التعليلات إلى أهل البدو فهو من دأب النحويين، ألا تراهم يقولون: استقبحوا أن يقولوا... وكرهوا أن يقولوا...

ويتابع الدكتور الأنصاري كلامه فيقول: «وفي موطن آخر يتفلسف ولكن بصورة أخرى، فلا يكاد يذكر التقسيم والتفصيل كما رأيت في المثال السابق[٢]، وإنما تحس أثر الفلسفة في التكوين الداخلي لتفكير الرجل، فهو لا يقف عند توضيح المعنى فحسب كما فعل غيره من المفسرين حين قالوا: ﴿وكان وراءهم مَلِكٌ﴾[٣]: «وراء» بمعنى أمام، وإنما يتفلسف فيه فيقول: «وقوله: ﴿وكان وراءهم ملك﴾ يقول: أمامهم ملك، وهو كقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾[٤]، أي أنّها بين يديه، ولا يجوز أن تقول لرجل وراءَك: هو بين يديك، ولا لرجل هو بين يديك: هو وراءك...»[٥]، ثم يقول الدكتور جازماً: «من

---

(١) قرأ بهذا الوجه أهل البادية وإبراهيم بن أبي عبلة، انظر المحتسب: ١/ ٣٧، والبحر المحيط: ١/ ١٨، وفي ضم اللام من «لله» إتباع حركة البناء لحركة الإعراب، انظر أمالي ابن الشجري: ٢/ ٣٦٨.

(٢) هو النص الذي يتكلم فيه الفرّاء على «الحمد لله».

(٣) الكهف: ١٨/ ٧٩.

(٤) إبراهيم: ١٤/ ١٦.

(٥) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٢، وانظر معاني القرآن: ٢/ ١٥٧.

أجل هذا قالوا: كان يتفلسف في تصانيفه، وكانوا على حق فيما قالوا»[١].

وأيُّ أثــر مــن آثار المنطق والفلسفة فيما قاله الفرّاء في الآية؟ إنه فسر الوراء بالأمام، كما فعل الذين فسروا الآية[٢]، ثم ساق قوله تعالى: ﴿من ورائه جهــنَّم﴾ وفســره بأنه «بين يديه»، ثم أبان الموضع الذي يجوز فيه أن يقول القــائل: ورائــي وبين يــديَّ، وهو يبتغي من هذا بيان الاستخدام اللغوي لــ«وراء» و«بين يدي»، وكذا يفعل اللغويون فلم يقحم الفرّاء على العربية ما ليس منها بل كان يرمي إلى تنمية الحس اللغوي.

ويســتطرد الدكــتور الأنصاري ويقول: «ثم هناك دليل آخر على أنه سلك ســبيل المتكــلمين في إرجــاع الظواهر اللغوية إلى عللها وأسبابها مثلما كان في ظاهرتي النحت والتركيب مما يدل على أن تفلسف الفرّاء يتصل بالتكوين الداخلي لمــنهجه حتى إنه أحياناً كان يسبق البصريين في تفلسفهم فقال بالنحت في كلمة (لهنَّك) وفلسف ذلك»[٣].

فالدكــتور يــرى أن قول الفرّاء بالنحت في قولهم: «لهنَّك» دليل على تأثر عقليته بمسالك المتكلمين في البحث، وليس كذلك.

فممــا أثــر عن الفرّاء أنه قال: «هذه – أي لَهِنَّك– من كلمتين كانتا تجــتمعان، كانوا يقولون: «والله إنك لعاقل»، فخلطتا فصار فيهما اللام والهاء

(١) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٢.

(٢) انظر مجاز القرآن: ١/ ٤١٢، والجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٣٤.

(٣) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٦– ٣٤٧، وانظر أيضاً: ٤٨٠– ٤٨١.

من «الله» والنون من «إنّ» المشددة»[١]. فهو يقول بالنحت في «لهنَّك»، والنحت ظاهرة لغوية معروفة عند عرب الجاهلية، وهو أن نأخذ من كلمتين متتاليتين كلمة واحدة كما قال الخليل: «تعبشم الرجل وتعبقس، ورجل عبشميّ إذا كان من عبد شمس أو عبقسي إذا كان من عبد قيس، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً، قال[٢]:

وتضحك مني شيخة عبشميةٌ ... كأنْ لم ترَ قبلي أسيراً يمانيا

نسبها إلى عبد شمس فأخذ العين والباء من عبد وأخذ الشين والميم من شمس، وأسقط الدال والسين فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا هو النحت»[٣].

وفيما قاله الخليل بُلْغَة وكفاية مؤونة في أن النحت سمة لغوية من سمات العربية مألوفة في لغة الجاهليين، وهي ضرب من ضروب الاشتقاق.

ثم إن تفسير الفرّاء قولهم: «لهنَّك» بأنه من قبيل النحت ليس بدعاً، فقد سبقه إليه أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) إذ ذهب إلى «أن أصل «لهنَّك» لاه إنك، فحذفت همزة إنّ وألف لاه فبقي لهنَّك»[٤]، واختار أبو علي الفارسي

---

(١) من كلام السيرافي المنقول في حاشية الكتاب: ٢/ ١٥٠، وانظر مذهب سيبويه في الكتاب: ٢/ ١٥٠، ومذهب المفضل بن سلمة في حاشية الكتاب: ٢/ ١٥٠، وانظر شرح الكافية للرضي: ٢/ ٣٥٧، على أن الفرّاء صرح بأن «لهنك» هي «إنّ» وصل بها لام وهاء، انظر معاني القرآن: ١/ ٤٦٦.

(٢) هو عبد يغوث الحارثي، انظر المفضليات: ١٥٨.

(٣) مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد: ١/ ٦٠- ٦١.

(٤) الخزانة: ٤/ ٣٣٦، وانظر نوادر أبي زيد: ٢٠١- ٢٠٢.

هذا القول وقوّاه[١]، فهل نقول: إن عرب الجاهلية وأبا زيد كانوا على دراية بسبل المتكلمين؟ وهل إرجاع قولهم: «هنَّك» إلى أنه منحوت من كلمتين ظاهرة فلسفية وافدة على العربية؟

وقول الفرّاء بالتركيب في «إلاّ» وأنها مؤلفة من «إنّ» و«لا»[٢]، لا يقوم دليلاً على تأثره بالفلسفة والمنطق، لأن تفسير بعض الكلمات بأنها مركبة مألوف عند النحويين، فالخليل يذهب إلى أن «مهما» «هي ما أدخلت معها مالغوًا»[٣]، وسيبويه يذهب إلى أنها يجوز أن تكون «مَهْ كإذا ضُمَّ إليها ما»[٤]، ويرى أن «إذما» مركبة من إذْ وما[٥]، وأنَّ «لمَّا» مركبة من «لم» و«ما»[٦]، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أن «لا» تركب مع الاسم الذي بعدها فيصبحان بمنزلة اسم واحد[٧].

كتاب الحدود للفرّاء:

تذكر كتب التراجم أن الفرّاء صنّف كتاباً يسمى «الحدود» بأمر من أمير المؤمنين المأمون يجمع فيه أصول النحو وما سمع عن العرب، وتشير أيضاً

(١) انظر الخزانة: ٤/ ٣٣٦.

(٢) انظر الإنصاف: ٢٦٤.

(٣) الكتاب: ٣/ ٥٩- ٦٠.

(٤) الكتاب: ٣/ ٥٩- ٦٠.

(٥) انظر الكتاب: ٣/ ٥٦- ٥٧.

(٦) انظر الكتاب: ٤/ ٢٢٣.

(٧) انظر الكتاب: ٢/ ٢٧٤- ٢٧٥.

إلى أن جماعة من أصحاب الكسائي سألوه أن يملّ عليهم أبواب النحو فأجابهم وصنف هذا الكتاب[١].

واختلف المترجمون في عدد الحدود التي ضمنها الفرّاء كتابه، فقد ذكر الزبيدي (ت ٣٧٦هـ) والقفطي (ت٦٤٦هـ) أنها ستون حداً[٢]، وذكر السيوطي (ت٩١١هـ) أنها ستة وأربعون[٣].

وأيّاً كان عددها فإن موضوعها في النحو، وإلى ذلك أشار الزبيدي بقوله: «والحدود في النحو ستون»[٤] والقفطي بقوله: «والحدود في النحو للفرّاء ستون»[٥]، والسيوطي بقوله: «الحدود مشتملة على ستة وأربعين حداً في الإعراب»[٦].

وتناقلت كتب التراجم أسماء هذه الحدود وهي على ما ذكره ابن النديم (ت٤٣٨هـ) والقفطي: «حد الإعراب في أصول العربية، حد النصب المتولد من الفعل، حد المعرفة والنكرة، حد «من» و«رب»، حد العدد، حد ملازمة «دخل»، حد العماد، حد الفعل الواقع، حد «إن» وأخواتها، حد «كي» و«كيلا»، حد «حتى»، حد «الإغراء»، حد الدعاء، حد النون الشديدة والخفيفة، حد الاستفهام،

(١) انظر: نزهة الألباء: ٩٩، وإنباه الرواة: ٤/ ٦، ١٠، ومعجم الأدباء: ٢٠/ ١٢، وتاريخ بغداد: ١٤/ ١٥٠.

(٢) انظر طبقات النحويين واللغويين: ١٣٧، وإنباه الرواة: ٤/ ٤.

(٣) انظر بغية الوعاة: ٢/ ٣٣٣.

(٤) انظر الحاشية: ٢.

(٥) انظر الحاشية: ٢.

(٦) انظر الحاشية: ٣.

حـــد الجزاء، حد الجواب، حد «الذي» و«من» و«ما»، حد «ربّ» و«كم»، حد القســـم، حـــد التثنية والمثنى[(١)]، حد النداء، حد الندبة، حد الترخيم، حد «أن» المفـــتوحة، حـــد «إذ» و«إذا» و«إذاً» حد ما لم يسمَّ فاعله[(٢)]، حد الحكاية، حد التصـــغير، حـــد النسبة، حد الهجاء، حد راجع الذكر، حد الفعل الرباعي، حد الفعـــل الثلاثي، حد المعرب من مكانين، حد الإدغام، حد الهمز، حد الأبنية، حد الجمـــع، حـــد المقصور والممدود، حد المذكر والمؤنث، حد «فعل وأفعل»، حد النهي، حد الابتداء والتقطيع، حد ما يُجْرى وما لا يُجْرى»[(٣)].

ولا نســـتطيع أن نعـــتمد على هذه القائمة في إطلاق حكم في تأثر الفرّاء بالمـــنطق لأنها لا تدل على شيء واضح محدد، ولأن كتاب الحدود نفسه في عداد كـــتب الفـــرّاء المفقـــودة، وقد وردت في بعض المظان إشارات إلى هذا الكتاب يستشف منها أن الفرّاء بحث فيه قضايا وأحكامًا نحوية [(٤)].

علاقة الفرّاء بعلم الكلام:

وممـــا يتعلق بهذا البحث بصلة الإشارة إلى اتصال الفرّاء بعلم الكلام وبيان مـــدى اطلاعـــه عليه، فمما ذكره السيوطي في ترجمته قوله: «وكان يحب الكلام

---

(١) في إنباه الرواة: ٤/ ١٦- ١٧ «حد التنزيه والتمني».

(٢) جاء بعده في إنباه الرواة: ٤/ ١٦- ١٧ «حد «لو تركت وراءك».

(٣) الفهرست: ١٠٦، وإنباه الرواة: ٤/ ١٦- ١٧.

(٤) انظر همع الهوامع: ١/ ١١٢، والأشباه والنظائر: ٨/ ٧- ٨، واستدل الأستاذ أحمد أمـــين باسم كـــتاب الـــحدود على أن الفرّاء تأثر بالمنطق، انظر ضحى الإسلام: ٢/ ٣٠٨.

ويميـــل إلى الاعتزال»[١]، ومما قاله ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في ترجمته: «وكان الفـــرّاء لا يميل إلى الاعتزال»[٢]، إلا أن محقق الوفيات أشار في الحاشية إلى أن «لا» في العبارة السالفة سقطت من بعض النسخ، وإذا سلمنا بسقوطها فإن مفاد هذين الخـــبرين أن الفرّاء له ميل إلى الاعتزال، وبه حب لعلم الكلام، وينبغي لنا أن نميز حبه لهذا العلم من استعداده لتلقيه وتعاطيه له وخوضه فيه وتمثله في عقله، وهذا ما توضحه الأخبار التالية:

مما ذكره المتقدمون في ترجمته الخبر التالي: «قال الجاحظ: دخلت إلى بغداد حين قدمهـــا المـــأمون سنة أربع ومئتين، وكان بها الفرّاء فاشتهى أن يتعلم الكلام ولم يكن له طبع فيه»[٣].

فالشـــيخ لديه رغبة لتلقي علم الكلام ولكن طبعه لم يستسغه، ويؤيد هذا مـــا حكاه عن نفسه إذ قال: «كنت أنا وبشر المريسي في بيت واحد عشرين سنة مـــا تعـــلم مني شيئاً ولا تعلمت منه شيئاً»[٤]، وبشر المريسي[٥]، هذا فقيه حنفي اشـــتغل بعلم الكلام وجرد القول بخلق القرآن وكان مرجئاً، وكان يصعب عليه تعلم النحو فلم يتعلمه من الفرّاء، كما أن الفرّاء لم يتعلم منه علم الكلام[٦].

---

(١) بغية الوعاة: ٢/ ٣٣٣.

(٢) وفيات الأعيان: ٦/ ١٨٠.

(٣) إنباه الرواة: ٤/ ٨، ووفيات الأعيان: ٦/ ١٨٠.

(٤) إنباه الرواة: ٤/ ٨، ووفيات الأعيان: ٦/ ١٨٠.

(٥) بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء نسبة إلى مريس وهي قرية بمصر، انظر وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٧– ٢٧٨.

(٦) انظر وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٧– ٢٧٨.

وعــــرف الفرّاء بعلوم شتى في الوسط العلمي في وقته، وطبيعي ألا يكون بينها علم الكلام، لأنه لا قبل له فيه، لذا لم يباحثه فيه النميري المعتزلي عندما التقيا عــلى بــاب المأمون، قال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ): «ولما عزم الفرّاء على الاتصــال بالمأمون وكان يتردد إلى الباب، فبينما هو ذات يوم على الباب إذ جاء أبــو بشر ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي وكان خصيصاً بالمأمون، قال ثمامة: فــرأيت أبهة أديب فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً وفاتشته عن النحو فشــاهدته نســيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم وبالــنجوم ماهــراً وبالطب خبيراً وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً، فقلت له: من تكــون؟ ومــا أظــنك إلا الفرّاء، فقال: أنا هو، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون فأمر بإحضاره لوقته وكان سبب اتصاله به»[1].

ثم إن الفــرّاء نفسه ينتقد أصحاب علم الكلام ويظهر عوارهم في فهمهم لــلعربية وكــتاب الله، فيقــول: «وأهــل الكلام إذا اجتمع لهم أحمق وعاقل لم يســتجيزوا أن يقولوا: هذا أحمق الرجلين ولا أعقل الرجلين، ويقولون: لا نقول: هــذا أعقل الرجلين إلا لعاقلين نفضل أحدهما على صاحبه، وقد سمعت قول الله: ﴿خيرٌ مُسْتقراً﴾[2]، فجعل أهل الجنة خيراً مستقراً من أهل النار، وليس في مستقر أهل النار من الخير، فاعرف ذلك من خطائهم»[3].

فالــتكوين العقــلي الداخلي الذي كان عليه الشيخ لا يتفق وطبيعة علم الكلام ولا يتقبله، فلم يتعلمه ولم يكن له حظ منه، ولم تعجبه عقلية المتكلمين في

(١) تاريخ بغداد: ١٤/ ١٥١، ومعجم الأدباء: ٢/ ١١- ١٢، ووفيات الأعيان: ٦/ ١٧٧.

(٢) الفرقان: ٢٥/ ٢٤.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٢٦٦- ٢٦٧.

فهم العربية وتخريج ظواهرها، لأنهم يبحثون في الظاهرة اللغوية بحثاً عقلياً مجرداً بعيداً عن روح اللغة ومجاري العمل فيها.

وربما وجدنا في التفكير الداخلي عند الشيخ ما يتفق ومعطيات المنطق، نحو تفسيره بعض الظواهر النحوية بما يسمى عند المنطقيين بالدور، وهو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر[١]، وذلك قوله: «وأما قوله: ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾[٢]، فإنها حروف لا تجرى، وذلك أنهنَّ مصروفات [أي معدولات] عن جهاتهنّ، ألا ترى أنهنَّ للثلاث والثلاثة وأنهنَّ لا يضفن إلى ما يضاف إليه الثلاثة والثلاث، فكان لامتناعه من الإضافة كأنَّ فيه الألف واللام، وامتنع من الألف واللام لأن فيه تأويل الإضافة كما كان بناء الثلاثة أن تضاف إلى جنسها، فيقال: ثلاث نسوة وثلاثة رجال»[٣].

وهذا من آلية عمل الفكر البشري، إذ الفكر يهتدي إلى بعض القوانين بطبعه وعمله الآلي.

نتائج البحث:

أقمت هذا البحث على قراءة واعية لكتاب «معاني القرآن» للفرّاء، وتعقبته في تعليلاته والأمور التي استند عليها فيها، وفي منهجه في عرض المادة العلمية وتحرير أحكامها وفي المصطلحات التي استخدمها والتي يستشف منها تأثره بالمنطق، ثم تتبعت القياس وصوره عنده، ثم ناقشت موقف المعاصرين من قضية

---

(١) انظر كتاب النجاة في المنطق والإلهيات: ١/ ٧١- ٧٢، ١٠٦، والمعجم الفلسفي: ١/ ٥٦٧.

(٢) فاطر: ٤٥/ ١.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٢٥٤.

تأثره بالمنطق، وتكلمت على كتابه «الحدود» ومدى دلالته على تأثر صاحبه بعلم المنطق، ثم ختمت بالكلام على علاقته بعلم الكلام، وسبق هذا كله مدخل حددت فيه الفترة الزمنية التي بدأ فيها المنطق يلقي بظلاله على النحو العربي، وانتهيت إلى النتائج التالية:

١- إن النحويين الأوائل كابن أبي إسحاق والخليل وسيبويه لم تتأثر عقليتهم بالمنطق، وجاءت أبحاثهم أبحاثاً لغوية لا يشوبها دخيل.

٢- بدت آثار المنطق على النحو العربي في القرن الرابع الهجري على يد ابن السراج والرماني، واستمر بعدهما أثره على يد من خلفهما من النحويين.

٣- إن التكوين الفكري الداخلي للفرّاء تكوين لغوي محض لم تتسرب إليه مؤثرات غريبة عن العربية، لذا جاء بحثه في معانيه بحثاً لغوياً لم يتعدَّ دائرة العربية و لم يسقط عليها ما ليس منها.

٤- إن المنهج الذي سلكه الفرّاء في معانيه منهج يعتمد الخصائص اللغوية ويعول على الأسباب اللسانية للعربية، كما رأينا في تعليله وقياسه وتفسيره للظاهرتين النحوية والصرفية، فمما علل به فساد المعنى واستقامته والثقل والخفة والحسن والقبح والاستيحاش، فلم يخرج عن مدار الذوق اللغوي والمعقولية المستفادة من الكلام، وهذه كلها تتصل بروح اللغة، و لم ينأ في قياسه عن طبيعة العربية وما تحتمله وتتسع له ويعود عليها بالنفع، و لم تسر على لسانه مصطلحات بائنة عن اللغة.

٥- وضع الفرّاء يده على لغة العرب وتمثلها في عقله ونثر دررها في معانيه، فكان بحق يعلم أساليب العربية وحقائقها التعبيرية خالصة صافية، ويدير درسه النحوي بأسلوب وأداة لغويين عربيين.

٦- لم يكن للفرّاء علاقة بعلم الكلام، بل لم يتعلمه لأنه لم يكن له فيه طبع.

٧- لم يكن للمنطق أثر في التكوين العقلي للفرّاء.

٨- إن المقولة التي تداولها الأقدمون وهي أن الفرّاء «كان يتفلسف في تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة» لا تصدق على كتابه «معاني القرآن».

إن ما ألفيناه في هذا البحث من ذهنية سيالة بالعربية وأساليبها، وبحث عميق في صحيحها، وتعليل منبثق من روحها وقياس نحوي وصرفي يصب في مجراها ومصطلحات شفافة تنم عن ذوق لغوي رفيع ومنهج يمخر عباب العربية يستقي منها مادته ويتكئ عليها وحدها يقودنا إلى القول بأن الفرّاء نحوي عربي تمثل العربية واتخذها مضماراً لدرسه دون أن يلتفت إلى غيرها.

* * *

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة: د. أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة ١٩٦٤.

٣- أبو علي الفارسي: د. عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧.

٤- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر: أحمد بن محمد البنا، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١ ١٩٨٧.

٥- أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط١ ١٩٨٥.

٦- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٨٥.

٧- إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢ ١٩٨٥.

٨- أعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

٩- الأمالي النحوية: ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن الحاجب، تحقيق د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت.

١٠ - أمالي ابن الشجري، ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٩٩٢.

١١- الإمتاع والمؤانسة: التوحيدي أبو حيان، علي بن محمد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣.

١٢- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

١٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٤- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

١٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري عبد الله جمال الدين بن يوسف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

١٦- الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق د. مازن مبارك، ط٢، دار النفائس ١٩٧٣.

١٧- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ط٢ دار الفكر للطباعة والنشر.

١٨- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي- بيروت- ط١ 1981.

١٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١.

٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي محمد مرتضى، الطبعة الأولى بالمطبعة المنيرية ١٣٠٦هـ.

٢١- تاريخ بغداد: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب الغلمية – بيروت.

٢٢- التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، دار إحياء التراث العربي.

٢٣- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: العكبري، عبد الله بن الحسين، أبو البقاء، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط١.

٢٤- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٤.

٢٥- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٦- التيسير في القراءات السبع: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، صححه اوتويرتزل، إستانبول مطبعة الدولة ١٩٣٠.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥.

٢٨- حجة القراءات: الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة.

٢٩- خـــزانة الأدب ولـــب لباب لسان العرب: البغدادي، عبد القادر بن عمر، دار صادر.
٣٠- الخصـــائص: أبـــو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
٣١- دراسة النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: د. المختار أحمد ديرة، دار قتيبة للطباعة والنشر ١٩٩١.
٣٢- ديوان أوس بن حجر: تحقيق د. محمد يوسف نجم — دار صادر- ط٣.
٣٣- ديوان امرئ القيس: دار صادر.
٣٤- رسالة في الحدود: الرماني، علي بن عيسى، تحقيق د. إبراهيم السامرائي — دار الفكر — عمان — ١٩٨٤.
٣٥- الـــرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: د. مازن مبارك، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٤.
٣٦- شرح الكافية في النحو: الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، دار الكتب العلمية — بيروت.
٣٧- شرح المفصل: ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي، إدارة المطبعة المنيرية.
٣٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الإمام شهاب الدين عبد الحي ابن أحمد، تحقيق محمود أرناؤوط — دار ابن كثير- دمشق — بيروت.
٣٩- الصـــحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
٤٠- ضحى الإسلام: أحمد أمين، مطبعة الاعتماد، ط١ ١٩٣٣.
٤١- ضـــوابط المعرفة وأصول الاستدلال: الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني- دار القلم — دمشق — ط٤ ١٩٩٣.
٤٢- طبقات فحول الشعراء: الجمحي، محمد بن سلام، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة الميداني.

٤٣- طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

٤٤- الفهرست: ابن النديم، محمد بن إسحاق، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٤٥- القراءات الشاذة: ابن خالويه، الحسين بن أحمد، نشره ج. برجشتراسر، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤.

٤٦- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: الشيخ عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ١٩٨١.

٤٧- الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتاب.

٤٨- كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣.

٤٩- كتاب العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، قم، ط١ ١٤٠٥.

٥٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، محمود بن عمر، دار المعرفة- بيروت.

٥١- كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، محمد أعلى بن علي التهانوي، دار صادر.

٥٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق ١٩٧٤.

٥٣- لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت.

٥٤- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٥٥- مجـــالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف.

٥٦- المحتســـب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ابن جني، عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصيف وزميليه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٦.

٥٧- المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر ط٢ ١٩٨٦.

٥٨- المستصفى من علم الأصول: الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المطبعة المنيرية ببولاق.

٥٩- معـــاني القرآن: الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق د. هدى قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ ١٩٩٠.

٦٠- معـــاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد، تحقيق محمد علي النجار — وأحمد يوسف نجاتي — عالم الكتب.

٦١- معـــاني القـــرآن وإعرابه: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب.

٦٢- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت، ط٣ ١٩٨٠.

٦٣- المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني.

٦٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية — بيروت، ط١ ١٩٨٥.

٦٥- المفضليات: المفضل بن يعلى الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٧.

٦٦- المقتضـــب: المـــبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٩٩هـ.

٦٧- مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ١٩٨٦.

٦٨- المنطق الصوري والرياضي: د. عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط٤ ١٩٧٧.

٦٩- منهج الفراء في معاني القرآن: موفق السراج.

٧٠- النجاة في المنطق والإلهيات: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ١٩٩٢.

٧١- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

٧٢- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، صححه وراجعه علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى بمصر.

٧٣- النوادر في اللغة: أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد، ط١ ١٩٨١.

٧٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، جلال الدين، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط٢ ١٩٨٧.

٧٥- وفيات الأعيان: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(التعريف والنقد)

ديوان مجير الدين ابن تميم

قراءة.. ومستدرك

عباس هاني الجراخ

مجير الدين ابن تميم؛ محمد بن يعقوب بن علي (ت٦٨٤هـ)، واحد من شعراء العصر الأيوبي، عاصر الملك المنصور محمد بن محمود، صاحب حماة، واشْتهر بوصف مظاهر الطبيعة والتّشبيه، فَضْلاً عن تضمينه شعر الآخرين، وهذا ما دعا القُدماء إلى أنْ يوردوا نصوصاً من شعره في مُصَنَّفاتهم.

وفي بيروت، عالم الكتب، صدر (ديوان مجير الدين ابن تميم)، تحقيق الأُســـتاذ هلال ناجي والأُستاذ الدكتور ناظم رشيد، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ووقع في ١٥١ صحيفة، بِضِمنها الفهارس التي صنعها الأستاذ حسن عريبي الخالديّ، في حلّة قَشيبة وإخراج بديع.

وكان الأُستاذ الدكتور ناظم رشيد – المختصّ بالأدب الأيوبيّ- قد جمع شعر مجير الدين ابن تميم من المظان المتنوعة، وأباح للأستاذ هلال بالأمر، فأخبره الأخير أنّه يمتلك صورةً من منتخب الصَّفدي (ت٧٦٤هـ) لشعر الشاعر، وهكذا اتّفقا على تقاسم العمل بينهما وتحقيقه ليظهر كاملاً، وأن يقوما -أيضاً- بكتابة مقدمته.

وكنتُ قد اطّلعتُ على نسخةِ د. ناظم رشيد الخاصّة من (الديوان) في تموز ٢٠٠٠م، أيْ بعد صدورهِ بنحو عامٍ واحد، وعلّقتُ عليها بعض الملاحظات، وقدّمتُها إليهِ هديةً، ريثما تصل نسخٌ من النّاشر، وفعلاً تَمَّ ذلك

في نهاية شباط ٢٠٠١م، وقد أهداني الأُستاذ هلال ناجي نُسْخَة مِنَ الدِّيوان بعد شهرٍ واحد.

وكان مِنْ حُسن حظّ الدّيوان أنْ يقومَ الناقدُ الكبيرُ الأُستاذ عبد الحميد الرشوديّ بإبداء (نظرات) نقديّة وتعليقات عليه، بلغت (٥٦) ملاحظة، بتسلسل أبيات الديوان[١].

وإذا كانتْ بعضُ تلك النّظرات مهمَّة، أسهمتْ في سدّ الخلل في بعض المواضع، وإقامة الوزن، فإنَّ بعضها لم يكنْ دقيقاً، وبعضها الآخر مجرّد أخطاء مطبعية. ثم إنه لم يكنْ يعلم بتفاصيل (تقاسم) العمل بين المحققَّين الفاضلَيْن،، فَضْلاً عن أشياءَ أُخرى ليس هذا مجال بسطها[٢].

لقد كانت نظراتُ الأُستاذ الرّشودي حافزاً لي كي أعود إلى ما كنتُ قد علّقتُهُ من مَلاحِظ وتنبيهات على الديوان، وَأَضَفْتُ إلى ذلك كثيراً من القضايا، بعد رجوعي إلى المصادر المثبتة في هوامش التحقيق، فرأيتُ أنهما قد فاتتهما بعض الروايات المهمة والتخريجات، وكذلك الأخطاء في النقل منها، كما فات التحقيق نسبة أبيات مضمّنة لعدد من الشعراء، لم تُعْزَ إلى أصحابها، علاوة على إخلال الديوان بأبيات وَرَدَتْ في تلك المصادر، وهذا ما دعاني إلى البحث والتنقير، حتى عثرتُ على أبيات جديدة، صَنَعْتُ منها مستدركاً، ضمّ ما لم يردْ فيه بعد الاطلاع على مصادر أخرى.

وكنت قد ذكرتُ للأُستاذ هلال بعض ملاحظاتي هذه، فَرَغِبَ إليَّ في نشرها. وها أنذا أفعل هذا، في ضوء هذه المباحث المتسلسلة الآتية:

مخطوطة الديوان:

صنع الصفديُّ منتخباً من شعر مجير الدين ابن تميم، تَخَيَّرَهُ من قصائد للشاعر، بناءً على ذوقه الأدبيّ ومزاج عصره. وهذا ما فعله أيضاً في ما وصل إلينا من منتخبات أشعار: يحيى بن عبد العظيم الجزّار (ت ٦٧٩هـ) وسراج الدين عمر بن محمد بن الحسن الورّاق المصري (ت٦٩٥هـ)، وشهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزازي (ت٧١٠هـ)[٣]، وكذلك منتخبه لشعر محمد بن دانيال الموصلي (ت ٧١١هـ)[٤].

هذا عدا ما كان ينثرُهُ في كتبه الأخرى، عند ترجمته للشعراء. وما وجدتُهُ عند تحقيقي ديوان سيف الدين المُشِدّ (ت ٦٥٦هـ)، على أربع نُسخٍ خطيّة من بريطانيا وألمانيا وإسبانيا ومصر، في رسالتي للماجستير من جامعة بابل[٥]، إذْ كان يقتطع القصائد الطويلة، فيختار منها أبياتاً قليلة جداً.

أعودُ فأقول: إنَّ مُنتخب الصّفدي لشعر ابن تميم وصلتْ إلينا مخطوطةٌ فريدةٌ منه؛ بخطِّه، محفوظة في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣٩٤٨. ويشغل شعره الأوراق ١٠٧- ١٤٧ منها.

وتوجد صورة منه في معهد المخطوطات العربية برقم ٨١٧- أدب.

قال عبّاس الجرّاخ:

بعد البحث والاستقصاء ثَبتَ لنا أَنَّ للشاعرِ (ديواناً) جَمَعَهُ بخطِّه، ودليلنا على ذلك:

الأول: إنَّ الصّفديّ في كتابه (الغَيْث المسجم) نَقَل منه عدّةَ قطعٍ، وكان في كلّ مرّة يسبق ذلك بقوله: «نقلتُ مِنْ خطّ مُجير الدين محمّد بن تميم»[٦]، ثم في كتابه (أعيان العصر)[٧].

ومن المؤكد أنَّ هذا الكلام يعني أنه إنما يَنْقل من ديوانٍ له بخطِّه.

الثاني: إنَّ الخفاجيَّ في: (ريحانة الألبّا) أورد له بيتَيْن، ذكر أنهما وردا في «ديوانه»[٨].

أقول: إنَّ هذه القضية مهمةٌ جداً، وجديرةٌ بالتأمل، لم يبحثْ فيها المحققان الكريمان ولا أشارا إليها، لاسيما أنهما وَسَمَا عملهما بـ «ديوان».

وعلى هذا فإنَّ مخطوطة الصفديّ لشعرِه، لا تعدو أنْ تكونَ مُنتخباً مِنْ ذلك (الديوان)، الذي لم يصل إلينا، للأسف الشَّديد.

نَسَخَ الأُستاذ هلال هذا (المنتخب)، وبذل خبرتَهُ الطويلة وجهدَهُ في تَقَرِّي الحروف المتلاشية في المخطوطة، وهذا هو عملهُ في تحقيق الديوان، وحصتُّهُ فيه.

ولم يستطع قراءة بضع كلماتٍ وردتْ في ثلاثة أبيات منها، أشار إليها[٩].

كما سقطتْ من المخطوطة كلمتان، في بيتين – اجتهد الأُستاذ هلال في وضعهما داخل عضادتين[١٠]. وكنّا نفضّل أنْ يُتْرَكَ الأَصل على ما هو عليه، ويكون الهامش مجالاً رحباً لذلك.

وذكر الأُستاذ هلال – في مقدمته – ص١٠ – أنَّ مخطوطةَ الصَّفدي تحتضنُ (٦٦٨) بيتاً.

أقولُ: بعد دراستها وَفَحْصها تَبيَّنَ لنا سقوط البيت الأوّل، على قافية الهمزة، من القطعة(٢) ص١٣. وهو ثابت في المخطوطة – ووارد في الورقة الأولى منها– وترتيبهُ الرابع فيها. وقد أوردناهُ في (المستدرك) في بحثنا هذا، برقم (١).

كـــما لم يتم ترقـــيم البيت الوارد على قافية العين، بعد البيت رقم ٣٤٠

– ص٥٤، وكذلك البيت الوارد على قافية القاف، [بعد البيت] رقم ٣٨٠– ص ٥٩.

هذا إذا استثْنينا البيت المرقّم ٣٦٠، وترقيمُهُ غير صحيح، لأنّهُ ليس للشاعر، بل تضمينُ بيت للمتنبي.

وعلى هذا فإنّ مخطوطة الصّفديّ تقع في (٦٧٠) بيتاً فقط.

وتبدو أهمية منتخب الصفدي لشعر ابن تميم أنّهُ أضاف (١١٩) قطعةً إلى عمل د. ناظم رشيد، لو قُدّر له أن يَنْشُرَ (الدّيوان) بالاعتماد على المظان المختلفة دونَهُ، وهذا واضح من تخريجاته التي أثبتَها أسفل قِطع الأصل المخطوط؛ وترك ما لم يَعْثُرْ عليه في المصادر، وانفردت به المخطوطة.

ولابدّ أنْ أشير إلى خطأ واضح وَقَعَ فيه الصّفديُّ – وتابعَهُ الأُستاذ هلال–، في اسم الشاعر، إذْ وَرَدَ: (مجير الدين محمد بن علي بن يعقوب)[١١]، والصواب– كما هو معروف–: محمد بن يعقوب بن عليّ.

إهمال روايات المصادر:

في حواشي التحقيق تم إثبات اختلاف الروايات بين المصادر، وهو منهج سديد، إلاّ أننا لاحظنا – في الوقت نفسه– إهمال واضح لروايات أخرى وردتْ في تلك المصادر التي رجع إليها المحققان. وهذا بيانٌ بها:

– ص ١٤– البيت ٧:

دارتْ عــــليه بأنّـــةٍ وبكـــاءِ ناعورة مُـــذْ غابَ عنها قلبُها

أقول: وقد ورد في خزانة الأدب ٢٦٠، وهو أحد مصادر التخريج برواية أخرى هي:

فاضَـــتْ عـــليهِ بأنّـــةٍ وبُكـــاءِ ناعورة مُـــذْ ضاعَ عنها قلبُها

- ص ١٨- البيت ٤٥:

إنْ تـــاهَ ثَغْـــرُ الأَقاحي في تَشَبُّهِهِ ‏ ‏ ‏ بِـــثغر حِبِّكَ واسْتولى به الطربُ

وفي: أنوار الربيع ٦/ ٨٠: (إذْ تشبهه)، وهذا الكتاب من مصادر التخريج.

- ص ٣١- القطعة ٧٢، ورد بيتان خَرَّجهما د. ناظم على مصادر كثيرة، منها: عيون التواريخ ٢١/ ٣٦١، لكنه أهمل روايتَهُ لصدر البيت الأول، وهو: تَأَمَّل ترى الدّولابَ...

ورواية صدر الثاني:

وضاعَ النسيمُ الرَّطْب في الدَّوحِ منهما

- ص ٤٢- البيت ٢٤٦:

بطـــاووسِ بستانٍ يدورُ وينجلي ‏ ‏ ‏ وينفضُ على أرياشهِ بَلَلَ القطرِ(I)

وفي: عيون التواريخ ٢١/ ٣٦٤ (عن) بدلاً من: على. وسقطت منه الكلمة بعده. ولم يُشِرْ د. ناظم إلى ذلك، وهو من مصادره.

- ص ٥٦ — البيت ٣٥٩:

طـــوبى لمـــرآةِ الحـــبيبِ فإنَّهـــا ‏ ‏ ‏ حُمـــلتْ بـــراحة غُصن بانٍ أينعا

والبيت في: أنوار الرَّبيع ٦/ ٧٩- وهو من مصادر التخريج - برواية مختلفة، هي:

سُـــقياً لمـــرآة الحـــبيب فإنّهـــا ‏ ‏ ‏ حُـــلِيَتْ بكفّ ٍ مثل غصنٍ أينعا

(I)[روايـــة (وينفض على) تخلّ بالوزن، والرواية الصحيحة هي رواية عيون التواريخ (وينفض عن)/ المجلة].

- ص ٦٩ - البيت ٤٧٠

ولي حـــبيبٌ ســبحانَ خالقِـــهِ تــرتعُ في رَوْضِ وجهــهِ مُقــلي

وأثبت د. ناظم عيون التواريخ ٢١/ ٣٦٥ مَصْدراً له، ولم يذكرْ روايتَهُ فيه: «روضِ حُسْنه مقلي».

- ص ٧٤- البيت ٥٠٧:

ســبقتْ إليكَ مِنَ الحديقةِ وردةٌ وَأَتَــتْكَ قــبل أوانهــا تطفيــلا

وفي أنوار الربيع ٥/ ٢٥٦ «... من الحدائق».

- وورد البيت ٥١١ في الصحيفة ٧٤ نفسها:

إذا هَجَرَتْـــني الصــهباءُ يومــاً تــرى لــلهمّ في كبدي اشْتعالا

وفي أنوار الربيع ٦/ ٧٩ وَرَدَ العجز:

ألاقــي الــنار في كبدي اشتعالا

- ص ٩٧ - البيت ٢٥ [الملحق]:

تركتُ شرب الحُميا غيرَ مكترثٍ بهــا وفي شربها الراحاتُ والطَّرَبُ

وفي: خِزانة الأدب للحمويّ - وهو من مصادرِهِ المهمّة-: «غير مفتكر».

- ص ١٠٤ - البيت ٨٤:

دمٌ جَــرَى مــنْ فواخت ذبّحَتْ مِــنْ فوقهــا ريشــهنّ منــثورُ

وورد البيت في: أنوار الربيع ٥/ ٢٥٧ هكذا:

شــبه دم مــن فواخــت ذبحتْ وفوقــهُ ريشــهنّ منــثورُ

- ص ١٠٧ - البيت ١١٧:

أُضَــمِّنُ كــلَّ بيــتٍ فيه مَعْنى فَشــعري نصفُهُ مِنْ شعر غَيْري

أقولُ: وَرَدَتْ روايةُ الصدر في: عيون التواريخ ٢١/ ٣٥١، شذرات

الذّهب ٥/ ٣٨٩، وهما من مصادر تخريج الكتاب:

أُضَمِّنُ كلَّ بيتٍ نصف بيتٍ

– ص ١٢٦ – البيت ٢٨٠:

أَجْرَيْتُ واقفَ مَدمعي مِنْ بعدهِ وَجَعَلْته وَقْفاً عليه جارياً

وفي أنوار الربيع ٥/ ٣٠: «واقفَ أدمعي».

أقول:

وهناك روايات أخرى، خاصةً في (خزانة الأدب)، لابن حجة الحمويّ، لم تُذْكر في التخريجات، ضربنا صفحاً عن إثباتها، خشية الإطالة.

تخريجات جديدةٌ:

كانت المصادر التي رجع إليها د. ناظم رشيد في تخريج قطع الديوان قليلة، وأُثْبتُ هنا تخريجات جديدة لمصادر أخرى لم يرجع إليها، ومعها رواياتها.

أولاً: متن الديوان:

– القطعة (١) وردت في: الكشف والتنبيه للصفدي ٤١٨.

– القطعة (٨) في: «السماح في أخبار الرماح» للسيوطي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٧، ١٩٨٩، ص ٢٥٤.

وهما في الكتاب نفسه بتحقيق د. نوري القيسي[١٢]، مجلة (المورد)، مج١٢، العدد٤، ١٩٨٣م، ص ٩٠، وفي: الكشف والتنبيه، وفيها: «تلهو...».

– القطعة (١٠): البيتان ٢٠– ٢١ في: حلبة الكميت ٢٠٧.

– القطعة (١٥) في: شفاء الغليل ٢٣٧.

– القطعة (١٨): البيتان ٤٨– ٤٩ في: فضّ الختام عن التورية

والاستخدام ٩٠.

– القطعة (٢١) في: شفاء الغليل ٢٠٣.

– القطعة (٢٥) في: حلبة الكميت. وقافية الأول: «والحبائب».

– القطعة (٣٠) في: اتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء، مجلة عالم الكتب، مج٤، العدد الأول، ١٩٨٣م، ص ٩٢.

– القطعة (٣٦) في: الكشف والتنبيه ٣٠٣، ورواية صدر الأول: «يا حسنها دوحة..».

– القطعة (٥٣) في: ريحانة الألبّا ١/ ٤١٤، ورواية صدر الأول: سقى الله.. روضاً تبدى لناظري.

– القطعة (٥٥) في: تشنيف السمع ١٢٣، ورواية صدر الثاني: «تطايرها»، خَطأ.

– القطعة (٦٤) في: جوهر الكنز ١٤٦، ورواية صدر الأول: لمن أفوه بشعري حين أذكره.

– القطعة (٧٢) في: شفاء الغليل ١٢٩.

– القطعة (٧٣) في: حلبة الكميت ٢٤٤.

– القطعة (٧٤) في: حلبة الكميت ٢٠٦– ٢٠٧.

– القطعة (٧٧) في: الكشف والتنبيه ٣٢٠، ورواية الأول: «... فإنها تدعو بقلبٍ...».

– القطعة (٧٨) في: مطالع البدور ١/ ٣٧، نفحة الريحانة ١/ ٤٤٠، نفحات الأزهار ٨٣.

– القطعة (٨٤) في: الكشف والتنبيه ٢٩١.

– القطعة (٨٧) في: حلبة الكميت ٢٨٨.

– القطعة (٨٨) في: فضّ الختام ١٩٠.

– القطعة (٩٥) في: الكشف والتنبيه ٢٧٢ وفي صدر الثاني: «تحسبُ أنها..».

– القطعة (١٠٨)، الأبيات ١، ٢، ٤ في: حلبة الكميت ٢١٥. ورواية الأول: «رعى الله...»، ورواية الثاني: «فمدّ لتلقائي»، ورواية الأخير: «فحيثما ذهبتُ...».

– القطعة (١١٧) في: الكشف والتنبيه ٢٧٣. وفيه: «حسداً».

– القطعة (١١٨) في: حلبة الكميت ٢٩٠، وريحانة الألبا ٢/ ٢٠٣، شفاء الغليل ١٢٩. ورواية عجز الأول في الحلبة: «فلما مزقتُهُ»، وفي الريحانة: «فلما فَرَّقتها»، وعجز الثاني: «أيام عهد الصبا».

– القطعة (١٢٢) في: حلبة الكميت ١٦٠.

– القطعة (١٢٥)، البيتان ٢، ٣ في: الكشف والتنبيه ٢٣٣، ورواية صدر الأول فيه: «ويومنا»، والعجز: «مَنْ بات صاحياً هازي»، وهو تصحيح لما ورد خطأ في الديوان، ولم يستطع الأستاذ الرشودي — في نقده للعمل — ملاحظة ذلك التصحيح.

– القطعة (١٣١) في: الكشف والتنبيه ١١٦ والعجز فيه: «... نامت عيون الحرس»، وفي: أنوار الربيع ١/ ٢٧٩، وهو أحد مصادر الكتاب! وعجز الثاني فيه: «وترمقنا...».

– القطعة (١٣٥) في: الكشف والتنبيه ٣٠٨، وعجز الثاني: «لُبْس الحداد...».

- القطعة (١٣٧) في: الكشف والتنبيه ٢٨٢.

- القطعة (١٤١) في: الكشف والتنبيه ٣٠٤.

-القطعة (١٤٧) في: الكشف والتنبيه ٣٠٤ وقافية الثاني: «الرياض»، وورد في المصدر نفسه بلا عزو ص ٢٦٥.

- القطعة (١٥٢) في: رحلة ابن معصوم المدني، مجلة المورد ١: مج٩، ١٩٨٠م، ص ٢١٤.

- القطعة (١٥٧) في: الكشف والتنبيه ٢١٤.

-القطعة (١٥٨) في: شفاء الغليل ٤٢، ورواية صدر الأول «أسرع بنا» وصدر الثاني «وجيادنا».

- القطعة (١٦٢) في: الكشف والتنبيه ٣١٩.

- القطعة (١٦٣) في: إنسان العيون ١١٨.

- القطعة (١٧٠) في: فضّ الختام عن التورية والاستخدام ١٣٥.

- القطعة (١٧١) في: الكشف والتنبيه ٣١٢ وفيه: «ولينوفر».

- القطعة (١٧٢) في: الكشف والتنبيه ٣١٩، وعجز الأول: «فلقد قراهُ».

- القطعة (١٨٠) في: حلبة الكميت ٢٣١.

- القطعة (١٨٣) في: الكشف والتنبيه ٢٣٢.

- القطعة (١٨٤) في: الكشف والتنبيه، ورواية الأول: «...وحسنُها وأظلّ منها...».

وفي: حلبة الكميت ٢٥٧، ورواية صدر الأول: «... وطيبها وأظلّ منها...». وصدر الثاني: «والزهر يلحظني...».

- القطعة (١٨٧) في: الكشف والتنبيه ٣١٩.

- القطعة (٢٠١) في: الكشف والتنبيه ٢١٣، نفحة الريحانة ٢/ ٤١٩.

- القطعة (٢١٠) في: الكشف والتنبيه ٣٧٢، ورواية صدر الثاني: «ما بين منثور أقام ونرجسٍ».

- القطعة (٢١٤) في: ريحانة الألبا ٢/ ٤٧٦.

- القطعة (٢١٦) في: حلبة الكميت ٢٠٢، ورواية الأول: «وفتاة.... ذلولُ»: ديوان الصبابة ٢٨٠.

- القطعة (٢٢٧) في: نفحة الريحانة ٤/ ٢٢٤، ديوان الصبابة ٢٦٢ وفيه: «وقفت وللظى» وهو خطأ.

- القطعة (٢٣٠) في: الكشف والتنبيه ٤١٧ وفي عجز الأول: «فتطربني».

- القطعة (٢٣٧) في: الكشف والتنبيه ٢٨٩ وفيه: «من الحدائق وردةٌ» وكذلك في ريحانة الألبا ٢/ ٤٦٣. ونفحة الريحانة ١/ ١٢٨. وبلا عزو في: نصرة الثائر ٢٣٠.

- القطعة (٢٤٠) في: حلبة الكميت ٣٣٣.

- القطعة (٢٤٤) في الكشف والتنبيه ١٩٩.

- القطعة (٢٤٧) في: أنوار الربيع ٥/ ٣٠، خزانة الأدب ٢/ ٧٤-٧٥ ورواية البيتين مختلفة جداً عن الديوان:

أيـا حسـنها سـجادة سندسية ... يـرى للتقى والزهد منها توسّمُ
إذا ما رآها الناسكون ذوو الحجى ... أمـامَهُمُ صَـلُّوا عليها وسلّموا

- القطعة (٢٥٣) في: نصرة الثائر ٣٣٤.

- القطعة (٢٥٤) في: فضّ الختام ١٦٦، كشف اللثام ١٦٢.

- القطعة (٢٥٧) في: الكشف والتنبيه ٣٠٣.

- القطعة (٢٦٣) في: الكشف والتنبيه ١١٦.

- القطعة (٢٧٣) في: الكشف والتنبيه ٣٠٠.

- القطعة (٢٧٧) في: الكشف والتنبيه ٢٧١.

- القطعة (٢٩٠) في: الكشف والتنبيه ٢٧٣.

- القطعة (٣٠٠) في: الكشف والتنبيه ٤٠٨.

- القطعة (٣٠٤) في: فضّ الختام عن التورية والاستخدام ١٣٤- ١٣٥.

- القطعة (٣٠٩) في: الكشف والتنبيه ٤٠٨.

ثانياً- ملحق الديوان ص ٩٥- ١٢٧:

- القطعة (١) في: فضّ الختام ١٩٠.

- القطعة (٢)، البيتان ٣، ٤ في: الكشف والتنبيه ٢٦٦، وفي صدر الأول: «بلحظِ عينك».

- القطعة (٦) في: حلبة الكميت ١٦٨، وقافية الثاني: «تشربُ».

- القطعة (١٠) في: الكشف والتنبيه٣١٩.

- القطعة (١٧) في: الغيث المسجم ٢/ ٢٧١، ديوان الصبابة ١٧٢، نصرة الثائر ١٠٧: بلا عزو

- القطعة (١٦) في: الكشف والتنبيه ٣٩٧، وفيه (لبن) بدلاً من (لبأ).

- القطعة (٢٢) في: الشفاء في بديع الاكتفاء: ٧٢ وورد فيه صدر الثاني: «شقا ريق بدر الدجى» وهو وهم من الناشر.

- القطعة (٣٤) في: خِزانةُ الأدب ١/ ٣٨٩: بلا عزو.

– القطعة (٣٨) في: الكشف والتنبيه ٢٣٢- ٢٣٣ وورد أيضاً ص ٩٨.

ورواية الأول: «إذا الغيث فيها أرسل». ورواية صدر الثاني: (عين ناضره...».

– القطعة (٤١) في: الكشف والتنبيه٣٠٤، ورواية صدر الثاني: «فَظِلْتُ يومي...».

– القطعة (٤٨) في: حلبة الكميت ١٥٩.

– القطعة (٥٥) وردت في: خطط المقريزي ٢/ ١٩، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ٢/ ٦١، ٣/ ١٤٩: بلا عزو. وله في: عيون التواريخ ٢٢/ ١٨٧.

– القطعة (٥٩) في: شفاء الغليل ٢١٢: بلا عزو.

– القطعة (٦٣) وردتْ في: عيون التواريخ ٢١/ ٣٦٠، وفيه (عاتبتُ) وهو تصحيف. وفي: حلبة الكميت ٢٤٧ وفيه: «ولقد رأيتُ الوردَ».

– القطعة (٧٢) في: ريحانة الألبّا ٢/ ٦٥.

– القطعة (٧٥) في: ريحانة الألبّا ١/ ١٦٠.

– القطعة (٧٦) في: الكشف والتنبيه ٣٩٦ ووردتْ قافيةُ الثاني: «الباقلي».

– القطعة (٨٣) في: ريحانة الألبّا ٢/ ١٢٧.

– القطعة (٩٧) في: الكشف والتنبيه ٣٢٠ مع بيت آخر، أوردناه في: (المستدرك)، برقم ٢٤.

– القطعة (١٠٤) في: تشنيف السمع بانسكاب الدمع ٣٩- ٤٠.

– القطعة (١١٠) في: تشنيف السمع ١٩.

– القطعة (١١٣) في: الكشف والتّنبيه ٣١١، وفيه: غدا اللّينوفرُ.

– القطعة (١١٥) في: الكشف والتّنبيه ٣١٨.

– القطعة (١١٦) في: شفاء الغليل ٦٦ ورواية صدر الأول: «وعيت وكلّ أكلي...».

التضمين والاقتباس

عدم نسبة الأبيات المضمّنة إلى أصحابها.

ولع مُجيرُ الدين ابن تميم بتضمينهِ أبيات عدد من الشعراء أو أشطراً منها، حتى غدا نصف شعره من شعر غيره، كما أكد هو ذلك[١٣].

وفي حواشي التحقيق استطاع د. ناظم أنْ يعثر على (١٤) تضميناً، معظمها أشطار، نصفها للمتنبي[١٤]، وبعضها لشعراء آخرين مشهورين[١٥].

وقد وجدتُ أنَّ الشاعر كان يحرص على تضمين أبيات المتنبي في شعره، ولكن لم يُشَرْ إلى ذلك، أو تُخَرَّج على ديوانه، على الرُّغمّ من أنَّ ديوانَهُ كان بين مصادر التحقيق! كما عثرتُ على أبيات أخرى لم تُنْسَبْ إلى أصحابها، على الرغم من شهرتها.

١– وأثبت أولاً أبيات المتنبي التي ضَمَّنَها الشاعر، ولم تُنسَب إليه أو تخرَّج على ديوانه:

– ص ١٥– البيت ١٤:

لـــرأيتَ أعجبَ ما ترى في بركةٍ ســـال النُّضـــار بهـــا وقامَ الماءُ

والعجز للمتنبي في شرح ديوانه ١/ ١٤٧، وهو العجز نفسه الذي كرّرهُ الشاعرُ في الملحق ص ٩٥– البيت ٢، وصدره: (وكذا الكريم إذا أقام ببلدةٍ).

– ص ١٨– البيت ٤٩:

وإنْ قطّـــبتْ شمـــسُ المدام فَحَقُّها لأنك كنتَ الشّرقَ للشمس والغَرْبا

وهو للمتنبي، وصدره: فديناك من رَبْعٍ وإنْ زدتنا كربا. شرح ديوانه ١/ ١٨٢.

- ص ٢١- البيت ٧٤:

رأيـــتُك مَخْصياً فملتُ إلى الذي لـــه فضـــلةٌ من جسمهِ مِنْ إِهابهِ

والعجز هو صدر بيت للمتنبيّ، في شرح ديوانه ١/ ٣٠٣، وفيه: «في إهابه»، وعجزه: (تجيء على صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ).

- ص ٢٩، البيت ١٤٢:

وأُقسم لو داومتَ ما عشتَ لُبْسَهُ لَهُنِّـــئَتِ الدنيـــا بـــأنّكَ خـــالدُ

والعجز للمتنبي، وصدره: (هُبتَ مِنَ الأعمار ما لو حويتَهُ). شرح ديوان المتنبي ١/ ٣٩٩.

- ص ٣٣- البيت ١٧٥:

حـــتى إذا خافتْ هجومَ صباحِها نشرتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شعرها

والعجز هو صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (فأرتني القمرين في وقتٍ معا). والشطر المضمَّن هذا كرّرهُ الشاعر ص ٥٤ في عجز البيت ٣٤١، وإنْ لم يُرَقَّمْ. وص ٥٦- البيت ٣٦٠.

- ص ١١٥- البيت ١٨٦:

فقـــلتُ: سَدَّ طريقِ الشّعر يعجزُهُ ومَنْ يسدُّ طريقَ العارضِ الهَطِلِ(II)

والعجز للمتنبي، وصدره: (وما ثناك كلامُ الناس عن كرمٍ). شرح ديوانه ٣/ ٢١١.

(II)[وضـــع محققا الديوان عجز البيت ضمن قوسين، ويبدو أنهما يريدان الإشارة إلى ذلك فسقطت الحاشية سهواً/ المجلة].

- ص ٧٣- البيت ٤٩٨:

وقـــد تعجّـــبتُ إني بعد فرقتكم أحيـــا، وَأَيْسَرُ ما قاسيتُ ما قتلا

والعجز صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (والبين جار على ضَعْفي وما عدلا). شرح ديوانه ٣/ ٢٨٢.

- ص ٧٥- البيت ٥٢٠:

فـــلو حجينا بها في السّلم ما وجدتْ لهـــا المـــنايا إلى أرواحـــنا سُبُلا

والعجز للمتنبي وصدره: (لولا مفارقة الأحباب ما وجدتْ) شرح ديوانه ٣/ ٢٨٢.

- ص ٨١- البيت ٥٧٣:

فـــلو زُرتَهُم لم تعرفِ الراحَ منهم ثيـــابُهُمُ مِـــنْ مثـــلها والعمائمُ

والعجز للمتنبي، وصدره: (إذا برقوا لم تُعرف البيض منهمُ)، شرح ديوان المتنبي ٤/ ٩٩.

- ص ١١٢- البيت ١٥٦:

تـــراهُ إذا حلـــلتَ بـــه لـــوردٍ كـــأنَّ عـــليه مـــن حدقٍ نطاقا

والعجز للمتنبي، وصدره: (وخصرٍ تثبتُ الأبصارُ فيه). شرح ديوان المتنبي ٢/ ٤١.

- ص ١٢٢- البيت ٢٤٩

أثـــاروا عيسَهُمْ فجرتْ دموعي كـــأنَّ العيس كانتْ فوقَ جَفْني

والعجز هو صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (مُناخاةٍ فلما ثُرْنَ سالا). شرح ديوانه ٣/ ٣٣٨.

٢- أما الأبيات المضمنة للشعراء الآخرين، فهي:

- ص ٣٤، البيت ١٨٣:

ترفَّقْ فما هذي دموعي التي ترى ولكـنّها نفـسٌ تـذوبُ فَتَقْطُرُ

أقول: عجز البيت مضمّن، وصدره: (وليس الذي يجري من العين دمعها)، وهو لمجنون ليلى في ديوانه المجموع ١٣٤، ويُنسبَ إلى: عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثيّ في: شعره ٦٢، وإلى: أبي حيّة النُّميري في: شعره (المورد، ١ : ١٩٧٥، ص ١٤٧- المنسوب)، ونُسب كذلك إلى: سوار بن عبد الله القاضي في: شعره، ضمن كتاب: مع الفقهاء الشعراء وأخبارهم ص ٢٢٤- ٢٢٥، الزقازيق، ١٩٩٣م. [وينسب إلى بشار وهو في ديوانه ص ٥٢٤ / المجلة].

- ص ١١٣- البيت ١٦٣:

أدخلـتَهُ وأولـئك الأقـوام قد شـدّوا المـآزر فوقَ كثبانِ النَّقَا

والعجز هو مطلع قصيدة للشواء الحلبي (ت ٦٣٥هـ)، وعجزه: (خفراً فحلّوا عقد نسكي والتقى). عقود الجمان ١٠/ ١٣٠- مخطوط .

- ص ٢٤- البيت ٩٨:

رأى خَطَّـهُ ذا عِـلّةٍ فأعـادَهُ ومَـنْ يشـتري ذا علّةٍ بصحيحِ

والعجز للحسن بن مطير الأسدي في شعره ٤٣، وصدره: (أبيع ويأبى الناس لا يشترونها). وينسب إلى مجنون ليلى، في ديوانه ٩٥.

- ص ٤٦ – البيت ٢٧٧:

ومـا أنـا إلاّ راجلٌ فوقَ ظهرهِ ولكنّني فيما تَرَى العينُ فارسُ(III)

(III)[انظر تعليق المجلة السابق رقم (II)/ المجلة].

والعجز لأبي صعترة البَوْلانيّ، من شعراء الحماسة، وصدره: (بأطيبَ مِنْ فيها وما ذُقْتُ طعمَهُ). الحماسة (عسيلان) ٢/ ٣٨، شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري ٢/ ٨٥٨.

- ص ٧٣ – البيت ٥٠١:

وهو الذي ترك النَّسيمَ وقد جرى معــهُ يجـرُّ مِـنَ الحيـاءِ ذيولا

والعجز للأَرّجاني، والبيت كاملاً في ديوانه ٣/ ١٠٠٠:

ورأى لحـبك أنـني قد خانني فمضـى يَجُـرُّ من الحياءِ ذيولا

- ص ١٠٣ – البيت ٨٠، [الملحق] :

وهـا أنـا قد فارقتُها غيْرَ نادمٍ وكـم مثلها فارقتُها وهي تَصْفِرُ

والعجز لتأبّط شراً. وصدرُهُ. (فأبتُ إلى فَهْمٍ وما كدتُ آئباً)(IV). يُنْظر: ديوانه ٨٩.

- ص ١٠٤ – البيت ٨٢:

نَـبِّهْ عـليها أبا بكر فَقَدْ قُضِيَتْ ومـا عـليك إذا لم يَنْتَـبِهْ عُمَرُ

والعجزُ متأثر بقول بشار بن برد، في ديوانه ٤/ ١٦٠:

إذا أيقظـتْكَ حـروبُ العِـدَى فَنَـبِّهْ لهـا عُمَـراً ثُـمَّ نَـمْ

ص ١١٦– البيت ١٩١:

مُؤَخَّـرُها والعـنقُ قـد أَوْقعـا قلبَ الأعادي في العريضِ الطَّويلْ

والبيت من قول ابن سناء الملك (٦٠٨هـ)، في ديوانه ٢/ ٨٤٣:

تلاعُـبُ الشَّـعرِ عـلى ردفـهِ أَوْقَـعَ قلـبي في العريضِ الطويلْ

(IV)[رواية الديوان: و لم أك آيباً/ المحلة].

- ص ١١٧- البيت ٢٠٠:

سكتْنا وقالتْ للقلوب فَأَطْرَبَتْ ونحنُ سكوتٌ والهَوَى يتكلّمُ

والعَجز لأبي الشّيص الخزاعي، وصدرُهُ: (حواجبُنا تقضي الحوائج بيننا). وقد كرّره الشاعرُ أيضاً في ص ١١٨- البيت ٢٠٩.

- ص ٢٩- البيت ١١٤:

وقد نَضَحَتْ خدّاه من ماءِ وردها (وكلٌّ إناء بالذي فيه يَنْضَحُ)

وخرَّج العجز على مجمع الأمثال ٢/ ٧٣. والصحيح أنه عجز بيتٍ للحَيْص بيص، وصدره: (فحسبكم هذا التفاوت بيننا)، ديوانه ٣/ ٤٠٤.

- ص ٥٥- البيت ٣٤٦، ورد عجزه في: نفح الطيب ٣/ ١٦٢، لشاعر لمْ يُسَمَّ.

الاستفادة من الأمثال والقرآن الكريم:

وفي الديوان استفاد الشاعرُ من الأمثال فَضَمَّنها شعره، ومن المؤسف أننا لم نَرَ إشارةً إلى هذه الأمثال. وهي:

- ص ٦٤ — البيت ٤٢٣:

لا تعجلوا في أخذ روحي واصبروا فإليكُم هذا الحديثُ يساقُ

أقول: والعجز مثل، وأصله: (إليك يُساق الحديث). وهو في: مجمع الأمثال ١/ ٧٩، فرائد الخرائد ٤٨، فصل المقال ٥٠، المستقصى ١/ ٣٥٧.

- ص ٧٨ — البيت ٥٤٤:

أنْبَهتَني حتى هجوتُك والقطا لو كان يُتركُ أنْ ينامَ لناما

وهو مثل، وأصله: (لو ترك القطا لنام). وهو في: المستقصى ٢/ ٢٩٦، فَصْل المقال ٣٨٤.

- ص ٩٢ - البيت ٦٦٨:

ومـــا بعـــثتُ بـــه تمراً إلى هجرٍ لكـــنْ بعثتُ إلى الفردوسِ رَيْحانا

وعرَّف د. ناظم بـــ (هجر)، و لم يلتفتْ إلى أنّ صَدْر البيت يُشير إلى المثل: (كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْرِ إلى هَجَر). وهو في: المستقصى ٢/ ٢٣٣.

ولابدَّ من الإشارة إلى اقْتباس الشاعر من القرآن الكريم في مواضع أخرى:

- ص ٥١- البيت ٣١٤:

قضـــــى لي اللهُ بهـــــا مـــــرةً يـــا ليـــتهـــا كانتْ هي القاضيهْ

والعجز اقتباسٌ من قوله تعالى: ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ - الحاقة ٢٧

ص ١٢١- البيت ٢٤٣:

قطعـــــنا الشـــــريعةَ في حـــــربهمْ وَخُضْـــنا إليهـــم مـــع الخائضينا

والعجز - أيضاً - اقتباس من قوله تعالى: ﴿وكنّا نخوضُ مع الخائضين﴾ المدثر ٤٥.

الشعر المنسوب:

في الديوان أبيات متنازعة مع عدد من الشعراء، لكننا لم نر اهتماماً بهذا الأمر العلمي المهم، والمرة الوحيدة كانت إشارة يتيمة إلى أنّ القطعة (١٨٤)، الواردة في ص ٦١، وهما بيتان فائيان نسبا إلى يوسف بن لؤلؤ الذهبي، في: فوات الوفيات، وكان يفضِّل الرجوع إلى مجموع شعره، الذي جمعه د. حسين علي محفوظ في مجلة كلية الآداب - بغداد، العدد ،. ١٩٦٨م ثم إن البيتين نفسهما نسبا إلى محيي الدين بن قرناص في خزانة الأدب.

وأُدرج هنا الأبيات المنسوبة إلى بعضِ الشّعراء مّما فات المحققَيْن.

وابتدئ — هنا — بما ورد في (الملحق):

- ص ٩٦- القطعة ٥ بيتان بائيان.

أقول: هما لمحيي الدين بن قرناص (ت ٦٧١هـ) في: الكشف والتنبيه ٤١٦.

- ص ١١٦- ١١٧ — القطعة ٨٢ بيتان ميميان في الريحان

ومجلس راق من واشٍ يكدرهُ ومِنْ رقيبٍ له باللوم إيلامُ
ما فيه ساعٍ سوى الساقي، وليس بهِ بين الندامى سوى الريحان نمامُ

ورجع د. ناظم في تثبيتهِ لمجير الدين بن تميم إلى: مطالع البدور ١/ ١٠٧. وهو مصدر متأخر.

أقول: الصواب أنهما لسيف الدين المُشِدّ (ت ٦٥٦هـ): وهو ثابت النسبة له في ديوانه الذي حَقَّقْتُهُ على مخطوطةِ الإسكوريال (ثان: ٢٤٢)، الورقة ١٣٠ ب ومخطوطة غوطا الألمانية (رقم ٥٤٥/ د. س ٢٩٠)، الورقة ٣٩/ أ، في الديوان - القطعة ١٩٧ — ص ٢٤٦ (مخطوط).

ووردا أيضاً في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٦٢، تمام المتون ٢٣٦، فضّ الختام ١٣٩، خزانة الأدب ٢/ ١٠٦، إنسان العيون ٣٣٨، أنوار الربيع ٥/ ٣٩، تحفة الناصرية (غير مُرَقّم).

ورواية: عجز الثاني في الديوان: على الندامى...

- ص ١١٧- القطعة ٨٥. هي ثلاثة أبيات،

ولم أنسَ إذ زار الحبيبُ بروضةٍ وقد غفلتْ عنّا وشاةٌ ولوّامُ
أقول وطرف النرجس الغض شاخص إلينا وللنمّام حولي إلمام
أيا ربّ حتى في الحدائق أعينٌ علينا، وحتى في الرياحين نمامُ

أقول: الأبيات لصفي الدين الحلّيّ في ديوانه ٣٦٤ (النجف، ١٩٥٦م)،

مع بيتٍ رابع يكون ثانياً.

وأكاد أجزم أنّ الصفيّ تأثّرَ ببيتي سيف الدين المشد. ويُنْظر: تمام المتون ٢٣٦.

- ص ١١٧ — القطعة (٨٣) بيتان ميميان، قالهما في الشبابة، من الطويل.

أقول: هما لمحيي الدين بن عبد الظاهر، وفي: فوات الوفيات ٢/ ١٨٥، عيون التواريخ ٢٢/ ١٤٢، خزانة الأدب ٧٢، ٣٨٨.

- ص ١١٨- القطعة ٩٠، بيتان ميميان من الكامل بالاعتماد على خزانة الأدب ١/ ٣٨٧.

أقول نُسبا في المصدر نفسه ١/ ٢٨٨ إلى ابن حجة الحموي نفسه، في باب (الاكتفاء) وفي الشفاء في بديع الاكتفاء ٦٤.

- ص ١٢٢- القطعة (١٠٣)، وهما بيتان من الخفيف. أقول: نُسبا إلى محيي الدين بن قرناص في أنوار الربيع ١/ ٢٦٨.

هذا بخصوص نسبة الشعر المتدافع في (الملحق) الذي صنعهُ د. ناظم رشيد، وكنّا نأمل أنْ يتمّ فَرْزَ هذه القطع تحت باب هو (المنسوب) يثبت بعد الملحق.

وعلاوة على ذلك توجد قطع منسوبة وردتْ في أصل مخطوطة منتخب الصفدي، نذكرها للأمانة العلمية.

- ص ٣٠ — القطعة ٦٩، بيتان داليّان في: الثقيل.

أقول الثاني لناصر الدين بن النقيب (ت ٦٧٨هـ) في كتاب: إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء للسّيوطيّ (ت ٩١١هـ)، مجلة «عالم الكتب»، مج ٤، العدد الأول، ١٩٨٣م، ص ٩٣.

– ص ٨٢، القطعة ٢٧٠ بيتان ميميان في الناعورة: من الطويل.

أقول: نُسِبا إلى ابن نباتة: في خِزانة الأدب ٢٥٩. ولم أجدهما في ديوان ابن نباتة المصري:

ووردا في حلبة الكميت ٢٨٨، مطالع البدور ١/ ٤٢، نزهة الأنام ٦٦، ورواية صدر الأول في الحلبة: وقد حال لونها. وفي النزهة: وقد ضاع لونها. وهما في: ديوان ابن نُباتة السَّعدي (المنسوب) ٢/ ٦٢٦.

ص ٩١- القطعة (٣٠٦)، بيتان على قافية الهاء، في الدولاب.

أقول: وردا في خزانة الأدب ٢٥٩ منسوبَيْن إلى شاعر آخر لم يُسَمَّ(٧).

ص ٣٦- القطعة (٨٩)، بيتان رائيان في روضة.

أقول: نُسِبَت إلى ابن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨هـ) في: ديوانه ١٣٣، عن مخطوطة التذكرة للنواجي (ت ٨٥٩هـ)، الورقة ٧٢ب.

عدم إثبات القراءة الصحيحة للأبيات

– ص ١٣- القطعة ٢. وتضم بيتاً واحداً فقط. وهذا أمر غريب، والصحيح أنها تقع في بيتين سقط أولهما من الأستاذ هلال ناجي، وأوردناه في (المستدرك). أما الثاني ورقمه ٤، فقد ورد:

كلفنَ تكرار الحروف فجمجمتْ فيهـــا ولم تَفْصَـــحْ بـــغير الراءِ

وصواب الصدر: (كلفتْ بتكرارِ الحروف...)، كما هو واضح في صورة الورقة الأولى من منتخب الصفدي!

(٧) [إما أن الشاعر لم يسمَّ فلا تنازع في نسبة الأبيات، ويحسن ذكر هذه الفقرة تحت عنوان «تخريجات جديدة» الآنف الذكر / المجلة].

- ص ١٤- البيت ١٣:

لــو كــنتَ إذْ أبصــرتَها فوّارةً　　كالشَّـــمس في أمواهِهـــا لألاءُ

أقول: صواب العجز: للشمس في أمواهها لألاء. ويعضد ذلك صورة: الورقة الأولى من منتخب الصفدي، ومصادر التخريج المثبتة أسفل القطعة.

- ص ١٤- البيت ٦:

إنَّ الغـــزالةَ مــع جـــلالِ قدرها　　أضـــحتْ ومِـــنْ عُشّاقها الحِرباءُ

وصواب الصدر: (إنَّ الغزالة مَعْ جلالةِ قدرها)، كما هو واضح في مخطوطة منتخب الصفدي.

- ص ٦٠ البيت ٣٨٩:

مــا زاره أيــامَ نرجســهِ فَــتًى　　إلاّ وأجلسَـــهُ في أحداقـــهِ

ورواية العجز مختلة، والصواب: (... على أحداقِه)، وعلى ما ورد في مصادر التخريج نفسها.

الملحق:

وفي ١٠٤- البيت ٨٤ أثبت د. ناظم رشيد البيت:

دم جــرى مــن فواختَ ذُبِّحَتْ　　مــن فوقهــا ريشــهنَّ منــثورُ

وصواب الصّدر: (... من فواختٍ ذبحتْ) ويؤكد ذلك كتاب معاهد التنصيص ٢/ ١٠٢، وهو من مصادر تخريج القطعة.

- ص ١٢١- القطعة ٩٩، رجع د. ناظم إلى مصدر وحيد في إثباتها هو: عيون التواريخ ٢١/ ٣٥٩، وورد البيتان الأخيران عنده:

يا دهرُ حسبكَ ما أبقيتَ لي رمقاً　　مِــنْ بعد بُعْدٍ ولا روحاً ولا بدنا

أخــذتَ عــنه أيام الوصالِ نوىً　　فــلا تــزدنا عــلى هذا فتظلمنا

وقد رجعتُ إلى: (عيون التواريخ) نفسه، فوجدتُ تغييراً في النقل منه، إذْ ورد عجز البيت الأول: (بعد البعاد ولا روحاً ولا بدنا).

أما صدر الثاني فهو مختل وفيه ينكسر الوزن، وسببه عدم دقة النقل. وصوابه: (أخذتَ عدَّةَ أيامِ الوصالِ نوىً).

إنَّ إثبات القراءة الصحيحة للمخطوطة والنّقل الدّقيق من المصادر أمرٌ ضروريٌّ وواجبٌ.

أوهام وفوات الأعلام والمواضع والمفردات

خدم د. ناظم رشيد الدّيوان بتعريفه ما ورد فيه مِنْ أعلام ومواضع ومفردات.

أوّلاً: عرَّف ثمانية (أعلام) فقط، أوردهم في حواشي الديوان، ويلاحظ:

١- ترجم لنور الدين الإسعردي (ت ٦٥٦هـ) ص ١٧، وكان من مصادره في الترجمة فوات الوفيات ٣/ ٢٦٧، ثم أعاد الترجمة ثانية [ص ٧٨] وذكر أنه في: فوات الوفيات ٤/ ٢٧١ وهكذا نرى تكراراً لا داعي له لشاعر واحد، واختلافاً في الجزء والصحيفة لكتاب واحد أيضاً والصواب ١/ ٢٧١- ٢٧٦ وأضيفُ إلى مصادر ترجمتِه: عيون التواريخ ٢٠/ ١٨٩-١٩٣، السّلوك للمقريزي ١- ق٢/ ٤١٤، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٤.

٢- عرّف في الصحيفة ٣١ ابنَ سعيد المغربيّ، وذكر أنَّ وفاته كانتْ سنة ٦٧٣هـ، بالاعتماد على كتاب فوات الوفيات ٣/ ١٠٣.

أقول: وما ورد في (الفوات) غير صحيح، لأنَّهُ مشرقيّ، والصواب أنَّ ابنَ سعيد توفيّ سنة ٦٨٥هـ، وأكد ذلك مؤرخو المغرب، وَهُمْ أَوْثَقُ في

تأريخهم لأعلام المغرب، كالمَقَّرِيّ (ت ١٠٤١هـ) في: نفح الطيب ٣/ ٤٠، وأيّدهم مِنَ المشارقة السيوطي (ت ٩١١هـ)، ويؤكد ذلك أنَّ ابن سعيد نفسه ذكر في كتابه: القدح المعلّى ١١٧ حادثةً وَقَعَتْ سنة ٦٨١هـ. مما ينفي أنْ يكون قد توفي سنة ٦٧٣هـ تماماً(١٦).

ثانياً: عَرَّفَ د. ناظم خمسة (مواضع) فقط وردتْ في الديوان، ومعظمها مشهورة، مثل: جبل أُحُدُ (جبل بالمدينة ٣٠) وصنعاء (عاصمة اليمن ٩٥)...

وفي الوقت نفسه أهمل مواضع أخرى أوردها الشاعر على سبيل التورية، مثل: (ثَوْرا) ص ١٠٦- البيت ١٠٠ و(الغَوْر)(١٧) ص ١٢١- البيت ٢٤٢(VI).

٢- عرّف (نهر يزيد) ص ٢٧ بالرجوع إلى معجم البلدان ٥/ ٤٣٦، ثم أعاد التعريف نفسه ص ٤٩ (الهامش ٤)، ورجع إلى المصدر نفسه ٥/ ٣٢٤. والغريب في هذا التكرار أنه كرّر في الصحيفة الأخيرة نفسها — في الهامش (٣) التعريف نفسه، أما ما وَرَدَ من صفحات الجزء الخامس من (معجم البلدان) فهو مخطوءٌ في الموضعين، والصواب ٥/ ٤٣٦.

٣- عرّف (النيربين) [ص٤١] وهي: قرية بدمشق في البساتين.

(VI) [البيتان هما:

لي بســــتان كـــــبير نجـــــده أصـــــبح غـــــورا

دارت الأيــــام حـــــتى كبشـــه [قـــد] صـــار ثـــورا

ثـــورا، غورا: تطابق في البيتين كلمتي (نجده، كبشه) وليس ثمة قرينة تدل على أنهما موضعان/ المجلة].

والصواب: ... في وسط البساتين.

ثالثاً: عرّف عشر (مفردات) وَرَدَتْ في أبيات الدِّيوان، ويُلاحظ أنَّ ثمان منها لم يُوْرِدْ معها مصدراً لها، وهي: (الأطلس ٣٨، الحياصة ٤٠، البحرة ٥٣، الدسكرة ٨١، الشبابة ١٠٣، الأذريون ١٠٩، البيذق والفرزان ١٢٣).

ولاحظنا أنه ذكر في تفسيره (الفرزان) ١٢٣: «الملكة في لعب الشطرنج».

أقول: وهذا خطأ. والصواب أنَّ (الفرزان) هو: الوزير، وإلاّ كيف يتفرزن الجندي ويغدو (ملكة)؟. بل إنّ مصطلح (الملكة) مصطلح أوربي، لا عهد للعربية والشرق به. ومكانه: الملك[١٨].

وفي الديوان كلماتٌ أخرى بحاجةٍ إلى تَفْسير، لم تُسَلَّط عليها الأضواء أو تُفَسَّر!

العروض والأوزان

إنَّ ظهور الديوان سالماً من العيوب في الأوزان أَمرٌ اهْتَمَّ به المحققان الكريمان، على أنني وَدِدْتُ أن أَقِفَ قليلاً أمام بعض ما شابَهُ من هنات في الأوزان والعروض:

- ص ٨٨، البيت ٦٣٢:

وبحقِّــكَ نــاحَتْ عــليك لأنها   فَقَــدَتْ قوامك في غصون البانِ

وواضح أنّ البيت من الكامل، لكنَّ صدره مختل الوزن.

- ص ٨٨، البيت ٦٣٤:

خصّــوا جفونيَ السهادَ فلم أزلْ   أرعــى الــنجوم وليــلُها يرعاني

والصدر مكسور الوزن، وصوابه: خَصُّوا جفوني بالسهادِ...

- ص ١٠٨، البيت ١٢٠ من الوافر: ص ١١٠، البيت ١٤٤ من

البسيط، وردا هكذا:

- وسنشـــكر يوم لهوٍ قد تقضّى بســـــاقية تقابلـــــنا بـــــنهرِ
- وكأنـــه، ودروع الماء تشملهُ تحت الشعاع، أكاليلُ الطواويسِ

وصوابهما: حذف الواو من أولهما، ليستقيم وزنا البيتين.

- ثمة تدوير في الأبيات - على الشطرين - لم يكنْ دقيقاً، في موضعين:

- ص ٨٤، البيت ٥٩٨:

بـــــدأتْ بإخـــــراج الضّـــــمـــــ ـــير وبعـــــده عقـــــد اللســـــانِ

والصواب: أن تكون الياء من (الضمير) في الصدر.

- ص ٧٩، البيت ٥٥٠:

فخـــاف على أزهاره أنْ تصيبَها العيـــونُ فَأَضْحَى بالضّبابِ مُلَثَّما

والصواب: أنْ تكون (أل) من (العيون) في صدر البيت.

ملحق الديوان:

صنع د. ناظم رشيد ملحقاً (ذيلاً) للديوان ضَمَّ (١٢١) قطعة في ٢٨٤ بيتاً، بترقيمهِ، من مختلف المصادر التي رجع إليها، مما لم يردْ في أصل منتخب الصفدي. ويلاحظ على هذا الملحق:

أولاً: التكرار:

من المؤسف تكرار مقطوعتين فيه كانتا قد وردتا سابقاً في مَتْن الديوان، ولا أدري كيف لم يُنْتَبَه إلى ذلك؟

الأولى: القطعة (٧٨) [ص١١٥]، وهي ثلاثة أبيات لامية من (السريع) نظمها الشاعرُ في وكيل بدار القاضي بدمشق يدعى بالعزِّ،

وخرَّجها على: خزانة الأدب ومعاهد التنصيص وأنوار الربيع. وقد فاتَهُ أنَّ هذه القطعة جاءتْ في أصل الديوان ص ٧٢، القطعة ٢٣١. فكان عليه أنْ يحذفَ القطعةَ المكرّرة -الثانية – وينقل تخريجها. إلى المرّة الأولى، مع ملاحظة أنه ورد تخريج الآية المقتبسة – في قطعة الأصل – إنها: آل عمران ١٧٨، والصواب هو ما ورد في المرة الثانية: ١٧٣. كما أنه أهمل رواية: (أنوار الربيع) للبيتين الأول والثالث منها.

الثانية: القطعة (٩١) ص ١١٩، وهما بيتان من (الكامل) خرَّجهما على : نزهة الأنام.

وإثباتها في الملحق خطأ، لأنها سبق أنْ وردتْ في أصل الدّيوان ص ٨١؛ القطعة (٢٦٥)، وقد خرَّجها هناك على المصدر نفسه، ولم ينتبه إلى تكرارها.

وعلى هذا يكونُ العدد الحقيقي لأبيات الملحق (٢٧٩) بيتاً، في (١١٩) قطعة.

ثانياً: الرجوع إلى مصادر حديثة:

لا يجوز في تحقيق النصوص القديمة تخريجها على مراجع حديثة، والصحيح الرجوع إلى الأصل المخطوط – أو المطبوع – المنقول عنه، لما في ذلك من محاذير، لعل أبرزها الخطأ في النقل، أو الإسقاط المتعمّد لبعضها ..، ولكننا نجد في الملحق المجموع ما يخالف هذا الشرط.

فقد وردتْ القطعة (٣) – ص ٩٦، وهي ستة أبيات همزية، مخرَّجة على مرجع حديث وهو كتاب (عصر سلاطين المماليك) للدكتور محمود رزق سليم.

وقد وجدتُ البيتين الرابع والسادس منها في: الكشف والتنبيه ٤١٧

بلا عزو، وعجز السادس: ومعهما بيت آخر، هو:

ورقى خطيبُ العندليب منابر الـــ أغصـــان لابـــسَ خـــلعةَ الخلفاءِ

و لم أثبتْهُ في (المستدرك) – هنا – لأنَّ الصفدي لم ينصّ على أنه لمجير الدين.

وفي ص ١١٣ (القطعة ٧٠) وهما بيتان قافيان، رجع في تخريجها إلى كتاب: الأدب في العصر المملوكي للدكتور محمد زغلول سلام، وهذا لا يجوز علمياً.

الأخطاء المطبعية:

على الرُّغم من الجهد الذي بُذِلَ في تنقيح الديوان من أخطاء الطباعة، فثمة أخطاء أخرى مازالت عالقة به كالشوائب، أثّرتْ سلباً في معنى أبياتهِ وكسرتْ أوزانه. وهي على نوعين:

الأول: أخطاءٌ مطبعية واضحة في تغيير بِنْيَة الكلمة، وهذا جدول بها:

الصحيفة	رقم البيت	الخطأ	الصواب	الصحيفة	رقم البيت	الخطأ	الصواب
٨	٣	أهدى	أهوى				
٢٠	٥٩	نقط	فقد	١٠٨	رقم البيت	١٩٠	١١٩
٣٠	الهامش	أَحَد	أُحُد	١١٥	١٨٤	حطَ	خطَ
٣١	١٥٧	الدّلاب	الدّولاب	١٤٦	٣٤	نادنا	نارنا
٤١	٢٣٢	لإقدامي	لأقدامي	١٥١	(المحتوى)	امراحع	المراجع
٤١	(الهامش)	عيوان	عيون	١٣١	مصدر ٣٤	خليل من	خليل بن
٤٥/١٠٣	٢٦٣/ ٧٨	صغار	صفار	٤٥	٢٧٠	صباحاً	صاحباً
٤٦	(الهامش)	لا تحتقرن	لا تحقرنْ	١٢٢	٢٤٥	غضون	غصون
٨٠	٥٦٥	كنتُ	كنتَ	٤٤	(الهامش)	أيام الصبا	أيام عهد الصبا
١٠٥	٩١	الجمالَ	الجمالُ				
١٠٦	١٠٦	نحلَ	نملَ				
١٠٠	(التخريج)	٢١/ ٣٢١	٢١/ ٣٦١				

الثاني: أخطاءٌ مطبعيةٌ أَخَلّت بوزن الأبيات، عن طريق تحريفها، أَو سقوطها، رجعنا في تصحيحها إلى مظان ورودها:

- ص ٢١- البيت ٧٦

لقد قام عذرُ النار عندي **إذا** خَبَتْ لأنَّ بهـــا من مسٍّ بردِ الشتا ما بي

وص ٦٢- البيت ٤٠٣

وما احْمَرَّ خدّ الورد إلاّ **إذا** غدا الـــ ـــمنـــثور يـــلطمُ خَدَّهُ بكفوفهِ

وصواب الموضعين: (إذْ) بدلاً من (إذا)(VII).

- ص ٤٩ – البيت ٢٩٦:

وأصـــبحَ يخطـــرُ بينـــنا وذاك النِّـــثارُ على رأسهِ

وسقطتْ (ما) من الصدر. وصحيحُهُ: وأصبح يخطر ما بيننا

ص ١٠٦- البيت ١٠٠:

دارت الأيــــــام حـــــتى كبشُـــــهُ صـــار ثـــــورا

إذْ سقطت (قد) من العجز، فيكون الصواب: كبشهُ قد صار ثورا

- ص ١٠٨ – البيت ١٢١:

وطِرْفٌ يفوقُ البرق لوناً وسرعةً فكالصخر إذْ يهوي وكالماء يجري

فالواضح سقوط (إذ) من العجز، فيكون الصواب:... وكالماء إذْ يجري.

* * *

(VII) [و(ما احمرّ) بحذف الواو/ المجلة].

المصادر والفهارس

وضِعَت في نهاية الديوان قائمة المصادر والمراجع، التي رجع إليها د. ناظم في تحقيق الديوان وتخريج نصوصه، منها كتابان مخطوطان — وبلغت ٣٧ كتاباً، بترقيمه.

ويلاحظ ما يأتي:

١- السهو عن إثبات خمسة كتب وردت في هوامش العمل، وهي: (الإفادة والاعتبار)-ورد ص ٤٦، (ديوان ابن المعتز) — ورد ص ١٠٧، (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) — ورد ص ٤٨، (المعجم الوسيط) ورد ص ٨٣، (نزهة الجليس) ورد ص ٧٩.

٢- الاعتماد على طبعات غير علمية، من ذلك: أنه اعتمد على طبعة القاهرة ١٣٠٤هـ من (خزانة الأدب) لابن حجة الحمويّ، وأهمل نشرة عصام شعيتو الصادرة في بيروت ١٩٨٧م، بجزأين، ورجع إلى كتاب (نزهة الأنام) للبدري بطبعة القاهرة ١٣٤١هـ، وترك النشرة التي صدرت في بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦م.

٣- جاء اسم كتاب (نفحة الريحانة) على أنه رجع إليه ونقل منه، والصحيح أنه لم يرجع إليه على الإطلاق، وإلاّ لما فاته بعض قطع الشعر التي وردت فيه، فضلاً عن تخريجات أخرى لشعره، فالصواب أنّه رَجَعَ إلى (ريحانة الألبّا) للخفاجي!!

* * *

الفهارس العامة

صنع فهارس الديوان الأستاذ حسن عريبـــي الخالدي، وتضمّ: فهرس قوافي الديوان، قوافي ملحق الديوان، الأعلام، البلدان والأماكن.

ويلاحظ عليها:

١- كنت أحبّذ عدم الفصل بين قوافي الديوان وملحقه، فهما واحد، وكان بإمكانهِ أنْ يَضَعَ نجماً، أو أيّة علامة، أمام كل قطعة من قطع (الملحق) لتمييـــزها عن قِطع (الأصل)، ولو وحّدهما في فهرس واحد لاكتشف القطعتين المكرّرتين في (الملحق).

ثم إنّ الترتيب لم يكن على وَفْق المراعاة بالساكن ثم المفتوح ثم المضموم ثم المكسور، ثم المنتهي بالهاء. بل سار على ترتيب الصفدي، وهو مضطرب.

٢- سقط من فهرس الأعلام – على صغره –: أبو تمام ٩١.

٣- لم يثبت رقم الصحيفة ٤٩ الخاصة بـــ (نهر يزيد) في فهرس البلدان والأمكنة، كما لمْ يُذكر: ثورا ١٠٦، الغور ١٢١(VIII).

٤- الديوان يعجُّ بالأوصاف والتشبيهات، مثل النجوم، النهر، الليل، السجادة، الشمعة، الساقية، وأنواع الأشجار والورود... لكننا لم نر فهرساً خاصاً بتلك (الأوصاف)، وهو فهرس مهم جداً، لا غِنى عنه في هذا الديوان.

المستدرك

إنّ عدم وصول مخطوطة ديوان الشاعر إلينا، بل مختارات منه.. يجعل العمل عرضة للنقص، ومن ثَمَّ يكون الاستدراك عليه ضرورياً، ليكون ذيلاً له وصلة وتتمّة.

(VIII) [انظر تعليق المجلة السالف رقم VI].

لذا، فبعد البحث والتقصّي والتنقير، استطعنا الظفر بـ (٢٦) قطعة للشاعر، مجموعها (٥٠) بيتاً، أخل بها (ديوان مجير الدين ابن تميم)، وردت في مظان مختلفة، لعل أهمها: (حلبة الكميت) للنواجي (ت ٨٥٩هـ)، وهو كتاب مطبوع ومشهور، ضمَّ (١٦) بيتاً، انفرد بها.

وعثرنا على (٦) أبيات في: (الكشف والتنبيه) (١٩) للصفدي، فَضْلاً عن ٤ أبيات وردتْ في: (خزانة الأدب) وأخرى في (نفحة الريحانة) و(أعيان العصر)، و(الطراز الموشى) و(ديوان الصبابة) و(نفحات الأزهار).

والغريب أنّ الديوان لم ترد فيه (٦) أبيات من ثلاث قطع للشاعر، ضمّها كتاب (أنوار الربيع) لابن معصوم المدني، على الرغم من أنّه مُثبت في قائمة المصادر والمراجع!!

وفي أدناه (المستدرك) على الديوان، وقد رتّبناه على وفق القوافي، مع ذكر بحور الشعر، والتخريجات العلمية لكل قطعة منه، علاوة على نسبة الأشعار المضمّنة إلى أصحابها، وهو أمر فات محققي وناشري الكتب التي وردت فيها، وكذلك القطع المنسوبة إلى الشعراء الآخرين.

[١]

ومما يستدرك على القطعة (٢) — ص ١٣، البيت الآتي، ويكون ثالثاً: (الكامل)

وُرْقٌ مطوقـــة كـــأنَّ هديـــلَها ( ) تَـــرَدُّدُهُ خريـــر المـــاءِ

التخريج: مخطوطة الصفدي لشعر مجير الدين، الورقة الأولى.

[٢]

مما يُستدرك على القطعة (٢) من الملحق، البيت الآتي ويكون ثالثاً: (الكامل)

انْظُرْ إلى الروضِ النّضيرِ كأنّما   نُشِرَتْ عليه مُلاءةٌ خضراءُ

التخريج: الكشف والتنبيه ٢٦٦.

[٣]

وقال: (الوافر)

أتَحْسبني أتوبُ عن الحُمَيّا   وللمنثور في شُربي نصيبُ
وكيف أتوبُ عَنْهُ وكلُّ كفٍّ   لـه تدعو بأنّي لا أتوبُ؟

التخريج: الكشف والتنبيه ٣١٩.

[٤]

وقال: (مجزوء الرمل)

أنا للطائر سجنٌ   أَفْتَنَني كلَّ مليحِ
قُضُبُ البان ضُلُوعي   وحمامُ الأيكِ روحي

التخريج: حلبة الكميت ٣٦٦.

ونُسبا إلى سيف الدين المشد في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٩٠، مطالع البدور ١/ ٧٣، سلوك السنن ٣٢ب، ديوانه ٤٧٣ – الذيل.

[٥]

وقال مجير الدين بن تميم: (الوافر)

جعلتُ وقد علوتُ على البرايا   وَصَارَ إلى الجميل لك ارتياحُ
أُرَدّدُ منك طرفي في سماءٍ   كواكبها خصائلك الملاحُ

التخريج: الكشف والتنبيه ٨١.

[٦]

قال في شكوى الزمان وذم أهله: (الطويل)

تعــبَّدتُ أصــنام الزَّمان جهالةً وَضَيَّعْتُ عمري عند مَنْ لا له عندُ
فمــا فيهــم إلاّ يعــوقٌ فَقَدْتُهُ ولا يُــرْتجى مــنهم يغوثُ ولا ودُّ

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨.

وهما بلا عزو في: جوهر الكنــز ١١٣ ورواية الأول فيه: تعبدت أصنام الأنام، ورواية صدر الثاني: فما منهم.

[٧]

مجيــر الدين بن تميم: (الكامل)

بعــثتْ بنــرجســةٍ إليّ ووردةٍ ففهمتُ- أفْدِيْها - حَقيقةَ قَصْدِهَا
لّمــا تَعَــذّرَتِ الــزيارةُ أرسلتْ تشــبيهَ ناظــرها إليّ وَخَــدِّ هــا

التخريج: حلبة الكميت ٢٣١. والبيتان لجمال الدين ابن مطروح (ت ٦٤٩هـ) في ديوانه بتحقيق د. جودة أمين ١٣٨. وبلا عزو في حدائق الأنوار ١٩٣.

[٨]

الأمير مُجير الدين بن تميم: (البسيط)

لمــا عذلتُ خليلي في المدام وفي فِعْلِ الكرام، فما أَصْغَى وما ازْدجرا
عــلمت حين رآني سمعــهُ رجباً أنَّ المحــرّمَ يــبقى بعــدَهُ صــفرا

التخريج: حلبة الكميت ٣٨١.

[٩]

مُجير الدين بن تميم في طوّافة: (مجزوء الرجز)

لِيّــــنةُ الأعطـــــاف لا يُـــنكَرُ فَضْـــلُ قَدْرِهـــا
حَياتُهـــــا في طَيِّهـــــا وموتُهـــــا في نَشْـــــرِها

التخريج: حلبة الكميت ٢٠٧.

وهما لسيف الدين المشد في: ديوانه ٤٧٦- الذيل.

[١٠]

قال: (البسيط)

انْظُــرْ إلى قُضُـــبِ النارنج حاملةً زُمُـــرّداً وعقيقـــاً صاغَهُ المطرُ[٢٠]
كـــأنّ موســـى كليمَ اللهِ أقبسها نـــاراً وَجَـــرَّ عليها ذيلَهُ الخَضِرُ

التخريج: الطراز الموشّى ١/ ٦٠.

والبيتان بلا عزو في: الكشف والتنبيه ٣٤٣، حَلْبة الكميت ٢٦٤، أنوار الربيع ٥/ ٣٤، نهاية الأرب ١١/ ١١٢- مع بيت ثالث-. وقد وَرَدَ البيت الأول فيها باختلاف شديد. ونسبا لابن المعتز في: شعره ٣/ ٢٨٣ (الملحق).

[١١]

قال: (الطويل)

بودّي أُرى في خدمةِ الصّدرِ دائماً وأنفـــقُ فيـــه مـــا تَـــبَقّى من العمرِ
وأصـــحبهُ حـــتى الممات مُنَعّماً كفـــى شَرَفاً أُدعى بهِ صاحب الصَّدرِ

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨.

وهما لسيف الدين المشد في: ديوانه ٤٧٥- الذيل.

وبلا عزو في: جوهر الكنز ١١٣.

[١٢]

قال: (الطويل)

١- وقـــالوا بـــدا خطُّ العذار بخدّه ... فأضحى سعيدَ الخدّ ، وهو مُعَذَّرُ

٢- فقلتُ: خيال الشعر ما قَدْ رأيتُم ... فـــإنْ صـــحَّ ذاكَ الخدّ فهو مُزَوَّرُ

التخريج: خزانة الأدب ٢/ ٧٦.

والأول فقط بلا عزو في: جوهر الكنز ١١٢.

[١٣]

قال: (المتقارب)

١- أمـــولاي أشـــكو إليك الخمارْ ... ومـــا فعلـــتْهُ كـــؤوسُ العُقـــارْ

٢- وَجَـــوْرَ السُـــقاةِ الذي لم يَزَلْ ... يُريـــني الكواكـــبَ وسطَ النهارْ

التخريج: أعيان العصر وأعوان النصر ٥/ ٦٥.

[١٤]

قال مجير الدين بن تميم: (الطويل)

١- ونيـــلوفر مـــازال طرفي مُذْ رأى ... محاســـنَهُ يهـــواهُ دونَ الأَزَاهـــرِ

٢- إذا مـــا أمالـــتْهُ الميـــاه حَسِبْتَها ... دروعـــاً بَدَتْ مِنها أُصُول خناجرِ

التخريج: حلبة الكميت ٢٥٣.

[١٥]

وقال أيضاً: (الكامل)

١- ولقـــد ذكـــرتُك والصّوارم لُمَّعُ ... مـــن حولـــنا والسَّمهريَّةُ شُرَّعُ

٢- وعلى مكافحة العدوّ ففي الحشا ... شـــوق إليك تضيقُ عنه الأضلعُ

٣- ومـــن الصِّبا وهلمَّ جرًّا شيمتي حفـــظُ الودادِ فكيف عنهُ أرجعُ؟

التخريج: ديوان الصبابة ٢٦٣.

والقطعة لجمال الدين بن مطروح في ديوانه ١٧٤- ١٧٥.

[١٦]

قال: (المجتث)

١- وكيــــف أُخفــــي غــــراماً أقـــــام بين ضـــــلوعي

٢- والمرســـــلاتُ جفـــــوني والذاريـــــات دموعـــــي

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨.

[١٧]

قال: (المجتث)

١- لـــئِنْ صُـــرِفْتَ وحاشـــا كَ، فالدنـــــانيرُ تُصْـــــرَفْ

٢- ومـــا اعتُقِـــلْتَ كـــريمًا إلاّ وأنـــــت مـــــثقَّفْ

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨. وهي نسبة مخطوءة.

وهما: لسيف الدين المشدّ، في: ديوانه ٢٢٢، عن مخطوطة الاسكوريال ١٢٢ ب، مخطوطة غوطا الألمانية ٢٦ ب، المخطوطة التيمورية ٣٩. وفي النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٣٢، الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٦٥، فضّ الختام ١٣٩، خزانة الأدب ٢/ ١٠٧، أنوار الربيع ١/ ٣٩ – ٤٠.

وهما بلا عزو في: تمام المتون ٧٠.

[١٨]

قال في شخص اسمه عثمان يهدّده بالهجو: (الطويل)

توعَّـــدْتَ يـــا عثمان بالهجوِ شاعراً ســـيوليكَ هجـــواً عـــارُهُ ليـــس ينجلي

فَخُــذْهُ قصــيداً قــد أتتْ من محمّدٍ (كجلمود صخرٍ حطّهُ السيلُ من علِ)[٢١]

التخريج: خزانة الأدب ٢/ ٨٧.

[١٩]

وقال: (الطويل)

وعــودٍ بــه عــاد الســرور، لأنه حَوَى اللّهو قِدْماً وهو ريّانُ ناعمُ
يغــــرّدُ في تضـــريبهِ، فكأنــــه يعيــدُ لــنا مــا لقّنــتْهُ الحمائمُ

التخريج: حلبة الكميت ٢٠١.

[٢٠]

قال ابن تميم: (الكامل)

ولقــد ذكــرتُك حين أنكرتِ الظُّبا أغمادهــا وتعــارفَتْ في الهــامِ
والنَّــبْلُ مــن خَــلَلِ الغـبار كأنّهُ مُــنْهَلٌ قَطْــرٍ مــن فروجِ غمامِ
فاسْتصــغرتْ عيــناي أفــواجَ العدا والمــوتُ خــلفي تــارةً وأمامي

التخريج: نفحة الريحانة ٤/ ٢٤٥.

[٢١]

قال ابن تميم مضمناً: (الطويل)

ومعشــرٍ عَذَلــوا لّمــا ركــبتُ على أحْــوَى محاســنهُ، قَــبَّحْنَ فعــلَهُمُ
دَعْ يعذلــوا مــا استطاعوا إنني رجلٌ (لو اسْتطعتُ ركبتُ الناسَ كلَّهُمُ)[٢٢]

التخريج: ديوان الصبابة ٢٨٧.

[٢٢]

قال ابن تميم: (الطويل)

وطـــبٍّ بحديـــث عـــن نديمٍ مساعدٍ وســاقيةٍ سنّ المراهق للحلمِ[IX]
ضـــعيفة كـــرّ الطـــرفِ تحسَبُ أنّها قريـــبةُ عهـــدٍ بالإفاقةِ منْ سقمِ

التخريج: حلبة الكميت ١٥٩.

[٢٣]

قال ابن تميم: (الكامل)

عـــابوا التلجـــلجَ في لسان معذّبي فأجبـــتُهُمْ للصـــبِّ فيـــه بيـــانُ
إنَّ الـــذي يُنْشـــي الحديثَ لسانهُ، ولســـانُهُ مـــن ريقـــهِ ســـكرانُ

التخريج: نفحة الريحانة ٢/ ٦٦٥.

[٢٤]

مما يُستدرك على القطعة ٩٧– الملحق، البيت الآتي، ويكون ثانياً: (الطويل)

ألا فانظـــروا مـــنه بناناً مُخَضَّباً (وليس لمخضوب البنان يمينُ)[٢٣]

التخريج: الكشف والتنبيه ٣٢٠

[٢٥]

وقال ابنُ تميم: (المتقارب)

نديـــــــي لا تســـــــقني[X] ســـوى الصَّـــرف، فهـــو الهَنيْ
وَدَع كأسَـــــــها أطلســـــــاً ولا تَسْـــــــقني مَـــــــغْ دنيْ

التخريج: حلبة الكميت ١٦٢.

[٢٦]

قال مجير الدين بن تميم: (الكامل)

(IX) [رواية (وطبٍّ بحديث) تخل بالوزن، ولعل الصواب (وطبّ حديثٍ)/ المجلة].

(X) [رواية (نديمي لا تسقني) تخل بالوزن، ولعل الصواب فيه (نديمي فلا تسقني)/ المجلة].

يــا مُحــرقاً بالـنار وَجْهَ مُحبِّهِ   مهــلاً فــإنَّ مدامعـي تُطفيـه
أحرقْ بها جَسدي وكلَّ جوارحي   واحْــرصْ على قلبي فإنَّكَ فيه!

التخريج: نفحاتُ الأزهار ١٠.

وبعد،

فكانت تلك نظرات نقدية تحقيقية في (ديوان مجير الدين ابن تميم)، أتبعناها بمُستدرك مهم، كتبناها وبحثنا فيها، بعد جهود شاقة وسَعْيٍ حثيث، كنتُ أصل الليل بالنهار، في بضع شهور حتى استوت في هذه الصحائف.

وما فعلتُهُ كان من أجل أنْ يكون الدِّيوان على درجةٍ من الإتقان، إذْ لابُدَّ للتعاضد على رأب صدعهِ وإصلاح خللهِ ورَفْع آثارِ الوَهم والسَّهو فيه. ولم يكن وكْدي التقليل من جهد مُحَقِّقَيْهِ، فهما فارسان مُجَلِّيان، خَدَمَا العربية كثيراً، وأحسب أنهما سيتقبلانها بقَبولٍ حسنٍ، فهي منهما وإليهما.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

* * *

الحواشي

(١) جريدة (العراق) البغدادية، ٢١/ ٤ و١٦/ ٥/ ٢٠٠١م، للموافق ٢٧/ ١ و٢٣/ ٢/ ١٤٢٢هـ.

(٢) جريدة العراق: ٢٣/ ٦/ ٢٠٠١م، الموافق ١/ ٤/ ١٤٢٢هـ.

(٣) توجــد نسخ من هذه المنتخبات الأربعة في مكتبة أياصوفيا، ولدى الأستاذ هلال ناجي صور منها.

(٤) حَقَّقَهُ وأكمله الأستاذ محمد نايف الدليمي، الموصل ١٩٧٩م.

(٥) سجلتها في آب ١٩٩٨م، ونوقشت في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٠م ونالت درجة الامتياز وضَمَّتْ ٣٦٨٢ بيتاً.

(٦) الغيث المسجم ٢/ ٤٠، ٧٠، ١٩٢، ٢٦٨، ٤٠١، ٤١١.

(٧) أعيان العصر وأعوان النصر ٥/ ٦٥.

(٨) ريحانة الألبّا ١/ ٤١٤. وينظر في هذا أيضاً. البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٧، معجم المؤلفين ١٢/ ١١٧.

(٩) ديوان مجير الدين بن تميم ١٦، ٨٦، ٩٠.

(١٠) ديوان مجير الدين بن تميم ٣٨، ٥٦.

(١١) ديوان مجير الدين بن تميم ١١، ١٣.

(١٢) من المؤسف أنّ د. نوري القيسي لم يترجم للشاعر، في تحقيقه كتاب (السماح) هذا، على الرغم من أنه ترجم لغيره، فهو مجهول عنده!!

(١٣) ديوان مجير الدين بن تميم ١٠٧؛ القطعة ٤٦.

(١٤) ديوان مجير الدين بن تميم ٤٣، ٧٤، ٨١، ٨٧، ٩١، ١١٤.

(١٥) ديوان مجير الدين بن تميم ١٨، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٧٩، ٩١، ١٠٧، ١١٦.

(١٦) ابن سعد الأندلسي حياته وشعره، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٣٢، ١٩٩٨م، ص ٧

(١٧) ثورا: نهر عظيم بدمشق، معجم البلدان ٢/ ٨٦.

الغور: هو غور الأردن، بين بيت المقدس والقدس(XI)، معجم البلدان ٤/ ٢١٧.

(١٨) تاريخ الشطرنج الكبير ٩٩.

(١٩) ورد في نهاية ص ٣١٩ من (الكشف والتنبيه) بيتان على قافية الفاء، فذكر الأستاذ هلال ناجي في تحقيقه له: «أخلّ بهما ديوان مُجير الدين وملحقه». والصحيح أنهما وردا فيه ص ٦٢ برقم ١٨٧، وسبب هذا (الخطأ) أنّ الصفدي قَدَّم وأَخَّرَ في حرفي الفاء والقاف عند ترتيبه لمنتخبه من شعر الشاعر!

(XI) [ورد في معجم البلدان (٢١٧/٤) والغور: غور الأردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق وانظر تعليق المجلة السابق رقم (VI) / المجلة].

(٢٠) الطراز الموشّى: صاغها المطرُ.

(٢١) العجز لامرئ القيس في ديوانه ١٩، وصدره: (مكرٍّ مِفرّ مُقْبِلٍ مُدبرٍ مَعاً). ولم يُشر إلى ذلك محقّق الكتاب.

(٢٢) العجــز هو صدر بيت للمتنبي، وتَتِمّتُهُ (إلى سعيد بن عبد الله بُعرانا). ولم يُشِرْ إليه محقّق ديوان الصَّبابة!

(٢٣) العجز هو: لكُثَيِّر عَزّة، في: ديوانه ١٨٦، ونُسِبَ إلى قيس بن ذريح، في: شعره ١٥٠، وصدره: (وإنْ حلفتْ لا ينقضُ النأيُ عَهْدَهَا). ولم يُشِرْ إلى ذلك محقق الكتاب الذي وردتْ فيه هذه القطعة.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن سعيد الأندلسي، حياته وشعره: د. سامي مكي العاني، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٣٢، ١٩٩٨م، مستل.
- إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء: السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق د. عبد العزيز المانع، مجلة عالم الكتب، الرياض، مج ٤، العدد الأول، ١٩٨٣م.
- أعيــان العصــر وأعــوان النّصر: للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. علي أبو زيد وزملائه، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- إنسان العيون في مشاهير سادس القرون: ابن أبي عذيبة (ت ٨٥٦هـ)، مخطوطة المجمع العلميّ العراقي، رقم ١٠٨٣.
- أنوار الرَّبيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، مط النعمان، ط١، النجف الأشرف، ١٩٦٨م- ١٩٦٩م.
- تأريخ الشطرنج الكبير: زهير أحمد القيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م.
- تحفة الأدباء وسلوة الغرباء: إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت ١٠٣٨هـ)، تحقيق د. رجاء محمود السامرائي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م- ١٩٨٠م.
- تحفة الناصرية في الفنون الأدبية: ميرزا أبو القاسم محمد الأصفهاني الرشتي، إيران، ١٢٧٨هـ.

– تشنيفُ السمع بإنسكاب الدمع: خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ط١، القاهرة، ١٣٢١هـ.
– تمـــام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: الصفدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
– جريدة (العراق) — البغدادية، ٢١/ ٤ و١٦/ ٥/ ٢٠٠١م — ١٤٢٢هـ.
– الحارثي، حياته وشعره: زكي ذاكر العاني، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠م.
– حلْـبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات: النواجي (٨٥٩هـ)، مصر، ١٢٢٧هـ- ١٨٥٩م.
– الحماســـة: أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
– خِزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.
– ديـــوان الأرَّجاني (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق د. محمد قاسم مصطفى، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
– ديوان ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق، وزارة المعارف الهندية، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.
– ديـــوان ابـــن مـــنير الطرابلسي (ت ٥٤٨ هـ)، جمعه وقدّم له د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت — طرابلس، ط١، ١٩٨٦م.
– ديـــوان ابـــن نباته السعدي (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق عبد الأمير مهدي الطائي، بغداد، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
– ديوان ابن نباته المصري (ت ٧٦٨هـ)، نَشَرَهُ: محمد القلقيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
– ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
– ديوان بشار بن برد: تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٠م.
– ديوان تأبط شراً : جمع وتحقيق سلمان داود القرغولي، وجبار تعبان جاسم، النجف، ١٩٧٣م.

- ديــوان الحيص بيص، سعد بن محمد بن الصيفي (ت ٥٧٤هـ)، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، بغداد، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٤م.
- ديوان سيف الدين المشد، علي بن عمر بن قزل (ت ٦٥٦هـ) دراسة وتحقيق وتذييل: عباس هاني الجراخ، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٠م.
- ديــوان الصــبابة: ابن أبي حجلة التلمساني (٧٧٦هــ)، تصحيح د. محمد زغلول سلام، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
- ديوان صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ)، قوبل على نسخ خطية، النجف الأشرف، ١٩٥٧م.
- ديوان الصاحب جمال الدين بن مطروح (ت ٦٤٩هـ)، جمعه وحقّقَهُ د. جودة أمين، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ديوان كثير عزة: جمع وتحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م.
- ديوان مجنون ليلى: جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة.
- ديــوان مجير الديــن بن تميم (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق هلال ناجي وأ. د.ناظم رشيد، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٩م.
- ريحانة الألبا: شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦٧م.
- سلوك السنن إلى وصف السكن: النواجي، مصورة مخطوطة مكتبة كلية الآداب - بغداد، رقم ١٢٣٠.
- الســلوك لمعــرفة دول الملوك: المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، نشره محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦م.
- الســماح في أخبار الرماح: السيوطيّ، تحقيق د. أنور أبو سويلم، وماجد الجعافرة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٧، السنة الثالثة عشرة، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م. تحقيق د. نوري حمّودي القيسي، مجلة المورد ١٢، العدد ٤، ١٩٨٣م؛ ١٤٠٤هـ.
- شــذرات الذهــب في أخبار مَنْ ذهب: عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ.

- شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق د. علي المفضَّل حَمُّودان، مركز جمعة الماجد، دُبي، دار الفكر المعاصر- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- شرح ديوان المتنبي: وَضَعَهُ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
- شـعر ابن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي: دراسة وتحقيق د. يونس أحمد السامرائي، بغداد، ١٩٧٨م.
- شعر أبي حية النميري: جمع وتحقيق رحيم ضحي التويلي، مجلة المورد، مج٤، العدد الأول، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
- شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت ٦٨٠هـ)، جمع د. حسن علي محفوظ، مجلة كلية الآداب، ١١، ١٩٦٨م.
- عقـود الجمان من شعراء هذا الزمان: ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ)، مخطوطة معهد المخطوطات العربية، رقم ٣٣-
- شعر الحسين بن مطير الأسدي (ت ١٧٠هـ)، جمع وتحقيق د. محسن عياض، بغداد، ١٩٨٩م.
- شعر قيس بن ذريح: جمع وتحقيق د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة.
- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، ج ٢١ تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، ١٩٨٤م، ج٢٢: تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٩١م.
- فضّ الختام عن التورية والاستخدام: الصفدي، تحقيق المحمدي عبد العزيز الحناوي، ط١، الأزهر، ١٩٧٩م.
- الكشـف والتنـبيه على الوصف والتشبيه: الصفدي، تحقيق هلال ناجي، بريطانيا، ليدز، ١٩٩٩م.

* * *

(آراء وأنباء)

حفل تأبين فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور عادل العوا

أقام مجمع اللغة العربية وجامعة دمشق ووزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب حفلاً تأبينياً للفقيد

الدكتور عادل العوا

وذلك في الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء الواقع في ٤ ذي الحجة ١٤٢٣هـ/ ٥ شباط ٢٠٠٣م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وشارك في تأبين الفقيد الراحل:

- الأستاذة الدكتورة نجوة قصّاب حسن، وزيرة الثقافة
- الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية
- الأستاذ الدكتور سمير حسن، عميد كلية الآداب
- الأستاذ الدكتور علي عقلة عرسان، رئيس اتحاد الكتاب العرب
- الدكتور عزت السيد أحمد، من طلاب الفقيد
- الدكتور نبوغ العوّا، نجل الفقيد

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة السيدة وزيرة الثقافة

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتورة نجوة قصاب حسن

(إنَ الإنسانَ إنسانٌ حقاً، عندما يُحققُ العملَ الإنسانيَ الأسمى. وهذا العملُ هو الخيرُ، والسعادةُ هي المكافأةُ التي نحصل عليها عندَما نفعلُ ما يَليقُ بطبيعَتنا الإنسانية).

هكـــذا كانَ أستاذُنا القديرُ الدكتورُ عادلُ العوا، وهكذا علَّمَنا وعلَّمَ أجيالاً من المفكرينَ والباحثينَ، الذينَ رأَوْا فيهِ قدوةً ومَثلاً ومعلماً للمعارفِ والقيمِ والقواعدِ الأخلاقية.

وما أعظمَ شأناً من أنْ يرتبطَ اسمُ الإنسانِ بالأخلاقِ والفضيلةِ والوجدانِ والقيَمِ والخيرِ والعقلِ والحكمةِ كانتْ هذه مفرداتِ حياةِ الدكتورِ عادلِ العوا وآفاقَ عملِهِ ومحورَ تفكيرِه وبحثِه ومواضيعَ كتبِهِ ومؤلفاته.

لقدْ عاشَ هذه المضامينَ الأخلاقيةَ، وعاشَ من أجلِها ومن أجل نقلِها إلى أجيالٍ تتعاقبُ في مدرستِهِ الفكرية، بأسلوبٍ يتسمُ باللطفِ والحكمةِ والموضوعيةِ وبهالةٍ من الاحترامِ والهيبة، أُحيطتْ بهِ نتيجة غزارةِ علمِهِ واتساعِ اطلاعِهِ ودقةِ تعبيرِهِ ووضوحِ فِكْرِهِ ومنهَجه.

لم يكنْ يوماً أستاذاً عادياً عابراً في حياة أيِّ مُتعلم يقصُدُ عِلْمَه، بل كانَ حضورُه الراقي فاعلاً مؤثراً، يستعيدُهُ الإنسانُ مدركاً حكمَتَهُ وأبعادَهُ.

وإذا كانتْ سماتُ أيِّ إنسانٍ، تتشكلُ من اهتماماته وأعمالِه ونتَاجه، فإنّ مُجملَ المناخِ الذي عاشَ في نطاقِهِ الدكتورُ عادلُ العواْ، يتمحورُ حولَ

قضايا الفكرِ والبحثِ والعقلِ والحكمةِ وغاياتِ الوجودِ والأخلاقِ. فلو استعرضْنا بعضاً من عناوينِ نَتاجه الفكريِّ وكُتبِه، لوجدناها تتركزُ حولَ القيمة الأخلاقية، المذاهبُ الأخلاقية، دراساتٌ أخلاقية، المدنيةُ سرابُها، القيمةُ الأخلاقيةُ، فلسفةُ القيمِ، الوجدانُ، الأخلاقُ، الفنُّ الفكرُ، الفكرُ والتاريخُ، الكلامُ والفلسفةُ، من الشرفِ إلى الحكمةِ – التجربةُ الفلسفيةُ) وآخرُ كتبِه كانتْ بعنوانْ «التسامحُ من العُنفِ إلى الحوارِ» والفضائلُ العربية.

وما أعظمَ هذه الموضوعاتِ، وما أسمى مقصدَها، وما أجملَ أنْ تنتهي حياةُ الإنسانِ، وهو يدافعُ عن التسامحِ والحوارِ ويذكرُ الفضائلَ العربيةَ، ويعززُ دورَها في تأكيدِ الدور الحضاريِّ للأمةِ العربيةِ، استناداً إلى مخزونِها المعرفيِّ والأخلاقيِّ والقيمي.

ندرةٌ هم الذينَ وهبوا حياتَهم لنشرِ المعرفةِ، وترسيخِ دعائم الأخلاقِ والقيمِ، ندرةٌ هم منْ كانتْ لحياتِهم أهدافٌ واضحةٌ محدودةٌ، يسيرونَ لإنجاحها بثباتٍ وحكمةٌ، ويدعونَ إليها برويّةٍ واقتدارٍ علميٍ فائق. والأندرُ من ذلكَ أنْ يعيشَ الإنسانُ فكراً وعملاً في هذا المناخِ القيَميِّ والفكريِّ الأرقى دونَ أن يحيدَ عنه.

الاستمرارُ والثباتُ على المبدأ والمنهجِ، هو الذي ميَّزَ أستاذَنا القديرَ عادل العوا، الذي استوحى من اسمه العادلِ منحى حياته في دراسةِ قِيَمِ العدالةِ والإنصافِ والحقِّ والخيرِ، فكانَ بذلك التّخلُّقِ اسماً ومعنىً وأسلوبَ حياة.

من أجلِ هذا الدأبِ وهذا الإخلاصِ في العملِ التربَويِّ الجديِّ، نالَ أعلى مراتِب التقديرِ، وذلك بتكرُّمِ السيدِ الرئيس بشار الأسد، بمنحهِ وسامَ الاستحقاقِ من الدرجةِ الممتازةِ، تعبيراً عن إخلاصِ الوطنِ وقائدِ الوطن

لعلمائه ومفكريه والمخلصينَ، ودورِهم في مجالِ العلمِ والمعرفةِ وتنشئةِ الأجيالِ لأنَّ:

مـــنْ يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والناسِ

لقدْ كانَ في حياته توَّاقاً للحكمةِ والمعرفةِ، ونَذَرَ نفسَه لكلِّ ما يرتبطُ بالقيَمِ والأخلاق، دأَبَ على البحثِ عقوداً، وتعبَ في تبنّي أدوارِه العلميةِ والتربويةِ المتعددةَ دونَ أن ينثني عن غاياته أو يملَّ لأنه:

وإذا كـــانتِ الـــنفوسُ كـــباراً تَعـــبَتْ في مُـــرَادِها الأجســـام

ولأنَّ نفسَه كانتْ أكبرَ من أن تُلهيها تفاصيلُ الحياةِ عن أهدافِها المُثلى وغاياتِها النبيلة.

صوتُه الهادي، ورُقيُّ معاملته وإنسانيتُه الغامرة، ونتاجُه العلميُّ الغزيرُ شكلتْ مكونات فلكٍ خاصٍ مَهيب، أحاطَ به يتعرفُ إليه كلُّ مخلصٍ للعلمِ والحكمةِ والتخلُّق. ويقتدي به كلُّ إنسانٍ يريدُ أن يرتقيَ إلى رتبةِ العارفِ والمعلم.

إلى روحِكَ الطاهرةِ وإلى وجدانك النقيِّ، وإلى يقينِ المدنيةِ والقيمِ الأخلاقيةِ المتمثلةِ فيكَ والتي كنتَ عنها تدافعُ، سلامٌ واطمئنانٌ بأنَ الأوفياءَ الذين نَهلوا من عملكَ، واقتدوا بخصالك، يتابعونَ هذا الدورَ النبيلَ وإنَّ أمةً تقدرُ قيادتُها عطاءَك وعطاءَ أمثالك لجديرةٌ بأنْ تكونَ خير الأممِ مكانةً.

كلمة رئيس مجمع اللغة العربية
في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتور شاكر الفحام

-١-

يتملّكني أسىً بالغ وحزنٌ عميق لفقدنا الأستاذ الكبير والعلم الشامخ الدكتور عادل العوا، الذي فارقنا أشدَّ ما كنا تعلقاً به ومحبة له، رحمه الله الرحمة الواسعة، وجزاه الجزاء الأوفى في جنة الخُلد التي وُعد المتقون، مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا.

فما كان قيسٌ هلكُه هلكَ واحدٍ ولكـــنه بـــنيان قـــومٍ تهدَّمـــا

* * *

يـــرحمكَ اللهُ مـــن أخـــي ثقـــةٍ لم يـــكُ في صـــفو ودّه كَـــدَرُ

عُرف الدكتور عادل العوا رحمه الله منذ مطلع حياته الدراسية بالجدّ والإكباب على المطالعة وصحبته الكتاب. أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٣٨م وكان في السابعة عشرة من عمره، وسافر في خريف العام نفسه في بعثة حكومية إلى فرنسا لمتابعة دراسته، فدرس في كلية الآداب بجامعة باريس (السوربون)، وحصل على الإجازة، ثم نال الدكتوراه (آداب — فلسفة) من

جامعة باريس في حزيران عام ١٩٤٥م[1].

وعاد إلى سورية ليبدأ حياته بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار المعلمين بدمشق حتى افتتحت كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين بجامعة دمشق سنة ١٩٤٦م فسُمّي فيهما أستاذاً، وفي عام ١٩٤٩م أصبح أستاذاً في كلية الآداب، ورَأَس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية منذ ذلك الحين حتى إحالته على التقاعد بعد التمديد عام ١٩٩٠م.

وقام الدكتور العوا إلى جانب عمله الجامعي بأعمال علمية أخرى، وشارك في مؤتمرات ودورات علمية وحلقات دراسية وحاضر ودرّس في عدة جامعات. ولكن عملَه الأساسيَّ الذي استفرغ مجهودَه، ووقف عليه طاقاته العلمية إنما كان في قسم الدراسات الفلسفية الذي أولاه كل عنايته، وقدّم له خيرَ ما يُقدَّم.

-٢-

لقد بدأ الدكتور العوا حياته التدريسية، وقد استعدّ وتأهب، وروّى نفسه من العلم والمعرفة، ولاسيما علوم الفلسفة. وكانت تملأ نفسه القيمُ والمثل، فهو صاحب رسالة يريد أن يؤديها أحسن الأداء، وكان يتطلع إلى التعاون والتعاضد مع زملائه الجامعيين والنخبة من المثقفين في ميادين الثقافة والعلم والمعرفة، ليتكاتفوا في العمل معاً على إرساء نهضة علمية تهيئ للأمة أن تبدأ حياة جديدة تواكب فيها مسيرة العلم العالمية، وتشاركُ في بناء الحضارة الإنسانية.

---

(١) نُشرت رسالة الدكتوراه ببيروت (بالفرنسية) عام ١٩٤٨م بعنوان: «الفكر الانتقادي لجماعة إخوان الصفا».

والتفت إلى العمل الجادّ فأخذ يؤلف الكتب في علوم الفلسفة، ويضمُّ إليها ما يختاره من ترجمات لكتب غربية تندرج في سياق الخطة العلمية التي يـــرمي إلى تحقيقهـــا. كـــان يتابع العمل دون كلال أو ملل، ليقدم لطلابه وللأجيـــال الناشـــئة العلوم والمعارف، وجلُّها في علوم الفلسفة وتشعباتها، يعرضـــها بأســـلوب جميل ميسر، ليحبِّبها إليهم، ويستثير حماستهم لمتابعة القراءة، وحب البحث، كي يكونوا النواة الصالحة للنهضة العلمية التي كان ينشدها ويتطلع إليها هو وإخوانه من الأساتذة والمفكرين.

ومن كلماته: «وحدةُ الثقافة جامع فكري بين الأدباء الموجهين. والثقافةُ هي معرفة ومسؤولية في آن واحد. وأكثرُ المثقفين يكتفون بالجانب الأول: المعرفة، وهو الجانب النظري... أما الناحية الثانية ناحية المسؤولية فإن الشعور والالتزام الذي ينادي به كثير من المثقفين في الوقت الحاضر، يُلزمهم بأن يحققوا أفكارهم أو يسهموا في تحقيقها، بنشرها من جهة والدفاع عنها من جهة ثانية كيما تخرج إلى حيِّز الفعل».

ويقول: «لن نألو جهداً مهما غلا لخدمة هذا الجيل الصاعد الذي نرجو أن يكون لَبِناتٍ صالحات في صرح أمتنا لتؤدي رسالتها نحو الإنسانية».

ومن أقواله: «أملي بإصلاح بعض النواحي الاجتماعية كبير، وأرجو أن أوفق في العمل أنا وإخواني على ضمّ شتات الشباب العامل».

-٣-

وفي الحق أن الدكتور العوا كان يواصل عمله الذي ندب نفسه له بهمة وعزيمة، وكان حريصاً على إتقان ما أُسند إليه. وإذا تأملنا ما أعدَّه من

مؤلفات وترجمات أدركنا الجهود الطيبة التي بذلها حتى تحقق له ما تحقق. لقد أغنى المكتبة العربية بزهاء ثمانين كتاباً من مؤلفاته وترجماته في علوم الفلسفة وتشعباتها، كانت في غاية الدقة والجدّة، نشرها على مدىً يجاوز أربعين عاماً، ودلّت على ما يتمتع به الأستاذ الكبير من ثقافة واسعة، وعلم غزير، وحسنِ محاكمة، وتجويد في العرض، وقدرة على الأداء، مما يقرّبها إلى قُرائها، ويدنو بها إلى الكمال.

وإن من يتتبّعُ الطريق التي سلكها في تآليفه وترجماته يدرك أن موضوعات أساسية كانت تشغل فكره، وتستأثر بجلّ اهتمامه، وتُملي عليه الخطة التي نهجها. وقد صنّف كتبه تصنيفاً تقريبياً بحسب المضمون، فرتّبها في خمسة مجالات هي:

١- الحضارة والمدنية ٢- الفلسفة عامة ٣- الأخلاق

٤- فلسفة القيم ٥- الفكر العربي.

وهذا التصنيف يعدّد فيه الكتب التي تمّ نشرها ما بين سنتي ١٩٥٧- ١٩٩٥م.

كان أبرز ما يرنو إليه الدكتور عادل ويعملُ على تحقيقه في دراساته ومحاضراته ومحاوراته أن ينشرَ العلم والمعرفة، ويغرِسَهما في نفوس الجيل الجديد. فالعلم هو الوسيلة الأولى للرقي في مدارج التقدم، واللحاقِ بالركب الحضاري العالمي. وكان قد شاهد في الغرب كثرة المذاهب الفلسفية، والايديولوجيات المتعارضة التي واكبت انحسار الحرب العالمية الثانية، وما خلّفته من حيرة للعقول الشابة، وانتهى إلى ما انتهى إليه مفكرو الغرب في تلك الحقبة من أن ميدان الحضارة وحده هو ميدان التقاء العقول. ومن هنا

جعل تلاحم مفهومي الحضارة والمدنية موقفاً لازمه في كل نشاط ثقافي أو تعليمي، ليضمن لشباب الجيل الالتقاءَ في ميدان واحد، وإن تباينت معتقداتهم السياسية.

وقد شغلت المسألةُ الأخلاقية جانباً طيباً من نشاط الأستاذ العوا فعُني بها أتم عناية، وترك مؤلفات وترجماتٍ كثيرةً تناولت مختلف جوانبها، وما ينشعب منها، وكأنه رام أن يؤسس لفلسفة أخلاقية كاملة، تترعرع في حِجْر الفلسفة الأم. وقد وُفّق في تقديم نظرة جديدة فيها الكثير من أفكاره وآرائه.

ورأى من إتمام البحث في الأخلاق ضرورة تناول فلسفة القيم، وهي القاع الفلسفي المعاصر للتعمق في أوجه النظر الإنساني إلى كل ما ينهض به من أنشطة. «إن النظرة القيمية الأخلاقية ترى أن الإنسان هو صانع قَدَره بيده، وأنه يعي المعطيات، ويعي احتمالات توجيهها وحدوثها وبهذا المعنى يسهم في تغييـــر المستقبل، وهو بهذا المعنى أيضاً مسؤول عما يفعل».

وقد أفرد لفلسفة القيم جملة من كتبه عرض فيها ما انتهت إليه دراساته وقناعاته.

ولم يكن بدّ للدكتور عادل، وهو المؤمن بقوميته وأمته العربية، من أن يفسح مجالاً رحباً في كتبه للفكر العربي الإسلامي «وهو المحور الثقافي الأخصب في فهم حاضر أمة ماجدة، ذات آمال جسامٍ في غد إنساني عادل ومشرق» فتعمق في دراسة الفكر العربي، ونبّه على مناح لم يلتفت إليها السابقون، إذ وجد طائفة من المفكرين العرب والمسلمين عنوا بالاهتمام بالإنسان، وكونوا تياراً موصولاً أطلق عليه الدكتور العوا اسم التيار

الانتقادي يضمّ كُتّاباً وأدباء وعلماء من أمثال ابن المقفع والنظّام والجاحظ والمعري وإخوان الصفا «والواقع أن هذا التيار أقربُ إلى أن يكون سلسلة من محاولات الابتكار المتمرد الذي ينطلق من منـــزع العقل الإنساني المحض ليعرض على محكه نتاج الإنسان في تجربته بالوجود كل الوجود، وبالحياة على اختلاف مناحيها، وتفاوت مستوياتها، وتعدد أغراضها وأهدافها ومكاسبها».

ومن مزايا الدكتور العوا في هذا الباب إلحاحُه الشديد على تحديد الفكر العربي الإسلامي، وموقعِه الرئيس من مناشط الثقافة الإنسانية، وحرصُه على دمجه في تيار نمائها الحيّ، مع عنايته البالغة بإبراز خصائص ذاك الفكر، وألوان إسهامه في مختلف الموضوعات.

وظلت هذه الفكرة رائده وموجهه في محاولته الثانية وهي «دمج البحث في الفلسفة العربية في إطار دراسة الفلسفة، وقد وضعها حيث موقعُها التاريخي والمذهبي من تسلسل الحدوس الفلسفية ومذاهب الفلسفة لدى ذكر الفلسفة الإغريقية واللاتينية وذكر الفكر المسيحي، وقبل البحث في فلسفة العصر الوسيط، وعصر النهضة والانبعاث...».

ويحسن الإشارة إلى أن الدكتور العوا كان متفائلاً، ينظر دائماً إلى المستقبل بعين الأمل الباسم. ومن أقواله:

«إنني بطبعي متفائل... وأمنيتي أن تبقى قوميتنا كما كانت قوميةً إنسانية تعتزُّ بإسهامها في تقدم حضارة البشر، هكذا كنا، فلنكن أبدا... وإن الأمة العربية تُطلُّ على مفهوم إنساني سيكتب له التوفيق، وأرى أن مقياس المذاهب الفلسفية المناسبة لوضع الأمة العربية... إنما يقدّر بنسبة صلة

هذه المذاهب بمفهوم الحضارة والتعاون الإنساني».

-٤-

ومن تمام القول أن أذكر أن مجمع اللغة العربية كان قد سعد بانتخاب مجلس المجمع الأستاذ الدكتور العوا عضواً في المجمع، بجلسته المنعقدة في (٧/ ٥/ ١٤١١هـ - ٢٤/ ١١/ ١٩٩٠م)، وصدر المرسوم رقم ٢٠٤ في (١٤/ ١١/ ١٤١١هـ - ٢٧/ ٥/ ١٩٩١م) بتعيينه عضواً في مجمع الخالدين.

وأقيم حفل استقباله في جلسة عقدت في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بالمدرسة العادلية في الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء (٧/ ٥/ ١٤١٢هـ - ١٣/ ١١/ ١٩٩١م) حضرها نخبة طيبة من رجال الفكر والأدب والثقافة، وافتتحتُ الحفل بكلمة رحبتُ فيها بالأساتذة العلماء والحفل الكريم، وشكرتُ لهم تفضلهم بالحضور، وهنأتُ الدكتور العوا بثقة زملائه المجمعيين به، واختيارهم له لينضم إلى صفوفهم، ويؤيد مسعاهم في خدمة العربية، والعناية بازدهارها. ونوّهتُ بجهوده الطيبة في ميداني التدريس والتأليف، ومشاركاته الواسعة في المؤتمرات والندوات العلمية العربية والعالمية. ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي أشاد فيها بسجاياه الحميدة ومكانته العلمية، وذكر أطرافاً من سيرته.

وألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور العوا كلمته التي تحدث فيها عن مكانة اللغة العربية، وأشار إلى الدعاوى التي تدّعي عجز اللغة عن مواكبة مسيرة العلم، كما أشار إلى طغيان العدوانية الشمولية على الوجود العربي،

ومن هنا كانت دعاوى انتقاص الإمكانات العربية في كل مجال، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والآداب والفنون. وتصدى الدكتور العوا إلى إماطة اللثام عن بعض هذا التجاهل شبه العالمي الذي يتطلع إلى أن يُسقطَ من حساب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سالفها وحاضرها، ويسدَّ الطريق أمام تطويرها ومستقبلها، واختار الدكتور العوا لتبيين الصلات القائمة بين ثقافتنا العربية والثقافة العالمية ميدانين أساسيين: المجال الديني والمجال الفلسفي، ودلّل، بعرض شائق وأسلوب جميل، على مشاركة ثقافتنا الثقافةَ العالمية في هذين الميدانين في ماضيها وحاضرها، مما يُسقط الدعاوى الباطلة التي تكال للغتنا وثقافتنا.

ونعمنا بصحبة الدكتور العوا في المجمع إحدى عشرة سنة (١٩٩١-٢٠٠٢م)، وقد نَشِط في متابعة أعمال مجلس المجمع ولجانه وندواته إلى جانب زملائه المجمعيين، وقدّم خبرته العميقة الواسعة، وشارك في محاضرات المجمع بمحاضرة قيّمة عنوانها «أمنية الخلود».

وكانت صلاته بزملائه المجمعيين صلات ودّ ومحبة. وكان يكنّ للمجمع كل تقدير واحترام.

* * *

خير ما أختتم به كلمتي أن أشير بكل التقدير والتجلة إلى التكريم الكبير الذي أضفاه سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية على الأستاذ الدكتور عادل العوا وزميله الأستاذ الدكتور فاخر عاقل بمنحهما وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة وذلك تقديراً لإنجازاتهما في مجالي الفكر والثقافة.

(المرسوم رقم ٥٣ في ١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ - ١٢/ ٢/ ٢٠٠٢م).

وقد تفضل الأستاذ الدكتور حسان ريشة وزير التعليم العالي فأقام، احتفاءً بالتكريم، حفلَ تقليدهما وسام الاستحقاق السوري على مدرج جامعة دمشق في تمام الساعة الثانية عشرة من يوم الأربعاء في ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٢م. وقد اشتمل برنامج الحفل على كلمات:

ممثل سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية، ورئيس مجمع اللغة العربية، ورئيس جامعة دمشق، ثم كلمة المحتفى بهما ألقاها الأستاذ الدكتور عادل العوا، وكانت كلمة جميلة رائعة، ثم قلدهما الدكتور حسان ريشة وزير التعليم العالي وسام الاستحقاق.

رحم الله فقيدنا الغالي، ورفعه مكاناً عليّاً، ولقّاه نَضرة وسرورا.

* * *

كلمة كلية الآداب

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتور سمير إبراهيم حسن

أيتها السيدات أيها السادة

حـــين نلـــتمس البلاغة في الحديث عن بعض الأشخاص، الأحياء أو الأمـــوات، تحضر الذهن صور بلاغية كثيرة. وبصدد بعضهم القليل نجد أن الواقـــع أبلغ وأغنى. هكذا الأستاذ الجليل الراحل، وبعض جيله من المعلمين المربين، أطال الله عمر من بقي منهم.

لا إخالنا اليوم سنودع نهائياً أستاذنا الدكتور، كما هو معروف في تكريم الناس بالتأبين لمن فقدوه من وجهائهم بالموت. فهذا التأبين لا يستطيع أن يعني الانقطاع، فهناك صلات فكرية وأخلاقية ستستمر، ألم يكن هو مدرس «الأخلاق» و«من الشرف إلى الكرامة» لمئات، بل لآلاف من الطلاب السوريين والعرب في قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في كلية الآداب في جامعة دمشق؟.

لقد حزنا على موت الأستاذ بعواطفنا وعرفاننا بالجميل، وواريناه الثرى، وودعناه، ولكن جزءاً من عقلنا ووعينا يأبى الوداع، وهذه حال البشر مع كل من ترك أثراً فكرياً وثقافياً وأخلاقياً طيباً.

والأستاذ الراحل هو من النماذج القليلة من المعلمين والمربين المثقفين المنسجمين فكراً وسلوكاً، فقد كان يعلم الأخلاق التي يتمثلها ويبث القيم والمفاهيم والرؤى والمثل التي يطبقها على نفسه. وهو أيضاً من ذلك النوع من المفكرين الذين لم تستغرقهم هموم الحياة اليومية، فلم نسمعه يوماً يجهر

بالشكوى. لقد التصق بالجامعة لأكثر من نصف قرن يعلم ويترجم ويؤلف ولم يفكر بالمغادرة رغم كل الإغراءات التي كانت في متناول يده. ومثل هؤلاء لا يمكن أن يضاموا في سورية المعاصرة، فتوج جهده وعطاؤه بالتكريم الجليل من السيد رئيس الجمهورية بشار الأسد.....

أظن أن مثل هؤلاء الرجال لا يرحلون تماماً. إنهم يستمرون فينا ومعنا بفكرهم وأخلاقهم ووطنيتهم ويستمرون في ذاكرة الجامعة والوطن، ويشرقون كل يوم في قاعات الدرس والمحاضرات والمكتبات.

لم يشتغل الأستاذ الراحل بالأحداث الآنية، وهذا هو شأن محبي الحكمة «الفلسفة» بمعناها الأصيل كما كان يفهمه. لقد كانت اهتماماته عامة فيما كتبه وفيما نقله وترجمه. ولا أذكر وبعضنا في غمرة الحماس الإيديولوجي اليساري العتيد، والبعض الآخر في تدرجات اليمين المعتبرة، أننا استطعنا أن نجعله يميل إلى أحد الأطراف، أو أن يقف موقفاً آنياً من صراعاتنا الفكرية، بل كان دائماً يقف ذلك الموقف الإنساني والوطني المتسامح والشامل. قسم منا عدّ ذلك موقفاً سياسياً سلبياً منه، ولكن الأستاذ كان يعدّه الموقف الفلسفي الأصيل، ولو اختلفنا معه حول وظيفة الفلسفة ودورها.

ولكن لابد أن نستوعب أن الأستاذ كان يوماً عميداً لكل كلية الآداب ورئيساً لكل قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، وكان دائماً أستاذاً لكل طلاب هذا القسم، لذلك فضل أن يبقى كالشجرة المورقة يستظل بها الجميع. ولذلك تجد احترامه من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. لقد كان أستاذاً توافقياً للكل، ويتوافق عليه الكل. كان يحاول في الطريق إلى الحقيقة بالمعنى الفلسفي الذي يفهمه لا في الطريق إلى اليمين أو اليسار ولا إلى ما بينهما بالمعنى السياسي. كيف لا وهو يرى «أن النـــزاع العقائدي

آيل ذات يوم إلى اتساق أعلى». تلك هي حقيقة الأستاذ الراحل التي قد لا أتفق معها ولكني أنحني احتراماً لصاحبها وأقدر مع كل كلية الآداب وطلاب قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية وأساتذته الجهدَ المعرفي والتعليمي والتربوي الذي بذله حتى آخر لحظة من حياته التي توجها بكتابه عن «**التسامح: من العنف إلى الحوار**» وكانت آخر فكرة كتبها بعد ما مارسها وآمن بها طويلاً: «وغير خاف أن من شروط الحوار قبول التعددية وحق الاختلاف والحرية والندية واستبدال التفاهم المعتقل عن طريق الفكر واللسان بالصراع والتغلب بالظفر والمخلب والناب».

قيل إن المعلم شمعة تذوب لتنيــر الدروب المظلمة، والأصح أن يقال ونحن أمام معلم حقيقي، إن المعلم هو الضوء ذاته. فضوء الشمعة ينتهي بانتهاء المادة التي تتكون منها الشمعة، وليس هكذا المعلم الذي يترك مؤلفات وآثاراً فكرية وأخلاقية، فهو يستمر بالإنارة بعد فناء المادة.

أيها الأخوة:

وإذ نتبصر فإن غياب مثل هؤلاء لا يلغي حضورهم، إن مثلهم وإن ماتوا فسيحيون. وإذ نرى الأستاذ الراحل على هذا النحو، فهو حاضر حضوراً مكثفاً معنا بحيث يعجز الموت عن انتــزاعه منا ومن الوطن ومن الجامعة ومن عقول الأجيال التي أسهم في تكوين رؤيتها. إنها لحظة الموت التي تكثف حضور الحياة. فالجسد يتوارى، والحزن يتوارى، ويستمر الفكر. سيذهب من القلب حزن الفراق، ولكن تبقى في العقل وفي النفس وفي الفكر قوة الحضور.

لقد شغل الفلاسفة يوماً بالبحث عن الديمومة وإكسير الحياة، واعتقد أخلافهم بأنهم أخفقوا. ولكن ألسنا واجدين سر الحياة هنا في حياة الفكر

واستمرارها؟ وإذا كنا نريد الحياة ونحب الاستمرار فيها فليسأل كل منا نفسه ماذا فعل ليستمر. لعل موت المفكرين وتأبينهم محطة للتفكير في الإجابة الممكنة. وإذا أردنا أن نصعّب على الموت انتزاعنا من أحبابنا ومن حولنا فلنترك لهم من ذاتنا أثراً طيباً قابلاً للاستمرار، وطنياً وفكرياً وأخلاقياً، كما ترك المعلمون الذين رحلوا ولم يموتوا. إنه الغياب الذي لا يلغي الحضور، بل قل إنها جدلية الغياب والحضور.

فـــ:

قد ترى الموت شاخصاً في حياة ودبيـــب الحيـــاة في الأكفـــان

أيها الحضور الكريم:

إذا كانت الأربعون لفتة الذكرى، وختم الأحزان، وعتبة النسيان العميق، فإنها بصدد الأستاذ الراحل هي «صدى وقع الهنيهة بالديمومة»، فيظل المفكر والمربي فاعلاً في الأحياء وحاضراً في الدهر. إن الذي يموت هو الذي لا يترك نفوساً تتبتل بذكراه، وليس هذا حال أستاذنا الراحل الذي يصح في رحيله القول:

رب هجـــر بـــين المحبين أمسى مـــن مـــدى نأيـــه حمـــيم تدان

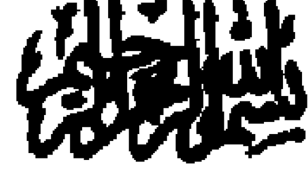
هـــا هـــنا الموت، مسترد حياة خلصـــت مـــن هياكل الأبدان

لأستاذنا الراحل كل الاحترام والعرفان والتقدير، ولكم العزاء يا أهله وأصدقاءه وتلامذته ومحبيه، ولنا نحن عمادة كلية الآداب وأساتذتها وطلابها العزاء فيما تركه لنا وفينا من أفكاره الفلسفية وأخلاقه النبيلة.

والسلام عليكم

كلمة اتحاد الكتاب العرب

الدكتور علي عقلة عرسان



﴿.. وأن إلى ربك المنتهى﴾ / النجم آية (٤٢)

أيها الكرام:

تجمعــنا اليــوم قيم منها الوفاء لرجل نذر حياته للفكر والقيم، ولا أخــافِ من نفسي جَنَفاً إذا قلت: إنه كان بسمته وهمته واهتمامه: «حزمة من القيم تمشي على قدمين»، في وقت مَرِجت فيه قيم، وأمانات، وعهود.

يجمعنا الوفاء لرجل علم وعمل، نقض معمار حياته الموت، وكل حي ينقض معمار حياته الموت، فالموت حقيقة الحياة، ولكنه إذ نقض معمار حياته لم ينقض معمار فكره وما تركه في الناس والحياة من أثر خالد بخلود الفكر.

عاش فقيدنا الأستاذ الدكتور عادل العوا في معترك صعب.

لا يهــتدي فيه إلا كلّ مُنصَلِتٍ مــن الرجال زميعِ الرأي خوَّاتِ

عاش يصاول العقول وتصاوله العقول، فما وهن ولا تكلّس ولا امّحى ولا تلطى في ظل يجترُّ قولَ هذا أو ذاك من أهل الفلسفة والاجتماع... ولا ضلَّ أو دعا إلى الضلال، بل عاش ورحل معانق الرأي والرؤية، كأني به يردد مع فيلسوف المعرة قوله:

سأتبع من يدعو إلى الخير جاهداً وأرحلُ عنها ما إمامي سوى عقلي

كتب وتكلم في الفلسفة والأخلاق والأسرة والسعادة، وله في ذلك وسواه عشرات المؤلفات. وإخال أنه ممن يصدق فيهم قول ابن عربي في السعيد حيث قال في لطيفة من لطائفه: «السعيد من نظر الحقَّ في الخلق لا من نظر قضاءه فيهم». فهل يكون لنا من ذلك النظر نصيب، ونحن في موقف المصاب بالقضاء؟!.. ففقد هذا العالم الإنسان، والمفكر الكبير، والأستاذ صاحب الفضل على الكثيرين، والقدوة في زمن نحتاج فيه إلى القدوة الحسنة مصاب جلل.

في كل يوم يخترم الحياةَ الموتُ ويختطف منا الأعز ويوقعنا في فيافي العجز.. ويتركنا لا نملك إلا حسرة وتسليماً... والفائز منا من تطمئن نفسه كلياً للحكمة الكبرى وراء الموت والحياة، ولا يتخطفه القلق من مصير محتوم أو قدر مكتوب أو تكليف علوي. وكما يقول ابن عربي: «قدرت المقادير ووزنت الموازين ﴿وما ننـــزله إلا بقدر معلوم﴾، فمن سأله ما خرج من قضائه، ومن لم يسأله ما خرج من قضائه /كتاب التراجم ص ٥١/. و«من اعتز بالحق سَعِدَ، ومن اعتز بغيره شقي وإن نُصر في الوقت.» /تراجم ص ٤٩/.

لقد فقدنا في اتحاد الكتاب العرب زميلاً عزيزاً كان قد انتسب للاتحاد في ٢٥/ أيار/ ١٩٧١، وطلب أن يحال على التقاعد فكان له ذلك في ٢٧/ ٢/ ١٩٩٥، ورحل عنّا عام ٢٠٠٢، تاركاً فراغاً كبيراً في مجال خدمة الثقافة والقيم والدعوة إلى الأخلاق.. غادرنا في زمن تتهافت فيه قيم وتنحل أخلاق... وتذبل أجيال «وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت».

وهو الرجل الذي أكد أهمية الشرط الثلاثي لكل حياة بشرية: «الطبيعة والثقافة والروح»، وقال: «من المحال فصل مستقبل النوع البشري من الناحية البيولوجية عن إمكان سموه الأخلاقي، وأن اللاتقدم على الصعيد

الأخلاقي يعني التقهقر على سائر الصعد بما فيها الصعيد البيولوجي. إن الإنسانية من دون أخلاق لا يمكن أن تكون نوعاً مزدهراً من الناحية البيولوجية، وهي، على العكس، لا تكون سوى نفاية بيولوجية مؤسفة سرعان ما يكنسها الخلق والإبداع».

لقد رحل الفيلسوف عادل العوا، ورافقت جسدَه إلى مثواه الأخير غمامةٌ من ياسمين الشام مضمخةٌ بالدعاء والعرفان والوفاء... وعاد إلى التراب الذي خرجنا منه ونعود إليه... تساوى جسد الفيلسوف مع الأجساد... كل الأجساد في المصير. وربما ارتاح مع المعري إلى شيء من العدل:

إذا كـــان هذا الترب يجمع بيننا فـــأهل الرزايا مثل أهل الممالك

ولكن... يبقى من رجل العلم والفكر والأدب ما يميزه ويحفظ بقاءه أو يطيل أمد ذلك البقاء بوصفه خلوداً في الفكر والذكر.

ومن يذهب منه شيء ويبقى خير ممن يذهب ولا يبقى منه شيء، وكلنا وارد هذا المورد طال به العمر أو قصر... كل حي يؤول إلى هذا المصير الذي لا يملك أيٌّ منا أن يدفعه عن نفسه فكيف يستطيع أن يدفعه عن عزيز عليه:

لَعَمْرُكَ إن الموت ما أخطأ الفتى لكـــالطِّوَلِ المُرْخـــى وثِنياه باليد

وفي الموت عدل وحقيقة وحكمة إلهية... والحمد لله على كل حال..

رحم الله فقيدنا الغالي، وأسكنه فسيح جناته، وألهم زملاءه وأصدقاءه وأهله الصبر والسلوان..

﴿وإنا لله وإنا إليه راجعون﴾

كلمة طلاب الفقيد

عـــادل العـــوا

قصيدة يرددها الزمان

الدكتور عزت السيد أحمد

إن كـــان «كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معايبه» فكيف بمن تكُدُّ حتَّى تنهدَّ ولا تستطيع أن تلتقط له عثْرة أو مثلبة يجوز الوقوف عندها على أنَّها معيبة، وإن جئت تعدُّ محاسنه استغرقك العدُّ حتَّى تكاد لا تقف عن العدِّ؟!.

وحده من عرف **عادل العوا** يعرف أنَّهُ الموصوف، وأنَّهُ الموصوف الذي ضاقت عن وصف محاسنه الصفات، وتضاءلت أمام مدحه الكلمات، وبكت فقده الأفكارُ، وضاقت أمام حزنها فضاءات الكلام في كلِّ اللغات، وكأنَّها ضاعت أو تاهت عن دلالاتها كلُّ المفردات.

وحده **عادل العوا** الذي كنت كُلَّمَا كتبتُ عنه، كلَّمَا أردتُ الحديث عنه... كانت تهيمنُ عليَّ لغة الشِّعرِ، وأنفاس الشِّعر، وأجواء الشِّعر... كنت أجمع مادَّة البحث، أجهد في تقميشها وتبويبها، وعندما أبدأ تقودني من حيثُ لا أدري عواطفي، وتفرُّ من ذاكرتي مناهجُ البحث كلُّها، وتتوارى أدواته، حتَّى الاصطلاحات والمفاهيم كانت تحمرُّ وجناتها خجلاً من أن تقف أمامه موقفَ الرَّقيب أو الحسيب... ولا أجد أمامي غير خيالاتِ الشَّاعر وانفعالاته سيَّان أقلت شعراً فيه أم نثراً!!.

جهدت مع نفسي لأعرف السبب، وتشعَّبت بي السُّبل، ووجدتني كُلَّما أغذ في السير فِي واحدٍ منها أرجع إِلَى نقطة الانطلاق من جديد... إِلَى النبع:

ملاكٌ في ثوبِ البَشَرْ
هكذا أراده القَدَرْ
فأين المفر
من الوقوع في أسر حبِّ الملاك
والملاك في أبهى أبهى الصُّور

ظننت حينها أنّي وحدي من أراه ملاكاً مفكّراً، ولم أفاجأ بأنّي لست الوحيد.

ظننت أنّي وزملائي أخذنا به لحداثة السِّن فتتبعت تاريخه من تلامذته من أجيالٍ مختلفة كان منها من بلغ سنَّ التقاعد حينها... ولم أفاجأ بأنَّ الأجيال كلَّها مجمعة على هذه المشاعر تجاهه، وليس من عجب في ذلك أبداً فمعدن الإنسان لا يتغير... فكيف بمن كان ملاكاً في ثوب البشر؟!.

لم تكن مشاعري تجاهه يتيمةً، ولا مشاعر جيلي من تلامذته، لا أبالغ إذا قلت إنَّها مشاعر أجيال سحابة ثلثي قرن من الزمان من تلامذته وطلابه... وأصدقائه وزملائه.

شرفٌ لي أن أكون من تلامذته.

وشرَّفني الزمان بأن صرت من زملائه.

وشرَّفني هو ذاته بأن دعاني من أصدقائه.

وشرفٌ لي أن أنوب عن تلامذته في هذا الموقف المهيب الجليل الذي يَكِفُ الدمع بدل أن يكفكفه، ويُخِفُّ الأسى بدل أن يخفِّفه. فإن كان فَقْدُ الأحبة يهزُّ عروش القلوب فإنَّ فقد العظماء يهزُّ أركان العقول، وإن كان فقد الأحبة يزلزل الحاضر والمكان فإنَّ فقد العظماء يزلزل التاريخ والزَّمان... وعادل

العوا من أجلّة العلماء والعظماء، ومن ساكني شغاف القلوب.

عزاؤنا في موت من نحبُّ أنّنا كلنا ميتون.

ولا عزاء لنا في موت العظماء والمبدعين لأنّهم كلّهم خالدون والآخرون فانون.

عندما توفي **أحمد شوقي** ذهب الموسيقار **محمد عبد الوهاب** إِلَى العزاء، وجلس بالمصادفة إِلَى جانب **حسن أباظة** الذي لاحظ حزن **عبد الوهاب**، فحاول التخفيف عنه، فقال **عبد الوهاب**: إِنَّهُ خسارة عظيمة. فقال له **حسن أباظة**: حسبك أنّك قصيدةٌ من قصائده.

إذا أردنا أن نعدَّ قصائد **عادل العوا** فإنَّ الأمر سيطول بنا كثيراً، وكثير من هذه القصائد حلّقت وتحلق في أجواء العالمية، وكثيرٌ من هذه القصائد تحولت إِلَى دواوين عملاقة، وكثيرٌ منها صار ينابيع إلهام... أليس حسبه هذا فخراً على مرِّ الزمان؟

ذكـراكَ في دنيـا الـبهاءِ لواءُ ... وجَـليْلُ فكْـرِكَ للأنـامِ دَواءُ
وأصـيل نُبْـلِكَ كـالمنى ترنيمةٌ ... يشـدو بهـا مدَّ المدى الشُّعراءُ
وأثيـلُ مَجْدِكَ راسخٌ لا ينطوي ... مهمـا عَـلَتْ من بعدكَ الأسماءُ
يـا عـادلاً في كـلِّ أمر رزته ... حَـتَّى تَمَـنَّى حكمكَ الأعداءُ
طُوِيَـتْ بِمَوْتِـكَ للسَّنا إطلالةٌ ... وَهَـوَى عِمَـادٌ لـلمنى ولـواءُ
ذكـراكَ في دُنيـا الْخلودِ ضياءُ ... وَسُـمُوُّ طَـبْعِكَ للخَيالِ سَمَاءُ

عزاؤنا في موت من نحبُّ أنّنا كلنا ميتون.

ولا عزاء لنا في موت العظماء والمبدعين لأنّهم كلُّهم خالدون والآخرون فانون.

كلمة أسرة الفقيد

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتور نبوغ العوا

أيها السيدات والسادة،

«في مكتب عنبر، يصطفُ التلاميذُ مثنى مثنى في زحفهم الوئيدِ من استراحةِ الفرصةِ للولوج إلى قاعةِ الدرس. في ذاك النظام الذي لم يبقَ سائداً، رفعتُ عيني على دفترٍ يمسكُ به زميلي المواكِب، وكان لأخيه الأكبر، فوجدتُه مخطوطةً. قرأتُ في صفحاتها على عَجَلٍ كلماتٍ من المنطقِ الصوري، فكانت نفحةَ إلهامِ غمرتني، وإشراقةَ نورٍ خاطفٍ أشبهَ بنورِ ليلةِ القدر كما يُقال. فعرفتُ أن سيكون لمثلِ هذه المعرفةِ شأنٌ كبيرٌ لديّ، وقلتُ في نفسي وأنا أردُّ الدفترَ إلى صديقي سنصلُ إلى صفِ الفلسفةِ بعد سنةٍ ونصف وسنرى ما سيكونُ من الأمر».

هذه الكلماتُ كانت بدايةَ حبِ الوالدِ للفلسفة، من مكتب عنبر، وما لبثت أن نضجت في رحابِ جامعة السوربون بباريس، حيث أمضى فيها سبعَ سنواتٍ عجافٍ في ظلِ الحرب العالمية الثانية، ليعودَ بعدَها إلى الوطن وفي ذهنِهِ طموحٌ لا حدودَ له، وفي قلبِهِ شغفٌ للعلم ليس بعدَه شغف. لم يكن يقيمُ وزناً للراحة، ولم يكن يعرفُ الدّعة. ولم يكن يحترمُ سوى الواجبِ ودقةِ العملِ والنظام. يشعرُ بأن عليه أمانةً أمامَ وطنِهِ وطلابِه، فانكبَّ على العملِ الدؤوب داخلَ المنزلِ وخارجَه. وبقي الشأنُ العربي والهمُّ القومي شغلَه الشاغلَ طوالَ حياتِه. فهو يتابعُ ما يجري من أحداثٍ

متابعةَ المحلّلِ الفطن. وظلّ ابنُ دمشق وفيلسوفُها مخلصاً لهذا الوطن، محباً له حتى أيامه الأخيرة.

كان الوالدُ مثالَ الأبِ العطوفِ الحنون، همُّه الدائمُ أن يرقى بأبنائه إلى أعلى الدرجاتِ العلمية والثقافية، باذلاً في سبيلِ ذلك كلَّ عونٍ ومساعدة. تتقدُ ذاكرتُه المدهشة علماً وأدباً وشباباً، وتشفي بداهتُه كلَّ تساؤل، وإن لم يُسأل. ويمتدُ ولعُه العلمي إلى التقنياتِ المستحدَثة، فأفردَ للإنترنت وآثارِها آخرَ كتاباتِه، التي نيَّفت على الثمانينَ تأليفاً وترجمة.

أيها السيداتُ والسادة:

يحضرُنا في هذه المناسبة الذكرى الأولى لمكرُمةِ السيدِ الرئيس الذي منحَ الوالد وسامَ الاستحقاقِ السوري من الدرجةِ الممتازة تقديراً لإنجازاته في الفكرِ والثقافة. وهل يُسأل الكريمُ عن كرمِه؟.

وما اهتمامُ سيادته البالغُ بصحةِ الوالدِ ومواساتُه الكريمة إلا وسامُ محبةٍ آخر. فقد كانت لفتتُه النبيلةُ تمدُّنا بالقوةِ والثباتِ في الأيام الحالكة، وتملأُ قلوبَنا حباً على حبٍ لشخصِ سيادتهِ الكريم. أمدّه المولى وأسرتَه الكريمةَ بوافرِ الصحة والعافية للرقي بهذه الأمة إلى أعلى مراتب العزة والمجد.

ولا يسعُنا في الختام إلا تقديمُ بالغِ الشكر والامتنان للسيدة وزيرة الثقافة، الأستاذة الدكتورة نجوة قصاب حسن، لعمقِ محبتِها وإخلاصِها، وللسيدِ وزيرِ التعليم العالي، الأستاذ الدكتور حسان ريشة، وللرفيق أمين فرع الحزب في جامعة دمشق، الأستاذ الدكتور هيثم سطايحي، اللذين خلّدا ذكرى الدكتور عادل العوا بتسميةِ مدرج في مبنى الآداب باسمِه، ليبقى مناراً لأجيالِ العلم والمعرفة.

نتقدم ببالغِ الشكر والامتنان أيضاً للأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيسِ مجمع اللغة العربية بدمشق، لكلمتهِ الرقيقة، أمدَّه المولى بالصحة والعافية.

وكذلك نتوجه بالشكرِ والامتنان للسادة الأستاذِ الدكتور سمير حسن، عميدِ كلية الآداب في جامعة دمشق، والأستاذِ الدكتور علي عقلة عرسان رئيسِ اتحاد الكتاب العرب، والأخِ الدكتور عزت السيد أحمد من جامعةِ تشرين لكلماتِ الصدقِ والمحبةِ النابعةِ من القلب، فهي خيرُ شافٍ لجرحِنا العميق.

أيها الحفلُ الكريم، نشكرُ ما تجشمتُم من عناءِ القدومِ، فمحبتُكم هي أغلى ما نملك، وأطيبُ ما نذكر، شكراً لكم، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٣م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **الاتصالات الرقمية**/ د. رضوان قسطنطين– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **الأحياء الدقيقة: القسم النظري**/ د. نجم الدين الشرابي، د. منير هابيل– ط٦– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **اختيار: قصائد مختارة للشاعر الدكتور محمد حسين آل ياسين**/ د. محمد حسين آل ياسين– بغداد: ٢٠٠١.

– **الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهي**/ د. عبد اللطيف عمران– ط١– دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٢– (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٥).

– **أديبات عربيات: سير ودراسات**/ عيسى فتوح– ط١– دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٢.

– **أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر: مقدمة تاريخية عامة**/ محمد سواعي– دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٩.

– **أساسيات علم الاقتصاد الزراعي**/ د. محمود ياسين، د. علي عبد العزيز– ط٢– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **الأسمـــاء والأفعال والحروف: أبنية كتاب سيبويه**/ الزبيدي؛ تحقيق: د. أحمد راتب حموش– دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٢.

– **أعمـــال الموسم الثقافي: مدونة المحاضرات الملقاة عام ٢٠٠٠/ المجلس الأعلى للغة العربية– الجزائر: المجلس، ٢٠٠٠.**

– **أوراق مهجـــرية: بحوث ومقاربات، أحاديث ومحاورات، رسائل**/ د. عبد الكريم الأشتر– ط١– دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢.

– **أيســـر التفاســـير**/ د. أسعد محمود حومد؛ ترجمه إلى الفرنسية: د. لينة دعبول، د. لبانة مشوح– دمشق: ١٩٩٤– ٣ج.

– **التشـــكل النـــباتي: الجزء العملي**/ د. سليم حسين زيد، حنان شحادة آغا– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **التصـــنيف الإحصائي الدولي للأمراض والمشكلات المتعلقة بالصحة: المراجعة العاشرة**/ د. عصمت إبراهيم حمود– القاهرة: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠١– ج٢.

– **التصـــنيف الـــدولي للأمـــراض: المراجعة العاشرة**/ تعريب: د. عصمت إبراهيم حمود– القاهرة: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٢– ج١.

– **التصـــنيف النـــباتي وتعضي جهاز التناسل في مغلفات البذور**/ د. عبد العزيز الصباغ– ط٣– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **تطـــبيقات عمـــلية في الإحصاء وتصميم التجارب الزراعية**/ د. عبدو قاسم، فيوليت خلف– ط٣– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٢.

– **الجمـــع بين رأيي الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطو طاليس**/ الفارابي؛ حققـــه وترجمه: فوزي متري نجار، دومينيك ماليه– دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٩.

- **حصن الاسم: قراءات في الأسماء العربية**/ جاكلين سوبليه، ترجمة: سليم محمد بركات- دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٩.
- **الـــدارات الإلكترونية**/ د. أميمة دكاك- ط١- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.
- **الدليـــل العمـــلي في التصنيف النباتي**/ د. أنور الخطيب، د. عبد العزيز الصباغ، د. عماد القاضي- ط٢- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.
- **دور الأســـواق الماليـــة في الخصخصـــة في مـــنطقة الإسكوا**/ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٢.
- **الرســـالة الهارونية**/ مسيح بن حكم الدمشقي؛ حققته وترجمته وعلقت عليه: سوزان جيغاندي- دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٢٠٠٢
- **شـــرح الرضي لكافية ابن الحاجب**/ دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد الحفظـــي، د. يحيى بشير المصري- ط١- المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد ابن سعود، ١٩٩٣- ١٩٩٦- ٤ج.
- **الصـــالونات النسائية الأدبية في العصر الحديث**/ عيسى فتوح- ط١- بيروت، دمشق: المنارة، ٢٠٠٢.
- **طب المجتمع**/ نخبة من أساتذة الجامعات في العالم العربي- بيروت: منظمة الصحة العالمية، أكاديميا، ١٩٩٩.
- **عامـــان عـــلى الانطلاقة الواثقة**/ مجموعة من الكتاب- ط١- دمشق: مؤسسة تشرين، ٢٠٠٢.
- **فيـــزياء أنصـــاف النواقل**/ د. خالد المصري- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

- **فهـرس مجـلة مجمع اللغة العربية بدمشق للمجلدات: ٦١ إلى ٧٥**/ صنعة: مأمون الصاغرجي- دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٢- ج٧.
- **فهـرس المخطوطـات المحفوظة في مجمع اللغة العربية الأردني**/ إعداد: محمد علي العناسوة- عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٨.
- **قواعـد المعطيـات (١)**/ د. راكان رزوق، د. مادلين عبود- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.
- **قواعـد النقوش العربية الجنوبية**/ ألفرد بيستون، ترجمة: رفعت هزيم- إربد: مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، ١٩٩٥.
- **الكـيمياء العامـة: الجزء العملي والجزء النظري**/ د. محمد الحبوبي- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١- ٢ج.
- **لغـات البرمجة**/ د. عمار جوخدار، د. غيداء ربداوي، د. ندى غنيم- ط١- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٢.
- **محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران**/ مجموعة من المحاضرين- دمشـق: المستشـارية الـثقافية الإيرانية، ٢٠٠٢- (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٤).
- **المـراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض، تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية...**/ منظمة الصحة العالمية- القاهرة: المنظمة، ١٩٩٩.
- **المعجـم**/ ابـن الأعـرابي؛ تحقيق وتخريج: عبد المحسن الحسيني- ط١- الدمام: دار ابن الجوزي، ١٩٩٧- ٣ج.
- **المعجـم الطـبي الموحـد: إنكـليزي- عربي- فرنسي**/ مجموعة من الأسـاتذة- ط٣- سويسـرا: منظمة الصحة العالمية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣.

- **معجـــم المصـــطلحات الطبية: إنكليزي- عربي/** د. محمد عبد اللطيف إبراهيم- المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٠- قسمان.
- **معجـــم الوبائيـــات/** تحرير: جون. م. لاست- القاهرة: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٠.
- **مقدمـــة في النظم والدارات المنطقية/** د. نور الدين شيخ عبيد- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٠.
- **منهجية وضع المصطلحات وتطبيقاتها/** أحمد شفيق الخطيب.
- **موســوعة القـــيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/** د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون- الرياض: دار رواح، ١٤٢١هـ- ٥٢مج.
- **الميكـــانيك النظري (علم السكون)/** د. رافع محمد النبواني وآخرون- دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٠.
- **النبـــات العام: خلية- أنسجة- أعضاء نباتية/** د. عبد العزيز الصباغ- ط٥- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.
- **نســـر الدموع: قراءات في تجربة محمد الماغوط/** تحرير: خليل صويلح- ط١- دمشق: مؤسسة تشرين، ٢٠٠٢.
- **نظرية الاحتمالات/**د. محمد صبح، د. عدنان عمورة، د. عزات قاسم- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.
- **الوجيز في علم النسج/** د. بشير الزالق- دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٢
- **الوســـائل التوضـــيحية في المخطوطـــات العلمية العربية/** سماء زكي المحاسني- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠١.

ب- المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥	٢٠٠١	سورية
التراث العربي	(٨٦- ٨٧)، ٨٨ (عدد خاص)	٢٠٠٢	سورية
الحياة الموسيقية	٢٧	٢٠٠٢	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٧٣	٢٠٠٣م	سورية
صوت فلسطين	٤١٨ (٢٠٠٢)، ٤٢٢	(٢٠٠٣)	سورية
الضاد	٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١١	(٢٠٠٢)	سورية
	١، ٢	(٢٠٠٣)	
عالم الذرة	٨٢ (٢٠٠٢)، ٨٣ (٢٠٠٣)		سورية
الفكر السياسي	١٦	٢٠٠٢	سورية
المجلة البطريركية	٢١٨و ٢١٩ و ٢٢٠	٢٠٠٢	سورية
مجلة جامعة البعث	مج ٢٢ (العلوم الهندسية:٤)	٢٠٠٠م	سورية
	مج ٢٣ (الآداب والعلوم الإنسانية: ١)	٢٠٠١م	
	مج ٢٣ (العلوم الأساسية:٥)	٢٠٠١م	
	مج ٢٣ (العلوم الطبية: ٦)	٢٠٠١	
	مج ٢٣ (العلوم الهندسية: ٧، ٨)	٢٠٠١م	
	مج ٢٤ (العلوم الإنسانية: ١)	٢٠٠١م	
مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية	مج ١٨ (الآداب والعلوم الإنسانية: ١٠، ١١)	١٩٩٦	سورية
	مج ١٨ (العلوم الطبية: ٥، ملحق)	١٩٩٦	
	مج ٢٢ (العلوم الاقتصادية: ٢)	٢٠٠٠	
	مج ٢٢ (العلوم الهندسية: ٩)	٢٠٠٠	
مجلة جامعة دمشق	مج ١٤ (الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية: ٣، ٤)	١٩٩٨	سورية
	مج ١٧ (العلوم التربوية: ٤)	٢٠٠١	
	مج ١٨ (العلوم الزراعية: ١)	٢٠٠٢	

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المجلة العربية للعلوم الصيدلية	٤ (مج ٢)	٢٠٠٣	سورية
المعلم العربي	٣، ٤ (عدد خاص)	٢٠٠٢	سورية
الموقف الأدبي	٣٧٨ (٢٠٠٢)، ٣٨١،		سورية
	٣٨٢، ٣٨٣ (٢٠٠٣)		
نشرة الأرمن الكاثوليك	(١-٢)	٢٠٠٢	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	٤	٢٠٠٢	سورية
الأقصى	٩٦٤	٢٠٠٢	الأردن
أنباء	٢٤	٢٠٠٢	الأردن
دراسات	مج ٢٩ (العلوم الادارية: ٢)	٢٠٠٢	الأردن
	مج ٢٩ (العلوم الانسانية والاجتماعية: ٢، ٣)	٢٠٠٢	
	مج ٢٩ (العلوم التربوية: ٢)	٢٠٠٢	
الشريعة	٤٤٢، ٤٤٤	٢٠٠٢م	الأردن
	٤٤٥، ٤٤٦	٢٠٠٣م	
أخبار الإمارات	٧	٢٠٠٣	الإمارات
إقرأ	١، ٢ (٩٨- ١٩٩٩)		الإمارات
	٤، ٥ (٢٠٠١- ٢٠٠٢)		
الإنتاج الفكري في دولة	الاصدار الثالث	١٩٩٥	الإمارات
الإمارات (ببليوغرافيا)	الإصدار الرابع	١٩٩٧م	
الرافد	١ (١٩٩٣)، ٢، ٣، ٤، ٥ (١٩٩٤)		الإمارات
	٦، ٧، ٨، ٩ (١٩٩٥)، ١١،١٠، ١٢،		
	١٣ (١٩٩٦)، ١٤، ١٥، ١٦ (١٩٩٧م)		
	١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١- ٢٢ (١٩٩٨)		
أخبار الألكسو	(١٤- ١٥)، (١٦- ١٧)	٢٠٠٢	تونس
الإذاعات العربية	٣	٢٠٠٢	تونس
فضاءات التعليم عن بعد	٣٠، ٣١	٢٠٠٢	تونس
المجلة المغاربية للتوثيق والمعلومات	١١	٢٠٠١	تونس
المجلة الخلدونية	٢ (عدد خاص)	٢٠٠٣م	الجزائر
عالم الكتب	مج ٢٤ (١، ٢) عدد مزدوج	٢٠٠٢م	السعودية
	(٣و ٤) عدد مزدوج	٢٠٠٣م	

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الفيصل	٣١٧، ٣١٨	٢٠٠٣م	السعودية
مجلة جامعة أم القرى	مج ١٤ (العلوم التربوية		السعودية
	والاجتماعية والإنسانية: ١)	٢٠٠٢م	
	مج ١٤ (علوم الشريعة واللغة		
	العربية وآدابها: ٢٢ ج١، ج٢)	٢٠٠١م	
	مج ١٤ (العلوم والطب والهندسة: ١)	٢٠٠٢م	
مجلة الدراسات اللغوية	١ (مج ٢)	٢٠٠٠م	السعودية
	١ (مج ٣)	٢٠٠١م	
	١ (مج ٤)	٢٠٠٢م	
المجلة العربية	٣٠٨ (٢٠٠٢م)، ٣٠٩،		السعودية
	٣١٠، ٣١١، ٣١٢ (٢٠٠٣م)		
المنهل	مج ٦٤ (٥٨٣/ ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م)		السعودية
البيان	٣٨٧ (عدد خاص)، ٣٨٨،٣٨٩	٢٠٠٢	الكويت
	٣٩٠، ٣٩١(عدد خاص)، ٣٩٢	٢٠٠٣	
حوليات الآداب والعلوم	الحولية ٢٣ (١٨٩، ١٩٠، ١٩١،	٢٠٠٢- ٢٠٠٣	الكويت
الاجتماعية	١٩٢، ١٩٣، ١٩٤)		
مجلة العلوم	مج ١٨ (٩/ ١٠)، (١١/ ١٢)	٢٠٠٢	الكويت
الدراسات الفلسطينية	٥٢ (٢٠٠٢)، ٥٣ (٢٠٠٣)		لبنان
التمويل والتنمية	مج ٣٩ (٣)	٢٠٠٢	مصر
الرسالة الجديدة	أيار	٢٠٠٢	مصر
مجلة كلية دار العلوم	٢٨، ٢٩	٢٠٠٢	مصر
نشرة الإبداع	تشرين الثاني، كانون الأول	٢٠٠١	مصر
	كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان	٢٠٠٢	
اللسان العربي	٥١ (عدد خاص)، ٥٢	٢٠٠١م	المغرب
النشرة الاخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون	٥٨، ٥٩	٢٠٠٢م	تركيا
الرابطة	مج ٢٧ (١-٢)	٢٠٠٢	فرنسا
النشرة الإعلامية لليونيسيست/			
المعلومات- المعلوماتية- الاتصالاتية	مج ٢٩ (٢)	٢٠٠١	
آفاق الهند	مج ١٥ (٥)	٢٠٠٢	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Books:

- Actes du Colloque International/par université de Tunis.
- Améliorer L'efficacité des écoles/ par Jaap Scheerens, Unesco, Paris 2000.
- Déraison, esclavage et droit/ Directeurs de La Publication: Isabel Castro Henriques et Louis Sala- Molins.
- L'éducation tout au long de la vie/Unesco 2002.
- Economic and Social Commission for Western Asia./ by Elissar Sarrouh and others, United nations.
- Eternités Afghanes/ Unesco.
- La gestion du handicap Sur Le lieu de travail/ Bureau International du Travail, Genève.
- Guide à L' intention des utilisateurs/ Bureau international du travail.
- Le Patrimoine mondial entre Les mains des jeunes./ Unesco 2002.
- La pauvreté, une fatalite/ Unesco.
- Tendances Mondiales de L' emploi/ Bureau international du Travail.

. قم ، إيران ، حسين متقى / فهرست نسخة هاي خطّي تركي

2 – Periodicals :

- Boletin de La Academia Argentina de Letras, Tomo. LXV – Julio- Diciembre de 2000- No (257- 258). Buenos Aires.
- Bulletine Of Labour Statistics, Geneva, 2002, No. 4.

- Bulletin Officiel, Vol. LXXXV, No. (1-2), 2002, Geneva.
- Common Ground, Germany.
- DAWAH, Islam Abad Vol. XIV, No. 2, 2003.
- Deutsch Land, No. (1-2), 2003, Germany.
- IBLA, Revue de L'institut des Bells Letters Arabes. 65 année, 2002- No. 190.
- James, No. 17, 2002, Japan.
- Korea and World Affairs, Vol. XXVI, No. 4 Winter 2002. Korea.
- Le Muséon, Revue D'Études Orientales.
- Tome 115, 2002. fasc. 3-4, Belgique.
- The Muslim World, Vo. 92. No. (3-4). 2002 Hartford. U. S. A.
- Orient/ Report of the Society for Near Eastern Studies in Japan. 2002.
- Revue internationale du travaiL, Vol. 141, No. 3, 2002, Geneva.
- SGI QuarterLy, January NO. 31, 2003, Japan.
- Travail Le magazine de L'oit, Bureau international du travaiL . No. 45, 2002.

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والسبعين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)، تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤١، تح سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تح نشاط غزاوي
- عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة، للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري، تح وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي
- ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر
- بقية الخاطريات لابن جني (وهي ما لم ينشر في المطبوعة) تح الدكتور محمد أحمد الدالي
- حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ – ١٩٩٢ م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وحيه السمان ١٩١٣ ـــ ١٩٩٢م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



(عدد خاص)

يتضمن القسم الأول من بحوث

ندوة المعجم العربي

(٢٢- ٢٥/١٠/٢٠٠١)

جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ

تموز (يوليو) ٢٠٠٣م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م	
	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
	١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابِها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بمقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



(عدد خاص)

يتضمن القسم الأول من بحوث

ندوة المعجم العربي

(٢٢- ٢٥/١٠/٢٠٠١)

جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ

تموز (يوليو) ٢٠٠٣م

لجنة المجلة

أمين المجلة

تقديم

ندوة المعجم العربي

برعاية كريمة من السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية عقدت في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ٢٢/١٠ حتى مساء ٢٥/١٠/ ٢٠٠١ ندوة عنوانُها: «المعجم العربي». وقد شارك في الندوة ثلة من الباحثين في الأقطار العربية، ومن القطر العربي السوري، وألقيت فيها بحوث في إطار أربعة محاور هي:

١- لمحة تاريخية عن بدء التدوين اللغوي عند العرب.

٢- أولاً معجمات الألفاظ:

أ- أساليب تأليف المعجمات

- وفق مخارج الحروف.
- وفق نهاية الجذر اللغوي.
- وفق أول الجذر اللغوي.

ب- نظرة نقدية في المعجمات العربية القديمة والحديثة.

٣- ثانياً معجمات المعاني.

٤- ضرورة وضع معجم عربي شامل يلبي حاجات الباحثين في هذا العصر مستوفياً الشروط المطلوبة. المنهج الذي ينبغي اتباعه في وضع هذا المعجم.

٥- مشروعات معجمية:

المعجم التاريخي - المعجم المدرسي - معجمات المصطلحات -

معجم المعاني — معجمات أخرى متخصصة يقترح وضعها.

وقد أقيم حفل افتتاح الندوة في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٢/١٠/٢٠٠١ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضر الحفل الدكتور محمد زهير مشارقة، نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل، والسادة أعضاء القيادة القطرية، والسادة أعضاء اللجنة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية، والسادة الوزراء والسفراء العرب، وأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق والأساتذة الباحثون المشاركون في الندوة، وممثلو وزارة التعليم العالي، والمؤسسات الثقافية في القطر العربي السوري وجمع غفير من العلماء والباحثين المعنيين بشؤون اللغة العربية.

وقد ألقيت في حفل الافتتاح الكلمات الآتية:

-كلمة الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الندوة.

-كلمة الأستاذ الدكتور حسان ريشة وزير التعليم العالي.

-كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

-كلمة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، ممثل الوفود المشاركة.

واستأنف المشاركون في الندوة أعمالهم في الساعة الخامسة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٢/١٠/٢٠٠١ في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية وبدأت جلسات الندوة في القاعة المذكورة، فألقى السادة المشاركون بحوثهم ضمن المحاور الأربعة المذكورة آنفاً.

وفيما يلي ننشر البحوث حسب إلقائها الزمني في الندوة:

كلمة الأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة

نائب رئيس الجمهورية – ممثل راعي الحفل

يا أيُّها الرفاق

يا أيها الإخوة

يا أيها السادة الحضور

نحييكم أحسن تحية، ونرحب بكم أجمل ترحيب، ونحن نلتقي في جلسة الافتتاح لندوة المعجم العربي، التي يعقدها مجمع اللغة العربية في دمشق. وتندرج هذه الندوة، والأنشطة المتفرعة عنها، ومحاور البحث التي تتضمَّنها، في إطار الجهود الطيبة المتواصلة، التي يبذلها مجمع اللغة العربية في دمشق؛ دفاعاً عن اللغة العربية وذوداً عنها، وحفظاً لها مما يحاك لها ويراد بها، ودرءاً للأخطار التي تتهدّد الأمة بهويتها، ممثلةً بلغتها الجميلة، لغة اللَّسَنِ والفصاحة، لغة البيان والتبيين، لغة القرآن الكريم.

ويسعدني في هذه المناسبة الكريمة، وأنا أنوب عن السيّد الرئيس بشار الأسد، برعاية هذه الندوة، أن أنقل إليكم تحياته القلبية، وتقديره للجهود الكبيرة التي يبذلها المجمع في سبيل اللغة العربية، وأمانيه الطيبة في أن يواصل المجمع النهوض بأعباء الرسالة التي نذر نفسه لها، وأداءَ الأمانة، لما فيه مصلحة اللغة العربية، والثقافة العربية والأمة العربية.

وإذا كان أعداء الأمة العربية، بحملاتهم المغرضة التي يشنونها على اللغة العربية، ودعواتهم المشبوهة التي يروجون لها، يتربصون الدوائر بالأمة

ولغتها وثقافتها وتراثها، فإن المخلصين من أبنائها، من علماء وباحثين لغويين، في مجامع اللغة وسواها، يتصدَّوْنَ للحملات المغرضة، ويدحضون التخرصات المشبوهة، ويفندون المزاعم الباطلة. ويبينون بالحُجج الدامغة، أن لغة الضاد هي لغة العلم والمعرفة، لدى أجيال الأمة قديماً وحديثاً، تتميّز ببلاغتها وفصاحتها، وسلاستها، وغنى مفرداتها، وتنوع مترادفاتها، وكثرة مصادرها وسعة القدرة على الاشتقاق فيها؛ وخصائص أخرى عديدة. تجعلها في مقدمة اللغات الحية في قديم العصر وحديثه.

وقد باءت بالفشل، كلُّ المساعي التي بذلها الخصوم، للنيل من اللغة العربية، على الرغم من تنوع الوسائل والأساليب التي اتبعوا، وتعدد الدعاوى التي لفقوا. فمن ادعاء بصعوبتها وعسر تعلمها، إلى ادعاء بتعقيد نحوها وصرفها، وعدم إمكان الإحاطة بها. إلى القول بصعوبة كتابتها، وتشابك قواعدها الإملائية وما إلى ذلك. ثم من دعوة مشبوهة إلى إحلال العامية محلّها، لإقامة حواجز دائمة، بين أبناء الأمة الواحدة، لا في أقطارها المتباعدة فحسب، وإنما في القطر الواحد أيضاً، وتمزيق أوصالها، إلى أخرى نادت باستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، لقطع الصلة بين حاضر الأمة وماضيها. إلى الادعاء بأنها لا تتماشى، ومقتضيات العلم والتقنية في عصرنا الحاضر، ولا تمكن الأجيال الناشئة من أن تواكب التقدّم العلمي والتقني فيه. مما يستدعي الاعتماد على لغة أخرى، والزهد بلغتنا القومية والانصراف عنها. إلى آخر ما هنالك من ادعاءات وتخرصات، ودعوات مغرضة لا تثبُتُ أمام النقد والتمحيص، وبيّنات العلم والمنطق وتدحضها أية دراسة لغوية مقارنة، بين العربية وأيٍّ من اللغات العالمية الواسعة الانتشار.

إلا أن غيرة أبنائها عليها، وحبّهم لها، وتفانيهم في إعلاء شأنها، جعلت العلماء الباحثين منهم قديماً وحديثاً يهبون للذود عنها، ويبذلون كل جهدٍ صادق لحمايتها والحفاظ عليها. وينبرون لتفنيد مزاعم ذوي الشنآن، من خصمٍ أعمى الحقدُ قلبَهُ، أو جاهلٍ من الناطقين بها، أضلّته دعاوى المبطلين، فراح يهرف بما لا يعرف.

وسوف تبقى لغتنا العربية، هوية لقوميتنا، ووعاء لثقافتنا، وموروثاتنا العلمية والمعرفية، وصلة الوصل بين حاضر الأمة وماضيها، وبها قوام وجودها واستمرارها.

وكما كان الحرص عليها شديداً، في سالف العهد، إذ تجلى في تدوين مفرداتها، ووضع قواعد نحوها وصرفها، وتبيان خصائصها ومزاياها في البلاغة والإعجاز، واعتمادها لغة للعلم والمعرفة، في جميع المجالات والاختصاصات. فإن هذا الحرص يزداد في عالمنا المعاصر، ولا سيما مواكبتها لمتطلبات تطورات الحياة والحداثة في مختلف جوانبها، مثلها في ذلك، مثل باقي اللغات الحية في عالم اليوم.

وعلى هذا جاءت دعوة مجمع اللغة العربية في دمشق، إلى عقد ندوة المعجم العربي انطلاقاً من ضرورة وضع معجم عربي شامل، يلبي حاجات الباحثين والدارسين وطلبة العلم في هذا العصر؛ والتفكير بوضع مشروعات معجمية أخرى، كالمعجم التاريخي والمعجم المدرسي، ومعجمات المصطلحات المتخصصة، ومعجم للمعاني إلى آخر ما هنالك من معجمات يمكن أن تزدان

بها المكتبة العربية المعاصرة، وتكون عوناً للباحث والدارس، والعالم والمتعلم، في مختلف مجالات المعرفة والبحث العلمي.

يا أيها الرفاق، يا أيها الإخوة

مايزال العالم مشغولاً، بتداعيات الأحداث التي جرت في الولايات المتحدة في الحادي عشر من شهر أيلول الماضي. وإذا كان ثمة تسليم بإدانة أعمال الإرهاب، التي تستهدف الأبرياء؛ فإن ثمّة إجماعاً على ضرورة تعريف الإرهاب أيضاً وتحديد الأعمال التي تدخل في إطاره بدقة. والتمييز بينه وبين المقاومة الوطنية المشروعة للاحتلال بمختلف أشكاله، والوصول إلى معايير متفق عليها، بإشراف الأمم المتحدة وفي نطاق مؤتمر دولي، لتعريف الإرهاب، ووضع المعايير اللازمة لتحديده، ومعالجة أسبابه ودوافعه. ومكافحته واجتثاث جذوره، في إطار السيادة الوطنية للدول، بما ينسجم وأحكام القانون الدولي. وتبقى الأمم المتحدة استناداً إلى مثل هذه المعايير المحددة دولياً، هي الجهة الشرعية التي تحدد التورط في أعمال الإرهاب، أو تقديم الدعم والمساندة له من قبل أية دولة أو مجموعة.

وقد دعت سورية منذ أواسط الثمانينات، إلى عقد مؤتمر دولي لتعريف الإرهاب وتحديد الفوارق بينه وبين المقاومة المشروعة، ووضع معايير متفق عليها. وأكد السيد الرئيس بشار الأسد، خلال لقائه وزير خارجية اليونان في ١٤/ ١٠/ ٢٠٠١ أن موقف سورية من الإرهاب ثابت لا يتغير، ويجب محاربة الإرهاب في كل مكان دون انتقائية أو ازدواجية في المعايير. وأن تكون من ثوابت العمل السياسي، وليست أمراً مرحلياً. وأكد

السيّد الرئيس أيضاً، أن مكافحة الإرهاب عملٌ ثقافي وسياسي، يعتمد بناء الجسور الثقافية، والحوار الأمين بين الشعوب. لأن العنف لن يولد إلا العنف، وإن ربط الإرهاب بالإسلام عملٌ خطير قد يقود إلى صدام بين الحضارات.

هذا وإذا كانت الدول العربية والإسلامية لا تمارس الإرهاب ولا تؤيده، فإن إسرائيل تمارس إرهاب الدولة بأسوأ أشكاله وصوره على المواطنين في الأراضي العربية المحتلة. فالإرهاب والأعمال الإرهابية، لا تتفق ورسالة الإسلام السماوية السمحة، التي تدعو إلى الرحمة والمحبّة والتسامح والإخاء بين بني البشر وتنهى عن الإثم والعدوان والمنكر والبغي، وتقدس الحياة الإنسانية، وتحرم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق.

ولقد عملت إسرائيل واللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، عقب أحداث الحادي عشر من أيلول الماضي، على حرف الأمور عن مسارها الطبيعي، لكي يتوجه ردّ الفعل إلى الدول العربية والإسلامية. وإسرائيل دأبت على تقديم معلومات خاطئة ومغلوطة، منذ سنوات عديدة، حاولت فيها تصوير المقاومة الوطنية المشروعة لاحتلالها الأراضي العربية، على أنها ضرب من ضروب الإرهاب. وسعت إلى تحريض الولايات المتحدة الأميركية، على ضرب المقاومة الوطنية، ومواقعها، والدول التي تحتضنها ومن الطبيعي أن تستهدف إسرائيل سورية أيضاً، لأن سورية تقف عقبة أمام السيطرة الإسرائيلية والخطر الإسرائيلي، وتَوَسُّعِ النفوذ الإسرائيلي في المنطقة العربية.

إن سورية تتشبث بمواقفها المبدئية من الصراع العربي الإسرائيلي، ولا تتنازل عن أيٍّ من ثوابتها الوطنية أو القومية. وإذا كان السلام بالنسبة لسورية والأمة العربية هدفاً استراتيجياً تسعى إلى تحقيقه، وكانت مساهمة سورية ذات شأنٍ في انطلاق عملية السلام من مؤتمر مدريد في ٣٠/ ١٠/ ١٩٩١. فإن السلام الذي تسعى سورية إلى تحقيقه، هو السلام العادل والشامل المرتكز على قرارات الشرعية الدولية ولاسيما قرارات مجلس الأمن الدولي/ ٢٤٢- ٣٣٨- ٤٢٥/، ومرجعية مدريد، ومبدأ الأرض مقابل السلام. إنه السلام الذي يعيد إلى كل ذي حق حقه، ويؤدي إلى انسحاب إسرائيل من الجولان وجميع الأراضي العربية المحتلة، إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧. واسترجاع الحقوق القومية المغتصبة، وفي مقدمتها الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته كاملة السيادة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس الشريف.

إن السلام العادل والشامل القائم على هذه الأسس، هو الذي يوفر الأمن والاستقرار لجميع الأطراف في المنطقة، وقد أكد السيد الرئيس بشار الأسد، أن التوتر في المنطقة، لن يزول ما لم تتمَّ تسوية هذا الصراع على أسسٍ عادلة ودائمة.

هذا وبالرغم من مضي عشر سنواتٍ على انطلاقة عملية السلام، فإن تلك العملية لم تحقق تقدماً يذكر، وذلك عائد إلى صلف إسرائيل وغطرستها، وتنكرها لقرارات الشرعية الدولية، ومرجعية مدريد. وتنصلها من استحقاقات عملية السلام وعدم التزامها بمتطلباته، ورغبتها بالاحتفاظ

بالأراضي العربية المحتلة. وإقامة المزيد من المستوطنات عليها، وتوسيع القائم منها، واستقدام المزيد من المستوطنين اليهود إليها. وسعيها لفرض إملاءاتها على العرب في عملية السلام. وممارستها أسوأ أنواع القمع والإرهاب على المواطنين العرب في الأراضي المحتلة؛ من سجنٍ واعتقال وقتل واغتيال، وحصار وتجويع، وهدمٍ للبيوت، وتجريف للأراضي والمزروعات وقلع للأشجار، وقصف للقرى والمدن الفلسطينية، بقذائف الدبابات وصواريخ الطائرات. إلى آخر ما هنالك من ممارسات إرهابية، تمارسها إسرائيل على المواطنين العرب في الأراضي العربية المحتلة.

وهذا يتطلب موقفاً عربياً، يرقى إلى مستوى التحديات التي تواجهها الأمة العربية، ودوراً فاعلاً للاتحاد الأوربي، وموقفاً من الولايات المتحدة إزاء عملية السلام، يتسم بالنزاهة والحياد والموضوعية، حتى تصل عملية السلام إلى غاياتها وتحقق الهدف المرجوّ منها في نهاية المطاف.

وسورية بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد، تعمل على تعزيز التضامن العربي، وتفعيل العمل العربي المشترك، لمواجهة التحديات الراهنة، وتأمين الدعم والمساندة لانتفاضة الأقصى المبارك، حتى تتمكن جماهير الشعب العربي الفلسطيني من استرداد أراضيها المحتلة، واسترجاع حقوقها الوطنية المغتصبة، وإقامة دولتها المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف.

وستواصل جماهير الشعب في سورية، مسيرتها النضالية الظافرة، مسيرة العمل والبناء، مسيرة التطوير والتحديث، بقيادة السيد الرئيس، سعياً

لتحقيق تطلعاتها الوطنية، وأهدافها الكبرى على دروب المجد والسؤدد والعزة القومية.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتمنى لندوتكم الوصول في محاورها ومداخلاتها إلى توصيات ومقترحات، تسهم في تطوير المعجم العربي وإغنائه، وتخدم اللغة العربية والثقافة العربية. كما أتمنى لمجمعكم تحقيق مزيدٍ من النجاح، واطِّراد التقدم وهو يتابع نشاطه، ويبذل جهداً صادقاً، في خدمة اللسان العربي والأمة العربية.

والسلام عليكم

كلمة الدكتور حسان ريشة

وزير التعليم العالي

السيد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية ممثل راعي الندوة سيادة الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

السادة أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية

السادة الوزراء

السادة رؤساء وأعضاء مجامع اللغة العربية في الأقطار العربية الشقيقة

السادة الباحثون والعلماء

أيها الحفل الكريم

يسرني بداية أن أحيي للمشاركين في هذه الندوة من علماء وباحثين الذين يجتمعون اليوم لبحث موضوع حيوي ألا وهو للمعجم العربي وآفاق تطويره، فأهلاً بكم في ربوع سورية العربية، ضيوفاً أعزاء.

أيها السادة:

إن اعتزازنا بلغتنا العربية وثقتنا بإمكاناتها على استيعاب علوم العصر ومصطلحاته وقدرتها على التعبير عن حاجاتنا والاستفادة من منجزات ثورة العلوم والتقانة اعتزاز لا حدود له.

لقد استطاعت لغتنا العربية على مر العصور،ومنذ أكثر من خمسة عشر قرناً، ورغم التحديات الكبيرة التي واجهت الأمة العربية وما رافقها من محاولات للنيل من لغتها وانتمائها القومي أن تبقى الوعاء الحاضن لفكرنا القومي والعامل الرئيس في جمع شمل أمتنا. من هنا لغتنا العربية تستحق منا كل الرعاية والاهتمام من حفاظ عليها وتطوير مستمر لها ومن تنقيب عن كنوزها الدفينة، وإبراز لقدرتها على مواكبة العصر.

لقد أدركت سورية باكراً أهمية اللغة العربية في بناء حضارتنا والحفاظ على تراثنا وقدرتها على استيعاب العلوم والمعارف باعتبارها صلة الوصل بين العصور والأجيال، فاتجهت إلى استخدامها في المراحل الدراسية كافة وفي جميع الاختصاصات، وأضحت إرثاً متجدداً بالإضافات المعرفية المستمرة تدفع بقوة أفكاراً لا متناهية وأدباً متعاظماً وعلوماً فسيحةً، وما أشبهها بشجرة راسخة الجذور نسغها يضج بأسباب الحياة وحكمها وعراقتها، تمثل فروعها في محيط الحداثة فتثمر أنواعاً محدثة من الأدب والعلم والفن والتقانة قادرة على التفاعل والتأثير في فضاءات العصر الجديد.

إن تجربة سورية رائدة في تعريب التعليم ونتاج البحث، وهي تجربة عريقة لها تقاليد ونتائج ملموسة تنبض بالحياة وهي غنية وماثلة أمام أعين باحثينا تدعو للاستفادة منها في الجامعات العربية ومراكز البحوث العلمية.

وإذا كانت بعض الجامعات في الدول الشقيقة تدرس المواد العلمية باللغات الأجنبية، فلا يخفى أن الرغبة بتعريب التعليم أصبحت الآن عامة وجادة. والسعي دؤوب لإيجاد السبل لتوحيد المصطلحات، ووضع الضوابط لتطبيقها. وهذا عمل قومي يحتاج إلى وسائل كثيرة وإلى سبل عديدة لنشر المصطلحات المعربة وتعميمها، وإنجاحه هدف نبيل يسمو بالعرب والعروبة.

وغني عن البيان أن تعريب التعليم العالي لا يعني عدم الاهتمام بتعلم اللغات الأجنبية وتعليمها، فنقل المعارف ووضع منجزات التقدم العلمي في خدمة الأجيال، والتواصل مع العالم يدفعنا لمثل هذا التعلم وإيلائه أهمية قصوى فهو للعون لترجمة المصطلحات وتعريبها وإغناء المعاجم وتطويرها، ويبقى من المهمات الأساسية تحقيق المعادلة بين الإبداع والابتكار من جهة، والتواصل والنقل مع الحضارات الأخرى.

إن ندوتكم هذه تشكل محطة هامة على طريق تعزيز وظائف لغتنا العربية وتطوير أداء القائمين على عملية تعريب التعليم العالي ومساعدة الباحثين والعلماء في وضع معاجم

حديثة تفي بمتطلبات العصر وتواكب التطور المتسارع في مختلف العلوم. ووجود الآلاف المؤلفة من الكلمات المولدة والمصطلحات التي تحتاج إلى التعريب، تؤكد على حيوية دور مجامع اللغة العربية وعلى أهمية إدراج هندسة اللغات كقضية ملحة في مناهجنا وخططنا المطورة.

وإني على ثقة أن تقود توصيات ندوتكم التي تشمل محاور هامة تتناول معجمات الألفاظ والمعاني وكذلك مناقشة المشروعات المعجمية المقترحة كالمعجم التاريخي والمعجم المدرسي ومعجمات المصطلحات ومعجم المعاني والمعجم العربي الشامل إلى إغناء كثيف في فعالياتنا البحثية والعلمية، وإلى تقدم نصبو إليه.

أيها السادة:

لقد انطلقنا في وزارة التعليم العالي وفق خطة واضحة وضمن استراتيجية محددة للمساهمة في بناء المنظومة الوطنية للابتكار والتجديد بمرتكزاتها الثلاث العلم والتقانة وتنمية الموارد البشرية وشبكة الترابط والتطبيق في الخدمات وفروع الاقتصاد.

إن تعزيز القدرة التنافسية يتطلب موارد إضافية تمكن من الاستخدام الأمثل لمنجزات التقدم العلمي والتقاني، وهذا ما يجعل الاستثمار في الموارد البشرية من حيث التعليم واكتساب المهارات العنصر الأهم في النمو الاقتصادي، وهذا ما حدا بدوره الدول المتقدمة أو تلك التي حققت قفزات نوعية وهامة خلال العقدين الأخيرين، إلى تطوير منظومات التعليم العالي والبحث العلمي فيها وإعادة هيكلتها وإصلاحها جذرياً بحيث تمكن مخرجات هذه المنظومة من تلبية متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية باحتياجاتها المتغيرة والمتعددة من جهة ومن مجابهة التحديات المختلفة التي تواجهها من جهة أخرى.

إن النجاح في هذا الأمر لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الربط الناجح بين التعليم والاقتصاد وقدرة الأخير على احتواء منتجات التعليم من جهة ودفعه إلى مزيد من التقدم من جهة أخرى.

أود أن أشير إلى أهم التوجهات الاستراتيجية التي نعمل على تحقيقها في قطاع التعليم العالي:

١- زيادة الفرص المتاحة أمام طالبي التعليم العالي والمتوسط، وفتح فرص الاستثمار أمام مساهمات القطاع الخاص في المعاهد والجامعات الخاصة والمشتركة بأنماطها النظامية والبازغة، بما في ذلك التعليم عن بعد، والتعليم الإلكتروني. يردف ذلك زيادة الاستثمار العام في هذا الاتجاه، بشكل يواكب معدلات الزيادة في الكم والتخصصات.

٢- تعديل نسب توزيع الخريجين في هرم القوى العاملة والتركيز على المعاهد المتوسطة والتقنية.

٣- التركيز على أنواع جديدة من التخصصات العلمية الملبية لاحتياجات التنمية وتحديات المنافسة.

٤- الاهتمام بجودة التعليم وتوجيهه بمنحى تخدم المنظومة الوطنية للابتكار والتحديد، ويقتضي هذا تطبيق معايير الجودة، والمرونة في افتتاح الأقسام وإعداد المناهج وتعديلها، والتأهيل المستمر لأعضاء الهيئة التدريسية كما يتطلب إعادة هيكلة البنى التنظيمية الجامعية الحالية وتفعيل شبكة الاتصال والتعاون مع الجامعات العربية والعالمية.

٥- تغيير طبيعة الخريجين وتنمية روح العملانية والإبداع فيهم.

٦- تحقيق التوازن بين التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع في الجامعات.

أيها السادة:

اسمحوا لي في ختام هذه الكلمة أن أتمنى لكم النجاح والتوفيق في أعمال ندوتكم، وأتوجه بالشكر إلى جميع من ساهم في تنظيم هذه الندوة، وأرجو لمجمع اللغة العربية رئيساً وأعضاء التقدم الملموس والعطاء المستمر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية

ممثل راعي الحفل الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية.

السادة أعضاء القيادة - السادة الأمناء العامون لأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية، وأعضاء القيادة المركزية فيها.

السادة الوزراء - السادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي.

السادة العلماء الأجلّة - أيها الحفل الكريم.

أحييكم أحسن التحيات وأطيبها، وأرحّب بكم أجمل الترحيب وأتمّه، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور لنحتفي بافتتاح ندوة:

المعجـــم العربـــي

ومن تمام الشكر أن أصفي الثناء الأساتذةَ العلماء الوافدين المشاركين الذين تجشموا عناء السفر وبُعد الشقّة. قدموا إلينا يملأ قلوبهم حبُّ العربية، والسعيُ الدائب لجعلها وافيةً بمطالب العصر، فأهلاً بهم أساتذة كراماً، ووافدين أعزّة، ولينـــزلوا على الرُّحب والسعة في بلدهم الشقيق.

وندوتُنا اليوم حَلْقة في سلسلة الندوات التي والى المجمعُ عقدها في السنوات الماضية، والتي عالج فيها موضوعات تناولت قضايا أساسية في

العربية كان لابدّ من دراستها، وتقديم الحلول لمشكلاتها، نهوضاً بمهماته التي ناطها به قانون المجمع وأبرزها:

«المحافظةُ على سلامة العربية، وجعلُها وافيةً بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة. ووضعُ المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، والسعيُ في كل ما من شأنه خدمةُ اللغة العربية وتطويرُها وانتشارها».

ويحتلُّ المعجمُ منــزلة سامية في حياة اللغة، والحفاظ على سلامتها، والعمل على نشرها.

إنه يلبّي رغبة الباحث المتعمق، والمثقف الدارس، والطالب الناشئ، يقدّم لهم جميعاً التفسير الدقيق المحدّد لما يغمض عليهم من ألفاظ، ويقرّبها إليهم واضحة جليّة، فتغنى بذلك ثروتُهم اللغوية، ويصبحون أقدر على التعبير عن المعاني التي تخالجهم، والخواطر التي تراودهم، ويتعرفون على صفحاته ألفاظَ الحضارة العصرية، والمصطلحات العلمية الشائعة، ويلمّون بمعانيها إلماماً دقيقاً. «فالمعجم، بحق، أداة بحث، ومرجعٌ سهل المأخذ».

ومن هنا دأبت الأمم على العناية بتأليف معجماتها العناية البالغة، ورفدتها المؤسسات اللغوية العلمية والمجامع بكل ما يغنيها من ثروة في الألفاظ والأساليب والمصطلحات لتظل اللغةُ ابنة عصرها، طاقةً متجددة، تواكب مرحلتها، وتلبّي ما يراد منها، وتعبّر عن مسيرة الحياة المتطورة أبداً.

ويحسن بي أن أشير هنا إشارة موجزة إلى تنبّه أسلافنا العرب في مرحلة مبكرة من حضارتهم لما للمعجم من شأن بعيد في حفظ اللغة، وسلامتها، وإذاعتها. كان ذلك حين واجهوا في بدء نهضتهم اللغوية

والعلمية في القرن الثاني الهجري مثل هذه الحاجة الملحة، فشمروا عن ساعد الجد، وبَدَر العالم العبقري الخليل بن أحمد فوضع كتاب العين، فكان السابق المبرِّز الذي فتح الأبواب المشرعة، وتتالى العلماء والباحثون يضعون الخطط لتأليف المعاجم فطوّروها ونوّعوا فيها بما يلبّي حاجات عصرهم العلمية والأدبية، وتناول التنوعُ معجمات الألفاظ ومعجمات المعاني بكل تشعباتها.

ولو ألقينا نظرة إلى ما وضعه علماؤنا العرب في تلك المرحلة الحضارية لبهرتنا كثرة المعاجم كماً ونوعاً.

ثم واجهت بلادُنا من بعدُ حملات الفرنجة، وغزوات المغول والتتر المدمِّرة، فتوقفت فيها حركة الإبداع أو كادت. واكتفت بحفظ التراث العظيم وجمعه، والتأليف على غراره. وظهرت الكتب الموسوعية الجامعة في هذا العصر وأُلِّفت في تلك المدة طائفة من المعجمات الشهيرة وشروحها، مثلُ لسان العرب لابن منظور الذي ضمّ خمسة معاجم، والقاموس المحيط للفيروزابادي وشرحه تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

ويحدثنا الأستاذ الشرقاوي إقبال في كتابه معجم المعاجم أن ما أحصاه من المعاجم التراثية دون سواها قد بلغ ألفاً وأربع مئة كتاب، صنّفها لتنوعها في تسع مجموعات، يجد فيها كل باحث بغيته وطَلِبته. ومن الحق أن صاحب معجم المعاجم قد توسع في معنى المعجم فضمّ إليه ألواناً من الكتب التي تناولت جوانب مختلفة من اللغة. فهو يقول: «تجوزتُ كثيراً في كلمة معجم فأوقعتُها على كل كتاب احتوى مفرداتٍ مشروحةً لغوياً...».

٢

ولما انبعثت النهضة العربية الحديثة كان من أبرز ما قام به دعاتها ومفكروها نشرُ التراث العربي، والاهتمامُ بالمعاجم التي أولوها عنايتهم، فطبعوا جملة صالحة من معاجم التراث بنوعيها: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، ثم التفتوا إلى تأليف المعاجم. وقد حاولوا أن يتجنبوا المصاعب والمآخذ التي وجهها النقاد إلى المعاجم القديمة، وأن يقدّموا معاجم تستجيب لمتطلبات العصر الحديث، وبذلوا جهوداً طيبة في تيسير عباراتها، وتقريب بعيدها، وابتعدوا عن الحوشي والغريب، وأحلّوا محله اللفظ القريب، ولكنهم لم يمضوا بعيداً في هذا الطريق.

لقد تقدمت المعاجم خطوات، ولكنها ظلت في حركتها الاصلاحية أبطأ مما قُدّر لها، واقتصر التأليف فيها على جهود فردية.

وما جاء النصف الثاني من القرن العشرين حتى تبدل الحال، وسارت حركةُ تأليف المعاجم خطواتٍ ناجحة. ومن أبرز الكتب التي ظهرت معجما العلايلي، ومعجمُ متن اللغة لأحمد رضا الذي ظهر في خمسة مجلدات (١٩٥٨-١٩٦١م)، والمعجمُ الوسيط (١٩٦٠-١٩٦١م).

ويُعدُّ المعجم الوسيط نموذجاً فريداً بين المعاجم العربية الحديثة. إنه معجم لم ينهض به عالم واحد، بل وَكَلَ مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة إلى لجنة من أعضائه وضع هذا المعجم وسارت اللجنةُ في عملها «مسترشدةً بما يقره مجلس المجمع ومؤتمره من ألفاظ حضارية مستحدثة، أو مصطلحات جديدة» حتى ظهر في حُلّته القشيبة.

وكان صدوره إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في حركة تأليف المعجم العربي الحديث «فقد جاء محكم الترتيب والتبويب، ميسَّر الشرح، دقيق التعاريف، يمتُّ إلى الماضي بصلة وثيقة، ويعبّر عن الحاضر أصدق تعبير».

ويشمل على ٣٠ ألف مادة، و٦٠٠ صورة للإيضاح، ويقع في جزأين كبيرين.

ورغب الناس في المعجم الوسيط وأحبوه وأطالوا الحديث عنه، وعُني به النقاد، فأشادوا بجوانبه المشرقة، ودلوا على هنات قليلة وقعت فيه. وطبع حتى اليوم ثلاث طبعات (١٩٦٠، ١٩٧٢، ١٩٨٥م) منقحة بإشراف المجمع. ولكنه طبع أيضاً طبعات أخرى نزلت إلى الأسواق، ومنها طبعة قامت بها دار الدعوة باستانبول (تركيا).

وقد بعث ظهورُ المعجم الوسيط الثقة في النفوس، وتطلع الناس بشوق لمتابعة العمل وتجويده. ومازلنا نطمح إلى المعجم الأكمل.

واستخرجت لجنة المعجم من المعجم الوسيط معجماً صغيراً يلبي حاجة الناشئة سمته المعجم الوجيز.

كذلك فقد أخذ مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة على عاتقه أيضاً «وضع معجم شامل يستوعب اللغة في مختلف عصورها»، وسماه المعجم الكبير، وهو عمل ضخم طموح يستغرق إنجازه سنوات وسنوات. صدر جزؤه الأول عام ١٩٧٠م، ثم صدرت بالتتالي أربعة أجزاء أخرى. وكان صدور الجزء الخامس عام ٢٠٠٠م. وتناولت أجزاؤه الخمسة الحروف الهجائية من الألف حتى حرف الحاء، والأمل معقود أن يتابع المجمع عمله لينجز هذا المعجم الكبير الجامع الحافل الذي يعد ذخيرة نفيسة من الذخائر.

٣

إننا اليوم وعصرنا عصر تدفق المعارف والمعلومات في أشد الحاجة للعودة إلى دراسة المعجم العربي، وتبين واقعه لننطلق إلى رسم صورة المعجم الحديث الذي نتشوف إليه ليأتي ملبياً لحاجات العصر المتجددة، وسرعة إيقاعه، مستهدين بأحدث ما انتهت إليه تجاربُ العلماء في أساليب تأليف المعاجم، مستأنسين في خطواتنا بخصائص العربية وطبيعتها الاشتقاقية، ومستفيدين من الأعمال الناجحة التي سبقت والتي قام بها العلماء الأعلام والمجامع اللغوية، والمؤسسات اللغوية العلمية.

لقد قدمت ندوتنا للأساتذة الباحثين المشاركين محاور طرحت فيها أنماطاً مختلفة لمشروعات معجمية رأت أنها من متطلبات الحركة العلمية التي تتسع يوماً بعد يوم.

وسأتوقف وقفةً خاطفةً عند محورين منها:

أحدهما: ضرورة وضع معجم عربي شامل يلبي الباحثين في هذا العصر.

والثاني: المعجم المدرسي.

إن وضع معجم عربي شامل يلبي حاجة الباحثين ويستجمع شروط المعجم الحديث يأتي في مقدمة ما يحسن أن نسعى إليه. لقد آن الأوان أن يكون للعربية معجمها العربي الشامل الذي ينال ثقة المجامع والمؤسسات اللغوية العلمية، والعلماء الأعلام، ويوازي في دقته ومنـــزلته والثقة به للمعاجم العالمية.

وليس أمامنا إلا التصميمُ والعزم، وإلا تكاتفُ الجهود في مختلف المؤسسات اللغوية وتعاونها، والعمل الدؤوب المتواصل، لا ملل ولا سأم، حتى نبلغ هدفنا المرسوم بعد سنوات من الكدّ والمتابعة، يكمّل بعضنا بعضاً،

ويتمُّ لاحق ما بدأ به سابق. وليس أمامنا إلا هذا الطريق ليظهر المعجم العربي الحديث، ويكون المرجع الثقة يئل إليه الباحثون والدارسون ليجدوا بغيتهم دون عناء، وليطمئنوا تمام الاطمئنان أنهم أصابوا كبد الحقيقة.

وإذا أعددنا مثل هذا المعجم سهل علينا أن نشتق منه معجمات مختلفة حسب الحاجة.

أمـــا عنايتي بالمعجم المدرسي فترجع إلى ما لاحظته من عَزوف كثير من طلابنا عن مراجعة المعجم، وهذا نقص كبير نعاني منه، ويجب علينا أن نعمل جميعاً في مؤسساتنا التربوية والتعليمية أن يكون المعجم صديق الطالب يصـــاحبه دائماً، ويعود إليه كل حين، مما يحبب إليه اللغة، ويغني ثروته من الألفـــاظ، فيصـــبح أقدر على تأدية مراده من المعاني، كما أن المعجم هو المسعف المساعد في فهم النصوص التي يقرؤها الطالب فيفسر له ما استعصى عليه من المطالب اللغوية.

وأملي أن نقدم لطلابنا معاجم تلائم دراساتهم في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم في المرحلة الجامعية، وأن نساعدهم ونحضهم على الرجوع إليها حتى يعتادوا ذلك ويألفوه، فإذا خرجوا إلى الحياة العامة ظل المعجم صديقهم وأنيسهم يعودون إليه ويفيدون منه.

ليس من همي أن أتحدث عن صفات المعجم الشامل والمعجم المدرسي، فهذا رهن بما تنتهي إليه الندوة بعد أن تناقش جميع الموضوعات المطروحة في محاورها، وتصدر توصياتها.

وإننا لنتطلع إلى ندوتنا يملؤنا التفاؤل والأمل أن يُغني علماؤنا الأجلة ببحوثهم التي تقدموا بها إلى الندوة، وبما يُصاحبها من تعليقات ومناقشات،

الصورة المثلى التي يقترحونها، والطريقة العملية التي يحسن أن نتبعها لإنفاذ توصيات الندوة وخططها المرتقبة.

والنية أن نبسط التوصيات والخطط التي تتطلب المشاركة العربية على اتحاد المجامع اللغوية العربية توطئة لمشاركة المجامع العربية في الوطن العربي والمؤسسات العربية العلمية في هذه المهمة الكبيرة

* * *

من تمام القول أن نرفع أسمى آيات الشكر والثناء إلى السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي تفضل برعاية الندوة، إعزازاً للعربية المبينة التي حاطها برعايته وعنايته، وشجع على الاهتمام بها.

ومن مآثره الكريمة إصدارُ قانون المجمع الجديد (رقم ٣٨ تاريخ ٦/٦/ ٢٠٠١م)، فأسدى يداً لا تنسى، وهيأ المجمع لنشاط أوسع في خدمة العربية، وطننا الروحي الذي نسكن إليه، ونتشبث به.

أيها الحفل الكريم

أعود فأشكر لكم تفضلكم بالحضور، وأرجو لندوتنا أن تكلل بالنجاح والتوفيق، وأن تكون توصياتها مرتكزاً أساسياً فيما نتطلع إليه من عناية بالعربية، وحرص على سلامتها وازدهارها.

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

ممثل الوفود المشاركة في الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي ممثل راعي الحفل

أيها العلماء الأفاضل

سيداتي وسادتي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

فإنه لشرف كبير أن أنوب عن إخواني وزملائي، من علماء أمتنا العربية المشاركين في هذه الندوة العتيدة، لأقدم واجب التحية والإجلال للقطر العربي السوري، قلعة العروبة الحصينة، وللجلّة من علمائنا الأفذاذ في مجمع اللغة العربية بدمشق الفيحاء، قلب العروبة النابض. فأطيب التحيات وأصدق مشاعر المودة والاحترام للذائدين عن حياض هذه الأمة في قيمها وعقيدتها وتراثها ولغتها الخالدة.

فالعربية لغة خالدة، منذ أصبحت لغة الوحي الإلهي، تحمل رسالة الهدى والعدل والمساواة لبني البشر جميعاً، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم. وهي لغة عالمية، لم تعد تخص العرب باعتبارهم أمة، بل تخص كل مسلم على وجه الأرض. فهي خالدة بخلود القرآن الكريم، وهي باقية ما بقي

مسلم على وجه الأرض. إنها لغة العروبة والإسلام على مدارج التاريخ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يحدثنا التاريخ، أيها السادة، عن أمم وإمبراطوريات، قديماً وحديثاً، استطاع ذوو القوة من الأسياد أن يفرضوا لغاتهم، بصورة وبأخرى، على الأمم المستضعفة، التي دخلت تحت الاحتلال المباشر، أو بقيت في مناطق النفوذ وأنه سرعان ما تزول هذه اللغات أو يعفى على آثارها، بزوال قوى القهر والاحتلال، وانحسار نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي.

ونحن في الوقت الحاضر، منذ نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين، نعيش في أجواء صخب ما يسمى «بالعولمة»، ومنها عولمة اللغة، وهذا يعني فرض لغة من بيدهم القوى المالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، على مناطق النفوذ بشعوبها المستضعفة، بل وعلى الأمم المتقدمة بصورة وبأخرى تحت أقنعة ما يسمى بالعولمة على اختلاف أشكالها وأساليبها.

وقد انصاع، مع الأسف، كثير من المسؤولين في الوطن العربي وكثير من المؤسسات التعليمية الخاصة، لهذا التيار العاتي بعولمة اللغة، فقد باتت اللغة الإنجليزية، تسود عولمة المؤسسات الاقتصادية والمالية والإعلامية ومراكز البحوث العلمية والجامعات... ويتمُّ هذا كله في إطار النواميس والقوانين التي تحكم العمران البشري، من حيث قيام الدول والإمبراطوريات وانهيارُها، ومن حيث انتشار لغات السادة وانحسارها أو تحللها للغات محلية مختلفة، أو زوالها واندثارها، بزوال قوة الدولة.

ونحن نعلم يقيناً وبالمشاهدة، هذا الانحراف اللغوي في الوطن العربي. فقد باتت اللغة الأجنبية، وأخص بالذكر اللغة الإنجليزية، تدرس منذ الصف الأول الابتدائي وربما قبل ذلك!! خلافاً للنظريات التربوية والنفسية، وامتهاناً للغة العربية، اللغة القومية... وبلغ الأمر في كثير من الأحيان إلى تدريس العلوم والرياضيات في الصفوف الابتدائية، لا سيما في المدارس الخاصة، بلغة أجنبية... وفي الوقت نفسه تقصى العربية عن لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي، وإحلال اللغة الأجنبية، لاسيما الإنجليزية محلها في معظم الجامعات في الوطن العربي، بل وباستثناء الجامعات في القطر العربي السوري، منذ مطلع القرن العشرين، وبأخَرة القطر السوداني الشقيق.

إن اللغة العربية الفصحى، هي التي تعطي لأمتنا العربية هويتها، وإن المساس بها أو إهمالها، لهو انتقاص من ثوابت الأمة، وتقويض لأهم دعائم وحدتها ونهضتها العلمية ومشاركتها المبدعة في بناء الحضارة الإنسانية في العصر الحديث.

وقد أدركت هذه الحقيقة، دمشق العروبة والإسلام، فانبرت منذ البدايات الأولى من تاريخنا الإسلامي لتعريب دواوين الدولة، وجعل العربية لأول مرة في مسيرتها التاريخية، لغة الدولة في مختلف مؤسساتها المالية والاقتصادية والسياسية، إلى جانب كونها لغة العقيدة، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وما فتئت العربية أن أصبحت لغة العلم والفكر العلمي في مختلف ميادين المعرفة في مدى قرن من الزمان.

ومرَّت السنون والقرون، والعربية الخالدة تحمل عقيدة الأمة وهويتها، بين مدٍّ وجزر. وفي أحلك الأوقات وأشدها عداوةً للعربية، كانت هذه

اللغة الخالدة تتراجع إلى حصونها التي لا تقهر، في المساجد وحول حلقات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وفي أوائل القرن العشرين، عاد للتاريخ دورته، فانبرت دمشق، من خلال مجمعها العلمي العربي، لتعريب مؤسسات الدولة، وإعادة السيادة للعربية في وطنها، فأصبحت العربية منذ ذلك التاريخ لغة التدريس الجامعي، وبالتحديد في معهد الطب العربي ومعهد الحقوق.

تحية الإجلال والاعتزاز والتقدير لمجمعنا العتيد بدمشق قلب الأمة النابض، ولعلمائه الأفذاذ الذين تناوبوا في خدمة العربية، وتأصيل دورها التاريخي في وحدة أمتنا ونهضتها العلمية الأصيلة، وستبقى العربية الخالدة شامخة، عميقة الجذور، تنحسر أمامها لغة «العولمة» الحديثة، ولغات الإمبراطوريات البائدة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب

رئيس دائرة المعاجم – مكتبة لبنان

الزُّملاءُ الأكارم

أيُّها السيداتُ والسادة

نحنُ الوفودَ المشاركةَ في هذه الندوة – ندوة المعجم العربي – المُنعقدةَ في رِحاب مجمع اللغة العربية الدِّمَشقي حول موضوعٍ بالغِ الأهميةِ للُّغة العربية وللإنسان العربي برعايةٍ ساميةٍ من سيادة الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، يَسُرُّنا أن نُشيدَ بما نعِمْنا به من كَرم الضِّيافة وما لَمسناه من رقة اللطف والمحبة وبالغِ التأهيل، وأن نتقدَّمَ بخالص الشُّكر والتقدير إلى جميع الأهلِ في مجمع اللغة العربية في دمشق رئاسةً وإدارةً وعاملين، الذين أحسَنوا نَظْمَ هذه الندوة – ووفَّروا كاملَ الإمكاناتِ لنجاحها.

مجمعُ اللغة العربيَّة في دمشق كان ولايزال مُنْذُ أوائلِ القَرن الماضي رائداً في مَجالاتِ خِدمةِ العربية وتعزيز مَسيرتها.

الذاكرةُ العربيةُ لن تَنْسى جهودَ الرُّواد من أمثال مرشِد خاطِر وحمدي الخيّاط وجميل الخاني وصلاح الكواكبي، مُعَزَّزةً بجهود مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي حينئذ) الذي تأسّس في العام نفسِه، وكانَ أولئك الرّوّاد من بعضِ أعضائه، تلكَ الجُهود التي نَشِطَت منذ زوال نير العثمانيين لترسيخ ابتعاث العربية العِلمية تميَّزت بالقرار الشُّجاع عام ١٩١٩ بجعل

العربية لُغةَ التدريس في معهد الطب في دمشق الذي قام على أنقاض كلية الطب التركية.

تعريبُ الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان، في دمشق أيضاً، وما تبعه من تعريب إدارة الدولة وعُمْلةِ الدولة، بعد أن كانتْ فارسيةً وروميةً يعتبره مؤرخو العربية من الأحداث التي ساعدت على نُمو العربية وانتِشارها.

ولعلّ قرارَ الرُّواد ذاك أواخر الحرب العالمية الثانية سيعتبره مؤرخو العربية مُستقبلاً أحدَ أهمِّ الأحداث التي تسَجَّلُ كما كان تعريبُ الدواوين كمَعْلَمٍ بارزٍ في مسار ابتعاث العربية العلمية في العصر الحاضر.

وإنه لَشَرف لنا جميعاً التجنُّدُ في دعم مشاريعِ التعريب التي تطبِّقها جامعاتُ دمشق ويعملُ في سبيلها مجمعُ اللغة العربية في دمشق وسائرُ مجامع اللغة العربية في الوطن العربي إيماناً بأن ذلك هو: ضرورةٌ قومية، وضرورةٌ علمية، وضرورةٌ حضارية. وأن تنميةَ الإنسانِ العربي وتعريبَه عِلميّاً وفكريّاً لا تتِمُّ إلاّ بعَضْونة العِلم وتأصيله باللغة العربية.

عِشتُم وعاشَتْ العربيةُ لُغةً للعلم، بجهودكم وجُهود العُلماء في سائر مجامع اللغة العربية وجهود المُخلصين في الوطن العربي، واللهُ الموفق.

شكراً لكم

القواميس فنٌّ وعِلم

د. أحمد شفيق الخطيب

تمهيد: قاموس ومُعجم

الواقع كلمةُ «معجم» سبقَتْ لفظَة «قاموس» للدلالة على مَعناهما المُتعارف – بمعنى كتاب يحوي مُفرداتِ اللغةِ أو مُختاراتٍ منها، مُرتَّبةً حسَبَ نظامٍ مُعيَّن، يَشرحُ معانيَها ويُبيِّن دلالاتها.

واللفظةُ «معجم» هي أصلاً من الجَذْر عجَم: يُقال: عجَم الحَرْفَ أو الكتابَ أي أزالَ إبهامَه بالنَّقْطِ والشَّكْل. وأعجَمَ الشيءَ: أزال غموضَه وأوضحَ مَدلولَه.

ومن هذه الدلالةِ جاءت تسميةُ الحروفِ الهجائية بـ «حُروف المُعجَم» نظراً لكون النَّقْط في كثيرٍ منها يُزيلُ التباسَها. ومنها أيضاً جاءَت تسميةُ الكتابِ الذي يُزيل التباسَ معاني الكلماتِ وغموضَها بـ «المعجم».

كلمة «قاموس» تعني لُغَويا البحر. وإنما اكتسبَتْ معناها المُتعارف، كما أسلَفْنا أعلاه، أواخرَ القرنِ التاسعَ عشَرَ مع بداياتِ عصرِ النهضة الحديثة.

وقصّتُها تبدأُ مع القاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٧٢٩ – ٨١٧ هـ). وهو معجم لغويٌّ يُعدُّ أشملَ المعاجم المُتوسطة الحجم، احتذَى فيه الفيروزآبادي نَهْجَ الصحاح، أي بالترتيب الهجائي على أواخر أصول الكلمات – وهو في رأيي ورأي الكثيرين الترتيبُ الأمثلُ الذي تقتضيه طبيعةُ اللغةِ العربيةِ بسَعَتِها الاشتقاقيةِ التي لا تُجارى. وقد حظيَ

«القاموسُ المحيط» باهتمام العُلمَاء والدارسين شَرْحاً ودرساً واختصاراً ونقداً وتعليقات بما لم يَحْظَ به أيُّ مؤلَّف آخَر.

فقد أكثر الدارسون من استخدامه مُستعيضين به عن المُطوَّلات. وقد تُرجم إلى اللغة اللاتينية عام ١٦٣٢م واعتمده المطران جرمانوس فرحات أساساً لمؤلّفه «باب الإعراب في لغة الأعراب» عام ١٧١٨م، وشرحَه المرتضى الزَّبيدي (١٧٣٢– ١٧٩٠) في **تاج العروس في شرح جواهر القاموس** ذي العشرة مُجلّدات.

وفي بدايات عصر النهضة صدر القاموس المحيط مطبوعاً في الهند ثم في مصر عام ١٨٧٢. وكانت نُسخ هذا المعجم تُعَدُّ بالآلاف قبل صدوره مطبوعاً. ونقده مُطوّلاً أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤– ١٨٨٨م) في «الجاسوس على القاموس» وأحمد تيمور باشا (١٨٧١– ١٩٣٠) في «تصحيح القاموس»– فلا غرابة أن لاقى القاموسُ المحيط المطبوعُ انتشاراً واسعاً بين جماهير المتعلّمين كأهمّ مرجعٍ لمعرفة مُفردات اللغة.

واختُصر الاسم من القاموس المحيط إلى كلمة «القاموس» فقط، وأخذت اللفظةُ تَشيعُ على ألسنة الناس بمَعناها المُتعارف اليومَ حتى طغَتْ أو كادَتْ على لفظة مُعجَم.

وعندما ألّف سَعيد الشرتوني «أقرب الموارد» عام ١٨٩٠ أثبتَ فيه المعنى المولَّدَ– فقال: القاموس: البَحْر، والقاموسُ: كتاب الفيروزآبادي في اللغة العربية لَقّبه بالقاموس المحيط؛ ويُطلقُه أهلُ زمانِنا على كلِّ كتابٍ في اللغة، فهو يُرادفُ عندَهم كلمةَ مُعجم. وبلَغ من شيوع اللفظة أنّك لو تطلبُ المدخَل «مُعجم» في الموسوعة العربية المُيسَّرة، الصادرة عام ١٩٥٩، فلنْ تجِدَ مقابلَ اللفظة إلاّ

الإحالة– أُنظر: قاموس! وقد أقرَّ مجمعُ اللغة العربية هذا المَفهوم في المعجم الوسيط في طَبعاته الثلاث منذ ١٩٦٢ حيث يقول:

القاموس البَحْرُ العظيم، والقاموس علَمٌ على مُعجم الفيروزآبادي وكُلِّ مُعجمٍ لُغَويٍّ على التوسُّع.

واللافتُ أن علماءَ العربية الذين دَوَّنوا مفرداتِ اللغة وشرحوها في مؤلفاتهم لم يَستخدموا لها لفظةَ «معجم» بل حَرَصُوا على تسمِيتها بأسماءٍ مختلفة.

بدءاً بكتاب :

العين – للخليل بن أحمد الفراهيدي –٧٨٦م.

ثم الجَمهرة – لابن دُريد – ٩٣٣م.

وديوان الأدب – للفارابي – ٩٦١م.

وتهذيب اللغة – للأزهري – ٩٨١م.

والصِّحاح – للجوهري – ١٠٠٣م.

والمُجمل والمقاييس – لابن فارس – ١٠٠٤م.

والمُحكم والمُخصَّص – لابن سيده – ١٠٦٦م.

وأساس البلاغة – للزَّمَخشري – ١١٤٤م.

والعُباب – للصاغاني – ١٢٥٢م.

ولسان العرب – لابن منظور – ١٣١١م.

والمصباح المُنير – للفيومي – ١٣٦٨م.

والقاموس المحيط – للفيروزآبادي ١٤١٥م.

وباب الإعراب في لغة الأعراب – لجرمانوس فرحات – ١٧٣٢م

وتاج العروس – للزَّبيدي – ١٧٩٠م.

وحديثاً:

محيط المحيط — لبُطرس البستاني — ١٨٨٣.

وأقرب الموارد — لسعيد الشرتوني _ ١٩١٢.

والبُستان — لعبد الله البستاني — ١٩٣٠.

والمُنجد — للويس المعلوف — ١٩٤٦.

ومتْن اللغة — لأحمد رضا — ١٩٥٣.

والهادي — لحَسَن الكرمي أطال الله عمره.

والكافي — لمحمد الباشا أطال الله عمره.

وفي المُقابل أُطلقَتْ لفظةُ «معجم» منذ القَرنْ العاشر الميلادي على العديد من المؤلَّفاتِ غيرِ اللغوية المُرتَّبةِ على حُروف المعجَم. مثل:

مُعجم الصحابة — لأبي يَعْلَى التميمي.

ومعجَمي الصحابة الكبيرِ والصغير — لأبي القاسم البغَوي.

ومعاجم الشيوخ.

ومعجم البلدان — لياقوت الحموي — ١٢٢٩.

ومعجم الأُدباء.

ومعجم الشعراء.

ومعجم الألقاب وغيرِها.

الحركة المعجمية العربية قديماً:

الحركةُ المعجميّة العربية بدأتْ في مُنتَصف القرن الأوّلِ للهجرة (أواخر القَرنِ السابعِ الميلادي) وكانت غايتُها أساساً تفسيرَ غريب القرآن، وتالياً تفسيرَ غريبِ الحديث، ولاحقاً تفسيرَ غريب الشّعر وجمعَ النوادِر.

والنوادرُ هنا ليسَتِ القِصَص التي يُتندَّر بها – بل الأشياءُ ذاتُ العَلاقةِ المتصِلُ بعضُها ببعض.

مثلاً الشِّبْر:	المَدى من طَرَف الإبهام إلى طرفِ الخِنْصر.
والفِتْر:	المدى من طرف الإبهام إلى طرف السبَّابة.
ثمَّ الرَّتَب:	ما بين السَّبابةِ والوُسطى.
والعَتَب:	ما بين الوُسطى والبِنْصَر.
والوَصْم:	ما بين البِنْصَر والخِنْصَر.
والفَوت:	هو إجمالاً أيٌّ من ثلاثتها – أي المدى ما بين إصبعَين.

أو مثلاً في الإبل:

السَّليل ولدُ الناقة حين تضَعُه، وهو السَّقْبُ إن كان ذكراً، والراشِحُ إذا قويَ ومشى، والتّلوُ إذا فُطِم، والحُوار حتَّى يُفْصَل عن أمِّه والفَصيلُ حين يُفصَل عن أُمه، والحِقّ والقَعود إذا استحَقَّ أن يُركبَ ويُحْمَلَ عليه، والجذَع إذا بلغَ الخامسةَ من عُمره، والثَّني في السادسة من عُمره، والأنثى قَلُوص، والرَّباع في السابعة، والسَّدَس في الثامنة، والبازِل في التاسعة ثم القَهْب. وإذا أسنَّ فهو العَود وهو جَمَلٌ أو بَعيرٌ في المَراحِلِ الخَمْسِ الأخيرة.

لكنْ مع اختلاطِ العَرب بالأعاجم وغيرهم من المُسلمين، أخذ القَلِقون على اللغة يَجمعون مُفرداتِها من أفواه الناس قبلَ أن يُفسِدَها ذلك الاختلاط.

وقد بدأتْ عملياتُ الجَمْع والتدوين عن طريق جَمْع الألفاظِ التي تدورُ حول مَوضوعٍ واحد – فألَّف بعضُهم رسائلَ

في الإنسان وما يتَّصلُ به،

في الحيوان من إبلٍ وغَنَمٍ وخيلٍ وطَيرٍ،

وفي النباتِ والمطَرِ والسَّحاب واللبن والكَرْم والنَّخل والنَّحْل والعَسل والذُّباب وخصائصِ البشر.

ثُمَّ في البيئة العربيّة ومَعالمها، مثل جبالِ العرب ومياهِ العرب وأسواقِ العرب ودارات العرب وغيرِها.

وهو في الواقع ما سبَق للمُعجَميِّين قبلَ العرب من صينيِّين وأشوريين ويُونانٍ أن قاموا به.

لكنَّ العربَ مع استمرار هذا النَّهج، بل ومُرافقاً له، تجاوزوا مرحلةَ كُتبِ الألفاظ في المواضيع، إلى فكرةِ المعجم الشاملِ الذي يستغرِقُ اللغةَ – بدءاً بكتاب العَيْن للخليل بن أحمد الفراهيدي الأزْدي (–٧٨٦) ثم كتاب الجيم (الذي لم يكتمِلْ) لأبي عَمرو إسحاق الشَّيباني المَروي (–٨٢١)، اللذين توالَت بعدَهما المعجماتُ على اختلاف نُسُقِها ومناهجها.

وقد تميَّزت عملياتُ التدوين منذ بداياتِها بالتشدُّد في صَفاء العربية من حيثُ الفصاحةُ والصِّحةُ والنَّقاء، فاعتمدَ الجامعون أساسَيْن لذلك:

أحدُهما زمانيٌّ حصَرَ التدوينَ في ما قِيل أو سُمعَ وحُفِظ من أدَب الجاهليةِ وصَدْرِ الإسلام.

وثانيهما مَكانيٌّ حصرَ الجمْعَ في ما نطقَتْ به البَدْوُ دونَ الحضَر، بل ما نطقَتْ به قبائلُ مُعيَّنةٌ ظلّت في تقدير الجامعين بعيدةً عن التأثُّر بالأعاجم. فلَم يُؤخَذْ من قُضاعةَ وغسّان وإيادٍ لِمُجاوَرتهم أهلَ الشام، ولا منْ عبدِ قيْسٍ لُمخالطتهم الهنودَ، ولا من ثَقيف وأهلِ الطائف لُمخالطتهم تُجّارَ اليَمن مُخالطي الأحباش.

وإن كان الخَليلُ رائدُ المعجمية العربية قد استَشْهد أحياناً بالمولَّدين الفُصحاء العالِمين باللغة، فإنّ مُعاصِريه، ومن جاؤوا بعده، لم يفعلوا ذلك. فالأزهري (– ٩٨١م) صاحبُ تهذيب اللغة يقول «ولم أُودِعْ كتابيَ هذا من كلام العرب إلا ما صَحَّ لي سَماعاً منهُم أو روايةً عن ثِقَة، أو حكايةً عن خَطِّ ذي مَعرفةٍ اقترنَتْ إليها مَعرفتي».

وابن دُرَيد (– ٩٣٣) صاحبُ الجَمْهرة يقول في فاتحَته «وإنما أعَرْناه هذا الاسمَ لأنّا اختَرْنا له الجُمهورَ (أي الرفيعَ السّامي والكريمَ) من كلام العرب».

والجَوهري (– ١٠٠٣) يقول إنه سمَّى مُعجمه الصِّحاح لأنه «ألزمَ نفسَه بما صَحَّ عنده، روايةً ودِرايةً وسَماعاً ومشافَهةً من أصحاب اللغة الأصلاء».

وقد نسخَتْ معاجم المُتأخِّرين، حتى أغناها، مثل:

لسان العرب لابن منظور (– ١٣١١).

والقاموس المحيط للفيروزآبادي (– ١٤١٥).

وتاج العروس لمرتضى الزَّبيدي (– ١٧٩٠) على نسقِ معاجم السابقين مُتجاهلةً الكثيرَ الكثير من ألفاظ المَظاهر الحياتيةِ والحضاريةِ والعلميةِ التي سَرت على ألسنةِ علماءَ كبارٍ في الطبِّ والنباتِ والرياضيات والفلَك والتاريخ والجغرافية.

وقد علّق المُستشرق الألماني الشهير أوغَست فيشر على هذه الناحية بقوله: «إن المُعجمات التي صنّفها العربُ لم تجْمع كُلّ كلماتِ اللغة العربية، بل جمعت الفصيحَ منها فقط».

ثم يُضيف «إن مُنتهَى الكمال لمُعجم عصريٍّ هو أن يكون مُعجماً تاريخيّاً يحوي كُلَّ كلمةٍ تُدوولَتْ في اللغة – إذْ إن الكلمات المتداولَة في لُغة مّا لها حُقوقٌ مُتساويةٌ فيها. لكنّ المعجماتِ العربيةَ بعيدةٌ كُلَّ البُعد عن وُجهةِ النظرِ هذه».

ألا يفاجئكم مثلاً أن لفظةَ الجَبْر بمعناها الرِّياضي التي أخذ الغرب اسمَ ذلك العِلمَ منها غيرُ واردةٍ بهذا المعنى لا في لسان العرب ولا في القاموس المحيط ولا حتى في تاج العروس – مع أن كتاب «الجبر والمقابلة» للخوارزمي (محمد ابن موسى – ٨٤٩) كانَ معروفاً أواسطَ القرنِ التاسعِ الميلادي، ونُقلَ إلى اللاتينية حوالى القَرْن الحادي عشَر!.

كما إن أساتذة مدرسة الطب في قَصر العيْني التي ظلّت تُدرِّسُ الطبَّ بالعربية قُرابةَ سَبعينَ عاماً عرَّبوا لفظةَ پـريتونيوم بلَفظة «پريتون». وجاءنا مُترجمو عصر النهضة بالألفاظ هِلْب وخِلْب وهُرْب، ثم اكتشفوا أن المُرادفَ اللاتيني Siphac المعروف في الغرب طوالَ عُهود تدريس الطبِّ في كتاب القانون المُترجَم إلى اللاتينية هو الصِّفاق – لَفظٌ عَربيٌّ مُتْقَن.

لكن ذلك لا يُقَلِّلُ من حقيقة أن ما أنتجتهُ الحركةُ المعجميةُ في تلك الفترة يشهد بالتفوقِ العربي المُعجمي في وقتٍ لم يكنْ مثلُ هذه الأعمال معروفاً في العالَمِ الغربي.

يقول الأُستاذ جون هيوود أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة دِرام (دِرهام) البريطانية في كتابه «المُعجمية العربية»[1].

«المعجم العربي منذ نشأته كان يهدفُ إلى تسجيل المادة اللغوية بطريقة مُنَظَّمة. وهو بهذا يختلفُ عن كُلِّ المعاجم الأُولى للأُمم الأُخرى، التي كان هدفُها شَرْحَ الكلماتِ النادرة أو الصعبة».

ويُضيف الأستاذ هيوود «لو أنَّ عربيّاً من القرن الخامسَ عشَرَ عبَرَ الزمنَ إلى بريطانيا في القَرن العشرين، لما كان يستغربُ رؤيةَ مُعجم أكسفورد في مُجلَّداته الاثني عشَرَ على رفوف المكاتب. فقد كان لدى العَرب في أواخرِ العُصُورِ الوُسطى معجمٌ هو القاموس المحيط أصبحَ اسْمُه علماً على المعاجم. وقبل انتشار الطباعة كانت نُسَخُ هذا المُعجَم تُعدُّ بالآلاف».

ويُتابعُ الأستاذ هيوود «كما كان لدى العَرب معجمٌ جامعٌ شامل هو لِسان العرب، فاق كُلَّ ما أُلِّف من مَعاجمَ في أيِّ لُغَةٍ قبل القرن التاسِعَ عشَر دِقةً وشُمولاً».

الحركة المعجمية العربية حديثاً:

يرتبطُ تاريخُ المعجم العربي الحديث وتطوّرُه بتاريخ النهضةِ العَربيةِ الحديثة أوائلَ القرنِ التاسِعَ عشر.

وقد كانَتْ أعمالُ المُستَشرقين، من أمثال دي سْلان الفرنسي وفريتاغ وفلُوغل وفيشَر الألمان ودُوزي الهولَندي ولِينَ البريطاني، وما اتسمَتْ به هذه

(1) John Heywood ((Arab Lexicography)) Leiden 1960.

الأعمالُ من حيثُ المنهجيةُ العلميةُ – في البحثِ والتحقيقِ والتدقيقِ والفَهرسة ومُراجعة الأصول وحُسن العرض، قُدْوةً حسَنةً للرُّوّاد من المُعجميين العرب المُجَدِّدين أمثال بُطرس البستاني وسعيد الشرتوني وأحمد فارس الشدياق ولويس المعلوف، والمُحافظين أمثال ناصيف اليازجي وحَمْزَة فَتْحَ الله وعبد الله المُبارك.

لقد خدمَتْ مدرستا المُجدِّدين والمُحافظين، كلتاهُما، المُعْجَمَ العربيَّ بطُرقها الخاصَّة ووسائِلها. فكانَ من فَضْل المُحافظين طَبْعُ أو تَشجيعُ طَبْعِ المعاجِم العربية القديمة. فصدرَ من هذه المعاجم:

مُختار الصحاح ١٨٧٠، والقاموس المحيط ١٨٧٢، وأساسُ البلاغة ١٨٨٢، وتاجُ العروس ١٨٨٩.

فيما عَمَدَ المُجَدِّدون إلى تَحديث المعاجم القديمة وترتيبها في تآليفَ جديدةٍ تتماشى مع المَفهوم الحضاريّ العَصري – فكان لنا:

محيطُ المحيط ١٨٦٩ وقطره ١٨٧٠،

والجاسوس على القاموس ١٨٨١، وأقربُ الموارد ١٨٩٣.

وتلاها في القَرن العشرين معاجمُ عِدَّة نذكرُ منها:

المُنجد والبُستانَ ومتنَ اللغة والرائد والقاموس الجديد والمعجم العربي الحديث (لاروس)، والمعجم الوسيط والوَجيز والكافي والهادي وسواها.

ولَعلَّ المُعجمَ العربيَّ الحديثَ يتمثَّلُ خيْرَ تمثيلٍ بثلاثةٍ من هذه المعاجم محيط المحيط، والمنجد، والوَسيط.

وثلاثتُها تعتمِدُ الترتيبَ الألفبائيَّ باعتبار أوائل الألفاظ، فَتوانيها مجردةً– كما فعل الزمَخشري والفيُّومي. ويتميز محيطُ المحيط بإضافته ثروةً من المُفردات والتعابير للمُعاصرة والدارِجة والمولَّدة التي أهملَها جامعو المَعاجم العربية، كما

ضمَّنه الكثيرَ من الفوائد والشوارِد واصطلاحات العلوم والفنون التي وَفَّرتْها ثقافةُ المعلّم بُطرس الموسوعية.

المُنجد اهتمَّ بالترتيب والشَّكل والإخراج بحيثُ تبدو فيه تقنّياتُ المعاجم الغربيّةِ الحديثةِ من تقسيماتٍ وصُور ولَوحاتٍ ومَلاحق.

وفي العام ١٩٦٠ صدرَ المُعجم الوسيط فاسحاً المجالَ لألفاظ الحضارة في الحياة العامة والمُصطلحات في مختلف العلوم مُعَزَّزاً بسُلطة مجمَع اللغة العربية في القاهرة وبنَجاحٍ مُتفاوتِ الدرجاتِ في مُجاراة المعاجم الجديدةِ من حيث ترتيبُ عناصرِ المادةِ اللغويةِ والاستعانةُ بالرُّسوم والصورِ التوضيحية.

وأُعتبرُ من أهَم ميزاتِ الوَسيطِ أنه مع التزامِه الترتيبَ الألفبائيَّ تبعاً لأصول الكلمات فإنه أدرجَ الكثيرَ من الألفاظ التي قد يُشكِلُ تجريدُها من الزوائد وإعادتُها إلى جَذرها الأصليّ حسَب نُطقها – مُحالةً إلى مادة الجَذْر، مثلاً مَحارة تردُ في باب الميم مُحالةً إلى حَور، وثقة ترِد في باب الثاء محالةً إلى وَثق، وميناء محالةً إلى وَنَى.

ولو أنه توسع في هذا النطاق مثل إيراد سنة مُحالةً إلى وَسَن، واتجاه محالةً إلى وَجه، ومسافة إلى سَوف – لتذليل صعوبة البَحث عن الألفاظ المُشكلة التصريف بمدًى أُقَدِّر أنه ما كان ليزيدَ على عَشْرةٍ في المئة من حجمه، لقَطَع الطريقَ على الفَصْميِّين المُنادين بالترتيب النُّطْقي مُدرجينَ مَزيداتِ الكلمة مُشتَّتةً عن جَذْرها مُضَحِّين بالترابُط اللغوي العُضوي الذي هو سِرُّ جمال العربية وسِحرِها وبَلاغتِها بحُجَّة التبسيط والتيسير.

القواميسُ علمٌ وفنّ:

مُشكلتي مع القواميس أنها تَستحْوذُني – هكذا تقول زَوجتي. فالقواميس هي شُغلِيَ الشاغِلُ ليسَ كمادةِ عملٍ فقط بل كهِوايةٍ أيضاً – كمادّةِ قراءةٍ فيها ومنها وعنّها، للفائدة أحياناً ولِلتسلية أحياناً. ومن هذا المنطلق أُريد أن أشركَكُم معي في بعض التعليقات عن موضوع «القواميس علمٌ وفَنّ» أو بالأحرى على نواحٍ علميّةٍ وتقْنية لافتة في بَعْض، بل مُعظَمِ، قواميسنا المعروفة.

قرأتُ في ما قرأت مَقولةً لأحدهم مُفادُها أن المعجمَ العربيَّ الحديث – جذورَه وجِذْعَه وساقَه وأغصانَه وفروعَه والكثيرَ جداً من أوراقه وزهرِه عتيقٌ قديم؛ وأن جوَّ البادية والمضارب يفوحُ منه عند تصفُّحه. ولعَلَّ في هذا شيئاً من الصِّحَّة يزيدُ أوْ يقِلُّ تبعاً للمعجم موضوعِ البحث.

يقول صاحب أحد المعاجم الحديثة[٢]، «واحتفظتُ بالكثير من الشروح المتعارف عليها في المعاجم المختلفة: فلم أرَ حَرجاً في إثباتِ ما أثبتَتْهُ المعاجمُ القديمة وما نقلَتْهُ عنها معاجمُ القرن التاسعَ عشرَ وتابَعتْها عليه المعاجمُ في القرن العشرين».

ونحن طبعاً لا نرى ضَيْراً في ذلك – شرطَ أن يَعرضَ علينا مُحرِّرو المُعجم المادةَ، في كُلِّ سَطْرٍ منها، بمَفهومِها العصريِّ والعِلمي الجديدين. كما يقول الأستاذ فيليب غوف محرر معجم وبستر الدولي الثالث. فلا يُعطونا المسافات بالفَراسِخ؛ مثلاً :

---

(٢) صاحب الرائد الأستاذ جبران مسعود.

(برَدى): نهر دمشق الأعظم، يخرج من قرية الزّبداني على خمسة فراسخ من دِمشق؛ أو (بَدْر): وادٍ يقع بين مكةَ والمدينة، على ٢٨ فرسخاً من المدينة.

ولا يضبُطون لنا الكلمات بالعبارة مثلاً: (البُرَداء) ككُرماء: الحمّى الباردة — أو مُلْغَم، وِزان مُعْجَم: مزيجُ فلزٍّ بالزئبق.

وبحيث لا تتّسم تلك الشروحُ والتعريفاتُ بالزَّعم والأوهام وبَقايا الأساطير التي إن كان لها ما يُبرِّرُها عند الخليلِ والأصمعي وأبي زيدٍ الأنصاري قبل ألفِ عامٍ أو يزيدُ، فليس لها ما يُبرِّرها اليوم.

لاحظوا يا سادتي الأمثلة التالية — من حيث علميّةُ الوضع، وعلميَّةُ التحرير في محاولة تعديلها في طبعاتٍ تالية:

في تعريف الكوكب زُحَل، في الطبعة الأولى للمعجم الوسيط قيل: زُحَلُ أعظمُ الكواكب السيّارةِ وأبعدُها في النظام الشمسي.

هذا التّعريف فقدَ مُقوّماته منذُ قَرنين وعَقْدَين من السِّنين باكتشافِ وِلْيم هرشِل الكوكبَ أورانوس سابعَ الكواكب التّسعة المعروفة حالياً. وقد انتقل هذا التعريف من هذه الطبعةِ إلى بعض المعاجم الجديدة كالرائد والمعجم العربي الحديث (لاروس) والمُعجم الوجيز.

ثُمّ في الطبعة الثانية من المعجم الوسيط حُذفَ جُزءٌ من التعريف، واكتَفى المُعجَمُ بالقول: زُحَلُ أبعدُ الكواكب السيّارة في النظام الشمسي؛ وفي الأساطير الإغريقية كبيرُ الآلهة.

وَفي الطبعة الثالثة جاءنا الوَسيط بتعريفٍ يتجاوَزُ العُرفَ المُعجمي إلى العُرف الموسوعي يقول فيه: زُحَل (في علم الفَلك) ثانيَ كواكب المجموعة الشمسية حَجْماً بعْدَ المُشتري وسادِسُها بُعداً عن الشمس، يَتفردُ بثلاثِ

حلَقاتٍ من الأجرام الصغيرة تدورُ حول خَطٍّ استوائه، أشَدُّها لمعاناً الحلقةُ الوُسطى؛ وله عَشرَةُ أقمارٍ تدور حوله خارجَ تلك الحلقات، وعرَفه القدماءُ وظَلُّوا يحسَبونه أبعدَ الكواكب السيارة عن الأرض حتى اكتُشف أورانوس. وفي الأساطير: ربُّ الغَرس والحَصاد عند الرُّومان، ويقابلُه في الأساطير الإغريقية كرونوس. وفي كيمياء القُدماء، يُقابل، من المعادن، الرَّصاص. وعند المنَجِّمين يُقابلُ النَّحْسَ والشؤمَ والكآبةَ والانقباض.

وسأعود إلى موضوع التعريفات الموسوعية لاحقاً لأُتابعَ هنا موضوع علمية الوضع وعلمية التحرير.

وفي الطبعة الأولى من المُعجم الوسيط قيل في تعريف الزَّبابة: جنسُ حيوان من الحشَريات، وهي في قَدِّ الفأرة، تكثُر في أوربا الشمالية.

في الطبعة الثانية والثالثة، المُراجعون لم تعجبْهُم لفظَة الحشرِيّات فقالوا: جنسٌ من الحشَرات يكثُر في أوربا الشمالية. وهو خطأٌ بيولوجيٌّ واضح. فالزبابةُ في الواقع حيوانٌ لَبُون (من الثدييّات)، من آكلاتِ الحشرات. وهذا ما كان عناه التعريفُ في الطبعةِ الأولى بقوله من «الحشَرِيّات». وهو ليسَ خطأً! الخَطأُ هو ما وَرَدَ في محاولة التصحيح في الطبعتين الثانية والثالثة.

في محيط المحيط وغيرِه من المَعاجم يُعَرَّفُ السَّمَنْدل بأنه طائر بالهند لا يحترقُ بالنار. ويَزيدُ الوَسيط على هذا التعريف «فيما زعموا».

وفي مادة «قَمل» يقول محيط المحيط: القَملُ دُوَيبَةٌ تَتَولَّدُ من الوسَخ والعَرَق في بدَن الإنسان إذا علاه ثوبٌ أو شَعر.

والوسيطُ لا يختلفُ في تعريفه كثيراً إذْ يقول «القملةُ حشرةٌ تتولد على البَدن عند دَفْعه العُفونةَ إلى الخارج». وكلا التعريفين يَعود بنا إلى نظريّة التولُّد التَّلقائي abiogenesis وعِلْم ما قبْلَ پـاستير.

في بروفـات المُعجم الكبير الذي يُعرض علينا أجزاءً منه في مؤتمرات المجمع يردُ في مادة حيق «وحَيّق بلدٌ باليَمن... وقيل جبَل محيطٌ بالدنيا» ثم يليه – وجبَل الحَيّق: قال أبو عبيدة: جبلٌ قاف الحائق بالدنيا الذي قد حاق بها أي قد أحاط بها».

وهذا كلامٌ إن جازَ في أيام أبي عبيدةَ فلا مجالَ لتكراره اليومَ في معجمنا المستقبلي – معجم العُقود التوالي التي نأملُ ألاّ تطول!

أحياناً عدمُ الدِّقة في الأداء، سببَهُ عدمُ الدقة في الترجمة. مثلاً في مادة «السيف» يقول المعجم الوسيط في طبعاته الثلاث: السيفُ نوع من الأسلحة مَعروف، والسيفُ سمكةٌ على هيئة السيف.

سمكة السَّيف تَرجمة عن swordfish. لكن تعريف هذا المدخل في مَراجعه العلمية لا يقول بذلك – لا بالشرح ولا بالصورة. فمعجم Oxford مثلاً يقول ما ترجمتُه: هي سمكةٌ بحريةٌ كبيرة ذاتُ منقارٍ كالسَّيفِ ناتجٍ عن استِطالة عِظام الفَكِّ العُلْوي؛ ويورد صورةً تُوَضِّح ذلك بالتمام والكمال. فالسَّمكة ليسَتْ على هيئة السَّيف – ترجمةً حرفية لِـ swordfish – إنما هي ذاتُ مِنقارٍ على هيئة السَّيف.

في مادة «رهب» يقول المُعجم الوسيط: الرُّهاب (رُهاب الاحتِجاز) في الطبِّ الباطني، هو خوفٌ مَرضي من الوُجود في مَنـــزِلٍ أو مكانٍ منعزل بين أربعةِ جدران.

والواقع أن الرُّهاب هو phobia: هلَعٌ مرضي من شيءٍ مُعيَّنٍ ليس ممّا يُسبِّب الخوفَ عادةً. أما رُهاب الاحتجاز المُعرَّف هنا فهو claustrophobia. وموضوعُ الرُّهاب هو من اختصاص الطِّبِّ النفسي psychiatry وليس من اختصاص الطِّبِّ الباطني internal medicine.

في مادة «زجَج» يقول الوسيط: الزُّجاجةُ هي القطعة من الزجاج، وهي زجاجة الساعة في علم الطبيعة: قطعة مستديرة مقعرة يوزن بها أو يوضع بها بعض المواد الكيماوية.

نعم زجاجة الساعة هي غطاء الساعة الزجاجي – Watchglass –: transparent cover for the face of a watch غطاء شفاف يحمي وجهَ الساعة. لكن التعريف المَعنيَّ هنا هو معنىً آخر – نصُّه بالإنكليزية هو: A small circular flat-bottomed dish of thick glass with shallow depression used in biology (as for staining, culturing & various phases of microtechnic).

فالمفروض هنا هو watchglass من watch بمعنى مراقبة، وليس من watch بمعنى ساعة.

وإذا شئتُ الاستطراد في سياق عدم الدقة في الترجمة كسبَب لعدم الدقة في الأداء في المعاجم الثنائية اللغة إنكليزي – عربي مثلاً، فإن الأمثلة تَصْدِمُني دوماً بحُكْم عملي وقراءاتي في معاجمَ تضَعُ مصطلحاتٍ عربيةً لمصطلحات أجنبيَّة مُعرَّبة. اختار بعضها من معجم علمي موسوعي ضخم صدر في أربعة أجزاء أواخر القرن الماضي.

مثلاً في شرح مَفهوم smoothing في مصطلح inductive filter قيل: مُرَشِّحٌ لصَقْل التيار المستمرّ – فيما smoothing في هذا السياق تعني هنا تَسليس أي تقليل الارتجاج والترجّح.

وفي شرح مفهوم fusion في مصطلح controlled fusion قيل «انصهارٌ مضبوطٌ».

وهو في هذا السياق النووي اندماجٌ مُتحَكَّم فيه. وشتّان ما بين انصهار واندماج.

وفي مفهوم investment في مصطلح investment casting يقولُ المعجمُ إيّاه «صَبّ استثماري». فيما هذا النوع من الصبّ هو صبٌّ إحداقي أو كُسوي يُصَبُّ فيه القالَبُ شمعاً، ويُكسى النموذج الشمعي بطبقة من الطين صامدة للحرارة، ثُمَّ يُفرَغُ الشمعُ المصهور، ويُصبُّ المعدنُ الفلزّي مَكانه. واللفظ الفرنسي cir perdue لهذا المفهوم مؤنْكلَز.

لفظ investment هنا لا يحمل المعنى المالي «استثمار» بل يحمل المعنى الكُسْوي أو الإحداقي أو التغليفي.

في الحساب البسيط يوردُ الوَسيطُ في طبعاته الثلاث خطأً رياضيّاً حيث يقول في تعريف الجذر:

جَذر العدد (في الحساب): العددُ الذي يُضرَب في نَفْسِه أو في إحدى قواه فينتُج ذلك العدد. فجذْر مئة: عشرةٌ؛ وجذْر خمسة وعشرين: خمسَة —

إلى هنا ما قيل صحيح. لكن المعجم يضيف «وجَذر خمسةٍ مرفوعاً إلى قوّته الثانية: مئة وخمسة وعشرون».

والصواب أن جذر خمسة مرفوعاً إلى قوته الثانية هو خمسة فقط ٥=^{٢}(√٥)

وفي الفيزياء تقرأ في معاجمنا:

الجاذبية: الحالة التي يَجذبُ بها صاحبُها غيرَه،

والمغنطيسية: قُوَّةُ تجاذب الأجسام عند دَلكِها وفَرْكها.

يعني إذا دَلَكْتَ الزجاج بالحرير، أو شمع الختم بالصوف، يُفْتَرض أن يتولّد لدَيك مِغنطيسية. والمعروف أن ما يتولّد لدَينا هو كهربائيةٌ ساكِنة موجبة في الحالة الأولى، وسالِبة في الحالة الثانية.

أمّا لتوليد مِغنطيسية، فالشَّرطُ هو دَلْكُ مادة قابلة للمَغْنَطَة كالحديد، وليس الذهب أو النحاس أو الألومنيوم مثلاً، بأحَد قُطبي مِغنطيسٍ قوي.

وإن شئتم أمثلةً أُخرى، ومن معجمٍ أحدثَ عهداً من الوَسيط، فقد قرأت:

الضوء (النور): تموّجاتٌ مغنطيسية تُعين على رؤيةِ الأشياء.

والكُساح: داءٌ يُصيب الجِمال فتَعرُج منه.

والضوء كما هو معروف تموّجات كهرمغنطيسية — كهربائية مغنطيسية ليس magnetic بل electromagnetic. وتعرفون أيضاً أن أطفالاً كثيرين في بيئاتنا الفَقيرة يشكُونَ من الكُساح.

القواميسُ عِلمٌ، وهي تِقانةٌ وفَنٌّ أيضاً:

من بسائط التقانة المـُعجمية، أن المعجمَ حين يُعالِجُ مَدخلاً لا يُغفِلُ مثيلاتِه أو مُكمِّلاتِه أو نظائرَه.

مثلاً المُنجد في مادة «جَوف» يورد مُصطلحَ الأجوف كتصنيف صَرفيٍّ للفعل في مَدخلٍ مُستقِلٍ يُعرِّفه بقَوله:

الأجوفُ من الأفعال هو الذي عَيْنُه حرفُ عِلّة؛ ويكون واويّاً مثل «قال»، أو يائياً مثل باع.

لكنك لا تجدُ في مادة «مثل» ذِكراً للمثال الذي فاؤه حَرفُ عِلّة، ولا في مادة «نقص» ذِكراً للناقصِ الذي لامُه حرفُ عِلّة؛ وهما التصنيفانِ النظيران المُكمِّلان.

في المُعجم الوسيط تجدُ مَدخلاً للكوكب أورانوس يُعرِّفه بأنه أحدُ كواكب المجموعةِ الشمسيّة التِّسعة؛ وهو أوّلُ كوكبٍ اكتُشِفَ في العصر الحديث يدورُ حول الشمس مرّةً كلَّ أربعٍ وثمانين سنة. لكنَّه في طبعاته الثلاث يُغفِلُ نبتون وبلُوتو – الكوكَبين الثامنَ والتاسعَ في تلك المجموعة.

وهو في مادة «سلَب» يُورِد كلَّ المفاهيمِ للَفْظة سالب – اللُّغويَّ منها والرِّياضيَّ والكيماوي في مجالات التصوير الفوتوغرافي، والفيزيائي في مَجالِ الشّحنات الكهربائية، والبيولوجي في تَصْنيفِ البكتريا.

لكن في مادة «وجَب» لا تجدُ مقابلَ المَدخل «مُوجِب» سوى أنَّ الموجب هو أحدُ أسماء المُحرَّم (شهرِ مُحرَّم أولِ الشهور العربية) في الجاهلية.

المُعجم العربي الحديث (لاروس) يوردُ في مادة «جيب» المفهومَ الرياضي: الجَيْب وجيبَ التمام؛ وفي مادة «قطع» القاطِع وقاطع التمام.

لكنه في باب الظاء يُغْفِلُ الظِّلَّ وظِلَّ التمام، وهما كما يعلم العارفون على قَدْرٍ مُكافئٍ من الأهمية في عِلم المثلثات.

والمُعجمُ نفسُه يورد من الكواكب عُطاردَ والزُّهرَةَ والأرض والمرِّيخ والمُشتري وزُحَل؛ ويُغفِل أورانوس ونبتون وبلوتو. ولعلّه في هذا التعريف يتناغَمُ مع تَعريفه العِلمي للكوكب «زُحَل» – المَنقول عن الطبعة الأولى للوسيط – كأعظَمِ السيّارات وأبعدها في النظام الشمسي.

ومن بسائط التّقانة المُعجميّة أن يَلْتزمَ القاموسُ شَكلاً واحداً للَفظ الذي يُعالجُه كمَدخلٍ أو كلفظة في مادة الشرح، باعتبار أن القاموسَ هو مَرجعٌ في المَبنى، كما في المَعنى. لكنَّ هذا لا نجِدُه مُطبَّقاً دائماً في معاجمنا.

مثلاً الوسيط في طبعاته الأولى والثانية والثالثة يورد تِلفون وتِلفزيون دون ياء بعد اللام في مُوقعهما كمَدخلين. لكنه يورد تِليفون بالياء في شَرح هاتف، وتليفزيون بالياء في شَرح هوائي.

كذلك نجد في طبعات الوسيط الثلاث أيضاً:

أبريل في موقعه كمدخل بفتح الهمزة،

لكن إبريل بكَسرِ الهمزة في شرح المدخل نيسان.

وكذلك أُكسيجين في مَوقعه، وفي شَرْح أكسيد وإدرُجين وايدروجين، بياءَين – فيما تجده بياءٍ واحدة (أكسجين) في شرح مدخل «الماء».

ومثلُ هذا تجدُه في الكثير من معاجمنا.

ولا يُزعجُني في الواقع مُجَرَّدُ الاختِلاف في الكتابة إن كانَ تِلفزيون أو تليفزيون أو تيليفيزيون، ولا فسيولوجيا وفيزيولوجيا، ولا إدروجين في باب الألف وهدروجين في باب الهاء، ولا غلفانومتر في باب الغَين وكلفانومتر في باب الكاف، الذي يُغيظُني أن أجدَ كلا الشكلين في مَوقعَيْهما التَّرتيبي من المعجم مَشروحين ومُعَرَّفَيْن بتَعريفين مُتَباينين، وكأنك تَقرأُ في مُعجَمين مُختلفين!

مثلاً في المـُعجم العربي الحديث (لاروس) تقرأ في باب الغين – غلفانومتر: آلة لقياسِ شدة التيارات الكهربائية الخفيفة عن طريق مُلاحظة إبرةٍ مُمَغْنطة أو إطارٍ مُوصل مُتحرِّكٍ موضوعٍ بين ذِراعي مغنطيس.

وفي باب الكاف تقرأ – كَلفانومتر تقرأ: مقياسُ القوة الكهربائية أي شِدَّة التيّار!

وفي معجمٍ آخر تقرأ في باب الألف الإدروجين: غازٌ لا طعمَ له ولا لونَ ولا رائحة يتّحدُ مع الأكسجين فيتكوّن الماء، وفي باب الهاء، الهدروجين: غازٌ شديد الاحتراق عادمُ اللون والطّعمِ والرائحة يوجد في الماء وفي جميع المواد العُضْوِية، وزنُه الذّري ١,٠٠٨.

أو قد تقرأ في باب الفاء نَفْسِه مثلاً «فِسيولوجيا» بالسِّين: عِلم يبحث عن ظواهر الحياة في الأجسام الحيّة أي وظائِف أعضائها، و«فيزيولوجيا» بالزاي: علمُ وظائف الأعضاء في الحيوان والنبات.

وهذا كان يُمكن تلافيه بمُجرَّد إحالة شَرْحِ أحَد الشكلين إلى شَرحِ الشكل الآخر. ومثل هذه الإحالات حيث لزوميتها هي من التقانات المـُعجمية المـتُعارفة.

ومن بسائط التقنيات المـُعجميَّة كَفنّ، التمييزُ في المُعالجة بين ما يَصِحُّ في مَوسوعةٍ أو مُعجمٍ مُتخصِّص، وبين ما هو مُناسِبٌ في مُعجمٍ لُغويّ. ورُغْم عدم وُجود ضوابطَ لتحديد ذلك، فإن الحِسَّ السَّليـمَ (common sense بالإنكليزية)، أو ما يُسَمُّونه الحَصافة الفطرية، كفيلةٌ، على ما أعتقد، بتحديد ذلك.

أنا لا أعترض على الطابع الموسوعي للمعجم الحديث بل أُحَبِّذُه، ولا أفترض أبداً أن يقتصر المعجم على المادة اللغوية. فالمصطلحات في مختلَف ضروب المعرفة هي جُزءٌ مهم من اللغة. وفي شرحها بِيُسر وإيجاز خدمةٌ للباحث قد تُغنيه عن المراجع المُطوَّلة.

الطابَعُ الموسوعي هو من أساسيات التّقانة المعجميَّة اليوم – لكن بالحدود المعقولة التي تفترضُها الحصافة الفطرية.

قارنْ مثلاً بين ما يقولُه الوسيط في شَرح مادة الحديد –

(الحديد): عُنصرٌ فلزّيٌّ يجذبُه المغناطيس، يَصدأ، ومن صُوَره الحديدُ الزَّهر، والمطاوعُ، والصُّلب (ج) حدائد؛ وبين ما يقولُه القاموسُ نفسُه في شَرح مادة الرصاص –

(الرصاص): عنصرٌ فلزّي ليّن، وزنُه الذري ٢٠٧,٢١، وعدَدُه الذري ٨٢، وكثافته ١١,٣٤ (والصواب أن يُضاف إلى العدد غم/ سم٣، أو أن يُقال وزنُه النوعي لا كثافته) ، وينْصَهِرُ عند ٣٢٧م- مع ملاحظة غياب إشارة الدرجة وأن م ليست من المختصرات (الرموز) التي يذكر المُعجم أنها مُستخدَمةٌ فيه.

أو أن تقرأ في معجم حديث، كالكافي، مدخلاً مثل **ددت**، مع تعريف يقول: اسمُه العلمي دَيكلورو دَيفينيل تْرَيكلوريتات؛ وهو مادّة سامة شائعةُ الاستعمال الزّراعي والمَنـــزلي للقضاء على الحشرات، اكتشفَه العالِمُ السويسري مولَر سنة ١٩٣٣.

علماً أنّ هذا التعريف مَرفوض اليوم؛ فاستخدامُ **ددت** مَحظورٌ دَوليّاً. ومن المشاكِل القائمة حاليّاً مُشكلةُ التخلُّص من آلاف الأطنان من هذه المادة بشكلٍ لا يُضرُّ بالبيئة بَشَريّاً وحيَوانيّاً، حاضِراً ومُستقبلاً.

ثم لو يكونُ لمثل هذه المختصرات مُبَرِّرٌ حَصافي، لكان ينبغي إدراجُ ما هو أشهرُ وأهمُّ كثيراً – مثل ر ن أ، د ن أ، تي إن تي، وإتش آي في، ومئاتٍ غيرِها. الواقع، هنالك قواميسُ خاصةٌ لمثل هذه المُختَصرات!

كذلك لا أجدُ مُبَرِّراً لأن يتطَرَّقَ المُعجمُ اللُّغوي إلى مجالاتٍ لا يخطرُ ببالِ أيِّ مُراجع طلبُها فيه. فمثلاً أجدُ مَدخلاً مثل قانون جريشام في مادة

«جرش» معالجاً في «الوسيط»، بطبَعاته الثلاث، ومُعَرَّفاً بأنه قانونٌ في الاقتصاد السياسي يَنُصُّ على أن النقودَ الرديئةَ تطرُد النقودَ الجيِّدة من التداولُ — أجدُه خارجاً عن الصَّدد. فهنالك المئاتُ بل الآلافُ من القوانين المُرتَبطة بحياتنا اليومية، في مُختلف مجالات المَعرفة، أهمُّ بكثير وأشهَرُ بكثير من جريشام وقانونِه — مثل قوانين منْدل ونيوتُن وبويْل وأرخميدس وسواهم.

ويَلفتُني في هذا المجال تَعريفٌ لمادةَ «الكلب» في باب الثاء مُقابل المدخل «ثمثم» في الطبعتَين الأُولى والثانية من الوسيط. يقول التعريف:

«الثمثم هو الكلب — أو كلبُ الصيد — وكلاهما صنفان من نوع واحد من جنس الفصيلة الكلبيّة ورُتبة اللواحم. والكلبُ حيوان أليفٌ مشهورٌ بالذكاء وتعَلّقه بصاحِبه. وهو بطبيعَته من آكلاتِ اللحوم، ولكنّه يستطيعُ أن يستَبْدلَ بها الأغذيةَ النباتية. وهو لا يَجْمَع أظفارَه في أكمامٍ كما يفعَلُ السِّنّور. وتوجَدُ منه عِدةَ أصناف يختلفُ بعضُها عن البعضِ الآخرِ في الشكل والحَجم واللون».

وحسَناً فعَل ضابطو الطَّبعة الثالثة من المـُعجم الوسيط باختصار هذا التعريف إلى «الثّمْثَم هو الكلب أو كلب الصيد، وكلاهما صنفان من نوع واحد من جنس الفصيلة الكلبية من رتبة اللواحم من الثدييّات».

ولعلّ الحَلّ الأفضَلَ كان باختصار التعريف أكثرَ بِمَقولَة «الثمثم هو الكلب أو كلبُ الصيد» مع الإحالة: انظر: كلب — حيث يجدُ القارئُ ما نصُّه: الكلب حيوانٌ أهلي من الفصيلة الكلبية ورتبة اللواحم فيه سُلالات كثيرة تُرَبّى للحراسة أو للصَّيد أو للجَرّ.

وهو ما أجده كافياً ومناسباً في معجم لغويٍّ، بخاصة أنه لن يخطر ببال أي مراجع طلبُ معلومات عن الكلب في مادة ثمثم.

ومادُمنا في مجال الشرح والتعريف، فإني أضيف إلى بسائط التِّقانة المـُعجمية فنَّ اختيار كلمات الشرح دقةً وأُسلوباً، والتأكدَ أن كلمات التعريف واردةٌ أو مَشروحةٌ، ضِمْنَ ذلك المَفهوم، في مَوقعها في المـُعجم.

وأبدأ بمثلٍ بسيط حيثُ كلماتُ الشرح لا تَرِدُ في موقعها في المـُعجم.

المعجم الوسيط لا يذكُر البطاطا ولا البطاطسَ كمَدخل، لكنّه يستَشهدُ بها في مادة عُسقول حيث يرد:

العُسقول (في علم الزراعة) جزءٌ من ساقٍ نباتية أو من جَذرٍ نباتي يكون جاسِياً مُكتنِـزاً مُتَنفخاً، مُحتوياً على مواد غذائية مُختَزنة كالبَطاطس. وكان يجمُل به أن يذكُرَ البطاطس (أو البطاطا) كمَدخلٍ ويُحيل الشرح إلى مادة عُسقول.

أما حيثُ كلمات التعريف غير مَشروحة بذلك المَفهوم في موقعها من المـُعجم، فإلَيكُمْ تعريفَ الهَودج في المـُعجم نفسِه كأداة. فكيف مثلاً تتصورون أن يَفْهَم الولد تعريفَ الهَودج في المـُعجم الوسيط بأنه: أداةٌ ذات قُبّة توضَع على ظَهْر الجَمل لتركب فيها النِّساء. في حين يُعَرِّفُ المـُعجمُ نفسُه الأداة بأنّها: الآلةُ الصغيرة، و(في اصطلاح النحويين) هي اللفظةُ تُستَعْمَلُ للرَّبط بين الكلام أو للدلالة على معنًى في غيرها كالتعريف في الاسم أو الاستقبال في الفعل (ج) أدوات.

ربما يقولُ أحدٌ: السِّياقُ هنا يُساعد

فإليكم مثالاً من مُعجمٍ عربيٍّ حديث لا يُفيدُ فيه السِّياقُ ولا اللفظُ المُستخدم في شَرح المَفهوم – فهو في شرح المدخَل «وحيد المكافأة» يقول إنه:

عنْصُرٌ كيماوي تُساوي مُكافأتُه الوَحْدَةَ؛ وفي مادة «مكافأة» لا تجدُ لها تعريفاً سوى «مُقابلةِ الإحسان بمثله».

والمـُعجمُ نَفْسهُ يُعرِّفُ الكيلوغرام بأنه: ألف غرام. وفي مادة غرام تَجد: الغرام (بدون شَكْل): الوُلوعُ، والحُبُّ المُعذِّب، والهَلاك، ووحدةُ الوزن في طريقةِ القياس المِتري.

كذلك لا يجوز تعريف اللفظة بكلمة من أُسرَتها — كقول المعجم حَسُبَ الرجُل: صار حسيباً، والمِطالة: حِرفة المطّال، والمُكانس: المُلازِمُ الكِناس. والقُصعاء هي القاصعاء.

ولا بلفظ لعلّه أعسَرُ على الفهم من المَدخل — كقول المعاجم:

السَّبْسَب: هو المفازة، والجأب: هو المُغرة، والكِظّة هي البِطنة. والمقصورة هي الحجلة.

ولا بمـُرادفٍ أو نَقيض يُعيدُك إلى لفظ المدخل في موقعٍ آخَر، كقول المعاجم:

العُوذة: هي الرُّقية، والرُّقية: هي العوذة.

والمَعسور: خلاف الميسور، والمَيسور: ضدُّ المعسور.

والميمنة: ضِد المَيسرة، والمَيسرة: خلاف المَيْمَنة.

ومما نرغبُ رؤيتَه في معاجمنا اللغوية إيرادُ معلوماتٍ عن اللفظة أكثَرَ من مُرادفِها ونقيضِها وتفسيرِها — كأن يُشارَ ليس فقط إلى طبيعة الكلمة نفسِها، إن كانت من المُعرَّب أو المُوَلّد أو الدّخيل، بل أيضاً إلى مُستواها من حيثُ أنه استعمالٌ تأدُّبي أو رَسمي أو فصيحٌ أو عامّي أو نابٍ أو حُوشي أو مَهجور.

وفي حال الفِعْل أن يُشارَ إلى لزومه أو تَعَدِّيه، وإلى حروفِ الجَرِّ التي تَلْحَقُ به، وفي كثيرٍ من الحالات تُغَيِّرُ مَعناه مثل رغِب، ورغِب إلى، ورغب عن، ورغب بـــ، ورغب في.

وفي حال تَعدُّد المعاني أن تُرتَّبَ حسَب شيُوعها إن لم يكُن المعجمُ ذا تطلُّعٍ تأريخي – كأن يَرِدَ مثلاً في تفسير امتازَ معنى الامتياز والفَضْل على الغَيْر قبل مَعنى الانفصال والانعزال عن الغَيْر الذي تُقَدِّمُه مُعظمُ معجماتنا.

لا خِلاف في مجال تقنيات المعجم الحديث على أنّ الرسوم والصور وحتى الخرائط تُعَدُّ رُكناً هامّاً من أركان الفن المعجمي، فالصورةُ الجيدة تُغني عن مئة كلمة شرح، كما يقول الصِّينيُّون.

لكني ألحَظُ أنَّ الصُّورَ والرسوم التوضيحيَّة في المعجم العربي هي من النُّدْرَة والسَّطحية بحيْثُ لا تُحقِّقُ الغَرَض منها – لا الفنِّيَّ جمالاً، ولا الشَّرحَ الذي يُعَزِّزُ التعريفَ إيضاحاً، وأُمثِّلُ على ذلك بالمعجم الوسيط في طبعاته الثلاث.

فبعضُ الصور لا يُمكِنك معرفةُ كُنْهِه ما لم تقرأ الشرحَ لِتَستَنْتِجَ لِنَفْسِك ما يُمْكِنُ أن تكون كصور البسلّى والثُّوم والحِرباء، والخيزُران، والخِيار، والدُّف، والزنبرك ، والرَّباب، وحوتِ العنبر، والمِرجَل، والرئة، وسِواها.

عدا الكثيرَ من الصور التي أحسَنَ مُحرِّرو الطبعة الثانية والثالثة صُنْعاً بإلغائها إثرَ نَقدِ وردَ بعضُه في كلمة لِي حول الموضوع في مجمع اللغة العربية الأُردني في عمّان أوائلَ الثمانينيات من القَرن الماضي.

هذا وبينما هنالك مئاتٌ من الأدواتِ والمُسَمَّياتِ التي قد يحسُن إيضاحُها بالصُّوَر ولا صُورَ لها، هُنالك صُوَرٌ لأشياءَ مألوفةٍ جِداً ولا داعي لتصويرها كالبقرةِ والحِمار والعَنْز وقلم الرصاص.

وإنْ كانت المـُعجميَّة يا سادتي علماً وفنّاً، فإنها أيضاً واقعٌ حياتيٌّ يَخْضَعُ لسنَّة التطور والتوسُّع لاستيعاب ما جَدَّ من مفاهيمَ على تلك الألفاظ والتعابيرِ نفْسها.

فمثلاً لماذا لا نجد في المعجم الوسيط مُخابَرة بمفهوم مكالمة هاتفية،

ولا حيَويَّة بمعنى النشاط والعافية، أو حيَوي بمعنى بالغ الأهمية vital،

ولا مُضادّ حيَوي بمفهوم antibiotic (والمفهوم غير وارد أيضاً في مادة ضد) ولا تَجدُ مفهوم «الحياد» و«محايد» neutral بالمفهوم الكيماوي — بمعنى لا حامضي ولا قاعدي، ولا بالمفهوم الفيزيائي بمَعنى لا سالبَ ولا مُوجبَ الشِّحنة الكهربائية؟ فمفهوم الحياد يَقْتَصِر في المـُعجم الوسيط على الحياد في الخصومات والحيادِ الإيجابي. كما يفتقد مفهوم «المُتفاقم» في كلمة خبيث طِبّياً بمعنى malignant أو مفهوم «الإهلاك» مقابل Pernicious في وصف بعض العلل؟

كذلك ينبغي أن يشمل هذا التطوُّرُ التوسيعي ما جَدّ أو يجِدُّ من الألفاظ العلمية والمصطلحات الواسعة الانتشار. فكما أدرجَتْ طبعاتُ الوسيط الأُولى تلفون وتلفزيون نتوقَّع من طَبَعاته الأجَدِّ أن توردَ راديو ورادار وروبوط وموتور وليزَر ومكروب. (ومن المفارقات أن لفظة مركيركروم واردة).

أنا شَخْصيّاً أحرَص في جلسات مؤتمرات مجمعنا في القاهرة التي تُعالج ما يُعرَضُ علينا من موادِّ المـُعجم الكبير، على اقتراح إدراج ما هو مُهم من المواد العلمية المجمعيّة المجمّعة لديّ التي أقرّها المجمع وغير الواردةَ في مواقعها من المـُعجم؛ وأجد تجاوُباً حسَناً من لجنة المعجم دائماً.

هذا التطور أو التطوير الضروري لبقاء اللغة العربية لُغةَ اتصال فعّالة – نُحَقِّقُه بخَلق مَفهومِ اللفظ من مَفهوم لفظٍ يُقارِبُه بالتعريب ترجمةً – كما قُلنا في مفرق: مقياس فَرق الجهد لـ potentiometer، وتأريض في earthing، وبرّاد أو ثلاجة في refrigerator، ومعالِج في processor، ورُقاقة في chip، وخَضْربة في wake؛ أو باستعارة اللفظ كما هو بالتعريب الاقتراضي – كما قلنا في راديو ورادار وأسفَلت وجينة وتلفون (وخَلّقنا هاتف لاحقاً) وفاكس (ونأمل أن تُنافسَها بالقوة نَفْسها لفظة ناسوخ) وديناميكي ومئات غيرها؛ أو حتى باستخدام اللفظة التي يَستَخدمها أهلُ الصَّنعة فنُرَقِّيها من العامِّية إلى المستوى المـُعجمي كما قُلنا في سُنْبُك وزَرديّة وعتلة ومِدماك وضفيرة وبُرغي وصَمولة وطقم، وسواها كثير.

إن قضية المـُعجم العربي ماضياً وحاضراً ومُستقبلاً ليسَتْ قضيةً مُنفصلةً عن قضية اللغة العربية نفسِها، بل عن قضية الإنسان العربي والشعب العربي ككُل.

إن مُثقفينا للأسَف لا يُقارَنون إيجابيّاً حتى مع أشباه المثقَّفين في الغَرب من حيث الوعيُ المـُعجمي. فالكثير من أولادنا وطُلاَّبنا قد يُنْهُون حتى تعليمَهم الجامعيَّ دونَ أن يَعُوا دورَ المعجم العربي أو يتَعودوا استعمالَه روتينيّاً.

حبَّذا لو أنَّ معلمي العربية عندنا يتمثَّلون بمُعلِّمي اللغات الأجنبية الذين يُشدِّدون على استخدام المـُعجَم باستمرار لِفَهْم مُؤدَّى الكلمة وتَعَرُّف طريقة لَفْظِها وسياقات استخدامها.

حبَّذا لو أن أُستاذَ اللغة العربية في المدرسة أو الكلية يُنَظِّم ولو مَرَّةً في العام مَشروعَ «معجميُّون في أُسبوع» يكتشِفُ فيه الطُّلابُ أهميةَ المـُعجم

ويتَدرَّبون على استعماله، وربُما يُمارسون المَهارات المُتعلِّقَة بصناعته في مُعجمٍ صغير يؤلِّفونه.

أذكُر أن عضواً إداريّاً في لجنة المـُعجم العربي في مجمع اللغة العربية أخبرنا في جلسة خاصة أنهم في مقابلات لاختيار مُحررين في لجنة المـُعجم الكبير، شمَلت أكثر من عشرين مُتقدِّماً – جُلُّهم من حاملي إجازات الكليات في اللغة العربية، لم يجدوا بينهم أحداً ذا إلمام معجمي؛ وأن الكثير من المتقدمين غيرُ مُلمِّين حتى بطرائق البحث عن المداخل في القواميس التقليدية كلسان العرب أو جمهرة ابن دُرَيد – فاضطروا إلى اختيار حاجتهم ممن توسموا إمكانيَّةَ تدريبه.

الواقع الذي ألحَظُه وحبَّذا لو أكونُ مُخطئاً، أنه على فَقْر البيت العَربي في المكتبات، فإنه أشدُّ فَقراً في المعاجم.

إنك لتزورُ بيتَ المثقَّف الغربي فترى معجمَ الطفل إلى جانبِ المـُعجم الإعدادي والجامعي أو العائلي أو الموسوعي – مجموعةً من المعاجم، لا مُعجماً واحداً.

لقد بدأنا في العَقدين الماضيين نشهَدُ وعياً معجمياً بيِّناً – للأسف لم يكن كُلُّه في صالح المعجم العربي. فالمُستوى الفنِّي والعلمي الذي توصَّل إليه العمل المعجمي في لُغات العولمة يُخشَى أن يُحوِّلَ هذا الوعي لصالح المَعاجم الأجنبيَّة التي غدَتْ تنافس المـُعجم العربي كمَرجعٍ، تثقيفي بخاصةٍ، على أكثرَ من مستوىً.

وإني لأتطلّع إلى معجم عربي بمستوًى لغوي وفنّي ومعلوماتي بتقانات معجمية حديثة يُضاهي معاجم OXFORD أو Larousse مثلاً، معجمٍ يتواجد في كل بيت، ويُتهادى في كل مناسبة.

لقد كنّا السباقين، وكان المـُعجم العربي سباقاً معنا وبنا. وبتَخلُّفنا السلجوقي المغولي العثماني والقَبَليّ تخلّف المـُعجم العربي معنا وبنا.ومنذ إطلالة عصر النهضة حققنا الكثير. ولنا وطيدُ الأمل أن يحقق المـُعجمُ العربي بِهمَّة من يهمهم أمرُه المزيدَ لُمجابهة تحديات المستقبل.

علينا العملُ الجادّ، ومن الله التوفيق.

معجم ألفاظ الحياة العامة

المشروع الأردني أنموذجاً

أ. د. عبد الكريم خليفة

بدأ الاهتمام بالمعجم العربي منذ أصبحت العربية لغة الوحي الإلهي، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واعتناق الشعوب والأمم المختلفة الإسلام، وانضوائها تحت رايته في دولة واحدة. فهي شعوب وأمم متآخية ومتحابّة ومتساوية في الحقوق والواجبات في ظل الإسلام ودستور الدولة القرآن الكريم. فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم. وقد ساوى الإسلام بين أجناس بني البشر وألوانهم، في فلسفة إنسانية وروحية ومادية لم تعرفها البشرية في تاريخها.

وأصبحت اللغة العربية لغة خالدة بخلود القرآن الكريم، فهي تهمُّ كل مسلم، فضلاً عن أنها لغة الدولة، اللغة الجامعة، في الثقافة والحكم والسياسة. وبقيت لغات الشعوب والأمم الأخرى حرة إلى جانب العربية لغة العقيدة التي تخصُّ كل مسلم. والأمثلة على ذلك كثيرة كاللاطينية في الأندلس والأمازيغية (البربرية) في شمال إفريقية، والفارسية في بلاد فارس، والتركية في أواسط آسية والأوردية في الهند...إلخ.

وقد نجم عن هذا الوضع الاجتماعي واللغوي، قضايا مهمة تخص العربية من حيث هي لغة. فكانت قضية الشكل وقضية النقط ووضع النحو وجمع اللغة وتقعيدها، من القضايا اللغوية المهمة التي نهد لدراستها علماء غيارى على وحدة الأمة، ووحدة لغتها، وصون كتابها العزيز الخالد، في حركة مباركة للإصلاح اللغوي، تركت آثاراً عميقة في تراث الأمة العربية

ولغتها وتاريخها الحضاري. وكانت سياسة الدولة قد احتضنت هذه السياسة اللغوية، وخططت لها منذ البداية.

بدأت المعجمية العربية تأخذ موقعها المميز بين هذه القضايا اللغوية، منذ نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، وذلك من خلال ما يمكن تسميته بالمعجمات المتخصصة، إلى أن نصل إلى الخليل بن أحمد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة في معجمه المعروف باسم «العين».

نشأ المعجم العربي نشأة عربية أصيلة في خضم حركة علمية وفكرية، تعالج قضايا اللغة العربية التي واجهتها في الظروف الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وفي إطار الدولة الإسلامية، متعددة الأجناس واللغات.

فقد عني الصحابة، رضي الله عنهم، والتابعون ومن جاء بعدهم بتفسير ألفاظ القرآن الكريم. وكان أول كتاب في غريب القرآن، قد نسب إلى الصحابي حبر هذه الأمة عبد الله بن عبَّاس... وتوالت المصنفات في غريب القرآن. وكذلك أعقبتها المصنفات في غريب الحديث، ومنها مصنفات ابن عبد الأعلى، وأبي عبيد القاسم بن سلاّم ومن تابعهم..

ومن الواضح أن مدلول الغريب في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يعني الغامض من المعاني ولا يعني غرابة الألفاظ من حيث شيوعها أو نطقها. وربما يقودنا هذا النحو في التصنيف اللغوي إلى أن نتساءل عن موقعه في الصورة الفعلية لنشأة المعجم اللغوي في العربية. وكذلك عن آثاره في النقلة النوعية للعناية بالعربية شعراً ونثراً على أوسع مدى، يرويه اللغويون العرب في مَرْوياتهم عن الآباء والأجداد للثروة اللغوية في الجاهلية وصدر

الإسلام، وكذلك فيما ندبوا إليه أنفسهم لجمع المادة اللغوية وتسجيلها بطريقة منهجية ومنظمة. وربما لا نَعْدو الصواب إذا قلنا: إن هذه النشأة المعجمية العربية تتميز عن مثيلاتها في المعاجم اللغوية للأمم الأخرى.

نهد اللغويون العرب، بادئ ذي بدء، إلى جمع الألفاظ اللغوية التي تدور حول موضوع واحد، باذلين الجهد في تدوينها وحصرها. فجمعوا الألفاظ التي تتصل بشؤون الحياة. وكانت العربية الفصحى مدار اهتمامهم. فرحل لغويون أفذاذٌ من الحواضر من الكوفة والبصرة، ثم من بغداد فيما بعد، إلى البادية لمشافهة فصحاء الأعراب. ونشط كل منهم في جمع اللغة حفظاً وتدويناً. وأدى ذلك إلى أن يفد أعراب كثيرون إلى الحواضر، يحملون معهم معارفهم اللغوية. فيتلقاهم العلماء للسماع منهم والأخذ عنهم. وجملة القول، فإن ما سمعوه من الأعراب فحفظوه ودونوه، وما وجدوه مدوناً أصلاً لدى القبائل العربية، فجمعوه ونسخوه من الألفاظ والشواهد حول موضوع واحد، ليعتبر بحق المصدر الأساسي الذي أخذ منه المعجميون مادتهم، ولاسيما أصحاب معاجم المعاني والموضوعات.

ومما يجدر ذكره في مجال الفصاحة التي ارتضاها اللغويون، أن المعجميين قد استشهدوا بكلام أهل الحاضرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري. ووثقوا بعربية أهل البادية إلى آخر القرن الرابع الهجري.

ليس في وكدنا، في هذه النظرة العجلى على أصول المعجمية العربية فيما يخص ألفاظ الحياة العامة والمسيرة اليومية في حياة المجتمع العربي الإسلامي، أقول: ليس في وكدنا أن نؤرخ نشأة المعجم العربي، ولكننا نود أن نقول إن ما جمعه هؤلاء اللغويون العرب، منذ وقتٍ مبكر، من الألفاظ التي تتصل بالنبات والأشجار والكلأ،

وما يخص الإنسان والحيوان كالخيل والحشرات والأماكن والدارات... وغيرها من الموضوعات والمجالات المختلفة، كانت إرهاصاً للمعجم اللغوي الموسوعي الشامل لجميع جوانب العمران البشري في الحياة العربية. وهذا المعجم الموسوعي العتيد لمّا يتم وضعه حتى الوقت الحاضر. فاتجه المعجميون التراثيون، في معجماتهم الرائدة والمبدعة بصورة رئيسة إلى آفاق الحياة الروحية والفكرية والأدبية ولغة الفصحاء من القبائل العربية... مثال ذلك: معجم «العين» للخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ) ومعجم جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣١٠هـ)، ومعجم «الصحاح» للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد النيسابوري الفارابي، الجوهري (ت: ٣٩٨هـ)، ومعجم «المحكم» لابن سيده الأندلسي (ت: ٤٥٨)، ومعجم «مختار الصحاح» لمحمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت بعد سنة ٦٩١هـ)، ومعجم «لسان العرب» لأبي الفضل جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ)، ومعجم «القاموس المحيط» لأبي طاهر مجد الدين الفيروزابادي محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي (ت: ٨١٦هـ)، ومعجم «المصباح المنير» لأحمد بن محمد الفيومي (ت: ٧٧٢هـ). وربما لا نعدو الصواب إذا اعتبرنا «لسان العرب» لابن منظور، أعظم سفر صُنّف في مفردات العربية. وقد حدَّد أهدافه، والأسباب التي حملته على أن يندب نفسه إلى هذا العمل اللغوي العظيم بقوله: «فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسُّنَّة النبوية... وذلك لما رأيته قد غلب، في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يُعَدُّ لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً. وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية. فجمعتُ هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون..».

وجمع ابن منظور ما تفرَّق من المعارف في أمهات كتب اللغة، وقد ذكرها حصراً وسماها بالأصول الخمسة وهي: تهذيب اللغة للأزهري، وكتاب «المحكم» لابن سيده الأندلسي، وكتاب «الصحاح» للجوهري، وحواشيه لابن برِّي، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير. ولم يخرج ابن منظور عن هذه الأصول، ويصف عمله في هذا السفر الجليل فيقول: «فجمعتُ منها في هذا الكتاب ما تفرَّق... وصار هذا بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع... وأنا مع ذلك لا أدَّعي فيه دعوى فأقول: شافهت أو سمعتُ أو فعلتُ أو صنعتُ، أو شددت أو رحلتُ، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت... وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بها، سوى أني جمعت فيه ما تفرَّق في تلك الكتب من العلوم، وبسطتُ القول فيه...» (انظر: مقدمة ابن منظور، لسان العرب).

وبعد نحو خمسة قرون وضع الزَّبيدي كتابه «تاج العروس» وهو شرح «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، واتبع منهاج ابن منظور في لسان العرب... وفي توضيح أهدافه ودوافعه اقتبس ما قاله ابن منظور في مقدمته...

إن النظرة الفاحصة الشاملة لأهداف هذه المعجمات، والدوافع لتأليفها وتصنيفها، تفسر لنا أسباب عزوفها عن إدراج ألفاظ الحياة العامة، وما تفرضه ظروف العيش من متغيرات وتطورات حضارية. وكذلك ما نشاهده من ولادة ألفاظ جديدة وزوال ألفاظ قديمة أو تحولها إلى معانٍ حضارية جديدة. فقد اقتصرت المعجمات التراثية المبدعة على مفردات العربية عند فصحاء الأعراب، وعند من يوثق في فصاحتهم من القرن الرابع الهجري، مع توشيحها، على حدِّ تعبير كثير من المصنفين، بجليل الأخبار،

وجميل الآثار، مضافاً إلى ما فيها من آيات القرآن الكريم، والكلام على معجزات الذكر الحكيم. فيكون الاستشهاد بالآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار.

إن هذه الظاهرة واضحة ومحدَّدة عند هؤلاء المعجميين الأفذاذ في تراثنا العربي. فقد قصدوا حفظ أصول اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية. ولم يكن من أهدافهم تسجيل ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية. وإذا وجدت مفردات في هذا المجال وذاك الموضوع، فإنها قاصرة عن الشمول والاستقصاء. وقد تأتي غير محددة التعريف وغامضة عندما تتناول النبات والحيوان والأشياء المادية بل وما يخص أدب الحواس. كأن يقول مثلاً: «وهو نبات معروف» «وهو عدو الأسد» إلخ.

ونحن لا نعرف في تاريخ تراثنا المعجمي، من اتجه إلى جمع وتدوين ألفاظ الحضارة أو ألفاظ الحياة العامة الدَّالة على الأشياء والأدوات والأجهزة المادية والأثاث والملبوسات والمشروبات والمطعومات والمشمومات، وغيرها من أدب الحواس في معجم، سواء أكان ذلك من أجل توحيدها وتفصيحها أو مجرد تدوينها وتعريف مدلولاتها. وقد يصعب علينا في هذا البحث أن نَعُدَّ مصنفات «المعرَّب والدخيل» في تراثنا، جهداً معجمياً في مجال المعجم الحضاري أو معجم ألفاظ الحياة العامة.

وربما كان على الأرجح أن سبب قُصور اللغة العربية الفصيحة في مجال أدب الحواس والمفردات الدالة على ما تقتضيه الحياة الحضارية، يعود إلى شح الموارد الطبيعية وفقر مستلزمات العيش في تلك البيئات بالجزيرة

العربية. ومن هنا نرى أن معجزة العربية تكمن في بيانها الروحاني والعقائدي وفي كل ما يتصل بالنفس الإنسانية من فكر وخيال وتصور... فأثرت العربية في هذه المجالات من أدب النفس في جميع لغات الشعوب والأمم التي اعتنقت الإسلام أو انضوت تحت راية الدولة الإسلامية، في حين أنها تأثرت في مجال أدب الحواس، وألفاظ الحضارة، بلغات تلك الشعوب التي عرفت حياة حضارية مزدهرة وغنية مثل الفارسية واليونانية والآرامية واللاتينية، عجمية أهل الأندلس كما كان يطلق عليها.

وإن عدم تدوين المعجمات المفردات الحضارية وألفاظ الحياة العامة، لم يمنع تدوينها في كتب الأدوية والصيدلة والطب وكتب الرحلات وكتب الأدب كما نجد في بخلاء الجاحظ ومؤلفه المشهور «الحيوان» أو كذلك في كتب القصص والمقامات.. وكتب الفلاحة وكتب الحسبة والفقه... والنوازل.

فاختلاط الشعوب واللغات المختلفة وانصهارها في بوتقة الحضارة الإسلامية، قد أوجدت ألفاظاً مختلفة لمدلولات الحياة العامة في مختلفة الأقطار والبيئات. وربما كان من الضروري أن ننبه هنا إلى أن حديثنا عن ألفاظ الحياة العامة في الحواضر والأرياف والبادية، لا يعني الحديث عن العاميات الدارجة أو اللهجات المتعددة. فهذه قضية أخرى يجب أن لا تغيب عن أذهاننا عندما نتحدث عن القديم الموروث أو عن الحديث المستعمل.

لقد تكفّل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما ألف حولهما من مصنفات الغريب والتفسير، وما وضع من معجمات لغوية، أقول: لقد تكفّل هذا كله بوحدة لغة علوم القرآن والحديث، وعلوم العربية، وبوحدة اللغة الأدبية، عبر القرون وعلى الامتداد الجغرافي من أقصى المغرب إلى

أقصى المشرق. واستمر هذا الوضع اللغوي حتى العصر الحديث. ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن حركة وضع المعجمات العربية المبدعة قد توقفت قبل ابن منظور، صاحب «لسان العرب» بأكثر من قرن. وكان العمل اللغوي الضخم الذي قام به ابن منظور، يتمثل في جمع أمهات المصنفات اللغوية السابقة وتبويبها وتصنيفها، وتيسير الوصول إليها في معجم لغوي واحد كما ذكرناه سابقاً.

وجاء الزَّبيدي صاحب «تاج العروس» بعد عدة قرون، فشرح «القاموس المحيط» للفيروزابادي و لم يخرج عن منهج ابن منظور من حيث المبدأ.

وجملة القول، فإن هذه الحركة اللغوية المعجمية المباركة قد حفظت أصول العربية، وحققت وحدة لغة العقيدة والفكر والآداب حتى يومنا هذا. فالقارئ في عمان، في الوقت الحاضر، يقرأ الصحف والمجلات والكتب الأدبية ودواوين الأشعار الصادرة بالرباط وتونس وبغداد والقاهرة والرياض وصنعاء، كما يقرأ ويفهم مثيلاتها الصادرة بعمان ذاتها.

ومنذ الستينات من القرن العشرين، نشطت حركة التعريب في الوطن العربي، وتهدف إلى وضع المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية في مختلف العلوم والفنون وإيجاد لغة علمية عربية موحدة. ولكنها مع الأسف بقيت تشعُّ آناً وتخبو في أحيان كثيرة وفقاً للظروف السياسية المضطربة، وصدى للسياسات الأجنبية لإقصاء العربية عن مجالاتها الحيوية في المؤسسات التعليمية وفي الجامعات ومؤسسات البحث العلمي، وإحلال اللغات الأجنبية محلّها.

وبقي مشروع «المعجم التاريخي للغة العربية»، مشروع الأمة العربية الحيوي في إبداعها ونهضتها ووحدتها. أقول، بقي هذا المشروع اللغوي، الذي

طرح منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي، حبيس الأدراج ورهين الأماني بين الفينة والأخرى. ومثل ذلك نقول في موضوع «جمع التراث اللغوي» فيما يسمى «الذخيرة العربية» وما نطلق عليه نحن بلغة العصر: «حوسبة التراث». وهو يعني جمع الألفاظ العربية واستقصاء معانيها من خلال النصوص، منذ أقدم نصٍ عربي وردت فيه حتى أحدث النصوص في الوقت الحاضر.

وفي خضم هذه القضايا المعجمية العربية، يظهر على الساحة اللغوية منذ تاريخنا الموروث، حتى الوقت الحاضر، موضوع معجم يضم بين دفتيه ألفاظ الحياة العامة التي يستعملها المواطن العربي في مختلف أقطاره وفي جميع بيئاته الحضرية والريفية والبدوية، وفي مختلف المهن والأعمال.

إن لغة الحياة العامة في جميع هذه الأقطار والبيئات على الامتداد الجغرافي، وبالعمق التاريخي، هي لغة حيَّة ونامية ومستمرة استمرار الحياة ذاتها. وهي سريعة التأثر بالأحداث والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية... ولا سيّما لغة الحكم السياسي. فاللغة، وأية لغة، يصدق عليها في مجال التأثر والتأثير قانون الانسياب من الأعلى إلى الأسفل، وفق التركيب الهرمي لطبقات الحكام وجنسياتهم... إلخ.

وربما كانت هذه الظروف مجتمعة إلى جانب تمازج مفهوم ألفاظ الحضارة وألفاظ الحياة العامة، باللغة المحكية وبالتالي باللهجات العامية، هي التي منعت حتى الوقت الحاضر التصدي لهذه القضية اللغوية العربية المهمة. فالشيء الواحد والمدلول الواحد، يطلق عليه ألفاظ متعددة في مختلف الأقطار العربية، بل تتعدَّد هذه الألفاظ في القطر الواحد وفي المدينة الواحدة.

ألا نرى مثلاً أن الوعاء الذي توضع فيه أعقاب السجائر، تتعدد فيه الألفاظ في جميع الأقطار العربية، بل وفي القطر الواحد وفي المدينة الواحدة. فيقال: صحن سجائر، ومنفضة، ومكّتة، ومتكة، وآشتري،...إلخ، وقل مثل ذلك في الألفاظ الدالة على مختلف شؤون الحياة اليومية من ملبس ومطعم ومشرب وأثاث وأدوات ومهن ومؤسسات...إلخ.

فكيف يمكن لأمة تزعم أنها على أبواب النهضة في القرن الواحد والعشرين، ولا يوجد بين أيدي الدارسين والباحثين، والأدباء والكتاب، والروائيين وكتاب القصة وواضعي الكتب المدرسية...إلخ. معجم لغوي يعينهم على وضع هذه الألفاظ للشّادين والمتعلمين والقراء من أبناء قطرهم. والأمر يصبح أشد خطراً عندما يتعلق بأبناء الأمة، وأكثر استهجاناً وسخرية عندما يخص الأجنبي الذي يريد أن يتعلم العربية... أليس من المنطق والحكمة أن يوضع معجم موحّد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الأمة العربية في جميع أقطارها. أليس من الحكمة والواجب وما تقتضيه أماني الأمة في وحدتها ونهضتها، أن يوضع معجم شامل وموحد لألفاظ الحياة العامة، يطبع وينشر في جميع الأقطار العربية والمؤسسات التي تعنى باللغة العربية... فيكون هذا المعجم سائراً، سائغ الاستعمال في جميع المؤسسات العلمية والتربوية وفي الصحافة والإعلام المقروء والمرئي والمسموع، وعند أصحاب المهن وغيرهم من شرائح المجتمع في مختلف البيئات.

وقد طرح موضوع «المعجم الموحد لألفاظ الحياة العامة» على مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في جلسته المنعقدة في آذار (مارس) سنة ١٩٩٨م. بالقاهرة، فوجد الترحاب من جميع أعضاء المجلس، واتخذ القرار

بأن يوضع معجم موحَّد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي. وتقرَّر أن يقوم كل مجمع عضو في الاتحاد بوضع مشروع معجم في هذا المجال على أن يرسل إلى مركز الاتحاد حيث يدخل في الحاسوب. فتأتي هذه المشاريع مثلاً من مصر والعراق وسورية والأردن والسودان والمغرب وليبيا. وأن تستكمل فيما بعد المشاريع من بقية الأقطار العربية... وهذا العمل يشكل المرحلة الأولى وهي مرحلة جمع المشاريع وتخزينها في الحاسوب. وتقودنا هذه المرحلة إلى المرحلة التالية، إذ تشكل لجان على مستوى الوطن العربي لدراسة هذه المشاريع وتمحيصها وتبويبها والخلاص إلى وضع لفظة واحدة أو لفظتين للمدلول الواحد وفق مبادئ وقواعد يتفق عليها. وأن ينشر هذا المعجم الموحد لألفاظ الحياة العامة على نطاق واسع وشامل في الوطن العربي، كي يكون مصدراً سهلاً وسائغاً أمام المهتمين والباحثين والدارسين والكتاب وواضعي الكتب المدرسية باللغة العربية.

كان موضوع هذا المعجم والحاجة الماسة إليه، يراودنا منذ عدة عقود. وكانت المحاولات المهمة في مجامعنا اللغوية بالقاهرة ودمشق وبغداد، الدافع الأساسي في تلمس الإمكانات كي يوضع معجم عربي موحِّد لألفاظ الحياة العامة. وإن قيمة هذا المعجم تتمثل في أن يتم إنجازه على مستوى الوطن العربي وفق منهجية علمية ومبادئ يتفق عليها. وأن يكون محور هذا العمل يقوم على جمع الألفاظ الحيَّة التي يستعملها عامة الناس وجماهير الأمة واختيار المناسب ووضع ما تقتضيه الحاجة في إطار خصائص العربية وأساليبها، وروافدها الأساسية التي تمدها بالحياة والنمو واستيعاب كل ما هو جديد.

ناقش مجلس مجمع اللغة العربية الأردني قرار مجلس اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية مشروع «المعجم العربي الموحّد لألفاظ الحياة العامة» ورأى فيه مشروعاً قومياً مهماً يغني العربية في العصر الحديث، ويرسي لبنات مهمة وأساسية في قواعد الوحدة والتفاهم بين شعوب الأمة العربية في مختلف أقطارها. فألّف لجنة من أعضائه باسم: «لجنة مشروع ألفاظ الحياة العامة» لدراسة هذا المشروع والإشراف على تنفيذه في إطار قانون المجمع وتنظيماته. وعقدت هذه اللجنة اجتماعها الأول الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء بتاريخ ١٤١٨/٢/٢٧هـ الموافق ١٩٩٨/٧/٢م.

وتوالت اجتماعات لجنة المجمع. فناقشت أهداف المشروع والمجالات التي تشملها، ومنهاج العمل وأدواته، ووسائل التنفيذ، وتحديد الجهات التي يمكن الاستعانة بها من أهل العلم وطلبة الجامعات وذوي العلاقة. ورأت اللجنة أن وحدة الحاسوب في المجمع ركيزة أساسية في تنفيذ هذا المشروع، وأنه لابد من وضع برامج حاسوبية واضحة لإنجاز هذا العمل منذ البداية.

وكانت وقفة متأنية عند تحديد مفهوم «ألفاظ الحياة العامة». ورأينا في هذه التسمية شمولية أوسع من مدلول «ألفاظ الحضارة»، إذ يشمل مفهوم ألفاظ الحياة العامة: ألفاظ الحضارة الوافدة والألفاظ الموروثة عبر المراحل التاريخية، والتي مازالت حيّة ومستعملة عند عامة الناس وخاصتهم، سواء أكانت قد شملها التدوين أم بقيت موروثة تتناقلها الأجيال. وفي مجال تحديد مفهومنا لألفاظ الحياة العامة في هذا المعجم، طرحت تساؤلات عدة منها: أيشمل هذا المفهوم التعابير السائرة في الحياة الاجتماعية بكاملها مثل تعابير المجاملات والتحية وما يقال في المناسبات الاجتماعية، أم يقتصر على

مسميات الأدوات والأجهزة والأشياء المحسوسة من حيث المبدأ؟ وما موقع ألفاظ الحياة العامة (الحضارة) الواردة في التراث العربي؟ وما موقع الجهود السابقة في هذا العمل، وبخاصة ما صدر عن المجامع اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد، وما صدر من معجمات المهن، وأخصُّ بالذكر معجم تيمور، ومعجم الحضارة لبدر الدين غازي الذي أكمل فيه معجم تيمور. وقد أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وفي حقل معجمات المهن أخصُّ بالذكر ما أصدره عبد العزيز بنعبد الله، ونشر تباعاً في مجلة اللسانيات التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب.

وطرحت تساؤلات كثيرة تتناول مختلف جوانب هذا المشروع. وقد رأينا أننا يجب أن نوضح منذ البداية، أن هذا المشروع لا يُعنى بالتعابير والتراكيب العامية ولا باللهجات المحلية، وإنما يقتصر على وضع معجم لألفاظ الأشياء المحسوسة من حيث المبدأ، التي يستعملها عامة الناس وخاصتهم في حياتهم العملية واليومية في الوقت الحاضر، من أدوات وأجهزة ومسميات حضارية في مختلف مناحي الحياة في البيت والشارع والمهن والمؤسسات...إلخ. وتفصيح ما يمكن تفصيحه لا سيما من الألفاظ الدارجة التي تعود إلى أصول لغوية فصيحة.

وقد رأينا أن يتم العمل على مراحل. ففي المرحلة الأولى نقوم باستقراء ورصد ما هو مستعمل في الأردن من ألفاظ الحياة العامة وفق خطة ومنهجية واضحة ودقيقة. وتصميم استمارة موحَّدة لهذا الغرض لإدخالها في الحاسوب بعد تصميم قاعدة بيانات حاسوبية خاصة بمشروع معجم ألفاظ الحياة العامة.

وفي المرحلة الثانية تشكل هيئة تحرير من عددٍ من الأساتذة المتخصصين تكون مهمتها دراسة البطاقات التي جمعت وأدخلت في الحاسوب. فتقوم بتصنيفها وتبويبها وضبطها، والتأكد من ضبط الألفاظ وصحة التعريف ودقته علمياً ولغوياً. وأن تختار الهيئة للمدلول الواحد لفظة واحدة أو لفظتين وفق معايير ومبادئ يتفق عليها مثل: الفصاحة والشيوع والسهولة...إلخ. ويكون حصيلة ذلك مشروعاً أردنياً، يرسل إلى اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية، لإدخاله في الحاسوب، مع مشاريع المجامع العربية والعلمية الأخرى. وسيكلف الاتحاد خبراء متخصصين من مختلف الأقطار العربية لدراسة هذه المشروعات وتمحيصها وتبويبها وتدقيقها ووضع معجم عربي موحَّد لألفاظ الحياة العامة، بحيث يكون للمدلول الواحد لفظة واحدة أو لفظتان. وسيتم الاختيار أو الوضع عند الضرورة، وفق معايير ومبادئ يتفق عليها، ومنها الشيوع والفصاحة والسهولة، والإفادة من التراث الموروث ومن جميع الجهود السابقة في هذا المجال.. ومن الواضح أن الحاسوب سيكون جهازاً أساسياً في جميع مراحل هذا المشروع.

وفي مجال تنفيذ المرحلة الأولى رأينا أن تكون لجنة مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة، التي ألفها مجلس المجمع لجنة توجيهية. وأن نُقسم الأردن، لغايات المجمع اللغوي إلى أربعة مراكز على الوجه الآتي:

١- مركز جامعة اليرموك في إربد.

٢- مركز الجامعة الهاشمية بالزرقاء.

٣- مركز الجامعة الأردنية بعمان.

٤- مركز جامعة مؤتة بالكرك.

ويتألف كل مركز من لجنة ومجموعة من الباحثين. وتتألف اللجنة من رئيس وعضوين من الأساتذة المتخصصين. وتكون مهمة اللجنة في كل مركز اختيار الباحثين وتحديد عددهم ورسم خطة العمل والإشراف على تنفيذها، وفق المبادئ العامة والاستمارة الموحدة لعملية الجمع، وتقديم حصيلة ذلك إلى المجمع. وتقوم وحدة الحاسوب بإدخال الاستمارات، بعد أن يدققها المحرِّر العلمي المتفرِّغ لهذا المشروع.

وإن طبيعة العمل الجماعي في هذا المشروع اللغوي، تقتضي الحرص على التنسيق بين جميع المراكز والإفادة من التجارب المختلفة والملاحظات المستجدة. فقد تألفت الهيئة العامة للمشروع من أعضاء لجنة مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة في المجمع ومن رؤساء اللجان في المراكز الأربعة، تجتمع بصورة دورية. وقد يشارك أعضاء اللجان جميعهم في بعض الاجتماعات العامة عند الضرورة.

ومن نافلة القول أن نذكر حرص المجمع على أن يتمتع رؤساء المراكز وأعضاء اللجان والباحثون بروح عمل الفريق وحسن التفاهم، والقناعة بأهمية هذا المشروع اللغوي القومي، والرغبة الأكيدة في إنجاحه.

ويمكن إجمال مهمة اللجنة في كل مركز بإعداد المادة اللغوية وفق خطة متفق عليها، مؤداها ما يأتي:

١– تقسيم المنطقة الجغرافية التي تتبع كل مركز للبحث اللغوي إلى دوائر فرعية، يراعى فيها التباين والتنوع البيئي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والمهني.

٢- يختار فريق البحث من الذكور والإناث، ويكون موزعاً على جميع البيئات.

٣- تجمع المادة اللغوية وفق النموذج الذي اتفقت على تصميمه الهيئة العامة للمشروع.

٤- توفير الوسائل المعينة على جمع المادة اللغوية مثل آلات التسجيل والتصوير من أجل توضيح المصطلح إلى جانب تعريفه بلغة عربية سليمة واضحة ودقيقة.

٥- أن تحرص اللجنة على الالتقاء بفريق البحث لتحديد المهام الموكلة لكل فرد، لتذليل العقبات، وتصحيح ما يمكن أن يحدث من أخطاء.

٦- تَتَسلَّم اللجنة المادة اللغوية من أعضاء فرق البحث، وتقوم بتلقيقها وتنسيقها وفق الخطة المتفق عليها، وتسليمها أولاً بأول إلى وحدة الحاسوب بالمجمع.

وقد حدَّد المجمع المدة الزمنية لمرحلة الجمع من ١٩٩٨/٦/٢٩م إلى ٣٠/ ٤/ ١٩٩٩ من حيث المبدأ. وقد اقتضت ظروف العمل تمديد هذه المدة حتى ٢٠٠٠/١٠/٣٠م[1]. وكانت الهيئة العامة للمعجم قد أنجزت استمارة الجمع (بطاقة الجمع) بصورتها النهائية كما هو مبين في الشكل المرفق. وجعلت هذه الاستمارة في أحد عشر بنداً.

---

(١) ومما يجدر ذكره أن المجمع قرر أن تكون مكافآت أعضاء اللجان وفق الجلسات فجعل مكافأة كل عضو في اللجنة خمسة عشر ديناراً لكل جلسة. وجعل مكافأة الباحثين مبلغ مئتي فلس، لكل مصطلح يجمع وتقره اللجنة وفق الاستمارة الخاصة.

مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة





مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة

٥ ـ الموضوع	٤ ـ المجال	٣ ـ المهنة	٢ ـ البيئة	١ ـ اسم الموقع

٧ ـ تعريف المصطلح : ____________	٦ ـ المصطلح (مضبوطًا بالشكل) ____________
٩ ـ توضيح المصطلح بالرسم أو الصورة عند الضرورة	٨ ـ أصل المصطلح ____________
	١٠ـ اسم الباحث : ____________ التوقيع : ____________
	١١ـ اللجنة الفرعية : ____________ توقيع رئيس اللجنة : ____________

١٢ـ ملاحظات إضافية : ____________

وأرفقت الاستمارة بالتوضيحات اللازمة على النحو التالي:

١– اسم الموقع: ويقصد به اسم المدينة أو القرية أو البادية التي يسكنها من أخذ عنه المصطلح. فإذا كان مثلاً مستعمل اللفظ يسكن في مدينة المفرق يعبأ البند المذكور هكذا: محافظة المفرق. مدينة المفرق.

وإذا كان يسكن في قرية من قرى المفرق يعبأ البند هكذا:

محافظة المفرق. قرية أم الجمال.

وإذا كان من سكان البادية في محافظة المفرق ولا يتبع لأي مدينة أو قرية، يعبأ البند هكذا: محافظة المفرق. البادية الشمالية.

٢– البيئة: ويقصد بها منطقة سكن مستعمل اللفظ. فقد تكون بيئة حضرية أو ريفية أو بدوية، فإذا كان من سكان مدينة المفرق حسب المثال السابق، يعبأ هذا البند بـ (حضرية). وإذا كان يسكن قرية أم الجمال، يعبأ هذا البند بـ (ريفية)، وإذا كان من سكان البادية يعبأ هذا البند بـ (بدوية).

٣– المهنة: ويقصد بها المهنة التي يعمل بها مستعمل اللفظ، كأن يكون عاملاً أو فلاحاً أو نجاراً أو حداداً أو مهندساً، أو أن تكون ربة بيت أو في أي مهنة من المهن.. طبيبة أو معلمة أو كاتبة أو عاملة...إلخ.

٤– المجال: ويقصد به المكان الذي يستعمل فيه اللفظ، كأن يكون البيت أو المدرسة أو الشارع أو الحقل/ المزرعة أو الجامعة/ الكلية/ أو المستشفى/ العيادة، المختبر، المركز الصحي أو المصنع/ المشغل أو الدائرة الحكومية أو المتجر أو المقهى أو الملهى أو المتحف، أو المسجد أو الكنيسة أو النادي أو المرأب (الكراج) أو مؤسسة للرعاية الاجتماعية أو المهن بأنواعها أو المواد والآلات والمعدات أو النشاط الرياضي، أو المكتبات أو المسرح.

٥– **الموضوع**: إن موضوعات المجالات الواردة في البند السابق يمكن حصرها في اللباس والكساء والطعام والغذاء والأثاث والدواء والأدوات والأجهزة والزينة والأشربة والنبات... إلخ.

فلو أخذنا مثلاً مجالاً من المجالات المذكورة آنفاً مثل البيت، فإن موضوعاته ستكون على النحو الآتي:

تسمياته: مغارة، كوخ، براكية، بيت فلاحي، بيت شعر، خيمة، بيت، منـــزل، شقة، دار، دارة، عمارة، قصر... إلخ.

أجزاؤه: الفناء، الحديقة، غرفة النوم، غرفة الاستقبال، المطبخ، الحمام، الملجأ، المكتبة، الشرفات، البرندة... إلخ.

٦– **المصطلح (مضبوطاً بالشكل)**: ويقصد به أن يضبط الباحث المصطلح كما يلفظه الشخص الذي يستعمله، ضبطاً تاماً.

٧– **تعريف المصطلح**: يقوم الباحث بتعريف المصطلح تعريفاً دقيقاً حسب مدلوله لدى المستعمل. ويحرص على أن يكون هذا التعريف بلغة عربية سليمة، وأن يكون الخط واضحاً مقروءاً.

٨– **أصل المصطلح**: ويقصد به الأصل اللغوي الذي يعود إليه هذا المصطلح، كأن يكون عربي الأصل أو إنجليزياً أو فرنسياً أو إيطالياً أو تركياً أو فارسياً. وأن يذكر هذا الأصل كتابة. وإذا كان عربياً يضبط بالشكل التام. وتقوم اللجنة الفرعية في كل مركز بملء هذا البند ما أمكن ذلك.

٩– **توضيح مدلول المصطلح بالرسم عند الضرورة**. وذلك بأن يوضح الباحث المصطلح بالرسم إذا دعت الحاجة إلى ذلك. وقد يكتفي بالرسم التقريـــبي أو يلصق صورة المصطلح إذا أمكن ذلك. وهذا ينطبق

على المصطلحات التي تحتاج إلى توضيح المفهوم والدلالة. ويكون ذلك إلى جانب التعريف بلغة عربية سليمة، دقيقة وواضحة.

١٠– اسم الباحث وتوقيعه: يثبت الباحث اسمه بصورة واضحة في كل استمارة (بطاقة) يعدُّها.

١١– أي ملاحظات إضافية. وقد وضع هذا البند خلف البطاقة، وترك له مساحة كافية ليدون الباحث ما يجدُّ من ملاحظات لم تذكر في الاستمارة (البطاقة) حول المصطلح. ويجب أن يحرص الباحث على أن يكون خطه واضحاً ومقروءاً.

وجاء ترقيم جميع بنود الاستمارة (البطاقة) بأرقام مسلسلة، استجابة لمطلب وحدة الحاسوب التي صمَّمت قاعدة بيانات حاسوبية خاصة بمشروع معجم ألفاظ الحياة العامة. وقد أخذنا بعين الاعتبار عند اختيار الباحثين أن يكونوا من أبناء المنطقة أو البيئة أو من القاطنين فيها. ويتم تفريع البيئة الواحدة بحسب المهن والمجالات المختلفة في الحياة العامة. ويؤكد المجمع اختيار الباحثين من مستويات ثقافية مؤهلة لهذا العمل، وذلك باعتبار التنوعات الوظيفية المختلفة، مثل: طلاب الدراسات العليا، والمعلمين والموظفين والمتقاعدين، ومن هم في مستواهم من الذكور والإناث. ومن الأهمية بمكان أن يجري توزيع الباحثين، بعد تهيئتهم إلى هذا العمل، وتوضيح أهدافه، وتحديد الأعمال التي سيقومون بها.

وقد أولت الهيئة العامة لمشروع المعجم، اهتماماً كبيراً، منذ البداية بتحديد المجالات والموضوعات، التي نصَّت عليها الاستمارة في عملية الجمع.

وقدمت اقتراحات مهمة، ناقشها رؤساء اللجان واتفقوا على توحيد المجالات على الوجه الآتي:

-١	البيت	-٢٢	السوق
-٢	المزرعة	-٢٣	البقالة
-٣	الحدادة	-٢٤	المدرسة
-٤	المنجرة	-٢٥	الجامعة
-٥	الورشة بأنواعها	-٢٦	موقف سيارات
-٦	المخبز	-٢٧	الفندق
-٧	المبنى	-٢٨	صالة الأفراح
-٨	المطعم	-٢٩	البريد
-٩	صالون الحلاقة للرجال	-٣٠	المعصرة
-١٠	صالون التجميل للنساء	-٣١	محل بيع الأدوات الكهربائية
-١١	المحكمة	-٣٢	المتجر
-١٢	البنك	-٣٣	المتحف
-١٣	المقبرة	-٣٤	الكلية
-١٤	الملعب	-٣٥	الروضة
-١٥	المسجد	-٣٦	الحضانة
-١٦	المستشفى	-٣٧	الكنيسة
-١٧	المكتبة	-٣٨	دور المسنين
-١٨	محلات صناعة الأحذية وصيانتها وبيعها	-٣٩	النادي الرياضي
-١٩	المقهى	-٤٠	النادي الثقافي
-٢٠	المخيطة	-٤١	الوزارة (يذكر اسم الوزارة)
-٢١	الملحمة	-٤٢	الدائرة الحكومية (يذكر اسم الدائرة)

٤٣-	المؤسسة الحكومية (يذكر اسم المؤسسة)	٦٤-	الإذاعة
٤٤-	الغابة	٦٥-	التلفزيون
٤٥-	حديقة الحيوان	٦٦-	السوق
٤٦-	المرعى	٦٧-	محلات العطارة
٤٧-	المحمية	٦٨-	الشركة
٤٨-	الأرصاد الجوية	٦٩-	المركز الثقافي
٤٩-	المسرح	٧٠-	مديرية الثقافة
٥٠-	السينما	٧١-	الاستراحة السياحية
٥١-	المطار	٧٢-	مدينة الألعاب
٥٢-	الميناء	٧٣-	دائرة الأراضي
٥٣-	محطة السكك الحديدية	٧٤-	المكتب العقاري
٥٤-	البحر	٧٥-	العيادة
٥٥-	النهر	٧٦-	المركز الصحي
٥٦-	المصنع	٧٧-	مركز الإصلاح
٥٧-	الشارع	٧٨-	إدارة السير وترخيص المركبات
٥٨-	المتنزّه والحديقة العامة	٧٩-	الدفاع المدني
٥٩-	المطبعة	٨٠-	الكلية
٦٠-	المحجر	٨١-	قيادة الجيش
٦١-	البلدية	٨٢-	المخابرات العامة
٦٢-	أمانة العاصمة	٨٣-	قرى الأطفال
٦٣-	مركز الشرطة	٨٤-	المبرة

أما فيما يخص تحديد رؤوس الموضوعات، فقد استمر النقاش حولها في عدة اجتماعات عامة تضم رؤساء اللجان، وذلك لأنها متعددة ومتشعبة، وليس من السهل حصرها، واتفق في نهاية الأمر على أن تحديد رؤوس الموضوعات ذو فائدة كبيرة في مرحلتي الجمع والتحرير. ففي مرحلة الجمع يقلل الخلاف في وجهات النظر لدى الباحثين وعند اللجان في مراكز البحث. وكذلك، فإن تحديد رؤوس الموضوعات ييسر إدخال المعلومات في الحاسوب، واسترجاعها. ويسهل عملية ترتيب أبواب المعجم، وإخراجه إخراجاً علمياً وفنياً في المرحلة الثانية.

وكانت لجنة الجامعة الأردنية، قد تقدمت باقتراح رؤوس موضوعات وزعت على جميع أعضاء اللجان. وبعد دراستها ومناقشتها، وافقت الهيئة العامة للمشروع على هذه القائمة، والتزام لجان مراكز الجمع بما جاء فيها. وأنه في حالة إضافة رؤوس موضوعات جديدة من اللجان، يجب أن تعمم من أجل دراستها وإقرارها. ومما يجدر ذكره أنه جرى حصر رؤوس الموضوعات بنحو مئتي رأس موضوع. وفي جميع الأحوال فإن جمع الألفاظ ورصدها لا يكون انتقائياً، وأن المجمع يتوخى من اللجان والباحثين، أن يكون الجمع شمولياً وفق خطة محكمة تضعها اللجنة المختصة ويلتزم بها الباحثون.

ومن القضايا المهمة التي واجهها «المشروع» قضية «تعريف المصطلح»، بحيث يتضمن التعريف كيفية لفظ المصطلح، ووصفه وصفاً واضحاً ودقيقاً، وبيان الغاية منه. وأنه لابد من وضع تعريف للمصطلح حتى لو كان معروفاً لدينا في الوقت الحاضر.

وانتهت مرحلة «الجمع» في ٣٠/١٠/٢٠٠٠. وبلغت مجموع الاستمارات التي جمعت وأدخلت في الحاسوب نحو خمسة وأربعين ألف استمارة؟؟

وبتاريخ ١١/٧/١٤٢١هـ الموافق ٨/١٠/٢٠٠٠م، ألفت لجنة مشروع «معجم ألفاظ الحياة العامة» بالمجمع، هيئة التحرير للمرحلة الثانية من خمسة أعضاء. وكان مقررها الزميل الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة، أحد أعضاء المجمع، وأعضاؤها الآخرون من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية.

وعقدت هيئة التحرير اجتماعات عدة وخلصت إلى وضع منهاج للعمل في إطار المعالم الآتية:

أولاً– يراد من هذا المعجم أن يكون من حيث المبدأ فصيحاً جامعاً عصرياً. وهو معجم وصفي في تعريفه للمفردات، ينطلق مما يفهمه الناس من معانيها المعاصرة. وهو وصفي في اختيار هذه المصطلحات المتداولة، ولكنه معياري حين يتدخل لإجراء تعديلات جزئية أو تغييرات كلية على بعض المفردات، وذلك بما يتفق وقواعد الفصحى في أصولها ومقاطعها، وأوزانها الصرفية أو طرائق تراكيبها التعبيرية.

ثانياً: يكون من مهام هيئة التحرير ما يأتي:

١– مراجعة تقسيم الموضوعات والوحدات في كل موضوع.

٢– مراجعة التعريفات، والتأكد من مدى سلامتها مضموناً وصياغة. ويمكن استشارة بعض الخبراء عند الحاجة.

٣– الاستيثاق من مدى ملاءمة الصور والرسومات لتوضيح المصطلح.

٤– فرز المترادفات واختيار واحد أو اثنين منها، وفق معايير متفق عليها، وذلك بالانطلاق من منهاج واضح في اختيار الألفاظ الدالة على المفهوم الواحد.

٥- السعي إلى تحقيق مبدأ توحيد المصطلح حين تكون المصطلحات متعددة، مثال ذلك يقال في تسمية شيء واحد: منفضة، طفاية، متكة، مكتة، سبرسة، صحن، آش تري...إلخ.

وقد تضاف كلمة «سجائر» إلى أي من هذه الكلمات، وعندئذ لابد من ملاحظة المعايير الآتية:

أ) الكلمة الواحدة في الدلالة الكافية خير من الكلمتين.

ب) الكلمة التي تحمل مدلولاً محدداً أولى من تلك التي تحمل مدلولات متعددة، واستعمالات لا تقتصر على مجال بعينه. وعلى هذا فكلمة «منفضة» مثلاً أفضل من كلمة «صحن»، إذ كلمة «صحن» ترتبط بالطعام ارتباطاً وثيقاً. وهي أفضل من كلمة «طفاية»، لأن طفاية ترتبط بالجهاز المتخصص لإطفاء الحريق.

ج) الكلمة التي تأخذ سمتاً فصيحاً سهلاً أولى من الكلمة التي قد تكون مغرقة في العامية. وعلى هذا فكلمة «منفضة» أفضل من كلمة «متكة» أو مقلوبها «مكتة». فالكلمة العامية قد تشيع في عامية ولا تشيع في أخرى. والمراد بهذا المشروع اللغوي القومي – في نهاية المطاف – أن يؤدي إلى «معجم عربي موحد لألفاظ الحياة العامة».

د) الكلمة العربية أولى من الكلمة الأجنبية، إذا كانت الأجنبية يمكن الاستغناء عنها بالكلمة العربية. وعلى هذا فإن الكلمات السابقة تفضل كلمتي سبرسة وآش تري.

هـ) الكلمة الأجنبية المكونة من كلمة واحدة أولى من الكلمة المكونة من كلمتين فأكثر. والمصطلح الأجنبي المتمشي مع قواعد الصوت العربي

والوزن الصرفي العربي، أولى بالأخذ من ذلك المصطلح الذي يختلف مع قواعد العربية في أصواتها وأوزانها.

و) الدقة في اختيار المقابلات العربية لنظائرها الأجنبية.

ز) اتباع أولويات في المقاييس العربية نفسها. فالمشتقة أولى من الكلمة المنحوتة أو المركبة. و الكلمة الأوسع اشتقاقاً أولى من الكلمة الضيقة الاشتقاق. والكلمة التي تخص مدلولها وحده أولى من الكلمة التي قد تخص مدلولات متعددة.

ح) حين يقدم للشيء الواحد تعريفان متباينان نسبياً، دون أن يترتب على ذلك تناقض أو تضاد، بمعنى أن يقدمه متخصص مركزاً على مواصفات معينة، ويقدمه باحث آخر مركزاً على مواصفات أخرى. فالأولى أن يدمج التعريفان في تعريف واحد.

ثالثاً: تقبل هيئة التحرير من حيث المبدأ جميع الألفاظ التي وردت من اللجان في المرحلة الأولى إلا فيما يساورها الشك في صحته، فتستعين بخبراء متخصصين.

رابعاً: يؤخذ في ترتيب مواد المعجم من حيث المبدأ بحسب المجالات ثم الموضوعات، وفي داخل كل منها بالطريقة الهجائية. وينظر في إخراج «مشروع المعجم» عند إنجازه بأن يطبع أيضاً بالطريقة الهجائية.

وفي مجال تحديد طريقة العمل لإنجاز المرحلة الثانية من "مشروع المعجم"، راجعت هيئة التحرير عدة بطاقات للتعرف على دلالة المصطلحات الواردة فيها، وذلك من أجل تكوين نظرة موحدة بين أعضاء الهيئة يعالجون في إطارها جميع المصطلحات التي تقابلهم في أثناء العمل. واتفقوا على أن أهم بنود البطاقة هو المصطلح، والتعريف الخاص به. ويستأنس بالمعلومات الأخرى من أجل توضيح التعريف، مثل البيئة والموقع والمجال والموضوع، وغيرها..

وقد رأى أعضاء الهيئة أن يبدؤوا بموضوع واحد، وأن يشاركوا جميعاً في صياغة بطاقاته، حتى تتوحد طريقة العمل فيما بينهم، ويعتادوا على تكوين نظرة موحدة في تناول مراحل العمل ومصطلحاته.

واتفق أعضاء هيئة التحرير على أن يتوزعوا في لجنتين، كل لجنة تتألف من عضوين، يتناوبان كتابة البطاقات ومراجعتها فيما بينها. ثم تقدم هذه البطاقات بعد ذلك إلى مقرر هيئة التحرير، ليقوم بمراجعتها، وتعديل ما يراه ضرورياً فيها. ثم تصبح بعد ذلك جاهزة في وضعها النهائي للطبع.

ورأت الهيئة في قضية كتابة الألفاظ الأجنبية بالحروف العربية أنه يوجد طريقتان لكتابتها: الأولى، أن تثبت هذه الألفاظ الأجنبية بالحروف العربية، كما ينطقها أهلها. وهنا لابد من مواجهة مشكلة، أن الألفاظ الأجنبية وافدة من لغات أمم متعددة، تلفظها بأشكال مختلفة، بما في ذلك الأمم التي تستعمل الحروف اللاتينية.

أما الطريقة الثانية، التي ترى هيئة التحرير الأخذ بها، فهي تقريب هذه الألفاظ الأجنبية إلى الحروف العربية، وكتابتها كما تلفظ بالعربية. فقد تحدث تراثنا مثلاً عن اللغة اللاطينية، وعن أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس والبطالسة وقالوا: باريز ولندن ولندرة...إلخ. وإن اختيار هذه الطريقة في كتابة الألفاظ، تنسجم والهدف الرئيسي لوضع معجم موحد على المستوى القومي، وهو السعي إلى تفصيح ما هو عامي، في إطار خصائص العربية وتراثها الضخم عبر التاريخ وتجربتها مع المولد والدخيل والمعرب والمستقرض وتأثرها باللغات الأجنبية وتأثيرها فيها.

وفي قضية اختلاف اللهجات في نطق بعض حروف الكلمات، مثل حروف القاف والكاف، والظاء والجيم...إلخ. فإن النطق يختلف بصور متعددة في المدينة وفي الريف وفي البادية. واتفق على كتابة المصطلح وفق النطق العربي الفصيح، وينسحب هذا مع نطق الألفاظ التي تبدأ بهمزة الوصل، وينطقها المستعمل بالساكن ابتداء.

ومازال العمل في مشروع المعجم مستمراً، وقد قطع شوطاً مهماً في إنجاز المرحلة الثانية. وتتمثل هذه المرحلة بتلمس الطريق، وذلك بوضع منهاج محدد لإقامة بناء مشروع معجم لألفاظ الحياة العامة في الأردن، يكون لبنة مهمة في إقامة «المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة».

ومادام العمل في المعجم مستمراً، فالاقتراحات والملاحظات تتوالى لاستكمال المنهاج ووسائل البحث، وتكامل العمل. وكذلك طريقة تصنيف المعجم، وتحديد الجهات التي تستفيد منه. وغير ذلك من القضايا الفنية في النشر والإخراج والتوزيع. وفي ضوء هذه الاعتبارات ستحدد الفترة الزمنية لإنجاز المرحلة الثانية لمشروع المعجم، وربما استغرقت نحو السنتين. ونحن نأمل إن شاء الله أن ننجزه في هذه المدة الزمنية وأن نقوم بإرساله إلى اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية بالقاهرة. وفي الوقت نفسه سنقوم بنشره بصفته مشروعاً أردنياً لمعجم ألفاظ الحياة العامة، ليستقطب الملاحظات والاقتراحات في عملية معجمية مستمرة إن شاء الله حتى يتحقق الهدف البعيد بإنجاز المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي. ونسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً في خدمة العربية الخالدة، لغة العروبة والإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معجم الحضارة الحديثة

د. أحمد مطلوب

(١)

مرّ المعجم العربي بمراحل كثيرة عبر القرون الماضية، وكان معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (-١٧٥هـ) أول معجم عربي، ثم توالى وضع المعاجم، وتبارى العلماء في تأليفها، وكان منها في القديم:

١- التقفية في اللغة – أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (-٢٨٤هـ).

٢- جمهرة اللغة – أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (- ٣٢١ هـ).

٣- البارع في اللغة – أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغـــدادي (٣٥٦ هـ).

٤- تهذيب اللغة – أبو منصور محمد بن إبراهيم الأزهري (-٣٧٠ هـ).

٥- مختصر العين – أبو بكر الزُّبيدي الإشبيلي (-٣٧٩هـ).

٦- المحيط في اللغة – الصاحب بن عباد (-٣٨٥هـ).

٧- مجمل اللغة – أحمد بن فارس (-٣٩٥هـ).

٨- مقاييس اللغة – أحمد بن فارس (-٣٩٥هـ).

٩- تاج اللغة وصحاح العربية المشهور بالصحاح – أبو نصر إسماعيل بن حَمَّاد الجوهري (-٤٠٠هـ).

١٠- المُحْكَم والمحيط الأعظم في اللغة – أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سِيده (٤٥٨هـ).

١١- أساس البلاغة – جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري (-٥٣٨هـ).

١٢- الزاخر واللباب الفاخر – الحسن بن محمد الصغاني (-٦٥٠هـ).

١٣- مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر الرازي (–٦٦٦هـ).

١٤- لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري الأنصاري الخزرجي (–٧١١هـ).

١٥- غوامض الصحاح – صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدي (–٧٦٤هـ).

١٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – أحمد بن محمد الفيومي (–٧٧٠هـ).

١٧- القاموس المحيط – أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي (–٨١٦ أو ٨١٧هـ).

١٨- تاج العروس من جواهر القاموس – محب الدين أبو الفيض محمد المرتضى الزَّبيدي (–١٢٠٥هـ).

هذه أشهر المعاجم العربية القديمة، وقد اتبع واضعوها عدة طرق في ترتيب موادها، فمنها ما رُتب على مخارج الحروف، ومنها ما رُتب على القافية، ومنها ما رُتب على الفصل والباب، ومنها ما رُتب على أوائل المادة. هذا فضلاً عن الرسائل اللغوية، وكتب اللغات، والقبائل، والحيوان، والنوادر، والبلدان، وكتب الإفراد، والتثنية، والجمع، وكتب الأبنية، وكتب الصفات.

وظهرت إلى جانب هذه المعاجم معاجم المعاني التي رُتبت المواد على وَفْقِ الحقول أو الموضوعات، ومن أقدمها «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم ابن سلام (–٢٢٤هـ) الذي جعله خمسة وعشرين كتاباً منها: خَلْق الإنسان، والنساء، واللباس، والأطعمة، والأواني والقدور، والخيل، والسلاح.

و«فقه اللغة» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (-٤٢٩هـ)، وهو في ثلاثين بابا منها: اللباس، والأطعمة، والأشربة، والنبت، والزرع.

و«المُخَصَّص في اللغة» لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيده (-٤٥٨هـ)، وهو في كتب منها: كتاب خَلْقِ الإنسان، وكتاب النساء، وكتاب اللباس، وكتاب الطعام، ومنها ما يتصل بالسوق، والعمل، والصناعات، والتجارة، والموازين، والمكاييل.

و«كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة» لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن الأجدابي الطرابلسي (-٤٧٠هـ)، وهو في أبواب تتصل بخَلْق الإنسان، والنبات، والحيوان، والأطعمة، والأشربة، والمحالّ، والأبنية، والآنية، والآلات.

وهذه المعاجم لغوية، تكتفي في كثير من الأحيان بكلمة أو عبارة واحدة لشرح الكلمة، مع ذكر بعض الشواهد للدلالة على صحة المادة أو إيضاح معناها.

وظهرت إلى جانب ذلك كتب تُعنى بخَلْق الإنسان، منها: «خَلْق الإنسان» لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (-٣١٠هـ)، وهو في أبواب منها: باب الرأس، وباب العنق، وباب المنكب، وباب العضد. ولا يكتفي الزجاج بذكر المعنى اللغوي، وإنما يستفيض في الشرح والتفصيل في كثير من الأحيان.

و«خَلْق الإنسان» لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين (-٤٩٥هـ)، وهو في خمسين باباً تعرض فيها لكل ما يخص خَلْق الإنسان. ولم يتبع فيه

منهج اللغويين في الكلام على الأبواب التي ذكرها وإنما استفاض في الشرح وبذلك يكون صورة دقيقة للمعجم الحضاري.

و« خَلْق الإنسان» «لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن الذي رتَّبه على حروف المعجم، واكتفى بالشرح اللغوي.

(٢)

اهتم المعاصرون بالمعجم منذ القرن التاسعَ عَشَرَ للميلاد وأصدر بطرس البستاني الجزء الأول من «محيط المحيط» سنة ١٨٦٦م، وأصدر في سنة ١٨٦٩م «قطر المحيط». وأصدر سعيد الشرتوني «أقرب الموارد في فُصُح العربية والشوارد» عام ١٨٨٩م. وأخرج لويس المعلوف «المنجد» سنة ١٩٠٨م. ووضع عبد الله البستاني معجم «البستان» وأصدره سنة ١٩٣٠م، واختصره في «فاكهة البستان» الذي صدر سنة ١٩٣٠م.

وتوالى إصدار المعاجم الحديثة ومنها:

١ – المعجم لعبد الله العلايلي الذي صدر قسم منه بطبعته الأولى سنة ١٩٥٤م.

٢ – المرجع لعبد الله العلايلي الذي صدر مجلد منه سنة ١٩٦٣م.

٣ – المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٠م، وصدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٨٥م.

٤ – متن اللغة الذي أصدره أحمد رضا سنة ١٩٥٨م.

٥ – المعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٨٨م.

هذه أشهر المعاجم المتداولة في الوقت الحاضر، وهي موجزة تجمع بين القديم والحديث، وتبتعد عن الغريب الحُوشيّ، وقد رُتبت على وَفْق الحرف الأول من المادة، وبذلك سهل استعمالها بعد الرجوع إلى أصل الكلمة الثلاثي.

وحاول بعض المهتمين بالمعجم العربي أن ييسر استعمال المعجم، وأصْدر جبران مسعود سنة ١٩٦٤م معجمه «الرائد» الذي رتبه بحسب تسلسل حروف الكلمة متبعاً المعاجم الأجنبية. ونحا هذا المنحى الجيلاني بن الحاج يحيى، وعلي بن هادية، وبلحسن البليش في معجمهم «القاموس الجديد للطلاب»، الذي صدر في تونس سنة ١٩٧٩م. وهذا المنحى مفيد للمبتدئين على الرغم من أنه يشتت كلمات المادة الواحدة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجذر اللغوي، وتفقدها روح الألفة التي يجمعها الاشتقاق.

وصدرت إلى جانب هذه المعاجم العامة معاجم متخصصة في العلوم الصرفة والعلوم التطبيقية، وفي العلوم الإنسانية، كالآثار، والاجتماع، والإدارة، والأعمال، والأدب، والنقد، والأزياء، والإعلام، والاقتصاد والتجارة، والبريد، والبناء، والتربية والتعليم، والرياضة، والسياسة، والفلسفة، والصناعات، والعمل والعمال، والحرف والمهن، والقانون، والمكتبات، والموسيقى، والمواصلات، وغيرها مما يُعَبِّرُ عن حاجة المعاصرين.

ومعظم هذه المعاجم للمتخصصين في علم من العلوم، لذلك لا تتيسر الاستفادة منها للمثقف غير المختص، ومن هنا كانت الدعوة إلى وضع معجم حضاري حديث يتعرض لما يشيع استعماله ويحتاج إليه عامة المثقفين.

(٣)

ظهرت الحاجة إلى معجم للحضارة منذ وقت مبكر في القرن العشرين، والتفت مجمع اللغة العربية في القاهرة إلى هذه الناحية المهمة من نواحي الحياة العامة، وأعدَّ العدة لإنجاز هذا المشروع وإن كان يرى أن معالجة ألفاظ الحضارة صعبة، وقد عبر عن ذلك الدكتور إبراهيم مدكور فقال في تصديره لمحاضر الدورة الثانيةَ عَشْرَةَ (عام ١٩٤٥- ١٩٤٦م) إن «ألفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية، وقد تكون معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، والإجماع عليها ليس بالأمر الهين».

وسبق المجمع في هذا الحقل أحد أعضائه محمود تيمور فأصدر سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م «معجم الحضارة» الذي أراد به أن يكون «مداداً لأقلام كتاب العربية، يُتيح لهم أن يجدوا فيه بعض حاجتهم إلى الإفصاح في التسمية والوصف والتعبير» ويكون «لبنة أو لبنات معجمية» إذ «لابد أن تتناصر جهود وجهود، وتتظاهر محاولات حتى يتم — أو يقرب من التمام — ذلك المعجم الحضاري المنشود».

تضمن المعجم ثلاثةَ عَشَرَ باباً هي: البيت، والأغذية، والمركبات، والثياب، والأمكنة، والحرف، والأدوات، والسوق، والرياضة، والطبيات، والزينة، والفنون، والثقافة.

وسار في خطته على وضع ثلاثة حقول هي:

١- الكلمة المستعملة، ويُريد بها تيمور الشائع من الألفاظ بين الناس.

٢- البيان، ويُريد به إيضاح الكلمة أو تفسيرها.

٣- الكلمة المفضلة، أي الكلمة العربية الفصيحة التي تحل محلّ اللفظة الأجنبية، أو العامية.

وكان تيمور يضع الكلمة الأجنبية إلى جانب الكلمة المستعملة، وقد يشرحها أو لا يشرحها، ثم يأتي بالكلمة المفضلة، وبذلك كان معجمه أقرب إلى المعاجم الثنائية التي تذكر الكلمة بلغة، ثم تذكر معها ما يقابلها في لغة أخرى.

وفي سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة «معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون» وهو قسمان:

الأول: ألفاظ الحضارة، وقد شمل: الثياب، والمأكولات، والمنزل، والأدوات المنزلية، والأماكن، والمكتب، والمركبات، والحرف، والصناعات، والتربية الرياضية، وبعض الألفاظ المتنوعة.

الآخر: مصطلحات الفنون وهي: فن التصوير، ومذاهب الفن الحديث، وفن النحت، وفن المرسومات، والخزف، والرقص، والموسيقى، والسينما.

وسار واضعو المعجم على خطة واضحة، فهم يذكرون الكلمة وما يقابلها باللغتين الفرنسية والإنكليزية، ثم يشرحونها بإيجاز وبذلك يكون هذا المعجم أكثر فائدة من معجم تيمور الذي لم يشرح كثيراً من مواده.

وعُني المجمع العلمي العراقي بألفاظ الحضارة، وأصدر سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م كراساً باسم «ألفاظ حضارية مُحْدَثة»، وقد رُتبت الألفاظ فيه ألفبائياً. وتوسع المجمع في عمله بعد ذلك ووضعت لجنة اللغة العربية فيه معجم «ألفاظ حضارية» الذي صدر سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، وقد ضم كثيراً من الألفاظ الحضارية التي رُتبت ألفبائياً، وذكرت معها الألفاظ الشائعة في العراق، فضلاً عن الأصل الأجنبي للكلمة التي يستعملها المتحدثون.

وكان الهدف من وضع هذا المعجم تجنب استعمال الألفاظ الأجنبية أو العامية في شؤون الحياة المختلفة ولا سيما بعد أن صدر سنة ١٩٧٧م «قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية» الذي ألزم استعمال اللغة العربية الفصيحة في المجالات المختلفة.

هذه أمثلة تدل على الاهتمام بألفاظ الحضارة الحديثة، ولكنها لا تعبر تعبيراً دقيقاً عن جوانب الحضارة المختلفة، إذ إن الحضارة ليست المأكل، والمشرب، والملبس، وأدوات الزينة، والكماليات، فحسب، وإنما هي أوسع من ذلك، إذ تشمل مجموعة القيم، والمعارف، والخبرات، وما يتصل بها من معنويات وماديات، ولذلك كانت الدعوة إلى وضع «معجم الحضارة الحديثة» الذي يضم مختلف جوانب الحياة وما يتصل بشؤون المجتمع الفكرية، والثقافية، والإدارية، والسياسية، والمهنية، والفنية، ونحو ذلك مما يحتاج إليه الإنسان المعاصر، وهو يقرأ الكتب والصحف، ويستمع إلى الإذاعة، ويشاهد الإذاعة المرئية، ويتعامل مع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

(٤)

ومعجم الحضارة الذي تدعو إليه الحاجة في هذا العصر الذي اتسعت فيه مناحي الحياة، ليس معجماً لغوياً، وإنما هو تعبير عن جوانب الحياة المختلفة، أي أنه وثيق الصلة بالمجتمع وما يعتمل فيه من نشاط إنساني، إذ لا يمكن عزل الحضارة عن المجتمع – وهي النظام الاجتماعي الذي يتحرك فيه الإنسان – ولا عن اللغة – وهي المعبرة عن مظاهر الحضارة المختلفة – وعن مستواها في السلّم الحضاري الذي هو سبيل استيعابها مستحدثات الحياة.

ويهدف «معجم الحضارة الحديثة» إلى تقديم معانٍ واضحة للألفاظ الحضارية المستعملة في هذا العصر لتكون في متناول الأيدي. وهذا الهدف لا يتقاطع مع أهداف المعاجم العربية القديمة والحديثة، لأنها ستكون من أهم مصادر المعجم الجديد عن الكلام على لفظة حضارية حديثة أو قديمة لاتزال مستعملة وشائعة بين الناس في هذا العصر.

والمعجم بعد هذا ليس للمختصين في الآداب والعلوم والفنون، وإنما هو للمثقف ثقافة عامة، ولذلك لن تذكر فيه المصطلحات أو الألفاظ التي تُعبر عن دقائق الأمور، فالمذياع – مثلاً– يُوصف مظهره الخارجي وفائدته وأهميته، أما أجزاؤه فلا تدخل في المعجم وإنما مكانها الكتب العلمية المختصة بالوسائل الفنية التي تهم الباحثين والدارسين العلميين والفنيين.

ولا تقف أهمية هذا المعجم عند هذا الحد، وإنما هو كالمعاجم الأخرى وثيق الصلة بعلم المصطلح، والمصطلحات، والترجمة بنوعيها: الاعتيادية والآلية، وبذلك يخدم أغراضاً متعددة، فضلاً عما يقدم من شرح واضح دقيق لمن يريد أن يقف على مظهر من مظاهر الحضارة الحديثة.

فما هذا المعجم؟ وكيف يكون؟

(٥)

إن أهم عناصر المعجم ثلاثة: المادة المعجمية، ونظام التصنيف، والشرح.

أولاً: المادة المعجمية:

معجم الحضارة الحديثة أُحادي اللغة لأنه يخص اللغة العربية، ويهدف إلى إشاعة اللفظ الفصيح بعد أن دخل كثير من الألفاظ الحضارية الأجنبية

إلى المجتمع العربي، واختلفت تلك الألفاظ باختلاف أقطار الوطن العربي، فهناك الألفاظ الإنكليزية، والفرنسية، والفارسية، والتركية، والهندية، وغيرها من الألفاظ التي يجب أن تحل محلَّها ألفاظ عربية فصيحة ليصدر العرب والناطقون بلغة الضاد من غيرهم عن منهل واحد، وليتم التفاهم والتواصل بعد أن مزق الأجنبي الأمة العربية وفرض في غير قطر من أقطارها لغته.

لقد دخل كثير من الألفاظ الأجنبية إلى العربية في الزمن القديم، ووضعت كتب المعرب والدخيل لشرحها، وكان معظمها إلى عهد ليس بالبعيد شائعاً، ولكنه بدأ يختفي بفضل النهضة القومية التي شهدتها الأمة منذ مطلع القرن العشرين. والعودة إلى «المعرب» للجواليقي و«شفاء الغليل» للخفاجي تؤكد ذلك إذ اختفت آلاف الألفاظ في هذه الأيام وحلت محلها لغة الكتاب العزيز.

هذا فضلاً عن أن الهدف من المعجم خدمة العرب ومن يتكلم بلغتهم، لاوضع معجم ثنائي أو ثلاثي ينتفع به من يريد معرفة لغة أجنبية، لأن موضع هذا المعجمُ الثنائي الذي تفنن المعاصرون في وضعه وإصداره بطرق وأساليب متنوعة.

ويضم معجم الحضارة الحديثة الألفاظ العربية الفصيحة الشائعة في الاستعمال، وليس الألفاظ العلمية الدقيقة التي يُعنى بها المختصون في علم من العلوم، ففي الاقتصاد – مثلاً – لا يذكر المعجم مصطلحاته التي يعرفها المختصون به، وإنما تذكر مثلاً: «السوق المشتركة» و«التضخم النقدي» و«الشركات متعددة الجنسية» ومفهوم «العولمة» في الاقتصاد، ونحو ذلك مما يهم المثقف الاعتيادي الذي يريد أن يعرف دلالة هذه الألفاظ وأمثالها وهو

يقرؤُها ويسمعها كل يوم. ويُقال مثل هذا عن العلوم الأخرى لأن المعجم عام تُراد به إشاعة العربية الفصيحة في الكتابة، والحديث، ووسائل الإعلام.

ولن يخص المعجم قطراً عربياً دون قطر، وبذلك تكون مشاركة مؤلفين من عدة أقطار عربية مهمة للاتفاق على كلمة تشيع في أكثر البلدان والأخذ بها سعياً إلى اللغة المشتركة والتواصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه. ولا يمنع ذلك من ذكر اللفظ الشائع في أثناء الشرح والإشارة إلى القطر الذي يشيع فيه زيادة في الفائدة، ودقة في الشرح والتعريف.

أما مصادر المادة المعجمية فهي كثيرة تشمل القديمة والحديثة، ولعل من أهم ما يرفد المعجم:

١ – الرسائل اللغوية، وكتب اللغات، والحيوان، والنبات، والنوادر.

٢– المعاجم وقد ضمت مفردات اللغة ومعانيها وكثيراً من الأبنية ودلالاتها.

٣– التراث ويضم ما تركه العرب من كتب فقهية، وأدبية، وعلمية، وتاريخية، وجغرافية، وفلسفية، وإدارية، لأن فيها مادة لم تذكرها المعاجم بحجة أنها مولدة جاءت بعد عهد الاستشهاد اللغوي. ولعل من أهم كتب التراث التي تحفل بألفاظ حضارية كتب الجاحظ، وابن قتيبة، وأبي حيان التوحيدي، والكتب التي مثلت الحضارة العربية الإسلامية في مختلف العصور.

٤– كتب الأدباء المعاصرين ولاسيما الإبداعية كالقصة، والرواية، والمسرحية، إذ فيها كثير من الألفاظ الحضارية الحديثة التي تعبر عن المعاصرة خير تعبير.

٥– كتب العلوم المختلفة وانتقاء الألفاظ الشائعة منها في وسط المثقفين.

٦- الألفاظ العربية التي تشيع في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، إذ لابدّ من إدخالها في المعجم لحاجة الناس إليها، وهم يقرؤون، أو يسمعون، أو يشاهدون.

٧- معاجم الحضارة الحديثة مثل «معجم الحضارة» لمحمود تيمور، و«معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون» الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة، ومعجم «ألفاظ حضارية» الذي أصدره المجمع العلمي ببغداد، وغيرها من المعاجم التي صدرت هنا وهناك.

٨- المعاجم التي تخص بعض شؤون الحضارة مثل: «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» لرينهارت دوزي، و«معجم الملابس في لسان العرب» للدكتور أحمد مطلوب، و«معجم مصطلحات الملابس» الذي أعدَّه مكتب تنسيق التعريب في الرباط، ومعجم «مصطلحات في الموسيقى» الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة، وغيرها من المعاجم الخاصة بالآداب والفنون التي صدرت في الأقطار العربية.

٩- ما تقره المجامع العربية من ألفاظ حضارية حديثة.

ولا تعني هذه المصادر الأخذ بكل ما جاء فيها وإنما استخلاص ما يتصل بمعجم الحضارة الحديثة، أما الألفاظ التي اختفت لأن مدلولها اختفى فلن تذكر، ومن ذلك أسماء بعض الآلات والأدوات والملابس والأطعمة والأشربة التي عَفّى عليها الزمن وأصبحت تراثاً يرقد في بطون المعاجم والكتب. ويقال مثل هذا عن الألفاظ الأجنبية التي ذكرت في المعاجم والكتب القديمة والحديثة، ليبقى المعجم عربياً ناصع الجبين، أي أن المعجم يجب أن يخلو:

١- من الألفاظ الحُوشيَّة والمهجورة، أو الدالة على أشياء اندرست ولم تبق لها في الحياة المعاصرة دلالات حضارية.

٢- من الألفاظ الأجنبية إلا إذا وردت في الشرح لشيوعها في قطر من الأقطار العربية، وذلك زيادة في الشرح والتعريف والإيضاح.

٣- من المصطلحات العلمية الدقيقة، لأن موضعها معاجم المصطلحات العلمية المتخصصة التي تصدرها المجامع اللغوية والعلمية في الوطن العربي.

ثانياً: نظام التصنيف:

اختلف تصنيف المعاجم العربية بين معجم وآخر، وقد رُتب بعضها على مخارج أصوات الحروف، وبعضها على القافية، وبعضها على الباب والفصل، وبعضها على الحرف الأول من المادة، ثم رُتبت المفردات ألفبائياً. ووضع العرب بعض معاجم المعاني وصنفوها على وَفْقِ الأبواب أو الحقول، ومن ذلك «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام، و«فقه اللغة» للثعالبي، و«المخصص» لابن سيده، و«كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ» لابن الأجدابي. وسارت كتب «خَلْق الإنسان» في هذا الاتجاه، وذكرت المواد في أبواب أو فصول، ولم يشذ عن ذلك إلا القليل منها مثل «خَلْق الإنسان في اللغة» لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن الذي رتبه ألفبائياً.

وجعل محمود تيمور معجمه في أبواب، ووضع مجمع اللغة العربية في القاهرة معجمه في أقسام ضم كل قسم ما كانت الصلة بين ألفاظه دقيقة كالثياب، والمأكولات، والحرف، والصناعات، ونحو ذلك.

ويستحسن أن يأخذ «معجم الحضارة الحديثة» بهذا النهج فيرتب الألفاظ الحضارية في أبواب، أو فصول، أو حقول، وتدرج فيها الألفاظ كما تُنطق على وَفْقِ ترتيب الحروف العربية. وفي هذا النهج يتضح:

١- جمع المادة الواحدة في مكان واحد.

٢- تيسير مراجعة المعجم، لأن الرجوع إلى حقل معين أسهل من الرجوع إلى جميع مواد المعجم عند البحث عن لفظة أو معنى من المعاني.

وقد يُوضع في نهاية المعجم مَسْرَد لجميع الألفاظ مرتبة ترتيباً ألفبائياً ليكون مفتاحاً لمن يريد أن يبحث عن لفظة لا يعرف بابها أو حقلها، وبذلك يستكمل المعجم آليته ويكون سهل التداول في أيدي المراجعين.

ثالثاً: الشرح:

كانت المعاجم اللغوية العربية تهتم بشرح المفردة بكلمة واحدة في الغالب، وتذكر – أحياناً- معانيها المتعددة، وتشير إلى صيغة الفعل الماضي، والأبنية السماعية، وتعزز أصالة المفردة بشاهد من القرآن الكريم والشعر العربي القديم. وليس في معظمها شرح وافٍ يعطي صورة واضحة، فإذا ورد اسم نبات أو حيوان قيل –في الغالب-: «معروف».

وسارت المعاجم اللغوية الحديثة على هذا النهج، ونقلت ما ذكرته المعاجم القديمة، وأضافت المفردات التي استجدت في عصر النهضة العربية الحديثة، ولعل المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة أوثق معجم حديث يُعنى بالألفاظ الحضارية الجديدة ويذكر ما يُعين مَنْ يرجع إليه على فهم اللفظة، إذ رسم واضعوه خطة جيدة تتضح في ترتيب مواده حيث قدموا الأفعال على الأسماء، والمجرد على المزيد، والمعنى الحسي

على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي، والفعل اللازم على الفعل المتعدي، ورُتب الفعل الثلاثي على أبوابه الستة، ورُتبت صيغ الأفعال الأخرى ترتيباً دقيقاً. وذكر بعض الشواهد والأمثلة القليلة التي تؤكد أصالة اللفظة، وبذلك أخذ بما اختطه القدماء وإن لم يصل إلى ما فعله ابن منظور في «لسان العرب» الذي أكثر في معجمه من الشواهد القرآنية والحديث النبوي وكلام العرب.

ولم تخرج معاجم المعاني عن هذا النهج، إذ اهتمت بالمعنى اللغوي وذكْرِ بعض الشواهد تأكيداً لعروبة اللفظة وأصالتها. فأبو عبيد القاسم بن سلام قال في «الغريب المصنف»: «قال أبو عبيد بن سلام مولى الأزد: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: الأنوف، يقال لها المخاطِم، وأحدها: مَخْطِم، قال: البوادِر من الإنسان وغيره: اللحمة التي بين المنكب والعنق. وأنشدنا لخراشة ابن عمرو:

وجـــاءتِ الخَيْلُ مُحْمَرًّا بوادِرُها زُوراً وزلّت يدُ الرامي عن الفوقِ

و«المرادِغ: ما بين العنق إلى الترقوة».

وسارت معاجم المعاني الأخرى مثل «فقه اللغة» للثعالبي، و«المخصص» لابن سيده على هذا النهج، ولم تخرج كتب «خَلْق الإنسان» عن ذلك إلا قليلاً.

ونهجت معاجم الحضارة الحديثة نهجاً جديداً، فهي لا تذكر المعنى اللغوي وما يتصل به من الأبنية والصيغ والاشتقاق، وإنما تُعرِّف اللفظة تعريفاً موجزاً، بكلمة حيناً، وببعض الكلمات حيناً آخر. فمحمود تيمور في معجمه يضع كلمة عربية مقابل اللفظة الأجنبية أو العامية – في الغالب – أي

أنه يفعل فعْلَ واضعي المعاجم ثنائية اللغة أو ثلاثية اللغة، ولا يُعرِّف الكلمة تعريفاً واضحاً إلا قليلاً، منطلقاً من أنَّ القارئ يعرف معناها من الكلمة المتداولة أو الكلمة الأجنبية.

وخطا مجمع اللغة العربية في القاهرة خطوة أوسع في معجمه، والتزم بالتعريف التزاماً دقيقاً، إذ عَرَّف كل مادة ذكرها تعريفاً موجزاً قد يُغني في كثير من الأحيان. ولكن «معجم الحضارة الحديثة» الذي يُطمح إليه يجب أن يتوسع في الشرح والإيضاح ليكون أكثر فائدة ونفعاً، ومن سمات الشرح:

١- أن يكون واضحاً ليس فيه إبهام أو لبس، أو ألفاظ بعيدة عن استعمال المعاصرين.

٢- أن لا تستعمل الأضداد في الشرح لأنها كثيراً ما تكون غير مفهومة، أو مضللة، أو بعيدة عن المدارك والأذهان.

٣- أن تكون العبارات صافية عليها رونق من الجمال والإشراق.

٤- أن تحدد صفات المدلول تحديداً دقيقاً، فلا يقال –مثلاً– إنه نوع من الملبس، أو المأكل، أو المشرب، كما كان القدماء يقولون: إنه نبات معروف، أو حيوان مألوف.

(٦)

إن وضع «معجم الحضارة الحديثة» ضروري بعد أن شاعت الآداب والعلوم والفنون، وتقدمت وسائل الاتصال، وأصبح العربي محاصراً بالثقافات المختلفة تأتيه من هنا وهناك بلغات أجنبية ولكنات أعجمية تكاد تفقده كثيراً من مظاهر ثقافته العامة، ولغته التي هي أهم مقوّم من مقومات وجوده ووحدته.

وفي إطلالة الألفية الثالثة شرع المجمع العلمي في بغداد بوضع نواة لمعجم الحضارة الحديثة التي تتبوأ مكانة مهمة في حياة الإنسان العربي الذي يسعى إلى مواصلة عطائه الحضاري مشاركة في تقدم البشرية من خلال ما يحيط بالإنسان من تطلع نحو حياة فضلى بكل ما تحمل كلمة الحضارة من دلالات. وقد توزعت حقول «معجم الحضارة الحديثة» على مستجدات الحياة المعاصرة، وهي:

أولاً: الإعلام والاتصال:

١– الصحافة. ٢– الإذاعة والتلفزيون ٣– الطباعة. ٤– وكالة الأنباء.

٥– وسائل الاتصال (شبكة المعلومات الدولية – الإنترنيت – الهاتف، الأقمار الصناعية...).

ثانياً: السينما والمسرح:

١– السينما. ٢– المسرح.

ثالثاً: الفنون الجميلة:

١– الرسم. ٢– النحت. ٣– التصميم. ٤– الموسيقى.

٥– الخط. ٦– التصوير. ٧– العمارة.

رابعاً: التربية والتعليم:

١– التربية. ٢– التعليم. ٣– علم النفس.

خامساً: الإدارة والمكاتب الرسمية:

١– الإدارة ٢– المكاتب.

سادساً: الصحة:

سابعاً: الزراعة والري والثروة الحيوانية والبيطرة:

١– الزراعة. ٢– الري. ٣– الثروة الحيوانية. ٤– البيطرة.

ثامناً: المواصلات:

١– المركبات. ٢– الطرق. ٣– الجسور.

تاسعاً: السياسة:

١– السياسة الداخلية. ٢– العلاقات الخارجية.

عاشراً: البيت:

١– أجزاء البيت ومرافقه. ٢– الأثاث. ٣– الأدوات المنـــزلية.

الحادي عشر: الملابس:

١– أنواع الملابس. ٢– الخياطة

الثاني عشر: السلوك الاجتماعي:

١– البيئة. ٢– العادات.

الثالث عشر: الرياضة والشباب:

١– التربية الرياضية. ٢– الألعاب.

الرابع عشر: الأطعمة والأشربة.

١– الأطعمة ٢– الأشربة.

الخامس عشر: الأنواء الجوية.

السادس عشر: الاقتصاد:

١– الاقتصاد. ٢– التجارة. ٣– السوق.

السابع عشر: الحرف:

١ – المهن العامة. ٢– الحرف الشعبية.

الثامن عشر: الثقافة والآداب:

١ – الثقافة. ٢– الآداب.

وقد تضاف أبواب أو حقول في أثناء عمل المكلفين بالكتابة في كل حقل من الحقول المذكورة.

وحددت اللجنة التحضيرية للمعجم منهج كتابة المواد، وهو:

١ – أن تكون الكلمة عربية فصيحة مستعملة في اللغة المعاصرة.

٢– أن ترتب المواد بألفاظها على الترتيب الألفبائي.

٣– أن يكون الحد الأعلى لكتابة المادة نحو خمسة أسطر.

٤ – أن يشار إلى الكلمة الأجنبية الشائعة الاستعمال – إن وجدت – بالحرف اللاتيني في أثناء الشرح.

٥ – أن تضبط الألفاظ بالشكل.

٦– أن لا يذكر المصدر أو المرجع الذي تُستقى المادة منه في الشرح.

٧– أن تقدم قائمة مستقلة بالمصادر أو المراجع التي اعتمدت.

ويُعد هذا المعجم نواة لمعجم حضاري حديث تشترك فيه مجامع الأقطار العربية ليكون ممثلاً صادقاً لكل العرب أينما كانوا، ومنهلاً يردونه للوقوف على ما يتصل بالحضارة الحديثة. ولعل اتحاد المجامع العربية ينهض بمشروع أوسع مما خَطَّطَ له المجمع العلمي ببغداد، لأن الهدف قومي وليس قطرياً. وفي الوطن العربي طاقات جبارة، وما أعظم الإنجاز إذا تفجرت تلك الطاقات.

(٧)

وبعد:

فإن وضع معجم للحضارة الحديثة أمل يتطلع إليه كل عربي وهو يحيا في عصر تتفجر فيه المعلومات، وتحيط به من كل جانب. ولعل في الدعوة إليه والتخطيط له «معالم في الطريق»، ولعل ما ينهض به المجمع العلمي ببغداد يكون نواة لمعجم حضاري كبير، يقدم هدية للعرب والناطقين بالضاد وهم يُبحرون في القرن الحادي والعشرين...

المعاجم الموسوعية العربية
بين الواقع والطموح

د. فاتن خليل محجازي

مدخل البحث:

- **تحديد مصطلح «المعجم الموسوعي اللغوي»**

تعرف الموسوعة البريطانية المعجم بأنه مرجع تنتظم فيه قوائم الكلمات وتعطي معانيه، وبالإضافة إلى تحديد الكلمات يزودنا المعجم بمعلومات حول لفظ الكلمات، ورسمها الهجائي، وصيغها، وأصلها الاشتقاقي، ويقدم المعلومات الصرفية والنحوية، والمعلومات الموسوعية. كما أن المعجم يزودنا بالشواهد التي توضح استعمالات الكلمة، وهذه الشواهد يمكن تأريخها لبيان الاستعمالات المبكرة للكلمة في معانيها الخاصة بالفترة الزمنية المحددة بالشاهد[1].

هذا ما يفترض في المعاجم الموسوعية، وهي المعاجم التي هدفت إلى جمع ألفاظ اللغة عامة دون تخصيص بموضوع أو بناء، فهي تقابل المعاجم المتخصصة، وتختلف عن الموسوعات، فالمعجم يفسر الكلمات بينما تفسر الموسوعة الأشياء ومع ذلك فمن العسير إنشاء معجم دون عناية كبيرة بالأشياء، والأفكار التجريدية.

وقد يحصل التداخل بين المعجم والموسوعة من حيث الوظيفة، أو التوجه، أو التسمية فيصبح المعجم أشبه بالموسوعة عند احتوائه على معارف، أو معلومات، أو مفردات حضارية خارجة عن مجاله الذي يهتم به

وهو متن اللغة، أو عند توسعه في الشرح، وميله إلى التفصيل فيما من شأنه الاختصار، وجنوحه إلى الاستطراد كما هو الحال بالنسبة إلى معظم المعاجم العربية[٢]، التي عرفت نوعين من المعاجم: معاجم تهتم باللغة، ومعاجم تهتم بالأشياء لكن ليس كل معجم يهتم بالأشياء موسوعة لأن الموسوعة تفترض الشمولية مما لا ينطبق على المعاجم المتضمنة أنواعاً خاصة من الموضوعات غير اللغوية مثل: «المعجم الأصغر» و«المعجم الأوسط» و«المعجم الكبير» في أسماء القرّاء وقراءاتهم لمحمد بن الحسن الأنصاري النقاش (ت٣٥١هـ)[٣]، و«معجم الأدباء» و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت ٦٢٦) وغيرها، وبالتالي نختلف مع الدكتور محمد رشاد الحمزاوي الذي يعد كل معجم اهتم بالأشياء موسوعة عندما حاول أن يميز بين المعاجم اللغوية والموسوعات، يقول د. الحمزاوي: «المعجم يستوجب أن يعرف بحسب طبيعة المعلومات التي يوفرها عن اللفظ المُدخَل، أو ما يسمى قديماً وحديثاً بالمادة. وهذه الطريقة تساعدنا على التمييز بين نوعين غالبين من المعاجم، وهما معجم الكلمات، ومعجم الأشياء، فالأول يهتم بوضع الكلمة دلالياً وصوتياً، وصرفياً، ونحويّاً، وأسلوبيّاً، واستعمالاً في سياق معين كثيراً ما يعتمد الشواهد، أما معجم الأشياء، فإنه يهتم بالشيء أو الموضوع الذي يعبر عنه بكلمة من الكلمات، معتمداً في ذلك جملاً تصف ذلك الشيء أو الموضوع، واستعماله، وأصله، ومكانته من ثقافة المجموعة المعنية، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقر أن معجم الكلمات هو المعجم اللغوي، وأن معجم الأشياء هو المعجم الموسوعي أو الموسوعة فضلاً عما يتميز به الأول عن الثاني في مستوى ترتيب المداخل أو المواد، فالنوع الأول يهتم بمفردات اللغة

واستعمالها، والثاني يركز اهتمامه على المضمون الذي تحيل إليه الكلمات، ويمكن أن يتميز المعجم الموسوعي عن المعجم اللغوي باستيعاب أسماء الأعلام والبلدان، وإن كان من الممكن أن يستوعبها المعجم اللغوي فيصبح معجماً لغوياً موسوعياً»(٤).

وتحديدنا للمصطلح «**المعجم اللغوي الموسوعي: هو المرجع الذي تنتظم فيه قوائم الكلمات الموجودة في لغة ما، ويعطي معانيها، ويبين تكوينها الصوتي، والصرفي، وكيفية استعمالها في إطار السياقين النظمي النحوي والاجتماعي، ويثبت شكلها الكتابي والصوتي**».

- **المعاجم الموسوعية التي ألفها العرب القدماء:**

وقد حاول العرب إنشاء مثل هذه المعجمات في فترة مبكرة من تاريخ الدرس اللغوي العربي فأبدع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) أول نظرية معجمية عربية، وحاول أن يطبقها في كتاب **العين** المعروف، تتابعت بعده محاولات التأليف المعجمي التي هدفت إلى الإحاطة بكل مفردات اللغة ويبدو هذا الهدف في الأسماء التي اقترحت لتكون عناوين هذه المعجمات من مثل «**المحيط في اللغة**» للصاحب بن عبّاد (ت٣٨٥هـ)(٥)، و«**المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**» لابن سيده (ت٤٥٨)(٦)، و«**لسان العرب المحيط**» لابن منظور (ت٧١١هـ)(٧)، و«**القاموس المحيط**» للفيروزابادي (٨١٧هـ)(٨)، وغيرها.

ويعد «**لسان العرب**» أول معجم موسوعي لأنه لا ينزع إلى انتقاء مادته(٩)، كما في «**جمهرة اللغة**» لابن دريد (٣٢١هـ)(١٠)، و«تهذيب اللغة» (٣٧٠هـ)(١١)، و«تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (ت٣٨٥هـ)(١٢)، ولا

يقف عند حدود اللغة ومفرداتها وإنما تجاوز ذلك إلى حضارة اللغة، وهو هدف انفرد به ابن منظور عن غيره من علماء المعاجم منذ الخليل حتى اليوم[١٣].

وقد جاء الفيروزابادي (ت٨١٦هـ) ليلخص ما جاء من معاجم سابقة كالمحكم والعباب، وحذف الشواهد، وأضاف مادة جديدة خاصة بالأعلام والنباتات، وبذلك ضم القاموس مادة لغوية متنوعة قد شرحت شرحاً بسيطاً محذوف الشواهد مطروح الزوائد مما أتاح لهذا المعجم شهرة واسعة وانتشاراً كبيراً.

وقد كان إيجاز القاموس المحيط، وغموضه مع شموله وكثرة استعماله سبب تأليف معجم «تاج العروس من جواهر القاموس»[١٤]، للزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ويتضح من المقدمة التي جاءت في تاج العروس أن السيد مرتضى الزبيدي قد هدف إلى إيراد جميع ما في القاموس، وتحقيقه تحقيقاً علمياً وشرحه والتنبيه على مراجعه والاستشهاد عليه.

- **النظرية المعجمية العربية وتطورها:**

ونستطيع أن نميز بين مرحلتين من مراحل التأليف المعجمي عند العرب: المرحلة الأولى تتمثل بفترة الاحتجاج ونأخذ مثالاً عليها «كتاب العين» للفراهيدي.

والمرحلة الثانية تتمثل بالتأليف في فترة ما بعد الاحتجاج ونأخذ منها «لسان العرب المحيط» و«القاموس المحيط» و«تاج العروس من جواهر القاموس».

إن التقسيم هنا سوف يسمح بمتابعة النظرية المعجمية العربية وملاحظة ما طرأ عليها من تطور، وبالتالي تعقب الأخطاء التي ارتكبها

اللغويون العرب لتصحيحها، ومتابعة الطريق نحو معجم عربي موسوعي يلبي متطلبات المرحلة الحضارية المعاصرة مما نطمح إليه.

ويبدو الطموح هنا نوعاً من الخيال والجموح، فاللغة العربية العريقة مكونة من مجموعة من الطبقات التاريخية المتمايزة بعضها مازال مغيّباً عن الوصف مما يثير إشكالية معقّدة حول صحة إطلاق تسمية «**معجم موسوعي**» على واحد من المعاجم المعروفة، أو القدرة على صناعة «**معجم موسوعي لغوي علمي**» يضم مفردات اللغة العربية التي استخدمت سابقاً، أو تستخدم اليوم، أو سيلاحق ما تبدعه اللغة في الغد.

أ: فترة الاحتجاج:

ظهرت في القرن الثاني الهجري أول نظرية معجمية عربية مكتملة بمعجم لغوي هو «**كتاب العين**»، توفرت فيه أغلب العناصر من مداخل، وترتيب، وتعريف، وشواهد، وأساليب غايتها الإحاطة بخطاب العربية وفصاحته وبيانه، وبالتالي بمقولاته في المجتمع والكون وقد وصفها د. محمد رشاد الحمزاوي بأنها «رؤية جامعة سلطها الفكر العربي الخليلي على المعرفة عموماً والعربية خصوصاً، وعلى مناهج تنظيمها، وتصنيفها من خلال آليات لغوية كونية وسيلتها عربية حتى يدرك الفكر الكوني والعربي منـــزلة خطابه الاجتماعي، والثقافي، والحضاري في محيطه القريب والبعيد. فهي تنطلق من ثلاث مصادرات تعتمد مثل العلوم التجريبية على الوصف والمشاهدة والاستنتاج من خلال آليات لغوية عربية. وهي بالتالي أسمى مظاهر الفكر العربي في بحثه عن مآثر الفكر العربي والكوني»[١٥]، هذه هي النظرية التي أفرزت كتاب العين قد اكتملت ونضجت في فكر عربي من الأفضلَ أن

ينسب إلى جماعة دارسي اللغة في القرن الثاني إلا أن الفكر العلمي المنظم الذي تمتع به الخليل بن أحمد الفراهيدي قد ساهم في إخراجها بشكلها المنظم بما تمتع به من معرفة رياضية ومنطقية فرضت منهجها سواء أكان الخليل وحده صاحب العين أم اشترك معه غيره[١٦]، فنحن هنا أمام نظرية في المعرفة أنتجها التراكم العلمي الذي خلفه الباحثون العرب.

مصادرات النظرية المعجمية في «كتاب العين»:

اعتمدت نظرية العين على ثلاث مصادرات:

أولاها: كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي فمن الثنائي هل، وعق، ومن الثلاثي خرج وعمر، ومن الرباعي دحرج وعبقر، ومن الخماسي اقشعرّ وسفرجل[١٧]، وهذا ما يسمح بإجراء عملية حسابية يؤخذ فيها بعدد الحروف الهجائية العربية وهي تسعة وعشرون حرفاً ونصل بالتالي إلى معرفة عدد المفردات المحتمل تشكلها، ومن أجل الدقة استخدم نظام التقليبات، وقد ميز الخليل بين المفردات المستعملة بالفعل والمفردات المهملة وهي الموجودة بالقوة.

وثانيتها: تهدف إلى التمييز بين الكلام العربي والدخيل بتطبيق بعض قوانين التشكيل الصوتي التي وصل إليها بعد ملاحظة المستعمل ونذكر منها:

– ليس بعد الدال زاي في كلام العرب[١٨].

– لا تجتمع القاف والكاف في كلمة واحدة، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم[١٩].

– ليس في كلام العرب شين بعد لام مثل الأقلش[٢٠].

– لا يلتقي في كلمة عربية حرفان مثلان في حشو الكلمة إلا بفصل لازم[٢١].

– الهاء والحاء لا تأتلفان في كلمة أصلية الحروف إلا في النحت مثل حيهل[٢٢].

– لا تكون الكلمة رباعية أو خماسية معراة من الحروف الذلق أو الشفوية[٢٣].

وغير ذلك من القوانين التي جاءت بعد دراسة النسيج الصوتي للكلمة العربية.

وثالثتها: تقر ترتيب وتنظيم ألفاظ المعجم النظري على أساس نظام صوتي ينطلق من أكثر الأصوات عمقاً في الحلق، ووضوحاً في السمع «نصاعة»، وثباتاً في الشكل فهو «لم يبدأ بالهمزة مع أنه ينسبها إلى أقصى الحلق لما تتعرض له من التغيير والتبديل»[٢٤].

وقد استنتج بعض دارسي الفكر المعجمي العربي من هذه النظرية نتائج مختلفة هي:

١– اعتماد اللغة لبناء نظرية عربية قويمة للإحاطة بالفكر العربي على مفهوم «النظام» العلمي الذي يفترض عناصر مترابطة ومبررة في نطاق من العلوم المثبتة فقد ربط الخليل مصادرته الأولى بالرياضيات، والثانية بعلم اللغة المقارن، والثالثة بعلمين: علم الفسيولوجيا وعلم الأصوات مما وفر لنظريته الشروط الكافية لوضعها.

٢– الإحاطة برصيد اللغة العربية المطبق والنظري وبالتالي بمجالات الفكر الموجودة والمنتظرة كما يعبر عنه لفظاً «مستعمل» و«مهمل».

٣– وضع الثقافة العربية الإسلامية في مكانها من الثقافات الأخرى، وذلك بفرز ألفاظ الثقافة العربية ومفاهيمها من ألفاظ ومفاهيم غيرها من الثقافات لضبط معايير ومقاييس يقاس بها تداخل الثقافات، ومناسبات المثاقفة والحوار بين الحضارات[٢٥].

نقد نظرية العين ومنهجه:

لقد سعى الخليل إلى تأسيس نظرية معجمية علمية مستفيداً مما وصل إليه الفكر العلمي العربي في القرن الثاني الهجري، وكانت تلك أول محاولة ذات ملامح مميـزة قدمها التراث العربي، وتركت آثاراً في النظريات العربية اللاحقة إلا أن ثمة مفاهيم لم تكن واضحة بالنسبة إلى من قام بتنفيذ المعجم أدت إلى اضطراب في المنهج والتطبيق كمفهومي الحرف الهجائي والصوت اللغوي، إذ نعثر في العين على ما يفيد تمييـز الحرف الهجائي على أساس وظيفي «الحرف من حروف الهجاء وكل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفاً..»[٢٦]، فالنص يبين أن تغير المعنى أساس تمييز الحرف الذي قد يكون «كلمة» أو «قراءة قرآنية» هذا الحرف يتجسد في اللغة المنطوقة بمجموعة من الصور الصوتية وفقاً للسياق الذي ترد فيه. وأغلب الظن أن قرّاء القرآن هم الذين ذكروا هذه الصور الصوتية، ودون وصفها سيبويه عندما تحدث عن الحروف الفرعية المستحسنة في قراءة القرآن والشعر والحروف غير المستحسنة في قراءة القرآن والشعر[٢٧].

هذا التمييـز بين المستويين اللغويين مستوى «اللغة النظام» و«اللغة الواقع» المنفّذ بالفعل أو الكلام يكشف عن نضج النظرية اللغوية التي كانت خلف المناهج المرسومة لوضع المعاجم، والنشاطات اللغوية الأخرى، ولو طبقت كما ينبغي لتجنب كتاب العين التكرار الذي نجده في كثير من الألفاظ التي طرأ عليها الإبدال، فنعثر مثلاً على المدخلة الواحدة في مكانين مختلفين من مثل: «نشص ونشز»[٢٨]، و«مد ومط»[٢٩]، و«شزب وشسب»[٣٠]، و«لصق ولزق»[٣١]، «والرجز والرجس»[٣٢].

وقد أدى غموض بعض التصورات إلى اضطراب التصنيف القائم على أساس توزيع الأصوات وفقاً لمخارجها فمن الواضح وجود خطأ في تحديد مخارج بعض الحروف العربية عند الخليل كما في الهوائية التي جمع فيها حروفاً «فونيمات» «ا، و، ي»، إلى صورة الهمزة «الألوفون» همزة بين بين «و لم يميز بين حرفي العلة» و، ي «والحركتين واو المد وياء المد». وفي ترتيب الخليل عكس للاتجاه المخرجي من الشفتين إلى الحلق الأقصى «م،و،ا،ء»(٣٣).

أيضاً فإن الخلاف حول قضية أصل المادة السائد في الفكر اللغوي في البيئة التي أثمرت العين أثر في حدوث اضطراب في ترتيب مشتقات المُدخلة فنجده لا يتبع ترتيباً محدداً ونذكر مثلاً ما جاء في مادة عجم حيث يقول:

«العَجَمُ: ضدّ العرب. ورجلٌ أعجميّ: ليس بعربيّ، وقومٌ عُجْمٌ وعربٌ. والأعجَمُ الذي لا يُفْصِحُ. وامرأةٌ عجماء بيِّنَةُ العُجْمَة. والعَجْماءُ: كلّ دابّة أو بهيمة. وفي الحديث: (جُرْحُ العجماء جُبار)... والأعجَمُ: كل كلام ليس بلغة عربية إذا لم ترد بها النسبة... وتقول استعجمت الدار عن جواب السائل، والمعجم حروف الهجاء المقطعة... وتعجيم الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته ويصح. وعُجْمَةُ الرمل: أكثره وأضخمه وأكثره تراكماً... وعَجَمُ التَّمْرِ: نواه، والإنسان يَعْجُمُ التمرة إذا لاكها بنواها في فمه. وعَجَمْتُ العود: عضضتُ عليه بأسناني»(٣٤).

ونلاحـــظ أنه قد بدأ بالأسماء حديث يذكر اسم الجمع «العَجَمُ» ثم النســـبة إلى هـــذا الجنس من الناس «أعجمي» ثم صيغة أخرى للجمع هي «عُجْم» ثم «الأعجم» والمؤنث «عجماء» ثم فعلاً مزيداً بثلاثة «استعجم» ثم اسمَ «المعجم» ثم مصدراً رباعياً «تعجيم».

ثم الاسم «عُجمة».. ثم مضارع الثلاثي «يَعْجُمُ» ثم ماضي الثلاثي «عَجَمَ».

أمــا في مــادة «شسع» فيقول «شَسَّعْتُ النعلَ تشسيعاً، وأشسَعتُهُ إشساعاً أي جعلتُ لها شسعاً. والشِّسع السَّير نفسه وجمعه شُسُع»[٣٥].

أي أنــه يــبدأ بالفعل المزيد ثم مصدره، ثم صيغة أخرى لفعل مزيد ومصدرها وبعد ذلك الصيغ الاسمية المفردة ثم الجمع.

من ناحية أخرى أدى اعتماد مادة مسموعة ومكتوبة إلى الوقوع في نوعين من الأخطاء أو التصحيف والتحريف وقد سجل لنا حمزة بن الحسن الأصــفهاني (ت٣٦٠هـ) وأبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري مجموعة من التصحيفات والتحريفات التي وردت في كتاب العين نذكر منها:

الخطأ	الصواب	نوع الخطأ
الخِصْب الحيّة	الحِضْب بضاد منقوطة[٣٦]	كتابي
الهميع:الموت الوحِيُّ	الهميغ بغين منقوطة[٣٧]	كتابي
السدف: الشخص	الشدف[٣٨]	كتابي/ صوتي
الحبير	الخبير[٣٩]	كتابي
شيء ربيد	رثيد[٤٠]	كتابي
كيس زبير	ربيز[٤١]	صوتي «قلب مكاني»
تقيّأت المرأة لزوجها	تفيّأت[٤٢]	كتابي
برد	بردى[٤٣]	صوتي «اختزال صائت»

ومن المآخذ على العين:

قصور التعريف وغموضه فإذا ذكر النبات أو الحيوان أو الحشرات بتعريف احتاج هذا التعريف إلى شرح وتفسير قال الخليل في مادة دع

«والدُّعاعة حبّة سوداء، تأكلها بنو فزارة. والدعاعة: نملة ذات جناحين، شُبِّهَتْ بتلك الحبة»[٤٤].

وقد يكون سبب الغموض ناتجاً عن التعريف بألفاظ العموم ومن ذلك:

الكوسج: معروف[٤٥].

النُّقّاض: نبات[٤٦].

الكُرْز: ضرب من الجوالق[٤٧].

باهلة: حي من العرب[٤٨].

أو استخدام التفسير بالتضاد والنفي حيث تفسر الكلمة بكلمة أخرى تغايرها وتخالفها في المعنى وذلك باستعمال كلمة ضد أو نقيض أو خلاف أو عبارة تفيد النفي وهذه الوسيلة لا تقدم تفسيراً دقيقاً للكلمة ومن أمثلته في العين:

طعام جَشِب: لا أدم فيه[٤٩].

الجشب: ما لم ينخل من الطعام مثل خبز الشعير وشبهه[٥٠].

وقد ذكر أصحاب المعاجم في المرحلة التالية مآخذهم على العين ونذكر على سبيل المثال ما ذكره أحمد بن ولاد من أهل القرن الثالث:

«كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه أن يعلم موضعه من الكتاب من غير أن يقرأه، إلا أن يكون قد نظر في التصريف، وعرف الزائد والأصلي، والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات وإلحاقها ما تحمل من الزوائد، ومواضع الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة ويحتاج مع هذا إلى أن يعلم

الطريق التي وصل الخليل منها إلى حصر كلام العرب، فإذا عرف هذه الأشياء، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين»[٥١].

ب: فترة ما بعد الاحتجاج:

وعلى كون الفكر اللغوي العربي قد أصبح أكثر نضجاً على يد تلامذة الخليل، كما يبدو في كتاب سيبويه، لم تفلح الأجيال التالية في بناء معجم عربي شامل للمفردات المستعملة، ويسير على منهج علمي سليم، فقد برز عامل شديد التأثير في اللغة هو عامل الزمن، حيث نجد اللغة تتوالد فيه وتنمو وتتطور في دلالاتها وبنيتها، و لم يكن الفكر العربي مهيَّأً للتكيف مع هذا العامل، إن قدسية اللغة والفكر التوقيفي قد جمّدا المادة المعجمة عند حدود القرن الثاني الهجري، وبالتالي، انفصل الباحث اللغوي عن اللغة المستعملة وترتبت على هذا نتائج خطيرة: انحدار الدرس اللغوي بعد أن وصل المنحني إلى الذروة، فعلى الرغم من الكم الهائل من الدراسات لم نجد إضافات في مجال علم الأصوات، أو التشكيل الصوتي، أو الصرف، أو النحو بل نجد تخلّفاً ناتجاً عن الخلل المنهجي الذي أصاب البحث، لقد أصبحت مادّة البحث شواهد لغوية معزولة عن سياقها، مكتوبة من مصادر تنتمي إلى أزمنة مختلفة لا يمكن أن تكون قد نجت من تأثيره، وتشهد على ذلك كثرة التصحيفات الموجودة في المعاجم التالية. ولكن لا يمكن أن نهمل سعي المعجميين العرب نحو تصنيف أكثر سهولة للوصول إلى المادة، تصنيف يعتمد الترتيب الألفبائي كما أن تغير الشروط التاريخية قد خلق حوافز جديدة لحماية اللغة في المعاجم بتحول العرب من أمّة حاكمة ذات سيادة في عصر الخليل إلى أمّة محكومة من أجنبي يعمل على إزالة عروبتها، وقد

ضعفت الثقة بالعربية لغة الأمة المغلوبة «وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية» كما قال ابن منظور معللاً تأليفه للمعجم «فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفتخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون، وسمّيته لسان العرب»(٥٢).

وفي ظل ذات الشروط التاريخية، تم تأليف «القاموس المحيط» و«تاج العروس» إذ ألف كل معجم تعقيباً على سابقه، ليسد ما به من نقص، فالقاموس المحيط ألف بدافع الإحساس بالنقص فيما تضمنته المعاجم السابقة من مفردات اللغة إلى جانب توسعها في الشروح، ووجود الفضفضة فيها، لقد دفعه هدف الجمع والاستقصاء إلى تأليف «اللاّمع المُعْلَم العُجاب الجامعِ بين المُحْكَم والعُباب» لكن ضخامة المؤلّف جعلت تناوله صعباً، فاختصره في القاموس قال في مقدمة القاموس: «غيرَ أنّي خَمّنْتُهُ في ستين سِفْراً يُعْجِزُ تَحْصيلَه الطُّلابَ، وسُئلْتُ تقديمَ كتابٍ وجيزٍ على ذلك النّظام، وعَمَلٍ مُفْرَغٍ في قالبِ الإيجاز والإحكام، مع التِـــزامِ إتْمامِ المعاني، وإبرام المباني، فصرفْتُ صوبَ هذا القَصدْ عناني، وألّفْتُ هذا الكتاب..»(٥٣).

أما تاج العروس من جواهر القاموس فقد ألّفَه الإمام محب الدين أبو الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي بسبب إيجاز القاموس المحيط وهو في نظره «أجلّ ما ألف في الفن» وأشهر للمعاجم العربية، وقد حدد هدفه في المقدمة في قوله: «.. وضع شرح عليه ممزوج العبارة، جامع لمواده بالتصريح في بعض، وفي البعض بالإشارة، واف ببيان ما اختلف من نسخه، والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول، حاو لذكر نكته ونوادره

والكشف عن معانيه، والإنباه عن مضاربه ومآخذه بصريح النقول، والتقاط أبيات الشواهد له..»[٥٤]، وهكذا يحدد هدفه بإيراد جميع ما في القاموس، وتحقيقه تحقيقاً علمياً وشرحه، والتنبيه على مراجعه والاستشهاد عليه.

ويمكن أن نلخص المبادئ التي انطلق منها هؤلاء اللغويون بـــ:

١- المعاجم التي وضعت قاصرة، والمعجم المثالي يجب أن يستوعب ما جاء في مصادر عديدة.

٢- اعتماد مفهوم المدونة «**وهي منهجية تطبيقية وصفية ترتكز على مجموعة من النصوص المكتوبة أو المقولة، أو مجموعة من المراجع المختارة المصداقة، تؤخذ سنداً تستمد منه مادة لغة أو معجم أو مؤلف أو موضوع من المواضيع**»[٥٥].

٣- اعتماد الجغرافية اللغوية بجمعها بين مؤلفات المشرق العربي ومؤلفات المغرب العربي.

٤- استيعاب الفكر العربي في معجم يتم بالاعتماد على أساسي الجمع والوضع، وشروطهما.

٥- اعتماد الترتيب الهجائي وفقاً لأواخر الكلمات أساس ترتيب المدخلات في هذه المعاجم.

مصادر المعاجم الموسوعية العربية:

أراد ابن منظور تأليف معجم موسوعي كبير، ولكنه لم يلجأ إلى جمع المادة جمعاً مباشراً كما فعل اللغويون في القرن الثاني، وكما فعل الأزهري في القرن الرابع، بل اعتمد على خمسة معاجم اعتماداً كاملاً، فأخذ مادها وحشدها في كتابه، يقول ابن منظور: «**وأنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى،**

فأقول شافهت، أو سمعت، أو فعلت، أو صنعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت... فكل هذه الدعاوى لم يترك الأزهري وابن سيده لقائل مقالاً ولم يخليا فيه لأحد مجالاً»(٥٦)، وقد صرح ابن منظور بعد ذلك بمصادره التي اعتمد عليها، وهي:

١- تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠هـ).

٢- المحكم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ).

٣- الصحاح للجوهري (ت ٥٨٣هـ).

٤- حواشي ابن بري (ت ٥٨٣هـ) على الصحاح.

٥- النهاية في غريب الحديث لابن الجزري (ت ٦٠٦هـ).

أخذ ابن منظور ما وجده في هذه المعاجم فاجتمعت لديه مادة ضخمة، مما يجعل الوصول إلى المادة الواحدة المدخلة يستغرق صفحات عديدة، ويضيع الوقت بلا طائل، وظهرت الحاجة إلى معجم أكثر اختصاراً يحيط باللغة دون أن يتوسع في المادة بما لا يخدم المعنى، وقد تحقق ذلك في «**القاموس المحيط**» للفيروزابادي (ت ٨١٦هـ) فأقبل الناس عليه وذاعت شهرته وأصبح عنوانه بعد ذلك علماً على كل معجم عربي حديث.

اعتمد الفيروزابادي على معجمين موسوعيين هما **المُحْكم** لابن سيده، **والعُباب** للصاغاني (ت ٦٥٠هـ)، ويعتمد كل منهما على معاجم أخرى سبقتهما، فالمحكم يضم ما جاء في **كتاب العين** و**جمهرة اللغة** لأبي بكر الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) **والبارع في اللغة** لإسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت: ٣٥٦هـ)، أما العباب فيضم مادة معجم **مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) و**تاج اللغة وصحاح العربية** لأبي نصر إسماعيل بن

حماد الجوهري، والمعاجم المؤلفة حول الصحاح، وبذلك يقوم عمل الفيروزابادي على كل هذه الجهود. ولكنه لم ينسخ ما أخذه من مصادره، بل كان يأخذ خلاصة ما فيها، ويحذف الشواهد، ويضيف إلى هذه المادة معلومات جديدة خاصة بالأعلام وبالنباتات. وبذلك ضم القاموس المحيط مادة لغوية متنوعة، قد شرحت شرحاً بسيطاً(٥٧).

ويعد تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) أكبر المعاجم العربية على الإطلاق، لقد ألف الزبيدي شرحاً للقاموس المحيط، ولكن عمله تجاوز حدود الشرح اللغوي البسيط، فأصبح تاج العروس أضخم المعاجم العربية وأكثرها مادة وشرحاً. اعتمد الزبيدي على ذكر ١٢٠ كتاباً من هذه المراجع في مقدمته نستطيع أن نصنفها فيما يلي:

١- المعاجم اللغوية مثل الصحاح لأبي نصر الجوهري، والتهذيب للأزهري والمحكم لابن سيده، ولسان العرب، لجمال الدين بن مكرم، والتكملة للرضي الصغاني، ومختار الصحاح للرازي، والأساس للزمخشري، والجمهرة لابن دريد، والمجمل لابن فارس وغيرها.

٢- الرسائل اللغوية والكتب مثل تهذيب الأبنية والأفعال لابن القطاع، وكتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، وفصيح ثعلب، وبعض شروحه، وفقه اللغة، والمضاف والمنسوب للثعالبي.

٣- كتب الأمثال مثل المستقصى للزمخشري، ومجمع الأقوال لأبي البقاء العكبريّ.

٤- كتب نحو وصرف مثل الخصائص، وسر الصناعة لابن جني.

٥- كتب تاريخ، وطبقات، وأنساب مثل: أنساب الخيل، وأنساب العرب لأبي عبيدة، والروض الأُنُف للسهيلي، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزابادي، وطبقات أئمة النحو، ولباب الأنساب للسمعاني، ومعجم ياقوت، والتجريد في الصحابة، وديوان الضعفاء للحافظ الذهبي ومعجم الصحابة لابن فهد.

٦- كتب أدب مثل: زوائد الأمالي للقالي، وشرح ديوان الهذليين للسكري، وشرح المقامات الحريرية للشريشي، وشرح المعلقات السبع لابن الأنباري.

٧- علوم قرآن وقراءات مثل الحجة في قراءات الأئمة السبعة لابن خالويه، وبصائر ذوي التمييـــز في لطائف كتاب الله العزيز للفيروزابادي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والإحسان في علوم القرآن لمحمد بن أحمد بن عقيلة.

٨- كتب جغرافية وبلدان: مثل «معجم ما استعجم» للبكري و«معجم البلدان لياقوت الحموي» و«الخطط» للمقريزي.

٩- كتب حيوان مثل: «حياة الحيوان» للدميري وذيله للسيوطي.

١٠- كتب نبات وطب مثل: التذكرة في الطب لداود الأنطاكي، والنبات لأبي حنيفة الدينوري، وتحفة الأحباب للملك الغساني.

١١- كتب سياسة ونظم مثل: «قوانين الدواوين» للأسعد بن مَمَّاتي، ومختصر قوانين الدواوين لابن الجيعان، وغير هذه الكتب[٥٨].

المناهج المتبعة في جمع المادة في هذه المعاجم:

أ- لسان العرب:

ذكر المؤلف منهجه في التعامل مع مصادر المادة وأجمله في أخذ ما فيها بنصه دون خروج عليه. واعتبر ذلك جهده الوحيد فيه. فما في الكتاب

من خطأ فهو من الأصول لا من ابن منظور. ولكن تصرف قليلاً في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، إذ رتب المواد التي كان ابن الأثير الجزري رتبها حسب حروفها الأصول والزوائد معاً باعتبار أصولها وحدها. قال ابن منظور:

«وليس لي في هذا للكتاب فضيلة أمتّ بها، ولا وسيلة أتمسّك بسببها، سوى أنّي جمعتُ فيه ما تفرّق في تلك الكتب من العلوم، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير، وطالب العلم منهوم. فمن وقف فيه على صواب أو زلل أو صحة أو خلل، فعهدته على المصنف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعوّل. لأني نقلت من كل أصل مضمونه ولم أبدل منه شيئاً فيقال إنما إثمه على الذين يبدلونه، بل أديت الأمانة في نقل النصوص بالفص، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل من الأصول الخمسة»(٥٩).

ب– القاموس المحيط:

شرح الفيروزابادي المنهج الذي سار عليه في المعجم فقال:

«وألّفْتُ هذا الكتابَ محذوفَ الشّواهد، مطْروحَ الزّوائد، مُعْرِباً عن الفُصَحِ والشّوارِد، وجعَلْتُ بتوْفيقِ اللهِ زُفَراً في زِفْر، ولخّصْتُ كلّ ثلاثين سفراً في سِفْر، وضمّنْتُه خُلاصَةَ ما في العُباب والمُحْكَم، وأضفْت إليه زياداتٍ منَّ اللهُ تعالى بها وأنْعَمْ، ورزَقَنيها عندَ غَوْصي عليها من بطُونِ الكُتُبِ الفاخرة الدأماء الغطمطم»(٦٠).

وقال في طريقة علاجها: «إذا تأمّلْتَ صَنيعي هذا وجدْتَه مُشْتَمِلاً على فرائدَ أثيرة، وفوائدَ كثيرة، من حُسْنِ الاختصار، وتقريبِ العِبارة،

وتهذيب الكلام، وإيراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة. ومن أحسن ما اختصَّ به هذا الكتابُ تخليصُ الواو من الياء. وذلك قسمٌ يَسِمُ المُصَنِّفينَ بالعِيِّ والإعياء. ومنها أني لا أذكر ما جاءَ من جمع «فاعل» المعتلِّ العين على «فَعَلة»، إلا أن يصِحَّ موضعُ العين منه كجَوَلَة وخَوَلَة. وأما ما جاء منه معتلاً كباعة وسادة، فلا أذكره لاطراده»[٦١].

وقد بين المؤلف بعض القواعد التي سلكها للاختصار فقال: «ومن بديعِ اختصارِه، وحُسْنِ ترصيع تقْصارِه: أنّي إذا ذكرْتُ صيغةَ المُذَكَّرِ أَتْبَعتُها المُؤنَّث بقولي: وهي بهاء ولا أُعيدُ الصّيغةَ. وإذا ذكرْتُ المصدرَ مُطْلَقاً أو الماضي بدون الآتي –ولا مانع– فالفعلُ على مثال كَتَبَ. وإذا ذكرْتُ آتيَهُ بلا تقييد فهو على مثال ضَرَبَ. على أني أذهب إلى ما قاله أبو زيد: إذا جاوزْت المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فَعَلَ فأنت في المستقبل بالخيار، إن شئت قلْتَ يفعُلُ بضمّ العين، وإن شئْتَ قلْتَ يفعِلُ بكسرها. وكل كلمة عرَّيْتُها عن الضَّبْط فإنّها بالفتح إلاّ ما اشتهر بخلافه اشتهاراً رافعاً للنّزاع من البَيْن. وما سوى ذلك فأُقَيِّدُه بصريح الكلام، غيرَ مُقْتَنِعٍ بتوشيحِ القِلام. مكتفياً بكتابة {ع، د، ة، ج، م} عن قولي: موضعٌ، وبلدٌ، وقريةٌ، والجمعُ، ومعروفٌ»[٦٢].

ج– تاج العروس من جواهر القاموس:

«ولم آلُ جهداً في تحرّي الاختصار، وسلوك سبيلِ التّنْقية والاختيارِ، وتجريد الألفاظ عن الفضلاتِ الّتي يُستغنى عنها في حطّ اللّثامِ عن وجهِ المعنى عند ذوي الأفكارِ.. وجمع من الشواهدِ والأَدِلَّة ما لم

يُجمعْ مثله لأنَ كلَّ واحدٍ من العلماء انفردَ بقولٍ رواه، أو سماع أدّاهُ فصارت الفوائدُ في كتبِهم مُفَرّقَة، وسارتْ أنجُمُ الفضائلِ في أفلاكِها هذه مُغَرّبَةً، وهذه مُشَرّقَة. فجمعتُ منها في هذا الشّرحِ ما تفرّقَ وقرنتُ بين ما غرّبَ منها وبينَ ما شرّقَ. فانتظم شملُ تلك الأُصول والمواد كلها في هذا المجموع وصار هذا بمنــزلةِ الأصْلِ وأولئك بمنــزلة الفروع.. وأنا مع ذلك لا أدّعي فيه دعوى فأقولُ شافهْتُ أو سمعْتُ أو شددْتُ، أو رحلْتُ أو أخطأ فلانٌ، أو أصابَ، أو غلط القائل في الخطاب.. وليس في هذا الشّرح فضيلة أمُتُّ بها ولا وسيلة أتمسّك بها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير وطالب العلم منهوم..»(٦٣).

وقد قرأنا كثيراً مما ورد هنا في مقدمة لسان العرب. الجديد عند الزبيدي أنه عاد إلى الكتب المبكرة، وأخذ عنها أخذاً مباشراً في عصر عزت فيه معرفة التراث العربي القديم. كان معاصرو الزبيدي ومن سبقوه بقرون يعتمدون على الكتب التي نقلت بدورها ما جاء في التراث الأقدم، ولكن الزبيدي عاد إلى هذه الكتب الأقدم قال: «نقلت بالمباشرة لا بالوسائط عنها»، ولذا يعد معجم تاج العروس جامعاً لجهد مؤلفي المعاجم، واللغويين، والشراح في أكبر موسوعة معجمية للغة العربية.

معالجة المادة في المعاجم الثلاثة:

تشكو المعاجم العربية بشكل عام من فوضى ترتيب المادة، وتعود هذه الفوضى إلى وجود خلافات حول أصل المشتقات، وبنية الكلمة العربية، والعلاقة بين الألف والهمزة، والعلاقة بين الألف ونصفي الصائتين

الواو والياء، وتعدد العلاقات الدلالية في المشترك والأضداد والمترادف، ونضيف ما صنفه د. رياض زكي قاسم مما أطلق عليه «**العيوب التي لا مجال للبحث فيها**»، وبالتالي لا يمكن معالجتها بالتهذيب والتطوير ويحصرها بـ: عين المضارع وتعدد اللهجات في الفعل الناقص، وتعدد اللهجات في المهموز، وتعدد اللهجات في المضاعف، وتعدد أبنية الجموع، والمذكر والمؤنث في الاسم الواحد أو الصفة الواحدة[٦٤]. وهذه ليست عيوباً معجمية وإنما ظواهر لغوية ذوات احتياجات خاصة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في أثناء المعجمة، وقد اخترنا بعض هذه المدخلات من ذوات الاحتياجات الخاصة لنرى كيف تعاملت معها المعاجم الموسوعية العربية:

(هرد/ هرت)

الدال هي النظير المجهور للتاء وبالتالي يمكن أن نتوقع كون أحد طرفي الثنائية متطوراً عن الآخر، ومثل هذا يطلق عليه في الدرس اللغوي العربي مصطلح الإبدال لذا نجد الثنائية في كتاب القلب والإبدال لابن السكيت في قوله «هرت عرضَه، وهرده»[٦٥]، وفي اللسان نجد في مادة (**هرت**):

«**هَرَت**: **هَرَتَ** عِرضَه، وهَرَطَه، وهَرَدَه، ابن سيده: هَرَت عِرْضَهُ وثَوبه **يَهْرُتُه ويُهْرِتُه هَرْتاً**، فهو هريتٌ: مزَّقَه وطعن فيه، لغاتٌ كلُّها، الأزهري: **هَرَتَ** ثوبه هَرْتاً إذا شَقَّه. ويقال للخطيب من الرِّجال: **أهرتُ الشِّقْشِقَة**، ومنه قول ابن مقبل:

هُــرْتُ الشقاشِق، ظلاَّمون للجُزُر

والهَرَتُ: سَعَةُ الشِّدق. **والهَرِيتُ**: الواسع الشدقين، وقد هَرِت بالكسر، وهو **أهرتُ** الشِّدقِ وهَرِيتُه.

وفي حديث رجاء بن حَيْوة: لا تُحَدِّثْنا عن مُتَهارِتٍ أي: مُتَشدِّقٍ مُتَكاثِر، من هرَت الشِّدق، وهو سَعَتُهُ.

ورَجُل أهرَتُ، وفرسٌ هريتٌ وأهرتُ: متَّسِعُ شَقِّ الفَمِ، وجَمَلٌ هَريت كذلك، وحيَّةٌ هَريتُ الشِّدقِ ومَهْروتُه أنشد يعقوب في صفة حيّة:

مَهــروتةُ الشِّــدقَيْنِ حولاءُ النَّظَرْ

والهَرَتُ مصدَرُ الأهرتِ الشِّدقِ.

وأسدٌ أهرَتُ: بين الهَرَت، وهَريت، ومُنْهَرِتٌ، الأزهري: أسدٌ هَريتُ الشِّدقِ أي: مَهْروت، ومُنْهَرِتٌ، وهو مَهْروتُ الفَمِ، وكلابٌ مُهَرَّتَةُ الأشداق.

والهَرَتُ: شَقُّكَ الشَيءَ لتَوَسُّعَه، وهو أيضاً جَذْبُكَ الشِّدْقَ نحو الأذن، وفي التهذيب: الهَرَتُ:هَرْتُكَ الشِّدقَ نحو الأُذُن.

وامرأةٌ هَريت وأتوم: مُفضاةٌ، ورجل هَريت: لا يَكْتُمُ سِرًّا ويتكلّم مع ذلك بالقَبيح.

وهَرَتَ اللحم: أنضجَه، وطَبَخه حتّى تَمرَّأ.

وفي الحديث أنه أكل كَتِفاً مُهَرَّتَةً ومَسَح يَده فصلّى، لحمٌ مُهَرَّتٌ ومُهَرَّدٌ إذا نَضِجَ، وأراد قد تقطَّعَتْ من نُضجِها، وقيل إنها مُهَرَّدة بالدال».

وفي مادة (هرد)

هَرَدَ الثّوبَ يهرِدُه هَرْداً: مزّقَه، وهَرَّدَهُ: شقّقه. وهَرَدَ القصّارُ الثّوبَ وهَرَتَه هَرْداً، فهو مهرودٌ، وهَريدٌ: مزّقه وخرَّقه وضَرَبه. وهَرْدُ العِرضِ: الطَّعْن فيه، هَرَد عِرضَه وهَرَتَه يَهْرِدُه هَرْداً. الأصمعي: هرت فلان الشيء وهرده: أنضجه إنضاجاً شديداً. وقال ابن سيده: أنعم إنضاجه. وهَرَدْتُ

اللحمَ أهرِدُه بالكسر، هَرْداً طبختُهُ حتى تَهرّأ وتفسّخ، فهو مُهَرَّد. قال الأزهـــري: والذي حفظناه عن أئمتنا الحِرْدى بالحاء و لم يقله بالهاء غير الليث[1]. قال أبو زيد: فإن أدخلْت اللحمَ النار وأنضجته فهو مهرَد، وقد هرّدْته فهَرِد هو. قال: والمُهَرّأ مثله، والتهريد مثله شدّد للمبالغة، وقد هَرِد اللحمُ.

والهردُ: الاختلاط كالهرج. تركتهم يَهْرِدون أي: يموجون كيَهْرجون.

والهُرْدُ: العروقُ التي يُصبَغُ بها، وقيل: هو الكُرْكُم. وثوبٌ مَهْرود ومُهرّد: مصبوغ أصفر بالهُرد، وفي الحديث: ينــزل عيسى بن مريم عليه السلام في ثوبين مهرودين... الثوب المهرود: الذي يصبغ بالورس ثم الزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الحَوْذانة... وقال القتيبـــي: هو عندي خطأ من النقلة وأراه مَهْروَّتين أي صفراوين. يقال هرّيْتُ العمامة إذا لبستَها صفراء، وفعَلْتُ منه هرَوْتُ... والهُرْديّة قَصَبات تُضَمّ ملويّة بطاقات الكرم تُحْمَلُ عليها قُضْبانُه. أبو زيد: هَرَدَ ثوبه وهرته إذا شقّه.. الهِرْدى مقصور: عُشْبة لم يبلغني لها صفة.. الأصمعي: الهِرْدى على فِعلى بكسر الهاء نبت، وقاله ابن الأنباري، وهو أنثى. والهَيْرُدان: اللص، قال: وليس يثبت. وهُرْدان: موضع.

[(1) جاء في حاشية طبعة اللسان: «كذا بالأصل، ولا مناسبة له هنا، وإنما يناسب قوله الآتي: الهردى على فِعْلى بكسر الهاء، نبت / المجلة].

في القاموس المحيط:

(هرد):

«هَرَدَه يهرِدُه: مزّقه وخرّقه، واللحم: أنعم إنضاجه، أو طبخه حتّى تهرّأ كَهرده فهرِد، والشيء: قَدر عليه. والهرْدُ: المرج، والطعن في العرض، والشقُّ للإفساد، وبالكسر: النعامة، والرجل الساقط، وبالضّمّ الكُركُم، وطين أحمر، وعروق يُصبَغُ بها. والمُهْرديُّ المصبوغ به. والهُرْديّة: الجُرْديّة. والهَرْدَةُ بالفتح: ع ببلاد أبي بكر بن كلاب. والهِردى بالكسر ويُمَدُّ: نبت. والهَيْرُدان: اللص، ونبت، ورجل. وهُرْدان بالضم: ع ورجل، وهَرَدْتُ الشيء. أُهَرِيدُه: أردته، أريده. والتهريد: لبس المهرود، وهو أهْرَدُ الشِّدْقِ أهرته».

(هرت):

«الهرْتُ: الطّعنُ، والطّبخُ البالغ، والتمزيقُ. يَهرِتُ ويَهرُتُ. والهَريتُ: الواسع وقد هَرِتَ كَفَرِحَ. والمرأة المُفضاةُ، والأسدُ، كالهَرِت، والهروتِ والهرّات، ورجل لا يكتُم سرّاً ويتكلّمُ بالقبيح».

في تاج العروس:

(هرد):

هَرَدَهُ، أي الثوب يَهرِدُه، من حد ضَرَبَ، هَرْداً: مزقه، كَهَرّتَه: وهَرّد القصّار الثوبَ وهرّته: خرّقه وضرّبه، فهو هريد وهريت، قاله أبو زيد. وهرد اللحم يهرِدُه هَرْداً: أنضَجَهُ إنضاجاً شديداً، قاله الأصمعي. وقال ابن سيده: أنعم إنضاجه أو هَرّدَه: طبخه حتى تهرّأ وتهرّد،كهرّده

هَرِيداً فهو مهرّد، شدّد للمبالغة، وقال أبو زيد: فإن أدخلت اللحم النار وأنضجته فهو مهرّد، وقد هرّدْته فهَرِد هو كَعَلِمَ قال: والمهرّأ مثله.

وهَرَدَ الشّيء: قَدرَ عليه. قال ابن ميّادة:

وبَــــرَزَ السَّـــيِّدُ والمَســـودُ

واخـــتلط المـــاردُ والمهـــرودُ

والهردُ: الاختلاط، كالهرج، وتركتهم يَهْرِدون، أي يموجون كيهرجون. والهَرْدُ: الطّعنُ في العِرْض، هَرَدَ عِرْضَه، وهرته يَهْرِدُه هَرداً.

والهَرْدُ: الشّقُّ للإفساد، والإخراق لا للإصلاح، كما سيأتي. والهِرْدُ، بالكسر: النّعامة الأنثى. والهِرْدُ: الرّجل السّاقط الضعيف. والهُرْدُ بالضّمّ: الكُرْكُم الأصفر. والهُرْد أيضاً: طين أحمر. والهُرْدُ أيضاً: عُروقٌ صُفْرٌ يُصبَغُ بها، كذا في النّسخ، على أن الضمير راجع إلى العروق، والصحيح أن العروق اسم لصبغ أصفر، كما هو في نصّ الصّاغاني، فحينئذ الصواب في العبارة «يصبغ به» كما هو نص التكملة، قال: الهُرْدُ: بالضّمّ العُروق: صِبْغٌ أصفرُ يُصبَغُ به فتأمّل.

والهُرديُّ: الثوب المصبوغ به، أي: بالهُرْد.

والهُرديّة: الحُرديّة وهي قصبات تُضَمُّ ملويّة بطاقات الكَرْمِ تُحمَل عليها قُضْبانه. قال الأزهريُّ: والذي حفظناه عن أئمتنا الحُرْدى و لم يقُلْهُ بالهاء غير الليث.

والهَرْدَ بالفتح: ع ببلاد أبي بَكْرِ بن كِلاب نقله ياقوت عن أبي زياد وفي التّكملة: هَردٌ: موضع ببلاد أبي بكر.

والهِردى بالكسر، ويمدُّ: نبت. وقال أبو حنيفة الهِردى، مقصور: عُشبة لم يبلغني لها صفة، قال ولا أدري أمذكّرة أم مؤنّثة، واقتصر الأصمعي

أيضاً على القصر، وقال نبت، ولا أدري أيذكر أم يؤنث، كذا في كتاب المقصور لأبي عليّ القالي، وكذلك قاله ابن الأنباري: وجعلها مؤنّثة.

والهَيْرُدان: بفتح فسكون فضم، اللص، قال الأزهري: وليس بثبت. والهَيْرُدان أيضاً نبت كالهِرْدى، وقيل هو الهِرْدان بالكسر، وهَيْرُدان: اسم رجل.

وهُردان بالضم: ع، وهُردان اسم رجل.

وهَرَدْتُ الشيءَ أهَريدُه: أردتُه أريده، كَهَراقَهُ يُهَريقُه.

والتهريد لبس المهرود».

ولا تختلف بقية المادة عما ورد في لسان العرب.

(هرت):

وكذلك بالمقارنة مع ما جاء في اللسان لا نجد خلافاً في المادة لذا لا نجد جدوى من تدوين ما جاء في هذه المادة فإن تحليل المادة في اللسان سوف ينطبق على التاج.

إن وضع هذه المادّة تحت المجهر يبدي اعتلال النظرية التي وجّهت المعجميين الثلاثة، وعدم وضوح الرؤية، فالمعجمي أشبه بحاطب ليل يجمع من المشرق والمغرب دون أن تكون له خطّة سليمة للتعامل مع كم هائل من المادة تحتاج عناصرها الفرز لمعرفة ما يجب أن يخضع للتصنيف، وما يمكن أن يصل إليه الباحث في المعجم بمعرفته قوانين التشكيل الصوتي التي يجب أن يزود بها المعجم لتقي المعاجم من خطر التورّم، إن كلّ مدخلة من المدخلتين السابقتين تضم مجموعة من المواد المنسجمة أو المتنافرة، تتكرر في كل منهما: (هـ ر د) (هـ ر ت) (هـ ر ء) (هـ ر ج) (ح ر د) (ر و د) و(هـ ر و). وإذا ما تتبعنا

مادة (هـ ت ت) سنجد اختلاط موادها مع مواد المدخلتين السابقتين، فإدغام الراء بالتاء سوف ينتج (هتّ) وبالتالي ثمة مشكلة تحتاج إلى عناية خاصة.

أيضاً فإن النقل عن مصادر عديدة لم يضف الجديد فينمو المعجم نمواً صحيّاً تاريخيّاً، وإن ما نعثر عليه تضخم مرضي يحتاج إلى علاج، ويبقى النقص هو هو بإهمال المولّد في كل عصر.

وتتكرر المادة ذاتها بسبب الأخذ عن مصادر عديدة لكن، لا يذكر المصدر في كل مرة. وإن ذكر لا يؤخذ بالترتيب التاريخي.

ولا نجد خطة واضحة للتعامل مع المصادر والمشتقات، أو الحقيقة والمجاز، أو تعدد صيغ الجموع، أو تعدد حركة عين المضارع.

تبين النصوص السابقة غموض التعريفات فالهردى على فِعلى بكسر الهاء: نبت. ولا يتوانى اللغوي عن تشكيكنا بالمدخلة أحياناً «الهَيرُدان»: اللص، قال، وليس بثبت.

عيوب المعاجم الموسوعية العربية:

هكذا استطاعت عيّنة معجمية بسيطة أن تكشف كثيراً من عيوب المعجم العربي التي تناولها الباحثون في مؤلّفات مستقلّة أو في أثناء دراسات تتناول البحث المعجمي، وقد يكون نقد معجم سابق تمهيداً لبناء معجم جديد كما نجد في مقدمات المعاجم التي أخضعناها للدرس، ويمكننا أن نقول إن أغلب الباحثين في المعاجم العربية قد تحدثوا عن عيوب المعجم العربي ونذكر منهم: د. حسين نصار، ود. أحمد محمد معتوق، ود. حلمي خليل، ود. محمد رشاد الحمزاوي، ود. رياض زكي قاسم، وما جاء في نقودهم تكرار لما ورد في دراسات سابقة على أيدي العرب والمستشرقين منها:

«كتاب الرد على الخليل وإصلاح ما في العين من الغلط والمحال» لأبي طالب المفضل بن سلمة الكوفي (٣٠٨هـ)، و«كتاب الرّد على الليث» لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري و«كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين»، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ). و«كتاب غلط العين» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ). و«تصحيح لسان العرب» لأحمد تيمور، و«الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط» لمحمد بن مصطفى الداودي المعروف بـ داود زاده (١٠١٧هـ)، و«إضاءة الراموس وإفاضة الناموس على إضاءة القاموس» لأبي عبد الله محمد ابن الطيب بن محمد الفاسي (١١٧٠هـ)، و«الجاسوس على القاموس» لأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥هـ- ١٨٨٧م(٦٦).

والجاسوس على القاموس أشهر ما ألف في نقد المعاجم العربية وإن تمحور حول القاموس فقد اتخذ منه مثالاً للمعاجم العربية عامة وضمنه أربعة وعشرين نقداً تتضمن المنهج، والتصحيف، وترتيب المادة داخل المعجم، وعدم الدقة في التعبير، ومخالفته اللغويين وإبهامه، وغير ذلك كما تبين العناوين التالية:

النقد الأول: في الكلام على خطبة المؤلف.

النقد الثاني: في إيهام تعاريفه ومجازفتها وفيه القلب والإبدال.

النقد الثالث: في قصور عبارته وغموضها وعجمتها وتناقضها.

النقد الرابع: في إبهام عبارته في المصدر والمشتقات والعطف والجمع والمفرد والمعرب وغير ذلك.

النقد الخامس: في ذهوله عن نسق معاني الألفاظ على نسق أصلها الذي وضعت عليه بل يقحم بينها ألفاظاً أجنبية تبعدها عن حكمة الواضع.

النقد السادس: في تعريفه اللفظ بالمعنى المجهول دون المعلوم الشائع.

النقد السابع: فيما قيده من تعاريفه وهو مطلق.

النقد الثامن: في تشتيته المشتقات وغيرها.

النقد التاسع: فيما أهمل الإشارة إليه وأخطأه موضع إيراده.

النقد العاشر: في ذكره مكرراً في مادة واحدة.

النقد الحادي عشر: في غفوله عن الأضداد.

النقد الثاني عشر: في غفوله عن القلب والإبدال.

النقد الثالث عشر: في تعريفه الدوري والتسلسلي.

النقد الرابع عشر: فيما ذكره من قبيل الفضول والحشو والمبالغة.

النقد الخامس عشر: في خلطه الفصيح بالضعيف والراجح بالمرجوح وعدوله عن المشهور.

النقد السادس عشر: فيما لم يخطئ به الجوهري مع مخالفته له...

النقد السابع عشر: فيما قصر فيه عن الجوهري.

النقد الثامن عشر: في أنه يذكر بعض الألفاظ الاصطلاحية ويهمل بعضها.

النقد التاسع عشر: فيما ذكره في مادته فلتة، أعني من دون تفسير له.

النقد العشرون: فيما ذكره في غير موضعه المخصوص أو ذكره و لم يفسره.

النقد الحادي والعشرون: فيما ذكره في موضعين غير منبه عليه وربما اختلفت روايته فيه.

النقد الثاني والعشرون: فيما وهم فيه لخروجه عن اللغة.

النقد الثالث والعشرون: في خطئه وتحريفه ومخالفته لأئمة اللغة وفيه فصل من طراز اللغة.

النقد الرابع والعشرون: في خصوص غلطه في تذكيره للمؤنث وتأنيثه للمذكر(٦٧).

وقد نبه الدكتور محمد رشاد الحمزاوي إلى أن محتوى الجاسوس على القاموس بأكمله، هو في الحقيقة من وضع العالم اللغوي المغربي عبد الله محمد ابن الطيب الفاسي الشرقي الصميلي صاحب كتاب «إضاءة الراموس وإفاضة الناموس على إضاءة القاموس»(٦٨).

ومن المستشرقين الذين نقدوا المعاجم العربية الدكتور أرنست فيشر في مقدمة المعجم اللغوي التاريخي ومن أهم العيوب التي وجدها في المعاجم العربية:

١- النقص في المادة التي اقتصرت على الفصيح مما لا يجعلها قادرة على التعبير عن مختلف المراحل الحضارية.

٢- عدم الاتفاق بين اللغويين على تحديد جغرافي مكاني للفصحى، فالعلماء العرب رفضوا الأخذ بلهجات تغلب وبكر وإياد وثقيف وغيرها، و لم يرفضوا الأخذ عن شعرائهم الأولين، فطرفة وعمرو بن كلثوم والأخطل كانوا تغلبيين، والحارث بن حلزة كان بكرياً، ولقيط بن معمر كان إيادياً، وأبو محجن كان ثقفياً، والأعشى الكبير كان يمانياً، وكان شعرهم في نظر كل اللغويين معدوداً في الفصيح.

٣- وتغاضى علماء اللغة من العرب عن كثير من النصوص الأدبية النثرية التي تحوي كلمات وتراكيب كثيرة لا أثر لها في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر القديم هذه النصوص التي تقدم صورة واضحة عن العربية أفضل من الشعر المقيد بالوزن والقافية.

٤- كثرة الأخطاء.

٥- خلو المعاجم من الترتيب الدقيق الواضح للكلمات ومعانيها[٦٩].

«ينقص كل مادة من المواد التي في المعجمات وضع قاعدة ثابتة للترتيب، وكان كبار المصنفين للمعجمات وأحسنهم يجمعون دون تمييز كل المواد اللغوية التي وجدوها في كتب المتقدمين بغير ترتيب معين، وهكذا يضطر الباحث في اللسان مثلاً أو التاج في المواد الغنية بتصاريفها واشتقاقاتها أن يراجع عشر صفحات أو أكثر ليجد الصيغة المطلوبة، أو التعبير المرغوب فيه أو المعنى الموافق، وليس من النادر ألا يأتي ذكر للكلمة المراد بحثها ضمن المعجمات وهذا بطبيعة الحال مضيعة للجهد والوقت يؤسف عليها»[٧٠].

المعجم اللغوي الموسوعي الذي نحتاجه:

ليس من الصعب أن ندرك حجم المشكلات التي تواجه مؤلفي هذا النوع من المعاجم، لأن على هذه المعاجم أن تستوعب فكرنا، وحضارتنا عبر العصور، وأن تنطلق من نظرية عميقة الرؤية تسمح لهذا المعجم باحتواء كل فكر جديد، وأن تنهج المناهج المناسبة، كي لا نقع ثانية في الأخطاء التي جرتنا إليها النظرية التقليدية المتحجرة، وهذا ما يتطلب العمل في مستويين: أفقي يتناول اللغة المستعملة في فترة ما، وعمودي يتناول التطور التاريخي، لكن لنستكمل الوصف قبل أن نتحدث في التاريخ، فنحن مقصرون فيه إلى درجة كبيرة، وأشك في قدرتنا الحالية على تزويد المعجم بما يحتاجه من قوانين لتمييز ما يصح أن يكون مدخلة من غيره مما يمكن أن يكون استعمالاً خاطئاً وفقاً لمعايير محددة ككثرة الاستعمال مثلاً.

أيضاً نحتاج إلى كثير من الجهود لتأصيل الكلمات، ونستخدم هنا «الكلمة» مع عدم كفايتها لأننا لم نتفق بعد على اصطلاحات مناسبة للوحدة المعجمية.

ومثل هذا العمل الكبير لا يمكن أن يكون واقعاً بجهود فردية منعزلة، وإنما يحتاج إلى عمل جماعي منسق، وهذا ما نبه إليه الأمير مصطفى الشهابي الذي قدم ملاحظاته التالية:

١- تأليف المعجم عمل جماعي يتطلب اختصاصات لم تتوفر لأصحاب المعاجم القديمة.

٢- المعجم مادة مستمرة التطور في مستوى الوضع والجمع، وذلك ما لم يتحقق في المعاجم القديمة لأنها توارثت تراتيبها وموادها التي كثيراً ما اعتمدت الشعر وفصاحته، وتركت كل ما طرأ من جديد في الميدان اللغوي والعلمي.

٣- المعجم في تعريفاته ومواده يحتاج إلى منهجية علمية تربط تلك التعريفات بتطورات العلوم وخصائصها، وتدرج في مواده ما يطرأ على المعارف الإنسانية من جديد.

٤- إدراج قسط وافر من العلوم العصرية في المعاجم العربية مما يفرض تجديد موادها، وترك الكثير من القديم منها(٧١).

ولا يمكن أن نقول بترك شيء من اللغة في هذا النوع من المعاجم التي يفترض أن تكون شاملة، لما أنتجته الحضارة من مفردات.

إن الفردية قد أدت إلى إخفاق أ. فيشر في إكمال المشروع الذي سعى إليه في وقت، لا يمكن للباحث فيه أن يعثر على وصف شاف لبنية اللغة العربية، وكذلك لا يمكن لمجموعة من الباحثين اللغويين أن تنتج هذا المعجم بمعزل عن العاملين في الحقول الأخرى، وقد يبدو تنفيذ هذا المعجم

أمراً محتملاً في عصر الحاسوب حيث انتشرت المكتبات الإلكترونية التي تضم الكثير من الكتب التراثية، وقد برمجت بما يسمح للباحث أن يستعلم عما يريد من الاستخدامات اللغوية في وقت قصير لكن ما إن يفعل حتى يصاب بالخيبة: إن الكتب الإلكترونية بحاجة إلى تحقيق وتوثيق وهي تفتقر إلى الشروط العلمية التي يضعها الباحث لأخذ مادته. وهذا متوقع لأن إصدار هذه الكتب قد تمّ بعيداً عن مراقبة المؤسسات اللغوية المختصة.

وهكذا نصل إلى أن تطوير وسائل البحث اللغوي لا يمكن أن يساهم في صناعة المعجم الموسوعي الذي ننشده إذا لم يتم على أيدي المختصين في اللغة العربية وعلومها، ولن يتم هذا التطور بشكل سليم إلا إذا توحّدت الجهود في إطار نظرية عربية عميقة التصور تنطلق من مصادرات سليمة، في خطوات منهجية واضحة.

هوامش البحث

(1) Britannica 2001 Deluxe Edition CD ROM (Dictionary).

(٢) المعاجم اللغوية العربية، د. أحمد محمد معتوق، ١٩٩١، ص٢١.

(٣) كتاب الفهرست، ابن النديم تح. رضا تجدد، طهران، ١٩٧١، ص٣٦.

(٤) المعجم العربي – إشكالات ومقاربات، تأليف د. محمد رشاد الحمزاوي، تونس، وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية ١٩٩١، ص ١٦٩-١٧٠.

(٥) المحيط في اللغة، تأليف كافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عباد (ت٣٨٥هـ) تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بيروت، عالم الكتب، دون تاريخ.

(٦) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تأليف علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ) تح: مصطفى السقا، ود. حسين نصار، القاهرة، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٥٨.

(٧) لسان العرب المحيط، محمد بن المكرّم المعروف بابن منظور(ت ٧١١هـ) بيروت، دار لسان العرب.

(٨) القاموس المحيط، الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ) بيروت، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ١٩٩٨.

(٩) علم اللغة العربية – مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السامية، د. محمود فهمي حجازي، القاهرة، ص ١٠٥.

(١٠) جمهرة اللغة، ابن دريد، القاهرة، مطبعة الحلبي.

(١١) تهذيب اللغة أبو منصور الأزهري، القاهرة، مطبعة الحلبي.

(١٢) تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت ١٩٨٢.

(١٣) مقدمة لدراسة التراث للعجمي العربي، د. حلمي خليل، بيروت، دار النهضة، ص٢٥٧.

(١٤) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مجموعة من المحققين، الكويت، سلسلة التراث العربي-١٦-

(١٥) المعجم العربي، د. محمد رشاد الحمزاوي، ص ٢٢٣.

(١٦) تناول الآراء حول نسبة «كتاب العين» إلى الخليل د. عبد الله درويش في كتابه «المعاجم العربية»، عني بنشره السيد حسن شربتلي، مطبعة الرسالة، ص٤٧ وما بعدها. ود. صلاح راوي في كتابه «المدارس المعجمية العربية»، القاهرة، دار الثقافة، ص ٥٨ و٥٩، وغيرهما من الباحثين.

(١٧) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج١ المقدمة، ص ٤٨.

(١٨) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي، إيران، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥هـ، حرف الهاء، الرباعي من الهاء، الهاء والسين، (هنلس).

(١٩) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيـــدي، حرف القاف، ج٥/ ٦.

(٢٠) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيـــدي، حرف القاف، باب الثلاثي الصحيح من القاف، باب القاف والشين واللام معهما (قلش).

(٢١) كـــتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيـــدي، حرف الكاف، باب الرباعي من الكاف، الكاف والصاد (دككص).

(٢٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف الحاء، ج٣/ ٥.

(٢٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيـــدي، المقدمة، ج١/٥٢.

(٢٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيـــدي، ج١/ ٥٢- ٥٧.

(٢٥) المعجـــم العربي –إشكالات ومقـــاربات. تأليف د. محمد رشاد الحمزاوي ص ٢٢٥- ٢٢٦.

(٢٦) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيـــدي، حرف الحاء، باب الثلاثي الصحيح، الحاء والراء والفاء معهما، (حرف).

(٢٧) كتاب سيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، عالم الكتب، ١٩٧٥، ج ٤/ ٤٣١- ٤٣٢.

(٢٨) كتاب القلب والإبدال لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤هـ، نشره الدكتور أوغست هفنر ضمن مجموعة «الكنز اللغوي في اللســـن العـــربي»، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٣، ص٤٤، وكتاب العين، حرف الشين، الثلاثي الصحيح، الشين والصاد والنون، والشين والزاي والنون.

(٢٩) كـــتاب القلـــب والإبدال، ابن السكيت ٤٧، كتاب العين حرف الدال، باب الثنائي، الدال مع الميم. وحرف الطاء، الثنائي، الطاء مع الميم.

(٣٠) كـــتاب القلب والإبدال، ابن السكيت ٤٣، كتاب العين حرف الشين، الثلاثي الصحيح، الشين والسين والباء معهما، والشين والزاي والباء معهما.

(٣١) كتاب القلب والإبدال، ابن السكيت ٤٤، كتاب العين، حرف القاف، الثلاثي الصحيح، القاف والصاد واللام معهما، القاف والسين واللام معهما.

(٣٢) كتاب القلب والإبدال، ابن السكيت ٤٤، كتاب العين، حرف الجيم، الجيم والسين والراء معهما، الجيم والزاي والراء معا.

(٣٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج١/ ٤٨.

(٣٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف العين، الثلاثي الصحيح، العين والجيم والميم معهما.

(٣٥) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف العين، الثلاثي الصحيح، العين والشين والسين معهما.

(٣٦) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحين الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ) تح: محمد أسعد طلس، راجعه: أسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢، ص٧٥.

(٣٧) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهاني، ص٧٦. وقد ورد في كتاب العين: «الهَيْمع الموتُ الوَحِيُّ... وبالغين خطأ لأن الهاء لا تجتمع مع الغين في كلمة واحدة» حرف الهاء، الثلاثي الصحيح، العين والهاء والميم.

(٣٨) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهاني، ص٧٦.

(٣٩) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت: ٣٨٢هـ) دمشق مجمع اللغة العربية، ٧٧- ٧٨.

(٤٠) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبي أحمد الحسن العسكري، ٨٧-٨٠.

(٤١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبي أحمد الحسن العسكري، ٨٠ -٨٢.

(٤٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبي أحمد الحسن العسكري، ٨٢.

(٤٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبي أحمد الحسن العسكري، ٨٣.

(٤٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف العين، الثنائي، باب العين والدال.

(٤٥) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف الكاف، الثلاثي الصحيح، الكاف والسين والجيم معهما.

(٤٦) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف القاف، الثلاثي الصحيح، القاف والضاد، والنون، معهما.

(٤٧) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف الكاف، الثلاثي الصحيح، الكاف والزاي والراء معهما.

(٤٨) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف الهاء، الثلاثي الصحيح. الهاء واللام والباء معهما.

(٤٩) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف الجيم، الثلاثي الصحيح، الجيم والشين مع الباء.

(٥٠) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، حرف الجيم، الثلاثي الصحيح، الجيم والشين مع الباء.

(٥١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تح: محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ط١ دون تاريخ، ج١/ ٤٦.

(٥٢) لسان العرب، ابن منظور، المقدمة، ص: د.

(٥٣) القاموس المحيط، الفيروزابادي، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر دون تاريخ المقدمة، ص٣.

(٥٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، المقدمة.

(٥٥) المعجم العربي، د. محمد رشاد الحمزاوي، ص٢٣٥.

(٥٦) لسان العرب، ابن منظور، المقدمة، ص: د.

(٥٧) القاموس المحيط، الفيروزابادي، المقدمة، ص٣.

(٥٨) تاج العروس، الزبيدي، المقدمة.

(٥٩) لسان العرب، ابن منظور، المقدمة، ص:د.

(٦٠) القاموس المحيط، الفيروزابادي، المقدمة، ص ٣.

(٦١) القاموس المحيط، الفيروزابادي، المقدمة، ص ٣- ٤.

(٦٢) القاموس المحيط، الفيروزابادي، المقدمة، ص ٤.

(٦٣) تاج العروس، الزبيدي، المقدمة.

(٦٤) المعجم العربي د. رياض زكي قاسم، بيروت، دار المعرفة، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢.

(٦٥) كتاب القلب والإبدال، ابن السكيت، ص٥٤.

(٦٦) المعجم العربي، د. حسين نصار، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ج١/ ٣٠٢- ٣٠٣.

(٦٧) الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، بيروت، دار صادر نسخة مصورة عن قسطنطينية ١٢٩٩هـ، المقدمة، ص ٧- ٨.

(٦٨) المعجم العربي، د. محمد رشاد الحمزاوي، ص ٢٣٨. اسم الكتاب كما أثبته د. أحمد الشرقاوي إقبال، في «معجم المعاجم»، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧، ص٢٣٧: «إضاءة الراموس، وإفاضة الناموس على إضاءة القاموس»، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن أبي موسى الصميلي الفاسي المعروف بالشرقي.

(٦٩) المعجم اللغوي التاريخي، تأليف: أ. فيشر، والقسم الأول، نشره مجمع اللغة العربية، في القاهرة، ط١، ١٩٦٧، ص٧، ١٢، ١٥، ١٦.

(٧٠) المعجم اللغوي التاريخي، تأليف: أ. فيشر، ص٢٠.

(٧١) من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، د. محمد رشاد الحمزاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص٤٧.

المعجم العربي بين الواقع والطموح

د. ناديا حسكور

المعجم هو كتاب يضم مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون مرتَّبة ترتيباً خاصاً، وهو المضمار الذي تتمثل فيه علاقة اللفظ بالمعنى، وهو المرجع الذي يستوي في الحاجة إليه الناشئ والمتعلم والباحث المنقب؛ وتنوع المعاجم لدى الأمة وتجددها من حين إلى آخر وذيوع استعمالها بين الأفراد أدلة حيوية هذه الأمة وحيوية لغتها، وعلى هذا فالمعجم أداة من أدوات الثقافة الهامة والمرآة التي تعبر عن مستوى الارتقاء الثقافي في مجتمع ما. فإذا كان هذا المعجم محشواً بمعلومات غير دقيقة، أو إذا كان يفتقر إلى النظام والمنهجية والدقة فهذا يعني أننا ندخل كل هذه المساوئ في عقول أبنائنا، وهذا يعني من جهة ثانية أننا نقدم صورة مشوهة عن ذواتنا وثقافتنا وتراثنا.

ولعل من الأمور التي يجب أن تترسخ في عقولنا أن المعجم ليس كتاباً يحوي جذوراً لغوية فقط، بل هو عالم الكلمات الحي الذي يحقق التواصل بين الناس، ولهذا فهو يعكس أخلاق الأمة من كل وجوهها، وفي المعجم تتمثل أمامنا واضحة قوانين الحياة، ففيه نجد قانون تنازع البقاء، من هذا أن الفيروزآبادي ذكر للفعل «سأل» مصادر كثيرة منها السؤال والمسألة والسألة وسآلة وتسآلاً وقد غلبت من هذه المصادر سيرورة المصدرين: سؤالاً ومسألة وقلّ استعمال سائر المصادر حتى كادت تندثر، في حين أن المصدرين المذكورين قد نموا وتطوروا وأخذا معاني جديدة واتخذا ظلالاً

معنوية إضافية لم تكن فيهما. وفي المعاجم نجد قانون الانتخاب الطبيعي لكلمات تظل على قيد الحياة وتسود في وقت يندثر فيه غيرها من الألفاظ؛ فالمِلَقْس هو الرديء الأخلاق والمِهجرِس هو اللئيم، وهذان اللفظان يمثلان ألفاظاً كثيرة نراها اليوم تتسم بالغرابة والحوشية وقد تراجع استعمالها بفعل قانون الانتخاب الطبيعي، وسادت عليها كلمات أخرى أكثر يسراً وقبولاً تعبر عن المعنى ذاته[1].

ويقودنا هذا إلى أمر هام آخر علينا التنبه إليه حين نفكر في صناعة معاجمنا المستقبلية، وهو أن اللغة تتطور وتتغير ولن يستطيع أحد الوقوف في وجه هذا التطور لمنعه، فهي كائن حي يمثّل التواصل بين [illegible]، وكل ما نستطيع فعله هو توجيه هذا التطور بحيث يحفظ للغة هويتها و[illegible] الأساسية، ويدفع التطور للسير في طريق لا تتمزق فيه أوصال اللغة [illegible] إلى حفنة من اللهجات العامية يستقل بعضها عن بعض لتصبح فيما بعد لغات خاصة.

واللغة العربية لغة واسعة ومتسقة، وقد نالت من الدارسين واللغويين اهتماماً لم تنله لغة أخرى، ويبدو هذا فيما أُلّف ويؤلَّف من معاجم كثيرة متنوعة الأشكال والأهداف، ومن يرجع على سبيل المثال إلى كتاب «معجم المعاجم» لأحمد الشرقاوي إقبال يتعرَّف ذلك جيداً ويتأكد له صحة ما نوّهت به.

وكل شكل من هذه المعاجم المؤلفة كان عند كتابته خطوة جديدة في طريق التأليف المعجمي، لكنها على الرغم من ذلك كانت لا تخلو من عيوب

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق لعام ١٩٦٢. بحث لشفيق جبري بعنوان: قراءة في المعجمات ص١٩٣.

ونواقص، وقد انبرى كثير من الدارسين لتحسس مواضع هذه العيوب وإبرازها، فكان في القرن الثامن عشر نقد الإمام ابن الطيب الفاسي للقاموس المحيط في كتابه المسمى «إضاءة الراموس وإفاضة الناموس»، وهذا ما فعله أيضاً تلميذه عبد القادر الحسيني في كتابه «فلك القاموس»، وكان لأحمد فارس الشدياق في القرن التاسع عشر مؤلَّف في نقد القاموس المحيط هو «الجاسوس على القاموس»، وفي القرن العشرين قام بهذا النقد ظاهر خير الله في مقدمته لمعجم الطالب، وحوت مقدمة «معجم البستان» للخوري بطرس البستاني نقداً للقاموس المحيط والمعاجم القديمة، وقام الشيخ عبد الله العلايلي في مقدمة كتابه «درس لغة العرب» بالعمل نفسه، ونسج على منواله المستشرق أوغست فيشر في مقدمة معجمه اللغوي التاريخي، وكذلك فعل الدكتور حسين نصار والدكتور عبد الله درويش في كتابيهما عن المعجم العربي.

وليس من شأن بحثي هذا أن يقوّم مسيرة التطور في التأليف المعجمي، ولا أن يتعقب عثرات المعجميين العرب بهدف الحطّ من قيمة عملهم لكنه ينبغي وضع اليد على مواضع النقص لتلافيها، ومواطن العثار لتصحيحها واستدراك المثالب في معاجمنا القديمة.

كان العرب من أسبق الأمم إلى النشاط المعجمي، وقد سار تطور التأليف المعجمي مسيرة طبيعية، إذ تنوعت طرائق اللغويين كثيراً في بدايات هذا النوع من التأليف، حتى وصلوا إلى هذا النمط الطبيعي السهل في ترتيب ألفاظ اللغة، وذلك لأن السهولة والبساطة هما الكمال بعينه، ولهذا فهما من أصعب الأشياء وأرقاها، لكن هذه المعاجم غدت بعيدة عن مقتضيات العصر وما تتطلبه وسائل البحث الحديثة من سهولة ووضوح وقرب مأخذ؛

ففي هذه المعاجم نجد مشاكل تتصل بنظام التأليف ونسق التصنيف، ومع ذلك لا يمكننا أن نعدّ السابقين مقصرين فيما فعلوا، فقد كان همهم الأول الجمع والاستقصاء، وقد بذلوا جهدهم في ترتيب ما جمعوا واستقصوا برغم ضآلة ما كان بين أيديهم من وسائل وأدوات.

والمعاجم القديمة -كما هو معروف - تعنى بإثبات الألفاظ القديمة بما فيها الغريب والموات وتبذل جهداً في استقصائها وتوضيحها والاستشهاد عليها بالقرآن الكريم والشعر العربي وكلام الفصحاء، لكنها تهمل في الوقت ذاته كثيراً من الألفاظ والاستعمالات الجديدة التي تتردد في الشعر المحدث وفي المؤلفات العلمية والأدبية التي ظهرت في مختلف العصور العباسية، وهذا ما تنبه إليه المستشرق دوزي (-١٨٨٣) حين جمع الألفاظ التي لم يرد ذكرها في المعاجم القديمة ونشرها على حدة، وذلك في كتابه «ملحق المعاجم العربية»، وهو كتاب مرتب على أوائل الأصول.

لقد كان واضعو المعاجم العربية شديدي التزمت راغبين عن كل ما لا يمت بصلة للغة القرن الهجري الأول وما قبله، واقفين في إثباتهم لمفردات اللغة عند ذلك الزمن الذي بدأ فيه العرب يحتلون مكانتهم في دنيا الحضارة العالمية، ويتقبلون كثيراً من الألفاظ الجديدة التي ترجع بأصولها إلى اللغات الأجنبية كي يعبروا بها في شتى العلوم، وقد قال السيوطي في قصور القاموس المحيط عن جمع تلك الألفاظ: «فاته أشياء كثيرة ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيَّلاً عليها»[1].

---

(١) المزهر: ١٠٣/١.

وقد فات المعاجم ألفاظ كثيرة استجدت في ظل حركة الترجمة الناشطة والاحتكاك بالثقافات من مثل «احترم» التي استخدمها أبو حنيفة بمعنى كرّم ووقّر فقال: «من لم يحترم العلماء و لم يعظم الكبراء، فلا تلوموه، ولوموا أمّه». وذكرها الفيومي على استحياء في المصباح المنير، وهذا لفظ شائع الاستخدام منذ العصر العباسي حتى العصر الحالي و لم يرد شيء منه في المعاجم القديمة إلا ما ذكرنا. وقد قام الأب أنستانس الكرملي (-١٩٤٧) في كتابه المساعد باستدراك بعض ما فات تلك المعاجم، وتبعه الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه «التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية» وقد استمد مادته من كتب اللغة والأدب في ذلك العصر وتابعه الدكتور محمد حسن جبل حين استدرك على المعاجم ما فاتها معتمداً في مادته على كلام مؤلفي المعاجم أنفسهم من خلال شروحهم لمواد معجمهم ممّا لم يرد ذكره في مظانه من تلك المعاجم.

ولعل من أهم الأدلة على قصور المعاجم القديمة عن الإحاطة بألفاظ اللغة هو الفهرست الذي ألحقه محققا المفضليات المصريان للألفاظ التي لم ترد في المعاجم، والمفضليات هي ما هي في عالم الشعر العربي.

والمطلع على المعاجم القديمة يلحظ كثرة الألفاظ التي حُشِرت فيها حشراً دون أن يكون ذلك موضعها من مثل أسماء البلدان وأعلام الناس، وما إلى ذلك ممّا يكون موضعه أجدى في كتب التراجم والموسوعات، لا في معاجم اللغة المتخصصة؛ فالمعاجم لتفسير الألفاظ، ودوائر المعارف لوصف الأشياء؛ والمعاجم لا تصف من الأشياء إلا ما لابد منه إبرازاً لدلالة اللفظ واستدلالاته. وقد يكون عدم تمثل المؤلفين للغرض من معاجمهم هو السبب

الذي أدى بهم إلى الكثير من الأخطاء، فهم يريدون أن يجمعوا اللغة بواضحها وغريبها ونادرها، وأن يجمعوا فيها معارف العرب أو النواحي المختلفة من الثقافة العربية حتى غلب على معاجمنا الاستطراد والخروج عن المادة اللغوية، وصارت حاوية لكل صنف من المعلومات.

ومن القصور الذي نراه في معاجمنا أنها تشتمل على عبارات من مثل «نبات معروف» أو «هو على مسيرة يوم»، وما إلى ذلك من عبارات فضفاضة توقع القارئ في ضياع أكثر من مساعدته في فهم المفردة المطلوبة. وهي لا تعنى كثيراً بترتيب مفردات الأسرة في المادة الواحدة ترتيباً دقيقاً فيما بينها، زيادة على أنها تحوي بعض التناقضات والاختلافات في شرح اللفظة الواحدة[1]. وفيها قصور لا يخفى في توضيح بعض أبواب الفعل الثلاثي وعدم استيفاء مصادره السماعية، وعدم ذكر جموع بعض الكلمات مثل: «الرقيم».

وفي الوقت الذي تشير فيه المعاجم إلى المعاني المختلفة للفظة من الألفاظ لا تحاول أن تضبط هذه المعاني بالضوابط الزمنية، وعلى هذا فهي لا تعيننا على مسايرة التطور التاريخي للغتنا بشكل واضح وتقطع سلسلة التطور في معاني الألفاظ، مع العلم أن المعاني المختلفة للفظة الواحدة كثيراً ما تكون نتيجة تطور تاريخي تدريجي، ولو أن معاجمنا اصطبغت بالصبغة التاريخية لاستطعنا بفضلها أن نعرف متى ظهرت اللفظة على وجه التقريب، ومتى أهملت ومتى بعثت من جديد، وفي أي عصر اكتسبت كلاً من معانيها المختلفة، وذلك لأن اللغة كائن حيّ في تجدد وتطور مستمرين، وهي خاضعة لقانون التحول والتطور، فمن المفردات ما يُهمل ثم ينام أمداً طويلاً، ومنها ما يُهمل ثم يُبعث حيّاً، ومنها ما

(١) تنظر مادة «حبك» في تهذيب اللغة للأزهري، ولسان العرب لابن منظور.

يفد إلى اللغة من طرق أجنبية شتى، ومنها ما يكتسب معاني جديدة، والمعجم لا يكون حياً إلا إذا كان صورة دقيقة لحيوية اللغة.

لكل ما سلف فقد غدا تطوير المعاجم القديمة أمراً لازماً تتطلبه طبيعة العصر ومعطياته العلمية والفنية والحضارية، وأصبحت الحاجة ماسة إلى معاجم جديدة تعتمد في مادتها الأساسية على أصالة المعاجم القديمة وتلافي ما فيها من عيوب التأليف وسد ما فيها من ثغرات، وتحتضن ما استحدثته مجامع اللغة العربية من مفردات واصطلاحات، وكانت هناك جهود في العمل المعجمي يمكن تصنيفها كما يلي:

كانت هناك مجموعة من الباحثين الذين طالبوا بإصلاح المعاجم وتطويرها، فدرسوا المعاجم القديمة ونقدوها ودعوا إلى إصلاحها من دون ممارسة فعلية لصناعة المعاجم؛ ومنهم الدكاترة حسين نصار وعبد الله درويش وعدنان الخطيب.

أما الفئة الثانية من الدارسين فقد أردفوا دعواتهم تلك بالممارسة العملية، إمّا بجهد شخصي منهم وإمّا تلبية لدعوة جهة علمية، ومن هؤلاء الشيخ عبد الله العلايلي وفيشر وغيرهما، لكنهم لم ينجزوا العمل كاملاً، وكانت هناك محاولة لمجمع اللغة العربية في دمشق سنة ١٩٣٠م، إذ كلف أحمد رضا العاملي بصنع معجم متن اللغة، وقد تمّ هذا المعجم سنة ١٩٤٨م وطبع بعد وفاة المؤلف في خمسة مجلدات. وقام مجمع اللغة العربية في مصر بعمل المعجم الوسيط وطبع لأول مرة سنة ١٩٦٠م وكانت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م والثالثة سنة ١٩٨٥م، وقامت المنظمة العربية للتربية بنشر المعجم العربي الأساسي سنة ١٩٨٩م. وهناك فئة ثالثة أقدمت على صناعة

المعاجم دون أن يكون لها خطة نظرية معلنة، ومن هؤلاء بطرس البستاني في محيط المحيط وقطر المحيط، وسعيد الشرتوني في أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ولويس معلوف في المنجد وغيرهم.

كانت لهذه المعاجم الحديثة ميزات كثيرة، فقد سدت الكثير من مواضع النقص والثغرات في المعاجم القديمة، وتجاوزت الكثير من عيوب تلك المعاجم، وطوّرتها بما يوافق مقتضيات العصر ومتطلباته، من هذا أنها تشير إلى الغريب والموات والمولد والمهجور من الألفاظ، وهذا جانب يشير إلى علاقة اللفظ بالاستعمال وهو جانب هام لكل من يستشير المعجم في لفظ، فليس المعجم لشرح معنى كلمة فقط، إنما هو لتقديم كافة المعلومات التي تعين على استعمال الكلمة وفهم مدلولها.

ولكن من عيوب المعاجم الحديثة أنها تعثرت بعض الأحيان فشابتها أخطاء وعثرات، وقد تتبعها بعض الدارسين، من هذا أن الفعل «أفِل» ورد في المعجم الوسيط على أن مضارعه «يأفِل» وهو في اللسان مضموم العين ومكسورها. أما الفعل «شطح» المولد فقد ذكره الوسيط لكنه غفل عن ذكر مضارعه وفي هذا إرباك لمستخدمي هذا الفعل، وتعدد في شكل استخدامه مضارعاً.

وقد وردت كلمة «موسيقا» في المعجم الكبير[1] بالألف الطويلة، في حين أنها في الوسيط وردت بالألف المقصورة، وفي هذا أيضاً إرباك لمستخدم المعجم، ومن الملحوظات التي تؤخذ على المعجم الوسيط أنه شرح لفظة

---

(١) هو معجم أصدر منه مجمع اللغة العربية في القاهرة ثلاثة أجزاء على التتالي سنة ١٩٧٠ و١٩٨٢ و١٩٩٢.

«انشج» وفسرها بـــ «انشدخ» لكنه لم يذكر الفعل «انشدخ» في مَظَنَّته[1]؛ ومن مظاهر النقص في تلك المعاجم أن الوسيط لم يستقص ذكر جموع التكسير المسموعة للكلمة، فهو لم يذكر مثلاً أن «نحيف» تجمع على «نُحّف»، والشاهد على ذلك قول الطائي:

وإني لأخـــزى أن تـــرى بي بطنةٌ وجـــارات بيتي طاويات ونُحّفُ

وظهرت بدعة في التأليف المعجمي الحديث دعت إلى تصنيف المعاجم بحسب أوائلها لا بحسب أوائل أصولها، كما بدا في معجم الرائد لجبران مسعود وقد صدر لأول مرة سنة ١٩٦٤م، ولاقت هذه الفكرة قبولاً عند بعض الدارسين[1]، وكانت حجتهم في هذا أن وضع مداخل المعجم بالشكل الحالي الذي عليه العمل يفترض من طلاب العون من المعجم أن يكونوا على علم بمختلف القواعد الإملائية والصرفية ليعرفوا ما تخضع له الكلمات من ظواهر النقل والقلب والحذف والزيادة والإعلال والإبدال حتى يستطيعوا التمييز بين الأصل والفرع والألف اليائية والواوية والأصلي والزائد والمنقلب عن غيره، وهذا لا يتأتى للمبتدئيـــن الذين هم أكثر الناس حاجة للمعاجم. لذلك فإن جعل كل كلمة في اللغة مدخلاً خاصاً بنفسها يمكن أن يضع الأمور في صورتها السهلة لطلاب المعنى المعجمي.

---

(١) [جـــاء في المعجم الوسيط، مادة (شدخ): «انشدخ: انشجَّ». ولكنه في مادة (شجّ) لم يذكر الفعل (انشجّ).

وقـــد بحثنا في المعاجم العربية التي اطلعنا عليها فوجدنا أن الفعل (انشدخ) قد ورد فيها. أما الفعل (انشجّ) فلم نجد له ذكراً فيها / المجلة].

(١) مثل الدكتور تمام حسان الذي عبر عن رأيه هذا في كتاب الأصول ص ٢٧٧.

والترتيب الحالي للمعاجم قائم على ما افترضه النحاة من أصول مجردة لا على ما تستعمله اللغة من كلمات، أضف إلى ذلك أن الوضع الجديد المقترح للمعاجم يردّ اتهام بعض المستشرقين للغة العربية بالفقر في معجمها، فقد نظر هؤلاء إلى المعجم العربي وقارنوا عدد المداخل فيه بعدد المداخل في معاجمهم، وكان سرورهم عظيماً أن وجدوا الإحصاء في صف لغتهم، وغفلوا عن أن المادة العربية الواحدة تشتمل على عدد عظيم من المشتقات لو جعل كل منها مدخلاً لتغيرت صورة الإحصاء.

والقول في هذه الحجج هو أن فكرة الترتيب هذه ليست جديدة على التراث العربي، فهناك الكثير من الكتب اللغوية الخاصة التي صنفت ألفاظها بحسب أوائلها مثل كتاب أبي الفرج ابن الجوزي (-٥٩٧هـ) منتخب قرة العيون النواظر، الذي يفسر الألفاظ القرآنية التي ترادفت معانيها وتنوعت مبانيها، وهناك كتاب اصطلاحات الصوفية لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني، وقد اتبع علي بن محمد الجرجاني (-٨١٦هـ) في كتابه «التعريفات» المنهج نفسه كما فعل قبله صلاح الصفدي (-٧٦٤هـ) في كتابه «غوامض الصحاح» الذي استخرج فيه الكلمات ذات الاشتقاق الغامض من معجم الصحاح للجوهري ورتبها ألفبائياً من غير مراعاة لأصولها.

ثم إن ترتيب المعاجم بحسب أوائل ألفاظها لا بحسب أوائل أصولها يشتت المادة الواحدة في صيغ كثيرة فتضيع لحمة القرابة وتنفصم عرى النسب فتغدو أشلاءً مبعثرة لا وشيجة بينها ولا نسب، فتفقد بذلك العربية ميزة من أهم ميزاتها وهي الاشتقاق الذي يطرد في الأسرة الواحدة ضمن

قواعد ثابتة. وما الصعوبات التي ذكرها المطالبون بهذا النوع من الترتيب المعجمي إلا صعوبات وهمية ضخموها وبالغوا في إظهارها.

والمعجم الحاسوبي الذي نراه اليوم قد نال مكانة مرموقة وانتشاراً ملحوظاً في الآونة الأخيرة، حلّ هذه المشكلة لأنه يمكّن الباحث عن اللفظ من أن يجده، وإن لم يعلم الأصل الثلاثي للكلمة المرادة، والحاسوب كما هو معلوم لغة العصر الراهنة والقادمة، ومن حقنا الاستفادة من هذا التقدم العلمي الذي يذلل الكثير من الصعوبات أمامنا، وعلى هذا فليس من المقبول أن نعيد النظر في معاجمنا لترتيبها وفق هذا الاقتراح لأننا بهذا نتجاهل سمة الاشتقاق في لغتنا التي تقوم على أسر من الكلمات، وليس من الحق أن نفرّق شمل هذه الأسر وأن نوزع أفرادها بين جنبات المعجم محاكاة لترتيب أبجدي يلائم لغات أخرى، وفي هذا أيضاً قضاء على أصول الدلالات وهدم لوحدة المادة مما يعوق تكوين الملكة اللغوية السليمة.

وبعد، فنحن في هذه الأيام على أبواب نهضة لغوية جديدة يجب أن نغذيها بالإحياء والبعث والتعريب والوضع حتى نجعل لغتنا مستوعبة لكل حاجات العصر الحاضر فتكون في هذا السبيل غنية مثل غناها في مفرداتها، ولتكون نهضتنا اللغوية صحيحة يجب أن تصحب بنهضة أكبر في التأليف والطبع والنشر، وذلك بأن نستقبل الجديد ونجد له أسماء عن طريق الوضع والتعريب والاشتقاق مع المحافظة على الأصول العربية وقواعدها وأبنيتها.

إن انتشار التعليم انتشاراً كبيراً، وحاجة الطلبة إلى المعاجم، وعدم عثورهم على ما يريدون في معاجم اللغة القديمة التي لم تعد تلبي حاجاتهم اللغوية فرض علينا البحث في موضوع التصنيف المعجمي، وبات ذلك

ضرورة أكثر إلحاحاً بعد اطلاع الناشئة على المعاجم الأجنبية وما توفره من الوقت وما تمتاز به من اليسر في شرحها لما تطلبه منها، إذ تمهد لك سبيل العثور على ما ترغب بسرعة وسهولة.

إن ما خلّفه لنا أجدادنا من تلك الثروة الواسعة من المعاجم لم تعد صالحة للاستعمال لأن الأمة كانت تتداولها في زمن غير هذا، أما اليوم فإن الناطقين بالضاد قد أصبحوا وأسلافهم على طرفي نقيض لذلك فقد بات من الحكمة أن تتغير تلك المعاجم وفقاً للظروف المستجدة. لذا يبدو من الضروري أن تحذف من معاجمنا كل الألفاظ المهجورة أو الثقيلة على اللسان وعلى الأخص ما كان يدخل منها في دائرة المترادف المهجور، الذي كثر وتجاوز حدود المقبول فلم تعد من فائدة لحفظ مثل هذه الألفاظ، لأنها يجب أن تخلي مكانها لكلمات أخرى فرضها العصر، ويجب أيضاً استبعاد كل ما لا يمت إلى العمل المعجمي بصلة مما هو ألصق بالموسوعات كالأعلام ويجب إهمال الحوشي والجاف من الألفاظ التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها كأسماء الإبل وأدوائها وعلاجها.

ولعل ترتيب المعجم والانتباه إلى أمور صغيرة فرضها التطور بات حاجة ضرورية، فإذا كان للمادة، معنيان وجب ذكر المعنى الأكثر انتشاراً مع ترقيمه، فذكر الثاني بترقيم جديد وذلك مع العناية بالربط المنطقي بين المعنيين إن أمكن. وينبغي للمعاجم أن تشتمل مع الشرح على الرسم التوضيحي والصورة والخريطة والتحديد العلمي لفصيلة الحيوان والنبات والمصطلح. ويعد الإخراج الشكلي للمعجم ذا دور مهم في شد نظر القارئ للإقبال عليه، وهذا

يساعده في إيجاد بغيته، ومن هذا أن تكتَب عناوين المادة بحروف مميزة لتسهيل قراءتها ولفت النظر إليها. ففي هذا توفير للجهد والوقت.

ومن المهم أيضاً أن تُراعى الضمائم المختلفة التي تكون مع اللفظة فيتغير معناها بتغير الضميمة، وأن يؤخذ بعين الاعتبار المعنى المجازي، فلاشك أن المعاجم لا تهمل ذلك إهمالاً تاماً، ولكن المطلوب أن يبنى عملها على اختيار دقيق لهذه الضمائم التي تؤثر في المعنى وتغيره، وينبغي التقديم لكل مادة بالمعنى العام للجذر اللغوي على طريقة ابن فارس، والتركيز على الاستعمالات الفنية للفظة والتفريق بين المعنى الحقيقي والمجازي، وهذا جانب لم توله معاجمنا القديمة الاهتمام اللازم باستثناء «أساس البلاغة» لذا يجب رصد تلك الاستعمالات ومراعاة التراكيب اللغوية والعبارات الاصطلاحية واستيعابها من مثل «يد الإحسان واليد البيضاء» لأن هذا جانب من الجوانب التي تظهر غنى اللغة وقدرتها على التعبير المتعدد الأشكال والذي يمكن انتقاؤه بما يلائم المقام، وينبغي إضافة التراكيب التي دخلت العربية حديثاً واتخذت معانيها المعروفة من مثل «انعقدت الجلسة وهيئة المحكمة والقنوات الفضائية».

أما موضوع الدخيل فهذا أمر ذو شجون، إذ كان في عرف اللغويين ما وفد على العربية في عصورها الأولى التي تسمى عصور الاحتجاج، وهو ما يعرف بالمعرب، ثم غدا ينطبق على المولد الذي طرأ على اللغة بعد عصر الاحتجاج، فلا فارق إذاً بين النوعين إلا من حيث الزمن، ولقد كانت فكرة العزوف عن الدخيل (المعرب والمولد) من الأسباب التي جعلت علماء العربية وعلماء اللغة يتركون الأخذ عن القبائل العربية المتطرفة، وقد وقف العلماء هذا الموقف من تلك القبائل ولهجاتها على الرغم مما كانوا يعلمونه علم اليقين من أن القرآن الكريم اشتمل على كلمات

دخيلة على العربية من لغات أخرى مختلفة.

والتعريب إخضاع اللفظ الأجنبي لطرق الصياغة العربية، وللعادات النطقية العربية وهو من ثمّ يتضمن التزاماً صارماً بأصوات العربية والصيغة الصرفية العربية، والتزاماً أقل صرامة بظواهر التأليف وتجاور الحروف؛ وهذا أمر يجب ألا يغيب عن أذهاننا في صياغة معاجمنا.

ومادام أسلافنا وضعوا لبعض المسميات مفردات تناسبها، فليضع المعاصرون أسماء للمسميات الحديثة التي وقفنا أمامها دهشين عاجزين عن استحداث الألفاظ، ولهذا يجب فتح باب الوضع للمحدثين ليدلوا بدلائهم، شأنهم في ذلك شأن القدماء، وتعميم القياس فيما لم يقس من قبل، ومن المهم أن يكون تشكيل الألفاظ المعربة على شكل عائلات تتيح للمرء أن يشتق كل الصيغ الصرفية العربية منها، فتعريب الكومبيوتر بالحاسوب مثلاً لا يتيح هذه الإمكانية، في حين أن تعريبه بكلمة «كبتار» يتيح لنا اشتقاق فعل رباعي هو «كبتر» يمكن تصريفه بالأزمنة المختلفة، زد على ذلك أن هذا الفعل يسمح لنا باشتقاق اسمي الفاعل والمفعول وباقي المشتقات اعتماداً على السليقة اللغوية أو على القانون اللغوي الذي يحكم هذا الاشتقاق[1]، فلا يكون التعريب هذا لكلمات متناثرة بل لعائلات متكاملة. ومن الملح أيضاً في عملنا المعجمي أن نتقصّى كل ما أصدرته مجامع اللغة من قرارات وتوصيات، وما تضمنته مجلاتها من مقالات ودراسات. فإذا صح أن النحو العربي قد فرض على اللغة الفصحى أن تظل بنية ثابتة عبر العصور وأعانه

---

(١) تعريـــب لفظة الكومبيوتر بالكبتار هو رأي للدكتور فخر الدين قباوة، ينظر كتابه المهارات اللغوية وعروبة اللسان ص١٦.

على ذلك أن اللغة التي قام هذا النحو لتثبيتها والمحافظة على صورتها التي كانت بها عند نشأة النحو هي لغة القرآن التي ينبغي للمسلمين أن يحافظوا عليها، فإن الأمر بالنسبة للألفاظ المفردة -وهي مادة المعجم- لا ينبغي أن تكون على هذه الصورة، فالألفاظ المستعملة في اللغة الفصحى تتطور شكلاً ومضموناً عبر العصر على عكس النحو، فبعضها يبطل وبعضها تتغير بنيته وبعضها تتغير دلالته، وهذه أمور يجب أن تراعى في المعاجم الحديثة.

ويعدّ استبعاد الخلافات واعتماد الراجح واستبعاد المرجوح أمور لا مفر منها لتحديث معاجمنا المبتغاة، لأن ما يطلب منها هو أن تكون بعيدة عن إثارة الخلافات وتعدد الآراء إلا فيما لابد منه، فالفعل «بقر» ورد في المعاجم على أنه من الباب الأول ومن الباب الثالث، وهذا قد يسبب بعض الإرباك في اللفظ وقد يستدعي تخطئة المتكلمين لبعضهم.

ومن المهم أيضاً استعمال الضبط بالشكل لتحديد البنيات المختلفة للكلمة بدلاً من العبارات الواصفة كقولهم: بخفض الحاء المهملة وضم الجيم المعجمة، وذلك لما في ذلك من الإطالة وضياع الوقت والجهد؛ ثمّ إن أبواب الفعل الثلاثي المضعف لم تنل العناية اللازمة ليتضح من أي باب هي، والمشكلة تظهر حين يفكّ التضعيف عند إسناد الفعل لنون النسوة مثلاً، نحو الفعل «برّ، يبرّ»، ولعل من المسائل التي يجب الإشارة إليها التعدي واللزوم في الأفعال، إذ يجب التمييز بين هذين النوعين من الأفعال، ويجب التنويه بحرف الجر الذي يتعدى به الفعل اللازم، لأن هذه القضايا تثير الكثير من الإشكالات وتسبب العديد من الخلافات، فلو أنها حُصرتْ في المعجم وتمّ تبيينها لخلصتنا من الكثير من المشكلات ووفرت علينا الكثير من الجهد،

وهذه مهمة أساسية من مهام المعجم العصري الذي نبتغيه.

أما مسألة التذكير والتأنيث فهي مسألة حيوية، واهتمام المعجم بها أمر ضروري وملحّ، إذ إنها تتيح للمتعامل والمعجم أن يتجنب الكثير من الأخطاء التي بدأنا نراها من مثل تأنيث كلمة الرأس، على سبيل المثال. أما باب جموع التكسير فهو يحتاج إلى دراسة لذكر جميع الجموع المسموعة للكلمة، ومن المهم أيضاً التنويه بالقياسي والسماعي والشاذ منها، لأن هذا يتيح للمرء استخدام الجموع القياسية للألفاظ التي يمكن أن تستحدث في اللغة فلفظ قوة تجمع على قوى وقوات، وكلمة دار تجمع على دور وديار، وكل هذه الجموع تحتاج إلى دراسة كما ذكر آنفاً.

ومن المفيد أيضاً التنبيه على ما تمتاز به بعض الألفاظ من صفات خاصة كورود بعض الأفعال مبنية للمجهول دائماً نحو، «هُرِع وجُنَّ وامتقِع»، وورود بعضها ناقص التصرف مثل «يذر» وتجب الإشارة إلى الأفعال التي وردت مزيدة و لم يستخدم المجرد منها، والأفعال المجردة التي لم يسمع للمزيد منها.

إن الألفاظ العربية التي وردت في كلام الفصحاء العرب الذين يحتج بهم و لم تسجلها المعاجم هي ثروة مهدورة، يجب أن تدخل في صلب معاجمنا من مثل «تبدّى بمعنى ظهر» وهناك ألفاظ أخرى ذكرها الفصحاء الإسلاميون و لم تذكرها المعاجم نحو صدفة بمعنى المصادفة ونحو «خدوراً» مصدر خدر يخدر، إذ وردت في بيت لعمر بن أبي ربيعة هو:

إذا خدرت رجلي أبوح بذكرها ليذهب عن رجلي الخدور فيذهبُ[1]

ويجب أن يتضمن المعجم ألفاظ الحضارة العصرية والألفاظ العربية

---

(١) الديوان ص ١٩ والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ١/ ٢١.

المولدة التي أقرها مجامع اللغة، وجرت على أقلام الكتّاب والمؤلفين، من مثل: احتار وتنــزّه، وقدراً من المصطلحات العلمية التي خرجت من دائرة الاختصاص إلى دائرة الاستعمال ولابأس من اشتقاق كلمات جديدة لاستكمال مادة لغوية غير مكتملة. زد على ذلك مما يجب أن تضمه المعاجم بين دفتيها عدداً كبيراً من التراكيب التي تسربت إلى لغتنا من مصادر مختلفة نحو «ذرّ الرماد في العيون، وظهر تحت الشمس، ولعب دوراً أساسياً». وليس من الضروري الالتزام بالعبارة القديمة للغويين في الشرح والتفسير. أما الألفاظ التي أصابها إعلال أو إبدال أو قد يخفى جذرها الثلاثي فمن المفيد الإحالة إليها في أكثر من موضع نحو «امتاح، واختار».

وبعد، فإن علينا أن نتساءل: من الذي سيستخدم المعجم؟ وحينئذ سنرى أننا بحاجة إلى أنواع مختلفة منها على قدر تعدد المستخدمين، من الطفل الصغير إلى جمهور المتعلمين والأدباء والعلماء والمتخصصين أضف إلى ذلك متعلمي العربية من الأجانب، وكل هؤلاء هم أبناء هذا العصر بكل ما يتصف به من السرعة والتطور، لذلك فهم يريدون العثور على بغيتهم بسرعة وسهولة، واقتطاف ما دنا دون أن يكونوا بحاجة لإنفاق الوقت والجهد، ولهذا فإن معاجم الجيب الصغيرة غدت ضرورة لسد حاجة الكتبة وذوي الأعمال، على أن تكون يسيرة موجزة بلا إخلال ولا إملال، وظيفتها إعانة المتكلم على صحة النطق وهدايته إلى أكثر التعابير تأثيراً من أجل تحسين الكتابة.

ويعد المعجم التاريخي واحداً من أهم المعاجم التي نحتاج إليها، ومهمة هذا المعجم البحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية وتراوحها بين الحقيقة والمجاز، وأن يرد اختلاف اللهجات فيها ويرتبها تاريخياً بحسب ظهور الصيغة، ويبين أيها هجر على مر الزمان وأيها لايزال باقياً؟ لأن هذا العمل يبين سيرورة التطور اللغوي، وهذا أمر على درجة من الأهمية في

الدراسات اللسانية الحديثة.

أما معاجم المصطلاحات فهي علاج ناجع لما نحن عليه من تعدد الألفاظ الموازية للمصطلح الواحد، فقد كثر عدد المتصدين لوضع المصطلحات العلمية في اللغة العربية، واختلاف المصطلحات للمعنى الواحد غدا داء من أدواء لساننا العربي، فالانفصال السياسي بين الأقطار العربية جعل الأساتذة والمؤلفين والمترجمين يضعون مصطلحات تختلف من قطر إلى قطر آخر، فهذا يعمل تلبية لهوى في نفسه، وتعشقاً لهذه اللغة، وثانٍ يعمل مدفوعاً بالغرور وحب الظهور وثالث ليحقق ربحاً مادياً، وكلنا يعلم ما يحدثه هذا من بلبلة في فهم المصطلح ومن غربة بين المتعلمين في الاختصاص الواحد تنشأ عن عدم توحيده، والحل لكل هذا وضع معاجم ثنائية اللغة للمصطلحات في كل علم حتى توحدها بين أبناء الأمة الواحدة.

إن كل المقترحات التي جرى ذكرها فيما سلف لا يمكن أن تتم بجهد فردي بل هي عمل لجان أو مؤسسات على المستوى القومي، ووضع المعاجم عمل طويل المدى، بل هو عمل مستمر ينهض كل جيل بما يستطيع منه تاركاً للخلف أن ينهض بما تقاصرت عنه جهوده، وهذا يحتاج إلى جد ومثابرة، وما ذلك على أولي الغيرة والحمية بعزيز.

إن المعجم الوافي الذي يلبي متطلبات الصناعة المعجمية بالمعنى العلمي الدقيق هو المعجم الذي ينهض على خطة محكمة قابلة للتنفيذ لأنها تنطلق من قواعد ومبادئ تراعي روح العربية وروح العصر، والجهد المطلوب لتحقيق كل ذلك كبير، وعلينا أن نتابع العمل من حيث انتهى من قبلنا لا أن نبدأ من جديد، ولا نملك أخيراً إلا أن نقول: إن الحلم هو الحقيقة التي ستأتي بتضافر جهودنا وعملنا المستمر، والله ولي التوفيق.

أنواع المعاجم الحديثة ومنهج وضعها

د. عبد الرحمن الحاج صالح

تختلف المعاجم الحديثة بحسب الأغراض التي حُدّدت لكل نوع منها وذلك من حيث بنيتها وأساليب وضعها. ولكل نوع طريقة خاصة في ضبطها وتحريرها وقواعد معترف بها عالمياً. أما المعاجم العربية الحديثة فقد انتهج محرّروها، في الغالب، المناهج التي سار عليها مؤلفو المعاجم القدامى. وحاول بعضهم انتهاج الطرق الحديثة التي ظهرت في الغرب في عصرنا هذا وقد تناسى أكثرهم أن لوضع المعاجم شروطاً أهمها هو أن يعكس المعجم الاستعمال الحقيقي للغة لا ما يعرفه مؤلفه من اللغة أو ما ينقله من المعاجم الموجودة في زمانه. وهذا لا يمكن أن يحقق إلا بحصر هذا الاستعمال الحقيقي في مدونة كبيرة تكون هي المرجع الأساسي للذي لا مناص منه في تأليف المعجم بطريقة علمية. وهذا لا يمكن أن يتحقق دون اللجوء إلى الوسائل الحاسوبية. وسنتطرق فيما يلي إلى كل هذه النقاط الهامة.

١) المعجم اللغوي العام ومشاكله

إن المعاجم اللغوية العامة التي ظهرت في عصرنا هذا تتصف أكثرها بما أدخل فيها من تجديد من جميع الجوانب وذلك مثل الترتيب وإدخال اللفظ المولّد أو الأعجمي الشائع مما يدل على المسمّيات الحديثة من الحياة العامة والمصطلحات العلمية وكذلك التعريف للمفردة وما يصاحب ذلك من الأمثلة التوضيحية. كما أن اهتمام المؤلفين اتجه منذ زمان قريب إلى اللغة التي يجب أن تعلم للطفل العربي في زماننا فألفوا معاجم مدرسية أو طلابية أكثرها مختصرة من المعاجم العامة. وذلك مثل منجد الطلاب والمعجم

المدرسي السوري والوجيز وغيرها.

أما الترتيب فيه (العامة والخاصة) فقد حافظ أكثر المؤلفين على الترتيب التقليدي أي الترتيب الألفبائي لأصول المفردات وتجرأ بعضهم فألفوا معاجم ألفبائية من غير مراعاة للحروف الأصلية كما هو المعمول به في معاجم اللغات الأوروبية (مثل المعجم العربي الذي نشرته مكتبة لاروس الفرنسية). ولهذا، في رأينا، جانب إيجابي وجانب سلبي. أما الجانب الإيجابي فيظهر جلياً في سهولة العثور على المفردة وخاصةً بالنسبة للتلاميذ الذين لم يكتسبوا بعد المعارف الكافية في قواعد الاشتقاق والتصريف. ولابأس في وضع مثل ذلك للأطفال وكل من يريد تعلم العربية (من الأجانب وغيرهم) للتسهيل عليهم في استعمال المعجم في وقت مبكر. إلا أن مثل هذه المعاجم إذا عممت فستشوه العربية وتعرقل إلى حدّ بعيد التعميق في معرفة معجمها لأن العربية بنيت مفرداتها المتصرفة على أصول وصيغ. ومنهج اكتساب مفرداتها هو متوقف تماماً على معرفة الأصول والصيغ وكيفية تصرّف المتعلم فيها أي كيفية انتقال الناطق والمحرر من مادة أصلية إلى أخرى بالحفاظ على الصيغة ومن صيغة إلى أخرى بإبقاء المادة الأصلية على ما هي عليه. فهذا سرّ من أسرار العربية وسرّ في كيفية الحصول على المهارة في استعمالها.

فالذي نقترحه – وهو اقتراح قديم اقترحناه على المعجميين – هو أن يحافظ على هذه الخاصية الخطيرة في الترتيب تلافياً لهذا التشويه الخطير مع إدخال الترتيب الألفبائي لبعض المفردات بحسب ظاهرها ودون مراعاة أصولها من تلك التي يصعب العثور عليها بسبب الحذف أو الإبدال والإعلال أو القلب المكاني أو لكونها دخيلة لم تأت على صيغة عربية ومثال

ذلك: «اتّخذ» و«اتّسع» وكل تصاريف الكلمة المعتلة مثل «خُذْ» و«سَلْ» و«عِ» (صيغة الأمر لأخذ وسأل ووعى) وغير ذلك. فتأتي في موضعها الاشتقاقي (بحسب الحروف الأصلية) وموضع آخر بحسب حروفها الظاهرة وبإحالة من الموضع الألفبائي إلى الموضع الاشتقاقي والعكس.

أما فيما يخص التعريف فقد صار عند الكثير من المحدثين على جانب كبير من الدقة. وهذا يقتضيه ارتقاء العلوم والتكنولوجيا وتعميم المعارف على مستوى واسع جداً في زماننا هذا. فالتدقيق في تحديد المفردات وخاصة المصطلحات العلمية ضرورة مُلحة. ونذكر من هؤلاء المؤلفين أصحاب المعجم الوسيط والمعجم العربي الأساسي الذي نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد عاب المحدثون على القدامى قصور بعضهم في تحديد أسماء الحيوانات والنباتات وأشياء أخرى كقولهم: «ضرب من النبات» «وضرب من الملابس» وغير ذلك. وأصاب في ذلك المنتقدون إلا أنه لا يمكن أن يُقاس زمانهم بزماننا.

وفيما يرجع إلى الأمثلة التوضيحية فإن القدامى من اللغويين الأولين كانوا شديدي العناية بذكر مثال أو أكثر لكل معنى من معاني المفردات إلا أن أمثلتهم كانت مأخوذة من الاستعمال الحقيقي في زمانهم فهي شواهد يحاول اللغوي أن يبرهن على صحة ما يقوله وكثر عندهم الاستشهاد بالشعر لذيوعه وانتشاره بين العرب في ذلك الزمان (وبالقرآن في كل زمان) وكذلك استشهادهم بما يجري مجراه من العبارات الجامدة الشائعة. فالمثال هنا هو قبل كل شيء دليل ثبوت الكلمة في الاستعمال بمعانيها. أما الآن فقد يحتاج المتعلم وغيره إلى مثال يوضح المعنى بكيفية ناجعة وهو حاصل

بالفعل في غالب الأحيان إلا أن هذا قد يهمل الجانب الاستشهادي الذي تمسك به القدامى. فاللغويون – الأولون مثل الخليل وأتباعه ولغويو الكوفة– كانوا يبيّنون معاني الألفاظ الشائعة باللجوء إلى الشواهد التي كان لها ذيوع كبير في زمانهم ومن ثم كان استشهادهم هذا دليلاً أيضاً على درجة شيوع اللفظ بهذا المعنى أو ذاك.

فهل هذا الذي اعتُمد عليه في بيان درجة شيوع الألفاظ بمعانٍ معينة يمكن اليوم أن يعتمد عليه المعجميون؟ فالجواب هو نعم بل هو ضروري لأن الاعتماد على الاستعمال الحقيقي هو أصل الأصول في البحوث اللغوية وفي استثمار هذه البحوث لترقية العربية. ولا يُتصور أن يؤلّف معجم – أياً كان – دون الرجوع إلى الاستعمال ونعني بذلك بالنسبة لزماننا كل النصوص أو أكبر عدد منها، المحررة أو المنطوقة بالعربية الفصحى من مؤلفات ومقالات وبحوث ودراسات وأشعار وخطابات مسجلة وغير ذلك مما نُشر وذاع بين الناس. فما لم يرجع صاحب المعجم إلى كل هذا واعتمد فقط على معرفته الخاصة وعلى ما ألف من المعاجم السابقة القديمة والحديثة فإنه لم يف بعد بالغرض.

٢) قواعد المعطيات النصية كمرجع في تأليف المعاجم:

وقد يتساءل المعجمي المعاصر كيف يمكن أن يرجع إلى هذا الإنتاج الهائل وهل يصح له أن يختار من ذلك عينة منه فيدعي على الرغم من ذلك أن للكلمة الفلانية كذا من المعاني. فهذا يمكن أن يصح إذا كانت العينة كبيرة جداً أو تخص ميداناً محدوداً من العلوم أو الفنون. ومهما كان فإن الوسائل الحديثة الخاصة بالحاسوب هي التي ستمكننا من تدوين النصوص

التي يتراءى فيها الاستعمال المعاصر للغة العربية الفصحى وكذلك الاستعمال في كل عصر مما مضى. فقد سبق أن اقترحنا على الجهات المعنية مشروعاً قومياً وهو «مشروع الذخيرة اللغوية العربية». وكنا قلنا بأنه بنك آلي من المعطيات النصية (أو قاعدة من المعطيات النصية على حد تعبير المهندسين) يكون له موقع في شبكة الإنترنيت العالمية وسيجمع الاستعمال الحقيقي للعربية من أقدم العصور إلى العصر الحديث. وقلنا إنه ستترتب على ذلك منافع كثيرة لأن البحث عن مفردة أو عن معانيها أو أي عبارة في واقع الاستعمال قد يتطلب وقتاً طويلاً جداً ولاسيما بالنسبة للنصوص التي لم تُفهرس (والتي أحصيت مفرداتها نادرة جداً). ونضيف إلى ذلك أن هذه القاعدة الحاسوبية آلية وسرعة العثور على شيء من اللغة أو معرفة درجة شيوعه وكثرة الدوران هي قريبة من سرعة الضوء. ويمكن أن نعرف معاني الكلمة أو العبارة الشائعة بحسب العصور والأقاليم والبلدان وبحسب الفئات الاجتماعية وطبقات الناس ويمكن أن نقارن بين الأساليب بين كاتب وآخر ويمكن أن نحصي تواتر الألفاظ ومدى انتشارها أو عدم انتشارها في كل عصر ولاسيما في زماننا هذا وغير ذلك مما يصح بل يجب أن يدرج في معجم.

وعلى هذا يمكن أن تؤلف الأنواع الكثيرة من المعاجم مثل:

- المعجم التاريخي للغة العربية.
- معاجم خاصة بأسماء الأعلام والأماكن وغيرها.
- معاجم فنية في كل ميادين العلوم.
- معاجم أساسية ووظيفية لتعليم العربية.
- معاجم لألفاظ الحياة العامة

- معاجم خاصة بلغة الطفل وغير ذلك[١].

٣) المعجم الخاص بالطفل العربي:

حاول بعض المؤلفين والمؤسسات تأليف معاجم مدرسية كما قلنا وهي محاولة طيبة نافعة بلا شك إلا أنَّ أكثر ما ألف إلى الآن لم يخضع بعدُ للمقاييس العلمية التي يجب أن تعتمد عليها في هذا الميدان. وأكثر هذه المعاجم اعتمدت على المعاجم القديمة مع التفات يسير إلى ما أحدث في أيامنا من الآلات والمفاهيم العلمية والتقنية وما أبدع من ذلك وغير ذلك. وكل ذلك تم على طريقة ذاتية في الغالب لا تعتمد على جرد النصوص المحررة أو المنطوقة (الفصيحة) بل يختار أصحابها غالباً ما يبدو لهم أنه معروف شائع ويضيفون إلى ما اختاروه بعض الكلمات ذات المفهوم المحدث. أما المقاييس في هذا الاختيار وهذه الإضافات فهو حَدْسي محض في غالب الأحيان وهو الشعور الذاتي بأن هذا اللفظ أو ذاك هو شائع (بالنسبة إلى أي بلد أو أي فئة) أو متروك تماماً.

وقد أنجز بعض العلماء في المغرب العربي في السبعينيات الأخيرة مشروعاً سمّوه «بالرصيد اللغوي الوظيفي» وكان إجابة ملموسة للسؤال المتداول في أوساط التربويين آنذاك: ماذا يجب أن نقدم بالفعل في مدارسنا للمتعلم من مادة لغوية نوعاً وكمّاً؟ وكان يتصف هذا الذي يقدم للطفل (وما يزال في غالب البلدان) بالإفراط والتفريط أي كثرة المفردات بالنسبة

(١) يراجع الوثيقة المتعلقة بهذا المشروع ويمكن أن تطلب من رئيس اللجنة المؤقتة للمشروع وهو الآن رئيس المجمع الجزائري للغة العربية (العنوان: ٦ شارع العقيد بوقرة. الجزائر).

للصف الواحد وحشو ذهن الطفل بما لا يفيده في سنه ولا فيما بعد من جهة وقلة الألفاظ بل وفقدانها من جهة أخرى فيما يحتاج إليه أشدّ الحاجة في حياته اليومية من الأشياء المحدثة في زماننا هذا. فكأنّ المدرسة هو مكان غريب في حياة الطفل لأنّها لا تستجيب لهذه الحياة بالذات. وعلى هذا حدّد أصحاب هذا المشروع فكرة الرصيد هكذا: إنّ الرصيد من اللغة التي يجب أن تُعلّم للطفل هي مجموعة من المفردات والعبارات العربية الفصيحة أو ما كان على قياسها مما يحتاج إليها التلميذ في سِنّ معينة من عمره حتّى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من جهة ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة[٢]. واعتمدوا في استخراج هذا المعجم على هذه المبادئ:

١- ينبغي أن يُنطلق من الواقع المشاهَد ومن رصد هذا الواقع.

٢- أن يكون المنطلق المعنيّ بالأمر وهو المتعلم نفسه: ينطلق من اهتماماته وما يحتاج إليه بالفعل لمواجهة الحياة لا لإلقاء الخطب وقرض الشعر فقط.

٣- ألا يتجاوز الرصيد الحد الأقصى الذي يستطيع الطفل أن يكتسبه وألا يقل عما يجب أن يعرفه.

وعلى هذا تم استخراج الرصيد بالنظر في ثلاثة أنواع من المعطيات فوجب جردها فيما يخص مفرداتها مع ضبط تواترها وانتشارها: الكتب

---

(٢) أما ما سيحتاج إليه فيما بعد فله الحياة كلها للحصول عليها.

المدرسية وعينة من كتابات التلاميذ وما يتفوهون به في مخاطباتهم مع الصغار والكبار، وبهذا تحصلوا على اهتمامات الطفل وما يوجد بالفعل في لغته من فصيح وغير فصيح ومن عربي وأعجمي (وسجّل كلام الطفل في كل البلدان المغربية في المدن والأرياف). وتمّ الإحصاء بالحاسوب ثم اختيرت الألفاظ الشائعة والكثيرة الدوران واضطروا إلى سدّ الثغرات الكثيرة – وتخص المسميات الحديثة – بوضع ألفاظ تدل عليها أو تعميم لفظ فصيح يستعمل في بلد واحد أو ناحية واحدة من البلد الواحد (مثل توت الأرض للفراولة أو صفاق العجلة وغير ذلك).

ووضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم رصيداً مماثلاً بنفس الطريقة وشمل كل البلدان العربية بدون استثناء[٣].

٤– المعجم التاريخي للغة العربية:

حاول، أحد المستشرقين كما هو معروف، وهو الدكتور فيشر أن يضع معجماً يتتبع فيه بالنسبة لكل كلمة تطور معانيها عَبْرَ العصور بعد إثبات أصلها إن كانت دخيلة أو ما يقاربها من المواد أو المفردات السامية الأخرى. وكذلك بيان تأريخ أول استعمال لها والنصوص التي وردت فيها مع ذكر المرجع وكذلك ذكر تاريخ آخر استعمالها إن هي خرجت عن الاستعمال تماماً. وهذا شيء يعرفه المعجميون الغربيون. وكثر الإنتاج لهذه المعاجم

(٣) وقد أدخل هذا الرصيد كلياً أو جزئياً في الكتب المدرسية في المغرب العربي وقد شاع عند الصغار لفظ «المعامة» للمايو ولفظ اللُّمجة (بضم اللام) للأكل الخفيف الذي يأكله الطفل في المدرسة بعد الظهر. ولم يتم ذلك بعد في البلدان العربية الأخرى. والذي نتمنّاه هو نشر هذا الرصيد بالتعريفات والصور.

بالنسبة إلى اللغات الأوروبية بعدما ازدهر ما كان يسمى باللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر. وأراد فيشر أن يطبّق هذا المنهج على اللغة العربية.

أما صعوبة مثل هذا العمل فواضح جداً أن الفرد من الباحثين لا يمكن أن يقوم وحده بهذا العمل الضخم ولو قضى في ذلك عمره. وهذا الذي صنعه فيشر – في علمنا– هو جزء صغير جداً من المعجم (بما في ذلك ما ضاع من عمله). وذلك لأن الجرد للملايين من النصوص – مما طبع فقط – وتحرير الجزازات لكل مفردة بالاعتماد على هذا الجرد والرصد لا يتأتى للفرد ولا للأفراد ولو كثروا. والحل الوحيد في ذلك هو اللجوء إلى العمل الجماعي (العشرات من فرق البحث) وفوق كل شيء الاستعانة الواسعة والكاملة بالعدد الكافي من أجهزة الحاسوب وما يحتاج إليه من آلات القراءة الآلية وبرمجيات حاسوبية مناسبة. وهذا ستحققه قاعدة المعطيات النصية المسماة بالذخيرة اللغوية العربية التي مرّ ذكرها. فمن أهداف هذه الذخيرة الحاسوبية هو تمكين الباحثين بهذه الوسائل الجبارة من إنجاز المعجم التاريخي[٤] (وغيره).

هذا ولا أتصور أن يقوم أحدنا أو جماعة منا بإنجاز معجم تاريخي للغة العربية دون أن يلجأ إلى قاعدة محوسبة من المعطيات لأن الذي يرمي إليه

---

(٤) ويسرنا أن نطلع إخواننا العلماء أن ندوتين ستنظمان في الجزائر بهذا الشأن إحداهما ترمي إلى تبادل المعلومات التقنية لحوسبة هذه القاعدة النصية وكيفية استثمار شبكة الإنترنيت (بين ٣ و٥ نوفمبر ٢٠٠١)، والثانية بين مسيري المؤسسات العلمية في الوطن العربي للخروج بمخطط مفصل لإنجاز الذخيرة في كل بلد عربي بين(٢٥ و ٢٨ ديسمبر من نفس السنة) إن شاء الله.

هذا المعجم، في الأساس، هو الكشف بالنسبة لكل مفردة عن تطور معانيها عبر الزمان وفي كل أنحاء الوطن العربي واكتشاف المعنى لا يمكن أن يُكتفى فيه باللجوء إلى المعاجم القديمة على الإطلاق. فإن السياقات، كما هو معروف، هي التي تحدّد وحدها معنى اللفظة الواحدة أو معانيها المتزامنة أو الطارئة عبر الزمان في النص الواحد أو أكثر من نص. كما أن هناك مناهج خاصة لتحليل النصوص لاستخراج المعاني ومن وراء المعاني الأغراض الحقيقية لمستعملي اللغة في هذه النصوص، فهذه الطريقة العلمية.

٥- معاجم المعاني:

ابتكر العلماء العرب هذا النوع من الفنون اللغوية، وقد لا يصح أن يطلق عليها اسم المعجم لأن أغلب ما ألفوه في هذا الميدان فمادته اللغوية غير مرتبة الترتيب الألفبائي. إلا أنه لا يمنع الباحث في زماننا أن يعيد ترتيبها على هذا النمط وهذا اقترحناه أيضاً منذ القدم: نضيف إلى الكتب القديمة التي عالجت موضوع المعاني فهارس متنوعة: أحدها للمعاني نفسها وآخر لكل الألفاظ التي وردت فيها وذلك ليسهل الرجوع إليها. وقد ظهرت في القدم كتب مهمة جداً، من ذلك «الغريب المصنّف» لأبي عبيد القاسم بن سلام و«تهذيب الألفاظ» لابن السكيت و«الألفاظ الكتابية» للهمذاني و«متخيّر الألفاظ» لابن فارس و(فقه اللغة) للثعالبي و(المخصص)لابن سيده. وكلها تحتاج إلى أن تفهرس على الطريقة التي ذكرناها.

هذا ولا مانع من أن نقوم في زماننا بمثل ما قام به هؤلاء العلماء بالاعتماد على قاعدة المعطيات النصية (الذخيرة) إلا أنه يجب أن ننهج في ذلك النهج السليم الذي اتبعه العلماء الغربيون فيما أسموه بـ Dictionnaire

analogique وهو مفيد جداً (مع احترام خصائص العربية) وما نشرته شركة Duden وما ألفه الدكتور Corbeil في كندا. وتدخل في هذا الصنف من المعاجم أيضاً معاجم خاصة بالمترادفات والأضداد وهو أيضاً مفيد.

٦– معاجم العلوم والتكنولوجيا:

تصدر في أيامنا هذه وفي كل سنة العشرات من المعاجم المزدوجة اللغة في المصطلحات العلمية والتقنية. والذي لاحظناه هو الفوضى الكبيرة في وضع المصطلح العلمي والاختلاف الكبير بين واضع وآخر وبلد وآخر. وهذا على الرغم مما أسّسوه من المؤسسات لتوحيد المصطلحات كاتحاد المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب.

ويمكن أن نتفادى كل هذه الفوضى، في رأينا، بشيئين: أحدهما هو أن يتم إنجاز الذخيرة اللغوية العربية في أقرب وقت حتى تكون في متناول الجميع (بواسطة الإنترنيت) والثاني هو أن يتخذ جميع وزراء التعليم العالي والتربية العرب قراراً معيناً في شأن المصطلحات على مستوى جامعة الدول العربية. أما الذخيرة فإنها ستُمثّل الاستعمال الحقيقي للغة العربية ويستطيع أي مواطن أن يرجع إليها لمعرفة أي مصطلح في مفهوم معين هو الأشيع في الوطن العربي. فأما القرار المشار إليه فالغرض منه هو التزام المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام (طوعاً واقتناعاً) باستعمال المعاجم الموّحدة التي تضعها المؤسسات المعنية بذلك بعد الاتفاق عليها بالنسبة لكل هذه المؤسسات. ولا يحصل هذا الاتفاق على هذه المعاجم إلا بعد الاتفاق على مقاييس علمية تختار على أساسها المصطلحات. وتكون هذه المقاييس هي التي اقترحها اتحاد المجامع العربية. ويمكن أن ينص هذا القرار أيضاً على عدد

من الإجراءات الرامية إلى كيفية تطبيقها عملياً. ونحن مقتنعون بضرورة تدخل أعلى المسؤولين في هذا الميدان.

في الختام يمكن أن نقول بأن المعجم العربي في وقتنا الحاضر هو في طور النمو وقد وضعت المعاجم الكثيرة في شتى ميادين العلم وهذا جيد إلا أن المعجم العام والمعجم المدرسي لا يزالان دون المستوى المطلوب كيفاً وكمّاً. و لم نر بعد معجماً ينتهج فيه أصحابه المناهج الدقيقة التي ظهرت في زماننا هذا. وكل ما ظهر فلا يزال عالة على القديم، في الغالب، من حيث المنهج وطريقة الاستقاء. فما رأينا من يهتم بالاستعمال الحقيقي للغة العربية إلا القليل وليس اختيار الكلمات على مقياس ذاتي ودون الرجوع إلى واقع الاستعمال للعربية والفصحى بمُرضٍ أبداً(٥). ولهذا أيقنا أن مشروعاً يرمي إلى تدوين هذا الاستعمال — كما فعله أجدادنا — هو شيء ضروري جداً ونرجو من الله أن يوفقنا ويوفّق جميع من يساهم في إنجازه.

---

(٥) ثم إن الرجوع إلى الاستعمال لا يعني أن يدخل في المعجم الآلاف من الألفاظ الأعجمية. فالذي نتمناه هو أن تجتهد المجامع اللغوية وكل المؤسسات العلمية لتضع اللفظ العربي المقابل على قدر الإمكان ويُدخل في المعاجم المتفق عليها وهذا مشكل آخر قد تعرّضنا له بالتفصيل في بحث عُرض في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في ٢٠٠١ (عنوانه: «تأثير الإعلام المسموع في اللغة وكيفية استثماره لصالح العربية»).

مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية

أ. د. الشاهد البوشيخي

1– بيان المراد من «المشروع»

العنوان مركب من عنصرين كبيرين هما: «المعجم التاريخي» و«المصطلحات العلمية» ولابد لبيان المراد من المركب منهما من بيانهما، فما المقصود بهما؟

1.1 – مفهوم المعجم التاريخي:

يقصد بـــ «المعجم التاريخي» ذلك المعجم الذي يؤرخ لحياة الألفاظ التي يتضمنها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها أو موتها؛ متتبعاً التطور الذي طرأ عليها، ولا سيما الدلالي (اتساعاً وضيقاً، واستقراراً واضطراباً) والاستعمالي (كثرة وقلة، ومكاناً وزماناً وميداناً).

وغني عن البيان أنه معجم أولاً؛ فيه ما في المعاجم من مقومات المعجمية شكلاً ومضموناً، ثم تاريخي ثانياً.

2.1 – مفهوم المصطلحات العلمية:

ويقصد بـــ «المصطلحات العلمية» تلك الألفاظ التي تسمي مفاهيم معينة، في أي علم من العلوم، بأصنافها الثلاثة: العلوم الشرعية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المادية؛ في أي عصر من الأعصار، وفي أي مصر من الأمصار، ولدى أي اتجاه من الاتجاهات، وفي أي تخصص من التخصصات.

وغني عن البيان أن المصطلحية هنا تصدق على اللفظ في أي مرحلة

من مراحل حياته المصطلحية، منذ الاقتراح حتى الاستقرار[١].

وغني عن البيان أيضاً أن **العلمية** هنا لا تعني النسبة إلى العلم الذي خصصت له – تمييزاً له – «**كليات العلوم**» في العصر الحديث[٢].

3.1 – مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية:

وعليه، فالمقصود بالمعجم التاريخي للمصطلحات العلمية في لغتنا وحضارتنا: **هو ذلك العمل العلمي الجامع لكل الألفاظ التي تسمي مفاهيم، في أي علم، مرتبة المباني ترتيباً معجمياً، لتيسير الوصول إليها، معروضة المعاني عرضاً تاريخياً، لرصد التطور الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها.**

فخرج بقيد «**العلمية**»، كل الأعمال غير العلمية التي قد يكون ضررها أكثر من نفعها. وما أملأ الأسواق بالأعمال التجارية التي تحرص على السبق بغير حق!

وخرج بقيد «**الجامع لكل الألفاظ التي تسمي مفاهيم**»، غير الجامع: الذي يذكر بعضاً ويترك بعضاً؛ فيجعل التصور للواقع مبتوراً، والدلالة ناقصة؛ إذ «ليست المصطلحات **مفاتيح العلوم** فحسب، بل هي خلاصة البحث فيها كل عصر ومصر؛ ببدايتها يبدأ الوجود العلني، للعلم وفي تطورها يتلخص تطور العلم»[٣].

كما خرج به كل الألفاظ التي ليست بمصطلحات.

---

(١) انظر: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص: ٥٧.

(٢) انظر: ورقات في المسألة العلمية، ص: ٣٤.

(٣) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ ص: ١٣.

وخرج بقيد «**أي علم عرفه تاريخنا**»، المقتصر على مصطلحات علم أو علوم، غير الشامل لمصطلحات كل العلوم في تاريخنا. وفيه – على أهميته – من القصور ما لا يخفى.

وخرج بقيد «مرتبة ترتيباً معجمياً»، كل ما ليس بمرتب، أو مرتب ترتيباً ليس بمعجمي.

وفي ذلك ما فيه من العنت والعسر.

وخرج بقيد «**معروضة المعاني عرضاً تاريخياً**»، كل ما ليس كذلك. وهذا أهم قيد وأخص قيد، وهو في الموجود المتداول أفقد قيد. وبانعدامه ينعدم الوجود لهذا المعجم ويفوت منه المقصود.

وبما أن مثل هذا العمل العلمي الشامل هو عادة فوق طاقة الأفراد، ويحتاج في **تخطيطه المنهجي، وتنفيذه العلمي**، إلى جهود وجهود من ذوي التفكير السديد، والتدبير الرشيد، والصبر المديد،...

فقد صار عبارة عن مشروع من المشاريع. ولكل مشروع **موجبات للبحث فيه، وأهداف، ووسائل، ومراحل**، يتطلبها السير – على بصيرة – فيه.

2– موجبات البحث في «المشروع»

لا جرم أن موجبات البحث في مثل هذا المشروع كثيرة ومتنوعة، ولكن أهمها ثلاثة:

1.2 – الموجب اللغوي:

وأساسه **الحاجة الماسة إلى معرفة تاريخ الألفاظ في اللغة العربية**؛ إذ اللغة بنت الاستعمال. وكل مستعمل لابد أن يضمّن ألفاظه رؤيته. و«**لكل**

قوم ألفاظ»(٤)، و«لكل صناعة ألفاظ»(٥)، والأقوام يتطورون، والصناعات تتطور. ولا يكاد يختلف المعجم الخاص في ذلك – عند النظر إليه متحركاً في التاريخ – عن المعجم العام. فوجب، رصداً لذلك التطور، التتبع التاريخي للألفاظ دلالة واستعمالاً، في كل الأعصار والأمصار، ولدى كل الاتجاهات والبيئات، لتؤدي اللغة وظيفتها الطبيعية في التواصل، وليفقه اللاحق مقالة السابق، دون ظلم ولا هضم.

صحيح أن ذلك لا يقوم على وجهه الصحيح، شمولاً وكمالاً، إلا بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية جملة، لكن من يدعي أن انجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية ليس بأهم خطوة في الاتجاه الصحيح؟.

2.2 – الموجب العلمي:

وهو أظهر من أن ينبه عليه؛ لحاجة العلوم كلها في تاريخنا الطويل العريض إلى تاريخ أمين دقيق؛ تاريخ ينطلق واصفاً الجزئيات، ثم يتدرج راصداً التطورات، ثم يقف مستخلصاً الكليات؛ تاريخ يقوم على النصوص الموثقة، والمصطلحات المدققة، والفهوم المحصة المحققة؛ تاريخ يقام فيه لكل علم عموده، وتضبط فيه لكل علم حدوده، ويتبلور فيه لنسق كل علم وجوده؛ تاريخ يتحدد به الرصيد، ويعرف به القديم من الجديد، ويكون حجر الأساس لكل بناء جديد. إنه التاريخ المنتظر للعلوم في تاريخنا الطويل العريض، ولا سبيل إليه قبل المعجم المفتاح، وبغير المعجم المفتاح: المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. فهل يستجيب العلماء في هذه الأمة لهذا التحدي؟

---

(٤) الحيوان: ٣/ ٣٦٦.

(٥) الحيوان: ٣/ ٣٦٨.

3.2 – الموجب الحضاري:

إن الأمة اليوم في مرحلة اختبار واختمار؛ اختبار لقدرتها على البقاء مع شدة البلاء، واختمار لقدرتها على تحمل البلاء من أجل البقاء. ولن يعينها في الاختبار وعلى الاختمار مثل العلم؛ تستوعب ما كان منه، وما هو كائن، لتؤسس ما ينبغي أن يكون.

إن التحدي الحضاري الحالي للأمة يهددها تهديداً حقيقياً بالفناء، وإن التصدي الحضاري المكافئ له لن يكون، أو يمكن، بغير إعادة بناء الذات، ولا سبيل إلى إعادة بناء الذات بغير الانطلاق من التراث، ولا سبيل إلى التراث بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات.

وبما أن التراث ممتد في الزمان والمكان والإنسان، فإن ضرورة فهمه – على سعته – من أجل **الاستيعاب، فالتقويم، فالتوظيف**، تقتضي إيجاد معجم تاريخي شامل كامل لمفاتيحه التي هي المصطلحات.

فإذا أضيف إلى ذلك أن هذا التراث – وإن قرئ مرات – لما يقرأ بعين الذات، مما دعا إلى المناداة بضرورة القراءة الثالثة للتراث، تخليصاً له من آثار النظارات الزرقاء لغرب الغرب، وآثار النظارات الحمراء لشرق الغرب(٦)...

إذا أضيف ذلك، تأكدت ضرورة هذا المعجم الحضارية، وتأكد وجوب إنجازه السريع للبناء، والشروع في مشروعه، تقوية للقدرة على البقاء وتحمل البلاء.

3- أهداف المشروع

للمشروع ضربان من الأهداف: قريبة حسية ظاهرة الأثر، وبعيدة

(٦) انظر: نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، ص: ٥- ٦.

معنوية عميقة الأثر.

1.3 – الأهداف القريبة:

فأما القريبة فثلاثة على التوالي:

1.1.3 – إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة:

و«نقصد **بالمصطلحات العلمية المعرّفة**: كل الألفاظ العربية الاصطلاحية التي تم شرحها ضرباً من الشرح، في أي تخصص من التخصصات العلمية، وفي أي قرن من قرون ثقافتنا.

ونقصد **بالمعجم التاريخي لها**: نسقها – بعد جمعها مع شروحها – نسقاً تاريخياً يقدم فيه السابق على اللاحق... [نسقاً يتضمن] جميع شروح... المصطلح مذ ظهر أول شرح له... حتى آخر شرح، موثقة محققة قدر الإمكان»(٧).

والهدف من هذا الهدف هو «**جمع جهود العلماء السابقين في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية في مختلف العلوم**، ووضعها رهن إشارة الدارسين المصطلحيين للاستفادة منها بكل ضروب الاستفادة، ولدراستها أيضاً بكل أنواع الدراسة، وللبناء عليها فيما آت»(٨)، من أمر إنجاز المعجم العام الشامل موضوع العرض.

وهذا الهدف، على قربه وصغره، بعيد المقاصد، كبير الفوائد.

2.1.3 – إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات كل علم:

مثل المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، أو اللغوية، أو النقدية، أو

---

(٧) المدارسة الأولى للمعهد ص: ٤–٥.

(٨) المدارسة الأولى ص: ٤.

غير ذلك. ويشتمل على جميع مصطلحات ذلك العلم: المعرّف منها وغير المعرّف، مصنفة معجمياً، ومدروسة الدراسة المصطلحية التاريخية[٩]، بعد الدراسة الوصفية[٩].

وبظهور مثل هذه المعاجم الخاصة بكل علم، يظهر المفتاح التاريخي الخاص لكل علم، فينفتح باب القراءة الصحيحة لأي مؤلَّف (بفتح اللام) أو مؤلِّف (بكسر اللام) أو مدرسة أو اتجاه... في أي علم، فيُتخلص من كثير من الأخطاء القديمة والجديدة في الفهم، وما ينبني عليها من اختلافات أو اضطرابات في الحكم.

3.1.3 – إيجاد معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم:

وهو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية موضوع العرض، ويمثل البحر الذي تصب فيه جميع الأنهار السابقة ممزوجة في كل مادة من مواده؛ ففي مادة (ن.ق.د) مثلاً: النقد لدى المحدثين، والنقد لدى الأدباء، والنقد لدى الفقهاء... وهكذا في كل مصطلح. ولا حاجة – بعد ما تقدم – للتفصيل في هذا المعجم.

2.3 – الأهداف البعيدة:

وأما البعيدة فهدفان:

1.2.3 – فهم الذات:

والذي يعنينا منه ها هنا، هو التراث العلمي – بالمفهوم العام للعلم –،

(٩) انظـــر: مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم ضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم ص: ٢٤– ٢٧.

وهو مجموع ما ورثناه من العلم عن الآباء. وأنفس ما فيه هو الوحي: كتاباً وسنة، ثم عطاء العلوم المستنبطة منه، أو الخادمة له، أو المتأثرة به، عبر القرون؛ من علوم شرعية، أو إنسانية، أو مادية. ثم يأتي من بعد ذلك ما بعد ذلك وما دون ذلك، مما تتبرأ منه روح التراث، وقيم التراث، ولغة التراث؛ من دخيل قديم، وغاز جديد، لا صلة له بالتراث إلا أنه من الميراث.

والتراث، بسبب **الجمود القديم أو الجحود الجديد**، قد حيل بينه وبين نابتة الأمة. و لم تزده القراءات المتكررة له من الخارج إلا بعداً عنها، فوجب اتخاذ سبيل للقراءة من الداخل، **وهذه السبيل هي الدراسة المصطلحية الوصفية فالتاريخية للمصطلحات العلمية في تراثنا والتي يجني ثمرتها وخلاصتها «المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية»**.

«إن تراثنا هو ذاتنا؛ إذ المستقبل غيب، والحاضر – علمياً – لا وجود له، فلم يبق إلا الماضي الذي هو مستودع الذات وخزان الممتلكات، بما لها وما عليها من ملحوظات وملاحظات. فكيف نعرف إذن الذات إذا لم نفقه التراث؟

وإن مفتاح التراث هو المصطلحات، وإنما تؤتى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته...

وإن مفتاح المفتاح هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات؛ ذلك بأنها تعرّف غير المعرَّف، وهو الأغلب، وتدقق تعريف ما عرِّف فلم يعرَّف، وهو الأقل، وتصحح أخطاء أصحاب النظارات الملونة، أو الذين يدرسون التراث بالطائرة، أو الذين لا يقوم منهجهم على الإحصاء، فتند عنهم أشياء وأشياء»[١٠].

---

(١٠) نظرات في المسألة المصطلحية ضمن أعمال مؤتمر ((قضايا المصطلح)) ص: ١٠٦

2.2.3 – تجديد بناء الذات:

وأول التجديد قتل القديم فهما كما قيل، وذلك ما تقدم في «**فهم التراث**»، وإنما يدرس التراث للبناء به وعليه فيما هو آت؛ ذلك بأن الأمة وهي تجتاز مرحلة الاختبار والاختمار، محاولة استئناف السير في اتجاه الشهود الحضاري الواجب عليها للشهادة على الناس، تحتاج أول ما تحتاج إلى تحديد عناصر القوة في ذاتها لتفعيلها، ومعرفة مقدار ذخيرتها ونوعها لتوظيفها والاستفادة منها في بابها وإبانها، وتعرّف وجوه النقص والقصور فيها لتكميلها. وكل ذلك يتيسر بعد فهم التراث وتقويمه، والمفتاح الفاتح **لكل ذلك هو «المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية».**

إن هذا المعجم ليس هو النهاية وإنما هو البداية؛ به تبدأ المراجعة لمصطلح الماضي، وبنتائجه تبدأ المواجهة لمصطلح الحاضر، وعلى أساسه يتم ما هو أهم من ذلك، وهو بناء مصطلح الغد؛ ذلك المصطلح الذي تتلخص علاقته بمستقبل الذات في ثلاث:

«١- ضرورة **الإبداع المصطلحي** لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات، ولا إبداع مصطلحي بغير الإبداع العلمي، وإنما يسمي من ولد، ولا ولادة طبيعية بغير أبوين: اللغة الأم، والتراث الأب، ومن شذ، شذ في الضياع، وإنما يأكل ذئب التاريخ من اجتهادات الأمم القاصية.

٢- ضرورة **الاستقلال المصطلحي** لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه...

٣- ضرورة **التفوق المصطلحي** كيفاً وكماً، لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق للمصطلح بغير تفوق أهله، وإن السماء لا تمطر تفوقاً ولا إمامة

حضارية، بل لابد من السبق في عالم الأسباب، وإتيان البيوت من الأبواب»[١١].

4– مراحل المشروع

المراحل الكبرى لإنجاز المشروع ثلاثة:

1.4 – مرحلة المصطلح المعرّف:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يتم فيها التركيز على تحقيق الهدف القريب الأول، وهو: إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية المعرفة. وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

1.1.4 - الجمع والتوثيق: «وفيها يتم التقصي لجميع المصطلحات المعرفة ضرباً من التعريف، في جميع المظان، بدءاً بالأقدم فالأقدم، والأغزر مادة فالأغزر، والأوثق نصاً فالأوثق»[١٢]؛ تجمع، وتوثق في جذاذات خاصة مصممة لهذا الغرض، لتسهيل التصنيف بعد.

2.1.4 – المراجعة والتدقيق:

وفيها يتم التأكد من صحة المعلومات وتمامها وصحة تصنيفها... يدوياً وحاسوبياً ما أمكن.

3.1.4 – التصنيف والتأليف:

وفيها يتم تصنيف جميع ما جمع تصنيفاً تاريخياً، لإبراز الاهتمام به عبر التاريخ. ثم حسب كل علم، لإيجاد المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة لذلك العلم. ثم تؤلف المعاجم كلها في معجم جامع هو المعجم

(١١) نظـــرات في المســـألة المصطلحية، ضمن أعمال مؤتمر ((قضايا المصطلح)) ص: ١٠٧- ١٠٨.

(١٢) المدارسة الأولى للمعهد. ص: ٥.

التاريخي للمصطلحات العلمية المعرّفة.

وبتأليفه تكون المرحلة الأولى من مراحل المشروع قد انتهت لينتقل إلى المرحلة الثانية.

2.4 – مرحلة المصطلح غير المعرّف:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يتم التركيز فيها على تحقيق الهدف القريب الثاني، وهو إيجاد معجم تاريخي لمصطلحات كل علم على حدة. وبما أن المصطلح غير المعرّف أكثر بكثير من المعرّف، فقد سميت المرحلة باسمه. وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

1.2.4 - الدراسة الوصفية لمصطلحات كل علم، بأركانها وشروطها المفصلة في **منهج الدراسة المصطلحية**(١٣). وهذه المرحلة طويلة شاقة إلا على من يسرها الله تعالى عليه؛ لاقتضائها دراسة مصطلحات كل مؤلّف على حدة، أو بعضها، وأحياناً دراسة مصطلحات الكتاب الواحد، أو بعضها. وما أكثر المؤلفات والمؤلفين في كل تخصص! وما أقل الباحثين والباحثات في المصطلح!

2.2.4 - الدراسة التاريخية لمصطلحات كل علم بشروطها المشار إليها في **منهج الدراسة المصطلحية**(١٤). وهذه المرحلة لا تكاد تقل مشقة عن سابقتها؛ لاقتضائها رصد التطور في كل مصطلح، منذ تطوره المحتمل لدى المؤلّف الواحد في تراثه، حتى مجموع تراث التخصص على امتداده. وكل

---

(١٣) انظر: الوسيلة المنهجية، فيما يلي من البحث.

(١٤) انظر: مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم ضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم ص: ٢٥.

إخلال في المرحلة الوصفية ينتج عنه خلل في المرحلة التاريخية. والأصل استدراك المؤرخ على الواصف، ولكن أنى ذلك إلا لمن آتاه الله تعالى علماً وفهماً. وقليل ما هم!

3.2.4 - **تأليف معجم تاريخي لمصطلحات كل علم.** وهو الثمرة الطبيعية للدراستين السابقتين: **الوصفية والتاريخية**؛ يجتمع فيه ما افترق فيهما، وقد يوجد فيه ما لا يوجد فيهما، أو العكس.

وبتأليفه تنتهي المرحلة الثانية من مراحل المشروع، لينتقل إلى المرحلة الثالثة.

3.4 - مرحلة المعجم الشامل:

والمقصود بها تلك المرحلة التي يتركز فيها العمل على تحقيق الهدف القريب الثالث، وهو إيجاد معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم. وهو المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية موضوع العرض.

وأهم مراحلها الصغرى ثلاث:

1.3.4 - **تصنيف مادة المعاجم الخاصة بكل علم كلها**، حسب الألفاظ الاصطلاحية، وإدماجها بنظام معجمي تاريخي معين، ييسر الوصول إلى المراد بيسر، داخل كل مدخل معجمي.

2.3.4 - **تأليف ما صنف في صورة معجم تاريخي جامع لكل مصطلحات العلوم**، من الألف إلى الياء.

3.3.4 - **تكشيف المعجم كله تكشيفاً تاماً**، يجعل الانتفاع بما فيه في غاية اليسر.

وبهذا التكشيف تنتهي المرحلة الأخيرة من مراحل المشروع، وبانتهائها

ينتهي إنجاز المشروع كله، ولا يبقى بعد ذلك إلا النشر الجيد له والتوزيع الجيد.

5- وسائل المشروع:

لإنجاز المشروع وسائل متعددة أبرزها ثلاث:

1.5 - **الوسيلة العلمية**: والمقصود بها جمهرة الباحثين الذين ينجز بهم المشروع. ولا شك أنهم سيتدرجون من الكثرة إلى القلة انطلاقاً من المرحلة الأولى التي تتطلب الكثير منهم.

ومن شروط الباحث في المرحلة الأولى:

- **الاختصاص في العلم الذي يسهم في جمع مصطلحاته المعرفة**، وإلا أخرج ما حقه الإدخال، وأدخل ما حقه الإخراج.

- **الأمانة في الجمع والنقل**، وإلا فات المعجم بسببه ما لا ينبغي أن يفوت، ونقل إليه ما لا ينبغي أن ينقل.

- **الضبط في التوثيق والمراجعة والتدقيق**، وإلا اهتزت القيمة العلمية للمعجم كله.

- **القدرة على تصنيف المؤتلف والمختلف**، ولا سيما في من يكلف بآخر المرحلة.

ومن شروط الباحث في المرحلة الثانية، زيادة على ما تقدم:

- **الكفاءة المنهجية في الدراسة المصطلحية**، سواء كان ذلك بسبب خبرة في البحث سابقة أم بدربة كافية عليه لاحقة، وإلا بقي المعجم أملاً لا سبيل إلى تحقيقه.

- **الكفاءة في الصناعة المعجمية**، ولا سيما في من يكلف بآخر المرحلة.

- **ومن شروط الباحث في المرحلة الثالثة**، زيادة على ما تقدم:

– **المشاركة في عدد من العلوم، لأن المعجم،** بطبيعته في صورته الأخيرة، ملتقى للعلوم.

هذه أهم صفات الباحث في المشروع، وبقوتها تقوى «علمية» المشروع، وبضعفها تضعف «علمية» المشروع.

ولأهمية هذا النوع من الباحثين وقلته يلزم:

– **الاصطفاء للأقوياء الأمناء منهم.**

– **التكوين العلمي والمنهجي اللازم لهم.**

– **التدريب على نوع العمل في المشروع قبل الشروع منهم.**

2.5 - **الوسيلة المنهجية:** والمقصود بها الأداة المنهجية اللازمة لإنجاز المشروع، وهي أساساً **منهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم الخاص،** الذي تقدم شرط الكفاءة فيه في كل باحث في المشروع، ابتداء من المرحلة الثانية. ويمكن تلخيص معالمه الكبرى في خمسة أركان:

1.2.5 - **الإحصاء:** «ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس»[١٥].

2.2.5 - **الدراسة المعجمية:** ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

3.2.5 - **الدراسة النصية:** ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم

(١٥) انظـــر: نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين الجويني به في كتابه الكافية ص: ٧.

في تجلية مفهومه؛ من صفات، وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك. وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه.

4.2.5 - **الدراسة المفهومية**: ويقصد بما دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفاً مفهومياً يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس.

5.2.5 - **العرض المصطلحي**: ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه – حسب ما انتهت إليه التجربة – أن يكون متضمناً للعناصر الكبرى التالية على الترتيب.

1.5.2.5 - التعريف

2.5.2.5 - الصفات

3.5.2.5 - العلاقات

4.5.2.5 - الضمائم

5.5.2.5 - المشتقات

6.5.2.5 - القضايا

وفي الملحق وبهذا العرض، يوجد تفصيل هذا الإجمال. فلينظر آخره.

3.5 - **الوسيلة الإدارية**:

والمقصود بما جهاز التسيير والإشراف على المشروع جملة، وحسب التجربة البسيطة لمعهد الدراسات المصطلحية يمكن تصور الجهاز بإجمال هكذا:

1.3.5 - **هيئة الإشراف**: وهي الحاملة لهم المشروع، المستوعبة أكثر من

غيرها لتصوره، الموجهة للعاملين فيه، الباحثة عما يلزم لتمويله، المتابعة له من أوله إلى آخره.

2.3.5 - لجن التنسيق: وهي التي تتولى التنسيق بين جهود مجموعات البحث في المعاجم التاريخية المصطلحية مختلف العلوم – كل لجنة بمعجم –، تحت إشراف هيئة الإشراف.

3.3.5 – **مجموعات البحث**: وهي التي تتولى مباشرةَ البحثِ في معجم من المعاجم؛ باختيار الباحثين فيه، وتكوينهم، وتدريبهم، ومتابعتهم، بتنسيق مع لجن التنسيق، وإشراف من هيئة الإشراف.

هذا وفي الطريق عوائق على رأسها معضلة النص[١٦].

وفي الطريق عقبات، على رأسها عقبة التمويل، وعقبة التنسيق.

وفي الطريق مشاق وصعوبات، على رأسها ندرة الخبير، وقلة النصير، وطول المسير.

لكن لابد من السير، وإن مع وجود العائق، لتجاوز العائق.

ولابد من السير، وإن مع وجود العقبات، باقتحام العقبات.

ولابد من السير، وإن مع تحدي المشاق والصعوبات، بتحمل المشاق والصعوبات.

وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء. ومن سار على الدرب وصل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١٦) انظر: البحث العلمي في التراث ومعضلة النص. ص: ٥- ١٢.

6– ملحق

معالم «منهج الدراسة المصطلحية»:

للمنهج في الدراسة المصطلحية مفهومان: عام وخاص.

فالمنهج بالمفهوم العام، هو طريقة البحث المهيمنة المؤطرة للمجهود البحثي المصطلحي كله، القائمة على رؤية معينة في التحليل والتعليل والهدف. وهذا الذي يوصف بالوصفي أو التاريخي أو ما أشبه، تميزاً له عن غيره.

والمنهج بالمفهوم الخاص، هو طريقة البحث المفصلة المطبقة على كل مصطلح من المصطلحات المدروسة، في إطار منهج من مناهج الدراسة المصطلحية بالمفهوم العام. وهذا الذي يمكن تلخيص معالمه الكبرى بإيجاز شديد منذ الشروع فيه حتى الفراغ منه في خمسة أركان:

١– **الإحصاء**: ويقصد به الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظاً ومفهوماً وقضية، في المتن المدروس، وذلك يعني:

أ – إحصاء لفظ المصطلح إحصاء تاماً، حيثما ورد، وكيفما ورد، وبأي معنى ورد، في المتن المدروس، مادام قدر من الاصطلاحية – داخل مجاله العلمي الخاص – ملحوظاً فيه؛ فالمصطلح مفرداً أو مجموعاً، معرفاً أو منكراً، اسماً أو فعلاً، مضموماً إلى غيره أو مضموماً إليه غيره، كل ذلك ضروري المراعاة عند الإحصاء.

ب– إحصاء الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره اللغوي والمفهومي إحصاء تاماً كذلك، على التفصيل نفسه.

جـ– إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه، إحصاء تاماً كذلك.

د- إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه، وإن لم يرد بها لفظه.

فإذا استخلصت النصوص، وصنفت حسب حاجة الدراسة، التصنيف الأولي، أمكن الانتقال إلى الركن الثاني:

٢- الدراسة المعجمية:

ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح، وبأي الشروح شرح المصطلح. وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء.

٣- الدراسة النصية:

ويقصد بها دراسة المصطلح وما يتصل به، في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه، واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه؛ من صفات وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك.

وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية: ما قبله يمهد له، وما بعده يستمد منه؛ إذا أحسن فيه بوركت النتائج وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه لم تفض الدراسة إلى شيء يذكر. ومدار الإحسان فيه على الفهم السليم العميق للمصطلح في كل نص، والاستنباط الصحيح الدقيق لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل نص. فالنصوص ها هنا هي المادة الخام التي يجب أن «تعالج» داخل مختبر التحليلات بكل الأدوات والإمكانات، لتقطر منها المعلومات المصطلحية تقطيراً، وتستخرج

استخراجاً؛ فمعطيات الإحصاء، ومعطيات المعاجم، ومعطيات تحليل الخطاب المقالية والمقامية معاً، ومعطيات المعارف داخل التخصص وخارجه، ومعطيات المنهج الخاص والعام، النظري والعملي... كل أولئك ضروري المراعاة عند التفهم، وكل ذلك مما به يتمكن من المفهوم وما يجلي المفهوم.

٤ – الدراسة المفهومية:

ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفاً مفهومياً يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس؛

من تعريف له يحدده بتضمنه كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، وصفات له تخصه كالتصنيف في الجهاز، والموقع في النسق، والضيق أو الاتساع في المحتوى، والقوة أو الضعف في الاصطلاحية، والنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب.

وعلاقات له تربطه بغيره كالمرادفات والأضداد وما إليها، والأصول والفروع وما إليها...

وضمائم إليه تكثر نسله وتحدد توجهات نموه الداخلي، كضمائم الإضافات والأوصاف...

ومشتقات حوله من مادته تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي.

وقضايا ترتبط به أو يرتبط بها «مما لا يمكن التمكن منه إلا بعد التمكن منها كالأسباب والنتائج والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير... وغير ذلك مما

قد يستلزمه تفهم مفهوم، ولا يستلزمه تفهم آخر»[١٧].

وهذه الشجرة المفهومية الوارفة الظلال، الزكية الغلال في أغلب الأحوال... هي التي يجب أن تُحَلّى بعرضها في الركن الخامس على أحسن حال.

٥- العرض المصطلحي:

ويقصد به الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها. وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره. وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة أن يكون متضمناً للعناصر الكبرى التالية على الترتيب:

١- التعريف، ويتضمن:

- **المعنى اللغوي**، ولا سيما الذي يترجح أن منه أخذ المعنى الاصطلاحي.
- **المعنى الاصطلاحي العام** في الاختصاص، ولا سيما الأقرب إلى مفهوم المصطلح المدروس.
- **مفهوم المصطلح المدروس** معبراً عنه بأدق لفظ، وأوضح لفظ، وأجمع لفظ، ما أمكن.

وشرطه المطابقة للمصطلح. وضابطه أنه لو وضعت عبارة التعريف مكان المصطلح المعرَّف في الكلام لانسجم الكلام. وإنما ينضبط ذلك إذا راعى الدارس في تعريف المفهوم كل العناصر والسمات الدلالية المكونة

(١٧) نحو منهج لدراسة مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم للشاهد البوشيخي (مرقون) ص٦. عرض ألقي في ندوة القرآن المجيد وخطابه العالمي التي نظمتها كلية الآداب بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن أيام ١٤- ١٩/ ١/ ١٤١٨ موافق ٢١- ٢٦/ ٥/ ١٩٩٧.

للمفهوم، المستفادة من جميع نصوص المصطلح وما يتعلق به في المتن المدروس؛ فلا تبقى خاصة دون إظهار، ولا ميزة دون اعتبار.

وللتأكد من صحة التعريف وزيادة بيانه، يحلل بالتفصيل المناسب إلى كل عناصره. ومع كل مقال مثال، وإنما يتضح المقال بالمثال.

فإذا تم التعريف، وهو اللب والنواة بدأ الحديث عن الصفات وهي اللحمة والكسوة.

٢- الصفات وتتضمن:

- **الصفات المصنِّفة:** وهي الخصائص التي تحدد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة، كالوظيفة التي يؤديها والموقع الذي يحتله وغير ذلك.

- **الصفات المبينة:** وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح، ومدى القوة أو الضعف في اصطلاحية المصطلح وغير ذلك.

- **الصفات الحاكمة:** وهي الصفات التي تفيد حكماً على المصطلح، كالنعوت أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب وغير ذلك.

فإذا تمت الصفات الخاصة بالذات، بدأ الحديث عن العلاقات بغير الذات، مما يأتلف مع المصطلح ضرباً من الائتلاف، أو يختلف معه ضرباً من الاختلاف.

٣- العلاقات: وتتضمن كل علاقة للمصطلح المدروس، بغيره من المصطلحات، ولا سيما العلاقات الثلاث:

- علاقات الائتلاف؛ كالترادف والتعاطف وغيرها.
- علاقات الاختلاف؛ كالتضاد والتخالف وغيرها.
- علاقات التداخل والتكامل؛ كالعموم والخصوص، والأصل والفرع وغيرها.

فإذا ضبطت العلاقات الواصلة للمصطلح بسواه، والفاصلة له عن سواه، أمكن الانتقال إلى ما ضم إلى المصطلح، أو ضم إليه المصطلح؛ مما يكثر نسله المصطلحي، ويحدد توجهات نموه الداخلي.

٤- **الضمائم**: وتتضمن كل مركب مصطلحي (ضميمة) مكوَّن من لفظ المصطلح المدروس، مضموماً إلى غيره، أو مضموماً إليه غيره، لتفيد الضميمة المركب في النهاية مفهوماً جديداً خاصاً مقيداً ضمن المفهوم العام المطلق، للمصطلح المدروس. فكأن المصطلح بضمائمه ينمو ويتشعب مفهومياً من داخله. وأبرز أشكال الضمائم:

- **ضمائم الإضافة**؛ سواء أضيف المصطلح إلى غيره، أو أضيف غيره إليه.
- ضمائم الوصف؛ وقد يكون فيها المصطلح واصفاً أو موصوفاً.

فإذا انتهت الضمائم أمكن الانتقال إلى المشتقات.

٥- **المشتقات**: وتتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغوياً ومفهومياً إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس؛ كالمجتهد مع الاجتهاد، والبليغ مع البلاغة ولا يدخل فيها المنتمي لغوياً فقط؛ كالإنفاق مع النفاق، ولا المنتمي مفهومياً فقط كالقصيدة مع الشعر. إذ محل هذا العلاقات.

والمصطلح بمشتقاته من حوله، كأنما ينمو ويمتد مفهومياً من خارجه، وأشكال المشتقات وصورها مشهورة في باب الصرف.

فإذا فرغ من المشتقات بدئ وختم بالقضايا.

٦- **القضايا**: وتتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح؛ مما لا يمكن التمكن من مفهومه حق التمكن، إلا بعد التمكن منها حق التمكن. وهي متعذرة

الحصر لكثرة صورها وتنوعها من مصطلح إلى مصطلح. وأهميتها لا تكاد تقدر في التصور العام للأبعاد الموضوعية للمفهوم، ولاسيما في بعض العلوم.

ومن أصنافها —كما تقدم– «**الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف والتأثر والتأثير...**»(١٨).

وبالحديث عنها ينتهي الحديث عن الفرض في «العرض»، آخر ركن من الأركان الخمسة التي بني عليها منهج الدراسة المصطلحية.

٧- المصادر والمراجع

- **البحث العلمي في التراث ومعضلة النص**. الشاهد البوشيخي. بحث نشر ضمن أعمال ندوة **تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق**. كلية الآداب وجدة. ط.١. ١٩٩٨.

- الحيوان للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط١. ١٩٣٨- ١٩٥٨.

- **المدارسة الأولى للمعهد = مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العربية المعرفة**. قدمها الشاهد البوشيخي بمعهد الدراسات المصطلحية بفاس. ١٩٩٥.

- **مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم**. الشاهد البوشيخي. بحث نشر ضمن ندوة **المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم**. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. عدد خاص ١٩٨٨.

- **مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**

(١٨) المصدر السابق ص: ٦.

قضايا ونماذج. الشاهد البوشيخي. نشريات القلم. باريس. ط١. ١٩٩٣.

- **مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ.** الشاهد البوشيخي. ط٢. ١٩٩٥. دار القلم. الكويت.

- **نحو منهج لدراسة مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم** للشاهد البوشيخي عرض ألقي في ندوة **القرآن المجيد وخطابه العالمي** التي نظمتها كلية الآداب بأكادير، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن أيام ١٤- ١٩/ ١/ ١٤١٨هـ موافق ٢١- ٢٦/ ٥/ ١٩٩٧.

- **نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين.** نشريات القلم. باريس. ط١. ١٩٩٣.

- **نظرات في المسألة المصطلحية.** الشاهد البوشيخي. بحث نشر ضمن أعمال مؤتمر **قضايا المصطلح**. جامعة تشرين. أبريل ١٩٩٨. سورية.

- **ورقات في المسألة العلمية.** مقال للشاهد البوشيخي بمجلة الهدى ع: ٣٣. ١٩٩٦.

المعاجم اللغوية وأهميتها في وضع المصطلحات

معجم لسان العرب أنموذجاً

د. ممدوح محمد خسارة

مدخل:

وضع المصطلحات العربية من أعظم وأخطر مهامّنا اللغوية والعلمية في العصر الحديث؛ ذلك أن المصطلح العلمي العربي السليم والسائغ هو حجر الزاوية في خلق لغة علمية عربية معاصرة، هي أظهر ضرورات تعريب العلم وتوطينه.

وكما هو متعالم، فإن أهم طرق وضع المصطلح العربي طريقتا الترجمة والتوليد.

الأولى: تقوم على اختيار كلمة من المخزون اللغوي تؤدي مفهوم المصطلح الأجنبي الجديد.

والثانية: أي التوليد، تقوم على اشتقاق كلمة من جذر لغوي أو مادة لغوية.

وهذا يعني أن كتب التراث العربي العلمي منه واللغوي، هي من أهم مصادر الاصطلاح في لغتنا.

وإذا كانت مهمةُ درس التراث العربي العلمي من كتب ومعاجم متخصِّصة واستخراج ما فيها من مصطلحات – ألصقَ بالمختصين العلميين كالأطباء والصيادلة والفيزيائيين، فإن درس كتب التراث اللغوي واستخراج ما فيها من مصطلحات قديمة أو كلمات مرشحة للاصطلاح هي مهمة الباحث اللغوي، ومن أولى واجباته.

ولاشكَّ في أن المعاجم اللغوية العربية هي أهم مكانز التراث اللغوي وتجلّياته، دون الإقلال أو الحطّ من شأن كتب التراث الأدبي، وإن كانت مفرداتها متضمّنة أصلاً في المعاجم اللغوية.

وطالما أوصت المؤتمرات والندوات المعنية بقضية المصطلح العربي ولغة العلم، بالعودة إلى كتب اللغة واصطفاء ما فيها من مصطلحات ناجزة أو كلمات قابلة للدخول في حقل الاصطلاح.

جـــاء في توصيات مـــؤتمر التعريب الثاني الذي عقد في الجزائر سنة (١٩٧٣): «لابدَّ من عمل أوليٍّ منظم يتناول استقصاء المصطلحات القديمة»[١]. والمعروف أن هذه المصطلحات القديمة مبثوثة في تضاعيف معاجم المعاني والمعاجم المتخصِّصة القديمة والمعاجم اللغوية.

وكان من توصيات ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة التي عقدت في الرباط سنة (١٩٨١): «استقراء التراث العربي وإحياؤه، وخاصة ما استعمل منه، أو ما استقرَّ فيه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال»[٢].

ونبَّه المصطلحي الكبير المجمعي مصطفى الشهابي على أن يكون واضعو المصطلحات «من المطّلعين اطلاعاً واسعاً على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية، وفي مختلف كتبنا العلمية القديمة»[٣].

ويذهب (الكرملي) إلى أبعد من هذا، إذ يَعدُّ الكلمة التراثية هي الأصل في وضع المصطلح عندما يقول: «فعلى اللغويّ أن يسدَّ حاجات العصر بالرجوع إلى ألفاظ الأقدمين إذا وُجدتْ وإلاَّ يَعمدُ إلى الاشتقاق أو المجاز»[٤].

كما دعا مصطلحيون معاصرون إلى «إيجاد الآليات الكفيلة بجردٍ جيد للتراث العلمي واللغوي العربي جرداً منهجياً تاماً»(٥).

ولكن هذه الدعوات – وغيرها كثير – لم تنتقل إلى حيِّز التطبيق، أي لم يقم عملٌ علميٌّ – في حدود علمنا – يرمي إلى جرد المعاجم اللغوية [وكتب التراث] لاستخراج ما فيها من مصطلحات أو كلمات قابلة للاصطلاح، ووضعها بين يدي العاملين في حقل المصطلحية.

* * *

أولاً: أهمية المعاجم اللغوية في وضع المصطلحات

١) المادة المصطلحية في المعاجم اللغوية:

تتخذ المادة المصطلحية في المعاجم اللغوية ثلاثة أشكال:

١- المصطلحات العلمية الجاهزة التي يمكن استعمالها مباشرة لترجمة مصطلحات أجنبية مقابلة لها مثال ذلك:

- **الحِبْرُ والحَبْرُ والحَبْرَةُ:** صُفْرَةٌ تشوب بياض الأسنان (طب).
- **الحُبْرَةُ:** السِّلْعَةُ أو العقدة تخرج في الشَّجر، (نبات).
- **الحَبْسُ:** جبلٌ أسودُ يكون فيه بقعة بيضاء، (جيولوجية).
- **التَّحَتُّم:** تَفَتُّتُ الثُّؤلول إذا جفَّ، (طب).
- **الحَتَلُ:** مَرَضٌ يصيب العين، وهو حبٌّ أحمرُ يخرج فيها، (طب).
- **الإحتان:** وقوع السهام [أو القذائف] في موضع واحد عند الرمي، (عسكرية).

- الخَدْجُ: بَيْعُ السَّوء، (اقتصاد). [الذي في اللسان: حدَجْتُه ببيع سَوْء: ألزمته بيعاً غبنته فيه/ المجلة].
- الثَّوَلُ: شبْهُ جُنونٍ في الشَّاء، وفي جميع الحيوان، (بيطرة).
- الحُبُشيَّة: ضَرْبٌ من النمل عظامٌ سودٌ، (حيوان).
- الحَبضُ: أن يضرب القلب ضرباناً شديداً، (طب).

٢- المُسَمَّياتُ القديمة القابلة للإحياء، لاستخدامها مصطلحات جديدة بعد شحنها بدلالة معاصرة بطريق التَّجَوُّز. ومثال ذلك ما أخذه المختصون العلميون منها، واتخذوه مصطلحات علمية معاصرة، نحو:

- الوشيعة: مصطلح كهربائي. وهي في الأصل خشبةٌ تُلَفُّ عليها خيوط النسَّاج.
- الصُّنْبُور: مصطلح صناعي، هو في الأصل سَعَفةٌ تَنْبُتُ في أصل النخلة.
- الدِّسار: مصطلح بحري(٧). وهو في الأصل خيطٌ من ليف تُشَدُّ به ألواح السفينة.
- المِحْوَر: مصطلح هندسة ميكانيك ورياضيات، وهو في الأصل: الحديدة التي تدور حولها البكرة.
- الصِّمام: مصطلح فيزيائي وطبي، وهو في الأصل السِّدادة.
- الحُزْمة: مصطلح فيزيائي، وهو في الأصل: ما حُزِمَ وشُدَّ.
- الشبكة: مصطلح فيزيائي ومعلوماتي، وهو في الأصل: شَرَكة الصيَّاد(٨).

٣- الجذور اللغوية بدلالتها الأصلية والمكتسبة التي يمكن إعمال الخاصيَّة الاشتقاقية فيها لتوليد كلمات تقابل مصطلحات أجنبية جديدة تدخل بوساطتها الكلمة المشتقة حقل الاصطلاح.

والواقع أن الكثير من مصطلحاتنا المعاصرة إنما كانت حصيلة هذه الخاصيَّة الاشتقاقية؛ يقول د. أحمد شفيق الخطيب: «وللدلالة على فاعلية الاشتقاق في توليد المصطلحات أذكّر بدراسة للدكتور وجيه عبد الرحمن على (٣٠) ثلاثين ألف مصطلح في معاجم الطب والتشريح، لاحظ فيها أن توليد هذه المصطلحات كلها بالاشتقاق من (١٥٠) مئة وخمسين جذراً فقط، إضافة إلى أعضاء الجسم»[٩].

يقول د. محمد شرف صاحب أول معجم تخصّصي عن دور الاشتقاق في وضع المصطلح: «اتخذنا صيغ الاشتقاق وسيلة أخرى لحسن أدائه، ولا نبالغ إذا قلنا إننا فتحنا به فتوحاً للغة العلمية، مثال قولنا: مِمْيَاه: "HYDROMETER، مُمَهًّى: HYDRATED، أمَاهَ: HYDRATE، مؤُوه الدم: HYDRAMIA"[١٠].

وقد دلت إحصاءات قمنا بها على خمس عينات من مجموعات من المصطلحات التي وضعتها جهات عاملة في ميدان التعريب أن الاشتقاق الصرفي وحده يمدنا بنحو ٢٩٪ من مجموع المصطلحات، وأن عدد المصطلحات الموضوعة بطريقة الاشتقاق الصرفي كان كالآتي:

- في مصطلحات الإلكترونيات ١٠٥ من ٢٧٠[١١].
- في مصطلحات إسالة المياه ٣٠ من ١٨٠[١٢].
- في معجم (مصطلحات علمية) ١٤٠ من ٣٥٤[١٣].
- في معجم التكنولوجية الكيميائية (حرف السين) ٦ من ٥٨[١٤].
- في معجم السكك الحديدية ٣٣ من ٢٣٥[١٥].

وهذا ناهيك عما لا يحصى من المصطلحات المولدة التي شاعت في لغة العلم الآن، نحو: (فضائية، استشعار، استمطار، شفافية، ماسح..).

ولكن مما ينبغي التنبيه عليه وتأكيده، أنه لا ندعي بأننا نستخرج ونقدم من المعاجم اللغوية مصطلحات جاهزة دائماً للاستخدام المباشر في النقل والترجمة، وذلك لأسباب أهمها:

أ — لا تُعدُّ الكلمة (مصطلحاً) حتى يتفق عليها أصحاب الاختصاص العلمي الواحد، فهي لا تستحق هذا الاسم وتدخل في الاصطلاح إلا إذا تسالم فيها المختصون وتواضعوا على دلالتها فيما بينهم؛ فما نضعه بين أيدي المختصين العلميين لا يعدو كونه (مشاريع مصطلحات).

ب — ليس من مهمة الباحث اللغوي — ولا يحق له أصلاً — أن يفرض مصطلحات على أهل الاختصاص. نعم قامت مؤسسات لغوية بوضع مصطلحات علمية وأقرتها، كما فعلت المجامع اللغوية وعلى رأسها في هذا الباب مجمع القاهرة، ولكن تلك المجامع كانت تَكِلُ أمر وضع المصطلحات إلى لجان تضم مختصين علميين من الخبراء إلى جانب المختصين اللغويين فاللغوي يقدم الخيارات اللغوية الممكنة، ولكن المختص العلمي هو الذي يقدم مفهوم المصطلح أولاً ثم هو الذي يرجح واحداً من الخيارات المتاحة ثانياً.

وعلى أية حال فقد كانت الكلمات التي وضعتها المؤسسات اللغوية مشاريع مصطلحات، تعرض على المؤسسات العلمية والأفراد من العلماء ليبدوا فيها رأيهم، بالموافقة أو المعارضة أو التعديل[١٦].

إن واجب الباحث اللغوي أن يعود إلى كتب التراث اللغوي ويستخرج مايراه قابلاً للاصطلاح من الكلم، ويضعه بين يدي المترجمين والمعربين والعلميين، لينظروا فيما إذا كان من الممكن الإفادة من هذا الكلم أم لا.

٢) دور اللغويين في عملية الاصطلاح:

إن ما يسوِّغ إسهام اللغويين في عملية الاصطلاح، ويجعل لهم فيها دوراً أساسياً، أمران:

– أحدهما: ضعف الأداء اللغوي لدى الجيل الجديد من المختصين العلميين:

أفاد روَّاد المصطلحيين من المعاجم اللغوية أيما إفادة؛ ولذا وجدنا مصطلحاتهم وشيجة الصلة بالعربية يفوح منها أريج الأصالة؛ ذلك أن أولئك الرواد من العلماء كانوا قد تلقَّوا من الإعداد اللغوي، وحصَّلوا من الخبرة اللغوية ما أهَّلهم للإبحار في معاجمها والغوص في أعماقها، ليعودوا بكلم يصلح مقابلات للمصطلحات العلمية الجديدة. ويكفي أن نذكِّر بأن الفيزيائي المجمعي (عز الدين التنوخي) الذي أعطى لعلم الفيزياء اسمه هو مُحقِّق كتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي. وأن مترجمي مدرسة الألسن والطب كانوا وثيقي الصلة بالعربية، بل كان إلى جانب الطبيب الأجنبي الذي يلقي محاضرته مترجمٌ هو على الغالب من ناهي الأزهر.

يقول العالم الكيميائي المصطلحي د. صلاح الدين الكواكبي: «إن القاموس المحيط كان هو الوحيد على منضدتي، لأطَّلع من أعماق هذا المحيط بالدرر الغوالي التي أفيد منها للمصطلحات العلمية»[١٧].

ونبه العالم المجمعي مصطفى الشهابي على أن يكون واضعو المصطلحات من المطّلعين اطلاعاً واسعاً على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية، وفي مختلف كتبنا العلمية القديمة[١٨].

وعندما عزمت مدرسة الطب في مصر على ترجمة معجم (قاموس القواميس الطبية) الذي ألفه (فابر)، قام (د.برّون) مدير مدرسة الطب آنذاك بتوزيع القاموس المحيط على فريق المترجمين وأمر كلاً منهم أن يراجع الجزء الذي بيده، وينتقي منه كلَّ لفظٍ دلّ على مرض أو عرَض أو اسم نبات أو حيوان[١٩]؛ وذلك للإفادة منه في ترجمة القاموس المذكور.

أما اليوم... فالأمر مختلف؛ إذ فقَدَ المختصون العلميون ذلك الإعداد اللغوي والخبرة اللغوية، وهم معذورون في ذلك، لأن تشعُّب العلوم وتعمقها، وطوفان المعارف العلمية الجديدة، وضرورة متابعتها يومياً، لم تعد تترك للمختص العلمي الوقت اللازم للعودة إلى التراث اللغوي، بَلْهَ التَّفَقُّهَ به. لم يعد علم العربية هو (علم الآلة) الذي كان المعبر الذي لابد من اجتيازه قبل الولوج في رحاب العلوم الأخرى. كما أن المختص العلمي غالباً ما تنقطع صلاته بالعربية بعد الدراسة الثانوية؛ إذ لا يخفى أن معظم جامعات الوطن العربي – ويا للأسف – مازالت تدرس العلوم باللغة الأجنبية، وصار المجلّي من مختصّينا العلميين هو من يحسن التعبير بلغة عربية ميسَّرة سليمة قدر الإمكان. ومن غير الإنصاف أن يُطلب إليه ترك متابعة تخصصه ليعود إلى المعاجم باحثاً عن مصطلحات جديدة.

صحيح أنه مايزال في الأمة نفر جليل من أبنائها جمعوا الخبرة اللغوية العميقة إلى التخصُّص العلمي الدقيق، ولكن هذا النفر الجليل قليلٌ، ويمثل استثناء نادراً، والقاعدةُ هي ما قدَّمنا.

ولذلك صرنا نجد مصطلحات وضعها مختصون علميون هي أبعد ما يكون عن العربية شكلاً ومضموناً. وطغت على تلك المصطلحات التراكيب الإضافية والوصفية والإسنادية، والمعرَّب والدخيل، حتى إن بعضهم قد يقابل مصطلحاً أجنبياً واحداً بفقرة كاملة. وحتى تلك المصطلحات التي وضعها نقاد ولسانيون هم أقرب من غيرهم إلى العربية، لم تسلم من هذا العيب، وزادت عليه. ومن عجبٍ أن نسبة المقترض من معرَّب ودخيل في معاجم المصطلحات الأدبية واللسانية هي أكبر من أي مثيل لها في المعاجم العلمية؛ ففي (معجم الرياضيات المعاصرة)، يضم حرف الميم (٢٧٥) مئتين وخمسة وسبعين مصطلحاً، المقترض منها ثلاثة فقط، (أي بنسبة ٩,٠٪)[٢٠].

في حين يضم حرف الهمزة من (معجم المصطلحات الأدبية)(٩٤) أربعة وتسعين مصطلحاً، المقترض منها (١١) مصطلحاً (أي بنسبة ١٢٪)[٢١].

– الأمر الثاني: طبيعة المعاجم اللغوية العربية وخصوصيتها، مما يضع أمام الباحث غير اللغوي صعوبات تحد من إفادته منها وأهمها:

١– المعاجم العربية اللغوية ذات طبيعة موسوعية تجمع إلى دلالة المفردات الشواهدَ الشعرية والحديثية؛ والنقول والأخبار مما قد لا يسيغه المختص العلمي، وقد لا يكون لديه الوقت والقدرة على الوصول إلى بغيته من بين هذا الكم المتراكب من الأقوال والنقول. واللغوي هو المؤهل والمُعَدُّ للقيام بمثل هذه المهمة.

٢- من المعروف أن معاجمنا اللغوية تزخر بالدلالات المجازية والعبارات المسكوكة التي قد لا يكون لها صلة بالاصطلاح العلمي الذي يفترض فيه الدقة قدر الإمكان. والباحث اللغوي أقدر على تخليص ما هو حقيقي في الدلالة مما هو مجازي.

٣- إن عبارة المعاجم اللغوية عبارةٌ تغلب عليها القدامة، وقد تبدو غريبة صعبة الفهم لمن لم يعايش تلك المعاجم، وقد تحبط تلك الغرابة والصعوبة همته في المضي والتقصّي، فيعزف عنها.

٤- من المعروف أن طرق تصنيف المادة اللغوية في معاجمنا القديمة ليست واحدةً، فلكل مجموعة من المعاجم طريقة تختلف عن غيرها. كما أن الكشف عن أية كلمة يتطلب إعادتها إلى الجذر الذي قد لا يتهدّى إليه المختص العلمي بسهولة. فليس كل مختص علمي بقادر على الكشف فيها والإفادة منها.

٥- لا يخفى أن من معايب معاجمنا اللغوية القديمة بعضَ ما يشوبها من تصحيف أقَرَّ به لغويون معروفون؛ جاء في اللسان «وفي حديث عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كانت ناقةُ رسول الله مُتَوَّقةً) كذا رواه بالتاء، فقيل له ما المُتَوَّقة؟ فقال: مثل قولك (فَرَسٌ تَئِقٌ) أي جوادٌ. قال الحربي: وتفسيره أعجب من تصحيفه. وإنما هي (مُنَوَّقةٌ) بالنون، وهي التي قد رِيضَتْ وأُدِّبتْ»[٢٢]. وقال أبو منصور الأزهري: «والرُّواةُ ربما صحَّفُوا وغيَّروا»[٢٣].

والمشكل أن هذا التصحيف قد يلتبس بظاهرة لغوية في العربية هي (الإبدال)، وذلك نحو:

- الحَسافِلُ والحساقل والحساكل: الصبيان الصغار[٢٤].
- البَأْدَلةُ والبَأْزَلَةُ: مشيةٌ فيها سرعة.

- البُرْتُ والبُرْتُ: الرجل الدَّليل.
- الحَدَّاد والجَدَّاد: صاحب حانوت الخمر.

فالكلمات السابقة قد تحمل على التصحيف، وقد تحمل على الإبدال.

أجل، نحن لا ننكر أن ثمة إبدالاً لغوياً في العربية، وأن هذا الإبدال يحمل دلالة تنويعية في المعنى العام؛ ولكن الذي يمكن أن يميز الإبدال من التصحيف هو الباحث اللغوي، وليس ذلك بمطلوب من المختص العلمي. وما يقال عن الإبدال يصدق على ظاهرتي الإلحاق والقلب أيضاً.

إن ما سبق من الصعوبات التي تعترض المختص العلمي عند رجوعه إلى المعاجم اللغوية، والتي تجعل عودته إلى المعاجم اللغوية محدودة الفائدة أو عديمتها — يحتم على الباحث اللغوي أن يعود إلى تلك المكانز اللغوية؛ ليكتشف ما فيها من مادة مصطلحية، سواء أكانت مصطلحات ناجزة أم كلمات قابلة للاصطلاح. يقول د. عبد الرحمن الحاج صالح: «ونحن نعرف أن الباحث — واللغوي خاصة — قد يقضي الشهور بل والسنين الطوال في قراءة الأسفار الكثيرة من الكتب حتى يعثر على بغيته»[٢٥]. فإذا كان البحث عن كلمات أو مصطلحات محددة شاقاً على الباحث اللغوي، فهو بالأحرى على المختص العلمي.

٣) أثر المادة اللغوية التراثية في إغناء المصطلحية العربية المعاصرة:

إذا كان كثير من المعنيين بشؤون المصطلح العربي يرون أن للمادة اللغوية التراثية آثاراً تغني المصطلحية العربية، فإننا نرى أنْ لا غنى عنها ولا بديل لها. ولعل أبرز آثارها الإيجابية ما هو آت:

١. ربط حاضر اللغة بماضيها:

مما تحرص عليه كل ثقافة أصيلة أن تبقى جسور الاتصال راسخة بين ماضيها وحاضرها، ولاشكَّ في أن الإفادة من مصطلحات المتقدمين تحقق مثل

هذا التواصل الثقافي. إن استخدامنا مصطلحات مثل: (القرنية والشبكية والملتحمة)، تلك التي وضعها أطباء العيون العرب ما قبل القرن الهجري الرابع، أهَّلَها لأن تشيع وتصبح أداة ربط بين ماضي هذه اللغة وحاضرها. إن من شأن المادة التراثية سد الفجوة التي قامت بين ماضي اللغة العربية وحاضرها(٢٦). كما أن توليد مصطلح جديد اشتقاقاً من مادة لغوية تراثية لا يقل أثراً عن ذلك.

٢. توفير الجهد في البحث عن مصطلحات جديدة:

إذْ ليس من المعقول ولا المقبول أن يبحث مترجمٌ أو معرِّبٌ عن مصطلح جديد يولِّده ويروِّضه للاستعمال، في الوقت الذي نجد في تراثنا مصطلحات قارّة تؤدي مفهوم المصطلح الأجنبي.

لماذا يُبحث عن مقابلٍ لمصطلح (E phasia)، وعندنا في التراث ما يقابلها وهو (حُبْسَة)(٢٧)؟ ولماذا يُترجم مصطلح (chevelu cuir) بمصطلح مركب هو (جِلْد الرأسِ المُشْعِر)، وعندنا في التراث كلمة (الفَرْوة)؟ ولماذا يُترجم المصطلح (Bec de liervre) بمصطلح (شفة الأرنب)، وعندنا في التراث كلمة (أعْلَم أو أفْلَح)(٢٨)؟

٣. سلامة المصطلح العربي وسهولته:

كثيراً ما يشكو قارئو الكتب العلمية العربية المترجمة من ثِقَل المصطلح العربي الذي استخدمه المترجم، أو ركاكةِ بنيته اللغوية. والسبب في هذا أن المترجم حاول أن يضع مصطلحات عربية من عنده ليقابل المصطلحات الأجنبية الواردة في النص الأصلي، دون أن يكون هذا المترجم على معرفة أو صلة

بالمصطلح العربي التراثي، ولا بطريقة التوليد اللغوي، ولا بطريقة التعريب اللفظي أو الصوتي؛ ولذا فهو يجتهد على غير هداية، فيأتي بما لا يرضي ولا يقنع ولا يسيغ. إن الذي وضع للمصطلح الفرنسي (كران) مقابلاً هو (ريح شديدة تهبُّ فجأةً وتكون مصحوبة بالمطر)، يجهل أن الكلمة العربية المقابلة تماماً لهذا المصطلح هو (الثائب)؛ جاء في القاموس: «الثائبُ الرِّيح الشديدة تكون في أول المطر»، ومثله مَنْ وضع للمصطلح الفرنسي (بليزار) مقابلاً هو (عاصفة ثلجية)، جاهلاً أن في التراث كلمة (الدَّمَق)، تؤدي المعنى نفسه تماماً؛ جاء في اللسان والمخصَّص «الدَّمَقُ: ريحٌ وثلجٌ»[29]. ولعلَّ خطأ هذا المترجم أقلُّ غرابةً من ذلك الذي وضع المصطلح الآتي: «تُرْسَل البضائع خالصة التحميل أو يدفع رسم التحميل فيما بعد وفقاً لما إذا كانت الأجرة دفعت مقدماً من الراسل أو تدفع عند الوصول بواسطة المرسل إليه»[30]. إن ما ذكرتُه ليس شرحاً لمصطلح – كما قد يتبادر إلى الذهن – بل وضعه المترجم على أنه مصطلح!.

٤ . تجنُّب مخاطر الاقتراض اللغوي من تعريب وتدخيل:

إن جهل المادة اللغوية العربية التراثية أصلاً، وعدم الإفادة منها، سوف يدفع المترجم حتماً إلى الارتماء في أحضان الاقتراض اللغوي، فيعرِّب المصطلحات لفظياً أو يُدَخِّلها دون ضوابط. نحن لسنا ضد الاقتراض اللغوي، لاسيما التعريب اللفظي، فهو رافد من الروافد التي تزيد من الثروة اللغوية، ولكنَّ فتح باب الاقتراض على مصراعيه للعارف بأصوله وغير العارف، لضرورةٍ وغير ضرورة، مما يؤدي إلى مخاطر نحن بغنى عنها[31]. ولذا يكاد يجمع الرواد من المعربين والمصطلحين على ألاَّ يُلجأ إلى التعريب اللفظي إلا بعد استنفاد وسائل وضع

المصطلح بطريقتَي الترجمة والتوليد اشتقاقاً وتَجوُّزاً[٣٢]. ولعلَّ التعريب اللفظي أبغض الطرائق إلى المحقِّقين من المصطلحيين.

٥. الإسهام في توحيد المصطلح العلمي العربي:

من أسباب تعدّدية المصطلح العلمي العربي تعدُّدية طرائق وضع المصطلح العربي، وتعدُّد المرجعية اللغوية التي اعتمد عليها. وعلى هذا فيمكن الافتراض أن اعتماد كتب التراث العلمي واللغوي مرجعية أساسية في وضع المصطلح مما قد يؤدي إلى الإسهام في توحيد المصطلح العربي. إن جهل التسميات المصطلحيةِ التراثية جعل كثيراً من المترجمين «يستعيضون عنها بمولدات أو مقترضات أقلَّ منها دقّة وطلاوة، إضافة إلى ما تتصف به هذه المولدات أو المقترضات من تعدُّد وفوضى، بسبب قلة اطلاع مؤلفي المعاجم على أعمال سابقيهم؛ من ذلك أن المصطلح الجيولوجي الإنكليزي (aquifer) نجد له في المعاجم الأجنبية — العربية الصادرة في السنوات الثلاثين الأخيرة والمختصة بالجيولوجية والجغرافية، مقابلات كثيرة منها: (ذو ماء، محتوٍ على ماء، طبقة صخرية مائية، مستودع ماء أرضي، طبقة حاوية للماء، تكوُّن مائي، طبقة مائية، محتوٍ ماءً، طبقة خازنة للمياه...)، وقد غفلت كل المعاجم التي اطلعنا عليها — وعددها يزيد على العشرة — عن التسمية العربية الأصلية وهي (الحِسْيُ). فهذا اللفظ يؤدي المفهوم العلمي أداءً دقيقاً، لما بين ذلك المفهوم الجيولوجي والمعنى اللغوي للفظ العربي من تطابق تام، مما يغني عن وضع تسمية جديدة، إضافة إلى أن التسمية العربية الأصلية تتوافر فيها معايير أخرى أهمها أنها تسمية مفردة مختصرة أحادية الدلالة متواصلة الاستخدام إلى يومنا هذا في العديد من الأقطار العربية[٣٣].

ثانياً: معجم (لسان العرب) أنموذجاً

مما لا يخفى عن المعنيين بالشأن اللغوي أن معجم (لسان العرب) يضم بين دفتيه خمسة معجمات هي: صحاح الجوهري، محكم ابن سيده، وتهذيب الأزهري، وحاشية ابن بري، والنهاية لابن الأثير. ومما لا يخفى أيضاً أن مدوَّنة هذه المصادر الخمسة هي مجموعة ما سبقها من الرسائل اللغوية والمعاجم اللغوية ومعاجم الموضوعات أو المعاني، وهو ما يعني أن (لسان العرب) يشكل أغنى مصدر لغوي تراثي.

لكن هذا لا يعني أنه جمع كل اللغة، وأن الرجوع إليه وتصنيف مادته المصطلحية يغني عن العودة إلى المعاجم اللغوية الأخرى؛ فثمة مصطلحات مشهورة متداولة، و لم يذكرها اللسان نحو: (البَلْسَم والبِرسيم والبَلَنْسَم).

لقد شدَّ انتباهنا أن لم تقم أبحاثٌ كافية لاستقصاء المادة المصطلحية في هذا المعجم اللغوي الهام، سوى ما قامت به دار المعارف المصرية من استخراج المصطلحات الثابتة الظاهرة التي تندرج كلها تقريباً تحت أسماء النبات والحيوان والمعادن وأدوات الحرب، والتي لم تزد على (٣٥٠٠) ثلاثة آلاف وخمس مئة مصطلح ألحقتها في آخر طبعتها للمعجم(٣٤). وتلك المصطلحات لا تمثل إلا جانباً يسيراً جداً من المادة المصطلحية التي يمكن استخراجها من اللسان. وعلى سبيل المثال، ففي مادة (حبر) التي تشغل ثلاث صفحات من اللسان وجدنا ستة وعشرين كلمة مصطلحية، أي إن الكلمات المصطلحية المتوقعة في الصفحة الواحدة من اللسان ستكون بمعدل ثماني كلمات مصطلحية، مما يعني أن هذا المعجم ينطوي على نحو أربعين ألف كلمة مصطلحية، ويمكن أن يولد منها بالتالي ضعف هذا العدد أو أكثر إذا أعملنا في هذه المادة المصطلحية خاصية

الاشتقاق بأنواعه: الصرفي والإبدالي والتقليبي والإلحاقي والنحتي. هذا دون أن نتعرض للمصطلحات النحوية والفقهية لأن لها من المصادر والمراجع المبسوطة والمعمَّقة ما يفي بالغرض.

إلى جانب محاولة دار المعارف، ذكر في بعض الندوات اللغوية أن أحد الباحثين استخرج المصطلحات النباتية في لسان العرب، و لم يذكر إن كانت قد نشرت تلك المصطلحات أم لا.

١) الكلمات المصطلحية في لسان العرب:

نؤكد ما ذكرناه في مطلع البحث من أننا لا ندَّعي تقديم مصطلحات علمية ناجزة – دائماً – من معجم لسان العرب، وذلك للأسباب التي قدّمنا. ولكننا نجزم بأننا نقدم كلمات قابلة للاصطلاح، ولهذا تجنبنا أن نضع لبحثنا عنوان (المصطلحات العلمية في لسان العرب)، وفضّلنا عبارة (الكلمات المصطلحية في لسان العرب)، التي تعني شيئين:

– المصطلحات العلمية القديمة، أي الكلمات القديمة التي وردت في اللسان مخصَّصة للدلالة على مفاهيم تتعلق بحقل معرفي أو علم ما.

– مشتقات من الجذور اللغوية لم يذكرها اللسان، لكنها مرشحة للاصطلاح وقابلة له.

١ – المصطلحات العلمية القديمة في لسان العرب:

يزخر اللسان بمجموعة من المصطلحات العلمية الجاهزة أو شبه الجاهزة التي كانت – ومازال بعضها – تستخدم في ميادين علمية مختلفة لاسيما في ميادين الزراعة، والطب، والجغرافية، والجيولوجية والحيوان والصيدلة.

وعلى سبيل التمثيل نستعرض ما رأيناه مصطلحاتٍ قديمة في الجذر اللغوي (حجر)[٣٥]:

- **في ميدان الجغرافية والجيولوجية:**

- الحَجِرَة والحَجيرَة: الأرض الكثيرةُ الحجارةِ.

- **في الزراعة:**

- المَحْجِر: الحديقة.
- الحاجُور: ما يمسك الماء من شفة الوادي.
- الحاجِرُ: الجَدْرُ الذي يمسك الماء بين الديار.

- **في القانون:**

- الحِجْر: الحَرامُ.
- الحَجْر: المَنع. المَنعُ من التصرُّف بالمال.

- **في الطب:**

- المَحْجَرُ: ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجَفْن.
- الحَنْجَرةُ: الحُلْقوم.
- الحُجُر: ما يحيطُ بالظُّفر من اللحم.

- **في الهندسة:**

- الحُجْرَةُ: الغُرْفَة.
- الحَجارُ: المانع (ما يبنى حول السطح لمنع السقوط).
- الحَجَرةُ: ناحية الطريق (حجرتا الطريق: جانباه).

- **في الحيوان:**

- الحُجْرَة: حظيرة الإبل.

- الحَجْر: الفرس الأنثى.
- أحجار الخيل: ما يُتَّخذُ منها للنسل.

- **في العسكرية:**

- الحُجْرَةُ: جانبُ العَسْكَرِ. (مجنبة الوحدة العسكرية).
- حُجْرَتا العَسْكرِ: جانباه.

- **في علم النفس:**

- الحِجْر: العَقْل.

- **في علم الاجتماع:**

- الحِجْر: الحِفْظُ والسِّتْرُ.
- المَحْجَرُ: ما حول القرية مما يدخل في حماها. الحَوْزَة.
- الحَجُّورة: لُعبة يلعب بها الصبيان، يخطُّون خطّاً مستديراً ويقف فيه صبيٌّ، وهنالك الصبيان مَعَه.

٢- الكلمات المشتقة من الجذور اللغوية وهي مرشحة للاصطلاح وقابلة له:

ونعني بها الكلمات التي يمكن للباحث اللغوي أن يشتقها من الجذور اللغوية، وهي غالباً أفعال، لتؤدي دلالات اصطلاحية، كأن يشتق اللغوي من فعلٍ اسم آلة أو اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدراً، يلمح فيها قابلية للاصطلاح، ولو لم يرد في المعجم على هذا اللفظ؛ لأن المعاجم لم تذكر مشتقات كل الأفعال، وإنما ذكرت ما كان مستعملاً في عصرها، واليوم يمكن للغوي أن يضيف مشتقات وفق أصول الصرف العربي، ويقدمها على أنها مادة معجمية. وقياساً على القاعدة الصرفية التي تقول: «إذا عرفت الصفة فالفعل في الكف»، نقول: إذا عرف الفعل فالصفة في الكف.

ولنضرب مثلاً من مادة (حجر) السابقة، إذ يمكن أن يضاف إلى ما ذكر من المصطلحات القديمة ما يلي:

● **الحَجْرُ والاحْتِجارُ:** أن تضرب حول الأرض (علامة) تمنعها من غيرك، وغالباً ما تكون هذه العلامة من الأحجار. لم يُذكر المصدر في اللسان، ولكنه ذكر الفعل. والذي جاء في اللسان: «يقال: حَجَرْتُ الأرضَ واحْتَجَرْتُها إذا ضربتَ عليها مناراً تمنعها من غيرك». ليس المقصود بالمصطلح هنا حماية الأرض بسور حصراً، وإنما تعليمُ الأرض التي ليس لها مالك محدَّد، بغية إصلاحها وإحيائها. والاحتجار كان من طرق حيازة الأرض... ويمكن أن يشتق منها: (المحْتَجِر): لمن يقوم بهذا العمل، و(المُحتَجَرَةُ): للأرض التي تُعَلَّم لتُحيي وتستصلَح.

التَّحْجيرُ: استدارة القمر بخطٍّ دقيق من غير أن يغلظ. أن يصير حول القمر دارةٌ في الغيم. **والذي جاء في اللسان:** «حَجَّر القمرُ: استدار بخطٍّ دقيق من غير أن يغلظ».

الاسْتِحْجَار: تَحوُّل الطين إلى حَجَر. لم يذكر اللسان لفظة (الاسْتِحْجَار) بعينها، ولكنه ذكر: «اسْتَحْجَر الطين: صار حجراً». فاشتققنا منه المصدر (استحجار) لترشيحه مصطلحاً جيولوجيا أو صناعياً. ويمكن عند الحاجة أن نشتق (المُسْتَحْجِرُ) لمن يقوم بهذا العمل. كما يمكن أن نشتق منه (المُسْتَحْجَر) للمادة الطينية التي تحولت إلى مادة صلبة حجرية، كما يقال: (المُسْتَحْلَب) للمادة التي تحولت إلى ما يشبه الحليب.

● **التَّحَجُّر:** التضييق والتشدُّد.

صحيح أن اللسان لم يورد هذا المصدر، ولكنه أورد عبارة الحديث: «لقد تَحَجَّرْت واسعاً، أي ضَيَّقْتَ ما وسَّعَه الله»[٣٦]. فلا تثريب على

اللغوي – إن دعته الضرورة – في اشتقاق المصدر من الفعل وتحويله إلى مصطلح يمكن استعماله في حقل الاجتماع أو السياسة أو القانون.

٢) إشكاليات التعريف والدلالة في اللسان ومعالجتها:

إن استخراج الكلمات المصطلحية من المعجم ليس عملاً تصنيفياً آلياً بحتاً – كما قد يتبادر إلى الذهن – بل إن له جانباً بحثياً إبداعياً، يتمثل في معالجة أمور وإشكالات يتعين مواجهتها في إطار هذا العمل وتضاعيفه، وهي:

١- يلحظ أن المعاجم اللغوية «فسَّرت كثيراً من الألفاظ المشهورة تفسيراً بعيداً عن الدقَّة أو التفسير العلمي الحديث، ففي لسان العرب مثلاً: الطَّيْرُ: اسمٌ لجماعة ما يطير، وهذا التعريف ينطبق على النسر والنَّحل على ما بينهما من تباعد»[٣٧].. «والحشرة التي هي اليوم اسم لحيوان من المفصليات له رأس وصدر وبطن وستة قوائم، هي في معاجمنا الدواب الصغار، فالقنفذ عندهم حشرة، والفأر حشرة»[٣٨].

ومع ذلك فهذا لا يعيب المعاجم اللغوية مادام المختصون العلميون لم يستطيعوا الاتفاق – بعد – على مصطلحات معروفة مشهورة، ومنها مصطلح (الحشرة)، إذ عقد في ١٩٩٩/٨/٢٣ مؤتمر دولي في إسبانيا حضره نحو مئة عالم للاتفاق على تعريف الحشرة. فإذا اقتضى تعريف الحشرة حشد مثل هذا العدد من الخبراء، فهل من الإنصاف أن نطلب إلى ابن منظور أن يقوم بأعباء ذلك الحشد من المختصين؟ نقول: ذلك لا يعيب لسان العرب، لأن ذلك المعجم كتاب لغوي أولاً، وهو قد عبر عن مفهوم المصطلحات في عصره، وليس مطلوباً منه أن يعبر عن مفهومها في عصرنا. إن مفهوم المصطلح لا يثبت على حال واحد على مر العصور.

ولكي لا نبعد كثيراً، نذكر بأن مؤتمراً عقد أخيراً في العام (٢٠٠٠) في (دبي) حول (العولمة)، ضم عشرات الاختصاصيين، و لم يمكنوا من الاتفاق على مفهوم واحد لمصطلح (العولمة).

إن اللفظة التراثية مادة أولية طيعة قابلة للتشكل بما يلبي حاجات الاصطلاح، ولكن بعد شحنها بمفهوم علمي معاصر، وتلك هي مهمة المختصين العلميين. وشحن الألفاظ القديمة بالمفاهيم والدلالات الجديدة هو ما يسمى بإحياء الألفاظ أو المصطلحات القديمة.

نعم، قد نجد مصطلحات قديمة تعبر تماماً عما نريده، ولكن أغلب الألفاظ التراثية لابد من إحيائها بحقنها بمفهوم جديد نحن بحاجة للتعبير عنه. ولنأخذ مصطلحاً شائعاً جداً لأيامنا وهو (البيئة). إن دلالاتها الأصلية القديمة هي «المنـــزل، حالة النـــزول والإقامة، النـــزول في المكان وتهيئته»[٣٩]. وقد وردت هذه اللفظة مع مرادفين لها هما: (المباءة والباءة)، وكلها بمعنى (المنـــزل). ولكن العلماء العرب المعاصرين أحيوا هذه اللفظة التراثية (البيئة) دون مرادفيها، وخصصوها بمفهوم المصطلح الأجنبي (écologie)، وشاع هذا المصطلح لسهولته وأصالته، ولا يكاد يمر يوم دون أن يتردد ما لا يحصى من المرات. ومثله اللفظة التراثية (تيار) التي معناها الأصلي (الموج)[٤٠]. والتي أحييت وشحنت بمفهومات علمية معاصرة جعلتها مصطلحاً حديثاً شاع في علوم: الكهرباء والبحار والسياسة والمناخ...

ولكن إذا كان لسان العرب لا يقدم – غالباً – مصطلحات جاهزة للاستعمال المعاصر، فإن مما لا ينكر أن فيه كلمات تراثية يمكن استعمالها

الآن، وبحالتها الحاضرة، وتستبدل بمصطلحات مركبة أو غير دقيقة أو مقترضة. وعلى سبيل المثال:

- يقال: (سترة واقية من الرصاص) أو (صدرية واقية من الرصاص): ويمكن أن تقابل بكلمة تراثية واحدة هي: «الزَّرَدِيَّة: صُدْرَة من الحديد»(٤١).

- يقال (الإضراب عن الطعام). ويمكن مقابلة هذا المصطلح المركَّب بالكلمة التراثية: (التَّجَوُّع)؛ جاء في اللسان: تجوَّعَ: تعمَّد الجوع»(٤٢).

- يقال: (ساتر ضد الطوفان أو السيل): ويمكن أن يقابل هذا المصطلح المركَّب بالكلمة التراثية: (الحاجور)؛ جاء في اللسان: «الحاجور: ما يُمْسِكُ الماءَ من شفة الوادي»(٤٣).

- يقال: (غيتو) تعريباً للمصطلح الأجنبي (ghetto) ولعل ما يقابله تماماً الكلمة التراثية (مَعْزِل) الذي يكاد يفصح عن المفهوم المعاصر المطلوب.

٢- مما لا شكَّ فيه أن في (اللسان) كلمات شُرحت أو فُسِّرت بمفهومات تناقض الحقائق العلمية الأولية والمُتعَالَمة، ومن واجب اللغوي هنا إسقاط تلك الكلمات من دائرة الكلمات المصطلحية وإخراجها من دائرة الاهتمام. مثال ذلك:

- «الوَرِيد: عِرْقٌ ينبض من الحيوان لا دمَ فيه»(٤٤).

- «الحُبَليلُ: دويبَّةٌ يموتُ، فإذا أصابه المطرُ عاش»(٤٥).

- «الثُّفَةُ: وهو سَبُعٌ لا يَقْتاتُ التبن إنما يقتات اللحم»(٤٦). مما يوحي أن ثمة سباعاً تقتات التبن!.

٣- لاحظنا أن في اللسان مصطلحات متعددة الدلالة في الحقل الواحد، كما لا يخلو أحياناً من مصطلحات متباعدة الدلالة ففي حالة

المصطلحات غير الدقيقة نرى إثبات جميع دلالات الكلمة المصطلحية، وترك ترجيح الكلمة الأدق والأسلم، لأصحاب الاختصاص من العلميين. مثال ذلك أن اللسان أورد لكلمة (الجَحْل) ثماني دلالات، منها في حقل الحيوان: «الحِرْباء، يَعْسوب النَّحْلِ، الضَّبّ، الجُعَلُ...»[٤٧].

أما في حالة الكلمات ذات الدلالات المتباعدة، فإننا نرى إثبات الدلالة الشائعة بين المعاصرين دون غيرها. ومثال ذلك كلمة (البِكْر)، قال: «هي العذراء، وهي المرأة التي ولدت بطناً واحداً»[٤٨]، ومن الطبيعي هنا أن نثبت الدلالة الأولى وهي (العذراء)، لأنها شائعة ومعروفة في عصرنا.

كذلك كلمة (الحَشَرة)؛ قال: «هي واحدة صغار دواب الأرض» وقال: «هي ما أُكِلَ من بقْلِ الأرض كالدُّعَاعِ والفَثِّ»[٤٩]. أي إنه عدَّها في المرة الأولى حيواناً، وفي الثانية نباتاً، والأحرى إثبات الدلالة الأولى.

وكذا كلمة (الجَحْش)، ورد أنه (وَلَدُ الحمار، ولد الفَرَس، ولد الظبية، ولد الإنسان الصَّبيّ)[٥٠]. ومن البديهي أن نثبت الدلالة الأولى، لأن لأولاد بقية الحيوانات أسماء خاصة بها.

٤- كما لاحظنا أن في اللسان كلمات فسِّرت بدلالات غير محدَّدة أو شديدة العمومية، فيجب – والحالة هذه – إهمالها، مثال ذلك:

- **البُهار**: هو زنة ثلاث مئة أو أربع مئة أو ست مئة أو ألف رطل!![٥١].
- **البِلَنصَاةُ**: بَقْلةٌ ويقال: طائرٌ!![٥٢].
- **الأَبَدُّ**: الرجل العظيم الخَلْق!![٥٣].

٥- ومن الواضح أن ثمة دلالات مجازية لكثير من الكلمات. وقد استبعدنا الدلالة المجازية للكلمة إذا كانت مما يوقع في لَبْس. نحو (الحَجَل:

صغار الإبل) «قال ابن السكيت: استعار الحجل فجعلها صغار الإبل»(٥٤)، وأثبتنا الدلالة الأصلية وهي: اليعاقيب من الطيور.

٣- توزيع الكلمات المصطلحية على أنواع العلوم في لسان العرب:

نرى تصنيف الكلمات المصطلحية في لسان العرب في أبواب تندرج تحتها العلوم المعاصرة، وهي:

- **الطب**: ويضم مفردات: جسم الإنسان، الأمراض، طرق العلاج، التشريح.
- **الصيدلة**: ويضم أسماء الأدوية من أعشاب أو مركبات غذائية علاجية.
- **الزراعة**: ويضم أسماء النبات وصفاته، وطرق الزراعة وأدوات الزراعة.
- **الحيوان**: ويضم أسماء الحيوانات، أسماء أعضائها، صفاتها، أمراضها، طرق علاجها، تربيتها.
- **العلوم**: ويضم مفردات استخدمت أو قد تستخدم في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء، والعلوم الطبيعية.
- **الهندسة**: ويضم مفردات العمارة والبناء والطرق والجسور.
- **العسكرية**: ويضم أسماء السلاح وصفاته، طرق التدريب، أساليب الحرب.
- **الإدارة والقانون والسياسة**: ويضم مفردات الأحوال الشخصية والقضاء والتنظيم الإداري.
- **الاقتصاد**: ويضم مفردات للمال، التجارة، للمعاملات التجارية ووثائقها.
- **الجغرافية والجيولوجية**: ويضم أسماء التضاريس، المناخ، طبقات الأرض، الظواهر البيئية.

- **الصناعة والتقانة:** ويضم أسماء الآلات، طريقة الصناعة، أسماء المنتجات الصناعية.
- **النفس:** ويضم مفردات: الطباع، الغرائز، الأخلاق، الإدراك.
- **الاجتماع:** ويضم مفردات المسكن المأكل، العادات والتقاليد والألعاب.
- **الفلسفة:** ويضم مفردات علم الكلام، المذاهب الفكرية والدينية غير الإسلامية.
- **الفنون:** ويضم مفردات الرياضة البدنية، الموسيقى، الرسم، النحت.
- **الفلك:** ويضم مفردات النجوم، البروج، المواقيت.
- **التربية والتعليم:** ويضم مفردات طرق التعليم والتحفيظ والتنشئة.

ولكن ثمة ملاحظات حول التصنيف يجب التنبُّه إليها عند إعداد هذه الكلمات المصطلحية أو الإفادة منها:

أ- إن هذا التصنيف مبدئي، ولابد من عرض العمل على مختص علمي مشهود له لينظر في صواب التصنيف، فقد يرى تغيير تصنيف كلمة إلى باب آخر، أو جعلها مشتركة بين بابين، كأن تصنَّف في بابي العلوم والصناعة.

ب- كثيراً ما تواجه الباحث كلمة تحتمل بابين، وفي هذه الحالة يجب تصنيفها في كلا البابَيْن، مثلاً: كلمة (الاستحجار). تصنَّف في بابي العلوم والصناعة.

بل قد تصنف الكلمة في عدة أبواب، لأنها ذات دلالات متعددة أصلية أو مكتسبة، ومثال ذلك:

- الحَدُّ: طرف السكين. - الحَدُّ: شحذ الحديدة بحجر.

وتصنفان في باب الصناعة.

- الحَدُّ: الكَفُّ والصرف عن الشيء من الخير والشر. الحَدُّ: الغضَبُ.

وتصنفان في باب النفس.

- الحَدُّ: إنفاذ العقوبة على الجاني. - الحَدُّ: العقوبة التي جُعلت لمن ارتكب ما ينهى عنه. ويصنفان في باب الإدارة والقانون.

- الحَدُّ: تدقيق النظر والتحديق. وتصنف في باب الطب.

ج- قد تواجه الباحث كلمات لا يتبين فيها الوجه أو الدلالة بدقة كأن تكون العبارة قاصرة عن البيان. وفي هذه الحالة يفضل إهمالها نحو «حَزَأَ السَّرابُ الشَّخَصَ حَزْءاً: رفَعَه»(٥٥).

كما قد تواجهه كلمات ذات دلالة بعيدة جداً عن الدلالة العامة لجذورها، ويفضل كذلك إهمالها، لأنها قد توقع في اللبس والإبهام؛ مثال ذلك: «التَّبذيرُ: التجريبُ... لو بَذَّرْتَ فلاناً لوجَدْتَه رجلاً. أي لو جَرَّبْتَه»(٥٦).

واللافت للنظر أن معظم هذه الدلالات منقولة أو مسموعة عن آحاد.

د- مما يربك الباحث في المعاجم اللغوية ظاهرة الأضداد في العربية، وهي ظاهرة أقرَّ بها اللغويون القدامى وصنَّفوا فيها، وعللوها بعوامل لهجية وغيرها. كما في كلمات مثل:

- الحَنيف: وهو «المائل من خير إلى شرٍّ، أو من شرٍّ إلى خير»(٥٧).

- الجَوْن: وتعني الأبيض والأسود «وهو من الأضداد»(٥٨).

- اللَّحْن: وتعني الخطأ في الإعراب، وتعني الفطنة والإفصاح في الكلام(٥٩).

والذي نراه في مثل هذه الحالة أن تثبت أمام الكلمة المصطلحية الدَّلالة الأكثر شيوعاً. وعلى ذلك يكون (الحنيف) هو المائل إلى الخير، ويكون (اللحن) هو الغلط في الإعراب، لأن هاتين الدلالتين هما الأكثر شيوعاً في الشواهد والنقول.

أما إذا لم تتبيَّن الدلالة الأكثر شيوعاً للكلمة، فنرى أن تُهمل من التصنيف في الكلمات المصطلحية، كما في كلمة (الجَون)، فالشواهد على دلالتها على (السواد)، في وزن الشواهد على دلالتها على (البياض)، ذلك أن دقّة الدلالة من أهم شروط المصطلح وخصائصه.

٤– نسبة توزيع الكلمات المصطلحية على الأبواب العلمية:

من الطبيعي ألا تكون كمية الكلمات متساوية أو متقاربة في هذه الأبواب، وذلك يعود – طبعاً – للمعطيات الثقافية والحضارية للعصر الذي صُنف فيه (لسان العرب) والمعاجم التي أخَذَ عنها.

ولمعرفة النسبة العامة لتوزُّع الكلمات المصطلحية على أبواب العلوم، أُخذت عينة عشوائية ضمت (٧٦٥) كلمة مصطلحية، فكان توزُّعها كما يلي، مرتبة نزولاً:

- **الاجتماع:** ١٥٧ كلمة، وتعادل ٢٠,٥٪ من مجموع المصطلحات.
- **الطب والصيدلة:** ١٠٨ كلمة، وتعادل ١٤٪ منها.
- **الصناعة والحرف:** ١٠١ كلمة، وتعادل ١٣,٢٪ منها.
- **الحيوان:** ٧٥ كلمة، وتعادل ٩,٨ ٪منها.
- **الجغرافية والجيولوجية:** ٦١ كلمة، وتعادل ٧,٩ ٪ منها.
- **العلوم:** ٥٩ كلمة، وتعادل ٧,٧ ٪منها.
- **الزراعة:** ٥٧ كلمة، وتعادل ٧,٤٪ منها.
- **الإدارة والقانون:** ٥٤ كلمة، وتعادل ٧ ٪منها.
- **النفس:** ٤٨ كلمة، وتعادل ٦,٢ ٪منها.
- **العسكرية:** ١٢ كلمة، وتعادل ١,٥٪ منها.

- **الهندسة:** ١١ كلمة، وتعادل ١,٤٪ منها.
- **الفنون:** ١١ كلمة، وتعادل ١,٤ ٪منها.
- **الفلك:** ٥ كلمات، وتعادل ٠,٦٪منها.
- **الفلسفة:** ٤ كلمات، وتعادل ٠,٥٪ منها.
- **الاقتصاد:** ١ كلمة، وتعادل ٠,١٣ ٪منها.
- **التربية والتعليم:** ١ كلمة وتعادل ٠,١٣٪ منها.

وتبدو هذه النسبة موضوعية إلى حد كبير، ذلك أن حاجة الإنسان إلى التواصل الاجتماعي ومفرداته تأتي في المقام الأول من حاجاته، تليها حاجته إلى المحافظة على وجوده وصحته بالتداوي، ثم حاجته إلى الحرف والصناعة (بمعناها القديم طبعاً كتحويل اللبن إلى مشتقاته وصناعة آلات الطعام والارتفاق). كما أن شريحة كبيرة من العرب كانت تشتغل بالزراعة والفلاحة مما يفسر كثرة الكلمات المصطلحية التي تدخل في باب الزراعة.

وقد يلفت النظر أن نسبة كلمات (العلوم) هي ٧,٧٪.، ولكن يجب التنبه هنا على أن هذه الكلمات لم تستعمل مصطلحات للعلوم في القديم، ولكن الباحث المعاصر يرى إمكان الإفادة منها في حقل العلوم. كما أننا نميل إلى عد الدلالة الأصلية المجردة الحسية للكلمة أقرب إلى الدلالة العلمية، كما في كلمات مثل:

- الحت: القشر والفرك.
- التحات: التناثر.
- الحبك: الشد.

إذ سلكناها في باب العلوم، لأن الظواهر التي تدل عليها هي ظواهر فيزيائية.

أما كثرة المصطلحات الجغرافية والفيزيائية فيفسرها حاجة الإنسان – والبدوي خاصة – إلى تعريف معالم الأرضين والطرق والتضاريس.

خاتمة:

نعتقد أن هذا البحث أدى بنا إلى النتائج الآتية:

١- حتمية العودة إلى المعاجم اللغوية وتقصي مادتها اللغوية جذوراً وكلمات، للإفادة منها في وضع المصطلحات الحديثة.

٢- تُحَقّق المصطلحات اللغوية التراثية خاصية الأصالة، إضافة إلى درجة عالية من الدقة والسهولة والتوحيد.

٣- لا يمكن الإفادة من المعاجم اللغوية إفادة مقبولة ما لم تخضع مادتها اللغوية والدلالية للتهذيب والصقل وحسن التوليد، والتصنيف بحسب العلوم العصرية.

٤- إن مهمة الباحث اللغوي تقف عند حدود درس المعاجم اللغوية، واستخراج الكلمات المصطلحية التي تعد مشاريع مصطلحات يعرضها على المختصين العلميين.

٥- إن تقدير قيمة الكلمة التراثية وأهليتها لدخول حقل الاصطلاح العلمي، هو في النهاية من عمل المختصين العلميين وحقّهم.

٦- إن استخراج الكلمات المصطلحية من (لسان العرب) وغيره من المعاجم اللغوية يمثل استجابة عملية للنداءات والدعوات المتكررة التي أطلقها العلماء وهيئاتهم لجرد كتب التراث العلمي واللغوي واستخراج ما فيها من مادة لغوية قابلة للاصطلاح، تطلعاً إلى لغة علمية عربية هي من أهم وسائلنا لتعريب العلوم وتوطينها واستنباتها في مجتمعنا العربي.

التوثيق:

١- مؤتمر التعريب الثاني – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤٩/ ١: ١٨٨- ١٩٠.

٢- د. نسيب النشاوي – ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٥٦/ ٤: ٨٨٧ – ٨٨٩.

٣- أ. مصطفى الشهابي – المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ٩٣.

٤- د. مصطفى جواد – المباحث اللغوية في العراق: ٦٨.

٥- د. عبد اللطيف عبيد – ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي بدمشق. المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر: ٢١٤.

٦- لسان العرب، وعلى التوالي: (حبَر، حبس، حقل، حقن، حدج، ثول، حبش، حبض).

٧- الأكاديمية العربية للعلوم البحرية – معجم العلوم البحرية: ٢٩١.

٨- مجمع القاهرة – مجموعة المصطلحات التي أقرها المجمع – الجزء الثامن: ٦٣- ٧٩ (الصمام، الحزمة، الشبكة).

٩- د. أحمد شفيق الخطيب – تطوير منهجية وضع المصطلح العربي – مجلة اللسان العربي، ع ٤: ١٥٥.

١٠- د. محمد شرف – معجم العلوم الطبية والطبيعية – مقدمة ط٢: ٣٩.

١١- مجمع القاهرة – مجموعة المصطلحات التي أقرها المجمع – الجزء الثامن: ٦٣- ٧٩.

١٢- المجمع العراقي – مصطلحات هندسة إسالة المياه – مجلة المجمع العراقي، ع ١٥: ٢٢٨.

١٣- د. صلاح الدين الكواكبي – معجم مصطلحات علمية – مطبعة الجامعة السورية ط٢- دمشق (١٣٦١- ١٩٤٢).

١٤- د. يحيى مصطفى العجماوي وحسن محمود إسماعيل – معجم مصطلحات التكنولوجية الكيميائية: حرف السين.

١٥- المجمع العراقي–مصطلحات في السكك الحديدية – مجلة المجمع العراقي ع ٩: ٣٤٩.

١٦- مجمع القاهرة – مجلة مجمع القاهرة – ع ٤: ٣٩.

١٧- د. صلاح الدين الكواكبي – مصطلحات علمية: ٥١.

١٨- أ. مصطفى الشهابي – المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ٩٣.
١٩- جمال الدين الشيال – تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر في عهد محمد علي: ١٩٢- ١٩٣.
٢٠- د. صلاح أحمد وموفق دعبول وإلهام الحمصي – معجم الرياضيات المعاصرة – دمشق.
٢١- إبراهيم فتحي – معجم المصطلحات الأدبية – تونس.
٢٢- لسان العرب/ توق.
٢٣- لسان العرب/ أرن.
٢٤- لسان العرب/ حسفل، حسقل.
٢٥- د. عبد الرحمن الحاج صالح – ورقة مشروع الذخيرة اللغوية – مجلة اللسان العربي – ع ٤٧: ١٠٤.
٢٦- د. عبد اللطيف عبيد – ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي بدمشق – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق: ٢١٤- ٢١٥.
٢٧- د. محمد شرف – معجم العلوم الطبية والطبيعية: ٣٤.
٢٨- د. محمد جميل الخاني – اللغة العربية العلمية – مجلة مجمع دمشق مج ١٢/٤: ٥٥١- ٥٥٣
٢٩- أ. أحمد الأخضر غزال – المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات: ١٣- ١٤.
٣٠- أ. وجيه السمان – نظرة في المعجم الهندسي الموحد – مجلة مجمع دمشق مج ٥٦/ ٤: ٨٦٧.
٣١- د. ممدوح خسارة – مخاطر الاقتراض اللغوي – مجلة التعريب ع ١٧- ١٩٩٩.
٣٢- د. أحمد عيسى – التهذيب في أصول التعريب: ١١٣.
٣٣- د. عبد اللطيف عبيد – ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي بدمشق – المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق: ٢٠٧- ٢٠٨.
٣٤- ينظر: لسان العرب- طبعة دار المعارف: الفهارس.
٣٥- لسان العرب / حجر.
٣٦- لسان العرب / حجر.
٣٧- أ. مصطفى الشهابي – المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ٣٥.

٣٨- د. محمد هيثم الخياط - المصطلحات العلمية ونظرية الضرورة – الموسم الثقافي الأردني السابع: ٣٤.
٣٩- لسان العرب / بوأ.
٤٠- لسان العرب / تير.
٤١- لسان العرب / زرد. [لم ترد كلمة «الزردية» في اللسان – مادة «زرد»، وإنما جاءت عرضاً في اللسان، في مادتي «درع» و«حول»/ المجلة].
٤٢- لسان العرب /حوع.
٤٣- لسان العرب / حجر.
٤٤- لسان العرب / ورد. [ذكر اللسان «الوريد» وأطال في شرحه – مادة «ورد»، ولكن التعريف الذي أورده الباحث الفاضل قد جاء في اللسان – مادة «حبل»/ المجلة].
٤٥- لسان العرب / حبل.
٤٦- لسان العرب / تفا.
٤٧- لسان العرب / جحل.
٤٨- لسان العرب / بكر.
٤٩- لسان العرب / حشر.
٥٠- لسان العرب / جحش.
٥١- لسان العرب / بحر.
٥٢- لسان العرب / بلص.
٥٣- لسان العرب / بدد.
٥٤- لسان العرب / حجل.
٥٥- لسان العرب / حزأ.
٥٦- لسان العرب / بذر.
٥٧- لسان العرب / حنف.
٥٨- لسان العرب / جون.
٥٩- لسان العرب / لَحنَ.

معاجم الأبنية في العربية

«ديوان الأدب» للفارابي نموذجاً

د. محمد علي الزركان

ظهرت اتجاهات كثيرة في تنظيم المعجم العربي منذ ألّف الخليل بن أحمد معجمه «العين» حتى اليوم. وعلى الرغم من كثرة ما كتب حول المعجمات العربية وتاريخها[1]، فقد ظل نوع منها يشكو من قلة ما كتب عنه وضحالته، وهو ذلك النوع الذي رتبت كلماته بحسب الأبنية أو الأوزان، وهو ما أطلق عليه اسم (معاجم الأبنية).

وقد بدأ التفكير في أبنية اللغة في صورة حصر لأشكالها والتمثيل لكل منها[2]، وقد تم ذلك على أيدي النحاة، وكان سيبويه أول من ذكرها وأوفى من سطرها فقد أفرد لها في «كتابه» أبواباً جمع فيها ما عرفه من أبنية اللغة العربية، وقسمها تقسيماً كمياً مع فصل أبنية الأسماء عن أبنية الأفعال، وقد ذكر للأسماء ٣٠٨ بناءً بين ثلاثي مجرد ومزيد، ورباعي مجرد ومزيد، وخماسي مجرد ومزيد، وذكر للأفعال ٣٤ بناء بين ثلاثي مجرد ومزيد، ورباعي مجرد ومزيد[3].

ثم تلا ذلك تخصيص بحوث للأبنية في الكتب اللغوية، وهذه لم تتسم بطابع خاص، فمنها ما اهتم بذكر ألفاظ البناء والمشتبه فيها، ومنها ما تعلق بالأبنية التي يتعدد ضبطها، ومنها ما اختص بالأبنية النادرة.

---

(١)انظر مثلاً: (المعاجم العربية) للدكتور عبد الله درويش، و(المعجم العربي) للدكتور حسين نصّار، و(مقدمة الصحاح) للأستاذ أحمد عبد الغفور العطار.

(٢) (أبنية الأسماء) لابن القطاع.

(٣) انظر (الكتاب) لسيبويه:(٢/ ٣١٥، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٤٠).

وأهم ما ألف في هذا الاتجاه: (الغريب المصنف) لأبي عبيد، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة، و(المنتخب) لكراع النمل، و(الجمهرة) لابن دريد في أبوابها الأخيرة.

وقد صاحب هذه البحوث أو تلاها اتجاه معجمي أخذ شكلين:

أحدهما: وجه عنايته لأبنية الأفعال وحدها، سواء اهتم ببناء أو أبنية معينة منها، أو اهتم بها جميعاً وهو ما اختير له اسم (معاجم الأفعال).

وثانيها: فقد لبس ثوب المعجم الكامل الذي يهتم بذكر أبنية الأسماء والأفعال جميعاً، ويحاول حصر الكلمات المتعلقة بكل بناء، وهو ما سمي (المعاجم الكاملة)[٤].

معاجم الأفعال:

بدأ هذا النوع من المعاجم في فترة مبكرة لا تتجاوز القرن الثاني الهجري، وقد بدأ أولاً بشكل عناية بصيغتين اثنتين من صيغ الأفعال هما: (فعل) و(أفعل) ثم أخذ شكل المعجم الفعلي الكامل الذي يعرض للأفعال جملة ويذكر تحت كل بناء ما يخصه من كلمات.

ومن كتب النوع الأول:

١- (فعلت) و(أفعلت) لأبي حاتم، ت ٢٥٥هـ.

٢- (فعلت) و(أفعلت) للزجاج، ت ٣١١هـ.

٣- الأفعال (الثلاثية) و(الرباعية) لابن القوطية، ت ٣٦٧هـ.

ومن كتب النوع الثاني:

١- كتاب (الأفعال) للسرقسطي، ت ٤٠٠هـ.

---

(٤) ظهر شكل ثالث للاتجاه المعجمي تمثل بالعناية بأبنية الأسماء. وهذا النوع قد اهتم فقط بأبنية: (المقصور والممدود) كما فعل أبو علي القالي في كتابه (المقصور والممدود) ولذا كان من الصعب عده من أنواع المعاجم.

٢- كتاب (الأفعال) لابن القطاع، ت ٥١٥هـ.

٣- (مصادر) الزوزني، ت ٤٨٦هـ.

٤- (تاج المصادر) لبو جعفر ك، ت ٥٤٤هـ.

ومن المعاجم الكاملة:

١- (ديوان الأدب) للفارابي المتوفى عام ٣٥٠هـ أو ٣٧٠هـ.

٢- (ديوان لغات الترك) للكاشغري، المتوفى عام ٤٦٦هـ.

٣- (شمس العلوم) لنشوان بن سعيد، من رجال القرن السادس الهجري.

٤- (مقدمة الأدب) للزمخشري، المتوفى عام ٥٣٨هـ(٥).

معاجم الأبنية:

لم يبدأ هذا النوع من المعاجم إلا في القرن الرابع الهجري، والرائد فيه هو عالم لغوي مغمور لم يلق من الباحثين العناية الكافية، وهو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، وتلا معجمه معاجم أخرى سارت على نظام الأبنية بعضها تأثر به، وبعضها بعد عنه قليلاً أو كثيراً، وبعضها اختلف عنه اختلافاً كلياً. و لم يقف أثر الفارابي عند المعاجم العربية الخالصة، بل تجاوزها وأثر في المعاجم المزدوجة ذات اللغتين كما يتضح في معجم (ديوان لغات الترك) للكاشغري كذلك لم يقتصر أثره على المعاجم الكاملة، بل تجاوزها إلى معاجم الأفعال.

وقد كان القرن الرابع الهجري هو العصر الذهبي للمعاجم العربية بوجه عام ففيه ظهر معجم (الجمهرة) لابن دريد و(المحيط) للصاحب بن عباد و(البارع) للقالي و(تهذيب اللغة) للأزهري و(المجمل) و(المقاييس) لابن فارس و(الصحاح) للجوهري، وفيه أيضاً ظهر (ديوان الأدب) للفارابي(٦).

---

(٥) المعاجم العربية للدكتور عبد الله درويش، المقدمة.

(٦) المعجم العربي للدكتور حسين نصار، ١٧٦- ١٧٧.

«ديوان الأدب»

المقدمة

قدم الفارابي لمعجمه بمقدمة، تناول فيها مسائل عدة، ثم أتبعها المادة اللغوية موزعة على أبوابها بحسب أبنيتها على النحو الذي شرحه في مقدمته، وذيل معظم أبواب الأفعال بأحكام تصريفية.

عالجت مقدمة (ديوان الأدب) كثيراً من القضايا اللغوية والتصريفية كما تحدثت عن منهج المؤلف في تنظيم المادة اللغوية وترتيبها. وأهم ما حوته المقدمة:

١- الإشادة بقيمة اللغة العربية وذكر فضلها على سائر اللغات.

٢- الإشارة إلى مؤلفات اللغويين السابقين ونقدها نقداً إجمالياً، وذلك في قوله: «وقد ألف السلف رحمهم الله في جمع هذا اللسان كتباً كثيرة، تفاضلوا فيها وقيدوا منه فيها ما قيدوا، من موجز وغير موجز، ومعتدل بين المذهبين من غير أن يأتوا عليه، ومشير فيما صنف نخص به الطبقة العليا، ومقصر فيما جمع، فلم يعد بذلك أن عادهم في مذهبهم...».

٣- الإدلال بقيمة الكتاب والفخر بتصنيفه وذلك في قوله: «وقد أنشأت.. كتاباً عملت فيه عمل من طب لمن حب، مشتملاً على تأليف لم أسبق إليه، وسابقاً بتصنيف لم أزاحم عليه..».

٤- وتناولت المقدمة بعد ذلك الضابط العام الذي ينتظم كل ما حواه المعجم من مادة لغوية، وأنه مشروط بشروط هي:

آ – أن يكون مستعملاً .

ب – أن يذكره النحارير من علماء أهل الأدب في كتبهم.

ج – أن يكون وارداً في قرآن أو حديث أو شاهد من كلام العرب.

٥- ثم تحدثت المقدمة عن منهج المعجم وما سيذكر وما سيترك.

٦- وتخلل ذلك بعض البحوث التصريفية المرتبطة بنظام الكتاب مثل:

آ – تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وذكر علامات كل منها.

ب – الحديث عن أقل الأبنية وأقصاها، وعن حروف الزيادة ومواضعها.

ج – الحديث عن أبنية الأسماء مجردها ومزيدها، واستعمالات كل بناء من حيث الاسمية أو الوصفية، والإفراد أو الجمع.

وأهم ما يسترعي الانتباه في هذه المقدمة حديثها التفصيلي الدقيق عن منهج الكتاب، وإسهابها في شرح نظامه وخطته، ويرجع ذلك إلى تعدد جوانب هذا المنهج وتشعب نواحيه، فضلاً عما فيه من جدة وابتكار... وتبين عن رأيه في توقيفية اللغة ونسبة وضعها إلى الله، وهو رأي نادى به من قديم كثير من اللغويين. وهي بعد ذلك تدلنا على مقدرته الفائقة في فن الصرف والاشتقاق[٧].

المادة اللغوية ومنهجه في ترتيبها:

لقد فخر المؤلف بدقة نظام معجمه ووجود كل كلمة في مظنتها إذ يقول: «ورتبت كل كلمة فجعلتها أولى بموضعها بما يقدمها أو يعقبها، ليجدها المرتاد لها في بقعتها بعينها، رابضة من غير نص مطية أو آداب نفس».

أما هذا المنهج الذي اخترعه الفارابي وفخر به فتتلخص أسسه فيما يلي:

أولاً: قسم الفارابي كتابه ستة أقسام سماها «كتباً» وهي على الترتيب الآتي:

آ – كتاب السالم وعرفه بقوله: «ما سلم من حروف المد واللين والتضعيف».

(٧) محاضـــرات في علم اللغة/ الدكتور أحمد مختار عمر والمعاجم العربية، للدكتور عبد الله درويش وديوان الأدب، للفارابي – المقدمة.

ب- كتاب المضاعف، وعرفه بقوله: «ما كانت العين منه واللام من جنس واحد».

ج- كتاب المثال، وعرفه بقوله: «ما كانت في أوله واو أو ياء».

د – كتاب ذوات الثلاثة وعرفه بقوله: «ما كانت العين منه حرفاً من حروف المد واللين».

هـ- كتاب ذوات الأربعة وعرفه بقوله: «ما كانت اللام منه حرفاً من حروف المد واللين».

و – كتاب المهموز، وذكر السر في إفراد المهموز بكتاب فقال:

«والهمز كالحرف السالم في احتمال الحركات وإنما جعلت في حروف الاعتلال لأنها تلين فتلحق بها».

ثانياً: جعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين: أسماءً وأفعالاً، وقدم الأسماء على الأفعال.

ثالثاً: قسم كل شطر منها إلى أبواب بحسب التجرد والزيادة. ففي الأسماء سار على النحو الآتي:

الثلاثي المجرد (عنب) ثم ما لحقته الزيادة في أوله (إصبع ومذهب) ثم المثقل الحشو (حمّص) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين (طابع) ثم ما لحقته الزيادة بين العين منه واللام (سحاب) ثم ما لحقته الزيادة بعد اللام...

ثم الرباعي وما ألحق به (ثعلب) ثم الخماسي وما ألحق به (جرذحل)..

وفي الأفعال سار كما يلي: الثلاثي المجرد (ثقب) ثم ما لحقته الزيادة في أوله من غير ألف وصل (أترب) ثم المثقل الحشو (رتّب) ثم ما لحقته الزيادة بين الفاء منه والعين (جاذب) ثم الأبواب الثلاثة التي في أولها ألف وصل مما له في الثلاثي أصل (اجتذب – انسحب – استصعب) ثم ما لحقته الزيادة في أوله –

وهي التاء - مع تثقيل الحشو (تكلّم) ثم ما لحقته الزيادة في أوله — وهي التاء - مع زيادة بين الفاء منه والعين (تجاذب) ثم بابا الألوان وما أشبه ذلك (احمر واحمار) ثم أبواب الرباعي وما ألحق به أو زيد فيه (زعفر).

رابعاً: ولما كان كل باب من هذه الأبواب قد يشترك في عدة أبنية كالثلاثي المجرد من الأسماء الذي له تسعة أبنية، فقد وضع قاعدة لتقديم بعض هذه الأبنية على بعض، فابتدأ بالمفتوح الأول ثم أتبعه المضموم ثم المكسور، وقدم ساكن الحشو على المتحرك الحشو، وقدم ياء التأنيث على همزة التأنيث وقدم الهمزة على النون.

خامساً: كان البناء الواحد يخضع لتقسيمات أخرى مثل بناء (فعل) الذي قسمه إلى أصل هو (فعل) وفرعين هما (فعلة) بزيادة التاء و(فعلي) بزيادة ياء النسب.

أما كتاب الهمز فقد قسم أبوابه إلى ثلاثة أقسام هي: المهموز الفاء ثم المهموز العين ثم المهموز اللام. ورتب كل قسم من هذه الأقسام ناظراً إلى الحرفين الآخرين غير الحرف المهموز.

سادساً: ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشترك في الوزن الواحد، رأى ترتيب الأوزان بحسب حرفها الأخير مع أولها ووسطها، فيبدأ بالكلمات التي أواخرها الباء ثم التاء ثم الثاء... إلى آخر حروف الهجاء، فإذا وجدت كلمات اتحدت أواخرهن كان التقديم لما أوله أسبق في الترتيب الهجائي، فإذا وجدت كلمات اتحدت أواخرهن وأوائلهن كان التقديم لما وسطه أسبق في الترتيب الهجائي.

وقد عدل في ترتيب ألفاظ المعتل اللام أو المهموزها عن اعتبار الحرف الأخير لأنه واحد في جميعها، واعتبر الحرف الذي قبله مع الحرف الأول.

سابعاً: التزم في المزيد تجريده من الزوائد وترتيبه بحسب أصوله.

ثامناً: كان في كثير من الأبواب ولا سيما في شطر الأفعال يذيل الباب بتعقيب يتحدث فيه عن بعض الأحكام العامة المتعلقة بالباب.

تاسعاً: في أبواب المعتل كان يفصل الواوي عن اليائي ويقدم الأول منهما.

عاشراً: وضع مبادئ أخرى طبقها في معجمه وأهمها:

آ – تحقيق الإيجاز باستبعاد الكلمات القياسية.

ب – يكتفي بذكر أسماء البلدان والأودية والجبال والمفاوز ما لم يوجد شيء يتعلق بها فيصرح به.

ج – إذا جاء في معجمه فعل بلا مصدر فذلك يحتمل أحد شيئين: إما مصدره قياسي فهو داخل فيما صرح في مقدمته بإهماله، وإما أنه لم ينقل له مصدر عن الثقات.

د – كشف عن مواضع العلل بتقديم أحرى العلل بالقبول وأولاها بالذكر مع ترك سائر الأقاويل فيها(٨).

لماذا اختار الفارابي هذا النظام؟

عاش الفارابي في المئة الرابعة للهجرة، وأخرج معجمه في قرن عرف بقرن المعاجم ففيه ألف أكبر عدد من المعاجم المشهورة المعتمدة، وفيه أخذ المعجم الصورة المألوفة لنا، وفيه اتجه المعجميون إلى ترتيب الألفاظ ترتيباً هجائياً، وبدؤوا ينصرفون عن الترتيب الجاري على حسب المعاني.

---

(٨) الفارابي اللغوي وتحقيق مقدمة معجمه (ديوان الأدب) – مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٧ ج٢ نوفمبر ١٩٦١، د. أحمد مختار عمر.

وحينما قلب الفارابي المسألة على وجوهها ونظر في معاجم السابقين، واهتدى إلى موطن الداء فيها، أراد أن يؤلف معجماً يفوق معجم السابقين ويتلافى أوجه النقص فيها، فألف معجمه على هذا النظام الذي شرحناه، معتقداً أنه بلغ الهدف وأصاب الغرض، واهتدى إلى تأليف لم يسبق إليه، وسبق بتصنيف لم يزاحم عليه.

وإن هذا المنهج المركب الذي اختاره الفارابي كان نتيجة لعوامل عدة اشتركت في خلقه وتكوينه. وهذه العوامل هي:

١- اختار ترتيب الكلمات على الترتيب الهجائي المعروف، ولم يذهب في ذلك مذهب الخليل بن أحمد ولم يرتب ترتيبه «ميلاً إلى الأشهر، لقرب متناوله، وسهولة مأخذه على الخاصة والعامة».

ولكن إذا كان الفارابي قد طرح نظام الخليل لصعوبته وبعد تناوله، واختار الترتيب الهجائي المعروف؛ فلماذا رتب ألفاظه على حسب الحرف الأخير، ولم يرتبها بحسب حرفها الأول؟ والسبب أنه قارن ووازن بين النظامين في ذهنه ثم استبعد أحدهما وأخذ الآخر، فما سر اختياره؟ سبب ذلك هو الميل إلى الابتكار وحب السبق وإرادة التفرد بمنهج جديد والرغبة في التأليف على نظام غير مألوف، وهو مع ذلك لا يعدم فائدة ولا يخلو من نفع.

٢- إن هذا النظام يسر على الشعراء والكتاب النظم والنثر في عصر كان قد شاع فيه السجع وفشت المحسنات البديعية، والتزمت القوافي، مع قلة المحصول اللغوي.

٣- إن لام الكلمة ثابتة لا تتغير «مهما اختلفت صورة الكلمة إلا في حالات قليلة، ومتى لحقها التغيير أو زيد بعدها حرف أو حرفان فإن الكلمة تنتقل إلى أوزان أخرى ولا تعد من الثلاثي، بل تصير رباعية أو خماسية» في حين أن الفاء والعين لا تثبتان في موضع، فالترتيب على أوائل الحروف متيهة للباحث الذي لا يعرف التصريف.

٤- وقد كان في ذهن الفارابي فكرة حققها في معجمه، وهي فكرة الجمع بين نوعين من المادة اللغوية في مكان واحد، النوع المسموع والنوع المقيس.

أما النوع الأول فكان جل معجمه، وأما النوع الآخر فقد تحدث عنه في مقدمته وفي الفصول التي ذيل بها كثيراً من أبواب كتابه.

٥- أما فصله الأسماء عن الأفعال فشيء ضروري مادام قد رتب كتابه على أساس الأبنية، ونظمه أبواباً بحسب التجرد والزيادة، فإن حروف الزيادة ومواضعها تختلف في الأسماء عنها في الأفعال، ولكل من الأسماء والأفعال أبنيته وأوزانه.

٦- وأما تقسيمه الكلمات من حيث الصحة والاعتلال والتضعيف والهمز، فقد أراد منه إبراز خصائص كل نوع منها... وهو ما حرص الفارابي على الحديث عنه والإفاضة فيه.

٧- والكتاب بعد هذا يوافق روح العصر ويعكس طابعه في البحث وطريقة الدرس، ففي ذلك العصر كانوا قد فرغوا من جمع اللغة وحصرها، وتوجه همهم إلى الإحصاء والتتبع ووضع ضوابط التقصي لتسهل الإحاطة ويمكن التحدي حين المناظرة.

كما أن انتهاء عصر الاستشهاد جعل العلماء يبحثون عن ميدان جديد يزاولون فيه نشاطهم غير ميدان الاستقراء والتقييد. ولذلك نجد البحث اللغوي ينصرف إلى الانتقال بالمادة اللغوية المسجلة، ويحاول أن يخرج منها ببحوث طريفة أو بتنظيمها تنظيماً جديداً، ولذا ظهر في هذا العصر فنون لغوية جديدة.

كما كان لشيوع السجع والمحسنات البديعية في ذلك العصر وحاجة الأدباء والمتكلمين إلى الكلمات المتحدة الحرف الأخير أو التي على وزن خاص أو من نوع معين كان لذلك أثره في ترتيب الكلمات هذا الترتيب[٩].

التذييلات:

أتبع الفارابي كثيراً من أبواب الأفعال بفصول تذييلية تناول فيها بالتفصيل أنواع المشتقات، وتعرض لكثير من الأحكام التصريفية العامة، وكان غرضه من ذلك الجمع بين المادة اللغوية المسموعة والأخرى المقيسة، وبذلك يضم معجمه أكبر قدر ممكن من ألفاظ اللغة، ما لا ضابط له بالنص عليه، وما له ضابط بذكر قاعدته وكيفية اشتقاقه.

وكان تركيزه في هذه التذييلات على أمور:

١- بيان المصادر من كل باب.

٢- بيان النعوت من كل باب.

٣- كيفية أخذ اسم الزمان والمكان والمصدر الميمي.

٤- كيفية أخذ فعل الأمر وضبط ألفه في كل باب.

٥- معاني صيغ الزوائد، كقوله في باب (أفعل) قد يأتي بمعنى (فعل) مثل قولك سعده الله وأسعده.

٦- أحكام تخص بعض الأبواب دون بعض[١٠].

التعقيب: أهم ما نخرج به من هذه التذييلات:

---

(٩) مقدمة الصحاح للجوهري/ ١٢٢ ومقدمة دستور اللغة، لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم وعلي النجدي (في النقد اللغوي) بمجلة (رسالة الإسلام) السنة ١٠ العدد ٢.

(١٠) ديوان الأدب للفارابي ١٣٣- ١٤٨.

١- دلالتها على عقلية الفارابي الجدلية ومهارته في الاستدلال، ولباقته في التخريج وحسن تعليله الأحكام، وفقهه لغة العرب، ووقوفه على أسرار تصريفاتها.

٢- تكشف هذه التذييلات عن مكانة الفارابي اللغوية، وتدل على غزارة محفوظاته ووفرة محصوله، وسعة اطلاعه على لغة العرب، وتمكنه من ناصيتها.

٣- اشتمالها على كثير من النظريات اللغوية، ومنها ما لا يزال معترفاً به حتى الآن كنظرية (التوهم) أو ما يعرف الآن باسم القياس الخاطئ: كقوله في باب الافتعال (الاتزان)، وقد بنيت على هذا الادغام أسماء من (المثال) توهماً أن التاء أصلية.

٤- ظهور شخصيته فيها واهتداؤه إلى حقائق غابت عن د ـ ـ السابقين.

٥- بخصوص حديثه عن معاني صيغ (الزوائد) نلاحظ نه توصل إلى أشياء تحسب له وتعد من محاسنه، فمثلاً ذكر لصيغة (انفعل) أربعة استعمالات:

١- استعمالها مطاوعة لفعل وهو الأصل.

٢- استعمالها موافقة لفعل نحو: همل الدمع وانهمل.

٣- استعمالها مطاوعة لأفعل نحو: أزعجه فانزعج.

٤- استعمالها دون أن يكون لها فعل متعد نحو: انسرب الثعلب في جحره.

ملاحظة: ولكنه يؤخذ عليه هنا أنه لم يتحرر كلية من تبعية السابقين، فكان في معظم ما ذكره من معاني هذه الصيغ ناقلاً أو متبعاً[١١].

«ديوان الأدب» في الميزان:

كان (ديوان الأدب) فتحاً جديداً في تاريخ المعاجم العربية، ودفعة موفقة إلى الأمام في ميدان البحث اللغوي، وترجع قيمته اللغوية إلى الأسباب التالية:

---

(١١) المرجع السابق/ ١٧١ وما بعدها.

١- ترتيب كلماته على الترتيب الهجائي المعروف، وسيره على نظام الباب والفصل، وهو أول معجم سلك هذا النظام، وأخذه عنه أصحاب المعاجم من بعده، وعلى رأسهم تلميذه وابن أخته «الجوهري» صاحب الصحاح.

٢- أنه أول معجم عربي جامع اتبع نظام الأبنية في ترتيب الألفاظ.

٣- طرحه نظام التقاليب الذي بدأه الخليل واقتفى أثره اللغويون من بعده، وبذلك فتح الباب أمام المعاجم العربية لتتخلص من طغيان شخصية الخليل وتكف عن الدوران في فلك نظامه.

٤- منهج الكتاب منهج مبتكر ناضج قليل التأثر بالسابقين.

٥- تركه المقيس من ألفاظ اللغة اكتفاء بذكر قاعدته في المقدمة وفي الفصول التذييلية. وأمكن أن يجمع فيه — على صغر حجمه — كثيراً من المادة اللغوية.

٦- تخليصه الواوي من اليائي وإفراده بالذكر كل واحد منهما.

٧- ترتيب المعجم على نظام الأبنية وجمع الكلمات التي على شاكلة واحدة في صعيد واحد يفيد الصرفيين كثيراً، ويطلعنا على خصائص الأوزان، وما يفيده كل بناء من الأبنية.

٨- فصله بين السالم والمضاعف وأنواع المعتل والمهموز يفيد الباحث اللغوي ويهديه إلى خصائص كل نوع.

٩- كذلك فإن فصله بين قسمي الأسماء والأفعال وإفراد أبنية كل نوع بالحديث يهدينا إلى خصائص كل قسم، فحروف الزيادة ومواضعها تختلف في الأسماء عنها في الأفعال.

١٠- من عيوب المعاجم أنها كثيراً ما تهمل النص على باب الفعل الثلاثي مما يوقع الباحث في حيـــرة. وقد تغلب الفارابي على هذه المشكلة بتوزيعه الأفعال على أبوابها، فليس في معجمه فعل واحد لم يُرَدَّ إلى بابه(١٢).

---

(١٢) محاضرات في علم اللغة، د. أحمد مختار عمر — والفارابي اللغوي للمؤلف نفسه.

وأما عيوب المنهج فأهمها:

آ — منهج الكتاب معقد بشكل يرهق الباحث ويسبب له المشقة والعنت حتى يصل إلى الكلمة التي يريدها، فهو منهج لا يسعف الباحث المتعجل.

ب — أرغمت هذه الخطة المؤلف على تمزيق الصيغ التي ترجع إلى مادة واحدة وتوزيعها على أبواب مختلفة بحسب أوزانها.

ج — أساس الاستفادة من هذا المعجم معرفة ضبط الكلمة أولاً، ولهذا فهو يصلح لمن يريد أن يقف على معنى كلمة يعرف ضبطها، ولكنه لا يصلح لمن أراد أن يقف على ضبط كلمة يعرف مدلولها.

المصادر والمراجع

١- الأفعال الثلاثية والرباعية، ابن القوطية.

٢- ديوان الأدب، الفارابي.

٣- فعلت وأفعلت، الزجاج.

٤- كتاب الأفعال وأبنية الأسماء، ابن القطاع.

٥- الخصائص، ابن جني.

٦- الكتاب، سيبويه.

٧- كتاب العين، الخليل بن أحمد — تح د. عبد الله درويش.

٨- المعاجم العربية، د. عبد الله درويش.

٩- المعجم العربي، د. حسين نصار.

١٠- محاضرات في علم اللغة، د. أحمد مختار عمر.

١١- مقدمة الصحاح، أحمد عبد الغفور العطار.

١٢- الفارابي اللغوي، د. أحمد مختار عمر — مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٧، ج٢.

١٣- دستور اللغة، أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم.

١٤- النقد اللغوي، علي النجدي، مقال بمجلة رسالة الإسلام سنة ١٠، عدد ٢.

في سبيل معجم تاريخيّ – محاولة في التأصيل

أ. د. إسماعيل أحمد عمايرة

المعجم التاريخي للغة مطلب حضاريّ، يتجاوز تحقيقه الوفاءَ بالجانب اللغويّ، إلى وفاءٍ بمتطلباتٍ كثيرةٍ تحتاج إليها علوم متعددة تشمل مناحي الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعيّة، في الماضي والحاضر على حدّ سواء.

ولذا كان المعجم التاريخي للغة مشروعاً يحتاج إلى تضافر المتخصصين على اختلاف تخصّصاتهم، كلّ يدلي بدلوه في ما يفي بحاجة تخصصه في هذا المشروع الهائل الذي يُعَدُّ سِفْر الأمّة الشامل، بل ثوبَها الذي اشتمل على جَسَد تجربتها منذ مدارج طفولتها، مروراً بكل طور من أطوارها.

وأحسب أن مشروع المعجم التاريخي يحتاج إلى دراسات كثيرة سابقة، يمكن أن تكون فردية أو مؤسسيّة، تعالج موضوعاتٍ جزئية، وتكون بذلك ممهّدة بعضَ جوانب الطريق أمام هذا المشروع المؤسسي الكبير.

وهذه الدراسة – حلقة في سلسلة دراسات سابقة أخرى – تناولتُ فيها جزئيات أحسب أنها مفيدة في سبيل المشروع المنتظر، وأذكر من هذه الدراسات:

– كتاب العدد، وهو دراسة تأصيلية مقارنة تناولت ألفاظ الأعداد العربيّة.

– ومعالم دارسة في الصرف، وهو تأصيل مقارن لبعض الظواهر الصرفيّة، وما اعترى كثيراً من صيغ العربيّة وأوزانها من زيادات كانت قياسيّة، ثم بطل القياس بها، مما أدّى إلى توهم الأصالة في ما كان زائداً.

– وخصائص العربيّة، وفيه تأصيل لبعض الظواهر الصرفية والتركيبية للعربيّة، وهي دراسة مقارنة تسعى إلى إظهار مدى التطور الذي جعل العربيّة تتميّز عن شقيقاتها.

– وظاهرة التأنيث بين العربيّة واللغات الساميّة، وهي دراسة تأصيلية مقارنة ترمي إلى تأصيل هذه الظاهرة الصرفيّة، في العربيّة وشقيقاتها.

– ونظرة مقارنة إلى المدرسة النحويّة العربيّة من خلال باب الشرط، وهي دراسة تأصيلية لباب الشرط.

– ونظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني في ضوء اللغات الساميّة.

– ومقطع المضارعة بين العربيّة واللغات الساميّة، وهي دراسة صوتيّة مقارنة، تبحث ظاهرة التلتلة، أي كَسْر الصوت الأول من مقطع المضارعة، وعدم التلتلة أي فتح الصوت الأول من مقطع المضارعة.

– و«في التطور الصوتي للعربيّة»، وهي دراسة تأصيلية مقارنة لبعض الأصوات العربيّة وهي أصوات القلقلة، والأصوات الانفجارية.

– ومناهج التأصيل في التراث اللغوي، مَثّلَ من كتاب المنصف (شرح التصريف لابن جني). وهي دراسة تأصيلية مقارنة تستدرك على ما فات النظرة المعياريّة التي اتسم بها القدماء.

– وظاهرة تكرار المعاني في المعجم العربي، وهي دراسة تأصيلية مقارنة لبعض الجذور المعجميّة.

– نمو الجذور اللغويّة، وهذا البحث نظرات تأصيلية في المادة المعجميّة.

– تأصيل الجذور اللغويّة — في سبيل معجم تاريخي. وهذا البحث يسير في مسار البحث السابق.

وأحسب أن البحوث الثلاثة الأخيرة من أكثر الدراسات السابقة التصاقاً بمادة هذا البحث الذي أتقدم به إلى مجمع اللغة العربيّة الموقر في دمشق، فهو استكمال لها، ونسج على منوالها، في عمل متواصل، يرجى به أن يستوعب أكبر قدر من المادة المعجميّة.

وتقوم فكرة البحوث الثلاثة على التتبع التاريخي لتلك المواد المعجميّة التي تلتقي، ولو في بعض معانيها المتعددة، وفي أصواتها أو بعضها التي يمكن التقريب بينها. فالمعنى – أي المضمون – والصوت – أي الشكل – ركيزتان أساسيتان لا يقوم بناء هذا النوع من البحث إلا بهما معاً، وأداتان مهمتان ينبغي أن يتم العمل بهما في إثبات أن المواد المتنوعة تعود تاريخياً إلى أصل واحد، ومادةٍ واحدة. ومع التطور التاريخي واختلاف المكان والزمان وضغط الحاجة لمواجهة أغراض التطوّر، أخذت اللغة تميل إلى توظيف الأشكال المتنوعة للنطق، التي أسفر عنها التطور. وقد ظل المعنى المشترك بينها أثراً من آثار التقائها في أصل واحد نطقاً ومعنى. وهنا يأتي دور المنهج المقارن في الكشف عن المعنى الأصلي المشترك، فما التقت عليه اللغات الشقيقات، مؤشر إلى أنه الأصل أو الآصلُ، أي الأقدم، من بين المعاني المتعددة التي تكون للمادة الواحدة. كما أن استعمال القوانين الصوتية التي تحكم الظواهر المشتركة بين اللغات الشقيقات قد يُسعف في معرفة ذلك الأصل الذي كانت عليه المادة. ونمثل لذلك بمَثَلٍ يسير، فإن كانت كلمة عربيّة تنطق بالسين وبالشين فإن في مقدورنا أن نرجح أصالة السين، إذا كانت مقابلتها العبريّة والآرامية بالشين، وإن كانت كلمة في العربية تنطق بالضاد وبالصاد، فإن مقابلها في العبريّة يُتوقع أن يكون صاداً ومقابلها الآرامي عيناً، وفي هذا ما يرجح أصالة الضاد لا الصاد.

فالتقاء مادتين أو أكثر، في الشكل الصوتي والمضمون، مؤشّر قوي على التقائها في أصل واحد، وأما افتراق المادتين أو المواد في بعض المعاني افتراقاً بائناً مع ما يجمع بينها من جانب آخر – شكلاً صوتياً ومضموناً – فمرده إلى احتمال من احتمالين:

احتمال أن تكون كل مادة، بعد استقلالها عن الأخرى، قد اكتسبت في مسيرها الخاصة، معاني خاصة لم تكتسبها المادة الثانية، وتكون المادة الثانية، قد اكتسبت هي الأخرى، معانيَ خاصة بها. وبهذا تكون كل مادة قد بدأت تبتعد عن الأخرى في مسيرها الخاصة، وتكتسب لنفسها معاني مستقلة. وأمثلة ذلك كثيرة كما في رصّ، ورضّ، ورسّ، ورسا، ورصا، ورصف ورضف. وأما الاحتمال الثاني، فأن تكون المادة الأصلية ذات معنى يبتعد أصلاً عن مادة أخرى، هي أصلية أيضاً في دلالتها على معناها المغاير. ولكن إحدى المادتين حين انحرف النطق ببعض أصواتها، صادفت بذلك الانحراف قُرباً من المادة الأخرى، أو تماثلاً في النطق معها، وبذا يكون الشكل الواحد للنطق بالمادتين المتباينتين أصلاً، قد أدى إلى أن يعالج اللغويون المعنيين الأصليين للمادتين المتباينتين تحت مادة واحدة، مادام نطقهما قد توحّد، ومن أمثلة ذلك ترز وزمر، وطبن وتبن.

وأحسب أن الباحث بشيء من الرفق، يمكن أن يلمس ذلك القدر الجامع، والخيط الرفيع من الشبه، بين المعنى الأصيل للمادة الأصليّة، وما تفرع عنه من معانٍ اكتسبتها الأشكال النطقية المتعددة التي انحرفت عن الشكل النطقي الأصيل. فإن أعياه الأمر، كان من حقه أن يميل إلى أن المعاني التي لا يسهل ردّ بعضها إلى بعض، تعود إلى أنها من أثر دخول مادة تختلف

أصلاً في نطقها عن المادة الأخرى، وتلتقي عرضاً بها، من أثر الانحراف اللهجي، أو لأي سبب من أسباب التطور، الذي أدى إلى اختلاف النطق.

لاشك في أن جهود المعجم التراثي ثرّة في توفير أسباب النظر التاريخي الذي يستهدف ملاحظة التطور، وأثرَه على الظواهر اللغويّة. بيد أن المعجم التراثي لم يكن تاريخياً يسعى إلى رصد التطوّر وأسبابه، وإنما هو معياري يبتغي رصد اللغة في زمن معين، وبيئات لغويّة محددة. هذه الثروة الضخمة من المادة المعياريّة، بما تتضمنه أحياناً من إشارات تاريخيّة، يمكن أن تساعد في إعادة تنظيمها تنظيماً تاريخياً تطورياً.فكثيراً ما أشار المعجم التراثي إلى أن المعنى الحسي يمكن أن يكون أصلاً للمعنى المعنوي، فالكُفْر بمعنى الغطاء أسبق من الكفر الذي هو ضد الإيمان، والمَلَقَة بمعنى الصخرة الناعمة القاسية أسبق مما تطور عن ذلك من مفهوم التملّق والرياء.

وأحسب أن الجهود المعجميّة لكل من اللغات شقيقات العربيّة: كالأكادية والآراميّة والعبريّة والحبشيّة والسبئيّة وغيرها، قد هيأت الفرصة للنظرة المقارنة التي هي من أهم مستلزمات التأصيل اللغوي التاريخي، وبخاصة أن النصوص العربيّة القديمة التي وصلت إلينا تعدّ حديثة نسبياً، إذا ما قورنت بالعمق الزمني للنصوص التي وصلت إلينا من أخواتها، فالنصوص الأكاديّة يعود بعضها إلى ٢٤٥٠ ق. م والأوغاريتيّة إلى نحو ١٣٠٠ ق. م.

لقد سعت هذه الدراسات إلى الوصول إلى قناعة مؤدّاها أن كثيراً من هذه الألفاظ تعود إلى أصل واحد، وقد أدت رحلة التطوّر إلى تفاقم الاختلاف بينها لفظاً ومعنى. أما تباينها اللفظي فقد كان متفاوتاً، إذ كان واسعاً في بعضها، طفيفاً في آخر. وكذلك كان تباينها في المعنى. لكن في

وسع المرء أن يلتمس التعليلات اللازمة للرجوع بالمواد المتباينة إلى المبنى الأول الذي صدرت عنه. وكثيراً ما كان اختلاف البنى عائداً إلى أسباب صوتية كالتقارب الصوتي في: جأر وجعر، وتير وثبر، وأبن وأبل، وكيأ وكيع وكأكأ وكعكع، وسكّ وشك، وتوب وثوب وثيب، وسبك وسفك، وأبن وعبن، وأبل وعبل، وسحّ وشحّ.

ومن الأسباب الصوتية فك الإدغام كما في فقّع وفرقع وقنفع، وخرّب وخرنب، وخزّر وخنـــزر وفسّح وفرسح، وذعّط وذعمط.

ومنها القلب المكاني الذي أصبحت فيه فرقع: قرفع، وفنقع: قنفع، وصعق وصقع، وزعق وعزق، وفصل وفلص.

ومنها الأقيسة المهجورة الذي ترتب عليها عدّ بعض الأحرف الزائدة أحرفاً أصليّة كما في نبس، وسنبس، وثكل وعثكل ورقش وبرقش.

وكان لتباين اللهجات بين القبائل المتباعدة مكاناً وزماناً، أثر في تباين الألفاظ، فقد أدى تداخل المشتقات إلى اختلاف أصولها كما في عين ومعن، وكما في برأ وبرى وورى، ولأم ولوم وليم، وثنن ومثن.

وقد أدى التباين اللفظي مع مرور الزمان إلى تباين في المعنى، إذ وظّفته اللغة وخصصته، وقد أخذت اللغة تتعامل مع كل شكل من أشكال التباين كما لو كان مادة مستقلة، إذ أكسبته معنى أو معاني واستعمالات جديدة، بيد أن المعنى القديم الذي كان للأصل الأول، ظلّ يسري — في الغالب — في كثير من تلك المواد المتباينة، وظلت تحمله الأشكال المتطورة في صورها المستقلة، بما ينبئ أنها كانت تعود إليه قبل استقلالها.

وقد تُستخدم المادة الواحدة ابتداء بمعنيين متباينين، كدلالة مادة صفر على اللون، وعلى الصوت، وقد شقت المادة الواحدة طريقها للتعبير عن المعنيين المتباينين أصلاً.

وقد عادت بعض المواد إلى أصول ثنائية، ثم اتسعت فأصبحت ذات أصول ثلاثية، نحو: فص وفصل، وفلّ وفلن.

كما أدى تباين اللهجات إلى عد العين في عصفور وعربيد أصليّة، وواقع الحال أنها من صفر وربد، ثم صيغت على وزن أفعول أو إفعيل، ثم قلبت الهمزة عيناً، على لهجة من يبدلون الهمزة عيناً. ومن ذلك أثكول التي أصبحت عثكول.

لقد أسعفت المقارنات اللغويّة في الوقوف على المعاني الأول، كما أسعفت في الوقوف على المباني الأول لكثير من الأشكال المتطورة عنها في سبيل أن تُنار المسيرة التاريخيّة لنشأة بعض مواد المعجم، وبقصد أن يُفسّر التقارب بين الألفاظ والمعاني في مواد معجميّة كثيرة. وعلى أن الأدلة في البحث التاريخي بعامة، تظل تتأرجح بين القوة والضعف في وضوحها وإقناعها، غير أنها تفتح الباب للنقاش الذي يجلي الأمور فيصل إلى الحقيقة أو يدانيها. فقد أسعفت جهود مماثلة أمماً غيرنا في تحقيق أحلامهم في معجم تاريخي، فعسى أن يكون هذا الجهد وجهود أخرى بُذلت أو ستُبذل، محطات على هذه الطريق، ونحو هذا الهدف.

تبر – ثبر

يُحس المرء ببُعد بيّن بين بعض المعاني التي وردت تحت مادة تبر، فالتِّبر: الذهب. وقد يطلق على الفضة والزجاج والنحاس، وغير ذلك مما سماه ابن منظور جواهر الأرض. والتَّبار الهلاك والتدمير، وكل مكسَّر تِبْر.

وقد يكون الجامع بين المعنيين أن التبر يطلق على الفتات من الذهب والفضة قبل أن يُصاغا. فإذا صيغا فهما ذهب وفضة، فإذا ضُرب أيّ منهما دنانير فهو عَين. وعلى هذا فالتتبير للذهب وهو فتات.

ويبدو أن الفتات من غير هذه المعادن والجواهر قد أطلق عليه اسم يعود إلى مادة تبر. فالنخالة (القشرة) التي تكون في أصول الشَّعر تدعى: تِبْرية، وعلى هذا يكون التفتيت والتكسير والتحطيم، ومن ثم الهلاك، هي المعاني الأصلية لمادة تبر.

وقد التقت مادة تبر وثبر في الدلالة على الهلاك. فالمثبور: الهالك، والثُّبور: الهلاك. والثُّبْرة نوع من التراب. فهل تعود مادة ثبر وتبر إلى أصل واحد، وهو التفتيت والتكسير؟ وتبادل التاء والثاء ظاهرة معروفة.

أما المادة التي قابلت هاتين المادتين في بعض شقيقات العربيّة، فهي في العبريّة مادة שבר ، ومن ذلك שָׁבַר šābar وتعني كسّر وحطّم و נִשְׁבַּר nešbar انكسر وتحطم وتفتّت، و שֶׁבֶר šeber الشظية، والكسرة، والبليّة[1]. وفي الآرامية بالتاء תבר وهي كذلك في السريانية[2]، ܬܒܰܪ tabar كَسَر وܬܒܺܝܪܽܘܬܳܐ tbīrūṯā كَسّر، وܬܶܒܪܳܐ tēbrā جزء، وܬܒܳܪܳܐ tbārā مصيبة، تَبار، خراب. وغني عن القول أن التاء والثاء كل منهما تلوين صوتي (ألفوني) للأخرى[3]. ولا فرق بينها في المعنى في كل من الآراميّة والسريانية والعبريّة.

---

(١) انظر Gesenius 804، Fürst II 406 وربحي كمال (المعجم الحديث) ص ٤٦٣ — ٤٦٤.

(٢) Costaz 387.

(٣) انظر ضوابط هذا التلوين الصوتي في بحث: ظاهرة بحد كفت بين العربية واللغات السامية، لدى عمايرة: (بحوث في الاستشراق واللغة) ص ١٧١- ١٩٤.

وأما العربيّة الجنوبية (السبئية)(٤)، فقد استخدمت فيها مادة ثبر بمعنى خرّب وفي الحبشيّة(٥) sabara، yasbar يكسّر، يُتبّر، وفي الأكاديّة(٦) seberu من شبر، بالشين وهي بمعنى كسّر، وتبّر.

والمعلوم أن هذه الأصوات الشين والسين والتاء والثاء تتبادل في أسرة اللغات التي تنتمي إليها العربيّة. ولذا فإن التقاء جميع هذه المواد مسوّغ لفظاً ومعنى. أما ما بينها من اختلافات فمرده واحد من اثنين:

– تطورها عبر رحلة الزمان والمكان، واكتسابها في كل تطور من تطوراتها في مسيرته الخاصة، معاني خاصة به. وهذا ما يمكن استيعابه بلمس ذلك الخيط الرابط بين المعاني المتقاربة في المواد كلها.

– مصادفة هذه المواد مواد أصلية مستقلة عنها صوتاً ومعنى. وعندئذ يكون الفرق بين صوت وصوت فرقاً معنوياً أصيلاً (فونيميّاً)، ثم تكون المادة الأصليّة، قد أضيف إليها عبء معانٍ أخرى ليست لها. ويكون الالتقاء بين المادتين التقاء عارضًا.

ذعط – ذعمط – سحط

جاء في مادة ذعط أن ذَعَطْتُه وسَحَطْتُه تعنيان: ذَبَحْته. ويقال الذعمطة – بزيادة الميم – بمعنى الذبح. وقد أفرد كل من ذعط وسحط وذعمط بمادة مستقلة في المعجم. وعلى هذا تكون الحاء قد تبادلت مع العين. وهما صوتان حلقيان يقع التبادل اللهجي بينهما. وقد جاء في شحط

(٤) انظر Beeston 149.

(٥) انظر Leslau 485.

(٦) انظر Von Soden III 1206.

معنى الذبح، فَشَحطه وسَحَطه: ذبحه. والتبادل بين صوتي: السين والشين معروف في العربية وأخواتها. وقد تتبادل الذال والسين عبر السين. كما هي الحال في مِسْلَفة (آلة تسوى بها الأرض) وמַזְלֵף mazlef في العبرية، وهي المسلفة، وكما هي الحال في: زلف في الكلام إذا زاد، ويقابلها في العبرية סֶלֶף sellēf بالمعنى نفسه[٧].

وقد تقابلت المادتان: سحط العربية وشحط العبرية[٨]، ومنها שָׁחוּט šāhut بمعنى ذبيح ومسلول، وיִשְׁחֵט yišhēt يذبح. وقد جاءت هذه المادة بالشين في الأكادية[٩] ومنها sahatum أي الذبح. وأحسب أن السخط في العربية، وهو الغضب القاتل في مقابل šahātum في الأكادية.

ثكل – عثكل

جاء في اللسان أن الأُثكول لغة في العُثكول[١٠]، وهو العذق، كعرجون النخلة. وأصل المعنى من القطف لكل ما هو معلق أو معقود أو مجدول. ولذا قيل العثكول: «ما علق من عِهْن أو صوف أو زينة فتذبذب في الهواء»[١١]. وقد ورد مفهوم القطف والانعقاد والتعليق في معاني هذه المادة في العبرية، التي قابلت فيها الثاء الشين، ومن ذلك שָׁבַט

(٧) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث) ص٢١، ٢٣.

(٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث) ٤٧١، وانظر Gesenius 818).

(٩) انظر Von Soden III 1131.

(١٠) انظر ابن منظور (اللسان: ثكل) ١١/ ٨٩.

(١١) انظر ابن منظور (اللسان: عثكل) ١١/ ٤٢٥.

šākal. وقد دلّت أثكول في اللغتين: العربيّة والعبريّة[١٢] على ما يقطف. ولذا سُمّي عنقود العنب: القِطْف[١٣] وهو في العبرية אֶשְׁכֹּל eškol.

وأحسب أن انتقال ثكل إلى معنى الموت، جاء من أن الموت شُبّه بقطْف الحياة. فالأم التي ثكلت ولدها كالنخلة قُطف عُرجونها، أو الكَرْم التي قطف عنقودها. وعلى هذا يكون المعنى الأصلي لثكل ليس هو الموت، وإنما هو القطف، ويكون المعنى الأصلي للعثكول: الذي يُعلّق فيقطف.

ثجج – سحح – شحح

تعني ثجّ تدفق بغزارة، يقال هذا للماء والدم وكل سائل. وقد يستعار للخطيب، فيقال: خطيب مِثَجّ، أي يصبّ الكلام صبًّا، وهي معان وردت في مادة سحّ. ومن مجازات سَحّ أن قيل: جواد سَحّ، أي سريع يصب الجري صبّاً. وأما شَحّ فتدفق بدرجة أقل، ومنه جاء البُخْل مجازاً. وقيل أرض شَحاح «تسيل من أدنى مطرة كأنها تَشِحّ على الماء بنفسها. إلا أن شحّ التقت مع سحّ وثجّ في بعض استعمالاتها، فالخطيب الشَّحْشَح: الماهر خُطبته الماضي فيها. ومن ذلك قيل: غراب شَحْشَح كثير التصويت، والشَّحْشَحة: الطيران السريع. وقد وصف الحمار خفيف الحركة بمادتي السين والشين، فقيل: حمار سَحْسَح وشَحْشَح[١٤].

وقد قابل هذه المواد العربيّة שָׂחָה sāhāh بالسين والحاء في العبريّة والآراميّة אסחט والسريانية ܣܚܛ وهي بمعنى تدفق وصب[١٥].

(١٢) انظر Fürst II 444.

(١٣) انظر ابن منظور (اللسان: قطف) ٩/ ٢٨٥.

(١٤) ابن منظور (اللسان: شحشح) ٢/ ٤٩٧.

(١٥) انظر Fürst II 431.

سحف – سحفن – شحف – سخف

جاء في مادة شحف أن الشَّحْف: قَشْر الجلْد، وأنها لهجة يمانية[١٦]، وفي مادة سحف أن السَّحْف كشْطك الشعر عن الجلد حتى لا يبقى منه شيء، وسَحَفَ الشيء قشره، وسَحَفْتُ الشحم عن ظهر الشاة سَحْفاً إذا قشرته، وما قشرته فهو السَّحيفة، أي القطعة الرقيقة من الشحم، وجمعها سحاف. وأرض مَسْحَفَة: رقيقة الكلأ، والسَّحوف من الغنم: رقيقة صوف البطن. والرجل المسحوف: المسلول لرقته، ويقال السحيف للسهام والنصال. وعلى هذا فإن سَحف دلّت على رقة الشيء. وقد تزاد النون إلى سحف فيقال: رجُل سُحَفْنية أي محلوق الرأس.

وقد التقت سحف وسخف في الدلالة على الرقة. فالسّخافة رقة السحاب والسِّقاء والثوب، ورقة العقل. وأرض مسخفة: قليلة الكلأ. وهي المعاني التي مرت في سحف.

فلا يخفى أن هذه المواد: سخف وسحف وشحف لا تحتاج إلى كبير عناء في تقريب أصواتها: الخاء والحاء، ثم السين والشين.

وأما المادة العبريّة[١٧] المقابلة فهي بالشين שחף šahaf، وهي تحمل المعاني نفسها. ولعلّ في هذا ما يؤكد أصالة السين العربيّة، إذ اعتدنا أن نجد المواد العربيّة ذات السين، تقابلها في العبريّة الشين.

ترز – ترمز – رمش – زمر – زنو – زبو

يبدو أن الأصل في معنى تَرَزَ أو ترِزَ (بكسر الراء وفتحها): يَبس، وصَلُبَ ومنه: أترزت المرأة العجين إذا أيبسته، وأترز الجريُ لحم الدّابة:

(١٦) انظر ابن منظور (اللسان: شحف) ٩/ ١٦٨.

(١٧) انظر Fürst II 433.

صلّبه. وقد اقترن اليَبَس بالموت. قال ابن منظور: سُمّي الميّت تارزاً لأنه يابس. والتمرة التارزة: اليابسة. وماء تارز: جامد.

وقد جاء هذا المفهوم في بعض اللغات شقيقات العربيّة، ففي العبريّة תָּרַשׁ tāraš بالشين، وفي الآراميّة תְּרַץ teras بالصاد، وكذلك بالسريانية ܬܪܨ بالصاد[١٨]. وقد جاءت תָּרַץ tāraz بالزاي، في العبريّة دالة على الصلابة كذلك[١٩].

وأحسب أن الميم في تَرْمز قد جاءت من باب فك الإدغام في ترّز. وقد أشار المعجم إلى أنها تدلّ على الشّدة. وهي بهذا المعنى تعود إلى مادة ترز. ومن ذلك أن البعير التُّرامز: القويّ الشديد[٢٠].

بَيْدَ أن مادة ترمز قد تضمنت معنى آخر، وهو من أثر التقائها بمادة أخرى، وهي رمز، إذ تدل كل من رمز وترمز على الحركة: فالتُّرامز من الإبل: «الذي إذا مَضَغَ رأيت دماغه يرتفع ويَسْفُل» وارتمز رأسه إذا تحرك. من رمز جاء الرَّمز أي التحريك، كتحريك الشفتين، أو العينين. وقيل للبحر: الرّاموز لحركته. والكتيبة الرّمازة التي تموج وتضطرب لكثرة حركتها.

وقد دلت مادة رمس بالسين على الحركة في العبريّة[٢١] רָמַשׂ rāmas، وبذا تكون قد التقت رمس العبريّة برمز ورمش العربيتين. وعلى هذا فإن رمز وترز قد تركت كل منهما بعض معانيها في مادة تَرمز. وأحسب أن

(١٨) انظر 544، Fürst II 546.

(١٩) انظر Fürst II 544.

(٢٠) انظر ابن منظور (اللسان: ترمز) ٥/ ٣١٥.

(٢١) انظر Fürst II 374.

أبا بكر ابن السّراج[٢٢] قد أصاب وأخطأ في آن واحد، إذ حكم بأن التاء في ترمز زائدة. فهو مصيب في عدّها زائدة في تلك المعاني التي تلتقي فيها ترمز بـ: رمز.

وبذا يكون قد أخطأ في عدّ التاء أصليّة في تلك المعاني التي تلتقي فيها ترمز بـ: ترز.

وقد أشار القدماء إلى التقاء مادة رمز بـ: زمر. فالزّمارة والرّمازة: الزانية. وسواء أكان سبب تسميتها بذلك يعود إلى أنها تغني، أو أنها تومئ بشفتيها وبعينيها وحاجبيها، أي تحركهما وهذا هو معنى رمز، وهو معنى متحصّل في زمر، وهو ما تعنيه من اهتزاز الصوت في القصبة. وقد قيل زَمَرت النعامة تَزْمِر زماراً إذا صوتت. وقد تبادلت الميم والنون فقيل: زَنْراً وزمراً[٢٣].

واكتسبت مادة زمر ما دلّ على الجمال، فالزّمير: الغلام الجميل والغناء الزّمير: الحَسَن. كما اكتسبت معنى الجماعة.

وقد أشير في تفسير الزُّمرة بمعنى الفوج إلى ما يربط هذا المفهوم بالصوت، فجاؤوا زُمَراً أي «جماعات، في تفرقة، بعضها إثر بعض، مأخوذة من الزَّمْر الذي هو الصوت، إذ الجماعة لا تخلو عنه»[٢٤].

وأحسب أن زبر وزمر قد التقتا في الدلالة على القصبة والخوصة وما يُتغنّى به. ومن ذلك: المزامير، إذ مزامير داود ما كان يُتغنى به من الزّبور. ولا أحسب أن أصل التقائهما يعود إلى الصوت، والغناء، وإنما يعود إلى الحركة والتموّج. وهو من مواصفات تحسين الصوت. وقد أُطلق هذا المفهوم على القَلَم، لأنه أداة الحركة في تحقيق الكتابة. وعلى الزّمارة، وهي

---

(٢٢) انظر رأيه لدى الزبيدي (التاج: ترمز) ١٥/ ٤٥.

(٢٣) انظر الزبيدي (التاج: زمر) ١١/ ٤٤٢.

(٢٤) انظر الزبيدي (التاج: زمر) ١١/ ٤٤٢.

القصبة التي يُزمّر بها. وقد دلّت زبر على الكتابة – انتقالاً من القلم فيما يبدو – وتبادلت الزاي مع الذال، فالذّبر والزبر: الكتابة. كما دلّت على القراءة – بما تحمله القراءة المرتلة من حاجة إلى التغني واستعمال آلة التزمير، كما دلت مادة ذبر على الكتاب، في الحميريّة، بما تحمله الكتابة من مدلول على العسيب (خوص النّخل) الذي قد يصلح ورقاً يُكتب عليه، وقَلماً يكتب به(٢٥). والزبور: الكتاب المسطور(٢٦).

ولا أستبعد أن تكون الذّمْر (من ذمر) أي زئير الأسد، على علاقة بزمر، التي دلّت على صوت النعام، ثم وُظّف التنويع الصوتي ليترتب عليه مفارقة في المعنى. غير أن مبدأ التصويت ظل مقداراً جامعاً بين المادتين.

رص – رض – رصف – رضف – رس – رسا – رصا – رصع – عرص – رصن – رزن

جاء في مادة رصص: رصصت الشيء أرصه رصا: ألصقت بعضه ببعض، ومنه البنيان المرصوص، والحجارة المرصوصة.

وجاء في مادة رضّ أن الرضراض. الأرض المرضوضة بالحجارة، والرَّضراض: الحصى الصّغار، والمِرَضّة الأداة التي يُرَض بها، أي يُدَق بها.

وقد رويت بعض النصوص بالصاد والضاد، فقيل:

يَلُتُّ الحَصَى لَتّاً بِسُمْرٍ، كأنّها حجارةُ رَضْراضٍ بِغَيْلٍ مُطَحْلِبِ

فقد رويت رَضْراض ورَصْراص.

وقد ورد في مقابل هاتين المادتين في العبريّة רצץ أي رضّ أو رصّ، بالصاد.

(٢٥) انظر الزبيدي (التاج: ذبر) ١١/ ٣٦١.

(٢٦) انظر الزبيدي (التاج: زبر) ١١/ ٣٩٨.

والصاد العبريّة قد يقابلها في العربيّة الضاد أو الصاد، وأما الآراميّة ففيها العين مقابل الضاد العربيّة، ولذا كانت المادة المقابلة في الآراميّة רעע، والسريانية ܪܥܐ . ويبدو أن الضاد العربيّة أصل، إذ قابلتها العين في الآراميّة والسريانيّة، والصاد في العبريّة.

ومن رصّ ورضّ جاءت رصف ورضف، فالمِرْضافة والمِرْصافة: هي المِرَضَّة، أو المطرقة التي ترصف بها الحجارة، فيُضم بعضها إلى بعض وتُثبّت. والرّصف: الحجارة المتراصفة المثبّتة بضم بعضها إلى بعض. والرّضف: الحجارة التي رُصِف بعضها إلى بعض وقد أُحْميت. والتراصُف تنضيد الحجارة وشد بعضها إلى بعض.

وقد جاءت مادة رصف في العبريّة، ومنها רֶצֶף rāṣef بالصاد والفاء وفي السريانية ܪܨܦܐ ra fā، وتعني فيهما حجارة الرصف[٢٧] وفي العبرية רָצוּף rāṣūf تعني مرصوف[٢٨]. وقد جاءت רצף بالصاد في الآراميّة، وكذلك في السريانية ܪܨܦ ، وفي الأكاديّة rasāpu بمعنى، رصيف ورَصْف[٢٩].

وقد التقت المواد السابقة في معنى التثبيت، برصّ الشيء إلى الشيء. والتقت في ذلك بكل من رسّ ورسا، «فالرسّ والرُّسُوّ بمعنى واحد»[٣٠]، ومن ذلك مرساة السفينة. وجاء في مادة رسس أن الرَّسيس: الشيء الثابت الذي

---

(٢٧) انظر Gesenius 773.

(٢٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث) ص ٤٥٦.

(٢٩) انظر Von Soden II 959, Gesenius 772.

(٣٠) ابن منظور (اللسان: رسا) ١٤/ ٣٢٢.

قد لزم مكانه. ورسّ الهوى قلبه إذا دخل وثبت. والرَّسْرَسة هي الرَّصْرَصة، وهي التثبيت والإحكام والتمكّن. ورُسِّسَتْ ورُصِّصَتْ أي أُثْبِتَتْ(٣١).

وجاء في مادة رصص أنّ البنيان المرصوص: المحكم، وتراص القوم: تصافّوا في القتال والصلاة. ورصرص إذا ثبت في المكان. وجاء في مادة رصص: الرَّصاصة والرَّضاضة الحجارة اللازمة لما حوالي العين الجارية، أي التي أُحكم تثبيتها(٣٢)، وجاء في مادة رصا أن رصاه: أحكمه(٣٣).

وعلى هذا فإن هذه المواد رس ورسرس ورص ورصرص ورسا ورصا، ورض، دلّت على التثبيت والإحكام. وقد أخذت تتنوع وتتلون معانيها بألوان من التوظيف الذي أصبحت تتمايز بموجبه وتكتسب أهليتها للاستقلال من خلال تباين وظائفها ومعانيها المتباينة.

ويبدو أن مادة رضّ قد اتسعت كذلك بالحاء وبالخاء، وهما صوتان يتبادلان لقربهما في المخرج، فقيل رضح رأسه ورضخ رأسه، ويقابلهما في العبريّة רצח بمعنى حطم وكسر(٣٤). كما أن רצוץ rāsūs في العبريّة من רצץ بمعنى مُكَسّر.

وإذا كانت مادة رضّ قد عنت فيما عنت الرصف والتثبيت وضم الشيء بعضه إلى بعض، فإن رصع تعني ضمّ بعض الشيء إلى بعض، وقد

(٣١) ابن منظور (اللسان: رسس) ٦/ ٩٨.

(٣٢) ابن منظور (اللسان: رصص) ٧/ ٤١.

(٣٣) ابن منظور (اللسان: رصا) ١٤/ ٣٢٣.

(٣٤) انظر Gesenuis 772.

نَحَتْ رصع منحى التجميل كترصيع الجواهر أي تثبيتها بعضاً إلى بعض. ثم قُلبت رصع في العربيّة. قال ابن منظور: التَّرصُّع مِثْل التعرُّص[٣٥].

وقد جاءت مادة رصن في العربيّة دالّة على الثبوت والرصانة. وقابلتها في العبريّة רִצְּפָּה بمعنى الرّصانة[٣٦]. وقد جاءت كذلك رزن دالّة في العربيّة على الرصانة. وتبادل الصاد والزاي معروف. وفي العبريّة רזן دلت على القوة والتماسك. ويقابلها في الأكادية ruṣṣunu بالمعنى نفسه[٣٧].

طبن – تبن

مادتا طبن وتبن يبدو أنهما متباينتان أصلاً في المعنى. فالتبن: القش المهروس. والطبن: الفطنة. غير أنهما تداخلتا عرضاً عن طريق التبادل الصوتي. فالتِّبانة والطِّبانة شدة الفطنة، فهي أصلاً من طبن. وقد حدث التداخل من أثر انقلاب الطاء تاء[٣٨]. وأما في العبرية فقد جاءت المادة الدالة على الفطنة فيها بالتاء תָּבַן tāḇan فطنة.

وثمة تداخل آخر جاء من أثر انقلاب معكوس، وهو انقلاب التاء طاءً. فالطِّبن: ما جاء به الريح من الحطب والقَمْش. ومن هنا جاءت تسمية الطابون الذي يخبز فيه الفلاحون، فهو من طبن، والطابون مكان تدفن فيه

---

(٣٥) ابن منظور (اللسان: رصع) ٨/ ١٢٥. [جاء في اللسان:والترّصع: النشاط، مثل التعرص/ المجلة].

(٣٦) انظر Gesenuis 753.

(٣٧) انظر Gesenuis 753.

(٣٨) انظر ابن منظور (اللسان: طبن) ١٣/ ٢٦٣.

النار المشتعلة بالحطب (الطِّبن) كي لا تطفأ. وعلى هذا تكون التِّبن قد التقت مع الطبن. وقد جاءت التبن في العبريّة(٣٩) بالتاء תֶּבֶן teben.

صمر – شمر

جاء في مادة صمر: «رجل صَمير: يابس اللحم على العظام»(٤٠). ومن هذا جاء مفهوم البخل. فالصُّمور: البخل والمنع. وقد اقترن يبس اللحم على العظام، بصدور رائحة العَرَق. قال ابن منظور عن ابن دريد: «رجل صمير: يابس اللحم على العظم، تفوح منه رائحة العَرَق»(٤١)، ففوح رائحة العرق ليس هو المعنى الأصلي. وإنما هو معنى عارض، إذ المعنى الأصلي هو الضمور والانكماش.

وقد التقت مادة صمر بمادة شمر التي دلّت هي الأخرى على الانكماش، ومن ثَمّ دلّت على التهيؤ للشر والتهيؤ للحق. يقال: «لِثَة مُتَشَمِّرة: لازقة بأسناخ الأسنان، وشاة شامرة: انضم ضَرْعها إلى بطنها»(٤٢).

ولا شك في أن كلاً من هاتين المادتين لها معانيها الخاصة التي تبتعد بها عن الأخرى. ولكن هذا المعنى قد جمع بينهما. فلا مانع يمنع من أن تكون المعاني التي تُباعد بينهما هي من أثر اختلاف المادتين أصالة. وأمّا التقاؤهما في هذا المعنى، فهو من أثر التبادل الصوتي بين الصاد والشين. وقد

(٣٩) انظر Fürst II 513.

(٤٠) ابن منظور (اللسان: صمر) ٤/ ٤٦٧.

(٤١) ابن منظور (اللسان: صمر) ٤/ ٤٦٨.

(٤٢) ابن منظور (اللسان: شمر) ٤/ ٤٢٨.

قابل هاتين المادتين في العبريّة مادة שמר وتعني שָׁמַר šāmar انكمش[٤٣].

سوخ- سيخ- زوخ- ثخخ- تخخ- ثيخ- زخخ- صيخ- سخخ- صوح- ضيح، ضحح، صيخ

دلّت مادة سوخ على الانخساف، وعلى الغوص في الأرض. فالأقدام تسوخ وتسيخ في الأرض (بالواو والياء): تغوص. وقيل: ثاخت الأرض وساخت بالثاء والسين، وتزَوَّخ في الطين أي: وقع فيه[٤٤] بالزّاي. والزاي والسين والثاء أصوات تتقارب، وقد تتبادل.

والأرض السُّواخ (من سوخ) أي كثر ماؤها أو مطرها فأصبحت طيناً. وقيل ثخّ الطين والعجين إذا كثر ماؤه (من ثخخ). وتبادلت الثاء مع التاء بالمعنى نفسه (من تخخ). وجاء في مادة ثيخ أن ثاخت رجله تثيخ مثل ساخت.

وعلى هذا قيل من المواد

تخخ: تخّ الطين: كثر ماؤه، وأصبح رخواً يُغاص فيه.

وتوخ: تاخت الإصبع: غاصت.

وثخخ: ثخّ الطين كثر ماؤه - كتخّ.

وثوخ: ثاخ الشيء ثَوْخاً: ساخ أو غاص.

وثيخ: ثاخت رجله تثيخ: مثل ساخت إذا غاصت.

وسخخ: سَخّ في الأرض وزَخّ غاص، وسخّت الجرادة: غرزت ذنبها في الأرض لتبيض.

---

(٤٣) انظر Fürst II 473.

(٤٤) انظر ابن منظور (اللسان: سوخ) ٣/ ٢٧.

وسوخ: صاخت الصخرة: غاصت في الأرض.

وزخخ: غاص أو اندفع داخلاً، ومنه الجماع.

وصيخ: صاخ كساخ في الأرض غاص فيها.

وسيخ: ساخت الرجل تسيخ: غاصت، مثل ثاخت.

وصوح: الصواح من اللبن ما غلب عليه الماء.

وضيح: الضيح، والضّياح: اللبن الخاثر يُصَبّ فيه الماء ثم يخلط.

ضحح: الضَّحْضاح: بقية الماء في الغدير أو نحوه.

سيح: وقد دلت على الماء المندفع، وعلى اندفاع الصخرة. وانساحَ البطن من السِّمَن: اتّسع ودنا. وقد أشير في هذه المادة إلى تبادل السين والحاء والصاد والخاء.

وشحح: أرض شَحاح: تسيل من أدنى المطر. وربما كانت هذه أضعف الحلقات في هذه السلسلة من المواد. وقد ورد في مقابل هذا المفهوم المشترك في العبريّة שוחה sūwwah من شوح، بمعنى غاص. وفي السريانيّة: شيح، ومنها ܫܝܚܐ sihā، وهي تدل على البئر(٤٥)، لغوره ومائه.

كأيّ (كأين)– وكائن– كاين– كاي– كئن– كي

هذه أشكال قرائية متعددة(٤٦)، قرئت بها الآية الكريمة ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها﴾(٤٧). أما (كأين) فهي مكونة من كاف

(٤٥) انظر Fürst II 419, Gesenuis.

(٤٦) انظر السمين الحلبي (الدر المصون) ٣/ ٤٢١. وانظر مكرم (معجم القراءات القرآنية) ٣/ ١٩٤.

(٤٧) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

التشبيه و(أي) المجرورة، وقد ظهر التنوين عليها (كأيٍّ) وقد كتبت بالنون أيضاً (كأيّن) من أثر اندماج الكلمتين في كلمة واحدة على أساس ظاهرة (التركيب) وبذا فإن أياً من الكلمتين لم تخسر شيئاً من أصواتها.

وتتألف (كأي) صوتياً من المقاطع الآتية: كَ/ أي/ ين. أي من مقطع قصير مفتوح + قصير مغلق مُنْتهٍ بشبه حركة + مقطع قصير مغلق يبدأ بشبه حركة. والعربية تتحاشى في بعض لهجاتها هذه المقاطع التي تتضمن شبه الحركة، في بعض المواطن، كما هي الحال في يقول Yaqūl وأصلها يقْوُل yaq/ wul، ويميل yamīl وأصلها yam/ yil، ولذا فإن جميع القراءات باستثناء القراءة بكأين، قد تخففت من توالي مقطعين تضمّن كل منهما شبه حركة، كما هي الحال في كائن kā´in إذ (خلت من المقطعين كليهما، اللذين تضمنا شبه الحركة، وكاين kā/ yin (تخلصت من واحد منها) وكأيٍ (بحذف التنوين تكون قد تخلصت من واحد منهما) وكئن (تخلصت منهما معاً)، وكَيٍ ka/ yin (تخلصت من واحد منهما).

ولا شك في أن كلاً من (كاين) و(كَيٍ) قد حدث فيهما شيء من النحت باختفاء الهمزة تسهيلاً.

والتخلّص من المقطع المتضمن شبه حركة، ظاهرة تعرفها العربية في غير مكان، فمن ذلك القراءة بـ (تَوْجل) إذ تضمنت «تو» المقطع القصير المغلق بشبه الحركة (taw) والقراءة بـ «تُوجل» tūğal و«تاجل»[٤٨]، tāğal هي بالتخلص من شبه الحركة، ومن ذلك القراءات بـ «حوبًا، وحَوْبًا، وحابًا».

(٤٨) انظر السمين الحلبي (الدر المصون) ٧/ ١٦٤.

وكاف التشبيه في كأين وكائن لم تَخفَ على بعض القدماء، قال المالقي: «وهي مركبة من كاف التشبيه المذكورة، وأي الاستفهامية، إلا أنهما جُعلتا لفظاً واحداً بمنـزلة (كم) المذكورة»[٤٩]. ومما يؤكد ما ذهب إليه المالقي من أن (كأيّن) تعني ما تعنيه (كم) أن قوله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾[٥٠]، قد وردت فيها قراءة أخرى عن «أُبيّ»[٥١]: «كأيّن من». وقد وردت كاف التشبيه في العربية وأخواتها كالعربية الجنوبية[٥٢].

وتركبت في هذه اللغات تركبها في العربية، فمن أمثلة تركبها مع (أنّ) في العربية الفصحى أن يقال (كأنّ) وقد تركبت مع النون في الآراميّة[٥٣]. Kn بمعنى (كأنّ) العربية. وقد تركبت الكاف مع (ما) في العربية فقيل (كما). وهي في الآرامية المسيحية כמא وفي العبرية[٥٤] כְּמוֹ Kemō ووردت هذه الأداة للتشبيه في الأكادية[٥٥]، ki وتركبت مع الميم تَرَكّبها مع النون في العربية، فقيل kem، kimag، kamg[٥٦].

---

(٤٩) المالقي (رصف المباني) ٢٨١.

(٥٠) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٥١) انظر أبا حيان (تفسير البحر المحيط) ٢/ ٢٦٧.

(٥٢) انظر هوفنر (العربية الجنوبية) ص Höfner 146.

(٥٣) انظر Dengen 62.

(٥٤) انظر Gesenius 350.

(٥٥) انظر Riemschneider 143.

(٥٦) انظر Von Soden I 470.

وتركبت هذه الكاف في العربية مع (ذا) فقيل (كذا)، و(هكذا) ويقابلها في العبرية koh وفي الأكادية akia[٥٧].

لا — لن

يبدو أن الخليل كان مُحِقّاً حين عَدّ (لن) مكونة من (لا)، و(أن). قال سيبويه: «فأما الخليل فزعم أنها (لا أن)، ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم، كما قالوا: وَيْلُمِّه، وجُعلت بمنـــزلة حرف واحد»[٥٨]. ولما كانت (أن) تدل على المستقبل في نحو: أريد أن أفعل، فإن اقترانها باللام جعل منهما أداةً متمَحّضة في الدلالة على نفي المستقبل. أما (لا) وحدها، فهي قد تنفي الحال، نحو: لا ينـــزل المطر (الآن)، إجابة عن سؤال من يسأل: أينـــزل المطر (الآن) وقد تدل على النفي المطلق، في نحو: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء﴾[٥٩]، ولا يستوي الخير والشر.

وثمة استعمال تستوي فيه (لن) مع (لا) في نحو: ﴿ألن يكفيكم أن يُمِدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منـــزلين﴾[٦٠]، فقد ذكر أبو حيان[٦١] قراءة الآية عن «أُبي» بـــ: «ألا يكفيكم».

---

(٥٧) انظر عمايرة (بحوث في الاستشراق واللغة) ص ٥٣.

(٥٨) سيبويه (الكتاب) ٣/ ٥.

(٥٩) سورة النساء، الآية ١٤٨.

(٦٠) سورة آل عمران، الآية ١٢٤.

(٦١) انظر أبا حيان (تفسير البحر المحيط) ٣/ ٥٠.

ولا أعرف من شقيقات العربية[٦٢] لغة استحدثت هذه الأداة لتوظفها في الدلالة على الزمن الخاص بنفي المستقبل.

ل – وإلى

قرئ قوله تعالى: ﴿لما أصابهم﴾[٦٣]، قراءة أخرى منسوبة إلى الشنبوذي[٦٤]، وهي: «إلى ما أصابهم» ومعلوم أن هاتين الأداتين تتعاوران في مواقع من استعمالهما. وعلى هذا تستطيع أن تقول: الأمر لي أو إلي بمعنى انتهاء غايته. وحتى مفهوم التعليل في قول القائل: جئت لأستقبل زيداً، فإن(ل) تفيد التعليل الذي هو الغاية التي من أجلها جئت. بيد أن مواطن التعليل التي يمكن أن تأتي فيها، (كي) أو (حتى) أصبحت خاصة باللام دون (إلى). وفي هذا ما يقف بنا على خصيصة في العربية، وهي الرغبة في التوظيف الدقيق لألفاظها، وعلى هذا فإن (إلى) غلبت عليها الدلالة على انتهاء الغاية، وغلب على اللام التعليل، ولم تُجزِ العربية، انطلاقاً من مبدأ التخصيص والتوظيف، أن تستخدم (إلى) للتعليل، فلا يقال: جئت إلى أستقبل.

وإذا عدنا إلى أخوات العربية فإننا سنجد أن اللام قد تبادلت مع (إلى) كما هي الحال في العربية، وكان تبادلهما في معنى التعليل وانتهاء الغاية. وهكذا فإن ele أو bχ él[٦٥] تعني: b (إلى) و(حتى)، وكذلك

---

(٦٢) انظر عمايرة (خصائص العربية) ص ٥١.

(٦٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

(٦٤) انظر مكرم (معجم القراءات) ٢/ ٧٢.

(٦٥) انظر Fürst 650 .

وهي اللام، تعني (إلى) و(حتى) في العبرية، وهي كذلك في الآرامية والسريانية. وفي الأكادية(٦٦) eli' وتقابل (إلى) و la وتقابل ل.

سجر– سجل– سجن– سكر– سجهر– شرج

تشتت المعاني التي وردت في المعجم لهاتين المادتين كليهما: سجر، وسجل. فمن معاني سجر: ملأ، ثم تلون هذا المعنى، فقيل: البحر المسجور: المملوء ناراً. وقيل: سُجِّرت البحار: أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً. وفي هذا معنى الامتلاء والفيضان.

وقيل: سُجِّرت: فُجِّرت. وفي هذا أيضاً مفهوم الامتلاء والفيضان.

وسَجَّرتُ الماء: صببته.

والمسجور: الفارغ الذي ليس فيه شيء، ومنه المُسَجَّر: الذي غاض ماؤه.

وقيل: السجر في التنور الإيقاد. وتسجره بالوقود سجرا أي تملؤه، ومن هذا أطلق على الحَطَب اسم السَّجور، لأنه يُملأ به التَّنور، وعلى هذا يكون الإشباع بالوقود، أي الملء معنى آصَلَ من معنى الوقود نفسه، ثم اقترن السَّجر بالإحماء والإيقاد والحطب.

ومن معاني سجر: الشعر المُنْسَجِر والمسجور: المسترسل والمرجّل. فهل جاء الشبه بين الشعر والماء من الارتخاء كموج الماء؟ ثم يتكرر السؤال نفسه بشأن دلالة سجر على اللؤلؤ المنظوم المسترسل. ومن ذلك الاسترسال: مَدّ الصوت حنيناً. فالناقة تَسْجُر سُجوراً وسَجْراً مدّت حنينها. وقد انتقل المعنى من صوت الإبل إلى صوت الرعد. وانتقل مفهوم النار

(٦٦) انظر Gesenius 36, Von Soden I 200.

والاشتعال إلى الحُمْرة التي تخالط لون العين، فقيل: عين سجراء أي خالطتها حُمْرة. وغدير أسْجَر: يضرب ماؤه إلى الحُمرة.

ومن المعاني التي يصعب ردّها إلى ما سلف أن الساجور من سجر تعني القيد، والسجير: الخليل والصفّي، والسَّجْوَري: الأحمق.

ويبدو أن الإدغام فُكّ من سجّر، فقيل: اسْجَهَرَّتِ النار، أي اتّقدت والتهبت، وسحابة مُسْجَهِرَّة: يترقرق فيها الماء. وهما معنيان مَرّا في سجر(٦٧).

وقد تبادلت الجيم والكاف، فسَكَرْتُ الإناء وسجرته إذا ملأته وبذا تكون مادة سجر قد اختلطت بمادة سكر.

وفي مادة سجل، دلّت سجل على الامتلاء بالماء. كما دلت على الدَّلْو المملوءة بالماء. وقد انتقلت الدلالة من الامتلاء بالماء إلى دلالة أخرى قريبة، فسَجَل القراءة أي قرأها قراءة متّصلة، من الاسترسال في القراءة، قال ابن منظور: «من السَّجل: الصَّبُّ، يقال: سَجَلتُ الماء سَجْلاً إذا صببته صبّاً متّصلاً»(٦٨). وقد جاء مفهوم المباراة، فقيل: ساجلَ الرجل إذا باراه، وقد لمح ابن منظور أن هذا المفهوم يعود إلى الاستقاء، فكأنما هي إشارة إلى الماء يتدفّق دلواً بعد دلو، وكذا المباراة والمفاخرة والحرب من كرٍّ وفرّ، يوم لك ويوم عليك. قال ابن بري فيما ذكره ابن منظور «أصل المُساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سَجْله مثل ما يخرج الآخر، فأيهما نَكَل فقد غُلِب، فضرَبتْه العرب مَثَلاً للمفاخرة، فمعناه أنه يُخْرِج من الشَّرَف مثلَ

(٦٧) انظر ابن منظور (اللسان: سجهر) ٤/ ٣٤٥.

(٦٨) ابن منظور (اللسان: سجل) ١١/ ٣٢٥.

ما يخرجه الآخر، فأيهما نكل فقد غُلِب. وتساجلوا أي تفاخروا، ومنه قولهم: الحرب سِجال، وانسجل الماء انسجالاً إذا انصبّ»[٦٩].

وهكذا تكون انسجل بمعنى انصبّ وأسجل: ملأ. هذا هو المعنى الأصلي: انصباب الشيء إلى حدّ الامتلاء. وأما المعاني الأخرى فهي متطورة عن هذا المعنى، كالسَّجْل: الجواد، والغَنِيّ. وأسجل الكلامَ: أرسله، وإسجال الأنعام: إرسالها ترعى.

وأما سِجِّيل، بمعنى الحجارة من طين، فقد قيل إنها فارسيّة الأصل. وقد تبادلت اللام والنون، فقيل سِجِّين. وكذلك السِّجِلّ: كتاب العهد وجمعه سجلاّت، ويعني كذلك الصحيفة التي فيها الكتاب. وهذان المعنيان قد يكونان للفظين اتّفقا مع وزن من أوزان العربيّة شكلاً، ولكن المضمون يختلف.

بقي أن نشير إلى أن مفهوم الإرسال والانسياب والتدفق موجود في بعض اللغات الساميّة، وهو لهذه المادة في صورتها الرَّائية، ففي العبريّة[٧٠] שָׁגַר šāgar وفي الآراميّة[٧١] שְׁגַר šegar، وفي السريانيّة ܫܓܪ šegar بمعنى سال الدمع أو انسكب الماء، وبمعنى انسكب، للشيء الساخن. وأمّا السبئية[٧٢]، فقد جاءت فيها شرج – وقد تكون مقلوب شجر – وهي بمعنى: الشَّرْج، ومجرى الماء، ومسيل الماء. وكلها معان يُرَدّ بعضها إلى بعض. وقد جاء في لسان العرب أن الشَّرْج تعني مسيل الماء من الحرار إلى

(٦٩) ابن منظور (اللسان: سجل) ١١/ ٣٢٦.

(٧٠) انظر Furst II 411.

(٧١) انظر Costaz 359, Gesenius 808:

(٧٢) انظر Beeston 134.

السَهُولة(٧٣). ولعل في هذا ما يرجّح الأصل الرائي للكلمة. ويوضّح المعنى الأصيل للانصباب والانسياب. والله أعلم.

المراجع

١- أبو حيان (البحر المحيط): محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢- ربحي كمال (المعجم الحديث): ربحي كمال: المعجم الحديث (عبري — عربي) بيروت ١٩٧٥.

٣- الزبيدي (التاج): السيد مرتضى الحسيني الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس.

٤- السمين الحلبي (الدر المصون): أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٥- سيبويه (الكتاب): عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٦- ١٩٦٨م.

٦- عمايرة (بحوث في الاستشراق واللغة): إسماعيل أحمد عمايرة: بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير — مؤسسة الرسالة، عمان ١٩٩٦.

٧- عمايرة (تطبيقات في المناهج اللغوية): إسماعيل أحمد عمايرة: تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل للنشر، عمان، سنة ٢٠٠٠.

٨- المالقي (رصف المباني): أحمد بن عبد النور المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق ١٤٠٥ (الطبعة الثانية).

٩- مكرم (معجم القراءات القرآنية): عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر: معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٠- ابن منظور (اللسان): ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

---

(٧٣) انظر ابن منظور (اللسان: شرج) ٢/ ٣٠٦.

١١ – ابن هشام (المغني): ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

References.

- Beeston / Ghul / Müller / Ryckmanns: Sabaic Dictionary (English – French – Arabic) Beyrouth 1982.
- Costaz, L.: Dictionnaire Syriaque – Française, Syriac- English – Arabic Dictionary.
- Degen, R. Altaramäische Grammatik. Wiesbaden 1969.
- Fürst, J.: Hebräisches und Chaldäisches Handwörterbuch über das Alte Test. ent. Leipzig 1863.
- Gesenius, ' /.: Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das Alte Testment. 17. Aufl. Germany 1962.
- Höfner, Maria: Altsüdarabische Grammatik. Leipzig 1943.
- Leslau, W.: Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic) Ge'ez – English / English - Ge'ez. Wiesbaden 1987.
- Riemschneider, Kaspar: Lehrbuch des Akkadischen. Leipzig 1973.
- Von Soden, Wolfram: Akkadisches Handwörterbuch. Band I – III, Wiesbaden 1965 – 1972.

قضية المصادر في جمع مادة المعجم

د. إبراهيم بن مراد

١- مقدمة: في أركان التأليف المعجمي:

التأليف المعجمي – أي تأليف القواميس أو المعاجم المدونة – مبحث منـتم إلى المعجميّة التّطبيقيّة. والمعجميّة التطبيقيّة ليست فيما نرى «صناعة» يمكن أن يتعاطاها أي هاو أو راغب، بل هي القسم العملي من علم لسانيّ له مكوّناته المتكاملة وقوانينه التي تنظمه وقواعده التي يتأسس عليها، هو علم المعجم. وعلم المعجم – كما بينا في بحث سابق[1] – هو علم المفردات. فإنّ المفـردات – في أي لغة من اللّغات – هي التّي تكوّن معجمها. ومادامت المفـردات هـي الـتي تكوّن المعجم فإنّ كل ما يكوّن المفردات يعتبر من مكوّنـات الـنّظريّة المعجميّة. ومكوّنات المفردات ثلاثة لا يتحقّق وجود المفردة في اللّغة عامة إلاّ بها، هي: (١) المكوّن الصوتي؛ (٢) المكون الصرفي؛ (٣) المكـون الـدلالي. وقد أصبحت هذه المكونات الثّلاثة في اللّسانيّات الحديـثة – وخاصّـة خـلال السّنوات الخمس عشرة الأخيرة – مباحث معجميّة خالصة، وظهر ما أصبح يعرف بالصوتمية المعجمية (Phonologie lexicale) وعـلم الصّرف المعجميّ (Morphologie lexicale) وعلم الدّلالة المعجميّة (Sémantique lexicale)، وإن كانت صلة الدّلالة بالمعجم قديمة في الدراسـات اللّغويـة. وبتحقيق هذه المكوّنات الثّلاثة تكتسب المفردة أربع

---

(١) يُـنظر إبراهـيم بـن مراد: مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٧ ص ٣٧- ٥٧، ١٠٥ – ١٣٣.

خصائص ضرورية واجبة الوجود فيها، هي: (١) التأليف الصوتي لأن أول ما يؤلف المفردة هي الأصوات؛ (٢) البنية الصّرفية لأن الأصوات التي تكون المفردة لابدّ أن تشتمل عليها بنية صرفيّة داخليّة قد تقبل التجزئة إلى وحدتين صرفيّتين أو أكثر وقد تقبل القولبة بأن تدرج في جدول صيغي ما مثلما هو الأمــر في اللّغــة العربيّة؛ (٣) الدّلالة المعجميّة إذ لا يكفي التأليف الصوتي والبنــية الصّرفية لتكوين المفردة بل لابدّ من ارتباطهما بمعنى يحيل إلى مرجع ما في تجربة الجماعة اللّغويّة؛ (٤) الانتماء المقوليّ، أي أن تنتمي المفردة إلى إحدى المقولات المعجميّة — أي أقسام الكلام حسب الاصطلاح القديم — وهي فيما نرى خمس، هي الاسم والفعل والصّفة والظّرف والأداة.

وكل ما حصل من المفردات في اللّغة يكوّن ما يسمّى المعجم اللّساني، وهو الرّصيد العامّ المشتمل على كل ما ينتمي إلى لغة ما من المفردات؛ وهذه المفردات هي المستعملة في الكلام — مخاطبة وكتابة — والكامنة في أذهان الناس أو في النّصوص المدوّنة في مختلف العصور التي استعملت فيها اللغة. والبحث في هذه المفردات — وخاصة من حيث المكوّنات والخصائص — هو قوام المعجميّة النظرية. فإذا أخذ المعجمي من ذلك الرّصيد العامّ الجامع جزءاً — سواء كبر أو صغر — فدوّنه في كتاب أو خزّنه في مكنــز سمي ما دونه «معجماً مدوّناً» أو «قاموساً»، حسب الاصطلاح الشائع. ولا يمكن للمعجم المدوّن — مهما تكن غاية المؤلف استقصائية — أن يستوعب المعجم اللّساني كلّه. وإذن فإن العمل الذي يقوم به مؤلف المعجم قوامه المفردات هو أيضاً، لكنّه ليس بحثاً نظرياً في مكوّنات المفردات وخصائصها بل هو تطبيق لما أفضى إليه البحث النّظري في المفردات من النتائج. ويلاحظ أن التّطبيقي إذن غير منفصل عن النّظري وغير مستغن عنه، فإنّ مؤلّف المعجم إذا طبّق ينبغي أن

يطبق شيئاً ما قد سبق له أن حذقه، وهو القسم النّظريّ من علم المعجم. فإذا حذقه أمكن له أن يكوّن تصوّراً دقيقاً للإجرائيّات والكيفيات التي تُعتمد في التأليف. وتلك الإجرائيات والكيفيّات هي المكونة لما نسمّيه أركان التّأليف المعجميّ. ويطلق على الإجرائيات مصطلح «الجمع» أي جمع الرّصيد الجزئيّ الذي قد يصغر وقد يكبر من المفردات التي سيشتمل عليها المعجم المدوّن، وأهم ما يكوّن الجمع ركنان هما: (١) المصادر التي تُعتمد في جمع الرّصيد المعجميّ و(٢) المستويات اللّغويّة التي تنتمي إليها المفردات المجمّعة؛ وأمّا الكيفيّات فيطلق عليها مصطلح «الوضع» أي منهج معالجة المفردات المجمعة قاموسيّاً، وأهمّ ما يكوّن الوضع ركنان أيضاً هما (١) التّرتيب أي تبويب المفردات داخل المعجم المدوّن وتفصيل تتابعها أو تجمّعها، (٢) التّعريف وهو الإخْبَارُ عن الخصائص الذاتيّة والخصائص العلاقيّة التّي تكُون للْمفردات.

وقد سبق لنا أن أجملْنا القول في الأركان الأربعة التّي ذكرنا[٢]، كما سبق لنا أن فصّلناه في بعض منها[٣]، ونريد أن نخصّ في هذا

(٢) ورد ذلك في مواضع كثيرة، نخص منها بالذكر: إبراهيم بن مراد: المعجم العلمي العربي المختص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٦٩- ١٤٧؛ نفسه: مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٣١- ١٥٥، ٢٠٩- ٢٢١؛ نفسه: الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٩٩، ص ٨٥- ٩٧.

(٣) قد تحدّثنا عن قضايا الترتيب في: مسائل في المعجم، ص ٢٢٢- ٢٥٥، وعن قضايا التّعريف في: إبراهيم بن مراد: «تعريف أسماء المواليد في المعجم اللغويّ العامّ»، ضمن محمد حلمي هليّل وسعد مصلوح وحسن العجمي: بحوث النّدوة الدولية للمعاجم اللّغويّة والمختصّة، جامعة الكويت، ٢٠٠٠، ص ١٢٥- ١٤٧.

البحث أحدها بالقول المفصّل، وهو الرّكن الإجرائيّ الأوّل أي مصادر الجمع، وسنتناوله من حيث صلته بثلاث مسائل هي: (١) المصادر والاستعمال؛ (٢) المصادر والنّقل؛ (٣) المصادر والمدوّنة المعجميّة.

٢- المصادر والاستعمال الآنـــي:

مصادر الجمع هي المظانّ التي يرجع إليها المعجميّ لجمع المادّة اللغوية التّي يريد إثباتها في المعجم الذي يبتغي تأليفه. وقد شغلت هذه المسألة اللّغويّين العرب منذ بدؤوا يهتمون بوصف اللغة العربية. وإذا أخذنا برأي أبي نصر الفارابي (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) قلنا إن ذلك بدأ سنة ٩٠هـ/ ٧٠٩م وتواصل حتى سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٤- ٨١٥م[٤]، والمدّة التي ذكرها الفارابي تغطّي القرن الثّاني الهجريّ كلّه، وهي المدّة التي عاش فيها مؤسّسو الدّرس اللّغوي العربي — مثل عيسى بن عمر الثقفي (ت. ١٤٩هـ/ ٧٦٦م) مؤسس الدرس النّحويّ، وأبي عمرو بن العلاء (ت. ١٥٧هـ/ ٧٧٤م) مؤسّس الدّرس المعجميّ — ثم واضِعُو أسس الدّرس النّظريّة وتطبيقاتها، وخاصّة الخليل بن أحمد (ت. ١٧٥هـ/ ٧٩١م) الذي أرسى قواعد النّظر والبحث في المعجم وفي النّحو جميعاً، فكان مؤلّف أوّل معجم مدوّن — هو «كتاب العين» — بالمفهوم اللّسانيّ والواضع الحقيقي للنّظريّة النّحويّة العربيّة كما ظهرت في «الكتاب» لسيبويه (ت. ١٧٧هـ/ ٧٩٢م). ونرى أنّ قدَمَ كتاب العين واكتمال التّأليف المعجميّ فيه يؤهّلانه ليكون منطلقاً جيّداً للحديث عن المصادر في عصر الاحتجاج اللّغويّ. والنّظر المعمق في الكتاب يُظهر أن

---

(٤) ينظر: أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٤٧.

المصادر الأساسيّة التي اعتمدها الخليل خمسةٌ نوردها فيما يلي حسب أهمّيتها بالنسبة إلى المسألة التي ندرس أي «المصادر والاستعمال».

أ — الرواية عن الأعراب:

لقد كان من أهمّ غايات الخليل من تأليف كتاب العين أن يجعله «مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء»(٥). وأن يستوعب ما «تستعمله العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا يشذّ عنه شيء من ذلك»(٦). وقد كان عليه — لتحقيق تلك الغاية — إمّا أن يعتمد المقول من اللّغة بأن يأخذه مشافهة من أفواه المتكلّمين المعاصرين له، وذلك يعدّ وصفاً آنيّاً للّغة يُعتمدُ فيه الاستعمال المعاصر للواصف، وإمّا أن يَعْتَمدَ المكتوب المدوّن في الوثائق التي تكون حديثة — فيكون الوصف آنيّاً — أو تكون قديمة فيكون الوصف زمنيّاً، وإما أن يعتمد المقاربتين معاً في الوصف فيستعمل المقول والمكتوب على السّواء. وإذا علمنا أنّ عصر الخليل كان عصر رواية أكثر مما كان عصر تدوين وأنّ التّدوين فيه كان تدويناً للمقول المرويّ خاصّة تبيّنا أثر المقول — أي المستعمل المعاصر — في تأليف كتاب العين.

وأهمّ ما يمثّل المقول في عصر الخليل كان المرويّ عن الأعراب. فقد كان اللغويّون يشدّون إليهم الرّحال في مظانّهم ببواديهم ليُلاقوهمْ ويأخذوا عنهم فصيح اللّغة. وقد قام الخليل نفسه بالرّحلة إلى البادية. ونحن نعلم أنّه قد ارتحل إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة؛ فقد سأله يونس بن حبيب

---

(٥) الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨ (٨ أجزاء)، ١/ ٤٧.

(٦) نفسه ١/ ٤٧.

(ت. ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): «من أين علمك هذا؟» فقال: «من بوادي الحجاز ونجد وتهامة»[٧]. لكنّ بدْو الحجاز ونجد وتهامة لم يكونوا وحدهم مصادر المقول الآنيّ في كتاب العين، بل كانت له في تدوينه مصادر أخرى، نخصّ منها بالذكر ثلاثة هي:

(١) فصحاء الأعراب الذين كانوا يعيشون في الحواضر مثل البصرة والكوفة وبغداد. وهؤلاء أعراب قد انتقلوا من بواديهم إلى المدن فاتّخذوها موطناً وكانت لهم بين العلماء سوق نافقة رغم تشدّد بعضهم في الأخذ عمّن سكنوا الحواضر ولو كانوا بدوا. وقد ذكر الخليل جماعة من هؤلاء الأعراب الفصحاء ونسب إليهم مفردات وشروحاً، منهم عرّام[٨] وزائدة[٩] وأبو ليلى[١٠] وأبو الدُّقَيْش[١١] والضرير[١٢] وشجاع[١٣] وأبو سعيد[١٤] وحمّاس[١٥] ... إلخ.

(٢) أهل الأمصار. وهؤلاء ليسوا من عرب البوادي أو من فُصَحَاءِ الأعراب الذين سكنوا المدينة، فهم إذن ليسوا من مصادر الفصاحة. فليست

---

(٧) ابــن الأنباري، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٥٩، ص ٤٣.

(٨) الخليل، كتاب العين، ١/ ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٨، ١١٩... إلخ.

(٩) نفسه، ١/ ٦٥، ٨٩، ٩٣، ١٠٨، ١٤١... إلخ.

(١٠) نفسه، ١/ ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٠٦... إلخ.

(١١) نفسه، ١/ ١٩٠، ٢٨٨، ٢/ ٣٨، ٢٧٧، ٣٠٩، ٣/ ١٨١، ٢٧٤... إلخ.

(١٢) نفسه، ١/ ٩٧، ١٤٥، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٢٩... إلخ.

(١٣) نفسه، ١/ ٣٠٢، ٣٤٧، ٣٣٣، ٢/ ١٣٤، ١٣٧، ١٤٩ ... إلخ.

(١٤) نفسه، ١/ ٩٨، ١٠٩، ٢٩٥... إلخ.

(١٥) نفسه، ١/ ٣٦٧، ٢/ ٤٠، ٥٧... إلخ.

المادّة المعجميّة التي اشتمل عليها كتاب العين إذن عربيّة أعرابيّة فقط بل إنّ فيها من لغة العرب الذين لا يُعْتَدُّ بفصاحتهم. وقد أورد الخليل إشارات كثيرة إلى لغات الأمصار. وقد ذكر من الأمصار العراق(١٦) والشام(١٧) واليمن(١٨) ومصر(١٩) . وقد يخصّ بعض المواضع بالذّكر مثل البصرة بالعراق(٢٠) وحمص بالشام(٢١) والجوف باليمن(٢٢). على أنّ الخليل قد لا يكتفي بذلك بل يسجّل كلام العامّة باعتبار العاميّ مستوى من مستويات العربيّة وليس باعتبار خروجه عن النّماذج الفصيحة من الاستعمال اللّغويّ (٢٣).

(٣) الإسلاميّ المُحْدَثُ. وتمثّله المصطلحات المُوَلَّدَةُ أثناء عصر الاحتجاج، التي اعترف اللّغويّون بفصاحتها، فليست هي إذن من الفصيح البدويّ الذي يَقْصُدُ من أجله اللّغويّون الأعراب في بواديهم بل هو مما وَلَّدَتْهُ الحاجة إلى التعبير عن المفاهيم الجديدة الطّارئة على الحياة الفكريّة العربيّة. وقد ذكر الخليل من العلماء المستحدثين جماعة جلّهم من أهل صناعته أي من اللّغويّين مثل «أهل النحو»(٢٤)، و«أهل العربيّة»(٢٥)، و«أصحاب

(١٦) نفسه، ١/ ٣٥٥، ٣/ ٣٩، ٦/ ٤٩.

(١٧) نفسه، ١/ ١١٦، ٥/ ١١٨.

(١٨) نفسه، ١/ ١٦٣، ٥/ ٨٨.

(١٩) نفسه، ٥/ ١١٨.

(٢٠) نفسه، ١/ ٦٣، ٣/ ٤٤، ٢٨٩.

(٢١) نفسه، ٣/ ٢٢.

(٢٢) نفسه، ١/ ٢٨٧.

(٢٣) نفسه، ١/ ٤٨، ٤٩، ٥٥، ١٠٣، ١٢١، ٢١٤... إلخ.

(٢٤) نفسه، ١/ ٧٣.

(٢٥) نفسه، ١/ ٩٤.

التّصريف»[٢٦]، وذكر من مصطلحاتهم ومصطلحات غيرهم الكثير[٢٧].

وإذن فإنّ المقول الذي دوّن في كتاب العين لم يكن ممّا روي عن الأعراب فقط بل كان من كلام طبقات مختلفة، فكان الكتاب لذلك واصفاً للمستعمل من لغة العصر الذي أُلِّفَ فيه.

ب — الشّعر:

يمكن اعتبار الشّعر في عصر الخليل منتمياً إلى المقول أيضاً لأنّ العناية بروايته كانت أكبر من العناية بتدوينه؛ ثم إنّه كان جزءاً أساسياً من «الثّقافة الأدبيّة» العربيّة التي لم تزاحمها «الثقافة العلميّة» بعد، على أنّ الشّعر في عصر الخليل صنفان: شعر قديم، هو الجاهليّ الذي يمثل البيئات التي قيل فيها، وشعر حديث، هو الإسلاميّ الذي يمثل إلى حد كبير الواقع الجديد الذي ارتبط في حياة العرب بالإسلام وما أدخله من مؤسّسات وأفكار وعادات جديدة.

وقد اعتمد الخليل في كتابه على شعر كثير. فقد اعتمد — حسب الكشف الذي قام به صاحب «معجم الشّعراء في كتاب العين»[٢٨]، على ستّة وتسعين ومئتي (٢٩٦) شاعر منهم الجاهليّ ومنهم الإسلاميّ الذي عاش في صدر الإسلام

(٢٦) نفسه، ١/ ٢١٠.

(٢٧) ومثالها مصطلحات «نعت» (١/ ٦١)، و«فعل» (١/ ٣٦١) و«فعل لازم» (١/ ٧٢، ٨٨) و«نعت» (١/ ١٢٧، ١٢٩) و«اسم» (١/ ٣٢٢)، وكلها مصطلحات لسانية، و«قدرية» (٥/ ١١٢) وهو من مصطلحات علم الكلام.

(٢٨) عبد العزيز إبراهيم: معجم الشعراء في كتاب العين: (١) المورد، ١٧/ ٢ (١٩٨٨)، ص ١٩٦ — ٢٢٧؛ (٢) المورد، ١٧/ ٣ (١٩٨٨)، ص ٢١٤– ٢٨٥.

ومنهم الأمويّ ومنهم العباسيّ. وقد حدّد صاحب «معجم الشّعراء في كتاب العين» النّسب المئوية – دون أن نراه أحصى عدد الشّعراء من كل جماعة – وأخبرنا بأنّ نسبة الجاهليّين ٤٥%، ونسبة الإسلاميّين الأول – وقد ضمّ إليهم المُخضرمين – ٢٤%، ونسبة الأمويّين ٢٨%، ونسبة العباسيّين ٣% [٢٩]. وإذن فإنّ نسبة الإسلاميّين عامّة ٥٥%. على أن هذا الإحصاء قد اعتمد عدد الشّعراء و لم يعتمد عدد الشّواهد لكلّ شاعر. فإذا أخذنا بعدد الشّواهد لاحظنا أن الإسلاميّين – وخاصّة الأمويّين، وقد عاصر الخليل جماعة منهم – أهمّ منــزلة من الجاهليّين. فإنّ شواهد إمرئ القيس تبلغ خمسة عشر ومئة (١١٥) بين بيت تام وشطر[٣٠]، وشواهد النّابغة الذبياني تبلغ ثمانية وثلاثين ومئة (١٣٨)[٣١]، وقد كان هذان معدودين من فحول الشّعراء الجاهليّين؛ بينما بلغت شواهد ذي الرّمّة (ت. ١١٧ هـ/ ٧٥٥م) واحداً وسبعين ومئتين (٢٧١)[٣٢]، وبلغت شواهد رؤبة بن العجاج (ت. ١٤٥هـ/ ٧٦٢م) خمسة وثمانين وأربع مئة (٤٨٥)[٣٣]، ونرى في غلبة منــزلة الشّواهد الإسلامية دلالة على ميل الخليل إلى المستعمل «المعاصر» من مفردات اللّغة.

ج – القرآن الكريم:

ويمكن أن يعدّ استعمال القرآن الكريم آنيّاً في كلّ عصور العربيّة الإسلاميّة، وخاصّة في عصر الاحتجاج، أي في القرون الثّلاثة الهجريّة الأولى

(٢٩) نفسه، ١/ ٢٠٠.

(٣٠) نفسه، ١/ ٢٠٤.

(٣١) نفسه، ٢/ ١٩٨.

(٣٢) نفسه، ١/ ٢١١– ٢١٢.

(٣٣) نفسه، ١/ ٢١٢– ٢١٣.

على الأقلّ. وإذن فإنّه في عصر الخليل كان – مثل الشّعر – مندرجاً في اللّغة الطّبيعيّة التي يتكلّمها النّاس. على أنّنا لم نجد للقرآن في كتاب العين المنــزلة التي يتنــزّلها الشّعر، فإن منــزلة الشّعر أقوى بكثير(٣٤). وذلك يدلّ فيما نرى على أن القرآن كان مصدراً للاستشهاد أكثر ممّا كان مصدراً للاستقراء المعجميّ.

د – الحديث النبوي:

ويُعدّ استعماله هو أيضاً آنيّاً مثل القرآن لانتشاره مثله، فهو أيضاً مندرج لذلك في اللّغة الطبيعيّة التي يتكلّمها النّاس. على أن منــزلته في كتاب العين مشابهة لمنــزلة القرآن(٣٥)، وذلك يدلّ أيضاً على أنّ الغاية الأساسيّة من استعمال الحديث هي الاستشهاد.

هـ – المأثور من كلام العرب:

ويشمل أمثال العرب وحكمهم وأقوالهم السّائرة. و«المأثور» بهذا المفهوم لا ينتمي إلى الآن الذي توصف فيه اللّغة – أي منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة إلى الخليل وكتابه – بل إلى زمان مضى قد حدث فيه ما أوجب ظهور الكلام وارتباطه بالمقام الذي قيل فيه ارتباطاً يجعله يُذْكَرُ في كل مقام يشبهه، ويصبحُ بذلك قولاً مأثوراً. وإذن فإنّ هذا الصّنف من الأقوال يعدّ من المستعمل الآني أيضاً في عصر الخليل. على أنّه لا يتنــزّل هو أيضاً منــزلة الشّعر.

تلك إذن خمسة مصادر قد اعتمدها الخليل في جمع مدوّنته المعجميّة،

---

(٣٤) قـــد أحصينا شواهد الخليل الشعرية والقرآنية والحديثيّة في أوّل باب من أبواب حـــرف العـــين (وهو باب الثنائي الصحيح، ١/ ٦٢– ٩٥) فوجدنا ١٤٤ شاهد شعريّ، وأربعة شواهد قرآنية، وأربعة شواهد حديثيّة.

(٣٥) ينظر التعليق السابق.

وقد رأينا أن منها ما كان مصدراً للاستقراء ومنها ما كان الميل إلى اعتماده في الاستشهاد أغلب. لكنّها جميعها كانت ممثلة للاستعمال الآنيّ لأنّ جلّ ما تشتمل عليه من المفردات كان محيلاً إلى مراجع قائمة في واقع الجماعة اللّغوية الّتي يصف الخليل لغتها، سواءٌ كان الواقع واقعياً مدركاً بالحسّ أو كان حقيقياً مدركاً بالذّهن.

وقد تواصل بعْد الخليل اعتماد المصادر نفسها التي اعتمدها، أي الرّواية عن الأعراب والشّعر والقرآن والحديث والمأثور من كلام العرب. وقد ظلّ المصدر الأوّل خاصة وسيلة مفضّلة لجمع المدوّنة المعجميّة. فقد اعتمده في القرن الرّابع أبو منصور الأزهريّ (ت. ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) في تأليف «تهذيب اللّغة» وأبو نصر الجوهريّ (ت. ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) في تأليف «تاج اللّغة وصحاح العربيّة». فقد قال الأوّل «و لم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلاّ ما صحّ لي سماعاً منهم أو رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة»(٣٦)، وقال الثّاني «قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللّغة (...) بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية»(٣٧).

على أنّ منــزلة هذا المصدر – أي الرّواية عن الأعراب – في عصر الخليل في القرن الثّاني غير منــزلته في عصر الأزهريّ والجوهريّ أي القرن الرّابع، سواء من حيث الانتشار أو من حيث التمثيل للاستعمال الآنيّ. فلقد تضاءلت البداوة عمّا كانت عليه في القرن الثّاني لتفشّي العمران وانتشار الحضارة وظهور الحواضر الكبرى

---

(٣٦) الأزهري: تهذيب اللغة، القاهرة، ١٩٦٤، ١/ ٤٠.

(٣٧) الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق عبد الغفور عطار، بيروت، ١٩٧٩ ١/ ٣٣.

في بلاد العراق والشّام والجزيرة؛ وتناقصت لذلك «الملكة الأدبية» العربيّة التي كانت البداوة من أهم مكوناتها وكان الشّعر أهمّ عاكس لها، ثم إنّ العربيّة قد خرجت عن حدودها التي كانت تستعمل داخلها في القرن الثّاني — وهي الجزيرة والعراق وبلاد الشّام — لتمتدّ امتداداً إلى مصر وبلاد المغرب والأندلس. وقد رافق هذا التطوّر ظهور ملكة جديدة يمكن تسميتها «الملكة العلميّة» — في مقابل «الملكة الأدبيّة» ذات الأصول البدويّة — قد عبّرت عنها نصوص جديدة تختلف عن النصوص التي كوّنت المصادر الخمسة التي اعتمدها الخليل، ومن تلك النّصوص ما وضع باللّغة العربيّة مثل نصوص الجاحظ (ت. ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) والكندي (ت. حوالي ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) وحنين بن إسحاق (ت. ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) وإسحاق بن عمران (ت. ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م) وأبي بكر الرازي (ت. ٣١٣هـ/ ٩٢٥م) وأحمد بن الجزار (ت. ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م) وأبي القاسم الزهراوي (ت. ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) وأبي حيان التوحيدي (ت. ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) وغيرهم، ومنها ما ترجم من اللّغات الأخرى وخاصة من اليونانيّة. فتلك النصوص كلّها نصوص أدبية وفلسفية وعلميّة دالة على أن العربيّة قد خرجت من طور البداوة المحض إلى طور اللّغة الحيّة المعبّرة عن المستحدث من المفاهيم والأشياء.

ورغم هذا التطوّر الحاصل في استعمال العربيّة فإنّ معجميينا قد بقوا — كما رأينا عند الأزهريّ والجوهريّ — يشدّون إلى البدو الرّحال أو يأخذون من ثقات العلماء الذين رووا عنهم، فكانت المعاجم العربيّة بعد كتاب العين لا تصف المستعمل الآنيّ من مفردات العربيّة بقدر ما تصف المستعمل الزّماني الذي يمثّل ملكة لم يبق لها من الانتشار والتمثـيل ما كان لها من قبل. وقد أدّى التقيد بتدوين ما يمثل تلك الملكة — طلباً لما سماه الأزهريّ والجوهريّ «صحّة» في الاستعمال — إلى النقل الخالص من المتون المؤلّفة في عصر الاحتجاج.

٣– المصادر والنقل من المتون:

قد رأينا أثر النّقل عند الأزهريّ، فقد قال إنّه اعتمد ما سمّاه «حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة»[٣٨]. وأصحاب الخطوط ذوو المعرفة الثّاقبة الذين أشار إليهم هم العلماء الذين ألّفوا قبله المعاجم المدوّنة، وقد حاول الإحاطة بذكرهم في مقدّمة كتابه لكنّ انتقاده لجلّهم كان أكبر من مدحه لبعضهم، ومن المعاجم الّتي عوّل عليها تعويلاً تامّاً كتاب العين الذي استوعب مادّته لكنّه انتقصه مع ذلك انتقاصاً شديداً[٣٩]، فاقترن النّقل عنده لذلك بضعف الأمانة العلميّة.

لكن النّقل بعد الأزهري قد صار الوسيلة المتبعة عند جميع المؤلّفين عدا الجوهري كما رأينا. وأوّل مثال جيّد للنّقل في القرن الرّابع أحمد بن فارس (ت. ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) وخاصّة في كتاب المقاييس. فقد نبّه في مقدّمته إلى أنّه أخذ جلّ مادّته من خمسة مصادر: «وبناءُ الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مُشتهرة عالية، تحوي أكثر اللّغة. فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى «كتاب العين» (...)، ومنها كتابا أبي عبيد في «غريب الحديث» و«مصنّف الغريب» (...) ومنها «كتاب المنطق» [لـ] ابن السكيت، ومنها كتاب أبي بكر بن دريد المسمى «الجمهرة» (...). فهذه الكتب الخمسة مُعتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللّغة، وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها، وراجع إليها»[٤٠].

(٣٨) الأزهري: تهذيب اللغة، ١/ ٤٠.

(٣٩) ينظر بيان ذلك في مقدمة محققي كتاب العين، ١/ ١٩– ٢٤.

(٤٠) أحمـــد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط. ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨١ (٦ أجزاء)، ١/ ٣– ٥.

وقد أصبح النّقل بعد القرن الرّابع تقليداً متّبعاً؛ وقد يُعيّن البعض مصادر نقله مثلما فعل ابن منظور (ت. ٧١١هـ/ ١٣١١م) في مقدّمة لسان العرب، فقد نبّه إلى أنّه اعتمد على مصادر خمسة هو أيضاً، هي «التّهذيب» للأزهري، و«الصحاح» للجوهري، و«المحكم» لابن سيده (ت. ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) و«حواشي» ابن بري (ت. ٥٨٢هـ/ ١١٨٧م) على صحاح الجوهري، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (ت. ٦٠٦هـ/١٢١٠م)[٤١]؛ وقد أهمل أكثرُهم تعيين مصادره التي نقل عنها، وقد تواصل هذا طيلة ما يمكن تسميته «المعجميّة العربيّة القديمة» التي تنتهي بنهاية القرن الثاني عشر الذي ألّف فيه مرتضى الزّبيدي (ت. ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) معجمه «تاج العروس من جواهر القاموس»، و«القاموس» الذي أخذ من جواهره هو «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ت. ٨١٧هـ/ ١٤١٥م).

وإذن فإنّ القدماء – منذ النّصف الثّاني من القرن الرّابع الهجريّ على الأقل – قد أصبح لاحقهم ينقل عن سابقهم، وهم ينقلون متناً متشابه العناصر جلّه من الرّصيد البدويّ الذي كان قد روي عن ثقات العلماء الذين أخذوه بدورهم عن الأعراب، وبعضه من الإسلاميّ المحدث وخاصّة ممّا دوّن في كتب غريب القرآن وغريب الحديث. وأمّا المولدُ الذي ظهر في عصر الاحتجاج نفسه ثمّ فيما بعده سواء على ألْسنَة المتكلّمين المستعملين للعربيّة أو في النّصوص المؤلّفة بها فقد أُقْصي إقصاء. وإذن فإنّ معاجمنا القديمة- بعد عصر الاحتجاج خاصّة – قد قامت على وصف ملكة لغويّة

---

(٤١) ابن منظور: لسان العرب، تصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٠ (٣ أجزاء)، ص ص (خ – د) من مقدمة المؤلّف.

قد سلفت، وتدوين رصيد معجميّ قد بليت مراجع الكثير من مفرداته، فكانت لذلك معاجمَ تشتمل على المستعمل الزمانيّ القديم الذي ظهر في عصر بعينه بل وفي مصر بعينه هو جزيرة العرب، وتخلو من المستعمل الآنيّ الذي واكب في كلّ عصر من عصور استعمال العربيّة بعد عصر الاحتجاج حاجات النّاس إلى التّعبير عمّا استحدث من الأشياء والمفاهيم المرتبطة بها.

ولم يشذ المحدثون في الحقيقة عن القدماء إلاّ قليلاً. فإنّ النّظر في مؤلّفات القرن التّاسع عشر يبيّن أنّ أصحابها قد اقتفوا آثار مرتضى الزبيدي في تأليف تاج العروس. فإنّ الزبيدي قد اعتمد القاموس المحيط للفيروزابادي أصلاً وجعل غيره من المؤلّفين فروعاً أخذ منها ما لم يجده في متن القاموس فأضافه إليه. وقد قام بمثل ذلك أحمد فارس الشدياق (ت. ١٨٨٧م) في «سرّ اللّيال في القلب والإبدال» وبطرس البستانيّ (ت. ١٨٨٣م) في «محيط المحيط» وسعيد الشرتوني (ت. ١٩١٢م) في «أقرب الموارد». فإنّ صلة الأوّل بالفيروزابادي متينة من خلال تأليفه كتاباً كاملاً عن القاموس المحيط هو «الجاسوس على القاموس»، وقد استوعب في «سر اللّيال» ما ورد في القاموس المحيط ممّا كان أكثر تداولاً وأشهر استعمالاً من الأفعال والأسماء. وقد جعل المقصد الثّالث من كتابه «استدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ أو مثل أو إيضاح عبارة ونسق مادّة»[٤٢]، وقد تمّم هذا المقصد الثالث بإيراد نقدين للقاموس المحيط استخرجهما من كتابه الجاسوس على القاموس: «وقد أضفت إلى هذا المقصد الأخير في آخر المُؤلّفِ نقدين من كتابي الجاسوس على القاموس: أحدهما فيما ذكره صاحب القاموس في غير محلّه المخصوص به، والثّاني

(٤٢) أحمد فارس الشدياق: سر الليال في القلب والإبدال، الآستانة، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، ص ٦.

فيما لم يذكره مطلقاً وقد اشتهر عند الأدباء والمؤلّفين»[٤٣]؛ ونبّه الثّاني – أي البستاني – على سبب تسمية معجمه بمحيط المحيط فقال: «ولمّا كان هذا المؤلّف يحتوي على ما في محيط الفيروزابادي الذي هو أشهر قاموس للعربيّة، من مفردات اللّغة، وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها في كتب القوم، وعلى مالابدّ منه لكلّ مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون، سمّيناه بمحيط المحيط»[٤٤]؛ وأمّا الثّالث فقد جعل القاموس المحيط أساساً لكنّه تصرّف في مادّته فحذف منه ما عدَّهُ زائداً في الشّروح اللّغوية وأضاف إليه من المعاجم الأخرى – مثل المصباح المنير للفيّومي واللّسان لابن منظور والمفردات للرّاغب الأصفهانيّ والمعرب للمطرزي والتاج للزبيدي – ما رآه نقصاً[٤٥]، ثمّ ظهر عنده الاقتباس من معاجم القرن التّاسع عشر أيضاً فأخذ عن محيط المحيط للبستانيّ وبعض معاجم المستشرقين[٤٦].

ويلاحظ إذن أنّ المؤلّفين الثّلاثة قد اتّخذوا القاموس المحيط أصلاً ثمّ أضافوا إلى مادّته نقولاً من مراجع فرعيّة. وهذه الإضافات عند البستانيّ والشرتوني نوعان: ألفاظ لغويّة عامّة قد عُوّل فيها على معاجم اللّغة خاصّة، ومصطلحات علميّة وفنيّة قد ظهرت في القرن التاسع عشر قد جُمعت إمّا ممّا كان رائج الاستعمال في كتابات أهل العصر – وهذا كان عمل البستاني – وإمّا من متون المعاجم الحديثة، وذلك كان عمل الشرتوني.

---

(٤٣) نفسه، ص ٦.

(٤٤) بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، مصورة عن طبعة ١٨٧٠، ١/ ٢.

(٤٥) سعيد الشرتوني: أقرب الموارد إلى فصح العربيّة والشوارد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٨٩– ١٨٩٣ (٣ أجزاء) ١/ ٦.

(٤٦) نفسه، ١/ ٩.

والجديد في معجم الشرتوني إذن هو نقله عن معاجم معاصريه، وخاصّة عن محيط المحيط. ولم يكن آخر من نقل عن هذا المعجم. فإنّ محيط المحيط قد أصبح له من المنــزلة في النّصف الأوّل من القرن العشرين — في معاجم اللّبنانيّين خاصّة — ما كان للقاموس المحيط في القرن التّاسع عشر. فقد أصبح مصدراً أساسيّاً لمؤلّفين كثيرين نخصّ منهم بالذّكر جرجس همّام الشويري في «معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلميّة والعصريّة» الصّادر سنة ١٩٠٧، والأب لويس المعلوف في «المنجد» الصّادر سنة ١٩٠٨، وجرجس شاهين عطية في «المعتمد فيما يحتاج إليه المُتأدّبون والمنشئون من متن اللغة العربيّة» الصّادر سنة ١٩٢٧، وعبد الله البستاني في «البستان» الصّادر سنة ١٩٣٠[٤٧]. ويمكن أن نُعدّ هذه المعاجم كلّها إذن منتمية إلى مدرسة واحدة، هي مدرسة البستاني في محيط المحيط، وهي مدرسة لا تخلو من مذهبيّة مسيحيّة يسوعيّة في التّأليف المعجمي لعلّ أهمّ ملامحها إخلاءُ المعجم من ألفاظ السّوْءات وإدراج ما حسُن في نظر المؤلّف وراق لذوقه من الألفاظ العاميّة اللّبنانيّة، وتدوين المفردات الدّينيّة المسيحية الخاصّة جدّاً أحياناً، وإيراد ما يراه المؤلّف صالحاً من المصطلحات العلميّة، والفنيّة التّي ظهرت في القرن التّاسع عشر خاصّة.

وقد عيب على هذه المعاجم تقليدها. ويمكن أن يعدّ «المعجم

(٤٧) ينظر حول صلة هذه المعاجم بمحيط المحيط ومظاهر القصور فيها: حسين نصار: المعجـــم العربي، نشأته وتطوره، ط. ٤، القاهرة، ١٩٨٨م ص ٥٧٧- ٥٨٢، رياض قاســم: اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٢ (جزءان)، ٢/ ٣٤٢- ٣٥٠.

الوسيط» بمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة أهمّ محاولة جادّة، لتجاوز مظاهر النّقص فيها. ولكنّ المجمع نفسه لم يخلص من النّقل. فلقد أعدّتْ مادّة معجمه لجنة مجمعيّة كانت تجمع المادّة ثمّ تعرضها على مجلس المجمع ومؤتمره فيناقشانها. و لم يحدّثنا المجمع – في أيّ من طبعات المعجم الوسيط الثّلاث – عن المصادر التّي اعتمدتها اللّجنة التّي كلّفت إعداد المعجم، وليس غريباً أن نجد فيه آثار المعاجم القديمة مثل لسان العرب والقاموس المحيط، خاصّة وأنّ اللّجنة قد جمعت المادّة من المتون الأصول وأضافت إلى ما جمعته ما أقرّه المجمع نفسه من مصطلحات العلوم والفنون، ومن ألفاظ وأساليب حديثة. وهذه الإضافة فيما نعلم هي مدخل المجمع الوحيد في معجمه إلى الاستعمال الآني، ولكنّه مدخل مقيّد بقيود مجمعيّة صارمة حول المقترضات والمولّدات التّي وضعها المحدثون خارج المجمع.

وما يستنتج ممّا تقدّم إذن هو أنّ معاجمنا العربيّة – قديمها وحديثها – معاجم قائمة على النّقل، وخاصّة عن المعاجم السّابقة. فإنّ اللاّحق – كما ذكرنا من قبل – ينقل عن السّابق، فإذا تصرّف تصرّف في تبويب المادّة أو في حشوها بالحذف منه، أو في نقصها بالزّيادة إليها من متون معجميّة أخرى. والنّقل لا يدّل على وصف الاستعمال الآنيّ لمفردات اللّغة بل يدلّ في جوهره على وصف الاستعمال الزّمانيّ الذي كان آنيّاً في عصر المؤلّف الذي يُتّخذُ كتابه مصدراً للنّقل. على أنّ هذه الآنية لم تتحقّق إلاّ في كتاب العين للخليل تحقّقاً يكاد يكون تامّاً.

٤– المصادر والمدوّنة المعجميّة:

نعني بالمدوّنة المعجميّة الرّصيد المعجمي المجمّع من النّصوص، ولا نعني

بالنّصوص المعاجم المدوّنة، بل نعني بها الوثائق الّتي لم تحرّر لغايات قاموسيّة باللّغة الّتي يراد وصفها؛ وهي جامعة لما يكتب في مختلف مجالات النّشاط الفكريّ: من أدب وصحافة وعلم وسياسة واقتصاد وإدارة وفنون على اختلافها. وينبغي ألاّ تعدّ النّصوص الّتي تكتب في مصرٍ مّا أو في مجال ما أفضل من النّصوص الّتي تكتب باللّغة نفسها في أمصار أخرى أو في مجالات أخرى، كأن تُعدّ فرنسية فرنسا أفصح من فرنسية كندا أو فرنسية بلجيكا؛ أو تعدّ إنكليزية إنكلترا أفصح من إنكليزية الولايات المتّحدة أو إنكليزية أستراليا؛ أو يُرى في عربيّة المشرق فضلاً على عربية المغرب؛ أو أن تفضّل النّصوص الأدبيّة الخالصة على ما عداها من النّصوص. فإنّ النّظر اللّساني المحض لا يُفاضلُ بين جهة وجهة أو بين مجال وآخر. ثمّ ينبغي أن تُراعى في النّصوص آنيتها، فيطبّق من مقياس الزمن ما يجعلها معاصرة بحقّ، فلا تصل في القدم مثلاً إلى أكثر من ثلاثين سنة.

فإذا عُلِمَت النّصوص أقبل المعجميّ على استقرائها لاستخراج المدوّنة المعجميّة منها. ولم يكن مثل هذا العمل في الحقيقة سهلاً أو ممكن التّحقيق بالنّسبة إلى المعجميّين العرب القدامى أو حتّى معجميّي القرن التاسع عشر أو النصف الأول من القرن العشرين. وأوّل ما قيّد القُدماءَ كان مواقفَهم المتعصّبة من المستويات اللّغويّة لأنهم كانوا يفضّلون الفصيح الذي دوّن في عصر الاحتجاج ويسقطون ما عداه من المستويات، وخاصّة العاميّ والمُولّد؛ ثمّ إنّ وسائلهم في الجمع والاستقراء كانت ساذجة بسيطة. ولقد ضعف العامل الأوّل بالنّسبة إلى المحدثين، ولكنّ العامل الثاني – أي بساطة الوسائل – قد ظلّ قائماً.

ولكنّ ما كان عسيراً قبل سنوات أو قبل قرون قد صار اليوم

ميسوراً، ونعني به معالجة النّصوص معالجة حاسوبيّة. فإنّ النّصوص إذا جُمعت عالجتها الحواسيب معالجة آليّة بأيّ طريقة ولأيّ غاية يشاء المعالج. ومن أهمّ ما تُنهي إليه المعالجة الحاسوبية تصنيف المفردات المستقراة بحسب نسب تواترها. وهذه النّسب تظهر عادة وجود ثلاثة أرصدة معجميّة:

الأوّل: رصيد تكوّنه مفردات شائعة الاستعمال متواترة. وهذا الرّصيد يصف عادة المظاهر الباقية المستمرّة من تجربة مستعملي اللّغة. فإنّ من المفردات الّتي دوّنها الخليل في كتاب العين في القرن الثّاني الهجريّ عدداً كبيراً جدّاً مازال النّاس اليوم يستعملونه في التّعبير عن حاجاتهم لأنّ المراجع الّتي ترتبط به مازالت قائمة لم تبْلَ بعد، ومثاله الكثير ممّا عبّر عن عواطف الإنسان من حبّ وكره وخوف وأمل...إلخ، وعن حاجاته المعيشيّة مثل الأكل والشرب والنوم واليقظة والعمل والراحة والتنقل والاستقرار...إلخ. فما يبلى ليست الحاجات اللصيقة بالطبيعة البشرية بل الوسائل التي تُستعمل لتحقيقها. فالأكل مثلاً هو الأكل لكنّ موادّه وأدواته قد تغيّرت تغيّراً كبيراً، والتّنقّل هو التّنقّل لكن وسائله ومشاكله قد تطوّرت تطوّراً هائلاً...إلخ. وهذا الذي يبقى جاري الاستعمال هو الذي نسميّه «العربيّ الأدبيّ»، وهذا يدوّن كلّه في المعجم.

والثّاني: رصيد تكوّنه مفردات أقلّ شيوعاً وتواتراً من مفردات الرّصيد الأوّل، وهو واصف عادة للمُولّد والمقترض من المفردات التي تستحدث في اللغة لسدّ الخانات الفارغة. فإنّ في كل عصر من عصور استعمال اللغة صنفين من المفردات: صنف «الحاصل» الذي انتقل إلى الجماعة اللغوية عن الأجيال السابقة من المتكلمين، فهو متناقل متوارث بين الأجيال، وهو أدْخَلُ في الرصيد الأوّل الذي

ذكرنا، وصنف «الحادث» الذي تُوَلِّدُهُ الجماعة اللغوية نتيجة تطور حاجاتها إلى التعبير للدلالة على المفاهيم الجديدة والإحالة إلى المراجع المرتبطة بها. والمفردات المكوّنة لهذا الرصيد من نوعين: نوع منتم إلى اللغة العامة وهذا يدوّن في المعجم اللغوي العام لأنّه معبّر عن التجربة الجماعية ومنتم إلى اللغة الطبيعيّة؛ ونوع منتم إلى لغة العلوم فهو من المولدات المستحدثة للتعبير عن المفاهيم العلمية، أي من المصطلحات التي يولّدها الأفراد أو المؤسّسات لسدّ الخانات الفارغة في مجالات علمية خالصة فتكون إذن مصطلحات علميّة – أو في مجالات علميّة إنسانيّة فتكون المصطلحات لذلك فنيّة. والمصطلحات العلميّة الخالصة تدوّن في المعاجم المختصّة، وأمّا المصطلحات الفنيّة فذات قابليّة لأن تدوّن في المعاجم العامّة لأنّها في الغالب تكون وسطاً بين المفردات اللّغويّة العامّة والمصطلحات العلميّة الخالصة.

والرّصيد الثّالث تكوّنه مفردات لا تواتر لها ولا شيوع. وهو واصف إمّا لمظاهر قد بليت مراجعها فأسقطت نتيجة ذلك من الاستعمال، مثل المفردات الدّالّة على ما أشرنا إليه من قبل من موادّ الأكل وأدواته أو وسائل التّنقّل ومشاكله، وإمّا لمظاهر تمثّل خصوصيّات في تجربة الجماعة اللّغويّة فتكون من استعمال بلد واحد من مجموعة بلدان تتكلّم اللّغة نفسها أو جهة واحدة من جهات تُكوّنُ بلاداً، أو عدد نادر من الكُتّاب. وليس لمفردات هذا الرّصيد من الأهمّيّة ما يجعلها جديرة بالتّدوين ويكسبها صلاحيّة الإثبات في المعجم اللّغوي العامّ. وهي صالحة بدون شكّ لتكوّن مادّة للمعاجم المخصّصة الّتي تفرد لمواضيع مستقلّة، وتصف خصوصيّات بعينها في تجربة الجماعة اللّغويّة.

وإذن فإنّ المعجميّ إذا جمّع النّصوص فكوّن «قاعدة» نصيّة ثمّ عالج تلك «القاعدة» حاسوبيّاً فاستقرى مفرداتها وكوّن منها «مدوّنة معجميّة» ثمّ صنّف مفردات هذه المدوّنة بحسب أرصدتها ودوّن منها في معجمه الشّائع

المتواتر في الاستعمال في عصره، كان معجمه عصريّاً وكان وصفه لمعجمها اللّساني آنيّاً. ولا نعلم أن للعربية مثل هذا المعجم اليوم.

٥- خاتمة:

قد بيّن لنا التّحليل أنّ العربيّة لم تطابق وصفَها مصادرُ الجمع فيها إلاّ في كتاب العين للخليل بن أحمد، في القرن الثّاني الهجريّ. وقد تطوّر نموذج الاستعمال الذي وصفه الخليل بعد القرن الثّاني تطوّراً قد تواصل قروناً. لكن مؤلّفي المعاجم قد تشبّثوا بوصف النّموذج الأوّل وأهملوا إهمالاً يكاد يكون تامّاً ما ظهر بعده من نماذج فكانت معاجمهم لذلك توقيفيّة لأنها قد توقّفت في الزّمن فلم تتجاوز عصراً بعينه بينما تطوّر الاستعمال اللّغويّ بتطوّر المجتمع فكانت العربيّة لغة حيّة تصف واقعاً واقعيّاً وواقعاً حقيقيّاً متطوّرين. فقد كانت منذ عصر الجاحظ لغة الأدب والثّقافة والعلم والفنّ والاقتصاد والسّياسة والإدارة. وأصبحت بداية من القرن الرّابع لغة العالَم الحيّة الأولى. ولم نجد لهذه الحيويّة أثراً في معاجمنا القديمة وفي معاجمنا المتأخّرة الّتي نقلتْ عنها، بل لمسنا روابطها القويّة بواقع تغلب عليه البداوة، منحصر في الزّمان وفي المكان. وإذن فإنّ العربيّة كانت ولاتزال لغة حيّة متطوّرة، ولكن وصف المعاجم العربيّة القديمة والحديثة لها لا يدلّ البتّة على حيويّتها.

التقرير السنوي عن أعمال المجمع

في دورة عام ٢٠٠٢م

إعداد عدنان عبد ربه

بإشراف أمين المجمع

أولاً – اللائحة الداخلية للمجمع والقواعد الإجرائية لتنفيذ أحكامها:

بعد أن أصدر السيد رئيس الجمهورية القانون الجديد للمجمع ذا الرقم /٣٨/تاريخ ٢٠٠١/٦/٦م الذي كان بداية مرحلة جديدة للمجمع أرست قواعد العمل فيه، ونظمت شؤونه كلف مجلس المجمع لجنة خاصة من أعضائه أعدت مشروع لائحة داخلية جديدة للمجمع ، فصَّلت مواد قانونه الجديد، ونظَّمت أعماله ومهام أعضائه والعاملين فيه ، بما يخدم أغراضه التي حددها ذلك القانون.

وصدرت اللائحة الجديدة عن السيد وزير التعليم العالي بالقرار ذي الرقم ٢/ت.ع تاريخ ٢٠٠٢/١/١٥م واشتملت على خمس وأربعين مادة ضمن أحد عشر فصلاً، وأهم ما جاء فيها:

- تنظيم أعمال المؤتمر السنوي للمجمع - الذي نص القانون على انعقاده في الربع الأخير من كل عام — وتحديد الموضوعات التي سيتناولها، والمدعوين إلى المشاركة فيه (الفصل الثالث — المواد ٨ — ١٢).

- بيان أصول الترشيح لمنصب رئيس المجمع ونائبه والأمين، ومهام الأمين (الفصل الرابع - المواد ١٣-١٥).

- تنظيم أعمال مكتب المجمع الذي حل محل اللجنة الإدارية في

القانون السابق ولائحته الداخلية، والمؤلف من رئيس المجمع ونائب الرئيس والأمين وعضوين منتخبين من أعضاء المجمع، وتحديد اختصاصاته. (الفصل الخامس – المواد ١٦- ٢١).

- بيان أصول ترشيح أعضاء المجمع وأعضاء الشرف والأعضاء المراسلين وانتخابهم، والشروط التي يجب توافرها في المرشحين، وتحديد التخصصات اللازمة لسد الحاجات العلمية في المجمع، والحالات المختلفة المتعلقة بأوضاع أعضائه. (الفصل السادس – المواد ٢٢- ٣٣).

- تأليف اللجان الدائمة والمؤقتة، وتحديد مهامها واختصاصاتها، والحد الأدنى لعدد أعضاء اللجنة، ومواعيد انعقادها، وأصول دعوة الأعضاء للاجتماع. (الفصل السابع – المواد ٣٤-٣٦).

ونصت اللائحة على تأليف ست عشرة لجنة دائمة، وجعلت للمجلس الحق في أن يزيد أو ينقص عدد اللجان، فينشئ من بعضها لجنة أو أكثر، أو يدمج بعضها في بعض، وله أن يرجئ تأليف بعضها إلى أن يستكمل أسبابه. (الفصل السابع – المادة ٣٧).

- بيان اختصاص كل لجنة من اللجان الدائمة. (الفصل السابع – المادة ٣٨).

- تأكيد أهمية دار الكتب الظاهرية التابعة للمجمع، ووضع نظام خاص لإدارتها، وبيان نظام العمل في مكتبة المجمع، وأوجه الانتفاع بها. (الفصل الثامن – المادتان ٣٩ – ٤٠).

- إبراز أهمية مجلة المجمع وما ينشر فيها من بحوث ودراسات، وإسناد رئاسة تحريرها وإدارتها إلى رئيس المجمع (الفصل التاسع – المادة ٤١).

- بحث شؤون العاملين والموظفين التابعين للمجمع (الفصل العاشر –

المادة ٤٢).

وخصصت المادتان (٤٤-٤٥) من اللائحة للأحكام الخاصة بصرف تعويض الأعضاء، وإجازتهم بالتغيب لمدد مختلفة.

ويتضح مما سبق أن اللائحة الجديدة قد توسعت في البحث في اختيار أعضاء المجمع، وأصول ترشيحهم وانتخابهم وسفرهم وتعويضاتهم، ومنح عضوية الشرف لمن أدى خدمات جليلة للغة العربية، أو للثقافة، أو للمجمع، واختيار أعضائه المراسلين.

وفصلت كذلك في بيان اختصاصات اللجان الدائمة والمؤقتة، وضم الخبراء المختصين إليها وأحكام عملهم وتعويضاتهم.

ثم قام مكتب المجمع بوضع قرارات ناظمة للقواعد الإجرائية لقانون المجمع ولائحته الداخلية، وعرضها على المجلس فوافق عليها، وصدرت بقرار من السيد رئيس المجمع برقم /١٦/ تاريخ ٢٢/١٠/٢٠٠٢م.

ثانياً: أهم ما قام به المجمع من أعمال:

ونبين فيما يلي أهم الأعمال التي تمت في أقسام المجمع ولجانه:

١: مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في عام ٢٠٠٢م سبع عشرة جلسة بحث فيها الأمور الآتية:

مناقشة نتائج ندوة المعجم العربي التي أقامها المجمع في المدة من ٢٢ - ٢٥ /١٠/٢٠٠١م.

إقرار مشروع قانون حماية اللغة العربية في القطر الذي وضعته لجنة تعزيز اللغة العربية في المجمع.

- الموافقة على إيفاد السيدين رئيس المجمع ونائبه لحضور مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي عقد بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٥م.

- انتخاب ثلاثة وأربعين مرشحاً من داخل القطر وخارجه ليكونوا أعضاء مراسلين للمجمع.

- الإعداد للمؤتمر الأول للمجمع، واختيار الموضوع الذي سيعالجه، والمحاور التي سيدور حولها، والأعضاء الذين سيشاركون فيه.

- انتخاب عضوين جديدين للمجمع هما: الدكتور موفق دعبول، والأستاذ شحادة الخوري.

- الموافقة على إيفاد السيد أمين المجمع إلى بروكسل لحضور اجتماعات الدورة السادسة والسبعين للاتحاد الأكاديمي الدولي في المدة من ٥/٢٩- ٢٠٠٢/٦/٢م إلا أنه لم يسافر لأسباب قاهرة.

- المصادقة على التقرير السنوي للمجمع في دورة عام ٢٠٠١، والموافقة على نشره في مجلة المجمع.

- إعادة تأليف اللجان العلمية الدائمة في المجمع.

- ترشيح الدكتور عبد الكريم اليافي، عضو المجمع، والأستاذ نقولا زيادة من القطر اللبناني لنيل جائزة مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في دورتها الثامنة ٢٠٠٢/٢٠٠٣.

- إقرار مشروع تحديد تعويضات حضور جلسات لجان المجمع، والإنتاج الفكري فيه، الذي وضعته لجنة خاصة في المجمع، ورفعه إلى رئاسة مجلس الوزراء لاعتماده.

- ترشيح الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع ، والدكتور موفق دعبول

للمشاركة في ندوة «قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمة» التي أقيمت في عمان في المدة من ١٦- ١٩/٩/٢٠٠٢م.

- إقرار القواعد الإجرائية لقانون المجمع ولائحته الداخلية، التي أحالها عليه مكتب المجمع.

- دراسة قواعد الإملاء التي وضعتها لجنة الأصول في المجمع، فقرر المجلس إحالتها على وزارة التربية لبيان رأيها في تطبيقها.

- إقرار مشروع موازنة المجمع لعام ٢٠٠٣م.

- ترشيح الأستاذ الدكتور إلياس زرهوني، الجزائري الأصل، مدير معاهد الصحة الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية لنيل الجائزة العالمية للإدارة الكاتالونية في إسبانيا.

- الموافقة على إيفاد السيد أمين المجمع إلى المغرب للمشاركة في ندوة «اللغة العربية إلى أين» التي أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في المدة من ١-٣/١١/٢٠٠٢م

- ترشيح السيد نائب رئيس المجمع للمشاركة في الملتقى الثاني لحماية اللغة العربية بعنوان: «اللغة العربية والتعليم» الذي أقامته جمعية حماية اللغة العربية في الإمارات العربية المتحدة - الشارقة - في المدة من ٢٣-٢٥ كانون الأول ٢٠٠٢م.

- ترشيح السادة: الدكتور إحسان النص، نائب رئيس المجمع، والدكتور عادل العوا والأستاذ سليمان العيسى، عضوي المجمع، لعضوية لجان التحكيم في جائزة مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في دورتها الثامنة ٢٠٠٢/٢٠٠٣م.

٢: مكتب المجمع:

عقد مكتب المجمع في هذه الدورة اثنتين وثلاثين جلسة ، بحث فيها

في شؤون المجمع، ودار الكتب الظاهرية، واتخذ القرارات المالية والإدارية المتعلقة بهما، كما قرر إهداء مجلة المجمع إلى عدد من المؤسسات والشخصيات، وشراء مجموعة من الكتب لمكتبتي المجمع، ودار الكتب الظاهرية، ورشح عدداً من العاملين المناسبين لدورات تدريبية مختلفة.

وأهم الأعمال التي قام بها المكتب هذا العام:

– دراسة التقرير السنوي عن أعمال المجمع لعام ٢٠٠١م، وإحالته على مجلس المجمع.

– تأليف لجنة لدراسة قواعد تعويضات الإنتاج الفكري في المجمع.

– الاقتراح على المجلس إجراء بعض التعديلات على الفقرة / آ /من المادة /٣٣/ من اللائحة الداخلية للمجمع المتعلقة بسفر أعضاء المجمع، وإقامتهم خارج القطر لمدة تزيد على السنة.

– وضع قائمة بأسماء أعضاء المؤتمر الأول للمجمع ، والمشاركين فيه، وإحالتها على المجلس.

– دراسة مشروع موازنة المجمع لعام ٢٠٠٣م ، وإحالته على المجلس.

– دراسة مشروع القواعد الاجرائية لتنفيذ قانون المجمع ولائحته الداخلية، وإحالته على المجلس.

– إنهاء خدمات بعض العاملين في المجمع لبلوغهم السن القانونية، أو لانتهاء مدد عقودهم وفق تعميم رئاسة مجلس الوزراء والقيادة القطرية لحزب البعث.

– اقتراح توسيع ملاك المجمع لأداء مهامه الجديدة بعد صدور قانونه الجديد.

– اختيار عدد من مطبوعات المجمع للاشتراك بها في معرض الشارقة الدولي للكتاب الذي عقد في المدة من ٢٢/١٠/ إلى ١/١١/٢٠٠٢م، ومعرض

القاهرة للكتاب الذي عقد في المدة من ٢٣/١/إلى ٧/٢/٢٠٠٣م.

- الاطلاع على مجموعة من التقارير والدراسات حول ما تم تنفيذه من أعمال الترميم في المدرسة العادلية، وما سيتم تنفيذه مستقبلاً .

- الموافقة على تعيين عدد من العاملين ضمن اختصاصات مختلفة في كل من المجمع ، ودار الكتب الظاهرية، وتعيين أربعة أعضاء من الهيئة الفنية، وفق ما ورد في قانون المجمع ، وتعديل أوضاع بعض العاملين.

- تسمية الأستاذ عدنان عبد ربه مراقباً للمجمع، ومعاوناً للسيد أمين المجمع ، وتكليفه متابعة تنفيذ قرارات المجلس واللجان.

- تزويد المجمع بما يحتاجه من الحواسيب والطابعات الليزرية والذاكرات الحاسوبية، وربط دار الكتب الظاهرية حاسوبياً بشبكة المجمع، وتزويدها بخطين هاتفيين ، وخطين آخرين للمجمع، أحدهما لشبكة الحاسوب .

- تحديد مواعيد استقبال العضو الجديد، الأستاذ شحادة الخوري، وتأبين أعضائه الدكتور عبد الوهاب حومد، والدكتور مختار هاشم، والدكتور عادل العوا رحمهم الله.

٣: لجان المجمع

لجنة المجلة والمطبوعات :

بلغ عدد جلسات اللجنة في عام ٢٠٠٢ إحدى عشرة جلسة، درست فيها المقالات المرسلة اليها لنشرها في المجلة ، فقبلت عدداً منها فأخرجته في المجلد السابع والسبعين، واستبعدت منها ما لا يناسب خطة المجلة.

أما المطبوعات التي قررت طباعتها فهي:

الكتب التي أنجز طبعها وهي في مستودع المجمع:

١- كتاب (الأسماء والأفعال والحروف) — أبنية كتاب سيبويه — تأليف أبي بكر محمد بن الحسين الزُّبيدي (٣١٦-٣٧٩ هـ) تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش.

٢- كتاب (فهرس مجلة المجمع) للمجلدات الخمس عشرة من(٦١-٧٥) من سنة ١٩٨٦-٢٠٠٠م الجزء السابع، صنعة الأستاذ مأمون الصاغرجي.

الكتب التي ما تزال في التنضيد :

١- (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر، المجلد ٦١ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

٢- (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) للزبيدي ، تحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي.

الكتب التي ما تزال قيد الطبع:

١- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، المجلد ٦٠ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

٢- لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

- عقدت اللجنة في هذا العام ثماني جلسات، كان من أبرز ما تم فيها:

- دراسة المجلد (٦١) من كتاب (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر، الذي حققته الأستاذة سكينة الشهابي واقتراح الموافقة على طبعه.

- دراسة كتاب (الإيضاح في شرح المفصل) تأليف ابن الحاجب، تحقيق الدكتور إبراهيم عبد الله.

- دراسة كتاب (شرح غريب ألفاظ الشافعي) تأليف أبي منصور

الأزهري، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، وقد صرف النظر عنه لصدور طبعة أخرى له عن إحدى دور النشر.

- وضع خطة عمل اللجنة لعام ٢٠٠٣ م وكان من أهم بنودها:

أ- فهرسة مخطوطات المجمع وتوصيفها.

ب- تأليف لجنة جرد مصغرات مخطوطات المكتبة الظاهرية ، وذلك للاستفادة منها في أعمال التحقيق.

٣- لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها وألفاظ الحضارة:

عقدت اللجنة في هذا العام أربعًا وعشرين جلسة، كان مما تم فيها:

- وضع مقابلات عربية لعدد من الألفاظ الأجنبية الشائعة.

- مراجعة مشروع معجم ألفاظ الحضارة الصادر عن مكتب تنسيق التعريب. وهو معجم في ثلاثين ومئة صفحة، يحوي مجموعة من مصطلحات الأماكن، والمرأة ومستلزماتها، والمنزل وأدواته، والمركبات، والمكتب وأدواته، والحرف والمهن وما يتعلق بها. وقد كلف الأستاذان الدكتور محمد زهير البابا، والدكتور محمد مكي الحسني الجزائري القيام بمراجعته، فقاما بذلك. وقررت اللجنة إرسال المراجعة قبل منتصف كانون الأول وفاءً بما تعهد به المجمع، وستنظر اللجنة فيها بعد ذلك، كما اقترحت استكمال المعجم لبعد المشروع عن الوفاء بالأغراض التي وضع من أجلها.

- رفع كتاب إلى وزارة الإعلام ونسخة عنه إلى وزارة التعليم العالي بتصحيح كلمة (خِلْيَوِيّ) لتصبح (خَلَوي)، لتعميمه على جميع الوزارات ومؤسسات الدولة، للحؤول دون انتشار الخطأ اللغوي على ألسنة العامة .

- رفع كتاب إلى السيد وزير التعليم العالي بشأن تزويد مجمع اللغة

العربية بالكتب التعليمية الجامعية في مختلف الفروع والأقسام، من أجل تجميع المصطلحات من هذه الكتب وإعداد مشروعات لتوحيدها بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، في سبيل توحيد المصطلحات العلمية بين الجامعات السورية.

– وضع خطة لعمل اللجنة وإدراجها في مشروع الخطة العلمية للمجمع للعام ٢٠٠٣م.

٤– لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية:

– عقدت اللجنة في هذا العام سبع جلسات، بحثت فيها الأمور الآتية:

– العمل على توحيد مصطلحات الفيزياء بين الجامعات السورية، وكان مما تم في إطار هذا العمل:

اعتماد بعض المبادئ في معالجة موضوع توحيد مصه حات الفيزياء في الجامعات السورية.

إدخال مصطلحات الفيزياء الحاسوب. وقد استخدم في هذا المشروع نحو من أربعين كتابًا من مختلف الجامعات السورية .

إعداد البرنامج الذي يسمح بالحصول على جميع المصطلحات العربية المقابلة لمصطلح من المصطلحات الأجنبية الواردة في المشروع بإحدى اللغتين الفرنسية والإنكليزية وبالعكس .

إنجاز دراسة المصطلحات المبدوءة بحرفي (Bو A).

٥– لجنة النشاط الثقافي :

عقدت اللجنة في هذا العام خمس عشرة جلسة، قامت فيها بالأعمال الآتية:

– الترتيب لإقامة مؤتمر سنوي في المجمع، وموسم ثقافي له.

– اختيار موضوع مؤتمر المجمع للعام ٢٠٠٢م بعنوان «تيسير تعليم النحو» لسببين:

أ- الضعف الملاحظ في الكتابة والقراءة والإلقاء لدى الطلاب، ومن يمارسون الكتابة، ويلقون الأحاديث والمحاضرات في شتى وسائل الإعلام.

ب- الصعوبة التي يعانيها المتعلمون في استيعاب مادة النحو.

اختيار محاور موضوع المؤتمر، والموافقة على أسماء الباحثين المقترح دعوتهم لحضوره، والكتابة إلى الباحثين المشاركين فيه، بغية إرسال بحوثهم كاملة قبل نهاية شهر آب ٢٠٠٢م.

٦- لجنة اللغة العربية وأصول النحو:

عقدت اللجنة في هذا العام سبع جلسات تم فيها :

- استكمال دراسة قواعد الإملاء.
- النظر في التقرير الوارد من وزارة التربية فيما يتعلق بقواعد الإملاء.
- عرض طائفة من الأخطاء اللغوية والنحوية للنظر فيها ومناقشتها.
- إحالة كتاب (دليل جموع التكسير) إعداد الأستاذ مروان البواب على لجنة مختصة لدراسته.
- مناقشة بحوث المؤتمر التي أحيلت من لجنة النشاط الثقافي.

٧- لجنة المعجمات اللغوية :

بلغ عدد جلسات اللجنة في هذا العام عشر جلسات، كان من أبرز نشاطها فيها:

- متابعة البحث في معجم الألوان، ودراسة معاجم الألوان وما كتب عنها وأهمها:

أ- معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، للدكتور زين الخويسكي.

ب- معجم اللغة واللون الذي أعده الأستاذ أحمد مختار عمر.

ج- الألوان في المعجم العربي، تأليف الدكتور عبد الكريم خليفة.

د- كتاب «الملمع»، تأليف الحسين النمري.

هـ- معجم «الألوان» ، تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله.

وارتأت اللجنة بعد المداولة صرف النظر عن معجم الألوان، والانصراف إلى إعداد معجم لغوي واف، تتلافى به النواقص والهنات الموجودة في المعاجم الحديثة.

٨- لجنة المكتبة:

عقدت اللجنة في هذا العام سبع جلسات، بحثت فيها واقع مكتبتي المجمع والظاهرية فكان مما أنجزته الأعمال التالية:

- البدء بمشروع التصنيف الموضوعي للمكتبة العربية في المجمع: بعد أن أتم المجمع في العام الماضي إدخال فهرسة أسماء كتب المكتبة الحاسوب أُلفت لجان للقيام بالتصنيف الموضوعي للكتب حسب تصنيف ديوي العشري، وهو التصنيف المعمول به في المكتبات.

- تجليد الكتب والدوريات العربية والأجنبية: تابعت اللجنة ما بدأته سابقًا من تجليد الكتب المعرضة للتلف للحفاظ عليها ، كما قررت الاستعانة بمكتبة الأسد لتعقيم مجموعة من الكتب القيمة.

- الكتب المعارة: تابعت اللجنة السعي لاسترداد الكتب التي طال أمد إعارتها، واستعادت بعضها.

- أقرت تخصيص مبلغ مئة ألف ليرة لشراء كتب من معرض الكتاب في مختلف المجالات وقد بلغ عدد الكتب المشتراة لهذا العام ستين ومئة كتاب لمكتبة المجمع و خمسة وعشرين كتابًا للمكتبة الظاهرية، ومجموعة من القواميس باللغة الانكليزية وأخرى بالفرنسية بلغت قيمتها خمسين وثلاثمئة ألف ليرة سورية.

- اقتراح مشاركة المجمع مع وزارة التعليم العالي في معرض الكتاب العربي الذي أقامته مكتبة الأسد في المدة من ٨-١٨/١٠/٢٠٠٢ .

٤ : دار الكتب الظاهرية:

آ - الكتب والمطبوعات: بلغ عدد الكتب المشتراة في هذا العام أربعة وسبعين كتاباً.كما أهدي إلى الدار ثلاثة وعشرون ومئة كتاب. وبذلك يصبح مجموع الكتب في الدار اثنين وستين وثلاثمئة وستة وسبعين ألف كتاب. وتم تجليد أربع مئة كتاب تجليدًا فنيًا.

ب - الدوريات والمجلات: بلغ عدد المجلات المهداة إلى الدار في هذا العام أربعًا وسبعين مجلة تحمل ثلاثين عنواناً، منها ثمان وأربعون مجلة سورية، وما تبقى منها ورد إلى الدار هدية من الدول العربية الشقيقة.

وبذلك يصبح عدد المجلات والدوريات في الدار اثنين وستمئة وتسعة وثلاثين ألف عدد.

ج - رواد المكتبة: بلغ عدد القراء المشتركين في الدار اثنين وثلاثين وأربعة آلاف مشترك.

د - الإصلاحات الجارية في الدار: ما يزال العمل مستمراً في ترميم المدرسة العادلية، وأصبح عدد من غرفها جاهزاً للاستخدام، كما جهز مستودع المطبوعات، وترتب فيه الكتب ترتيباً حسنًا. وتم إصلاح بعض التمديدات الكهربائية والصحية في المدرستين العادلية والظاهرية.

٥: مؤتمر المجمع ومشاركاته العلمية

آ- مؤتمر المجمع:

إنفاذاً لما أقرَّه قانون المجمع، عُقد المؤتمر الأول بعنوان «تيسير تعليم

النحو» في المدة من ٢٧/١٠ – ٣١/١٠/٢٠٠٢ في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق، برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية.

أقيم حفل افتتاح المؤتمر في الساعة السادسة من مساء يوم الأحد ٢٧/١٠/٢٠٠٢ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، ومثّل راعي الحفل السيد الدكتور محمد زهير مشارقة، نائب رئيس الجمهورية، كما حضر الحفل السادة أعضاء القيادتين القومية والقطرية، وأعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية، والسادة الوزراء والسفراء العرب، ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وأعضاء المجمع، ونخبة مصطفاة من الباحثين المختصين في موضوع المؤتمر من مختلف الأقطار العربية، وجمهور غفير من المدعوين والمعنيين باللغة العربية .

– وألقيت في الحفل كلمات كلٍّ من:

١– السيد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل.

٢– الأستاذ الدكتور حسان ريشة وزير التعليم العالي.

٣– الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

٤– الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب عضو المجمع العلمي العراقي ممثلاً للأساتذة المشاركين في المؤتمر.

عُقدت جلسات المؤتمر طوال خمسة أيام بدءاً من الأحد ٢٧/١٠/٢٠٠٢م حتى صباح الخميس ٣١/١٠/٢٠٠٢م، وبلغ عددها سبع جلسات، ألقي فيها أربعة وعشرون بحثاً، تناولت موضوع «تيسير تعليم النحو».

– وقد اشتمل هذا المؤتمر على المحاور الآتية:

١– **المحور الأول**: أسس تعليم النحو وتيسيره:

آ- الأسس التربوية. ب- الأسس النفسية. ج- الأسس المنطقية

٢- **المحور الثاني:** مشكلات تدريس النحو:

١- تعقيد نصوص القواعد النحوية

٢- كثرة التعريفات والتشعبات

١- المناهج. ٢- الكتب. ٣- المعلم

٣- المحور الثالث: تيسير تعليم مباحث النحو:

آ - مبادئ عامة في تيسير تعليم النحو

ب- أمثلة من المباحث التي يحسن تيسيرها:

الممنوع من الصرف- العدد - الأسماء الخمسة- المستثنى- المنادى

٤- **المحور الرابع:** أساليب تدريس النحو في مختلف المراحل الدراسية ووسائل تيسيرها.

آ- تدريس النحو في مرحلة التعليم الأساسي (الابتدائية والإعدادية سابقاً)

ب- تدريس النحو في المرحلة الجامعية:

أ- للمختصين في اللغة العربية

ب- لغير المختصين في اللغة العربية

ج- تدريس النحو لغير الناطقين بالعربية

وفي ختام المؤتمر تُليت القرارات والتوصيات الآتية:

أولاً- القرارات

١- إعادة تصنيف النحو العربي ليأخذ شكليه الوظيفي والوصفي المناسبين للتواصل الحياتي والبناء اللغوي معًا بما يناسب كل مرحلة من مراحل التعليم.

٢- استخدام وسائل التقنية الحديثة في تعليم النحو كالحاسوب وتسجيل

المباحث النحوية على أقراص ليزرية واستخدام الأشرطة المرئية والمسموعة.

٣- إحالة طائفة من البحوث التي ألقيت في المؤتمر على لجنة اللغة العربية وأصول النحو لدراستها وإقرارها، ومنها مباحث الاستثناء والمنادى والممنوع من الصرف.

٤- تكليف المعلمين والمدرسين في مختلف المراحل الدراسية استعمال اللغة العربية السليمة في دروسهم، ليعتاد التلاميذ والطلاب سماع هذه اللغة واستقرارها في ذاكرتهم.

٥- مناشدة المسؤولين عن الإعلام منع استخدام اللغة العامية في المسلسلات والبرامج الإذاعية والمتلفزة الموجهة إلى الطلاب والجماهير التي من شأنها إفساد لغتنا العربية.

ثانيًا- التوصيات

آ – في المراحل التعليمية الأولى

١- التدرّج في إكساب المهارات النحوية وفق المراحل التعليمية، وتجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.

٢- الإكثار من تكليف التلاميذ حفظ النصوص في المراحل الأولى من التعليم من القرآن الكريم والسنة النبوية والأشعار الجزلة والخطب البليغة لتكون رصيدًا لغويًا للمتعلمين في المراحل التالية وليستقيم بها لسان المتعلم وتصحّ بها كتابته وتعبيره. على أن تضبط الكتب كافة في المراحل التعليمية الأولى بالشكل.

٣- استخدام الوسائل التعليمية والتقنيات الحديثة كالحاسوب في تعليم النحو وتوضيح مفاهيمه ومن هذه الوسائل استخدام البطاقات والصور والملصقات واللوحات وعرض أفلام مناسبة لسن الأطفال.

٤- إعداد معلم النحو في المراحل التعليمية الأولى إعدادًا علميًّا وتربويًّا يكفل له النجاح والتوفيق في عمله التعليمي وإقامة دورات تدريبية للمعلمين.

٥- العناية بتكوين المهارات اللغوية في التعبير والقراءة والكتابة وإقدار التلاميذ على الاستنتاج والاستقراء وتشجيعهم على كتابة موضوعات ميسرة يترك لهم اختيار موضوعاتها.

٦- تأليف كتب للمرحلة الابتدائية تحقق أهداف المنهج وتراعي ما يلي:

أ – استخدام اللغة الميسرة التي يسهل على التلاميذ فهمها.

ب – اصطناع أسلوبي السرد والحوار القريبين من اللغة اليومية.

ج – ضبط النصوص بالشكل التام.

د – تجنب التسميات والمصطلحات المعقدة والحالات الشاذة.

هـ- اختيار موضوعات النصوص من بيئة التلاميذ وحياتهم واهتماماتهم.

و – الاستعانة بالصور والخرائط والجداول التي تيسر على التلاميذ فهم الدرس وحفظه.

ز – استخدام الطرق التربوية الحديثة في عرض المباحث النحوية.

ب – النحو في المرحلتين الثانوية والجامعية:

٧- يتوسع في هاتين المرحلتين في تدريس الموضوعات النحوية التي سبق تدريسها في مرحلة التعليم الأساسي بصورتها المبسطة ويضاف إليها بالتدريج المباحث التي لم يسبق تدريسها، ولا تعطى المباحث النحوية المعقدة إلا في المرحلة الجامعية للمختصين في اللغة العربية.

٨- صوغ القواعد النحوية صوغًا مبسطًا ييسّر على الطلاب استيعابها والابتعاد عن التعريفات وصيغ القواعد الموروثة التي يعسر فهمها على الطلاب.

٩- الإكثار من النصوص النثرية والشعرية ومن القرآن الكريم والسنة النبوية ليستقيم أداء الطالب، وتكليفه حفظ طائفة منها.

ج – توصيات عامة:

١٠- الإبقاء على المصطلحات النحوية التي خلّفها لنا أسلافنا، والابتعاد عن الاجتهادات التي تؤدي إلى البلبلة وتجعل العودة إلى كتب النحو المتوارثة عسيرة.

١١- تجنب القواعد الشاذة والتركيز على الموضوعات النحوية الوظيفية التي تخدم المتعلم وتلبي حاجاته كي يتسنى له أن يقرأ ويكتب ويفهم فهمًا صحيحًا.

١٢- التنبيه على مواطن الخطأ في أساليب المعلمين والأساتذة وإرشادهم إلى الأساليب الصحيحة.

١٣- استخدام التقنيات الحديثة في تعليم النحو كالحاسوب وأجهزة الاستماع وعرض الأفلام والاستعانة بالجداول والصور ونحوها من الوسائل التربوية.

١٤- النظر إلى علم النحو على أنه وسيلة تحقق حفظ نظام اللغة العربية وصيانته من الخلل ولذلك ينبغي تدريس النحو في ضوء هذه الغاية ومراعاة الجانب الوظيفي فيه، وليس النظر إلى علم النحو على أنه غاية في ذاته.

١٥- ضرورة التفريق بين النحو العلمي والنحو التعليمي، فتسهيل النحو لا يدخل الفساد على النحو نفسه وإنما ييسر حفظه واستخدام قواعده ويحفظ لسان المتعلم من اللحن والخطأ.

١٦- تخليص النحو من التعليلات المنطقية والعلل الكلامية التي أفسدته في العصور المتأخرة.

١٧- تجنب فصل النحو من علوم العربية الأخرى كالأدب والبلاغة وتدريسها في نصوص تكاملية.

١٨- غرس حب العربية في نفوس الطلاب وإزالة النفرة بينهم وبين علم النحو باتباع الأساليب التربوية المؤدية إلى تحقيق هذه الغاية، ومن هذه الأساليب إيراد نصوص مختارة من الأدب العربي النثرية والشعرية وآيات من القرآن الكريم.

١٩- ضرورة استخدام العربية الميسرة في تدريس جميع العلوم واستبعاد العامية من المناشط كافة. ويوصى بضبط الكتب المدرسية على اختلاف موضوعاتها بالشكل في مرحلتي التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية —حرصًا على استقامة ألسن الطلاب.

٢٠- وفي مجال تعليم الأطفال العرب في المهاجر يوصى بما يأتي:

أ — دعوة المسؤولين في مجال التعليم والتربية إلى وضع منهج تعليمي مغاير للمناهج السائدة في الأقطار العربية يراعي البيئة الجديدة للطفل.

ب — تلبية حاجات الطفل في المهاجر إلى تعلم اللغة العربية لغة ثانية يمكن استخدامها في حياته اليومية إلى جانب اللغة الأجنبية الأولى.

* * *

ثم رفع المشاركون في المؤتمر إلى سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، برقية شكر وعرفان لرعايته الكريمة لهذا المؤتمر.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع كلمة موجزة، شكر فيها الأساتذة الباحثين المشاركين في المؤتمر على بحوثهم القيمة، ثم ألقى الأستاذ الدكتور عوض حمد القوزي كلمة باسم الأساتذة المشاركين في المؤتمر من الأقطار العربية، شكر فيها مجمع اللغة العربية لضيافته المؤتمر،

كما شكر المشرفين على إعداد المؤتمر، لِما قاموا به من جهد محمود في الإعداد له وتنظيمه تنظيماً دقيقاً.

ب- مشاركات المجمع:

- شارك السيدان رئيس المجمع ونائبه في مؤتمر مجمع القاهرة في دورته الثامنة والستين الذي عقد بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٥م.

- شارك السيد رئيس المجمع والدكتور موفق دعبول في ندوة «قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمة» التي أقيمت في عمان في المدة من ١٦-٢٠٠٢/٩/١٩م.

- شارك السيد أمين المجمع في ندوة «اللغة العربية إلى أين؟» التي أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في الرباط في المدة من ١-٢٠٠٢/١١/٣م.

- شارك السيد نائب رئيس المجمع في الملتقى الثاني لحماية اللغة العربية بعنوان: «اللغة العربية والتعليم» الذي أقامته جمعية حماية اللغة العربية في الإمارات العربية المتحدة – الشارقة في المدة من ٢٣-٢٠٠٢/١٢/٢٥م.

- شارك المجمع في معرض الكتاب الثامن عشر الذي أقامته مكتبة الأسد في المدة من ٨-٢٠٠٢/١٠/١٨م.

- كما شارك بعدد من مطبوعاته الحديثة في معرض الشارقة الدولي للكتاب الذي عقد في المدة من ٢٢/١٠-٢٠٠٢/١١/١م.

٦: مكتبة المجمع:

تم إغناء مكتبة المجمع في هذه الدورة بستة وثلاثين وست مئة كتاب باللغة العربية منها أربعة وأربعون وأربع مئة كتاب إهداءً، واثنان وتسعون ومئة كتاب شراءً، وأصبح عدد الكتب العربية في المكتبة ستة وثلاثين وست مئة وخمسة وعشرين ألف كتاب.

كما زودت المكتبة الأجنبية بثلاثة ومئة كتاب باللغات الأجنبية شراءً وإهداء. ودخل قسم المجلات والدوريات العربية إحدى وستون مجلة ودورية.

٧: حفلات الاستقبال والتأبين:

حفلات الاستقبال:

– أقام المجمع هذا العام ثلاثة احتفالات استقبل في كل منها عضواً جديدًا للمجمع.

– أقيم الحفل الأول مساء الأربعاء ٢٠٠٢/٢/٦م في جلسة علنية في قاعة المحاضرات في مبنى المجمع، تم فيه استقبال الأستاذ الدكتور محمود السيد عضواً في المجمع.

حضر الحفل نخبة من رجال العلم والأدب والسياسة، وجمع غفير من زملاء المحتفى به وأصدقائه وطلابه.

وكان مجلس المجمع قد انتخب الأستاذ الدكتور محمود السيد عضواً عاملاً في المجمع في جلسة عقدها بتاريخ ٢٠٠١/٤/١١م، وصدر بتسميته المرسوم الجمهوري ذو الرقم /٢٧١/تاريخ١٤/٥/٢٠٠٢م.

– وأقام المجمع حفله الثاني مساء الأربعاء ٢٠٠٢/٦/٢٦م في جلسة علنية في قاعة المحاضرات في المجمع، استقبل فيه الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري، عضواً في المجمع، حضره كوكبة من رجال العلم والأدب، وعدد كبير من الأصدقاء والزملاء.

وكان مجلس المجمع قد انتخب الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري عضواً عاملاً في المجمع في جلسة عقدها بتاريخ ٢٠٠١/٤/١١م، وصدر بتسميته المرسوم الجمهوري ذو الرقم /٢٧٢/تاريخ ١٤/٥/٢٠٠١م.

وأقام المجمع حفله الثالث مساء الأربعاء ٢٠٠٢/١٢/١٨م في جلسه علنية في قاعة المحاضرات في المجمع، استقبل فيه الأستاذ شحادة الخوري عضواً في المجمع.

حضر الحفل نخبة من أهل العلم والأدب، وجمع غفير من أصدقاء العضو المنتخب وزملائه.

وكان مجلس المجمع قد انتخب الأستاذ شحادة الخوري عضوًا في مجمع دمشق في جلسة عقدها بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٠م، وصدر بتسميته المرسوم الجمهوري ذو الرقم /٣١٨/تاريخ ٢٠٠٢/٩/١٦م.

ب – حفلات التأبين:

رزئ المجمع هذا العام بفقد ثلاثة من أعضائه هم الأساتذة: الدكتور عبد الوهاب حومد، والدكتور مختار هاشم، والدكتور عادل العوا فكان لفقدهم وقع شديد في نفوس ذويهم وزملائهم وأصدقائهم، وصدى حزين في الأوساط العلمية والأدبية المختلفة، فأقام المجمع حفلين تأبينيين للأولين منهم، وأجّل إقامة الحفل الثالث إلى العام القادم.

أقيم الحفل التأبينيّ الأول للأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد مساء الأربعاء ٢٠٠٢/٣/١٣م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد، بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاته، وحضره كوكبة من رجال العلم والأدب والقانون، وجمع غفير من أهل الفقيد وأصدقائه وزملائه.

وأقيم الحفل التأبيني الثاني للأستاذ الدكتور مختار هاشم مساء الثلاثاء ٢٠٠٢/١٢/٣١م في قاعة المحاضرات في مبنى المجمع.

٨: موازنة المجمع :

مجموع الاعتمادات المخصصة (العادية والاستثمارية) لعام ٢٠٠٢م ١٩,٢٥٦,٣٧٤ ليرة سورية .

مجموع ما أنفق من هذه الاعتمادات في عام ٢٠٠٢م ١٦,٤٠٨,٨٣٤ ليرة سورية.

الاعتماد المتبقي من الموازنة ٢,٨٤٧,٥٤٠ ليرة سورية .

النسبة المئوية للإنفاق في عام ٢٠٠٢م ٨٥,٠٢٪.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٣م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **الأجنـــحة والشمس: دراسة تحليلية في القصة مع مختارات قصصية**/ د. نجمة إدريس– ط١– الكويت: رابطة الأدباء، ١٩٩٨– (سلسلة كتاب الرابطة ٤).

– **أحاديث المذكرات (محمد الفايز: الرؤية والممكن)**/ صلاح دبشة– ط١ – الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١– (سلسلة كتاب الرابطة ٢١).

– **أحمـــد العدواني**/ إعداد د. سليمان الشطي، سليمان الخليفي– الكويت: رابطة الأدباء، ١٩٩٣.

– **أدباء وأديبات الكويت أعضاء الرابطة ١٩٦٤– ١٩٩٦**/ ليلى محمد صالح– ط١– الكويت: رابطة الأدباء.

– **أزمـــة الحـــل العنصـــري لفلسطين وسبيل تحريرها**/ د. أحمد صدقي الدجاني– القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٩.

– **أســـس وتقنيات ري الأراضي الزراعية**/ د. غازي النقشبندي– ط١– أبو ظبي: الدائرة الخاصة، ٢٠٠٢.

– **إسماعيل فهد إسماعيل: ارتحالات كتابية**/ د. مرسل فالح العجمي– ط١– الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١– (سلسلة كتاب الرابطة ١٤).

– **الإشـــارات والتنبيهات**/ ابن سينا؛ تحقيق: مجتبى الزارعي – ط١– قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٣هـــ.

– **إشراقات: نصوص أدبية لأعضاء منتدى المبدعين الجدد**/ المنسق العام: حمد الحمد– ط١– الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠٢.

– **إعجـــاز البـــيان في تفســـير أم القـــرآن**/ صدر الدين القونوي، قدمه وصححه: جلال الدين الآشتياني– ط١– قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ١٤٢٣هـــ– (سلسلة آثار الأستاذ الآشتياني ١٦).

– **انتفاضـــة الأقصــــى وتفجر الحل العنصري لفلسطين**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: دار المستقبل العربي، ٢٠٠١.

– **الانتفاضة الفلسطينية وإدارة الصراع**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٠.

– **الانتفاضـــة الفلســـطينية والتحرير**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٩.

– **الانتفاضة الفلسطينية وزلزال الخليج**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩١.

– **الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١ – القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٨.

– **البيليوغرافـــيا الوطنية الأردنية... لعام ٢٠٠١**/ تقديم: مأمون ثروت التلهوني– عمان: دائرة المكتبة الوطنية، ٢٠٠٢.

- **بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية العنصرية**/ د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.
- **برنامج المحافظة على المواد التاريخية**/ دارة الملك عبد العزيز، مكتبة الكونغرس- الرياض: الدارة، ٢٠٠٢.
- **تاريخ الخلفاء**/ ابن يزيد، تحقيق: محمد مطيع الحافظ- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٩.
- **تجارب الأمم**/ مسكويه، حققه وقدم له: د. أبو القاسم إمامي- طهران: دار سروش، ٢٠٠١- ٢٠٠٢- ٨ج.
- **تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر**/ د. أحمد صدقي الدجاني- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٦.
- **تجليات الأنا في شعر ابن الفارض**/ عباس يوسف الحداد- ط١- الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠٠- (سلسلة كتاب الرابطة ١٠).
- **التعلم والتدريب من أجل العمل في مجتمع المعارف**/ مكتب العمل الدولي- ط١- جنيف: الأمم المتحدة، ٢٠٠٣.
- **تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض**/ د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٧.
- **تكوين العقل الجدلي وعقده**/ نصار زغيّر الربيعي- ط١- بيروت: مؤسسة المواهب، ٢٠٠٢.
- **حكمة الفن الإسلامي**/ د. زهراء رهنورد؛ ترجمة: باسل أدناوي؛ مراجعة: د. محمد علي آذر شب- دمشق: المستشارية الإيرانية، ٢٠٠١- (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ٨).

– **الحـــوار العربي الأوربي: الفكر والمسار والمستقبل.../** د. أحمد صدقي الدجاني– القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٣– ج٢.

– **حـــوار ومطارحـــات/** د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.

– **حياة الصديقة فاطمة: دراسة وتحليل/** محمد جواد الطبسي– ط١– قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٣هـ .

– **خـــالد ســـعود الـــزيد سيرة ومنهجاً/** د. علي عاشور، عباس يوسف الحـــداد– ط١– الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١– (سلسلة كتاب الرابطة ٢٠).

– **الخطـــر يتهدد بيت المقدس/** د. أحمد صدقي الدجاني– ط٢– القاهرة: مركز الإعلام العربي، ٢٠٠١– (سلسلة كتاب القدس ١).

– **الدوائر والزوايا: قراءة في شعر أحمد السقاف/** د. مختار علي أبو غالي– ط١– الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١– (سلسلة كتاب الرابطة ١١).

– **ديـــوان أبي النجم العجلي/** صنعه وشرحه: علاء الدين آغا– الرياض: النادي الأدبي، ١٩٨١– (سلسلة كتاب الشهر ٣٣).

– **رحـــلات ولحظات ممتدة: تأملات وخواطر/** د. أحمد صدقي الدجاني– ط٢– القاهرة: دار الطيف، ١٩٨٧.

– **رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا في سنة ١٨٨٩م/** حسن توفيق العدل، دراسة وتحقيق: د. محمد حسن عبد العزيز– الكويت: رابطة الأدباء، ١٩٩٩– (سلسلة كتاب الرابطة، من أدب الرحلات).

- **رسائل الشهيد الأول**/ الشهيد الأول - ط١ - قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٣ هـ.

- **رسائل المؤتمر القومي الإسلامي**/ تقديم: د. أحمد صدقي الدجاني - ط١ - القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٧ - ٢ج.

- **الرعاية لحال البداية في علم الدراية**/ الشهيد الثاني - ط١ -قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٣هـ - (سلسلة مؤلفات الشهيد الثاني ١٣).

- **الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ**/ سليمان الشطي - ط١ - ١٩٧٦.

- **رؤى مستقبلية عربية للثمانينات**/ د. أحمد صدقي الدجاني - ط٢ - القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣.

- **السيد محسن الأمين: حياته وشعره**/ د. عاطف عبد الحميد عواد - دمشق: المستشارية الإيرانية، ٢٠٠٢ - (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٦).

- **الشعر والقومية: أربعة أصوات من الخليج والجزيرة**/ د. محمد حسن عبد الله -ط١ - الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠٠ - (سلسلة كتاب الرابطة ٦).

- **الشيخ عبد العزيز الرشيد: دوره في الحركة الأدبية والثقافية في الكويت**/ يعقوب يوسف الحجي - ط١ - الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١ - (سلسلة كتاب الرابطة ١٣).

- **صبرا وشاتيلا: الجريمة الإسرائيلية والمسؤولية الأمريكية**/ د. أحمد صدقي الدجاني - ط١ - القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٤.

- **الطريق إلى حطين والقدس: إحياء الذكرى بعد ثمانية قرون**/ د. أحمد صدقي الدجاني - ط١ - عمان: دار البشير، ١٩٩١.

– عبد الرزاق البصير: حياته وأدبه/ د. عبد الله القتم- ط١- الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١- (سلسلة كتاب الرابطة ١٨).

– عبد الله خالد الحاتم: الصحفي، المؤرخ، الباحث/ خالد سالم محمد- ط١ - الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١- (سلسلة كتاب الرابطة ١٢).

– عبد الله سنان مغني الشعب: حياته وشعره/ فاضل خلف- ط١- الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠٠- (سلسلة كتاب الرابطة ٨).

– عبد المحسن الرشيد: الشاعر والشعرية/ د. سالم عباس خدادة- ط١- الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١- (سلسلة كتاب الرابطة ١٥).

– العرب وتأصيل المسرح/ د. خالد عبد اللطيف رمضان- ط١- الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠٠- (سلسلة كتاب الرابطة ٩).

– العرب وتحديات المستقبل/ د. أحمد صدقي الدجاني- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦.

– عرب ومسلمون وعولمة/ د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- القاهرة: دار المستقبل العربي، ٢٠٠٠.

– عروبة وإسلام ومعاصرة/ د. أحمد صدقي الدجاني- بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٢.

– العروض اللازوردية/ د. نبيه كبتول- دمشق: ٢٠٠١.

– علي السبتي شاعر في الهواء الطلق/ إسماعيل فهد إسماعيل- ط١- الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١- (سلسلة كتاب الرابطة ١٧).

– عمران لاطغيان: تجددنا الحضاري وتعمير العالم/ د. أحمد صدقي الدجاني – القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤.

- **عن شعب فلسطين العربي: منظمته، ميثاقه، مشكلاته**/ د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.

- **عـــن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**/ د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- عمان: دار البشير، ١٩٩٢.

- **الفاخـــر في شـــرح جمل عبد القاهر**/ البعلي، تحقيق: د. ممدوح محمد خسارة- ط١- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢- ٢ج- (السلسلة التراثية ٢٤).

- **فاضل خلف: هاجس الريادة والحقول المفتوحة**/ د. فايز الداية- ط١- الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١- (سلسلة كتاب الرابطة ١٩).

- **فكـــر وفعـــل**/ د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥.

- **فهرس المخطوطات المصورة: ملحق**/ إعداد: محمد عزت عمر- حلب: معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٦.

- **في مواجهـــة نظام الشرق الأوسط**/ د. أحمد صدقي الدجاني- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤.

- **القدس والانتفاضة الأقصى وحروب العولمة**/ د. أحمد صدقي الدجاني- ط١ - القاهرة: مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٢- (سلسلة كتاب القدس ١٣).

- **القصـــيدة العربـــية الأندلســـية الغزلية**/ بسمة أحمد صدقي الدجاني- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤.

- **الكلام والفلسفة**/ د. عادل العوا- دمشق: جامعة دمشق، ١٩٦٤.

– **لقاء الكهل بالشاب الذي كانه**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٩.

– **ماذا بعد حرب رمضان: فلسطين والعالم العربي...**/ د. أحمد صدقي الدجاني– القاهرة: ١٩٨٩.

– **المباحث في علم الأصول**/ محمد حسن القديري– ط١– قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٣هـ– ج١.

– **المخطوطات العربية التي صورها المعهد من دار المخطوطات في صنعاء**/ إعداد: عصام محمد الشنطي– ط١– الكويت: معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٨.

– **مدرسة عربية في علم السياسة**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٨.

– **المسرح الخليجي: تأثره بالمسرح العربي والعالمي**/ د. محمد حسن عبد الله– ط١– الكويت: رابطة الأدباء، ١٩٩٦– (سلسلة كتاب الرابطة ٢).

– **مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية**/ د. أحمد صدقي الدجاني– ط١– القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٩.

– **معجم الشعراء في معجم البلدان**/ جمع وتنظيم: كامل الجبوري– ط١– بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢.

– **مفردات التكوين في شعر محمد أحمد المشاري: دراسة فنية**/ د. نسيمة راشد الغيث– ط١– الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠١– (سلسلة كتاب الرابطة ١٦).

- **مفـــردات القرآن: نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية/** عبد الحميد الفراهي؛ تحقيق وشرح: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي- ط١- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢.
- **مقدمـــة فكرية لحركة المشروطة/** د. علي أكبر ولايتي؛ ترجمة: د. محمد علي آذرشب- دمشق: المستشارية الإيرانية، ٢٠٠١- (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ٩).
- **نـــدوة أبي العلاء المعري/** مجموعة من الباحثين- دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٩٨- ٢ج.
- **نظـــرات في قضايا معاصرة/** د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٧.
- **وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط/** د. أحمد صدقي الدجاني- ط١- القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.
- **يـــد العشق، مختارات ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومي/** ترجمها عـــن الفارســـية وقدم لها: د. عيسى علي العاكوب- دمشق: المستشارية الإيرانية، ٢٠٠٢- (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٠).

ب– المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٨٣٦ (٢٠٠٢)، ٨٤٥– ٨٥٠		سورية
	٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٥– ٨٥٩		
	٨٦١ (٢٠٠٣)		
بناة الأجيال	٤٦	٢٠٠٣	سورية
التعريب	٢٣، ٢٤	٢٠٠٢	سورية
الحياة المسرحية	٥٢	٢٠٠٣	سورية
صوت فلسطين	٤٢٣	٢٠٠٣	سورية
الضاد	٣، ٤، ٥، ٦	٢٠٠٣	سورية
عالم الذرة	٨٤	٢ ٠٣	سورية
مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية	١٧	٢٠ ٣	سورية
المجلة البطريركية	٢٢١و ٢٢٢و ٢٢٣	٢٠٠٣	سورية
مجلة جامعة البعث	مج ٢٣ (العلوم الهندسية: ٣) ٢٠٠١م		سورية
	مج ٢٤ (العلوم الإنسانية: ٣) ٢٠٠٢م		
	مج ٢٤ (العلوم الهندسية: ٢، ٤) ٢٠٠٢م		
	مج ٢٥ (العلوم الإنسانية: ١) ٢٠٠٣م		
مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية	مج ١٨ (٦)	١٩٩٦	سورية
	مج ١٩ (العلوم الأساسية: ٦) ١٩٩٧		
	مج ٢٢ (العلوم الأساسية: ٩) ٢٠٠٠		
	مج ٢٢ (العلوم الزراعية: ١٠) ٢٠٠٠		
	مج ٢٢ (العلوم الطبية: ٩) ٢٠٠٠		
مجلة جامعة دمشق	مج ١٣ (العلوم الزراعية) ١٩٩٧		سورية
	مج ١٤ (العلوم الاقتصادية والقانونية: ٢) ١٩٩٨		
	مج ١٤ (العلوم الهندسية: ٢) ١٩٩٨		
	مج ١٥ (العلوم الصحية: ١) ١٩٩٩		
	مج ١٨ (العلوم الصحية: ٢) ٢٠٠٢		
	مج ١٨ (العلوم الهندسية: ٢) ٢٠٠٢		

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المجلة العربية للعلوم الصيدلية	مج ٢ (٥)	٢٠٠٣	سورية
المعرفة	٤٥٩ (٢٠٠١)، ٤٦٠ - ٤٧١(٢٠٠٢)، ٤٧٢، ٤٧٦ (٢٠٠٣)		سورية
الموقف الأدبي	٣٨٤، ٣٨٥	٢٠٠٣	سورية
نضال الفلاحين	٢٧	٢٠٠٣	سورية
نهج الاسلام	٩١	٢٠٠٣م	سورية
الشريعة	٤٤٨، ٤٤٩	٢٠٠٣م	الأردن
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٦٣	٢٠٠٢	الأردن
آفاق الثقافة والتراث	٤٠	٢٠٠٣م	الإمارات
أخبار الألكسو	(١٨، ١٩)	٢٠٠٢	تونس
جذور التراث	مج ٦ (ج ١١/ ٢٠٠٢)		السعودية
الحج والعمرة	٣، ٩، ١٠	٢٠٠٣م	السعودية
علامات في النقد	مج ١٢ (ج ٤٦/ ٢٠٠٢)		السعودية
الفيصل	٣١٩	٢٠٠٣م	السعودية
مجلة جامعة الملك سعود- الآداب	١، ٢ (مج ١٥)	٢٠٠٣	السعودية
المجلة العربية	٣١٣، ٣١٤	٢٠٠٣م	السعودية
مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية	مج ٩ (١)	٢٠٠٣م	السعودية
نوافذ	٢٢	٢٠٠٢	السعودية
البيان	٣٩٣ (عدد خاص)، ٣٩٤	٢٠٠٣	الكويت
تعريب الطب	١٤	٢٠٠٣	الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢٣ (١٩٥، ١٩٦، ١٩٧)	٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م	الكويت
مجلة العلوم	مج ١٩ (١، ٢- ٣)	٢٠٠٣	الكويت
الرسالة الجديدة	عدد تشرين الأول	٢٠٠٢	مصر
الثقافة الإسلامية	٨٧	٢٠٠١م	إيران
التجديد	١٣	٢٠٠٣م	ماليزيا

ج– الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Books:

- Atale of Two Cities/ by Sharles Dickens, England.
- Ashort view of Elizabethan Drama/ by Thomas Marc Parrott and Robert Hamilton Ball,Newyork.
- Beyond Formalism/ by Geoffrey H. Hartman, London.
- The Car Doctor A to Z/ by B . C. Macdonald, Great Britain.
- The English Humourists/ by W. M Thackeray, London.
- The English Utopia/ by A. L. Morton, London.
- Epic And Romance/ by W.P. Ker, Newyork.
- Hidden Patterns/ by Leonard and Eleanor Manheim.
- Homer And The Epic/ G. S. Kirk/ Britain.
- Imagination all Compact/ A. N . W. Macdonald, Britain.
- James Thomson/ J. Logie Robertson, London.
- John Keats/ Aileen Word, London
- The Language Poets use/ Winifred Nowothny, London.
- The Life of Sir Walter Scott/ J. G. Lockhart, London.
- Literary Essays of Ezra Pound/ T. S. Eliot, London.
- Milton/ by Douglas Bush, London.
- Modern English literature/ G. H. Mair and A. C.Ward, Oxford Press.
- The new National Dictionary/ London
- Plato, Five Dialogues/ A. D. Lindsay, Newyork.

- Persian Poems/ A. J. Arberry, London.
- Picasso/ Roland Penrose.
- Poems/ Vladimir Mayakovsky, Moscow.
- The Poetical works of Adam Lindsay Gordon, London.
- The Poems and fables of John Dryden/ James Kinsley, London.
- The real foundations/ David Craig, London.
- Recollections of the Lakes and the Lake Poets/ Thomas De Quincey, Great Britain.
- Romanticism/ Lilian R. Furst, U. S. A.
- Shakespear's Comedies/ Bertrand Evans, Oxford.
- Shakespear's History Plays/ W. M. W. Tillyard, Great Britain.
- Soviet Literature/ K. Zelinsky, Moscow.
- Tales from Shakespear's Lamb/ Charles and Mary Lamb, Great Britan.
- Atreatise on The Novel/ Robert Liddell, London.
- Tolstoy And The Novel/ John Bayley, London.

2 – Periodicals :

- International family Planing Perspectives, Newyork, U. S. A.Vol. 29, No. 1, 2003.
- The Middle East Journal Vol. 57, No. 2, 2003, france.
- The Muslim World. Vol. 93, No 2, April 2003.
- Resistance No. (4,5), 2003, Syria.
- SELF Realization, Spring 2003, U. S. A.

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والسبعين
وفيه القسم الأول من بحوث
ندوة المعجم العربي

(٥–٨ شعبان ١٤٢٢هـ/٢٢–٢٥ تشرين الأول ٢٠٠١م)

(جلسة الافتتاح)

(بحوث الندوة)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ـ٤ تحقيق غلاونجي والذهبي

شعر خداش بن زهير العامري، صنعة د. يحيى الجبوري

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٣٨، ٤٠، تحقيق سكينة الشهابي

إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢) ، تحقيق عبد الإله نبهان

فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦، وضع غزوة بدير

الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وضع الخيمي والحافظ

الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، ج٤ تحقيق أحمد مختار الشريف

علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب ، دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان وميرعلم

فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥ ، وضع محمد خير محمد

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة)

رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية)

المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية)

البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية)

الإتــباع لأبي الطيب اللغوي، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ)

عمر فروخ، كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام، للدكتور عدنان الخطيب

الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب

الدكتور صبحي المحمصاني، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب

الأستاذ عبد الهادي هاشم فقيد المجمع (فصلة)، للدكتور شاكر الفحام

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

ديوان أبي الفتح البُسْتي، تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال

الرســالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد بن حزم الأندلسي، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي

فصول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع، الدكتور فهد أبو خضرة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)، تحقيق عز الدين البدوي النجار

فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي

عــبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)

كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي

ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر

بقية الخاطريات لابن جني (وهي ما لم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي

حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ ــ ١٩٩٢م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



(عدد خاص)

يتضمّن القسم الثاني

من بحوث

(ندوة المعجم العربي)

(٥-٨ شعبان ١٤٢٢هـ/ ٢٢-٢٥ تشرين الأول ٢٠٠١م)

شعبان ١٤٢٤هـ

تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م	**١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية** **١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية** **١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية**

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

مجلّة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »



(عدد خاص)

يتضمّن القسم الثاني

من بحوث

(ندوة المعجم العربي)

(٥-٨ شعبان ١٤٢٢هـ/ ٢٢-٢٥ تشرين الأول ٢٠٠١م)

شعبان ١٤٢٤هـ

تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣م

معجمات الترتيب الصوتي
عند العرب القدماء

د. سامي عوض

صوت الإنسان هو جوهر الكلام ومادته، يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): والصوت هو آلةُ اللفظِ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيعُ، وبه يُوجَدُ التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاّ بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتأليف[١].

يقول الدكتور حلمي خليل: «وهذا يعني أنّ الكلام يتحدَّدُ بداهة، بأنّه أصوات متقطعة ومنظومة في آن، لأنّ مادة الكلام هي أصوات متقطعة، ولكنّها منظومة على وجه مخصوص في كُلّ لغة، وهذا التصور يؤدي إلى أنّ الدراسة العلمية للكلام تقتضي تحليله من الجزء إلى الكلّ ومن الكلّ إلى الجزء، لأنّ الأصوات المفردة المعزولة، إذا نظمت صارت كلمات، والكلمات بما تحمله من دلالات إذا دخلت في علاقات النظم صارت جملاً وكلاماً[٢].

ويقول: تحليل الصوت اللغوي معزولاً ومنظوماً كان محور التفكير

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر «الجاحظ»، «البيان والتبيين»، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون، المجلد الأول، دار الفكر بيروت ص ٧٩ يذكر الدكتور حلمي خليل أن علماء العربية القدماء منذ الخليل كانوا يستعملون مصطلح «الحرف» هو للدلالة على الصوت اللغوي المفرد المنطوق كما كانوا يستعملونه للدلالة على الحرف المكتوب.

(٢) د. حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ١٢٤.

الصوتي عند علماء اللغة قديماً وحديثاً، حتى إنهم كادوا يجمعون على أنّ اللغة أصوات، وأنّ الحدث الكلامي لا يدرك أو يتجلى إلاّ في الصوت(٣).

ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنّ علماء اللغة المحدثين يرون أنّ دراسة الأصوات هي أوّل خطوة في أيّ دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة وهو الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني(٤).

ويُعَدُّ عمل أبي الأسود الدُّؤلي (ت ٦٩هـ) في نقط القرآن الكريم البدايات الأولى في نشأة الدرس اللغوي العربي على أساس صوتي، ويتجلى هذا الأساس الصوتي واضحاً عندما اختار أبو الأسود رجلاً من عبد القيس وقال له:

«خذِ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفيَّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإذا أتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنّة فانقط نقطتين»(٥).

ويوضح الدكتور محمد خير حلواني ذلك بقوله: «وفي هذا النَّص جانبان، جانب فيزيولوجي يعتمد مظاهر الحركات المادية في نطق الحركات، وجانب علمي يعتمد الإدراك اللغوي، فهو يدفع كاتبه إلى ملاحظة طريقة النُّطق، وشكل الشفتين، وهو بذلك يرسي أسساً صوتية ماتزال مستخدمةً حتى أيامنا هذه» (٦).

---

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤- ١٢٥.

(٤) د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، نشر عالم الكتب، الطبعة الثالثة ص ٧٢.

(٥) أبو عمرو الداني، المُحكم في نقط المصاحف، عُني بتحقيقه د. عِزّة حسن دمشق ١٩٦٠ ص٤.

(٦) د. محمد خير حلواني، المُفصّل في تاريخ النحو العربي، (الجزء الأول قبل سيبويه)، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الأولى ١٩٧٩ص ١٠٣.

و لم يقتصر الأساس الصوتي في ذلك العمل على تلك الملاحظات، وإنّما نرى أبا الأسود -على أغلب الظن- قد اختار أن تكون الفتحة من فوق الحرف لأنَّ فيها استعلاء، وأن تكون الكسرة من تحته لما فيها من تسفّل، و لم يبقَ للضمة غير موضع واحد هو وسطه أو أمامه(٧).

أمَّا التنوين فقد جعله من حيث الرمز كالحركة، وهو بذلك يربط بين التنوين - وهو نون خفيّة- والحركة، وربَّما فعل ذلك لما لاحظه في التنوين من ظهوره مَرَّة، وخفائه مَرَّة أخرى فربط بينه وبين حركة الإعراب التي تزول في الوقف وتظهر في الوصل(٨).

وممّا تجدر الإشارة إليه أنَّ القراءات القرآنية شكّلت البدايات المبكرة لظهور الدرس الصوتي العربي، خاصة ما يتعلق منها بملاحظة الاختلافات بين قراءات القُرّاء، وهي صوتية في معظمها، يقول د. محمد خير حلواني: «إنَّ القراءة القرآنية هي التي دعت إلى ظهور علم الأصوات الذي نضج عند العرب، فالمقرئ كان مضطراً إلى إخراج الحروف مخرجاً فصيحاً، وكان مضطراً أيضاً إلى معرفة المَدِّ وقوانينه»(٩).

يذكر ابن مجاهد أنَّ ابن أبي بَزَّة روى عن ابن كثير أنّه قرأ «تعتدّونها»

(٧) آ – المحكم في نقط المصاحف ص٤٢.

ب- مفهوم الدرس الصوتي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث أعَدَّه الدكتور ماهر حبيب لنيل درجة الماجستير من جامعة تشرين بإشرافي.

(٨) آ – المحكم في نقط المصاحف ص٥٩.

ب – مفهوم الدرس الصوتي عند العرب ص٢٩.

(٩) المفصل في تاريخ النحو ص ١٧.

من قوله تعالى: ﴿من عِدَّةٍ تَعْتَدُّونها﴾[١٠] خفيفة الدال، ورويت عنه نفسه أيضاً بالتشديد، فاستفسر منه عن ذلك فأجابه رجعت عنها، ويتابع ابن مجاهد ذاكراً أنّه غلط في ثلاثة مواضع وحَدَّدها[١١]. ومن ذلك أيضاً ما ذكره مكّي القيسي[١٢] من ملاحظة للقراءة بإشمام الضم في أوائل ستة أفعال قد اعتلت عيناها وهي «سِيءَ، وسِيقَ، وحِيلَ، وجِيء، وقِيل، وغِيض» فقرأ هشام والكسائي بإشمام الضم في أوائلها، وقرأ ابن ذكوان بالإشمام في أوّل سِيء، وسِيق، وحِيل، وقرأ نافع بالإشمام في سيء، وسيئت خاصة، وبالكسر في باقيها، وقرأ الباقون بالكسر في أوائل جميعها».

ومن ذلك أيضاً ملاحظته قراءة الصراط بالسين وبالصاد وبالزاي، ونسبة كُلّ قراءة إلى مَنْ قرأها»[١٣].

من هنا ندرك أهمية القراءات القرآنية في ظهور دراسة صوتية عند العرب، لأنّها تعين القارئ على مراعاة صفة الحروف ومخارجها حتى يتمكن من تطبيق القراءة التي يتلقاها عن شيخه دون أن يخلط بينها وبين سواها.

تنويع الترتيب المعجمي عند العرب:

تفيد مادة «عجم» في اللغة معنى الإبهام والغموض، ففي اللسان:

---

(١٠) سورة الأحزاب من الآية «٤٩».

(١١) ابن مجاهد، السبعة في القراءات تحقيق د. شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر، بلا تاريخ ص ٥٢٢– ٥٢٣ وينظر في الصفحتين ٦٢١، ٦٧١.

(١٢) مكّي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، وعللها وحججها، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م ص٢٢٩.

(١٣) الكشف عن وجوه القراءات ص ٣٤.

«الأعجم الذي لا يفصح ولا يبيّن كلامه، وفيه: ورجلٌ أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عجمة».

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل «عجم» ليصير «أعجم» اكتسب الفعل معنى جديداً يفيد هنا السلب والنفي والإزالة»[١٤]، ومن هنا أُطلق على نقط الحروف لفظ «الإعجام» لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض، ومن هنا أيضاً جاء لفظ «المعجم» بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما، ويشرحها، ويُوضح معناها، ويُرتبها بشكل معين، ويكون تسمية هذا النوع من الكتب معجماً إمَّا لأنّه مرتب على حروف المعجم (الحروف الهجائية)، وإمَّا لأنّه قد يزيل أيَّ إبهام أو غموض منه، فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموضٍ وإبهام»[١٥].

ويعني مصطلح المعجم «Dictionary» كُلّ مؤلف مرتب وفق نظام خاص، ويرجع إليه لمعرفة معنى كلمة، أو طريقة لفظها، أو هجائها، أو استعمالها، أو مرادفاتها، أو تاريخها، أو مستواها الاستعمالي، أو تأثيلها، أو اشتقاقها، أو زمن دخولها في اللغة[١٦].

---

(١٤) آ – البحث اللغوي عند العرب ص ١١٦.

ب – صناعة المعجم الحديث، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م ص١٩.

(١٥) آ – البحث اللغوي عند العرب ص ١١٦.

ب – صناعة المعجم الحديث ص ١٩.

(١٦) آ – البعلبكي رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٠م بيروت ص ١٤٧.

ب – د. الجيلالي حلاّم المعاجمية العربية، قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ص١٠.

ويشمل هذا التحديد أيّ كتاب يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيباً معيّناً وشرحاً لهذه المفردات، أو ذكراً لما يقابلها بلغة أخرى»[١٧].

ويجمع لفظ «معجم» قياسياً على «معاجيم ومعجمات» وشاع، على خلاف القياس، جمعه على «معاجم»، ومع ذلك فقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة صحة الجمعين معاً (معاجم ومعجمات)[١٨].

ويظهر لنا من خلال تحليل أهمّ الدراسات العربية الحديثة التي عالجت قضايا المعجمية العربية أنّها غالباً ما اتخذت التقسيم المدرسي أساساً لها، وقد أخذ به جُلّ الدارسين في العصر الحديث، فذهب الدكتور حسين نصّار إلى تقسيم المعاجم العربية إلى أربع مدارس وهي:

آ – **مدرسة الترتيب المخرجي**: ويضع فيها كتاب العين للخليل بن الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، والمحيط للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، والمحكم سيده (ت٤٥٨هـ).

ب – **مدرسة الترتيب الألفبائي على أول الكلمة**: ويُدرِج ضمنها كُلاًّ جمهرة اللغة لابن دريد (٣٢١هـ)، وكتابي: مقاييس اللغة، والمجمل لأحمد ابن فارس (٣٧٥هـ).

ج – **مدرسة الترتيب الألفبائي على آخر الكلمة**: ويدرج تحتها الصحاح للجوهري (ت٤٠٠هـ) والعُبَاب للصاغاني (٦٥٠هـ) ولسان العرب

(١٧) المعاجمية العربية ص١٠ نقلاً عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، لاروس باريس ١٩٨٩، ص٨٢٤.

(١٨) المعاجمية العربية ص١٠ نقلاً عن المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة طبع دار المعارف مصر الطبعة الثانية ١٩٧٣ ينظر: «عجم».

لابن منظور (٧١١هـ) والقاموس المحيط للفيروزابادي (٨١٧هـ) وتاج العروس للزبيدي (١٢٠٥هـ).

د - مدرسة الترتيب الألفبائي دون تقليب: ويُدرج تحتها كُلاً من أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ)، ومعاجم اليسوعيين، كالمنجد للويس معلوف ١٩٤٦م، وأقرب الموارد للشرتوني ١٩١٩م وغيرهما، ومعاجم المجمع اللغوي في القاهرة كالمعجم الوسيط والمعجم الكبير[١٩].

ويثبت الأستاذ عدنان الخطيب التقسيم المدرسي السابق نفسه تقريباً مع إضافة كتاب الحروف للشيباني (ت٢٠٦هـ) والمصباح المنير للفيومي (ت٧٧٠هـ) إلى زمرة معاجم مدرسة الترتيب الألفبائي دون تقليب، كما أضاف ديوان الأدب للفارابي (ت٣٥٠هـ) إلى مدرسة الترتيب الألفبائي على آخر الكلمة[٢٠].

ويضع الدكتور أحمد مختار عمر المعاجم العربية ضمن ثلاث مدارس وهي:

آ - مدرسة الترتيب المخرجي: ويدرج فيها كلاً من العين، وتهذيب اللغة للأزهري، ومختصر العين للزبيدي، والمحكم لابن سيده.

ب - مدرسة الترتيب الألفبائي على أول الكلمة: ويعدّ ضمنها الجمهرة لابن دريد، ومقاييس اللغة لابن فارس، وأساس البلاغة للزمخشري.

ج - مدرسة الترتيب الألفبائي على آخر الكلمة: ويضع فيها الصحاح للجوهري، لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط

---

(١٩) د. حسين نَصَّار المعجم العربي، نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص٨٦ وما بعدها.

(٢٠) الأستاذ عدنان الخطيب، المعجم العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق مجلد ٤٠ ج١ ١٩٦٥ ص٢٠٨.

للفيروزابادي، وتاج العروس للزبيدي[٢١].

يُعَدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الصوت في تاريخ الدراسة اللغوية عند العرب[٢٢]، فقد كان أول من صنف كتاباً يقوم على أساس صوتي، حيث صنّف الكلمات فيه على أساس مخارج الأصوات[٢٣].

وأهمّ ما يميز هذا المعجم — عدا نظامه- أنّ مؤلفه لم يجمع مفرداته عن طريق استقراء ألفاظ اللغة، وتتبعها في مؤلفات السابقين، وجمعها من شفاه الرواة، وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية، حيث لاحظ أن الكلمة قد

(٢١) البحث اللغوي عند العرب ص: ١٢٢-١٧٠.

(٢٢) ينظر ما كتبه د. أكرم عثمان في سلسلة اللسانيات /عدد٥/ الجامعة التونسية تونس ١٩٨٣، ص١٩٥ تحت عنوان: «دراسة في المنهج الصوتي عند العرب» حيث وصفه بأنه العالم الأول عند العرب.

(٢٣) نقل الدكتور ماهر حبيب في بحثه «مفهوم الدرس الصوتي عند العرب» ص٩٦، أن هناك خلافاً حول نسبة كتاب «العين» للخليل، فمن الباحثين من أيّد نسبته، ومنهم من رفض ذلك، وينظر من المحدثين الذين عرضوا آراء الفريقين وناقشوها:

آ — د. فؤاد حنا ترزي في كتابه: «في أصول اللغة والنحو» ص ٧٣- ٧٧.

ب — د. عبد الله درويش في كتابه: «المعاجم العربية بلا تاريخ» ص٤٧ وما بعدها.

ج — د. إميل يعقوب: في المعاجم اللغوية العربية دار العلم للملايين ١٩٨١، ص٥٣.

د — د. حسين نصار في كتابه: «المعجم العربي: نشأته وتطوره» ص٢٧٩.

هـ - د. أحمد مختار عمر في كتابه: «البحث اللغوي عند العرب» ص١٢٧- ١٣١.

و — محمد حسين آل ياسين في كتابه: «الدراسات اللغوية عند العرب» ص٢٣٥ وما بعدها.

ز — د. مهدي المخزومي في كتابه: «الخليل بن أحمد الفراهيدي» الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص١٥٢، وفي كتابه «عبقري من البصرة».

تكون ثنائية، وقد تكون ثلاثية، وقد تكون رباعية، وقد تكون خماسية. وفي كل حالة إذا أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها (بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه) وأمكن تقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يكون الحاصل معجماً يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية. ولكن لا توجد لغة تستخدم جميع إمكانياتها النظرية، ولهذا كان لابُدَّ للخليل بعد الإحصاء النظري أن يميز بين المستعمل من هذه الصور والمهمل، وقد فعل ذلك، واستفاد، في تمييز المستعمل من المهمل، بثقافته اللغوية الخصبة وبخبرته الصوتية الباهرة، ومعرفته بالتجمعات الصوتية المسموح بها وغير المسموح بها في اللغة العربية؛ وبذا حكَّم القوانين الصوتية إلى جانب تحكيمه للمادة اللغوية المسجلة[٢٤].

ويرى الدكتور المخزومي أنّ الذي دفع الخليل إلى العدول عن نظام ترتيب الأحرف المعروف في عصره، وهو الترتيب الأبجدي، والترتيب الألفبائي هو أن هذا الترتيب الموروث السابق لم يُبنَ على أساس علمي فهو حين أراد أن يصنفها على قدر مخارجها كان يرمي إلى إعادة تنظيمها ولكن على أساس علمي واضح[٢٥].

وقد روى الخليل أنه رفض البدء من أوّل أ، ب، ت، ث لأن[٢٦]، الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأوّل كره أن يبتدئ بالثاني.

---

(٢٤) البحث اللغوي عند العرب ص ١٢٢- ١٢٣.

(٢٥) عبقري من البصرة، د. مهدي المخزومي، العراق وزارة الإعلام ص٣٤.

(٢٦) العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي من منشورات دار الهجرة قم ط١، ١٤٠٥هـ ج١ ص٤٧.

كما أنه لم يأخذ بالترتيب الأبجدي (أبجد هوز) لأنّ الهمزة مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء أو الواو أو الألف[٢٧]، يقول الخليل: «فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد.. ثُمَّ الخاء والغين في حيز واحد: كُلهُنَّ حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حيّز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيّز واحد، ثُمَّ الظاء والذال والثاء في حيّز واحد، ثُمَّ الرّاء واللام والنون في حيّز واحد، ثم الفاء والباء والميم في حيّز واحد، والهمزةَ في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه[٢٨].

ثُمَّ نسب كلّ مجموعة وضعها في حيّز من المجموعات السابقة إلى مكان خروجها[٢٩]:

١ – العين والحاء والخاء والغين حلقية لأنّ مبدأها من الحلق.

٢ – القاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة.

٣ – الجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم.

٤ – الصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان.

٥ – الطاء والدال والتاء نطعية، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى.

٦ – الظاء والذال والثاء لثوية، لأنّ مبدأها من اللثة.

---

(٢٧) العين ١/ ٥٢.

(٢٨) العين ١/ ٥٧ – ٥٨.

(٢٩) العين ١/ ٥٨.

٧- الراء واللام والنون ذلقية، لأنّ مبدأها من ذلق اللسان.

٨- الفاء والباء والميم شفوية، لأنّ مبدأها من الشفة.

٩- الياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيءٌ فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه.

ونستطيع أن نُلَخِّص عمل الخليل في كتابه العين استناداً إلى ما ذكره الدكتور أحمد مختار عمر(٣٠).

(١) رتَّبَ كلمات معجمه على الحروف ترتيباً مخرجياً، وقد وجد أعمق الحروف هي حروف الحلق فبدأ بها، ولم يكتفِ بذلك، بل رتَّب حروف الحلق فيما بينها فوجدها ذات مخارج ثلاثة هي: الهمزة والهاء، ثم العين والحاء، ثم الغين والخاء، وقد كان من المتوقع أن يبدأ الخليل معجمه بحرف الهمزة وأن يسمي كتابه: «الهمزة»، ولكنه عدل عن ذلك، وبدأ بحرف العين وسمى كتابه «العين» والسِّرُّ في ذلك أنّ الخليل قد وجد بحسِّه الصوتي، أن الهمزة صوتٌ مُعَرَّض للتغييرات مثل التسهيل أو الحذف، فلم يشأ أن يبدأ بها، ووجد أن الهاء صوت مهموس خفي، فلم يشأ أيضاً أن يبدأ بها، وانتقل إلى الحيِّز الثاني من حروف الحلق فوجد فيه العين والحاء فبدأ بالعين لأنها «أنصع» أي أوضح لأنّها مَجْهورة.

(٢) كان يلتزم تجريد الكلمة من زوائدها، ثم يضعها في مكانها بعد ذلك، ومعنى ذلك أنه بنى معجمه على «الجذور» أو «الأصول» وأهمل حروف الزيادة. وقد ظل هذا دأبُ معظم معاجمنا حتى الآن.

(٣) رتَّبَ الأصوات على الوجه الآتي:

---

(٣٠) البحث اللغوي عند العرب، ص ١٣١ — ١٣٤.

ع ح هـ خ غ /ق ك/ ج ش ض /ص س ز/ ط د ت/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و ا ي/.

(٤) خَصَّص لكلّ حرف كتاباً أسماه باسمه، فالمعجم عبارة عن كتب بعدد حروف الهجاء هي كتاب العين، كتاب الحاء، كتاب الهاء.

(٥) وفي كُل كتاب كان يضع الكلمات التي تشتمل على الحرف. الذي يحمل الكتاب اسمه أيّاً كان موضع هذا الحرف، في الأول أو الوسط أو الآخر.

(٦) حين يتناول كلمة ما كان يقلبها على جميع أوجهها الممكنة، وكان في كثير من الأحيان يلتزم بيان الأوجه المستعملة، والأوجه المهملة.. وقد طبق الخليل نظام التقليبات مع جميع كلمات الثنائي والثلاثي، وكان ينصّ على المستعمل من هذه الصور والمهمل، ولكن مع الرباعي والخماسي وجد أنّ العملية طويلة والاحتمالات كثيرة والصور المستعملة فعلاً، بالنسبة للمهملة، قليلة جدًّا.. ولذا اكتفى بالتقلبات العملية فقط لا الممكنة عقلاً.

(٧) نتيجة لنظام التقلبات فإن كُلّ كتاب لا يشمل على كلمات فيها حروف سابقة: فكتاب (الحاء) لا يشتمل على أي كلمة منها «عين» لأن جميع الكلمات التي تشتمل على حرف العين قد سبقت في كتاب العين، وكتاب الهاء لا يشتمل على أي كلمات فيها عين أو حاء لأنها سبقت.. وهكذا، ومعنى هذا أن الكتب الأولى أكبر من الكتب المتأخرة، ولهذا فإن كتاب العين يعد أكبر كتب المعجم، وحتى تصل إلى الكتاب الأخير نجده عبارة عن ورقتين أو ورقة واحدة.

(٨) خضع تبويب الكلمات لنظام الكمية، فمثلاً في باب العين نجد الكلمات مسجلة حسب التقسيم الآتي:

الثنائي، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، اللفيف، الرُّباعي، الخماسي.

أمَّا الثنائي فقد قصد به الخليل ما اجتمع فيه حرفان من الحروف الصحيحة، وأمَّا الثلاثي الصحيح فهو عنده، كما هو عند غيره، ما اجتمع فيه ثلاثة حروف صحيحة، وأما الثلاثي المعتل فهو ما اجتمع فيه حرفان صحيحان وحرف علّة سواء كان مثالاً أو أجوف أو ناقصاً، وأمّا اللفيف فقد عني به ما اجتمع فيه حرفا علة سواء أكانا مفروقين أو مقرونين.

أمَّا طريقة الكشف في العين فتقتضي:

أوّلاً: تجريد الكلمة من زوائدها وردّ الجموع إلى مفرداتها إذ إنَّ ذلك يؤدي إلى معرفة المادة الأصلية.

فإن كان من بينها «ع» أيّاً كان موضعها، فإن مكان الكلمة هو كتاب العين.

ثانياً: ترتيب حروف المادة ترتيباً صوتياً حسب النظام الذي اختاره الخليل، ويبحث عن مشتقات المادة في باب أسبق حروفها من حيث المدارج الصوتية، فلفظ (جعد) يبحث عنه في مادة ع ج د، ولفظ (هجع) في ع هـ ج، وهكذا... لهذا كان لأبُدَّ أن يعرف الباحث الترتيب المخرجي للحروف.

ثالثاً: إذا كانت الكلمة مضعّفة مثل رَدَّ، زلزل، استغني عن التضعيف لتعود الكلمة إلى أصولها ثنائية أو ثلاثية مثلاً، ثم يبحث عنها في بنائها الثنائي أو الثلاثي وهكذا[٣١].

---

(٣١) آ — البحث اللغوي عند العرب ص ١٣٤.

ب — المعاجم العربية، دراسة تحليلية، الكتاب الأول، تأليف الدكتور عبد السميع محمد أحمد، نشر دار الفكر العربي ص ٣٩.

ولاشك أنّ جميع ما سبق يتطلب من الباحث دراية سابقة بكثير من القواعد الصرفية والنحوية، كما يتطلب درايته سلفاً بالتنظيم الصوتي الذي اختاره الخليل، وبطريقته في ردّ المشتقات إلى مادة تعتبر أصلاً لها جميعاً، ويُفتقد البحث عنها في غير هذا الموضع، ممّا حدا العلماء من بعده إلى تناول منهجه بالتعديل في ناحية منه أو أكثر، وكان ذلك سبباً في نهضة معجمية عظيمة(٣٢).

ويقول الدكتور حلمي خليل: ولاشك أنّ طريقة الكشف على هذا النحو تحتاج إلى بعض التدريب، وربما كانت هذه الصعوبة التي شعر بها بعض واضعي المعاجم بعد الخليل، سواء من حيث بناء المعجم، أو الكشف فيه، هي التي حدت بهم إلى محاولة اكتشاف منهج جديد في ترتيب المداخل، وطريقة وضع المعاجم، مما أدّى إلى تطور واضح في فن صناعة المعجم عند العرب(٣٣).

ومع ذلك فقد وجدنا في التراث المعجمي العربي عدداً من كبار علماء اللغة والمعاجم ممن ساروا على نهج الخليل بحيث تألفت منهم تلك المدرسة المعجمية الرائدة في تاريخ المعاجم العربية منهم:

آ — أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) صاحب «البارع».

ب — أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠) صاحب «تهذيب اللغة».

ج — الصاحب بن عباد (ت ٣٥٨هـ) صاحب «المحيط».

د — ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) صاحب «المحكم».

(٣٢) المعاجم العربية ص ٣٩.

(٣٣) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، الدكتور حلمي خليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ص ١٥٨.

الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥ هـ) العين	الحلقية ع، ح، هـ، خ، غ	اللهوية ق، ك	الشجرية ج، ش، ض	الأسلية ص، س، ز	النطعية ط، د، ت	اللثوية ظ، ذ، ث	الذلقية ل، ر، ن	الشفوية ف، ب، م	الهوائية و، ا، ي، ء

ابن دريد (٣٢١ هـ) جمهرة اللغة	من الحلق هو (أحت الهمزة) أ، ع، ح، غ، خ	من أول الفم أقرب إلى الحلق ق، ك	من اللهاة ج، ش	من وسط اللسان ي	بجنب اللسان من أصول الأضراس إلى أصول الثنايا س، ص، ز	تحت حافة اللسان ن	قريبة من النون ل	أدخل بطرف اللسان ر	من طرف اللسان وأصول الثنايا ت، د، ط	من باطن الشفة السفلى ف	من بين الشفتين ر، ب، م	من الخياشيم ن	بطرف اللسان من أطراف الثنايا ظ، ذ، ث	من وسط اللسان ض

القالي (٣٥٦ هـ) البارع	ء، هـ، ع، ح، خ، غ	ق، ك	ض، ج، ش	ل، ر، ن	ط، د، ت	ص، ز، س	ظ، ذ، ث	ق، ب، م	و، ا، ي
الأزهري (٣٧٠هـ) تهذيب اللغة	من الحلق ع، ح، هـ، خ، ء	لهويتان ق، ك	شجرية ج، ش، ض	أسلية ص، س،ز	نطعية ط، د، ت	لثوية ظ، ذ، ث	ذولقية ر، ل، ن	شفوية ف، ب، م	هوائية و، ي، ا
الصاحب بن عباد (ت ٣٥٨ هـ) المحيط في اللغة	حلقية ع، ح، هـ، خ، ء	لهوية ق، ك	شجرية ج، ش، ض	أسلية ص، س، ز	نطعية ط، د، ت	لثوية ظ، د، ت	ذولقية ر، ل، ن	شفوية ف، ب، م	هوائية و، ي، ا، ء

من خلال مقارنة ترتيب الأصوات في الجدول السابق يرى الباحث ماهر حبيب[٣٤]، أن هناك اتفاقاً في بعض النواحي، كما أنّ هناك اختلافاً أيضاً.

أولاً: الاتفاق:

١– **في ترتيب المجموعات** هناك اتفاق بين ترتيب العين، وترتيب التهذيب وترتيب المحيط في ترتيب الأصوات، وفي تسمية مخارجها، وفي عددها كما نلاحظ اتفاق العين، والبارع في عدد المجموعات دون ترتيبها.

٢– **ضمن المجموعات** هناك اتفاق في ترتيب الأصوات ضمن المجموعات بين العين والتهذيب والمحيط ما عدا مجموعتيّ الأصوات الذولقية، والأصوات الهوائية. كما نلاحظ أن هناك اتفاقاً بين العين والبارع في عدد الأصوات ضمن المجموعات دون ترتيبها، إلا مجموعة الأصوات الحلقية حيث زاد عليها القالي الهمزة، بينما جعلها الخليل بين الأصوات الهوائية.

ثانيًا: الاختلاف:

١– **في ترتيب المجموعات** هناك اختلاف بين العين والبارع في ترتيب المجموعات حيث قدَّم القالي الأحرف الذولقية إلى ما بعد الأحرف الشجرية، وأخَّر الأحرف الأسلية إلى ما بعد النطعية. كما يظهر اختلاف بين العين والهمزة والجمهرة في ترتيب المجموعات، وفي تسميتها، وفي عددها، وفي مخارج الأصوات.

وهناك اختلاف بين العين من جهة، والتهذيب والمحيط من جهة أخرى في:

---

(٣٤) مفهوم الدرس الصوتي عند العرب ص ١٠٧– ١٠٩.

آ – مجموعة الأصوات الذولقية: حيث بدأ الخليل هذه المجموعة باللام، في حين بدأها الأزهري والصاحب بالراء.

ب – مجموعة الأصوات الهوائية: حيث جاءت عند الخليل (و،ا،ي،ء) في حين جاءت عند الأزهري (و، ي، ا) وعند الصاحب (ي،و،ا،ء).

وهناك اختلاف ضمن المجموعات بين العين والبارع في:

آ – مجموعة الأصوات الحلقية: حيث زاد القالي الهمزة عليها، وقدم الهاء على العين والحاء.

ب– مجموعة الأصوات الشجرية: حيث قدم القالي الضاد على الجيم والشين فبدأ المجموعة بها.

ج– مجموعة الأصوات الأسلية: حيث قدم القالي الزاي على السين وهناك اختلاف بين العين والجمهرة تظهر في مجموعة الأصوات الحلقية، واللهوية، والشجرية، والأسلية، والذولقية.

وباستقراء نقط الاشتراك بين كُلٍّ ثنائية من هذه المعاجم لا نكاد نتبين الأسس النظرية التي يمكن أن تجمع بين معاجم المدرسة الواحدة، فنظرة الخليل ابن أحمد إلى اللغة المنبثقة عن المحاكاة، ونظريته في جمع المادة التي تقوم على أساس حصر ما يمكن تأليفه من الحروف العربية من كلمات وألفاظ[٣٥].

ولا تتفق مع نظرية الأزهري التوقيفية التي تعتمد التأكيد على الصحيح من اللغة، كما جاء في مقدمة تهذيبه: «لم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صَحّ لي سماعاً منهم أو روايةً عن ثقة، أو حكايةً عن

---

(٣٥) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. عبد الله درويش ص ٥٢.

خط ذي معرفة ثاقبة، اقترنت إليها معرفتي»[٣٦].

ويرى بعض الباحثين أنّ التقسيم المدرسي المذكور، ليس في وسعه أن يُقَدِم للمعاجمية العربية خدمة، سواءً من حيث التأسيس النظري أو من حيث البناء التطبيقي، لأنه يفتقر حسب رأيهم إلى تفسير التأسيس النظري للمعجم من زاويتين:

١- إغفال نظرة المعجمي إلى اللغة، وإلى أهم عناصر المعجم كالجمع، ومستويات الرصيد اللغوي، والتعريف، والدلالة، والشواهد المقيدة، وصلة المعجم بالنِظام اللساني عامة.

٢- عدم التأكيد على الهدف من تأليف المعجم، والعلاقة النظرية الموجودة بين الجمع والترتيب، كنظرية (العين الصوتية) للخليل بن أحمد، أو نظرية جمهرة اللغة عند ابن دريد، والصحاح عند الجوهري، والتأصيل عند ابن فارس. إنّ مثل هذه الأبعاد النظرية والتطبيقية في المعجم تجعل التقسيم السابق لا يكاد يرقى إلى المفهوم الحقيقي للمدرسة، ناهيك عن النظرية المعاجمية المتكاملة، ومن ثَمَّ يصبح العمل على إعادة تشكيل المعاجم العربية تشكيلاً جديداً يستند إلى معطيات علم اللسان الحديث، ويعتمد التأسيس النظري لعناصره مطلباً ضرورياً[٣٧].

ومن هنا فإنّ مسار المعجمية العربية الحديثة المعاصرة أصبح يتجه نحو الأهداف الوظيفية، وبذلك أخذت تضمحل النظرة المعيارية إلى الرصيد

(٣٦) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤. ج١ ص٤٠.

(٣٧) المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري ص٣٩.

المفرداتي لتحلّ النظرة الوصفية التي تعامل اللسان على أنه كائن حي ينمو ويتطور ويزيد وينقص(٣٨).

* * *

المصادر والمراجع

١- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.

٢- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. عبد الله درويش.

٣- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات دار الهجرة، ج١، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤- أبو عثمان عمرو بن بحر «الجاحظ»، البيان والتبيين، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون، المجلد الأول، دار الفكر بيروت.

٥- أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، دمشق.

٦- د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، نشر عالم الكتب، الطبعة الثالثة.

٧- د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٩٨.

٨- الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ج١، ١٩٦٤م.

٩- د. إميل يعقوب، في المعاجم اللغوية العربية، دار العلم للملايين، ط١ عام ١٩٨١.

١٠- البعلبكي، رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٩٠.

١١- الجيلالي أعلام المعاجمية العربية، قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

---

(٣٨) المرجع السابق ص١٠٦.

١٢- د. حسين نصار، المعجم العربي، نشأته، وتطوره، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية.

١٣- د. حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.

١٤- عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، الكتاب الأول، نشر دار الفكر العربي.

١٥- د. فؤاد حنا ترزي، أصول اللغة والنحو.

١٦- د. ماهر حبيب، مفهوم الدرس الصوتي عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، بإشراف الأستاذ الدكتور سامي عوض.

١٧- مجمع اللغة العربية، المعاجمية العربية، القاهرة، طبعة دار المعارف، مصر الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

١٨- محمد حسين آل ياسين، للدراسات اللغوية عند العرب.

١٩- د. محمد خير حلواني، المفصل في تاريخ النحو، الجزء الأول قبل سيبويه، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٢٠- مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، وعللها وحججها، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

٢١- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعاجمية العربية، المعجم العربي الأساسي لاروس، باريس ١٩٨٩م.

الدوريات

١- د. أكرم عثمان، سلسلة اللسانيات، عدد /٥/، الجامعة التونسية، تونس ١٩٨٣م، دراسة في المنهج الصوتي عند العرب.

٢- عدنان الخطيب، المعجم العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق مجلد ٤، ع١، ١٩٦٥.

نظرة في معجمين حديثين للمترادفات

المكنـــز العربي المعاصر، والمكنـــز الكبير

د. أحمد مختار عمر

مدخل:

مفهوم كلمة مكنـــز:

كلمة المكنـــز ترجمة للكلمة الإنجليزية (ذات الأصل اليوناني) thesaurus. وقد تطور معناها في اللغة الإنجليزية تطورًا كبيرًا، فبعد أن كانت تعني «مخزن البيت»، أو «المكان الذي يحتوي على كنـــز» أصبحت تعني «الثروة»، أو «الكنـــز»، ثم تطور معناها فأصبحت تعني «مستودع المعلومات» مثل المعجم، أو الموسوعة، أو ما شابه ذلك (عام ١٥٦٥)، وأطلق في هذه المرحلة على عدد من معاجم اللغات الرومانسية، واللاتينية، والأماكن المشهورة. وفي عام ١٨٥٢ ظهر عمل روجيه Roget المعنون:

Thesaurus of English Words and Phrases(١)

وتوالت بعد ذلك الأعمال المعجمية التي تحمل الاسم نفسه، مثل:

1-Cook's Thesaurus.
2- Astronomy Thesaurus.
3- NASA Thesaurus.
4- Thesaurus for Graphic Materials.
5- Global Legal Information Network Thesaurus(٢).

أما في اللغة العربية فقد كان أول من ترجم الكلمة إلى «مكنـــز»: «المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات»، وقد أعطاها عددًا من التعريفات

يهمنا منها تعريفه «المكنــز» بأنه معجم أو مجموعة مفردات جمعت وفقًا للأفكار، أي إنها تجميع أو تصنيف للمترادفات، وأشباه المترادفات، والأضداد[٣].

وفي العام نفسه ظهر معجم «المورد» (عربي –إنجليزي) الذي اشتمل على كلمة «مكنــز» وترجمها إلى thesaurus.

وفي عام **١٩٨٩** ظهر «المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات» الذي أعدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، وقد وضع أمام كلمة thesaurus لفظين عربيين هما: «ذخيرة لغوية»، و«مكنــز»[٤].

وفي عام **١٩٩٣** ظهر أول معجم عربي يحمل اسم «المكنــز» وكتب على غلافه بالعربية: المكنــز العربي المعاصر: معجم في المترادفات والمتجانسات، وبالإنكليزية:

Modern Arabic Thesaurus: Arabic- Arabic

وفي عام **٢٠٠٠** ظهر ثاني معجم عربي يحمل اسم «المكنــز»، وكتب على غلافه بالعربية: المكنــز الكبير: معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات.

وبظهور هذين المعجمين استقرت كلمة «مكنــز» باعتبارها المقابل العربي لكلمة thesaurus.

المفهوم الاصطلاحي لكلمة مكنــز:

تحدد موسوعة (كمبردج) المفهوم الاصطلاحي لكلمة thesaurus بأنه معجم يعرض الكلمات بطريقة منظمة عن طريق تقسيمها إلى مجموعات حسب معانيها، وداخل كل مجال تأتي الكلمات ذات الصلة بحيث يشرح بعضها بعضًا[٥].

وأخذ المؤلف على هذا النوع من المعاجم مأخذًا مهمًّا، هو أنه محدود القيمة؛ لأنه لا يحوي معلومات عن العلاقات الدلالية بين الكلمات المستقلة، ولا يبين استخدام الكلمة حسب المناطق، أو الظروف الاجتماعية، أو التنوعات

التخصصية، ولكن الكلمات يُرَصّ بعضها إلى جانب بعض دون تعقيب.

ولكنه اعترف بأهمية هذا النوع من المعاجم، وبفائدته في المواقف العملية اللغوية، مثل الكتابات المتخصصة، والترجمة(٦).

أما معجم وبستر(٧)، فقد طرح السؤال التالي: ماذا يريد الباحث من الـ thesaurus، ثم أجاب عنه قائلاً:

١- إنه يريد منه أن يقدم له كلمة أكثر ملاءمة من تلك التي وردت في ذهنه، وهذا يجعله مختلفًا عن معاجم المترادفات والمتضادات.

٢- إن المكنـــز يمكن أن يمد القارئ بمرادف أقوى أو أضعف من الكلمة التي خطرت بباله، أو يزوده بعبارةٍ ذاتِ تصاحبٍ لفظيّ تحمل نفس المعنى الذي أراده، وهذه أمور لا تتحقق عند الحديث عن الترادف أو التضاد(٨).

٣- ويحدد معجم وبستر مواصفات المكنـــز المثالي بأنه لا يكتفي بسرد قائمة الكلمات، لأن ذلك لا يكشف عن معنى كل كلمة، بل لابد أن يبين لب المعنى لكل كلمة، ويعطي مثالاً توضيحيًا(٩).

التعريف بالمكنـــز العربي المعاصر

تأليف الدكتور محمود إسماعيل صيني وآخرين

يقع هذا المكنـــز في مئة وخمسين صفحة (تشغل المادة اللغوية الخالصة ١١٩ صفحة منها، والباقي يشغله كشاف الجذور) بالإضافة إلى مقدمة تقع في إحدى عشرة صفحة.

أما المقدمة فتعالج عددًا من القضايا، أهمها:

أولاً: استعراض تاريخي لنشأة معاجم المعاني العربية وتطورها على مدار السنين. وقد تناول هذا الاستعراض ثلاثة أعمال قديمة هي: الألفاظ

الكتابية للهمذاني، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده. كما تناول عددًا من معاجم المعاني الحديثة هي: نجعة الرائد لإبراهيم اليازجي، والرافد للأمير أمين آل ناصر الدين، والإفصاح لحسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي، والمنجد في المترادفات والمتجانسات لرفائيل نخلة اليسوعي[١٠].

ثانيًا: التعريف بالمعجم، أو بالمكنــز، وقد تناول في هذا التعريف ثلاث نقاط هي:

أ — تحديد مفهوم المكنــز واختصاصاته، وقد حدده بقوله: المكنــز هو في عرفنا ذخيرة للكلمات، وهو مرشد للباحث عن الكلمات المرتبطة بمفهوم ما يمثله المدخل. فهو أداة لتذكير الباحث بما يعرف من كلمات مما قد لا يرد إلى ذهنه أو خاطره ساعة حاجته إليها عند التأليف أو الترجمة.

ب — ويبين المؤلفون[١١] الفرق بين معجم المعاني والمكنــز بأن الثاني يبنى تنظيمه على الألفاظ بوصفها تمثيلاً للمعاني المختلفة، ومن ثم لا يحتاج الباحث عن الكلمة المناسبة إلى البحث في الفهارس ورؤوس الموضوعات. وكل ما على الباحث أن يذكر كلمة شائعة تتعلق بالفكرة أو المفهوم الذي يود التعبير عنه، ثم يبحث عنه في مكانه وفق الترتيب الألفبائي.

ج — وينفي المؤلفون عن المكنــز قدرته على التمييز بين الكلمات المترادفة أو المتجانسة، أو على شرح معاني المداخل[١٢].

ثالثًا: الحديث عن النظام الذي اتبعه «المكنــز»، ويتلخص فيما يأتي:

أ — اختياره للكلمات الكثيرة الدوران والشيوع لتمثل المدخل إلى الكلمات الأخرى.

ب— بيان جذر الكلمة، ونوعها (فعل/ اسم/ صفة).

ج— ذكر الكلمات المرادفة أو المجانسة للمدخل مرتبة حسب درجة شيوعها.

د- ذكر بعض التعبيرات الاصطلاحية أو شبه الاصطلاحية التي تؤدي معنى كلمة المدخل.

هـ- اتباع الترتيب اللفظي الألفبائي دون النظر إلى جذر الكلمة أو اشتقاقها.

و- تزويد المكنـــز بفهرس للجذور يضم الكلمات المشتقة من كل جذر مما ورد في المكنز.

رابعًا: إيراد مصادر المكنـــز، وهي في جملتها من نوع معاجم الألفاظ والمعاني المعروفة.

خامسًا: بيان طريقة استخدام المكنـــز، وتتلخص فيما يأتي:

أ – البحث عن الكلمة في مكانها وفق الترتيب الألفبائي.

ب- النظر تحت نوع الكلمة (فعل، اسم، صفة).

نظرة نقدية في المكنـــز العربي المعاصر:

يلفت نظر المستخدم لهذا المكنـــز جملةٌ من الصفات الإيجابية منها:

١- الاختصار والتركيز، والاعتماد على سلسلة الكلمات في شرح بعضها بعضًا.

٢- تحقيقه -إلى حد كبير- الغرض من تأليفه، وهو إرشاد الباحث أو المترجم إلى الكلمات المناسبة لموضوعه التي يبحث عنها، والتي قد تكون من محفوظاته اللغوية، ولكنها لا ترد إلى ذهنه ساعة حاجته إليها.

٣- أنه يوفر على الباحث في معاجم الموضوعات خطوة باستبعاده «رؤوس الموضوعات»، واعتماده الكلمة الأولى في سلسلة المدخل لتكون هي المعبرة عن الموضوع.

٤- أنه اختار -في عرضه للكلمات- الترتيب اللفظي الألفبائي، دون اعتبار لجذر الكلمة الذي يقتضي تجريدها من الزوائد للوصول إليها، وهو ما يرهق للمثقف العام.

٥- ذكره بعض التعبيرات الاصطلاحية والسياقية.

٦- تزويده بكشاف للجذور يضم كلمات المداخل المشتقة من كل جذر.

٧- ضبطه الكلمات -أو ما ألبس منها- بالشكل.

. كما يلفت نظره جملة من الصفات السلبية، وأهمها:

١- أن المؤلفين اتبعوا أيسر سبيل عليهم، وهو الاكتفاء برصّ الكلمات بعضها إلى جانب بعض.

- وقد مرّ علينا وصف معجم (وبستر) للمكنـــز المثالي بأنه لا يكتفي بسرد الكلمات، بل لابد أن يبين لب المعنى لكل كلمة[١٣].

٢- أن المعجم خلا من أي أمثلة توضيحية، وهو مطلب نصَّ عليه كذلك معجم وبستر.

٣- أن المعجم خلا من أي إشارة إلى تحديد الاختلافات بين الكلمات، سواء كانت ناتجة عن اختلافات مكانية، أو ظروف اجتماعية، أو تنوعات تخصصية، وهو مأخذ سبق أن أشارت إليه موسوعة (كمبردج).

٤- أن بدء المؤلفين كل مجموعة بأكثر كلماتها شيوعًا لتمثيل المدخل إلى الكلمات الأخرى لا يخلو من التحكم، لأنهم لا يستطيعون أن يقطعوا بأن ما يعدونه أكثر شيوعًا سيعده غيرهم كذلك.

فهل كلمة «آبَ» -مثلاً- أكثر شيوعًا من «عاد»، و«رجع»؟ وهل كلمة «آزر» أكثر شيوعًا من «ساند»، و«عاون»؟ وهل «أَبّ» أكثر شيوعًا - إن كانت شائعة على الإطلاق- من «تجهّز»، و«استعد»، و«تهيأ»؟ وهل «أترع» أكثر شيوعًا من «ملأ»، و«عبّأ»؟ وهل «بَرْهَم» -إن كان أحد منا

قد سمع عنها أو استعملها- أكثر شيوعًا من «رنا»، و«حَدّق»؟ وهل «حُوب» أكثر شيوعًا من «إثم» و«ذنْب»، و«جُرْم»...؟

٥- أن ترتيب الكلمات بعد كلمة «المدخل» قد خضع كذلك لمبدأ الشيوع، حيث بُدِئ بالأكثر شيوعًا، فالذي يليه، وهكذا، أو على حد تعبير المؤلفين «الكلمات.. مرتبة وفق درجة شيوعها»(١٤). وينطبق على هذا الصنيع ما قلناه في المأخذ السابق، إذ إن الباحثين لن يتفقوا على تحديد درجة الشيوع لكل لفظ. وعلى سبيل المثال: ورد بعد المدخل «آزَرَ» الكلمات الآتية بالترتيب:

آسى- أسعد على- وازر- ساند- نصر- أعان- أيّد- أنجد- أجار- رفد- أمدّ- عاون- عان- ساعد- دعم- أغاث- أسعف- ضافر.

ولو كان الخيار لي لأخرت كلاً من «أسعد على»، و«وازر» و«أنجد» و«عان» إلى آخر المجموعة(١٥).

٦- أن المؤلفين كان عليهم، لينجوا من المأخذين السابقين، أن يتبعوا منهجًا آخر يقوم على ما يأتي:

أ – إلغاء مبدأ الشيوع تمامًا، والاستعاضة عنه بالترتيب الألفبائي.

ب- اتباع فكرة التدوير لكل الكلمات الواردة أمام كلمة «المدخل»، بمعنى وضع كل كلمة وردت في المعجم، وضعها في ترتيبها الألفبائي، لتصبح مدخلاً مرة واحدة في المعجم، وكلمةً مرادفة في عدد من المداخل يساوي عدد مرات تكرارها.

ج- أو الاستعاضة عن فكرة التدوير بجعل كشاف الجذور شاملاً لكل كلمات المعجم، وليس لكلمات المداخل فحسب. فالباحث لا يستطيع أن يعرف ما إذا كانت كلمةٌ ما واردة في المعجم- من خلال كشاف الجذور- إلا إذا تصادف وجودها في عمود المداخل.

٧- وهناك مأخذ آخر، هو أن المؤلفين لم يراعوا الاطّراد والشمول في كل مدخل من مداخل المعجم بالنظر إلى ما ورد فيه من كلمات. ولتوضيح هذه النقطة أقول: إنني اضطررت إلى التنقل بين سبعة عشر موقعـاً(١٧) في المعجم، لأجمع أكبر قائمة تضم مرادفات الفعل «عاد». ولو أننا استقرأنا هذه المواقع جميعها لاكتشفنا أن هذه القائمة الشاملة قد خلت من كلمات أخرى كانت تستحق أن تذكر، مثل: وافى- ورد- وصل.

٨- وقد لفت نظري- في المكنـز العربي المعاصر- كذلك جملة سلبيات من أهمها:

أ - وقوع خلط -أحيانًا- بين الأفعال المتعدية واللازمة. فمع «اشتعل» وضع «أضرم» مع أن هناك مدخلاً مستقلاً للفعل «أشعل».

ب- وقوع خلط -أحيانًا- بين مصادر الأفعال، فمع «إشعال» وضع «تأجُّج» وصحتها: «تأجيج».

ج- عدم المنطقية في وضع المشتقات كمداخل. فلماذا تحت المدخل الفعلي وُجد: «اشتعل» و«أشعل»؟ ثم في المدخل المصدري وُجد «إشعال» ولم يوجد «اشتعال»؟

د- وقوع هفوات يرجع بعضها إلى خطأ الضبط، أو سهو الطبع مثل:

- ضبط كلمة «استعر» هكذا: استعرَّ (ص٩)، وصحتها استَعَرَ؛ لأنها من سعر، وليست من عرر.

- تنوين أعمى (ص١١)، وهي ممنوعة من الصرف.

- ضبط كلمة «خصم» بكسر الخاء (ص٤١) وصحتها بالفتح.

- ضبط كلمة «سرحان» للذئب بفتح السين (ص٤٦)، وصحتها بكسرها.

- ورود الفعل «أثاب» ضمن مرادفات الفعل «عاد» (ص٧٦). والموجود في المعاجم «ثاب» من دون همزة.

- ورود كلمة «فاء» مدخلاً لمرادفات اسمية هي: «شفاء»، و«برء»، و«صحة»، و«نقه» (ص٨٥)، ومكانها الأفعال.

- ضبط كلمة «رذل» مرادفة «لئيم» (ص٩٥) بكسر الذال، والصواب بسكونها.

التعريف بالمكنـــز الكبيـــر

تأليف الدكتور أحمد مختار عمر

يحتوي هذا المكنـــز على ٣٤٥٣٠ مدخلاً، موزعة على ١٨٥١ موضوعًا[١٨]، أو مجالاً دلاليًا، ويقع في ١٢٣٢ صفحة، خلص منها للمادة المعجمية ٩١٢ صفحة، وشغلت المقدمات حتى صفحة ٢٥، والفهارس من صفحة ٩٤١ حتى صفحة ١٢٣٢.

أما المقدمات فقد اشتملت على ما يأتي:

أولاً: قائمة بفريق العمل، والمهمات التي كُلِّف بها.

ثانيـــًا: كلمة رئيس فريق العمل التي تضمنت تعريفًا بالمعجم، وتحدثت عن طريقة جمعه وترتيبه، وبينت أهم مزاياه وما ينفرد به عن غيره من المعاجم المشابهة. وقد شغلت هذه المقدمة ثلاث صفحات من المعجم، وتضمنت الأفكار الآتية:

أ — يضم هذا المعجم بين دفتيه معجمًا للموضوعات أو المعاني أو المجالات، ومعجمًا ثانيًا للمترادفات والمتضادات، ومعجمًا ثالثًا لمعاني الكلمات، ومعجمًا رابعًا للألفاظ أو الكلمات.

ب- لا تنحصر قيمة هذا المعجم في فكرته المبتكرة، ولكن تمتد لتشمل منهجيته وإجراءات العمل فيه، واتباعه أحدث المواصفات العالمية في صناعة المعاجم وإخراجها. وما وُضع بين يدي الباحث ليس عملاً معجميًا عاديًّا، وإنما هو نقطة تحول في صناعة المعجم العربي؛ إنه ليس تكرارًا أو تقليدًا لعمل معجمي سابق، أو جمعًا لمعجم من عدة معاجم – شأن العديد من المعاجم السابقة- وإنما هو «موالفة» جديدة تقدَّم للقارئ العربي لأول مرة.

ج- استغرق التخطيط لهذا المعجم والعمل فيه جمعًا وتصنيفًا وتبويبًا وتحريرًا ومراجعةً وبرمجةً وإدخالاً، زمنًا ليس بالقصير. وقد وضع تحت يد فريق العمل قبل البدء في العمل وأثناء العمل كل ما احتوته المكتبة العربية من معجمات عامة وخاصة. فالعامة مثل الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزابادي، وتاج العروس للزبيدي، وأساس البلاغة للزمخشري، والمقاييس لابن فارس. والخاصة مثل:

١ – معاجم الموضوعات والمجالات، وأهمها المخصّص لابن سيده، وفقه اللغة للثعالبي، والألفاظ الكتابية للهمذاني، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر، وتهذيب الألفاظ لابن السِّكِّيت، ومعجم أسماء الأشياء للبابيدي، والإفصاح في فقه اللغة لعبد الفتاح الصعيدي، وحسن يوسف موسى، وغيرها.

٢- معاجم المرادفات قديمها وحديثها. فالقديمة مثل: الألفاظ المترادفة للرماني، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، وكتاب الفرق لقطرب، والكليات لأبي البقاء الكفوي، والحديثة مثل: معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض لنجيب إسكندر، وقاموس المترادفات والمتجانسات للأب رفائيل نخلة اليسوعي، ونجعة الرائد في المترادف والمتوارد لإبراهيم اليازجي، ومعجم الجيب

للمترادفات لمسعد أبو الرجال، والمكنــز العربي المعاصر لمحمود إسماعيل صيني وآخرين، ومعجم المترادفات العربية الأصغر لوجدي رزق غالي.

د- بعد استعراض هذه المصادر وُجد أنها لا تفي بحاجة الباحث، ولا تلبي احتياجاته، فضلاً عن أنها تخلط القديم بالجديد، أو تكتفي بحشد الكلمات جنبًا إلى جنب دون ترتيب معين، ودون تدقيق في معانيها، ودون إعطاء معلومات عنها تتعلق بدرجتها في الاستعمال. ومن أجل هذا وُضع لهذا المكنــز منهج جديد يتجنب عيوب الأعمال المشابهة، ويسمح باستخلاص عدد من المعاجم منه.

هـ- وقد ظهر التفرد في منهج هذا المعجم منذ نقطة البداية، وهي مرحلة جمع المادة، فلم تعتمد – اعتمادًا كليًّا- على معاجم السابقين، وإنما ضمت إليها مادة غزيرة تم استقاؤها من تفريغ العشرات من كتب اللغة والأدب ودواوين الشعر، وعددٍ من الصحف اليومية، منها على سبيل المثال لا الحصر: البيان والتبيين للجاحظ، ديوان المتنبي، ديوان الجارم، ديوان شوقي، مجمع الأمثال للميداني، من كنوز القرآن لمحمد السيد الداودي، أعمال يحيى حقي، أعمال أحمد عبد المعطي حجازي، أعمال إبراهيم عبد القادر المازني، أعمال صلاح عبد الصبور، اللغة واللون لأحمد مختار عمر، وعينة من بعض الصحف... وغيرها.

و- وعلى الرغم من أن الهدف الأول كان صناعة معجم للمترادفات والمتضادات العربية مما كان يسمح بالتخفف من إعطاء أي معلومات إضافية، اعتمادًا على أن كلمات كل مجال يشرح بعضها بعضًا، فإن المعجم لم يقنع بذلك، وأضاف إلى قوائم المترادفات والمتضادات معلومات أخرى تتلخص فيما يلي:

١- بيان نوع الكلمة (فعل، اسم، صفة، حرف) مع فصل كل نوع في مجموعة مستقلة.

٢- تحديد المجال الدلالي العام الذي تنتمي إليه مجموعات الكلمات المترادفة أو المتضادة. واجتهدنا بالنسبة لكلمات المعاني أن نستخلص لكل مجال اسم المجال المضاد له، وهو صنيع تخفف منه كثير من كتب الترادف.

٣- بيان الجذور لجميع كلمات المدخل، وهو أمر أهمله معظم كتب المترادفات، إما على سبيل التخفف، أو نظراً لصعوبته. وقد نبع هذا الحرص من رغبة المعجم في تمكين الباحث من استدعاء جميع مشتقات الجذر الواحد دفعة واحدة، سواء اتفق معناها أو اختلف، وسواء وجدت علاقة اشتقاقية مباشرة بينها أو لم توجد.

٤- وضع شرح موجز أمام كل كلمة، أو مثال توضيحي (أو كليهما)، أو الإحالة إلى كلمة أخرى وردت في المجال نفسه. كما راعى المعجم في الأمثلة -خاصة بالنسبة للكلمات الحية المعاصرة- أن تكون طبيعية غير مصطنعة ولا متكلفة، أو أن تكون مأخوذة من نص حي حديث. أما الأمثلة التراثية فقد راعى فيها الإيجاز والتركيز، وأن تكون كاملة المعنى، بقدر الإمكان، وذات مغزى.

٥- إضافة نماذج من المصاحبات اللفظية التي يكثر استخدامها، وأخرى من التعبيرات السياقية التي اكتسبت معاني جديدة زائدة على معاني مفرداتها. وقد وُزعت هذه التعبيرات في مكانين، أحدهما: مقابل الكلمة التي ورد فيها التعبير، والآخر في نهاية المجال حتى يتطابق معنى التعبير مع معنى المجال دون أن يحتوي على أي كلمة من كلماته.

٦- إضافة معلومة لم تتطرق إليها معظم معاجمنا العربية، وهي المعلومة الخاصة بتصنيف الكلمة وبيان درجتها في الاستعمال (انظر: دليل التصنيف). ونبع حرص المعجم على هذا التصنيف من الإيمان بأن جزءاً من معنى الكلمة يأتي من تحديد مستواها في اللغة، الذي يختلف تبعًا لاختلاف الأسلوب، أو

الزمان أو المكان، أو الطبقة الاجتماعية أو الثقافية. إذ ليس من المعقول أن تُرصّ كلمات الترادف بعضها إلى جانب بعض على توهم أنها، لترادفها في معناها اللغوي، مترادفة كذلك في معانيها الثانوية والأسلوبية والسياقية، وهو ما لا يقول به أحد من علماء اللغة والدلالة المعاصرين. (انظر الملحق رقم١).

ثالثًا: إرشادات الاستخدام وقد تضمنت جملة من المبادئ، أهمها ما يأتي:

أ – ترتيب المجالات الدلالية الواردة في المعجم ألفبائيًا، وكذلك ترتيب الكلمات داخل كل مجال ألفبائيًا.

ب– إتباع مرادفات كل مجموعة بمجموعة مضاداتها حين يتوافر ذلــك[١٩]. ولما لم يكن هناك معيار حاسم لاعتبار إحدى المجموعتين مرادفًا، والأخرى مضادًا، فإن فهرس المجالات قد أزال الحاجز بين النوعين، واشتمل على المجال المضاد، مرة مقترنًا بقسيمه المرادف، ومرة باعتباره مرادفًا مع ذكر قسيمه أمامه باعتباره مضادًا. فمجال البكاء مثلاً ورد (في ص ٥٧٢) باعتباره مضادًا لمجال الضحك (ص٥٧١) ولكنه ورد مرتين في فهرس المجالات: مرة في حرف الباء باعتباره مجالاً دلاليًا، ومرة في حرف الضاد باعتباره مجالاً مضادًا.

ج– توسيع مفهوم الترادف ليشمل كذلك أشباه الترادف، والكلمات المتقاربة في المعنى.

د– وضع كلمات الترادف أو التضاد في مجموعات متجانسة من حيث النوع (فعل، اسم، صفة، حرف)[٢٠]، مع فصل أسماء الأعيان عن المصادر، ومع توسيع معنى المصدر ليشمل كل ما يدل على الحدث المجرد مما سماه النحاة: اسم المصدر، أو المصدر الميمي.

هـ- احتواء المعجم على أمثلة كثيرة للتعبيرات السياقية، وهذه -إذا اشتملت على إحدى كلمات المجال- وضعت في السطر نفسه مع الكلمة، أما إذا خلت من إحدى كلمات المجال فكانت توضع مجموعة في آخر المجال بعد الانتهاء من جميع كلماته.

و- إتباع كل كلمة في المعجم بوصف تصنيفي يبين مستوى استخدامها. وقد روعي توحيد التصنيف حينما يتكرر بأكثر من نوع كلامي، إلا إذا كان هناك فرق في درجة الاستعمال لأحدهما، فكان المعجم يعبر عن هذا الاختلاف بمخالفة التصنيف، كما فعل المعجم مع الفعل «كاس» الذي صُنّف على أنه من لغة المثقفين، في حين صنف مصدره «كياسة» على أنه إيجابي معاصر.

رابعًا: دليل التصنيف، وقد تضمن المعلومات الآتية:

١- التمييز بين الرصيد الإيجابي الذي يمكن استخدامه في لغة العصر الحديث، والرصيد السلبي الذي فقد وجوده في اللغة الحية بمستوييها التراثي والحديث، و لم ينتقل من جيل إلى جيل إلا من خلال المعاجم. وهذا النوع الأخير يقابل ما يسمى في اللغة الإنجليزية obsolete (ممات أو مهجور)، وقد بلغ مجموعه في المعجم ٣٠٣ كلمات، أي بنسبة أقل من ١٪.

٢- التمييز بين الرصيد الإيجابي المعاصر الذي يمثل اللغة الحية السائدة Current Arabic، أو النمط المشترك الذي يربط المثقفين بعضهم مع بعض، ويستخدمونه لنقل أفكارهم إلى جمهورهم، والرصيد الإيجابي التراثي الذي لا يصادفه الباحث إلا في النصوص القديمة، ولا يستخدمه إلا المتصلون بالتراث في المناسبات الخاصة، وهم مع ذلك لا يسرفون في استخدامه، ولا يضمّنونه

كلامهم إلا على سبيل الاقتباس أو الاستشهاد دون أن يتحول إلى نمط سائد. ولا يعني وصفنا اللفظ بأنه من الرصيد المعاصر أنه استجد في العصر الحديث، وإنما يعني أنه مستعمل في العصر الحديث ولو كان قديمًا. ويمثل الرصيد المعاصر الأغلبية العظمى في المعجم.

٣- تمييز الرصيد القرآني من غيره -نظرًا لما للاستعمالات القرآنية من قيمة خاصة- مع ملاحظة الفصل بين الكلمات القرآنية التراثية التي لم يعد استعمالها شائعًا في لغة العصر الحديث (مثل الكلمات «أبَق» بمعنى هرب، و«نَتَق» بمعنى: رفع، و«ضِيزَى» بمعنى: جائرة، و«واصِب» بمعنى: دائم لازم...) والأخرى الشائعة الاستعمال التي كثيرًا ما تقتبس في لغة المعاصرين، وقد بلغت نسبة القرآني التراثي نحوًا من ٣٪ والقرآني المعاصر نحوًا من ٢٢٪.

٤- التمييز بين الاستعمال العام، والاستعمال الخاص أو المقيد بمكان معين، أو موقف معين، أو فئة معينة (لهجة أو لغة محلية، رسمي، من لغة المثقفين، مصطلح علمي).

٥- التمييز بين الكلمات أو الدلالات المستقرة في المعاجم القديمة، وتلك المولدة أو المستحدثة التي دخلت اللغة مؤخرًا، أو بعد نهاية عصر الاستشهاد (القرن الثالث الهجري) والتي غالبًا ما تعبر عن ظاهرة حضارية استجدَّت في المجتمع فوُضِع بإزائها لفظ يعبر عنها (مولد أو محدث)، وذلك مثل الكلمات «تلاشى»، و«حبَّذ»، و«سيارة»، و«شاحنة»، و«مسرح»... إلخ ومثل هذا النوع من الكلمات قد يكون سائدًا في لغة العصر الحديث وقد لا يكون.

٦- تمييز كلمات معينة للتحذير من استخدامها إما لأنها محظورة أو مبتذلة أو سوقية. فمثل هذه الكلمات لا يحسن استخدامها في المواقف الرسميّة أو العامة، أو في حضور النساء أو الأطفال.

وقد اقتصرنا في هذه وتلك على أقل القليل من الكلمات، وتجنبنا الصريح أو المباشر منها.

وهذا تبلور التصنيف في الأنواع الآتية:

١- إيجابي قرآني معاصر	وقد بلغ ٧٦٠٠ كلمة	بنسبة ٢٢٪.
٢- إيجابي معاصر	وقد بلغ ١٢٤١٠ كلمات	بنسبة ٣٥,٩١٧٪.
٣- إيجابي تراثي	وقد بلغ ٥٩٨٨ كلمة	بنسبة ١٧,٣٤٣٪.
٤- من لغة المثقفين	وقد بلغ ٥٥٧٣ كلمة	بنسبة ١٦,١٣٩٪.
٥- مولد أو محدث	وقد بلغ ١٢٣٥ كلمة	بنسبة ٣,٥٧٦ ٪.
٦- إيجابي قرآني تراثي	وقد بلغ ٩٦٠ كلمة	بنسبة ٢,٧٩٪.
٧- لهجة أو لغة محلية	وقد بلغ ٣٣٠ كلمة	بنسبة ٠,٩٥٥٪.
٨- سلبي	وقد بلغ ٣٠٣ كلمات	بنسبة ٠,٨٧٧٪.
٩- مصطلح علمي	وقد بلغ ٦٥ كلمة	بنسبة ٠,١٨٨٪.
١٠- مبتذل	وقد بلغ ٤٥ كلمة	بنسبة ٠,١٣٪.
١١- محظور	وقد بلغ ١٤ كلمة	بنسبة ٠,٠٤١٪.
١٢- رسمي	وقد بلغ ٥ كلمات	بنسبة ٠,٠١٤٪.

خامسًا: قائمة بالمراجع، وقد حوت ١٠٥ مرجع عربي، و٥ مراجع إنكليزية.

أما فهارس المعجم فتعد عملاً متميزًا في بابه؛ إذ تم إعدادها باستخدام الحاسوب، وضمت ثلاثة أنواع هي:

أ – فهرس المجالات الدلالية (ص ٩٤١-٩٨٢).

ب- فهرس الكلمات (ص ٩٨٣-١١٥٨).

ج- فهرس الجذور ومشتقاتها (ص ١١٥٩-١٢٣٠).

هذه هي أهم مواصفات المعجم وخصائصه، وأضرب بعض الأمثلة التوضيحية حتى تكتمل الصورة:

١- **اشتمل مجال «الرسالة»** (رقم ١٠٦٦ ص ٤٥٥) على المعلومات الآتية:

١٠٦٦- الرِّسَالة

الرِّسَالة:

أَلُوك [ا] ألك [ج] إيجابي تراثي [ت]: رسالة.

أَلُوكَة [ا] ألك [ج] إيجابي تراثي [ت]: رسالة.

بَـرْقِيَّة [ا] برق [ج] مولد أو محدث [ت]: رسالة ترسل بواسطة المبرقة (التلغراف) « برقية تهنئة/ تعزية».

بَرِيد [ا] برد [ج] إيجابي معاصر [ت]: ما يُتلقى من رسائل وطرود. [م] ساعي البريد: موظف مختص بنقل الرسائل.

تلغِراف [ا] تلغراف [ج] مولد أو محدث [ت]: برقية «أرسل تلغرافًا إلى أهله». [م] مكتب تلغراف: مكان مخصص لإرسال البرقيات واستقبالها.

جَوَاب [ا] جوب [ج] إيجابي معاصر [ت]: ردٌّ على رسالة. [م] ربما كان السكوت جوابًا.

خِطَاب [ا] خطب [ج] إيجابي معاصر [ت]: رسالة. [م] خطاب مفتوح: رسالة توجه إلى مسؤول عن طريق الصحافة.

رِسَالَة [ا] رسل [ج] **إيجابي معاصر** [ت]: خطاب «بعث برسالة مُسَجَّلَة». [م] رسالة الماجستير/ الدكتوراه/ مُسَجَّلة.

فاكس [ا] فكس [ج] مولد أو محدث [ت]: رسالة ترسل بواسطة الناسوخ (جهاز الفاكس).

كِتَاب [ا] كتب [ج] **إيجابي قرآني معاصر** [ت]: رسالة ﴿اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِه إِلَيْهِم﴾.

مَأْلُك [ا] ألك [ج] إيجابي تراثي [ت]: رسالة.

مَأْلُكَة [ا] ألك [ج] إيجابي تراثي [ت]: رسالة.

مَكْتُوب [ا] كتب [ج] لهجة أو لغة محلية [ت]: رسالة.

ويمكن الوصول إلى هذا المجال بالبحث مباشرة في المعجم مع اتباع الترتيب الألفبائي للمجالات، أو من خلال فهرس المجالات الدلالية (ص٩٦٠)، أو فهرس الكلمات (ص١٠٦١)، أو فهرس الجذور (رسل ص١١٨٢).

٢– تحت الجذر «كتب» (ص١٢١٢) سيجد الباحث ثمانية عشر لفظًا (للرجوع إلى أماكنها في المعجم يُرجع إلى فهرس الكلمات)، وهي حسب ترتيبها الألفبائي (والرقم هو رقم المجال):

استكتاب (٢٢٧٣) – استكتب (٢٢٧٢)– اكتتاب (٢٢٧٣)– اكتتب (٢٢٧٢)–الكتاب (٢٤) كاتَبَ (١٧٩٣) –كاتِب (١٦٨٠,٤٦٧)– كُتَّاب (١٢٠٩)– كِتاب (٤٦٦)– كتابة (١٦٧٩)– كتابيّ (١٦٨١)– كَتَبَ (٥٣٣، ٥٩٠، ١٦٣٧، ١٦٧٨)– كِتْبة (١٦٧٩)– كتبية (٢١١٧)– مكاتبة (١٧٩٤)– مكتب (١٧٦٠)– مكتبة (١٨٨٣)– مكتوب (١٠٦٦).

٣- إذا أخذنا الفعل: «كتب» كمثالٍ تمّ تجميعه من فهرس الكلمات نجده قد توزع على أربعة مجالات هي:

أ- التخييـــر: (وضده الإجبار)، وقد ورد مع مجموعة «الإجبار» التي تضم ثلاثين كلمة، منها: أجبر، وأرغم على، وأكره على، وأوجب، واستكره، وحمل، وقسر، وكلّف.. إلخ.

ب- التشريع، وقد ورد مع مجموعة تضم ثلاث عشرة كلمة، منها: أوجب، وسَنّ، وشَرَع وشرَّع، وفرض...

ج- **القضاء والحكم**، وقد ورد مع مجموعة تضم ست عشرة كلمة، منها: أفتى، وأمر، وأمضى، وأنفذ، وبتّ، وحَسَم، وحكم، وفَصَل، وقَدَر، وقرّر...

د- الكتابة، وقد ورد مع مجموعة تضم عشرين كلمة، هي: استطر، وحبّر، وخطّ، ودوّن، ورسم، ورشم (كلمة سلبية)، ورقش، ورقم، ورَقَن (محلية)، ورقّن، وزَبَر، وسجّل، وسَطَر، وسطّر، وقيد، وكتب، ولَمَق، ونسخ، ونقل، ونمنم. (انظر الملحق رقم٢).

٤- إذا أخذنا كلمة «الكتاب» كنموذج أخير (لاحظ أنها معرّفة بأل) نجدها قد وردت تحت مجال «أسماء القرآن» (رقم٢٤ ص٣٢) ضمن مجموعة ضمت: التنـــزيل، والذّكر، والفرقان، والقرآن، والكتاب، والمثاني، والمصحف.

أما كلمة «كتاب» منكرة فقد وردت تحت مجال «التأليف» (رقم ٤٦٦ ص ٢١٧)، ضمن مجموعة ضمت: أطروحة، وبحث، ورسالة، ورقيم، وزبور، وسجلّ، وسِفْر، وكتاب، ومؤلّف، ومبحث، ومخطــوط، ومخطوطة، ومصنَّــف[21]. (انظر الملحق رقم ٣) كما وردت ضمن مجال الرسالة (رقم ١٠٦٦ ص٤٥٥) ضمن مجموعةٍ من الكلمات سبق ذكرها في ص ٨٦٩ من هذا العدد.

نظرة مقارنة بين المكنـــزين

هناك جملة من الملاحظات يمكن أن يضع يده عليها كل من ألقى نظرة فاحصة على كلا العملين، ولعل أهمها:

١- الاختلاف الجذري بين منهجي المعجمين بدءًا من طريقة جمع المادة، وانتهاءً بتحريرها، ومرورًا بذكر مضادات المجالات، وشرح معاني الكلمات، وإعطاء كل كلمة درجتها في سلم التصنيف.

٢- الطفرة العلمية الكبيرة التي حققها المكنـــز الكبير بالنسبة للمكنـــز العربي المعاصر، والتي تمثلت في استخدام البرامج الحاسوبية، والجمع الميداني، وإعداد نسخة إلكترونية للمعجم مزودة بمحلل صرفي يسمح للمستخدم أن يدخل الكلمة (بالنسبة للأفعال) بصيغة الماضي أو المضارع أو الأمر، مع أي سابقة إضافية، ومع أي لاحقة من لواحق ضمائر الرفع، وسيتولى المحلل الصرفي –بالنيابة عنه– رد الكلمة إلى شكلها الموجود بالمعجم، كما يسمح له أن يدخل الكلمة (بالنسبة للأسماء) مفردة، أو في صورة جمع التكسير، مع أي سابقة إضافية.

وإلى جانب المحلّل الصرفي هناك مولّد صرفي كذلك يتولى توليد المرادف أو المضاد من الكلمات المخزّنة بنفس الملامح الصرفية للكلمات المدخلة. فمثلاً إذا كانت كلمة البحث هي «يأكلون» واختار الباحث المرادف «التهم» من القائمة، فإن مربعًا خاصًّا يظهر أمامه على الشاشة متضمنًّا كلمة «يلتهمون».

٣- الاختلاف الشديد في حجم المعجمين. وإذا كان المكنـــز الكبير مزودًا بالأرقام والإحصاءات نظرًا لطبيعة إنجازه الحاسوبية، بخلاف المكنـــز

العربي المعاصر، مما يجعل الموازنة الدقيقة صعبة بينهما، فإننا يمكننا أن نلجأ إلى طريقة أخرى قد تكون نتائجها أقرب إلى الدقة، وإن لم تحقق الدقة الكاملة:

إذا كانت المادة المعجمية الخالصة تشغل ٩١٢ صفحة في المكنــز الكبير وكانت الصفحة الواحدة فيه ذات عمودين، أي تعادل صفحتين، فإن عدد صفحات هذا المعجم تقفز إلى الرقم ١٨٢٤ صفحة، في حين أن ما يقابلها من المكنــز العربي المعاصر لا يتجاوز ١١٩ صفحة، أي إن النسبة بينهما تبلغ تقريبًا ١٥ : ١، أي إن المكنــز الكبير يبلغ خمسة عشر ضعفًا للمكنــز العربي المعاصر.

وليست هذه الموازنة بعيدة عن الواقع. فإذا أخذنا مجال «الإشعال» على سبيل المثال نجده يحوي اثنتين وثلاثين كلمة كفعلٍ في المكنــز الكبير، في حين أنه يحتوي على خمس كلمات فقط في المكنــز العربي المعاصر. فإذا ضممنا إلى ذلك اختلاف عدد المجالات بالزيادة في جانب المكنــز الكبير، وذكر المضادات لمعظم المجالات، وانفراد «الكبير» بإعطاء معلومات دلالية وتصنيفية عن كل كلمة — اطمأن قلبنا إلى النتيجة السابق ذكرها.

٤- على الرغم من اشتراك المعجمين في النص على الجذر، فإن هناك فرقًا جوهريًا بينهما. فالجذر في المكنــز الكبير يتبع كل كلماته في حين أنه في المكنــز العربي المعاصر يتبع كلمات مداخله فقط.

٥- أنه لم تند كلمة في المكنــز الكبير عن الإحصاء، و لم تُستبعَد كلمة من فهرسي الجذور والكلمات، وبالتالي فإن أمام أي باحث فرصة الدخول بـــ ٣٤٥٣٠ مدخلاً مختلفًا هي عدد مداخل المكنــز الكبير، في حين أن فرصه محدودة بالنسبة للمكنــز المعاصر، إذ ليس فيه فهارس بالكلمات، وفهرس الجذور فيه لا يتناول إلا ما ورد في المعجم باعتباره مدخلاً رئيسيًا أو عنوانًا على المجال.

وبعد: فقد استغرق التخطيط للمكنـــز الكبير قرابة السنة، وامتد جمع مادته وتحريرها قرابة السنتين، واحتشد لإنجازه فريق عمل يبلغ الأربعين على رأسهم مقدم هذا البحث، صاحب فكرة المعجم، والمخطط له والمتابع لكل مراحل إنجازه، والأستاذ الدكتور حسام الدين محجوب المسؤول عن الشؤون البرمجية والحاسوبية. وقد كنا نصل الليل بالنهار، ولا نضن بجهد أو عرق. وكان حافزنا الأكبر فيما تحملناه من جهد، وما تكبدناه من مشاق أملنا في حسن استقبال المثقفين له بعد صدوره، وهو ما حدث بحمد الله، إذ جاءت ردود الأفعال مشجعة من ذوي التخصص وأهل الخبرة، ونذكر من بينهم الأستاذ الدكتور محمد عناني أستاذ الجامعة وخبير المعاجم والترجمة الذي كتب يقول عنه: «إنه معجم حديث يخلو من مثالب المكانز الأجنبية، ويضرب بسهم وافر في فنون المعاجم العالمية الحديثة في آن واحد... إنه موجه في المقام الأول لكل من يكتب العربية فيشرح له معنى الكلمة في إيجاز يقترب من الإعجاز، ثم يضيف الفروق اللغوية في المعنى والأسلوب. ولا أبالغ حين أقول إن كل من يكتب، أي كل من يفكر لن يستطيع الاستغناء عن هذا المكنـــز الكبير، ولا أبالغ أيضًا حين أقول إنه معجم نادر، ولا غناء عنه لكل من ينتمي بصلة إلى اللغة العربية».

الحواشي

١- انظر في كل ما سبق The Oxford English Dictionary.

٢- هذه المعلومات مأخوذة من عدد من المواقع على الشبكة العالمية.

٣- مادة thesaurus ص١١٢٠، وقد طبع عام ١٩٨٨م.

٤- يلاحظ أن بعض معاجم للمصطلحات اللغوية الصادرة في تلك الفترة قد خلت من كلمة «مكنـز» مثل معجم المصطلحات اللغوية لرمزي بعلبكي الذي ترجم الكلمة إلى: معجم موضوعي، وذكر أنه معجم مرتب على الموضوعات والأبواب.

٥- .The Cambridge Encyclopedia of Language p. 104

٦- السابق والصفحة نفسها.

٧- اسم المعجم الكامل: .Webster's School Thesaurus

٨- المدخل.

٩- ص٧ أ.

١٠- صفحة ز وما بعدها.

١١- المؤلفون هم: د. محمود إسماعيل صيني، وناصف مصطفى عبد العزيز، ومصطفى أحمد سليمان.

١٢- صفحة م، ن.

١٣- لا يقلل من هذا المأخذ نص المؤلفين في مقدمة المعجم على أنه ليس من هدفهم التمييز بين الكلمات، ولا شرح معاني المداخل (صفحة ن) بعد أن رأينا معجم وبستر يعترض على هذه الطريقة.

١٤- صفحة ن.

١٥- وهل في مدخل «استلقاء»: كلمة «انسداح» أشهر من «اضطجاع» أو «هجوع» أو «رقود»؟ وإذا كانت أشهر فلماذا في الفعل «استلقى» بدأ بـــ: «اضطجع» ثم «هجع» ثم «انسدح»؟.

١٦- ص (١٢١) وما بعدها.

١٧- هي مواقع المداخل: آب- عاد- رجع[١]- رجع[٢]- انقلب- آض- آل- قفل- آد- انكفأ- حار- عطف- قدم- ثاب- أثاب- فاء- كرّ (ولي ملاحظة على المدخلين «أثاب» و«فاء» ستأتي بعدُ).

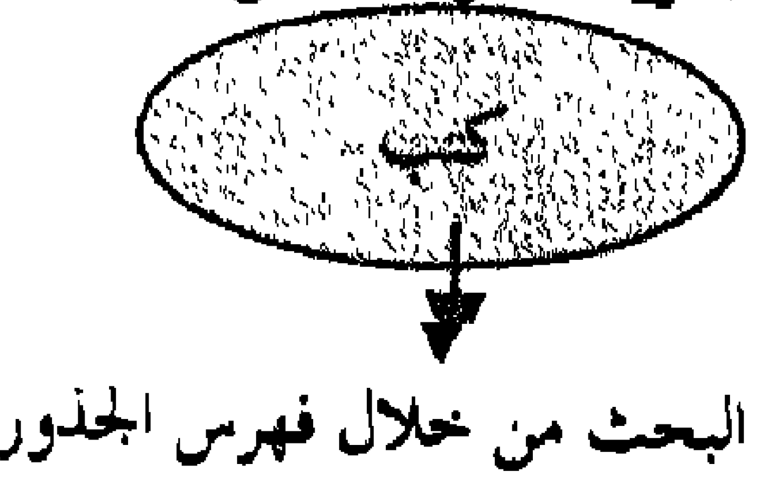
١٨- إذا ألغينا التكرار في المجالات التي جاء منها أكثر من نوع كلامي، ويبلغ الرقم ٢٣٥٥ إذا لم نلغ هذا التكرار. وعلى سبيل المثال فإن مجال القوة (ومضاده الضعف) قد أحصي ثلاث مرات باعتباره فعلاً مرة، واسمًا مرة ثانية، وصفة مرة ثالثة. ويرتفع الرقم إلى ٣٢٠٠ موضوع إذا أحصينا كل مجال له مضاد بمجالين اثنين.

١٩- من المجالات التي خلت من مضادالها مثلاً: أدوات الرمي –أسماء الذهب– أسماء القرآن– الأنسجة الحريرية– الأثاث– الإجهاض– الإدمان– الإشاعة– الاستدارة– الافتراس، وغيرها.

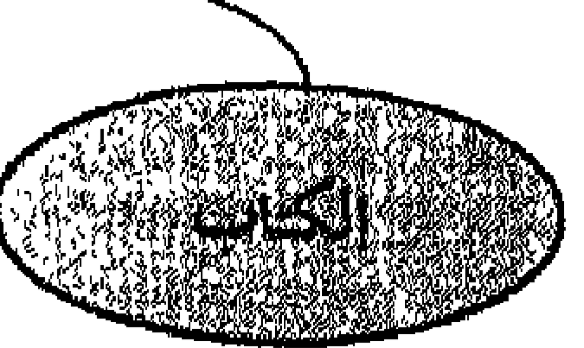
٢٠- إلا في حالات قليلة اختلط فيها نوعان، أو خرج فيها اللفظ عن أصله فانتقل من نوع إلى آخر، فكان المعجم يضع الجميع تحت أشهر النوعين، وأكثرهما استخدامًا.

٢١- انظر النموذج التوضيحي الملحق بالبحث.

نموذج توضيحي للمعلومات التي يقدمها المكنز الكبير



البحث من خلال فهرس الجذور



البحث من خلال فهرس الكلمات تحت الألف

كتاب — البحث من خلال فهرس الكلمات تحت الكاف

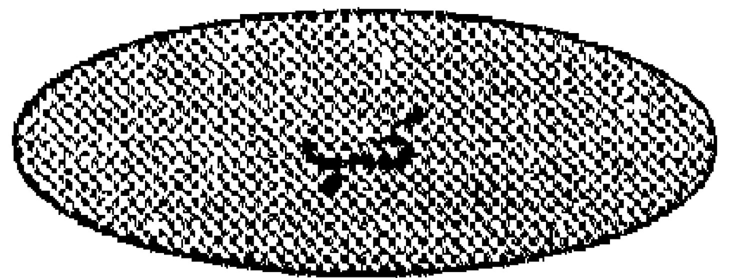
كتابة — البحث من خلال فهرس الكلمات تحت الكاف

المعلومات	مجال أسماء القرآن رقم ٢٤	مجال التأليف رقم ٤٦٦	مجال الرسالة رقم ١٠٦٦	مجال الكتابة× المحو رقم ١٦٧٩
١– المترادفات:	التنزيل – القرآن – الكتاب	أطروحة – بحث – رقيم – كتاب – مؤلف	بريد – جواب – رسالة – كتاب	تدوين – تسجيل – خط – كتابة
٢– المتضادات:	------	-----	-----	إزالة – إلغاء – محو
٣– الجذر:	كتب	كتب	كتب	كتب
٤– النوع:	اسم	اسم	اسم	اسم
٥– التصنيف:	إيجابي قرآني معاصر	إيجابي قرآني معاصر	إيجابي قرآني معاصر	إيجابي قرآني معاصر
٦– المعنى:	القرآن لأنه مجموع بعضه إلى بعض	صفحات مؤلفة موضوعة بين غلافين	رسالة	مصدر كتب
٧– المثال:	-----	-----	﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾	-----
٨– المصاحبات اللفظية:	أم الكتاب: سورة الفاتحة	معرض الكتاب	-----	لغة الكتابة

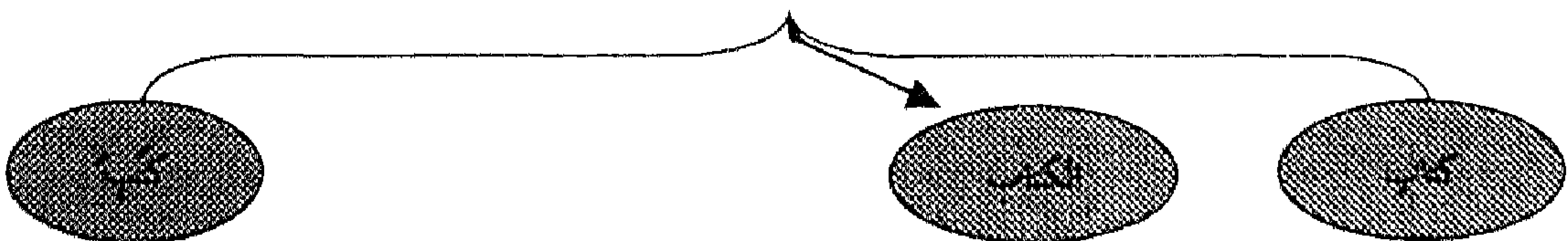
(الملحق رقم ١)

نموذج توضيحي لكيفية البحث في المكنز الكبير

الجذر المبحوث عنه



البحث من خلال فهرس الجذور (توجد ١٨ كلمة منها)



البحث من خلال فهرس الكلمات تحت الكاف

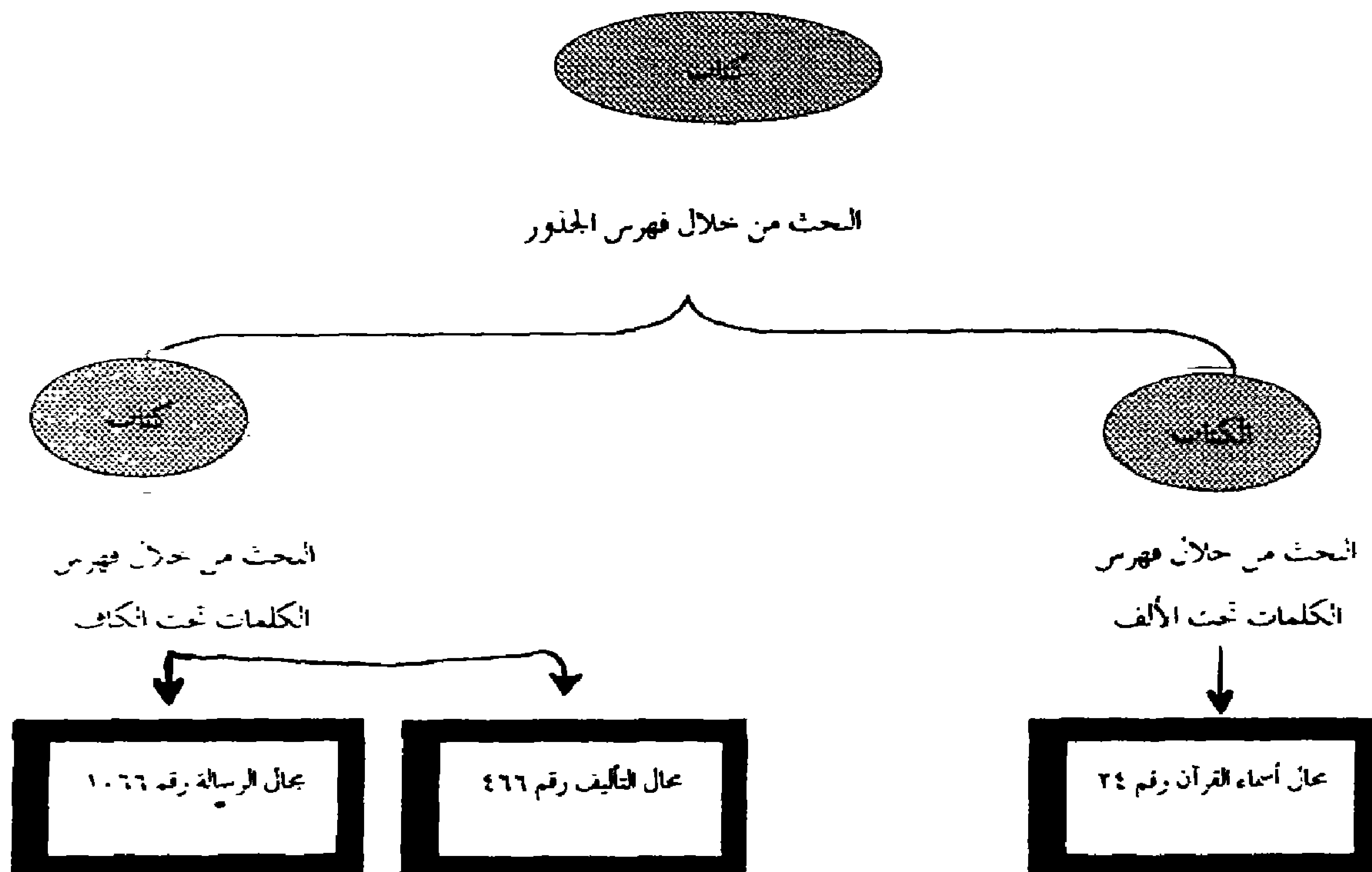
البحث من خلال فهرس الكلمات تحت الكاف

البحث من خلال فهرس الكلمات تحت الكاف

مجال التأليف رقم ٤٦٦	مجال الرسالة رقم ١٠٦٦	مجال أسماء القرآن رقم ٢٤	التحتيم × الإجبار رقم ٥٣٣	التشريع × الإلغاء رقم ٥٩٠	القضاء والحكم × التردد والحيرة رقم ١٦٣٧	الكتابة × المحو رقم ١٦٧٨

(الملحق رقم ٢)

طريقة البحث عن كلمة في المكتز الكبير



المعلومات التي يقدمها المعجم عن كل لفظ

١) المترادفات ٢) المتضادات ٣) الجذر ٤) النوع ٥) التصنيف ٦) المعنى ٧) المثال ٨) المصاحبات اللفظية ٩) التعبيرات السياقية العامة

(الملحق رقم ٣)

المراجع العربية

١- **افتتاحية مجلة سطور** – د. محمد عناني- العدد ٤٥- أغسطس ٢٠٠٠.

٢- **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات** – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس.

٣- **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات** (إنجليزي – عربي) – أحمد محمد الشامي، سيد حسب الله- دار المريخ للنشر- السعودية ١٩٨٨م.

٤- **المكنـــز العربي المعاصر: معجم في المترادفات والمتجانسات**- د. محمود إسماعيل صـــيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان – مكتبة لبنان- بيروت – ط/ ١- ١٩٩٣م.

٥- **المكنـــز الكبـــير: معـــجم شامل للمجالات والمترادفـــات والمتضـــادات** – د. أحمد مختار عمر – سطور- السعودية- ط/ ١- ٢٠٠٠م.

٦- **المـــورد (عـــربي – إنكـــليزي)** – د. روحي بعلبكي – دار العلم للملايين- بيروت- ط/ ١- ١٩٨٨م.

المراجع الأجنبية

1- The Cambridge Encyclopedia of Language, David Crystal, 2nd. Ed. Cambridge University press, 1987.

2- The Compact Edition of The Oxford English Dictionary, Oxford University Press,Ninth Printing, 1975.

3- Roget's Thesaurus of English Words and Phrases, Robert A. Dutch, Penguin Books, 1979.

4- Webster's School Thesaurus, Marriam Webster, Librairie du Liban Publishers, 1994.

بعض صور التعبيرات الاصطلاحية

في العربية المعاصرة

د. وفاء كامل فايد



فاتحة :

تشيع في العربية صور من التعبيرات منها ما يندرج تحت التعبير السياقي، أو المتلازمات اللفظية Collocations ، ومنها ما يدخل في إطار التعبير الاصطلاحي Idiom. ولم يهتم اللغويون القدماء بهذا النوع من التعبيرات، إلا فيما ندر، فلم نجد كتب التراث تتخصص في دراسة هذا النوع من التراكيب ، بل وجدناهم يوردونها عرضًا عند تفسير معاني بعض الكلمات في المعاجم والمصنفات القديمة.

وممن اهتم بهذا النوع من التعبيرات ابن سلمة (ت٢٩١هـ) في كتابه: (الفاخر)[١]، وكذلك فعل الثعالبي (ت٤٣٠هـ) في كتابه (ثمار القلوب)[٢] حين أورد عـــددًا كبـــيرًا من التعبيرات الاصطلاحية. كما أورد الشهاب الخفاجي

---

(١) أبو طالب المفضل بن سلمة : الفاخر – تحقيق الطحاوي والنجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ ، ومن أمثلته : وقع في ورطة ، لله درك .

(٢) عبد الملك بن محمد الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – ط الحلبي ١٩٠٨ . ومن تعبيراته : خط الملائكة ، طاووس الملائكة، جند إبليس ، وكر الشيطان ، حبائل الشيطان ص ٤٩ وما بعدها .

(ت ١٠٦٩هـ) بعضها[٣]. وكان الزمخشري (ت٥٣٨ هـ)– في أساس البلاغة– هو من خصص معجمه للتراكيب والعبارات، فأدرج فيه هذين النوعين من التعبيرات، وإن اقتصر على التعبيرات البليغة التي وردت في عبارات المبدعين.

ولم يكن الباحثون المعاصرون أكثر اهتماما من سابقيهم برصد هذه التعبيرات ودراستها؛ فلم تحظ إلا باهتمام عدد قليل من الباحثين، الذين انصرفت عنايتهم– عادة– إلى التعبيرات القديمة المرصودة في ثنايا كتب التراث، منهم خليل[٤] الذي أشار إلى التعبيرات الاصطلاحية المولّدة، ممثلا لها، ومحلّلا بعضها؛ و حسام الدين[٥] الذي خصص لها دراسة مستقلة، قام فيها بتأصيل المصطلح وتحديد مفهومه ومجالاته الدلالـية وأنماطه التركيـبية؛ وأبو سعد الذي صنف معجمًا خصصه لهذا النوع من التراكيب[٦] وخصص قسما منه للعبارات الاصطلاحية المولدة[٧] .

ولما كانت هذه المنطقة من البحث شبه مهجورة رأت الباحثة أن

---

(٣) شهاب الدين الخفاجي : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل – ط١ – مطبعة الخانجي – القاهرة ١٣٢٥ هـ . ومن تعبيراته : أبناء الدهاليز وأبناء السكك : ص١٩، تربية القاضي: ٥٦، جاسوس القلوب ٦٤، فالوذج السوق - فاتك الشنب : ١٥١ ، كعبه مدوّر : ١٧٢، كعبه مبارك : ١٧٣ ، لا أركب البحر :٢١٤.

(٤) حلمي خليل : المولّد – دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨، ص٤٧١-٤٨٤ .

(٥) كريم زكي حسام الدين : التعبير الاصطلاحي – ط١ – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٥.

(٦) أحمد أبو سعد : معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية : القديم منها والمولد – ط١ – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧.

(٧) في الصفحات ٢٥٨-٣٦٨ .

تحاول إلقاء مزيد من الضوء عليها؛ بأن تخصص هذا البحث لدراسة التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة، التي تشيع في لغة الصحافة والإعلام العربي.

أهداف البحث :

١- رصد أبرز التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة وتصنيفها وفقا للاعتبارات التالية:

أ- التركيب النحوي .

ب- العلاقات الدلالية والأسلوبية بين مكوناتها.

ج - المصادر التي نُقلت التعبيرات منها .

٢- تبين موقف كل من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمعاجم العربية الحديثة من هذه التعبيرات.

٣- تحديد عناصر الجدة أو التغير في التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة .

مادة البحث :

لغة الصحافة كما تتجلى في جريدة الأهرام اليومية المصرية، التي تضم بين محرريها عددا من الإعلاميين العرب من مختلف الدول العربية.

تحديد المفاهيم:

التعبير الاصطلاحي: نمط ثابت من التعبيرات، يختص بلغة بعينها، ويتكون من كلمة أو أكثر، ولا يتضح معناه الكلي من تجميع معاني الكلمات المكوّنة له(٨). ومنه ما يمكن أن يطلق عليه (تعبير اصطلاحي

---

(٨) Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language. CUP.1995.P. 105.
Hartmann, R.& James, G. : Dictionary of Lexicography Routledge _ 1998.p.71
Hartmann, R.R.K. : Solving Language Problems , Univ.of Exeter Press, 1996.P.101.

جزئي) وهو الذي تحمل فيه إحدى الكلمات معناها الدارج في الاستعمال، على حين تحمل الأخرى معنى خاصا بهذا السياق[٩].

المركب : يقصد به أي تتابع كلامي يتكون من كلمتين أو أكثر، ويكون بين أجزائه علاقة نحوية .

أولاً : أشهر التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة، وتصنيفها :

بعد جمع التعبيرات الاصطلاحية العربية المعاصرة لوحظ أنها يمكن أن تندرج تحت:

أ — التقسيمات النحوية :

١- المركب الإضافي : ويتكون من مضاف ومضاف إليه.

٢- المركب الوصفي: ويتكون من موصوف وصفة (منعوت ونعت).

٣- المركب الفعلي : ويتكون من فعل وفاعل .

٤- المركب الاسمي : ويتكون من مبتدأ وخبر .

٥- المركب العباري : ويتكون من شبه جملة .

Hockett,C.F.: A Course in Modern Linguistics. Oxford IBH 3rd ed 1976.PP.171-2.
Makkai, A.: Idiom Structure in English. Mouton. The Hague1972 p 28,
Palmer, F.R.: Semantics .Cambridge University Press, 1996. P.79.
Pei, M. : Glossary of Linguistic Terminology.Columbia U.P 1969. p 119
..&see :
Drew,p.& Holt, E.: Idiomatic Expression..., in Idioms: Structural and Psychological Perspectives. Ed By Everaert, M.,Linden, E.,Schenk, A & Schreuder,R
LEA 1995. P.117

وكذلك : التعبير الاصطلاحي : ص ٣٤.

(٩) Palmer, F.R.: Semantics . 1996. P. 81.

ويورد البحث فيما يلي نماذج من التعبيرات الاصطلاحية المسجلة تحت كل منها :

١- التعبير الاصطلاحي المكون من مركب إضافي :

حدائق الشيطان [١٠] — جلد الذات [١١] — نبض الشارع [١٢] — أوراق الضغط [١٣] — أجندة العمل [١٤] — عاصفة الصحراء [١٥] — نقطة نظام [١٦] - نسيج المجتمع [١٧] — إغراق الأسواق [١٨] — تعبئة الشعب [١٩] — دفتر الأحوال [٢٠] — سقوط الأقنعة [٢١] — آليات السوق [٢٢] - عجز

(١٠) من مقال أحمد إبراهيم الفقيه ، في ٢٤ /٢/ ٢٠٠٠ — ص٩.

(١١) من مقال حسن محمد وجيه ، في ٢٨/ ٧ /٢٠٠٠ — ص١١.

(١٢) من تحقيق (القمة العربية تجسد ..) ، في ٢٢ / ١٠ /٢٠٠٠ — ص١.

(١٣) من مقال سكينة فؤاد ، في٢/ ١١ /٢٠٠٠ — ص٣٤.

(١٤) من مقال مرسي عطا الله ، في ٥/ ١٠ /٢٠٠٠ — ص١١.

(١٥) (حقائق) : إبراهيم نافع ، في ١٩ / ١١ / ١٩٩٨ — ص ٣٥.

(١٦) من مقال فتحي أبو رفيعة ، في٢٤/ ٣ /٢٠٠٠ — ص١١.

(١٧) من مقالي أحمد بهجت (عالم المافيا) ، في ٢٢/ ٥ /٢٠٠٠ — ص٢ ، وعاصم القرش : ١٠/١١/٢٠٠٠ ، ص ٢٦.

(١٨) من مقال أحمد إبراهيم البعثي ، في ٢٥ / ٢ /٢٠٠٠ — ص٢.

(١٩) من مقال شريف الشوباشي ، في ٢٤/ ٩ /٢٠٠٠ — ص٧.

(٢٠) من مقال هدى المهدي ، في ملحق أهرام الجمعة ٦ / ١٠ /٢٠٠٠ — ص٧.

(٢١) من مقال إبراهيم نافع (بهدوء) ، في أهرام الجمعة ٣ / ١١ /٢٠٠٠ — ص٣.

(٢٢) من تحقيق عبير الضمراني ، في ١٢/٨/٢٠٠٠ — ص١٣.

السيولة وسحب السيولة [٢٣] — ضخ الأموال [٢٤] — برمجة الأدمغة وبرمجة الوجدان [٢٥] — تدوير القمامة[٢٦] — بلاط السلطة [٢٧].

٢- التعبير الاصطلاحي المكون من مركب وصفي :

التصفية الجسدية [٢٨] — البنية التحتية [٢٩] — التطهير العرقي [٣٠]— المطبخ السياسي [٣١]— التغطية الصحفية [٣٢] — القبضة الحديدية [٣٣] — الدولاب الحكومي [٣٤] — روح رياضية [٣٥] — الخطوط العريضة[٣٦] —

---

(٢٣) من مقال ياسر صبحي ، في ٢٦/٢/٢٠٠٠ — ص١٤.

(٢٤) (بدء تعيين ...) ، في ٦/ ١٢ /٢٠٠٠ — ص١.

(٢٥) من مقال فوزي فهمي ، في ٣٠/ ١٠ /٢٠٠٠ — ص٢٨.

(٢٦) من مقال أسامة عبد العزيز ، في ٢٦/ ١٠ /٢٠٠٠ — ص٢٠.

(٢٧) (المسحراتي): محيي الدين عميمور ، ٧/١٢/ ١٩٩٨ — ص ٩.

(٢٨) من مقالي سناء صليحة ، في أهرام ١٨/٦/٢٠٠٠ — ص ٣٤، وعبد الملك خليل ، في ١٧ / ٢ /٢٠٠٠ — ص١.

(٢٩) من مقال صلاح الدين حافظ ، في ١٦ / ٢ / ٢٠٠٠ — ص١١، و (على هامش السياسة) : ١٨/٣/٢٠٠٠،ص٨.

(٣٠) من مقال محمد إبراهيم الشوش ، في ١/٤/٢٠٠٠ — ص٩.

(٣١) (أحزاب ونواب) ، في ٨/١١ /٢٠٠٠ — ص٣٠.

(٣٢) (من قريب): سلامة أحمد سلامة ، في ٧/١٢/١٩٩٨ — ص ١٠.

(٣٣) (البلقنة): محمد السماك ، ١١/١١/ ١٩٩٨ — ص ٩.

(٣٤) من مقال علي فاضل حسن (شهادة حق) ، في ٢٠/ ٣/٢٠٠٠ — ص١٠.

(٣٥) من مقال إبراهيم نافع (حقائق) ، في ٥ / ١١ /٢٠٠٠ — ص٣٢.

(٣٦) من مقال عادل حمودة ، في ٤ / ١١ /٢٠٠٠ — ص٣٤ ، وأيضا في أخبار العالم : أهرام ٧/١١/٢٠٠٠ ، ص ٤.

الدار البيضاء[٣٧] – الجيش الأحمر[٣٨] –السوق الحرة[٣٩] –السوق السوداء[٤٠] –المنطقة الحرة [٤١].

٣– التعبير الاصطلاحي **المكون** من مركب فعلي :

يعطي الضوء الأخضر[٤٢] – يرفع الراية البيضاء – جر إلى الحلبة [٤٣] – يدفن الرؤوس في الرمال [٤٤] – يركب الموجة – يركب الطبقة الأرستقراطية [٤٥]– كل واشكر.

٤– التعبير الاصطلاحي المكون **من مركب اسمي :**

اللعب في الوقت الضائع[٤٦] – اللعب على المكشوف[٤٧] – اللعب

(٣٧) من تحقيق علي بركة ، في ٢٦/ ٢٠٠١/٧ – ص ٢٠ .

(٣٨) طارق الشيخ (المسيرة التي غيرت وجه التاريخ)، ١٩٩٨/١٠/٢٠ – ص ٦.

(٣٩) (العولمة) : أحمد بهجت ، في ١٩٩٨/١١/١٩ – ص ٢ .

(٤٠) سهام عبد العال ، ٣١/ ٧/ ٢٠٠١ – ص ٢٦.

(٤١) بريد الأهرام ، ١ / ٨/ ٢٠٠١ – ص ١١.

(٤٢) (مسؤول أمن إسرائيلي يعترف) ، في ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٠ ، ص ٤.

(٤٣) رضا هلال (سياسة خارجية) ، في ٢٠٠١/٤/١٩ – ص ٤.

(٤٤) (شهادة حق): علي فاضل حسن ، في ١٩٩٨/١٢/٧ – ص١٠.

(٤٥) من مقال حازم عبد الرحمن ، في ١٩٩٨/١٢/٣٠ – ص ٤.

(٤٦) من مقال زكريا نيل (بدون مقدمات) ، في ٢٠٠٠/٦/١٧ – ص١١.

(٤٧) من مقال سلامة أحمد سلامة (من قريب) ، في ١٢ / ١١ /٢٠٠٠ – ص١٠٧.

بالنار[٤٨] – عمال على بطال [٤٩] – الخروج من عنق الزجاجة [٥٠].

٥– التعبير الاصطلاحي المكون من مركب عباري :

على كف عفريت[٥١] – بعد خراب مالطة – على الهواء[٥٢] .

ب – العلاقات الأسلوبية والمجازية بين عناصر التعبيرات الاصطلاحية :

يربط عناصر بعض التعبيرات الاصطلاحية أنواع من العلاقات الأسلوبية، كما نلحظ فيما يلي :

١– تعبيرات ربطت علاقات المجاز بين عناصرها :

عناقيد الغضب [٥٣] – خيط التضامن [٥٤] – زرع الألغام – تمزيق الهوية [٥٥] – اختناقات سلعة [٥٦] – اختناقات المرور[٥٧] – غسل الأموال [٥٨]–

---

(٤٨) (حكومة شارون واللعب بالنار): رأي الأهرام، في ٢٧ / ٧ / ٢٠٠١ ، ص٣.

(٤٩) صلاح الدين حافظ: (الأقباط والحملة على مصر)، ١٩٩٨/١١/١١ –ص١١.

(٥٠) تحقيقات أهداف البنداري ، في ١٨/ ١١ /٢٠٠٠ – ص٢٦.

(٥١) من مقال محمد إبراهيم الدسوقي ، في ٢٠/ ١١ /٢٠٠٠ – ص٧.

(٥٢) (النواب على الهوا)عبد العظيم درويش ، في ٥/١/ ١٩٩٩– ص ٦.

(٥٣) من مقالي: محمد السماك ، في ١٦/ ٢/٢٠٠٠ – ص٩ ، وزكريا نيل (ذاكرة التاريخ)، في ٢٠٠١/٤/٢١– ص ١١.

(٥٤) من مقال مرسي عطا الله ، في ٢٠٠٠/٤/٢٠ – ص١١.

(٥٥) من مقال إقبال حسني ، في ١٧/ ٢ /٢٠٠٠ – ص١٠.

(٥٦) من مقال عاطف عبد الله ، في ٢١ / ١١ /٢٠٠٠ – ص١٤.

(٥٧) من مقال صلاح منتصر ، في ١٨ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ١١ .

(٥٨) صلاح منتصر: ٢٠٠٠/٦/١٨ ص١١، وهشام الزيني: ٢٠٠٠/٢/٢٣ ص٢، أحمد إبراهيم البعثي : ٢٥/٢/ ٢٠٠٠ ص٢.

غضبة/ ارتياح الشارع(٥٩)– احتراق الضمائر(٦٠) – ضخ الأموال– تبخر الأحلام– برمجة الوجدان– التصفية الجسدية– الانفجار السكاني– التطهير العرقي– اندلاع الانتفاضة – الصحف الصفراء – تجميد الأرصدة – حمام الدم(٦١) .

٢– تعبيرات استخدم فيها أسلوب الكناية :

أم الدنيا (٦٢) – قلعة العروبة (٦٣) – غصن الزيتون (٦٤) – رأس الأفعى – ربط الأحزمة (٦٥) – القطط السمان (٦٦) – وضع اليد (٦٧)– خلو الرجل – النّزيف العقلي/ العلمي(٦٨) – الطابور الخامس (٦٩) – النصف الحلو – ثورة بيضاء(٧٠) – نظافة العقل – نظافة اليد – خادم الحرمين –

---

(٥٩) من مقال مصطفى عبد الله ، في ١٧ / ١٠ / ٢٠٠٠ – ص ١١ .

(٦٠) من مقال عادل حمودة ، في ٢١ / ١٠ /٢٠٠٠ ـــ ص ٢٤.

(٦١) من مقال أحمد بهجت : صندوق الدنيا ، في ١٦ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص٢ .

(٦٢) من مقال عزت السعدني ، في٢١ / ٧ /٢٠٠١ ـــ ص٣.

(٦٣) من تحقيق صحفي بعنوان (سورية بعد حافظ الأسد)، في ٢٠٠٠/٦/١٨ ـــ ص١١.

(٦٤) من مقال عاطف صقر ، في٩ / ١١ /٢٠٠٠ ـــ ص ١٠.

(٦٥) من مقال غادة الشرقاوي ، في ١٣/ ٢ /٢٠٠٠ ـــ ص٧.

(٦٦) من مقال عبد الملك خليل ، في ١٧ / ٢ / ٢٠٠٠ ، ص ١.

(٦٧) (تسوية ٢٠ ألف حالة)، في ٤/ ١١ /٢٠٠٠ ـــ ص١،(عصابات البرك) : محمد هندي، ١٩٩٨/١٢/٢٤- ص١٣.

(٦٨) من مقال ألفريد فرج ، في ٥ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ٢٨ .

(٦٩) من مقالي نبيل عمر ، في ٢٢/ ١٠ /٢٠٠٠ ـــ ص١٠ ، وسلامة أحمد سلامة ، في ٢١/ ١٠ /٢٠٠٠ ، ص١٠.

(٧٠) من مقال أحمد الجار الله (صحافة عربية) ، في ٢٠ / ٤ / ٢٠٠١- ص ١١.

الذراع الطويلة[٧١] – تحريك المياه الراكدة[٧٢] .

ج– مصادر التعبيرات الاصطلاحية :

يرجع عدد من التعبيرات الاصطلاحية إلى أصول مختلفة، يمكن أن ندرجها فيما يلي:

١– تعبيرات مقترضة من لغات أجنبية :

الخطوط الحمراء[٧٣]– الخط الساخن[٧٤]– الضوء الأخضر[٧٥]– الصندوق الأسود[٧٦] – البيت الأبيض[٧٧]– الكوميديا السوداء[٧٨]– بوتيكات العمالة – اليوبيل الفضي[٧٩]– تمشيط المكان[٨٠] – فيروسات الإنترنت[٨١] .

---

(٧١) (استشهاد ٥ فلسطينيين) ، في ٢ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ١ .

(٧٢) من مقال فاروق جويدة ، في ٥ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ٢٦ .

(٧٣) من مقال أمين هويدي ، في ٧ / ١١ /٢٠٠٠ ـــ ص٣٢.

(٧٤) من إعلان نشر في الأهرام ٧ / ١٠ /٢٠٠٠ ـــ ص٢ ، و(إذاعيات اليوم) : ٢١/١٠/٢٠٠٠ ، ص ٢.

(٧٥) (مسؤول أمن ...) ، في ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ٤ .

(٧٦) (السحابة السوداء) : أحمد بهجت ، في ١٠ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ٢ .

(٧٧) من مقال زكريا نيل ، في ٢٨/ ١٠/٢٠٠٠ ـــ ص١١، وصفحة أخبار العالم من أهرام ٥ /١١/ ٢٠٠٠ ، ص ٥ .

(٧٨) (في الانتخابات) : أحمد بهجت ، في ٢٠٠٠/٩/٢٦ – ص ٢.

(٧٩) من مقال أسامة غيث ، في ٢٦/ ٢ /٢٠٠٠ ـــ ص١٥ ، وهو من ألفاظ الحضارة المقترضة من الفرنسية : انظر : محمود تيمور: معجم الحضارة – ط١– المطبعة النموذجية – القاهرة ١٩٦١.

(٨٠) (قوات الجيش الجزائري تقوم ...) ، في ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٨ ـــ ص٨ ، وهو تعبير مترجم .

(٨١) ٢٨ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ٢١ .

ومن التعبيرات المقترضة في مجال الرياضة والألعاب :

الكارت الأحمر/الأصفر– الكرة في ملعب[٨٢] – خلط الأوراق [٨٣] .

٢– تعبيرات مصدرها طبي أو علمي :

الذئبة الحمراء [٨٤]– ضربة الشمس [٨٥] – القمر الصناعي[٨٦] – الذكاء الصناعي[٨٧] – غسل المخ[٨٨] – الانفتاح الاقتصادي[٨٩] .

٣– تعبيرات من المجال العسكري:

إبرار جوي– طلعة جوية[٩٠] – ساعة الصفر[٩١]– ضربة عسكرية[٩٢]

(٨٢) مرسي عطا الله ، في ٥ / ١٠ / ٢٠٠٠ – ص ١١ .

(٨٣) من مقالي زكريا نيل (ذاكرة التاريخ) ، في ٣/٦/٢٠٠٠ ــ ص١١، وقدري حفني : ١/١١/٢٠٠٠ ، ص٣٢ .

(٨٤) بريد الأهرام : (من ريع الوقف) ٢٨ / ٧/ ٢٠٠١ – ص ١١.

(٨٥) هدى المهدي ، ١/٨/ ٢٠٠١ – ص ٢.

(٨٦) تعليق الأهرام : ٢ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ١ .

(٨٧) غياب الكتاب العلمي : ١٧ / ١٠ / ٢٠٠٠ – ص ٢٧ .

(٨٨) من علم النفس .

(٨٩) ألفريد فرج : ٥ / ١١ / ٢٠٠٠– ص ٢٨ .

(٩٠) (انتهاكات الطائرات) ، ١/٨/ ٢٠٠١ – ص ٩.

(٩١) من مقال محمد أسامة عبد العزيز ، في ٦ / ١٢ /٢٠٠٠ ــ ص١٠.

(٩٢) ٤ / ١٢ / ٢٠٠٠ – ص ٤ .

– اختراق حاجز الصوت[٩٣]– خرق الأجواء[٩٤] .

٤– تعبيرات من العامية :

تطبيل الأرض [٩٥] – تصقيع الأرض – تلبيس الطواقي [٩٦] – تشميع شارع [٩٧] – تربيط أجهزة الحكم– عمال على بطال [٩٨] –كرسي في الكلوب [٩٩]– كل واشكر[١٠٠].

ثانيًا : موقف المعاجم العربية الحديثة من التعبيرات الاصطلاحية :

حاول البحث أن يتبين موقف المعاجم العربية الحديثة من التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة، إلى جانب موقف مجمع اللغة العربية بالقاهرة – من خلال معجمه الوسيط، والقرارات المجمعية الخاصة بالألفاظ والأساليب. واعتمد كلا من المعاجم التالية ؛ لحداثتها النسبية:

---

(٩٣) (الطيران الإسرائيلي ...) ٨ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ٨ .

(٩٤) (لبنان يطالب) : شؤون عربية ، في ٢ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ٨ .

(٩٥) (مواقف) : أنيس منصور ، في١٩ / ١١ / ١٩٩٨ ، ص ٣٥.

(٩٦) من إعلان منشور بتاريخ ٢ / ١١ /٢٠٠٠ – ص٤٠.

(٩٧) من تحقيق عبير الضمراني ، في ٢٠٠٠/٨/١٢ – ص١٣.

(٩٨) صلاح الدين حافظ: (الأقباط والحملة على مصر) ، ١٩٩٨/١١/١١ – ص١١.

(٩٩) عميرة هاس ، ٣ /٨/ ٢٠٠١ – ص ١١، (فتش عنهم ..) : ١٤ / ١١ / ٢٠٠٠ – ص ١١ .

(١٠٠) من العامية السورية، وهي اسم لنوع من الحلويات..

المعجم الوسيط[١٠١] (١٩٨٥)، المعجم العربي الأساسي[١٠٢] (١٩٨٨)، المحيط: معجم اللغة العربية[١٠٣] (١٩٩٤) ، معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية[١٠٤] (١٩٨٧).

ويبين الجدول التالي مدى ورود عينة من التعبيرات الاصطلاحية المدروسة في المعاجم السابقة :

التعبيرالاصطلاحي	الوسيط	العربي الأساسي	المحيط	معجم التراكيب
اختزال القضية	–	–	–	–
التصفية العرقية	–	–	–	موجود
الخط الأحمر	–	–	–	موجود
المواقع الساخنة	–	–	–	–
المطبخ السياسي	–	–	–	–
الخط الساخن	–	–	–	–
القطط السمان	–	–	–	–
ذاكرة الأمة	–	–	–	–
تعتيم وسائل الإعلام	–	–	–	–

(١٠١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط – ط ٣ – القاهرة ١٩٨٥ .

(١٠٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم العربي الأساسي – لاروس ١٩٨٨ .

(١٠٣) المحيط : معجم اللغة العربية – أديب اللجمي ، البشير بن سلامة ، شحادة الخوري ، عبد اللطيف عبيد ، نبيلة الرزاز – ط ٢ – ١٩٩٤

(١٠٤) أحمد أبو سعد : معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية : القديم منها والمولد – ط ١ – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧

التعبير الاصطلاحي	الوسيط	العربي الأساسي	المحيط	معجم التراكيب
نبض الشارع	–	–	–	–
غسل الأموال	–	–	–	–
جلد الذات	–	–	–	–
خلط الأوراق	–	–	–	–
حدائق الشيطان	–	–	–	–
رفيق السلاح	–	موجود	موجود	موجود
خيط التضامن	–	–	–	–
سحب السيولة	–	–	–	–
الضوء الأخضر	–	–	–	موجود
حجر الزاوية	–	موجود	موجود	موجود
دق الأسافين	–	–	–	موجود
الراية البيضاء	–	–	–	موجود
جولات مكوكية	–	–	–	موجود
الطابور الخامس	–	موجود	–	موجود
رمى الكرة في ملعبه	–	–	–	موجود
اللعب بالنار	–	–	–	موجود
يركب الموجة	–	–	–	موجود
السوق السوداء	موجود	موجود	موجود	موجود

ومن الجدول السابق نلحظ ما يلي :

من مجموع التعبيرات الاصطلاحية بالعينة ، وعددها سبعة وعشرون

تعبيرًا، تبيّن ورودها بالمعاجم المعتمدة على النحو التالي :

- لم يورد المعجم الوسيط إلا تعبيرًا اصطلاحيًا واحدًا، من مجموع تعبيرات العينة، (أي أن نسبة الورود به هي١: ٢٧)؛ وقد نبه إلى أنه مجمعي.

- ورد منها أربعة تعبيرات بالمعجم العربي الأساسي، (بنسبة ٤: ٢٧).

- ورد منها ثلاثة تعبيرات في (المحيط: معجم اللغة العربية)،(بنسبة ٣: ٢٧).

- أورد أبو سعد في معجمه ثلاثة عشر تعبيرًا من تعبيرات العينة، (بنسبة ١٣: ٢٧).

ومن النتيجة السابقة نتبين مدى إغفال التعبيرات الاصطلاحية في المعاجم العربية الحديثة العامة. أما المعجم الذي خصصه واضعه لهذا النوع من التعبيرات فلم تبلغ نسبة ورود التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة فيه خمسين بالمئة من مجموع تعبيرات العينة .

ثالثًا : عناصر الجدة أو التغير في التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة :

تتمثل عناصر الجدة أو التغير في التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة في المظاهر الآتية:

١- تعبيرات فيها عناصر تغير استعمالها دلاليًا أو مورفولوجيًا .

٢- تعبيرات فيها كلمات اكتسبت معنى مجازيًا .

٣- تعبيرات فيها كلمات تكوّن جزءًا من تجمعات جديدة .

٤- تعبيرات اكتسبت معنى جديدًا إيحائيًا .

ويمكن توضيح هذه العناصر فيما يلي:

١– تعبيرات فيها عناصر تغير استعمالها دلاليا أو مورفولوجيا :

تدوير القمامة– تعتيم وسائل الإعلام– اختناقات المرور– اختناقات سلعة– التربيطات العائلية– المقلب العمومي– مقلب قمامة. وتندرج هذه الصيغ تحت المصادر ، أو اسم المكان.

ـــ المصادر:

– **تدوير القمامة:** ذكرت المعاجم المعتمدة (الوسيط، والعربي الأساسي، والمحيط: معجـــم اللغة العربية) المصدر القياسي مـــن الفعل دوّر، (مضعف العين)؛ و لم يرد بمعناه المعاصر في أي منها.

– **تعتيم وسائل الإعلام** : ورد هذا المصدر في الاستعمال المعاصر متعديا بنفسه، خلافا لما جاء بالمعاجم الحديثة.فقد ورد الفعل من هذا المصدر متعديا بنفسه أو بحرف جر في المعجم الوسيط، ولكن بمعنى مغاير لمعناه في الاستعمال المعاصر .وورد المصدر في المعجمين الأساسي والمحيط ، بالمعنى المعروف في الاستعمال المعاصر، ولكنه متعد بحرف الجر (على)(١٠٥) .

ـــ المصدر المجموع :ورد في التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة:

اختناقات المرور – اختناقات سلعة – التربيطات العائلية .

وقد ذهب النحاة إلى أن المصادر التي لا يقصد بها بيان العدد أو النوع لا تثنى ولا تجمع، بخلاف المصادر الدالة على العدد، فقد أجمعوا على جواز تثنيتها وجمعها .

---

(١٠٥) الأساسي : «التعتيم على الخبر : تجاهله أوإخفاؤه» . المحيط : «التعتيم على الأنباء : إخفاؤها أو تجاهلها».

أما المصدر الدال على النوع فقد اختلفوا فيه[١٠٦]. واتخذ مجمع اللغة العربية قرارا بجوازه، ونص القرار :«يجوز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه»[١٠٧].

ويلحظ أن جمع المصدر في الاستعمال المعاصر لم تختلف فيه الأنواع، ومن ثم كان الاستعمال المعاصر مغايرا لقرار مجمع اللغة العربية فضلا عما ذهب إليه النحاة.

– اسم المكان:

وردت هذه الصيغة في التعبيرين: المقلب العمومي، ومقلب قمامة.

وكلمة (مقلب) هي صيغة اسم المكان القياسية من الفعل (قلب).

وقد أوردها المعجمان الوسيط[١٠٨] والأساسي بمعنى: المكيدة والحيلة،

---

(١٠٦) ومن شواهد القائلين منهم بجوازه قوله تعالى : (وتظنون بالله الظنونا) : الآية ١٠ من سورة الأحزاب ، وقول الشاعر:

ثلاثة أحباب : فحب علاقة   وحب تملّق ، وحب هو القتل

وقد جاء بكليات أبي البقاء : « وإذا قصد به الأنواع جاز تثنيته وجمعه ، والمناسب مع ذلك إيراده مفردا نظرا إلى رعاية القاعدة المشهورة ... ويجوز جمع المصادر وتثنيتها إذا كان في آخرها تاء التأنيث كالتلاوات والتلاوتين ... وكذا يجمع إذا أريد به الصفة أو الاسم ، وكلاهما شائع كالتسبيحات » . ص ٣٢٧ .

(١٠٧) صدر في الجلسة ٤ – محاضر الجلسات – الدورة ١٠ – ص ٢٤٥ ، مجلة المجمع ج ٦ – ص ٧٥ ، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما – القرارات العلمية – ص ٥٤ .

(١٠٨) مادة (ق ل ب) ، في الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ، ولم تدون هذه الكلمة في الطبعة الثالثة منه .

مع إثبات أنها محدثة. ولم يوردها معجم المحيط .

وهنا نلحظ تغير دلالة هذه الصيغة في التعبير المعاصر عما ورد في المعاجم الحديثة.

٢- تعبيرات فيها كلمات اكتسبت معنى مجازيًا :

التصفية الجسدية – التغطية الصحفية – تعرية الفكر – السوق السوداء – الحرب الباردة – التطهير العرقي – ضخ الأموال – القبضة الحديدية – عناقيد الغضب – جلد الذات – نبض الشارع – احتراق الضمائر – خيط التضامن .

٣- تعبيرات فيها كلمات تكوّن جزءًا من تجمعات جديدة :

كل واشكر – تمزيق الهوية – الخط الساخن – الصندوق الأسود – التَّزيف العلمي – الانفتاح الاقتصادي – رفيق السلاح – المطبخ السياسي/ الانتخابي – الدولاب الحكومي – اختزال القضية .

٤- تعبيرات اكتسبت معنى جديدًا إيحائيًا :

عاصفة الصحراء– حدائق الشيطان– الخطوط الحمراء– الصحف الصفراء– تلبيس الطواقي– خلو الرجل– غسل الأموال– القطط السمان– إغراق الأسواق– غصن الزيتون– رأس الأفعى– ربط الأحزمة– ثورة بيضاء – يركب الموجة– يعطي الضوء الأخضر .

خاتمة

مضى البحث في تحقيق أهدافه: فقد رصد أبرز التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة. محددا مواضع ورودها في صحيفة الأهرام، ثم أخضع هذه التعبيرات للدراسة وفقا لمعايير ثلاثة: اختص أولها بتصنيفها وفقا لتركيبها النحوي، واندرجت التعبيرات فيه تحت خمسة أنواع من المركبات: الإضافي، والوصفي، والفعلي، والاسمي، والعباري؛ موردًا الأمثلة الموضحة لكل نوع. واختص المعيار الثاني بتحديد العلاقات الأسلوبية والمجازية بين عناصر التعبيرات الاصطلاحية، فقسمت فيه التعبيرات قسمين: رصد أولهما

التعبيرات التي ربطت علاقات المجاز بين عناصرها ، وسجل ثانيهما التعبيرات التي استخدم فيها أسلوب الكناية . أما المعيار الثالث فقد بحث مصادر التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة، ووجد أنها تنقسم أربعة أقسام هي: التعبيرات المقترضة من لغات أجنبية، والتعبيرات التي يكون مصدرها طبيا أو علميا، والتعبيرات التي ترجع إلى اللهجة العامية، وتعبيرات المجال العسكري.

ولتحقيق الهدف الثاني حاول البحث أن يتبين موقف المعاجم العربية الحديثة من التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة، فاختار عينة عشوائية من سبعة وعشرين تعبيرًا، بحث مدى ورودها في كل من المعجم الوسيط، والمعجم العربي الأساسي، و(المحيط: معجم اللغة العربية)، و(معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية). وسجل مدى إغفال المعاجم الثلاثة الأولى لهذا النوع من التعبيرات، وظهورها في المعجم الرابع بنسبة تقل قليلا عن النصف.

ولتحقيق الهدف الثالث حاول البحث تحديد عناصر الجدة أو التغير في التعبيرات الاصطلاحية المعاصرة، فوجد أنها تتمثل في أربعة أنماط، هي: تعبيرات بها عناصر تغير استعمالها دلاليا أو مورفولوجيا، وتعبيرات بها كلمات اكتسبت معنى مجازيا، وتعبيرات فيها كلمات تشكل جزءًا من تجمعات جديدة، وتعبيرات اكتسبت معنى جديدًا إيحائيًا.

ثبت المراجع

أولاً : المراجع العربية :

الثعالبي (أبو منصور عبد الملك): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب — ط الحلبي — القاهرة ١٩٠٨.

حسام الدين (كريم زكي): التعبير الاصطلاحي — ط١ — مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٥.

الخفاجي (شهاب الدين): شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل — ط١ — مطبعة الخانجي — القاهرة ١٣٢٥ .

خليل (حلمي): المولد — دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام — الهيئة

المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨.

أبو سعد (أحمد): معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية : القديم منها والمولد – ط١ – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧.

ابن سلمة (أبو طالب المفضل): الفاخر – تحقيق الطحاوي والنجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

الكفوي (أبو البقاء الحسيني): الكليات– مطبعة بولاق – القاهرة – ١٢٥٣ هـ.

اللجمي (أديب): المحيط: معجم اللغة العربية– أديب اللجمي، البشير بن سلامة، شحادة الخوري، عبد اللطيف عبيد، نبيلة الرزاز– ط ٢ – دار المحيط – باريس ١٩٩٤.

مجمع اللغة العربية :

ـــ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما: (مجموعة القرارات العلمية) – مطبعة الكيلاني – ط ٢ – القاهرة ١٩٧١ .

ـــ مجلة مجمع فؤاد الأول – ج ٦ – المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩٥١.

ـــ محاضر جلسات الدورة العاشرة – مطبعة الكيلاني– القاهرة ١٩٧٠.

ـــ المعجم الوسيط – ط ٢ – القاهرة ١٩٧٢.

ـــ المعجم الوسيط – ط ٣ – القاهرة ١٩٨٥.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

المعجم العربي الأساسي–جماعة من كبار اللغويين العرب– لاروس– ١٩٨٨.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language.CUP.1995.
- Drew, P. & Holt, E :.Idiomatic Expression ....in Idioms: Structural and Psychological Perspectives. Ed. By Everaert,M.,Linden,E.,Schenk, A.& Schreuder,R. LEA 1995.
- Hartmann, R. & James, G. : Dictionary of Lexicography -Routledge - 1998.
- Hartmann, R.R.K. : Solving Language Problems .Univ.of Exeter, 1996. Hockett,C.F. A Course in Modern Linguistics .Oxford& IBH 3rd ed. 1976. Makkai, A.: Idiom Structure in English .Mouton. The Hague, 1972.
- Palmer, F.R.: Semantics .Cambridge University Press, 1996.
- Pei, M. : Glossary of Linguistic Terminology.Columbia U.P. 1969.

المعجم الفقهي اللغوي

(المغرب) و(المصباح) نموذجًا[1]

د. عبد الإله نبهان

اتجه التأليف في المعجم العربي منذ بدايته اتجاهًا موسوعيًا وذلك من حيث استيعاب جميع المواد المستعملة، ومن حيث استيفاء القول واستقصاؤه في المادة الواحدة، وكان المعجم اللاحق يحاول الزيادة على المعجم السابق، بمعنى أنه كان يستوعب ويستوفي ما سبقه استيفاءً تامًا ويضيف ما يستطيع إضافته مما توافر لديه من مصادر لم تكن متوافرة لسابقه، وسماعاتٍ لم تكن متيسرة، وقد صرح الإمام الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ) بذلك في مقدمته لمعجمه «تهذيب اللغة» فقال: «وكتابي هذا وإنْ لم يكن جامعًا لمعاني التنـــزيل وألفاظ السّنن كلّها، فإنّه يحوز جملاً من فوائدها ونكتًا من غريبها ومعانيها غير خارجٍ فيها عن مذاهب المفسّرين ومسالك الأئمة المأمونين من أهل العلم وأعلام اللغويين والمعروفين بالمعرفة الثابتة والدين والاستقامة»[2]. وكان بين يدي الأزهري عدد من المصادر ليس باليسير ككتب معاني القرآن وكتب اللغة والنحو والعلل والقراءات والتفسير، مما لم يكن متوافرًا لمؤلف كتاب العين الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ). لذلك كلّه جاء كتاب «تهذيب اللغة» أضخم من كتاب العين وأكثر شمولاً وأشدّ استقصاءً، ولو أننا نظرنا في مادةٍ ما على نحوٍ اعتباطي في كتاب العين ولتكن مادة «كنع» وقارنّاها بما يقابلها في التهذيب لوجدنا أن هذه المادة وردت في كتاب العين في نصف صفحة، بينما وردت في التهذيب في

صفحتين ونصف الصفحة.. إنّ مثل هذا الاتجاه إلى الاستقصاء جعل المعجم ضخمًا يشتمل على المهمل والمستعمل، وعلى مئات الشواهد اللغوية من الآيات والأحاديث وكلام العرب شعرهم ونثرهم وأمثالهم وكلماتهم المرويّة، وأضحى استخدامه في البحث عن معنًى ما أمرًا يحتاج إلى جهد ناهيك عن طريقة ترتيبه وكيفية استخدامه.. لذلك كان ظهور معجم «صحاح اللغة وتاج العربية» للجوهري إسماعيل بن حماد (ت نحو ٣٩٨هـ) استجابة لحاجة ملحّة، لقد كان جمهور المتعلمين بحاجة إلى مثل هذا المعجم بترتيبه السهل الرائع، وبإيجازه الجميل، وفي أيامه أيضًا ظهر معجم «مجمل اللغة» لابن فارس أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) الذي تخفف من الشواهد بقدر الإمكان وأوجز ما وسعه الإيجاز. ونستطيع القول باطمئنان: إنّ النــزعة إلى الموسوعية في المعجم العربي قابلتها نزعة إلى الاختصار والإيجاز والاقتصار على معاني المفردات، والتخفف من الشواهد، وتجاوز الغريب المهمل والحوشيّ.. وفي الزمن الذي كان فيه المعجم العربي يتابع نموّه كانت العلوم العربية الإسلامية تنمو وتتكوّن مصطلحاتها وتختص لغتها بأساليب خاصة، وتكتسب بعض الألفاظ فيها دلالات سياقية لم تكن لها في الاستعمال اللغوي الشائع المعروف في المعجمات.. وهكذا أصبح لعلم الأصول لغته، ولعلم الكلام لغته، و لعلم النحو لغته، وللطب لغته.. وكان علم الفقه من العلوم التي تنامت واتسعت، وعلم الفقه بالتعريف «هو العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلّفين خاصة حتى لا يطلق اسم الفقيه على متكلّم وفلسفيّ ونحويّ ومحدّث ومفسّر»[٣]، ومما أسهم في نمو الفقه تعدُّدُ مذاهبه مما استلزم تعدد المؤلفات فيه، فهناك كتاب أصل وشرح موجز وآخر مبسوط

ثم نشأت المتون بلغتها الموجزة الدقيقة التي حسب فيها حساب لكل كلمة أو أداة.. ثم شرحت وحشّيت وكتب التقرير على الحاشية... وفي هذه الكتب استخدمت كلمات بدلالات جديدة خُلعت عليها ضمن السياق، كما استخدمت كلمات تحتاج إلى بعض الشرح والتفسير ليتّضح معناها.. وأحسّ اللغويون من الفقهاء أو بعض الفقهاء من اللغويين بالحاجة الماسّة إلى كتاب خاص أو معجم خاص بلغة الفقه، يُقتصر فيه على ما يحتاج إليه القارئ في كتاب فقهيّ معيّن أو مذهب فقهيّ محدد، وانطلاقًا من هذا الإحساس نشأت فكرة المعجم الخاص الذي لا يُعنى بالشمول ولا الاستقصاء، لأن عنايته منصبّة على تفسير المفردات المستخرجة من كتاب واحد أو من كتب محددة، على أن يكون تفسيرها بالمعنى الذي وردت عليه في سياقها من غير اتساع إلى دلالات أخرى. وربما كان أوّلَ من نحا هذا المنحى الإمام أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) الذي صنّف كتابًا في «تفسير ألفاظ مختصر المزنيّ» إسماعيل بن يحيى[٤] (ت ٢٦٤هـ) وذكره القِفْطي علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ) باسم كتاب «الألفاظ الفقهية»[٥]، والتاج السُّبكي عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ) باسم كتاب «تفسير ألفاظ المزنيّ[٦]»، وابن خَلّكان أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ) باسم «تصنيف في غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء[٧]»، قال ابن خَلّكان: «وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه، والكتاب مرتّب على أبواب الفقه»[٨]. وهو على كل حال ليس بين أيدينا ولا نعلم له طبعةً في مكان ما لنبسط القول فيه[٩].

ويبدو أن الكتب التي اتجهت هذا الاتجاه لم تكن موازية لكتب الفقه في كثرتها، بل إنه لم يشتهر منها عند المتأخرين إلا كتابان هما «المغرب في ترتيب المعرب» للمطرّزي أبي الفتح ناصر الدين[١٠] (ت٦١٠هـ) و«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» للفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري[١١] (ت نحو: ٧٧٠هـ).

المغرب في ترتيب المعرب:

كتاب المغرب خاصّ بكتب الفقه الحنفيّ، وهو معجم لغوي فقهيّ، وذكر المطرّزي أنّ كتابه هذا إنما هو اختصار لكتاب كبير وسمه بـ «المُعْرب» ثم اختصره بعد أن نظر في كتب لم يكن قد نظر فيها من قبلُ، عند تأليفه «المغْرب» وأضاف إلى ذلك إضافات مما سئل عنه، قال: «وقد اندرج في أثناء ذلك ما سألني عنه بعض المختلفة إليّ، وما ألقي في المجالس المختلفة عليّ، ثم فرّقت ما اجتمع لديّ وارتفع إليّ من تلك الكلمات المشكلة والتركيبات المعضلة على أخوات لها وأشكال، خالعًا عنها ربْقة الإشكال، حتى انضوى كلٌّ إلى مَأرِزه، واستقرّ في مركزه، ناهجًا فيه طريقًا لا يضلّ سالكه، ولا تُجهل عليه مسالكه، بل يُهجم بالطالب على الطلب عفوًا من غير ما تعب»[١٢].

ورتب المطرزي كتابه على أوائل الأصول حسب حروف الهجاء مع مراعاة الثواني والثوالث حسب خطة بسط القول فيها في مقدمته[١٣]، وسنذكر المصادر التي وقعنا على ذكرها في المغرب، وهي المصادر التي استخرج منها المطرزي الكلمات التي فسّرها في معجمه:

– أجناس الناطفي[١٤]. – أساس البلاغة[١٥]. – الجامع الصغير لمحمد ابن الحسن الشيباني[١٦] (ت١٨٩هـ). – الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني[١٧]. – جمع التفاريق[١٨]. – رسالة أبي يوسف[١٩] إلى هارون

الرشيد. - الزيادات[٢٠]. - كتاب السّير[٢١]. - شرح خواهر زادة[٢٢]. - شرح الكافي[٢٣]- الشروط[٢٤]- الشروط[٢٥]- الفائق[٢٦]-مختصر الكرخي[٢٧]- معجم الطبراني[٢٨]- معرفة الصحابة للدُّغُولي[٢٩]-معرفة الصحابة لابن مَنْدة[٣٠]- المنتقى[٣١].

وضع المطرّزي بين يديه طائفة من كتب الفقه الحنفي، ومنها من الأمهات ولاسيما كتاب «الجامع الكبير» الذي جمع أهم مسائل الفقه، وكتاب السيّر «المغازي» الجامع لأحكام الحرب وقوانينها.. فكان يستخرج اللفظ الذي يريد تفسيره ويردّه إلى أصله وقد يورده ضمن العبارة التي ورد فيها، ثم يقوم بتفسيره تفسيرًا لغويًا موجزًا، ثم يفسّره كما ورد في سياقه ويشير إلى ما يتعلق به من تصحيف أو تحريف، ويذكر استخدامه في الحديث النبوي أو في غيره، وسنعرض أمثلة وافية تبيّن منهجه وتكشف طريقته في تعامله مع اللغة التي اختارها حسب طريقة انتقائية نسبيّة، فالمطرزي لم يذكر كلّ لفظٍ ورد في مصادره الفقهية، وإنما كان يختار منها الألفاظ التي يرى أنها تحتاج إلى تفسير، فكان من الطبيعي أن يهمل كثيرًا من المواد المستعملة والمذكورة في المعجمات الأخرى، لأنّ الاستيعاب والاستقصاء ليسا من شروطه لا في جمع المواد ولا في المادة الواحدة التي يذكرها، فقد يقتصر فيها على معنًى محدد ويترك سائر المعاني، ففي مادة «أبل» مثلاً لم يذكر الإبل وإنما اقتصر على القول بأنّ أبلّة البصرة موضع بها، وهي فيما يقال إحدى جنان الأرض، أما في مادة «أبد» فقد ذكر المعنى اللغوي أولاً واحتج له بشعرٍ قديم وحديث نبويّ، ثم أورد قولاً لمحمد بن

الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) من كتاب السِّير وفسّره كما ورد في سياقه، قال:
«أبد»: الأبد: الدهر الطويل. قال خلف بن خليفة:

لا يــبعد الله إخوانًــا لنا سلفوا أفــناهمُ حدثــان الدهر والأبدُ

وقال النابغة:

يــا دار ميّــة بالعــلياء فالسَّند أقــوت وطال عليها سالف الأبدِ

قال عليه السلام: «لا صام منْ صام الأبد» يعني صوم الدهر، وهو ألاّ يفطــر إلا في الأيــام المنهيّ عنها. وقولهم: كان هذا في آباد الدهر أي فيما تقــادم منه وتطاول، ومنه قوله في السِّير: قد دُعوا في آباد الدهر، وروي في بادئ الدهر أي في أوله. وأما آبادي: فتحريف.

ومثل هذا النص، على التحريف في مواضع والتصحيف في مواضع. كان من الظواهر البارزة في هذا المعجم، ويمكن أن نضرب له أمثلة أخرى. فمن ذلك قوله في مادة «أحن»:

الإحنة: الحقد، والجمع «إحَنٌ» والحِنةُ لغة ضعيفة، ومنه لفظ الرواية «لا تجوز شهادة ذي حِنَة» وأمّا «جِنّة» بالجيم والنون المشددة **فتصحيف**. وأورد في مادة «أخر» الحديث: «إذا وضع أحدُكم بين يديه مثل مُؤْخِرة الرّحْل فليصلّ ولا يبالِ مَنْ مرّ وراء ذلك قال: وتشديد الخاء **خطأ**.

كما أشار في المادة نفسها إلى ما ورد في حديث ماعز الأسلميّ وفي مختصر الكرخيّ: الأخِر، بكسر الخاء، هو المؤخّر المطرود فقال: وهو مقصور والمد خطأ و(الأخير) تحريف.

وفي مادة «برح» يذكر لفظ الكرخيّ: «حلف لا يدخل دارًا فدخل براحًا لا بناء فيه» وفي القدوري «مُراحا وهو موضع إراحة الإبل، وكأنّه تصحيف.. ولفظ السرخسيّ «خرابًا» والأول أوجه.

وكان المطرزي حريصًا على ذكر التصحيف في الأعلام أيضًا، ففي مادة «بأر» يذكر «بئار بني شرحبيل» ويقول: ديار تصحيف.

وفي مادة «أرب» ذكر الحديث... أنه أقطع أبيض بن حمّال ملحَ مأرب. قال: وابن حمّال صحابي معروف. وحماد تصحيف.

وفي مادة «غمد» ذكر حديث الغامدية وذكر أنها وردت في «شرح الإرشاد»: العامرية بالعين المهملة. فقال: إنه تصحيف.

لقد أولى المطرّزي ظاهرة التصحيف والتحريف عناية بالغة، وكأنه بذلك يصحح ويقَوِّم ما تسرّب إلى الكتب الفقهية التي اعتمدها من آفات التصحيف ليكون معجمه مفسّرًا لألفاظها، مصححًا لأغلاطها.

ويكثر المطرزي من إيراد الأحاديث النبوية، ويمكن الوقوع على ذلك في المغرب من غير ما تتبّع، ففي مادة «دهر» يذكر حديث السؤال عن صوم الدهر وجواب الرسول ﷺ: «لا صام ولا أفطر». ويفسّر الحديث نقلاً عن الخطابي.

وفي «دبج» يورد الحديث: «نهى أن يدبّج الرجل في ركوعه» وهو أن يطأطئ رأسه حتى يكون أخفض من ظهره.

وفي «حقق» أورد الحديث: «وشرّ السير الحقحقةُ» وهي أرفع السير وأتعبه للظهر.

وفي «قرد» أورد الحديث «إياكم والإقراد».

وفي «مجر» أورد «نهى عن المجْر».

وفي «ريب» أورد الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

وفي «ريش» أورد الحديث «لعن الله الراشي والمرتشي».

وفي «ورأ» ذكر الحديث «إن الله وراء لسان كل مسلم فلينظر امرؤ ما يقول».

وفي «ورث» أورد الحديث: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث».

وفي «سنن» أورد الحديث في مجوس هجر: «سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب».

وكان للمطرزي عناية بالمعرّب فهو ينص عليه وقد يذكر في مواضع أصل اللفظ في لغته الأصلية.. فالآجر هو الطين المطبوخ، وهو معرّب، والأزج بيت يبنى طولاً يقال له بالفارسية: (أوستان) و(سَغْ) و(كمْرا). والأيل بضم الهمزة وكسرها وتشديد الياء: الذّكر من الأوعال، ويقال لها بالفارسية: كوزن، والجمع أيايل، ومسجد إيليا هو المسجد الأقصى. وفي مادة «صنج» يذكر عدة معانٍ منها أن الصّنج ما يتّخذ من صُفْرٍ مدوّرًا، ويقال لما يجعل في إطار الدفّ من الهنات المدوّرة صنوج أيضًا وهذا مما تعرفه العرب، وأما الصنج ذو الأوتار فمختص به العجم، وكلاهما معرّب.

ولا يخلو (المغرب) من الاستشهاد بالشعر القديم غالبًا والاستئناس بشيءٍ من الشعر المحدَث نادرًا، لكنه لم يكن حريصًا على الشعر حرصه على الحديث وكلام الفقهاء، وإننا لنقرأ الصفحات تلو الصفحات من غير أن يمرّ بنا بيت شعر.

نعود إلى خصوصية هذا المعجم وكونه جمع مادّته من كتب الفقه الحنفيّ ليفسّر الكلمات المشكلة والتركيبات المعضلة فيها، ولا ريب أنّ مثل هذا التفسير سينصب على دلالتين: الدلالة اللغوية أولاً ثم الدلالة السياقية في كتب الفقه ثانيًا، وهو الهدف الرئيسي للمطرّزي، وسنختار مادة نموذجية تبرز تعامل المطرزي مع الألفاظ التي جنح إلى اختيارها وتفسيرها، ولنأخذ مادة «سكك»:

١- المعنى اللغوي: السكَك: صِغَرُ الأذن ورجل أسك، وعَنْزٌ سكّاء.

٢- الدلالة السياقية: وهي عند الفقهاء التي لا أذن لها إلا الصماخ. وعن هشام: سألت أبا يوسف عن السكّاء والتي لا قرْن لها فقال: تجزئ وإن كانت صغيرة الأذن، فإن لم يكن لها أذن فإنها لا تجزئ.

ولفظ القدوري: فأما السكّاء فهي التي لا أذن لها خلقةً ومن قال: هي التي لا قرن لها فقد أخطأ.

٣- دلالات أخرى: السكةُ هي الزقاق الواسع، وهي أيضًا دار البريد، و(أصحاب السكك) في كتاب عمر بن عبد العزيز(٣٢)، هم البُرُد المرتّبون ليُرْسَلوا في المهمات...

نلاحظ أنّ المطرّزي أورد الدلالة اللغوية على نحو موجز، ثم استرسل في ذكر الدلالات السياقية للكلمة كما وردت في كتب فقهاء الحنفية، وانتقل بعد ذلك إلى دلالة اصطلاحية برزت بعد ظهور الدولة العربية بمؤسساتها الرسمية.

ولنأخذ أيضًا مادة «نتج» كما أوردها قال:

نتج: النِّتاج: اسم يجمع وضع الغنم والبهائم كلها. عن الليث، ثم سُمّي به المنتوج، ومنه ما في المختصر: «لا يجوز بيع الَحْمل ولا النتاج» يعني نتاج الحمل، وهو حَبَلُ الحبلة في الحديث المشهور.

تعليق للمطرزي: [ومَنْ قال: المراد بالحمل ما في بطون النساء، وبالنتاج ما في بطون البهائم، فبعيد، ومن روى: «عن بيع الحَمْل قبل النتاج» فضعيف].

وقد نَتَج الناقةَ ينتجُها نتْجًا إذا وليَ نتاجها حتّى وضعت، فهو ناتج، وهو للبهائم كالقابلة للنساء، والأصل نتَجها ولدًا، معدًّى إلى مفعولين وعليه بيتُ الحماسة:

هُم نتجوك تحت الليل سَقْبًا خبيث الريح من خمرٍ وماءِ

فإذا بُني للمفعول الأول قيل «نُتجت ولدًا»: إذا وضعتْهُ. وعليه حديث الحارث: «كنّا إذا نُتجتْ فرسُ أحدنا فَلُوًّا أي مُهرًا، ذبحناه وقلنا: الأمرُ قريب، فبلغ ذلك عمر ﷺ فقال: لا تفعلوا، فإنّ في الأمر تراخيًا» يعني أمر الساعة. والتراخي البُعْد.

ثم إذا بني للمفعول الثاني قيل: نُتجَ الولدُ، وعليه قول أبي الطيب المتنبي:

فكأنّما نتجت قيامًا تحتهم وكأنّهم وُلدوا على صهواتها

ومنه قول الفقهاء: «ولو أقام البيّنة في دابّة أنها نُتجت عنده» أي ولدت ووُضعت.

قال المطرزي: **وهذا التقرير لا يعرفه إلا هذا الكتاب**(٣٣).

ومن الناتج قولُ شريح: «النّاتج أولى من العارف» عنى بالناتج مَنْ نُتجتْ عنده أو نتجها هو، وبالعارف: الخارج الذي يدّعي مِلْكًا مطلقًا دون النتاج. وإنما سمّي عارفًا لأنه قد كان فقده فلمّا وجده عرفه.

وفرسٌ نَتُوجٌ ومنتِج: دنا نتاجها وعظم بطنها، وكذا كل ذات حافر. وقد أنْتجتْ إذا صارت كذلك، ومنه «استعار دابّة نتوجًا فأزلقت من غير أن يعنفَ عليها، من باب: قَرُب».

وهذه المادة تعدّ نموذجية في اتساعها، ولدلالتها على تعامل المطرزي مع اللغة، فقد أورد المعنى اللغوي أولاً نقلاً عن الليث(٣٤)، ثم انتقل إلى

مختصر الكرخي ليبين الدلالة السياقية فيه، ثم ردّ على أولئك المولعين بذكر الفروق اللغوية، ثم اتسع في إيراد كلام الفقهاء مستطردًا إلى ذكر شيء من التراكيب النحويّة، ومما يلفت النظر قوله: وهذا التقرير لا يعرفه إلا هذا الكتاب، كأنه ينبّه إلى اجتهاده في تفسير بعض المفردات، وقد فعل مثل ذلك في مادة «أثث» فقد أورد قول الكرْخي «ما يتأثث به»: يُتفعّل من أثاث البيت.. وعقب على ذلك بقوله: وهذا مما لم أجده..

وكان شديد العناية بتفسير مفردات كلام الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) فهو يورد أقواله من كتبه المختلفة، ويقدم لها التفسير المناسب، وكان شديد الاحترام والتوقير له، فلا يخطّئه ولا يتجرأ عليه ففي مادة «بسر» يقول: وأما ما ذكره محمد رحمه الله أنّ بُسْر السكر والبسْر الأحمر فاكهة، فكأنه عنى بالأحمر الذي أزهى ولمّا يُرْطِب، أو أراد ضربًا آخر. فهو يترك أمر المعنى المراد لإرادة الإمام ولم يهجم على تخطئته كما هو شأنه في مواد عديدة مع غيره... وفي مادة «ركع» أورد عبارة «ركعت النخلة» إذا مالت. فقال: لم أجده وإن كان يصح لغةً.

وعلى طريقة شيخه الإمام الزمخشري محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) كان ينص على الاستعمال المجازي في المواضع التي تتطلّب ذلك، فقد ذكر كلمة «البيدر» وذكر أن معناها: الموضع الذي يُداس فيه الطعام، ثم أوردها ضمن قول الكرخي «ولو شرطا الحصاد والدّياسة والتذرية ورَفْع البيدر على المُزارع لم يجز» قال: أراد بالبيدر ما فيه من الطعام والتبن مجازًا. وفي «علق» يقول: علقت المرأةُ إذا حبلتْ عُلوقًا، وقوله: «الغِراس تَبدَّلُ بالعُلوق» مجاز

منه، والمعنى أنّ ما يُغرس يصير متبدّلاً لأنه ينمو ويسمو إذا علق بالأرض. وفي «شرم» يذكر «الشّرماء» نقلاً عن الصاغاني على أن الناقة الشرماء والأتان الشرماء هي المشقوقة القُبُل. فقال: فإن صح كان مجازًا.

ولا يفوّت المطرّزي الفرصة لبث موادّ معرفية لا صلة لها بالمعجم من حيث اللغة، فقد كان يذكر بعض الأعلام ممن تتصل أسماؤهم بهذه المادة اللغوية أو تلك، أو يذكر ما يتّصل بهم، ففي مادة «أمم» يقول وكتاب الأم أحسن تصانيف الشافعيّ. وفي «صمر» يذكر: الصيمرة ويقول: وإليها ينسب أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين الصيمري صاحب التّصانيف من فقهاء خراسان، سكن البصرة، وكذا الشيخ أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري مصنّف مناقب أبي حنيفة، وفي مادة «عبد» يذكر ابن أم عبد وهو عبد الله بن مسعود، وفي مادة «عبس» يذكر مولاة أبي بكر أمَّ عُبيس، وفي «عثم» يذكر عثمان بن حُنيف. وفي «خشرم» يذكر علي بن خشرم، وفي «عيش» ذكر عدّة أسماء ثم قال: وعيّاش: فعّال منه، وبه كنّي أبو عيّاش الزرْقيّ، مختلف في اسمه ونسبه، والأكثر أنه زيد بن الصامت، صحابيّ، يروي حديث صلاة الخوف في ذات الرقاع، وفيه يقول أبو حنيفة رحمه الله: لا أقبل حديث زيد أبي عياش يعني حديث بيع الرطب بالتمر.. وسميّ به والد القاسم بن عيّاش وعيّاش بن خُليس وهما في السِّيَر، وعباس بن الحَلْبس تصحيف.

إنّ ما تقدم كان تعريفًا عامًا وتعليقات عامة على هذا المعجم المفعم بالفوائد اللغوية والفقهية والنحوية وغيرها مع وضوح تام وإيجاز جميل، وسنجمل القول في قيمته بعد الانتهاء من القول في المصباح المنير.

المصباح المنير:

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، من تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) وهو معجم لغوي فقهي، تلقّف صاحبه مفردات معجمه من كتاب الشرح الكبير(٣٥) للإمام الرافعي عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣ هـ) وهو من كتب فقه الشافعية المعتمدة، وصرح الفيّومي أنه، بعد أن جمع مادته ورتبها على ترتيبٍ كان ارتآه، جنح إلى الترتيب السهل الميسر الذي وصل إلينا معجمه عليه قال:

«فإني كنت جمعت كتابًا في غريب شرح الوجيز للإمام الرافعي وأوسعت فيه تصاريف الكلمة، وأضفت إليه زيادات من لغة غيره، ومن الألفاظ المشتبهات والمتماثلات، ومن إعراب الشواهد وبيان معانيها وغير ذلك مما تدعو إليه حاجة الأديب الماهر، وقسمت كلّ حرف منه باعتبار اللفظ إلى أسماءٍ متنوِّعة: إلى مكسور الأول ومضموم الأول ومفتوح الأول، وإلى أفعال بحسب أوزانها، فحاز من الضبط الأصل الوفيّ، وحلّ من الإيجاز الفرع العليّ، غير أنه افترقت بالمادة الواحدة أبوابه، فوعرت على السالك شعابه، وامتدّت بين يدي الشادي رحابه، فكان جَدِيرًا بأن تنبهر دون غايته ركابه، فجرّ إلى ملل ينطوي على خلل، فأحببت اختصاره على المنهج المعروف والسبيل المألوف، ليسهل تناوله بضمّ منتشره، ويقصر تطاوله بنظم منتثره، وقيدت ما يحتاج إلى تقييده بألفاظ مشهورة البناء...إلخ» وأكمل الفيومي على هذا النمط شرح خطته في ترتيب معجمه الذي رتبت فيه الألفاظ بحسب أوائل أصولها مع مراعاة الثواني والثوالث، كما فعل الإمام الزمخشري في معجمه: «أساس البلاغة».

لم يذكر الفيومي مصادره اللغوية لكنه كان ينثو أسماء اللغويين الذين ينقل عن كتبهم في ثنايا موادّه، كما أنه لم يكثر من إيراد عبارات شرح الرافعي ولا عبارات الفقهاء مما كان ظاهرة بارزة لدى المطرّزي، وكان يكتفي بتفسير اللفظ كما ورد في سياقه في شرح الرافعي مع بعض زيادات في مواضع، وكان تفسيره للألفاظ شديد الإيجاز في مواضع، وقد يستطرد في مواضع، إلا أن الإيجاز عليه أغلب، ولا يخلو معجمه من فوائد نحوية وصرفيّة، ومن تفسير بعض كلمات الآي أو الأحاديث.. وهذا كلّه لا يخرجه عن كونه معجمًا خاصًا بكتاب فقهيّ معيّن، مع أن أكثر الناس في أيامنا إلى عهد قريب كانوا يستخدمونه على أنه معجم لغوي من غير أن يكترثوا بخصوصيته، وذلك نظرًا لإيجازه وسهولة ترتيبه ولما اشتمل عليه من الفوائد حتى إن المرتضى الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ) ذكره ضمن المصادر التي اعتمدها في معجمه الموسوعيّ الضخم.

وسنعرض لعدد من الظواهر التي تبرز في هذا المعجم وسنختار مادة أو أكثر تبرز لنا ظاهرة نقله عن اللغويين وعن الفقهاء، قال في مادة «بلغ»:

بلغ الصبيّ بلوغًا من باب قعد: احتلم وأدرك. والأصل: بلغ الحلم.

وقال ابن القطاع (ت٥١٤هـ) بلغ بلاغًا فهو بالغ والجارية بالغ أصلاً بغير هاء.

قال ابن الأنباري (ت٣٢٨هـ): قالوا: جارية بالغ فاستغنوا بذكر الموصوف وبتأنيثه عن تأنيث صفته كما يقال امرأة حائض.

قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): وكان الشافعي (ت ٢٠٤هـ) يقول: جارية بالغ، وسمعتُ العرب تقوله. وقال: امرأةٌ عاشق. وهذا التعليل

والتمثيل يفهم أنه لو لم يذكر الموصوف وجب التأنيث دفعًا للّبْس نحو: مررت ببالغة وربما أنّث مع ذكر الموصوف لأنه الأصل.

قال ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ): بلغ بلاغًا فهو بالغ والجارية بالغة. وبلغ الكتاب بلاغًا وبلوغًا وصل.

وبلغت الثمار: أدركت ونضجت.

وقولهم: لزمه ذلك بالغًا ما بلغ، منصوب على الحال أي مترقيًا إلى أعلى نهاياته من قولهم: بلغت المنـــزل إذا وصلته.

وقوله تعالى ﴿فإذا بَلَغْنَ أَجَلهنّ﴾ [البقرة: ٢/٢٣٤] أي فإذا شارفن انقضاء العدة، وفي موضع ﴿فبلغْنَ أجلهنّ فلا تعضُلُوهنّ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣٢] أي انقضى أجلهنّ.

وبالغت في كذا: بذلت الجهد في تتبعه.

والبلغة: ما يتبلغ به من العيش ولا يفضل. يقال: تبلّغ به إذا اكتفى به وتجزأ، وفي هذا بلاغ وبلغة وتبلّغٌ أي كفاية.

وأبلغه السلام وبلّغه بالألف والتشديد: أوصله. وبَلُغَ بالضم بلاغة فهو بليغ إذا كان فصيحًا طلْقَ اللسان.

نلاحظ أن الفيومي ذكر الدلالة اللغوية الأصلية أولاً، ثم أورد آراء اللغويين من حيث جواز تأنيث اللفظ أو تذكيره، وذكر نقولاً عن ابن الأنباري وابن القطاع وابن القوطية.. ونقل عن الشافعي برواية الأزهري، وفسّر الكلمة المذكورة في سياقها في آيتين مع عنايته بتقييد ضبط الكلمة.

فإذا ما رددنا النظر في مادة «شعر» وجدنا أنه:

- يضبط الكلمة ويذكر وزنها.

- وينقل عن العباب وعن الأزهري.
- ويورد المعاني الدينية للشعائر والمشعر الحرام.
- وينقل عن الزجاج تذكير الشعير وتأنيثه.
- ويعرّف الشِّعْر وينـــزّه القرآن والسنة عنه.
- ويعلل جمع شاعر على شعراء نقلاً عن ابن خالويه.
- ويورد معنى تركيب «ليت شعري».
- ويفسر قولهم: أشعرت البدَنة.

واتّسع أيضًا في مادة «شعب»:

- ذكر الشِّعب بمعنى الطريق في الجبل وذكر جمعه.
- وذكر الشَّعب بمعنى الحيّ العظيم.
- أثار مسألة التضاد في اللغة وذكر تعليقًا للخليل.
- ذكر ابن شَعوب (شداد بن الأسود) نقلاً عن السهيلي وعن الحميدي أنه شداد بن جعفر.
- فسّر معنى الشعوبية.
- ذكر تسلسل الكلمات التي تدل على معنى الجماعات في العربية.
- ونقل عن ابن فارس والفارابي.
- وذكر حديث «الشُّعب الأربع» وفسّره بأنه على التشبيه بأغصان الشجرة، وذكر أنه كناية.

هذه المواد التي أشرنا إليها كانت من المواد التي أسهب فيها صاحب المصباح، لكنه كان في كثير من المواد يميل إلى الاقتضاب، حتى إن بعض المواد لا يتجاوز تفسيرها سطرًا واحدًا، فمثلاً يذكر في مادة «التنّور» أنه

الذي يُخبز فيه، وافقت فيه لغة العرب لغة العجم.وقال أبو حاتم: ليس بعربي، والجمع تنانير.

وفي «حوت» يقول: الحوت العظيم من السمك وهو مذكر وفي التنــزيل ﴿فالتقمه الحوت﴾ [الصافات: ٣٧/ ١٤٢] والجمع حيتان.

وفي «حوف» يقول: حافة كل شيء ناحيته، والأصل حَوَفة مثل قصبة، فانقلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها والجمع حافات. وحافتا الوادي: جانباه. والحاف: عرق أخضر تحت اللسان.

وفي «ومض» يقول: أومض البرق إيماضًا لمع لمعانًا خفيفًا. وفي لغة ومض من باب وعد.

على أنّ الأكثر من مواده كانت تأتي بين بين، أي في الحد المتوسط بين الإيجاز والإسهاب، وسنكتفي بعرض مادتين مما جاء على هذا النحو. ولنأخذ مادة «رحم» كما وردت قال:

رحمنا الله وأنالنا رحمته التي وسعت كل شيء. ورحمت زيدًا رُحْمًا بضم الراء ورحمة ومرحمة إذا رققت له وحننت، والفاعل راحم وفي المبالغة: رحيم وجمعه رُحَمَاء، وفي الحديث: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» يروى بالنصب على أنه مفعول «يرحم» وبالرفع على أنه خبر «إنّ» و«ما» بمعنى الذين.

والرحم: موضع تكوين الولد، ويخفّف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها في لغة بني كلاب، وفي لغة لهم تكسر الحاء إتباعًا لكسرة الراء، ثم سميّت القرابة والوصلة من جهة الولاء رحمًا، فالرحم خلاف الأجنبي. والرحم أنثى في المعنيين، وقيل مذكر، وهو الأكثر في القرابة.

وقـــد جـــاءت مادة «غرق» على هذا النحو من التوسط بين الإيجاز والإسهاب قال:

غرق الشيء في الماء غرقًا فهو غرِق من باب تعب وجاء غارق أيضًا، وحكى في البارع عن الخليل: الغرِق: الراسب في الماء من غير موت، فإنْ مات غرقًا فهو غريق مثل كريم، هذا كلام العرب. وجوّز في البارع الوجهين في القياس وعلى ما نقل عن الخليل من الفرق بين الغرِق والغريق، فقول الفقهاء: (لإنقاذ غريق) إن أريد الإخراج من الماء فهو ظاهر، وإن أريد خلاصه وسلامته من الهلاك فهو مُحال لأن الميت لا يتصوّر سلامته وجمع الغريق: غرقَى، مثل: قتيل وقتلى، ويعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أغرقته وغرقته. وأغرق الرامي في القوس استوفى مدها، وأغرق في الشيء بالغ فيه وأطنب كلاهما بالألف، والاستغراق: الاستيعاب.

و لم يعنَ صاحب المصباح بذكر التصحيف والتحريف عناية المطرّزي، لكنه كان ينصّ على الكلمات المعرّبة ففي مادة «زنديق» ذكر أن بعضهم قال إنها فارسيّ معرّب، ونقل عن ابن الجواليقي قوله: رجل زندقي وزنديق إذا كان شديد البخل، ونقل عن البارع بأن هذا ليس من كلام العرب. وفي مادة «موش» يقول: الماش: حبٌّ معروف. قال الجوهري وتبعه ابن الجواليقي: وهو معرّب أو مولّد. وفي «الماسْت» بسكون السين وبتاء مثنّاة: كلمة فارسية، اسم للبن، حليب يُغْلى ثم يترك قليلاً، ويلقى عليه قبل أن يـــرد لبن شديد حتى يثخن ويسمّى بالتركي: باغرت.

ويمكن الآن بعد عرض أهم ظواهر هذين المعجمين أن نورد بعض الملاحظ:

- ظهر المعجم الخاص في اللغة العربية بدءًا من القرن الرابع على يد أبي منصور الأزهري، ثم نما هذا الاتجاه ليتجلى في ترتيبه وإيجازه في القرنين السابع والثامن في المغرب والمصباح، وعندما نقول المعجم الخاص نستبعد المعجمات الخاصة بالمصطلحات.

- استمدت هذه المعجمات مادتها الأساسية من كتب العلوم المؤلَّفة وليس من كلام العرب أو شعرهم، ولم تبال بالسماع.

- حافظ المعجم الخاص على ذكر الدلالة اللغوية المنصوص عليها في المعجم اللغوي ثم ذكر معنى اللفظ في دلالته السياقية في كتب الفقه.

- وقد ذكر في هذه المعجمات دلالات سياقية لعدد من الألفاظ لم تكن لها في الأصل، أي في المعجم اللغوي.

- كما أنها راعت جانب الإيجاز غير المخلّ فلم تغرق صفحاتها بالشواهد والاستطرادات.

- وقد استعان صاحب تاج العروس بالمصباح وعدّه مصدرًا من مصادره المعتمدة.

- هذه المعجمات وأمثالها يمكن أن تكون من النماذج الحية للاتساع في صناعة المعجمات الخاصة بالكتب على اختلاف موضوعاتها وفنونها مما يثري ألفاظ اللغة بدلالات جديدة، ويرفد المعجم العربي الكبير بروافد ثرّة غنية.

* * *

التعليقات

١- طبع المغرب في حيدر أباد سنة ١٢٢٨ هـ وطبع بعد ذلك في حلب بتحقيق الأستاذين محمود فاخوري وعبد الحميد مختار سنة ١٩٧٩، وعلى هذه الطبعة المحققة كان الاعتماد.

أما المصباح فله طبعات عديدة وقد اعتمدنا طبعة المطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٥هـ.

٢- تهذيب اللغة ١: ٥، ٦.

٣- المستصفى ١: ٤.

٤- إسماعيل بن يحيى، صاحب الإمام الشافعي ولد سنة ١٧٥هـ كان زاهدًا عالمًا قويّ الحجة، من كتبه: الجامع الكبير والجامع الصغير والمختصر والترغيب في العلم. عن الأعلام ١: ٣٢٧.

٥- إنباه الرواة ٤: ١٧٥.

٦- طبقات الشافعية الكبرى ٢: ١٠٦.

٧- وفيات الأعيان: ٤: ٣٣٤ – ٣٣٦.

٨- وفيات الأعيان: الموضع السابق.

٩- ذكر في مقدمة محقق تهذيب اللغة عدة نسخ لهذا الكتاب في عدد من مكتبات العالم. تهذيب اللغة ١: ١٣.

١٠- المطرّزي ٥٣٨- ٦١٠هـ = ١١٤٤- ١٢١٣م ناصر بن عبد السيد أبي المكارم علي أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي: أديب عالم باللغة، من فقهاء الحنفية، ولد في جرجانية خوارزم ودخل بغداد حاجًا سنة ٦٠١هـ، وتوفي في خوارزم، كان رأسًا في الاعتزال. ولما توفي رثي بأكثر من ٣٠٠ قصيدة. له «المصباح» في النحو و«الإقناع لما حوى تحت القناع» نشر في جامعة قطر بتحقيق د. محمد الدالي ود. سلامة السويدي. عن الأعلام بتصرف ٨: ٣١١.

١١- الفيومي... (ت نحو ٧٧٠هـ - ١٣٦٨م) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، لغويّ، اشتهر بكتابه «المصباح المنير» ولد ونشأ بالفيوم و«مصر» ورحل إلى حماة «بسورية» فقطنها. ولما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابته. قال ابن حجر: كأنه عاش إلى بعد (٧٧٠هـ) عن الأعلام ١: ٢١٦.

١٢- المغرب: ٢٠.

١٣- المغرب: ٢٠، ٢١.

١٤- الناطفي (ت ٤٤٦هـ - ١٠٥٤م) أحمد بن محمد بن عمر أبو العباس الناطفي: فقيه حنفيّ، من أهل الريّ، نسبته إلى عمل الناطف من كتبه «الأجناس والفروق» و«الواقعات» و«الأحكام». عن الأعلام ١: ٢٠٧.

١٥- أساس البلاغة للزمخشري محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ).

١٦- الجامع الصغير في الفروع مشتمل على ١٥٣٢ مسألة كما قال البزدوي، وذكر الاختلاف في ١٧٠ مسألة، وقد شرحه أبو بكر الرازي الجصاص أحمد بن علي (ت ٣٧٠هـ).

انظر كتاب: «الإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص»: ١٠٥.

١٧- الجامع الكبير في الفروع وهو جامع كبير لجلائل مسائل الفقه، وله شروح عديدة، منها شرح للإمام الجصاص. انظر المرجع السابق: ١٠٥.

١٨- جمع التفاريق لمحمد البقالي الخوارزمي الحنفي (ت ٥٨٦هـ) مفتاح السعادة ٢: ٦٠٣.

١٩- أبو يوسف (ت ١٨٢هـ) يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) وتلميذه. انظر الأعلام ٩/ ٢٥٢.

٢٠- الزيادات في فروع الحنفية للإمام محمد بن الحسن الشيباني، مفتاح السعادة ٢: ٢٦٢ وقد شرحه شمس الأئمة الحلوائي من كبار فقهاء الحنفية واسمه عبد العزيز (ت ٤٤٨هـ.)

٢١- كتاب السيَر أي المغازي وهو لمحمد بن الحسن الشيباني وصدر المجلد الأول منه عام ١٩٥٨ عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة بتحقيق د. صلاح الدين المنجد

وصدر في العام نفسه الجزء الثاني، وفي عام ١٩٦٠ صدر الثالث بتحقيق د. المنجد، وفي عام ١٩٧١ و١٩٧٢ صدر الجزءان الرابع والخامس بتحقيق عبد العزيز أحمد. وللإمام محمد كتابان في السير هما السير الصغير والسير الكبير.

٢٢- خواهـــر زاده: محمد بن الحسين من بخارى كان شيخ المذهب الحنفي فيما وراء النهر توفي سنة (٤٨٣هـ).

٢٣- الكافي في فـــروع الحنفية للحاكم الشـــهيد محمد بن محمد الحنفي المتوفى ســـنة (٣٣٤ هـ)جمـــع فيه كتب محمد بن الحسن المبسوط وما في جوامعه، وهو كتاب معـــتمد في نقل المذهب، وشرحه جماعة من المشايخ منهم شمس الأئمة السرخسيّ وهو المشهور بمبسوط السرخسي، كما شرحه غيره. عن كشف الظنون ٢.

٢٤- عـــلم الشـــروط يبحث في كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال. و(الشروط) المذكـــور هـــنا للخصّاف أحمد بن عمر بن مهير الشيباني (ت ٢٦١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٤٦ الأعلام ١/ ١٧٨.

٢٥- الشروط: للطحاوي أبي جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٢١هـ).

٢٦- الفائق في غريب الحديث للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

٢٧- مختصر الكرخي في فروع الحنفية للإمام أبي الحسين عبد الله بن الحسين الكرخي (ت ٣٤٠هـ) وقد شرحه الإمام القدوري أبو الحسين أحمد بن محمد (ت ٤٢٨هـ) كما شرحه الإمام أبو بكر الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ).

٢٨- الطـــبراني أبـــو القاســـم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) له المعجم الكبير والأوسط والصغير في الحديث/ كشف الظنون ٢/ ١٧٣٧.

٢٩- الدُّغُـــولي محمـــد بن عبد الرحمن أبو العباس من حفاظ الحديث (ت ٣٢٥هـ) له معجم في الحديث ورجاله – الأعلام ٧/ ٦٢.

٣٠- ابن مَنْدَه محمد بن إسحاق أبو عبد الله من كبار حفاظ الحديث (ت ٣٩٥هـ). الأعلام ٦/ ٢٥٣.

٣١- المنتقى في فروع الحنفية للحاكم الشهيد أبي الفضل محمد بن محمد بن أحمد المقتول شهيدًا سنة (٣٣٤هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٥١.

٣٢- عمر بن عبد العزيز (٦١- ١٠١هـ) ولي الخلافة بعد سليمان عام (٩٩هـ).

٣٣- شريح بن الحارث المعروف بشريح القاضي (ت ٧٨هـ) كان ثقةً في الحديث - الأعلام ٣/ ٢٣٦.

٣٤- الليث بن المظفّر بن نصر بن سيّار الذي صنّف له الخليل كتاب العين ورواه عنه. انظر نور القبس ٥٩.

٣٥- صنف الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) كتاب الوجيز في الفروع، وهو عمدة مذهب الشافعي. وقد شرحه كثيرون، منهم أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القَزْويني الرافعي (ت ٦٢٣هـ) وشرحه شرحًا كبيرًا سماه: فتح العزيز على كتاب الوجيز، وهو الذي لم يصنف في المذاهب مثله. كشف الظنون ٢/ ٢٠٠٢.

مراجع البحث

- الأعلام. خير الدين الزركلي - ط٣. بيروت ١٩٦٩.

- الإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص. د. عجيل جاسم النشمي - دار القرآن - الكويت - ١٩٨٠.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي. ج٤ - تح محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٧٣.

- بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني - محمد زاهد الكوثري - نشره راتب حاكمي - حمص ١٩٦٩.

- تاج العروس — ج١- تح عبد الستار فرّاج. الكويت ١٩٦٥.

- تهذيب اللغة للأزهري ج١- تح عبد السلام محمد هارون، الدار القومية للطباعة. القاهرة ١٩٦٤.

- حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي. محمد زاهد الكوثري، نشره راتب حاكمي — حمص ١٩٦٨.

- شرح كتاب السيّر الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني إملاء محمد بن أحمد السرخسي ج١- ٢- ٣تح د. صلاح الدين المنجد. معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٥٨- ١٩٦٠ وج٤- ٥تح عبد العزيز أحمد ١٩٧١/ ١٩٧٢.

- طبقات الشافعية الكبرى. التاج السبكي. المطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٤هـ.

- العين (كتاب العين) الخليل بن أحمد الفراهيدي. تح د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي. دار الرشيد — بغداد.

- كشف الظنون (وذيله وهدية العارفين) مكتبة المثنى — بغداد. مصور عن ط إستانبول سنة ١٩٥١.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي. المطبعة العلمية — القاهرة ١٣١٥هـ.

- المعجم العربي د. حسين نصار.

- المغرب في ترتيب المعرب للمطرّزي. تح محمود فاخوري وعبد الحميد مختار. حلب ١٩٧٩.

- مفتاح السعادة. طاش كبرى زاده. تح كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور. دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٩٦٨.

- نور القبس المختصر من المقتبس. للمرزباني — تح رودلف زلهايم فسبادن ١٩٦٤.

- وفيات الأعيان — ابن خلكان. تح د. إحسان عبّاس. دار صادر، بيروت ١٩٧٢.

نحوَ معجمٍ جديد للمعاني

محمود فاخوري

كانت حركة التدوين اللغوي عند العرب قد بدأت تتسع في أواسط القرن الثاني للهجرة، إذ اتجهت جهود اللغويين والنحويين معًا في البدء إلى جمع الألفاظ التي ينطق بها الأعراب الفصحاء، والتقاط فرائد اللغة من أفواه أولئك الأعراب في البوادي المختلفة، حيث رحلوا إليها وتنقلوا فيها بمدادهم وصحفهم غير مبالين بالحر الشديد، وبالمشقات المضنية، وقد روي أن الكسائي أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر في الكتابة عن فصحاء الأعراب، الذين تنبهوا إلى ذلك فأخذ بعضهم يرحلون إلى الحواضر لتؤخذ عنهم مسائل النحو واللغة، وأساليب العربية وطرائقها في التعبير.

وإلى جانب هذا المصدر الأعرابي، كان اللغويون يعتمدون على مصدرين آخرين في استقاء ألفاظ اللغة العربية، وتحديد معانيها، وتبين الفروق بين هذه المعاني، وهذان المصدران هما:

١- القرآن الكريم، الذي يحوي مادة لغوية وافية، اجتهد اللغويون — ومعهم المفسرون — في شرح مفرداتها وتتبع الأشباه والنظائر فيما بينها.

٢- الشعر العربي القديم الذي يُحتَجُّ به، والذي يحفظ الرواة قصائده وشوارد أبياته.

تلك هي المصادر الأولى والأساسية، في تدوين جمهرة الألفاظ الفصيحة والتراكيب الصحيحة التي جرت على ألسنة العرب حتى نهاية عصور الاحتجاج، وبذلك حُفظت تلك الألفاظ والتراكيب وما إليها من الضياع والاندثار، لتنشط اللغة العربية من بعد، إلى آفاق الحياة المتجددة،

وتفتح صدرها للعلوم المستحدثة، ومصطلحاتها الفنية، ولتدخل ميدان التأليف والتصنيف، بعد أن ظفر اللغويون بمواد وافرة، بنوا عليها نظرياتهم اللغوية، ودراساتهم الواسعة حول اللغة العربية وخصائصها وعبقريتها في الأداء والتعبير، وأمدوا المكتبة العربية بكتب ثمينة في هذه الميادين.

وكان المضمار المعجمي من أبرز تلك الاتجاهات نحو تأليف الكتب اللغوية. وقد سار في طريقين اثنين:

الأول: تأليف معجمات الألفاظ: بدءًا من «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، وما تلاه بعد ذلك من معجمات لغوية على طريقة «العين» في مراعاة مخارج الحروف كالبارع للقالي (ت ٣٥٦هـ)، والتهذيب للأزهري (ت ٣٧٠هـ)، أو على الحرف الأخير من أصول المواد: كالصحاح، واللسان، والقاموس المحيط، .. أو على الحرف الأول من تلك الأصول المجردة: كالأساس، والمُغرِب، والمصباح المنير..

والثاني: تأليف معجمات المعاني. وهذه المعجمات تقصد إلى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعاني الكلية العامة، بابًا بابًا، أو المعاني الجزئية الخاصة المتجانسة فصلاً فصلاً، وهذا هو السائد فيها، وتحت كل باب أو فصل تندرج الألفاظ التي تستعمل للتعبير عن متعلقات ذلك الباب العام، أو ذاك الفصل الخاص.

فمن المعاني العامة، على سبيل المثال: «الأمراض والأدواء» وينطوي هذا المعنى العام على معانٍ جزئية، مثل: الأمراض التي تعتري الإنسان، وأحوال العليل، وأسماء الأدوية وأوصافها، والأورام والخُراجات والبثور والقروح، وتفصيل أحوال الموت... إلخ.

ومن المعاني العامة أيضًا: «السماء والأفلاك وما فيها» ويندرج تحت هذا المعنى العام معان فرعية، مثل: نواحي السماء، والكواكب والنجوم، والشهب، والقمر ومنازله، والشمس وما يتصل بها، والبروج، والضوء والنور...

ومنها أيضًا: «السلاح والقتال والضرب والموت» ويتفرع هذا المعنى العام إلى فصول جزئية منها: السيف وأسماؤه وصفاته، الرمح وأجزاؤه وصفاته، القوس وأنواعها وما يتعلق بها، التروس، الدروع، أنواع السلاح والذخيرة، الأساطيل، الجيوش، الحصون والقلاع، الرتب العسكرية، المبارزة في القتال، القتل ونحوه... إلخ.

وعلى هذا، فإن معجمات المعاني لا نعود إليها لمعرفة معنى كلمة غامضة بين أيدينا، فذلك شأن معجمات الألفاظ، وإنما نلجأ إليها عندما يستعصي علينا إيجاد لفظ مناسب لمعنى يدور في خاطرنا، ولا نعرف كيف نعبر عنه تعبيرًا دقيقًا، أو عندما يتعذر علينا معرفة تركيب موافق لمعنًى ما، يجول في خلدنا، و لم نستطع تذكر ذلك التركيب أو الوصول إليه.

وتأليف معجمات المعاني كانت له بدايات أولية تجلت في كتيّبات، أو رسائل لغوية صغيرة، يتناول كل منها معنى واحدًا أو اثنين من المعاني العامة أو الخاصة، وما يندرج تحت ذلك من ألفاظ لغوية مختلفة، وقد يسمون تلك الرسائل «كتبًا». ومن أمثلتها: كتاب السلاح: للنضر بن شُميل (ت٢٠٤هـ)، وكتابَيْ: «الشجر»، و«اللّبأ واللَبن» لأبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، وكتب: الإبل، والنخل، والشاء، وهذه الثلاثة للأصمعي (ت٢١٦هـ).. إلخ.

وهذه الرسائل لا تسير وفق نهج واضح، ولا ترتيب معين، وإنما تسرد الألفاظ اللغوية المتعلقة بالموضوع سردًا اعتباطيًا كيفما اتفق، ومثال ذلك

قول الأصمعي في «كتاب الإبل» تحت عنوان: «ألوان الإبل»: «يقال: بعير أحمر، وناقة حمراء. فإذا بُولغ في نعت حُمرته قيل: كأنه عِرْق أرطاة، ويقال: أجلَدُ الإبل وأصبرها: الحُمْرُ.. فإذا خَلط الحمرةَ صَفارٌ قيل: أحمرُ مُدَمًّى... فإذا خلط الحُمرةَ صُفرةٌ كالوَرْس قيل: أحمرُ رادنيٌّ، وناقةٌ رادنيةٌ...»[1].

ثم اتسع التأليف في هذا الميدان، ولكن بعض اللغويين لم يتوقفوا عن تأليف الرسائل الصغيرة. والكتيبات أيضًا، فلابن أبي ثابت (ت نحو ٢٥٠هـ) كتاب «خلْق الإنسان»، ولابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) كتاب «وصف المطر والسحاب»... وللسيوطي (ت ٩١١هـ) كتاب «غاية الإحسان في خلق الإنسان»...

وخلال قرون متعاقبة، ظهرت كتب كاملة في نطاق ما يسمى «معجمات المعاني»، وسُمِّي كل منها بعنوان خاص، وهي مكسرة على أبواب في المعاني العامة الكلية، وقد تقسم هذه الأبواب في بعض تلك الكتب إلى فصول، كما قد تكون خلوًا منها.

وهذه المعجمات لا تتشابه فيما بينها، ولا تساير كلها الزمن في تطورها وتدرجها نحو النضج والكمال، وإن استفاد بعضها من بعض.

وإذا كانت معجمات الألفاظ – التي سبق ذكر بعضها – قد تحددت طرائقها عامة، واتضحت مناهجها، وأمكن تصنيفها بحسب ذلك كله، فإن هذا الأمر لم يتحقق تمامًا في معجمات المعاني التي كان أصحابها يقصدون إلى التنوع في العرض والمنهج، وكان أن تفاوتت معجماتهم في مدى الشمول

(١) الكنـــز اللغوي في اللسن العربي – نشره أوغست هفنر، بيروت ١٩٠٣م ص ١٥٠- ١٥١.

والاتساع، اتفاقًا تارة، واختلافًا تارة أخرى. ومن ثم تتأبى – هذه المعجمات، حين نعود إليها جميعًا ولا نقتصر منها على ما نريد – على المرحلية وحالة الترقي، فلكل معجم في المعاني خصائصه وطريقته الغالبة عليه، وقد يشبهه في شيء من ذلك معجمات أخرى، متقدمة عليه أو متأخرة عنه[٢]، وإن كانت كلها تقوم على المعاني الكلية العامة.

على أن من أبرز الفروق بين هذه المعجمات: اختلافها في عدد الأبواب والفصول، قلةً وكثرةً، وفي مدى اهتمام مؤلفيها بالألفاظ المفردة ومشتقاتها، أو بالتراكيب والجمل وطبيعتها، وفي القصد إلى التوسع في الجزئيات والتفاصيل، أو اختصارها والتخفف منها:

١– فأقدم كتاب كامل وصل إلينا، مما يمكن أن نسميه معجمًا في المعاني، هو «كتاب الألفاظ» لابن السِّكِّيت (ت ٢٤٤هـ)، وهو يمثل صورة متطورة وناضجة في التبويب والتوثيق والشرح، بالقياس إلى ما قبله من الرسائل الصغيرة، حتى إن أصحاب معجمات المعاني – الذين خلفوا بعد ابن السكيت – اتخذوا منهجه قدوة في مؤلفاتهم، لما اتصف به من جودة في التأليف، ودقة في الرواية، واستيعاب لكثير من كلام العرب، شعره ونثره، مع الاهتمام بالغريب من الألفاظ[٣].

---

(٢) وهذا خلاف ما درج عليه جمهور الباحثين والمؤلفين المعاصرين من تقسيم التأليف في معاجم المعاني إلى ثلاث مراحل زمنية، مقتصرين على ذكر ما يريدون من كتب معينة تؤيد أقوالهم، وتابع بعضهم بعضًا في ذلك. وهذا التقسيم المرحلي ليس دقيقًا كما سنرى.

(٣) طبع «كتاب الألفاظ» لابن السكيت طبعة علمية كاملة بتحقيق د. فخر الدين قباوة، ونشرته مكتبة لبنان في بيروت سنة ١٩٩٨. وكان لويس شيخو قد نشر بعض مختصراته من قبل.

وقد وزعه ابن السكيت على ١٤٦ بابًا في المعاني العامة، من نحو: الغنى والخصب، والفقر والجدب، والغضب والحِدّة والعداوة، والشجاعة، والألوان، وأسماء القمر وصفته... إلخ. وهذه الأبواب تترجح بين الطول والقصر، وليس لها فصول، ولا تفريعات جزئية. وقد ذكر ابن السكيت في كل باب من هذه الأبواب، **الألفاظ والجمل معًا**، التي تستعمل في التعبير عن كل معنى جزئي يتصل بذلك الباب، وما بينها من فروق. وتواردت الأبواب فيه تباعًا بلا ترتيب معين، ولا تنسيق منظم، واختار شواهده من القرآن والحديث والشعر، وهو يذكر أسماء الرواة واللغويين الذين روى عنهم في مطاوي أبوابه.

ومن أمثلة ذلك قوله في «باب الفقر والجدب»: «قال يونس: الفقير يكون له بعض ما يُقيمه. والمسكين: الذي لا شيء له، قال الراعي:

أما الفقيرُ الذي كانت حَلوبتُه وَفْقَ العيال، فلم يُترك له سَبَدُ

قال: وقلت لأعرابي: أفقير أنت أم مسكين؟ قال: لا والله، بل مسكين. أبو زيد: ومنهم المُقْتِر، وهو المُحوِج المُقِلّ. وهو الإقتار والإقلال والإحواج. وهو شيء واحد، وهو من الفقر»[٤].

ويشبه «كتاب الألفاظ» في طريقته الغالبة عامة، **واهتمامه بالألفاظ والجمل والفروق بين معانيها وإيراد الشواهد عليها**، معجمات أخرى للمعاني جاءت بعده وأشهرها:

(٤) كتاب الألفاظ، ص ١٤. الحلوبة: الناقة فيها لبن تحتلب. ووفق العيال، أي بقدر ما يكفي العيال. والسبد: الشيء.

أ – متخيّر الألفاظ: لابن فارس اللغوي (ت٣٩٥هـ). وقد جعله في ١١٤ بابًا، بلا فصول، وتخير فيها ما حسن من الألفاظ، دون الوحشي الغريب، وما ساغ من التراكيب، وما ابتكره الشعراء من صور في تشبيهاتهم ومجازاتهم، كقوله في «باب النوم والسهر» (ص ١٣٢) «يقال: نام ينام نومًا. وإنه لخبيثُ النيمة، أي الحالِ التي يَنام عليها. ورجلٌ نُوَمة: أي كثير النوم. وهجَع وهجَدَ. فأما التهجّد: فالتيقظ. قال الله تعالى: ﴿ومن الليلِ فتهجَّد به﴾ (الإسراء ١٧/٧٩) .. ورجلٌ سُهُدٌ: قليل النوم. والكرى: النعاس. قال ابن السكّيت: إنه لشديدُ جفنِ العين: إذا كان صبورًا على النعاس، لا يغلبه النوم».

ب – فقه اللغة وسر العربية: لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ). يعد هذا الكتاب حلقة مهمة من سلسلة معجمات المعاني القديمة التي تعنى بألفاظ اللغة العربية وتراكيبها، وتكشف عن أسرارها وفقهها. وقد جعله الثعالبي قسمين:

– **الأول** فيما سماه: «فقه اللغة»، وهو في حقيقته معجم للمعاني بالمعنى الاصطلاحي. وقد وزعه على ثلاثين بابًا عامًا، وكل باب يتألف من عدة فصول، تقل أو تكثر، وتطول أو تقصر، ويضم كل فصل منها فرعًا جزئيًا من المعنى العام الذي عقد عليه الباب الأصلي. وهذا القسم يعادل ثلاثة أرباع الكتاب. ومن أبوابه العامة: «الباب الثامن عشر: في ذكر أحوال وأفعال للإنسان وغيره من الحيوان». يقول في الفصل الثاني منه وعنوانه: «فصل في ترتيب الجوع»:

«أوّلُ مراتبِ الحاجة إلى الطعام: الجوعُ، ثم السَّغَب، ثم الغَرَث، ثم الطَّوى، ثم المَخْمَصة، ثم الضَّرَم، ثم السُّعار».

– **والقسم الثاني:** في «سر العربية»، وقد تناول فيه الثعالبـــي بعض الأساليب والتراكيب في اللغة العربية، وطريقة العرب في التعبير، مقرونة بالشواهد المختلفة من آيات قرآنية وأشعار فصيحة، ومن مأثور كلام العرب، مثل تقديم المؤخر، وتأخير المقدم، وإقامة الواحد مقام الجمع، وما يذكَّر وما يؤنث، والالتفات، والاستعارة، والنحت... وهذا القسم يعادل ربع الكتاب، وهو موزع على فصول تبلغ المئة تقريبًا. ومن أمثلة هذا القسم قول الثعالبـــي في فصل «الإتباع»: «هو من سنن العرب، وذلك أن تَتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها ورويِّها إشباعًا وتوكيدًا، كقولهم: جائعٌ نائع، وساغبٌ لاغب، وعطشان نطشان...».

وقوله في «الجمع الذي لا واحد له من لفظه»: «النساء، والنَّعم، والغَنَم، والخيل، والإبل، والعالَم، والرّهْط، والنفَر، والمعشَر، والجند، والجيش، والمَساوئ، والمَحاسن، والمَسام...».

وقد حظي هذا الكتاب بشهرة واسعة، لما يمتاز به من تنسيق دقيق، وتبويب حسن، ومنهج قويم، وعناية خاصة بتحديد دلالة كل لفظة ومعناها الخاص بها، وتوضيح ما بين المعاني من فروق دقيقة تنفي عن الألفاظ صفة الترادف في معانيها.

ج – **المخصص:** لابن سِيدَه الأندلسي (ت٤٥٨هـ). وهو أوسع معاجم المعاني القديمة مطلقًا، وأغزرها مادة، وأجدر الكتب في موضوعه بأن يحمل اسم معجم كامل للمعاني بالمعنى الاصطلاحي، لما اتسم به من التقصي والاستيعاب للمعاني العامة – التي سماها كتبًا، وأحيانًا يسميها أبوابًا– بدءًا من الإنسان وما يتصل به، فالحيوان ومتعلقاته، فالسماء والأفلاك وما فيهما،

فالأرض وما فيها وما عليها. لكننا قد نلمح بعض الخلل والاضطراب في تتابع أبوابه – أو كتبه – من آنٍ إلى آخر. غير أنه، مع ذلك، يظل من حيث هيكله العام وخطوطه العريضة متسمًا بحسن التبويب، ومراعاة التنظيم بالقياس إلى غيره، والحرص على تحديد معاني الألفاظ والتراكيب، ومشتقاتها وفروعها، وإيراد الشواهد المناسبة من الشعر والنثر وآيات التنـــزيل، ونسبة كل قول إلى مصدره أو قائله.

وهذا مثال من كتاب «المخصص» في كلامه على الجوع لمقابلته بما ذكره صاحب «فقه اللغة»: «الجوع: ضد الشِبَع، قال سيبويه: جاع جُوعًا، وهو جائع. والجمع جِياعٌ، ابن السكيت: وجُوَّعٌ. غيرُ واحد. رجل جائع وجَوْعان، من قومٍ جِياع وجَوْعى. وقد أجَعتُه وجوّعتُه. حكاه صاحب العين، وأنشد: (مُجوَّعَ البطنِ كلابيًّ الخُلق). ابن السكيت: قد أصابتهم مَجاعة، ومَجْوَعة، ومَجُوعة، وهو عامُ الجوع. صاحب العين: جُعتُ إلى لقائك: غَرِثتُ، وهو على المَثَل، كما قالوا: عَطِشتُ...».

٢– وبعض معجمات المعاني القديمة اهتم مؤلفوها بتقصي الألفاظ المفردة وحدها، التي يشتمل عليها كل معنى عام أو جزئي، وبشرح معاني هذه الألفاظ، والاستعانة بالشواهد عليها، وأشهر هذه المعجمات:

أ– **«التلخيص في معرفة أسماء الأشياء»: لأبي هلال العسكري** (ت٣٩٥هـ).

يضم جزآه أربعين بابًا في المعاني العامة. ويتألف كل باب، في الأغلب، من فصول – تطول أو تقصر – في فروع ذلك المعنى العام. والعسكري يشرح ما يورده من الألفاظ هنا وهناك، وقد يأتي بالشواهد، كقوله في الباب الثاني «في ذكر أخلاق الإنسان وأفعاله..» (ص ١١٢): «ذكر الجوع: هو الجُوع،

والغَرَث والسَّغَب والطَّوى. رجل غَرْثان، وسَغبان وساغِب... وقد غَرِثَ وسَغِبَ، وطَوِي يَطْوى طَوًى.. والخَمْص: الجوع.. وهو خامِص وخَميص. وفي القرآن: ﴿فمَن اضطُرَّ في مَخْمَصة﴾ (المائدة ٥/٣).

ب– مبادئ اللغة: للخطيب الإسكافي (٤٢١هـ). هذا الكتاب مقسم إلى عدد من الأبواب العامة، بلا فصول، مثل ذكر السماء والكواكب، أسماء البروج والأزمنة والأوقات، الليل والنهار، صفة الحَرّ والبرد، الرياح.. إلخ. وهو خالٍ من مقدمة للمؤلف، الذي يسير فيه على طريقة العسكري في «التلخيص» من ذكر الألفاظ المفردة، ومعظمها من الغريب، وشرح معانيها. والاستعانة بالشواهد الشعرية القديمة ذات الألفاظ الغريبة. وقد يأتي بآيات التنــزيل قليلاً. ومن أمثلته قوله في «باب آلات الكتّاب» (ص٩٠): «والطِرس: الكتابُ المَمحوُّ الذي يُستطاع أن تُعاد فيه الكتابة. والتطريس: فعلك به.. والطِلْس، باللام: كِتاب لم يَنْعَم مَحْوُه فيصير طِرسًا. والمَجمجَة: خَبطُ الكُتْب وإفساده بالقلم، كالجَمجمة باللسان: وهو ألاّ يُبين الكلام من غير عِيّ. والصُّحف: ما كان من جلود. والقِطّ: الكِتاب. والمَجلَة: صحيفة كانوا يكتبون فيها الحكمة. قال النابغة:

مَجلَــتُهم ذاتُ الإلـــه ودينـــهم قَـــويم، به يَرجون خيرَ العواقب»

ج– نظام الغريب: لعيسى بن إبراهيم الرَّبَعي (ت٤٨٠هـ). وهو بعد عصر ابن سيده بقليل. يضم مئة وأربعة أبواب في المعاني العامة، ولا فصول لها. وهو يعنى بالغريب من الألفاظ غالبًا، ويشرح معانيها، ويستشهد عليها بأبيات من الشعر. كقوله في الباب الحادي والثلاثين «في أسماء العسل» (ص٩٥):

«العسل: الشَّهد، والأَرْيُ، والضَّرَب، والماذيّ، والجَلْس، كلّه بمعنى. والسَلْوى: العسل. قال خالد بن زهير:

وقاسَمها بالله جُهدًا: لأنتمُ ألذُّ من السَلْوى إذا ما نَشُورُها

والمُشتار: الذي يَجني العسل، شارَها يَشورُها، واشتارَها يشتارها.. واليعسوب: ذكَر النحل. والخَشْرَم: موضع اجتماع النحل، ويكون النحل أيضًا. والدَّبْر: النحل...».

د – **كفاية المتحفظ**: لإبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي، المعروف بالأجدابي (ت نحو ٦٥٠هـ). وتكسيره على المعاني العامة يأخذ عنوان «باب» تارة، و«فصل» تارة أخرى، بلا تنسيق ولا ترتيب، فتحت عنوان «باب في السلاح» (ص٢٥) وردت العناوين الآتية: «ذكر صفات السيوف المحمودة، صفات الرماح، باب في السهام، باب الدروع والبيض». والمؤلف يشرح الكلمات المذكورة في كل باب أو فصل، وقلما يستعين بالشواهد الشعرية. ومن أمثلة ذلك قوله تحت عنوان «فصل في العسل» **وهو هنا بتمامه** وقد سبق مثله في كلامنا على كتاب «نظام الغريب»، للموازنة بينهما:

«الأَرْيُ: العسل. والماذيّ: العسل الأبيض، وكذلك الضَرَب. والدبس: عسل التمر، ويسميه أهل الحجاز: الصَقْر. والشَوْر: اجتناء العسل، يقال: شُرْتُ العسل، وأَشَرْتُه، واشتَرْتُه: إذا أخذتَه من أجباحه. والخلايا الأجباحُ، واحدها خليّة»(٥).

(٥) كفاية المتحفظ ٦٢ والأجباح: مفردها جبْح، بتثليث الجيم وسكون الباء، وهو الموضع الطبيعي تُعسّل فيه النحل.

وهذا الكتاب يعد من المختصرات في بابه، وعدد صفحاته ٧١، مع أن مؤلفه متأخر جدًا عمن سبقه من أصحاب معجمات المعاني المطولة، أو المرتبة ترتيبًا جيدًا.

٣- وبين أيدينا جملة ثالثة من معجمات المعاني، سار فيها أصحابها سيرة أخرى، إذ **اهتموا في كتبهم بجمع التراكيب والعبارات المترادفة أكثر من اهتمامهم بالألفاظ المفردة.** وكأن الهدف من تأليفها تعليمي، لتدريب الناشئة والمتأدبين على إتقان الكتابة، والبراعة في الإنشاء. وأشهر هذه الكتب ثلاثة:

أ – الألفاظ الكتابية: لعبد الرحمن الهمذاني (ت٣٢٠هـ). وأبوابه العامة الثلاثمئة تقريبًا لا فصول لها، ويغلب عليها القصر، وقد يأتي خلالها ببعض الأقوال البليغة والأبيات، ومن أمثلتها ما جاء في «باب التكبر» (ص١٣٣):

«يقال: تكبّر فلان فهو متكبر، وتجبَّر فهو متجبر، وتعظَّم فهو متعظِّم، وتطاولَ فهو متطاوِل، واختال فهو مختال، وتغَطْرس فهو متغطرِس،... ويقال: شَمَخَ بأنفه، ونفَخ بأنفه، وزَمَّ بأنفه، ووَزَم بأنفه، وعدا طورَه... وفي الأمثال: هو أزهى من غراب، وأزهى من ديك..».

ب– جواهر الألفاظ: لقدامة بن جعفر (تبعد ٣٢٠هـ). يشتمل على ٣٧٢ بابًا، تطول وتقصر، بلا فصول ولا شواهد من الشعر أو النثر، وقد يمهد للباب بذكر بعض الأفعال الماضية المتعلقة بموضوع ذلك الباب، قبل أن ينتقل إلى غايته الأساسية وطريقته المفضلة، وهي أن تكون التراكيب والجمل المترادفة عنده مسجوعة متوازنة في الغالب، وكأنه استعاض بها عن الشواهد

النثرية من أقوال البلغاء، كقوله فيما سماه «باب التكبر والصلَف» ص ٢٦٤ وهو شبيه بنظيره في «الألفاظ الكتابية»:

«تكبَّر، وتجبّر، وتعظَّم، وتطاوَل، وتَنَبَّل... وتصلَّف، وأُعجِب. وانتخى، واختال، وزخرَ. ويقال: هو شديد الصلَف، كثير السَرَف، عظيم التِيه والزَهْوِ، شديد الكِبْر، عظيم العُجْب والتجبّر شديد النخوة والتكبر، متطاول بذّاخ، متعظِّم شمّاخ...».

ج- **سحر البلاغة وسر البراعة**: لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ). وهذا الكتاب يفوق كتاب «جواهر الألفاظ» في عنايته الخاصة بالتراكيب من جهة، وبالتنميق والسجع والترادف بين الجمل من جهة أخرى. لكنه أصغر منه حجمًا، فقد جعله الثعالبي في ١٣ كتابًا واسعًا (بدل الأبواب) مثل: كتاب الأزمنة والأمكنة، كتاب الطعام والشراب، كتاب وصف النظم والنثر، وكتاب المساوئ والمقابح، وكتاب التعازي(٦)..إلخ. وقسم كل «كتاب» من تلك الكتب إلى عناوين فرعية. فَتَحْتَ «كتاب الطعام والشراب» ص٣٦ تتوالى العناوين التالية: في الفواكه والثمار، ذكر الجوع، وصف القدور، مقدمة الطعام، وصف الموائد، وصف الألوان من الأطعمة، وصف ألوان من الحلواء، ذكر النهم الأكول... إلخ.

يقول الثعالبـــي في «ذكر الجوع» ص٣٧ وهو هنا بتمامه، وقد سبق مثله عند الكلام على كل من «فقه اللغة» للثعالبي نفسه، و«المخصص» لابن سيده:

(٦) سمى الثعالبي الكتاب الأخير، الثالث عشر: «كتاب الأمثال والحكم» وضمنه فقرات بليغة، وجملاً فصيحة مختارة لأعيان عصره، ومنهم: ابن العميد، والصاحب ابن عباد، والببغاء...

«لا هُجوع مع الجوع. سلطان الجوعُ يُسيء الملَكة. هو أجْوَع من ذئب معشِّش بين أعاريب. قد أثَّر الجوعُ في الأخلاط. العيونُ قد انقلبت، والأكباد قد التهبت. تحلَّبت الأفواه، وتوقَّدت الأكباد. امتدت إلى الخُوان الأعناق، وأُحدَّت نحوه الأحداق، وتحلَّبت له الأشداق»(٧).

من هذا العرض — الذي نسقناه بحسب ما بدا لنا من طرائق معجمات المعاني القديمة(٨) — يبدو لنا أنها لا تساير الزمن والتطور في رحلتها التاريخية من بدايتها إلى منتهاها، ومن ثم لا يصدق عليها الطابع المرحلي المتطور، الذي تمسك به كثير من المعاصرين. ولو كان الأمر كذلك لكان — على سبيل المثال — كتابا: «نظام الغريب» للرَّبَعي (ت٤٨٠هـ) — وهو بعد ابن سيده بنصف قرن — و«كفاية المتحفظ» لابن الأجدابي وهو بعده بأكثر من قرنين — أكثر تكاملاً ونضجًا من «المخصص» وهذا ما لم يكن. فضلاً عما يمتاز به كل معجم من معجمات المعاني تلك، من خصائص ومزايا لا تتوافر في غيره، أو لا يشبهه فيها تمام الشبه.

وفي العصر الحديث اشتدت الحاجة إلى معجمات المعاني المتطورة، وكثر البحث والسؤال عن الألفاظ والجمل الصالحة للتعبير عن متطلبات

---

(٧) من هذا يتبين لنا أن كتابه هذا يختلف عن كتابه السابق «فقه اللغة» فلكل منهما منهج وطريقة وهدف، مع أنهما من معجمات المعاني. وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من نفي المرحلية عن سير التأليف في معجمات المعاني.

(٨) ربما يكون لغيرنا وجهة نظر خاصة في تصنيف معجمات المعاني القديمة وفق معايير أخرى، لأن مجال القول هنا ذو سعة. على أن ما سلكناه في ذلك وجدناه الأقرب والأوضح، تبعًا لرجوعنا إلى تلك الكتب، ولما أوردناه من نصوصها وما برهنا عليه من آراء في مطاوي البحث، تؤيد وجهة نظرنا.

الحياة المعاصرة، وعن شؤون الحضارة ومعاني التمدن، وما تتطلبه الحركة العلمية الناهضة، من مفردات ومصطلحات في مختلف الميادين والمجالات.

وهذا ما دعا إلى ظهور عدد من الكتب التي يمكن أن يسلك بعضها في معجمات المعاني العامة، كما يتخذ بعضها الآخر سمة معجمات خاصة يتناول كل منها معاني فرعية تضيق أو تتسع. وأشهر المعجمات العامة الحديثة على التوالي:

١ – نُجعة الرائد، وشِرعة الوارد، في المترادِف والمتوارِد[٩]: لإبراهيم اليازجي (ت١٩٠٦م). يقع في ثلاثة أجزاء تضم اثني عشر بابًا كبيرًا، ولكن لم يطبع منه سوى جزأين يشتملان على ثمانية أبواب (أي ثلثي الكتاب) منها: الخلق وذكر أحوال الفطرة وما يتصل بها، وصف الغرائز والملكات، الأحوال الطبيعية في العلم والأدب وما إليهما في الأرض وجوها، الدهر وأحواله... إلخ. وكل باب منها ينقسم إلى عدد من الفصول.

وقد راعى المؤلف أن يجمع للمشتغلين باللغة – كما قال في المقدمة – من مترادف ألفاظها وتراكيبها «ما يجعل نادَّها منهم على حبل الذراع، ويسدد أقلامهم للجري على محكم أسلوبها بما يهيئ لهم من بُعد المتناول، وانفساح الباع»، وأدار ذلك كله على المعاني العامة التي يحوم حولها الفكر. وقد سار فيه على طريقة «الألفاظ الكتابية» و«جواهر الألفاظ» و«سحر البلاغة» التي يجمعها مذهب واحد في هذا الباب كما رأينا، إلا أنه لا يسعى

(٩) النجعة: الذهاب لطلب الكلأ في مواضعه – والرائد: الذي يتقدم قومه في التماس النجعة. والشرعة: الطريق إلى الماء للشرب. والمترادف والمتوارد: بمعنى الألفاظ الدالة على معنى واحد، إما من أصل الوضع، وإما لتعاقب اللفظين وتواردهما على معنى واحد. يقال: توارد القوم إلى المكان: حضروا، الواحد بعد الآخر.

وراء العبارات المسجوعة.

ومن قوله في فصل «جودة الرأي وفساده» من الباب السابع: في سياقة الأحوال وأفعال شتى...» (٢/ ٩٢).

«يقال: هذا رأي سديد، ورأي أسدّ، ورأي صائب، وصواب على الوصف بالمصدر. ورأي أصيل، ثاقب، بازِل، جَزْل، نَضيج، مختمر، وإن فلانًا لذو رأيٍ رَميز، ورأيٍ رَزين، ووَزين، وإنه لجيد الرأي، ومُحكَم الرأي، ومُحصَد الرأي..

ويقال في ضدّه: هذا رأي فائل، ضعيف، سخيف، سقيم، واهن، سيئ، فاسد، ساقط. وإن فلانًا لَرجلٌ أفِينٌ[١٠]، وأفِينُ الرأي، وفائلُ الرأي...إلخ».

٢- نَجدة اليراع: لسعيد الشرتوني (ت١٩١٢م): كتاب تعليمي مختصر يقع أصله في ثلاثة أجزاء صغيرة، طبع الأول منها وحده، وهو يحوي فقرًا وتراكيب للبلغاء في عدد من مواضيع الكتابة التي كانت سائدة في عصر مؤلفه. أما الجزء الثاني فهو «في المتضادات»، والثالث: «في القيود والأمثال».

يقع جزؤه الأول المطبوع في ١٤٤ صفحة تشتمل على نحو مئة عنوان في المعاني العامة بإيجاز (بلا تسمية للباب ولا للفصل) مثل: ذِكر النوم والنعاس، ذمّ المغنّين، صفة نزهة على نهر سرقسطة، استدعاء الشراب، صناعة الكلام...إلخ. وكُتب على غلافه العبارةُ التالية: «وهو معجم «قاموس» مرتب على أبواب المعاني». وقد ضُبطت نصوصه بالشكل الكامل، وأُلحق به فهرس لغوي يفسر ما ورد في أبوابه من الغريب، وفي

(١٠) أي ضعيف الرأي.

ذلك فائدة للطلاب.

٣- الرافد: لأمين آل ناصر الدين (ت١٩٥٣م). وهو معجم وجيز للإنسان والحيوان والهَوام، وما يتصل بذلك، ولما يُستعمل من الأدوات والأواني، ولما في السماء والأرض. وقد قسم إلى «مطالب عامة رئيسية، وكل مطلب منها يضم عناوين جزئية لموضوعات تتعلق بذلك المطلب. والمؤلف يقتصر على ذكر الألفاظ المفردة وشرح معانيها شرحًا واضحًا موجزًا. وللكتاب «فهرس ألفبائي» للألفاظ الواردة فيه.

٤- الإفصاح في فقه اللغة: ألفه عبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، ويعد أفضل معجمات المعاني المعاصرة. وقد هذب فيه مؤلفاه كتاب «المخصص» لابن سيده، بحذف أسانيده وشواهده، واختصار مادته، والتوفيق بين رواياته، وإضافة زيادات من معجمات وكتب لغوية أخرى استدعتها حاجة العصر، حتى بلغ عدد أبوابه ٢٣ بابًا عامًا، وتحت كل باب منها عناوين جزئية كثيرة جدًا تتعلق مضامينها بذلك الباب، وشُرِحت معاني الكلمات الواردة في الكتاب جميعًا، وقد تُبَين الفروق الدقيقة بين تلك المعاني، مع الاستعانة ببعض الجمل الفعلية القصيرة للتوضيح.

وبذلك كله جاء هذا الكتاب – كما قال المؤلفان – «خلاصة وافية للمعاجم العربية، لا من جهة الاختصار، بل من جهة أنه جامع لمحاسن الجميع».

فالباب الأول: «في خَلْق الإنسان». ومن عناوينه الجزئية الكثيرة: الحَمل والرّضاع والفِطام، تغذية الولد، الحضانة والتربية، الولد السيئ الغذاء، ظهور أسنان الصبي، أسماء الأولاد في الصغر،... إلخ.

والباب السابع: «في الملابس وأنواعها، وفي الأحذية». ومن عناوينه

الفرعية: الثياب، نَسجُ الثياب، تبييض الثياب، العيب في الثوب، الرقيق من الثياب، المخطَّط من الثياب، ثياب الكتّان، ثياب الصوف، الأردية والملاحف... إلخ.

وقد تحققت في هذا الكتاب جملة من الميزات ليست متوافرة في غيره من معجمات المعاني القديمة والحديثة، كتفصيل الموضوعات الجزئية تحت كل باب مع مراعاة الإيجاز في الشرح، وإضافة الكثير من المسميات التي فرضها التقدم العلمي والفني، والتوسع في المواد بذكر ما فيها من صيغ الأفعال ومشتقاتها، وذكر بعض المترادفات للمعنى الواحد قصدًا إلى إيجاد ثروة لفظية يمكن بها تخصيص لفظ لكل معنى إذا تعددت المعاني في العلوم المختلفة.

وقد بلغت صفحات «الإفصاح» بمجلديه الضخمين ١٣٩٦ صفحة، يتبعها بعد ذلك معجم للألفاظ الواردة فيه مرتبة على حروف الهجاء بحسب نطقها.

هذا المعجم – على جودته – لم يعد كافيًا اليوم، بعد مضي نحو أربعة عقود من السنين على طبعته الثانية المعدلة والمزيدة، وهو يحتاج إلى إضافات جديدة استُجدّت في هذا العصر، فضلاً عما فيه من ثغرات، وما يؤخذ عليه من ملاحظات لا سبيل إلى إيرادها هنا. وأبرزها الإكثار من الألفاظ الغريبة والوحشية التي لا نحتاج إلى استعمالها اليوم.

وإلى جانب معجمات المعاني العامة التي ظهرت في العصر الحديث، ألفت أيضًا معجمات أخرى خاصة يتناول كل منها موضوعًا فرعيًا، مثل:

١- معجم القطيفة: لناصيف اليازجي (ت١٨٧١م)، وهو «في أسماء أعضاء الإنسان وما يتعلق بها، والصفات الجارية عليه من الحلى والعيوب»، وشرح ألفاظها اللغوية، ومعظمها من الغريب النادر، وقد رتبت على

الحروف الهجائية بعد ردها إلى أصولها المجردة. وبذلك يصبح هذا الكتاب أقرب إلى أن يكون معجمًا للألفاظ ذات الموضوع الواحد.

٢– معجم الحيوان. ٣–المعجم الفلكي.وهما لأمين المعلوف (ت١٩٤٣م).

٤– معجم الملابس في لسان العرب: د. أحمد مطلوب[١١].

* * *

تلك هي أشهر معجمات المعاني المطبوعة، من قديمة وحديثة. وقد جعلنا وكدنا أن نوضح طرائقها متفرقة أو مجتمعة، وطبيعة صياغة مواد كل منها فحسب، وإن كانت ملامحها العامة وخطوطها العريضة متقاربة في الأعم الأغلب، وأيدنا ذلك بأمثلة من نصوص معظم تلك المعجمات لكي تتضح – في ضوء هذا الصنيع – معالم معجم المعاني الجديد الذي ننشده ونسعى إليه، ونحاول أن نضع له تصورًا أدعى إلى القبول.

وقد لاحظنا – من جملة ما تقدم – أن تلك «المعجمات» لا تحمل اسم «معجم»، وإنما اختلفت أسماؤها بحسب الغاية من تأليفها، وما اختطه أصحابها من طرائق ومناهج. كما لاحظنا أيضًا قلة عددها بالقياس إلى قَسيمتها معجمات الألفاظ، وهذا يدل على أن معجمات المعاني لم تنل – على توالي العصور – ما نالته تلك من وفرة واهتمام، ومن عناية ومتابعة وتنظيم، مع أنها لا تقل عن معجمات الألفاظ أهمية في بابها، ولا في احتياج أولي العلوم المختلفة إليها.

---

(١١) سبقه إلى ذلك المستشرق الهولندي «دوزي» (ت١٨٨٣م) في كتابه «معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب» بالعربية والفرنسية.

ولا جدال في فائدة معجمات المعاني وضرورة وجودها، على أكمل وجه، بين أيدي الباحثين مهما اختلفت اختصاصاتهم، ولا سيما في عصرنا الحديث، عصر الحياة المتجددة، والتقدم العلمي والأدبي والفني، فضلاً عن حاجة المترجمين والشعراء والخطباء والمنشئين إلى تلك المعجمات، لتأخذ بأيديهم جميعًا إلى ما يريدون، وتجعل الألفاظ والتراكيب الشاردة عنهم على حبل الذراع.

وإذا كانت معجمات المعاني الثلاثة: (فقه اللغة، والمخصص، والإفصاح) أفضل المعجمات في هذا الباب، فإنها لم تعد اليوم كافية ولا وافية، إذ إننا في مسيس الحاجة إلى أن يكون بين أيدينا معجم مطول للمعاني، يجمع حسنات ما سبقه من معجمات، ويتلافى نقائصها، ويكون في الوقت نفسه مسايرًا لعصرنا الحديث، وما صحبه من مظاهر التقدم العلمي والتطور التقني، وفنون الحضارة المستحدثة. وبذلك تكون اللغة العربية – كما كانت إبان مرحلة الازدهار في العصر العباسي – لغة حية مستجيبة لمتطلبات الحضارة الحديثة من الوجهة اللغوية، معاني وتراكيب، وألفاظًا وأساليب.

أجل نحن اليوم في مسيس الحاجة إلى ذلك المعجم المنشود، المعجم المفضل والمفصل للمعاني، ولكي يكون هو الأمثل، نقترح أن يجري العمل فيه على مرحلتين:

الأولى: مرحلة الإعداد والتنظيم وتهيئة ما يتطلبه هذا «المشروع» من اختيار العاملين فيه، وتشكيل لجان ذات كفاية يوكل إلى أعضائها ما ينبغي أن يقوم به كل منهم لإنجاز هذا العمل، ويدخل في نطاق ذلك تحقيق ما لم يحقق أو لم يطبع من معجمات المعاني السابقة واللاحقة، لتكون بين أيدي الذين سيقومون بإعداد مواد المعجم الجديد وتأليفه.

الثانية: مرحلة الإعداد لمواد هذا المعجم، وما يشتمل عليه. وهنا يمكن أن نذكر جملة من الاقتراحات والشروط حول الخصائص التي ينبغي أن تتوافر في ذلك المعجم وصفاته وكيفية السير فيه، نجملها فيما يلي:

١- العودة إلى معجمات المعاني السابقة كلها حتى الرسائل اللغوية واقتباس موادها جميعًا وما تشتمل عليه من مفردات وتراكيب ومصطلحات، ويثبت ذلك كله في جذاذات تصنف وتبوب على حسب المعاني الكلية والجزئية، لرجوع المتخصصين إليها واختيار ما يرونه صالحًا ومفيدًا منها، فإذا لم يظفروا بما يريدون، لجؤوا إلى الوضع المجازي – فإذا لم يوفقوا انصرفوا إلى التعريب واعتماد الدخيل.

٢- الاستعانة بكتب الدخيل والمعرَّب، من قديمة وحديثة، كالمعرب للجواليقي، وشفاء الغليل للخفاجي، والألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير، وتفسير الألفاظ الدخيلة لطوبيا العنيسي، وغيرها، والقيام بعملية نخل وغربلة لما في هذه الكتب.

٣- وكذلك كتب المصطلحات المختلفة: كالتعريفات للسيد الجرجاني، والكليات لأبي البقاء، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي، ودستور العلماء للأحمد نكري.. وغير ذلك.

٤- الإفادة مما أصدرته مجامع اللغة العربية من معجمات مختلفة كالمعجم الوسيط، والكبير، وما أقرته تلك المجامع ونشر في مجلاتها وكتبها، وما كتبه أو نشره أعضاؤها من بحوث ومقالات وكتب متخصصة، مثل: «معجم الحضارة» لمحمود تيمور، وكذلك ما أعده «المكتب الدائم لتنسيق

التعريب» في المغرب من معجمات متنوعة في موضوعات جزئية، وما صدر من موسوعات ومعجمات معرفية تعنى بشؤون الحضارة والتراث العربي والمصطلحات العلمية، وتواكب ما يستجد من شؤون الحياة، كالمعاجم الفقهية، والاقتصادية، ومعاجم المصطلحات الأثرية، والزراعية، والأساطير... إلخ. وإن كان بعضها يجمع بين العربية ولغة أجنبية أخرى: كمعجم المصطلحات العلمية والفنية ليوسف الخياط، ومعجم الألفاظ الزراعية لمصطفى الشهابي، ومعجم الطحانة والخبازة والفرانة، الذي نشره المكتب الدائم لتنسيق التعريب.

٥- اختيار المأنوس من المفردات وتجنب ما لا يفيد القارئ، أو لا يلائم العصر من الألفاظ والتراكيب، واختلاف اللغات والشروح، وإهمال الكلمات والتعابير الغريبة أو الوحشية النادرة، إلا ما تدعو الضرورة والحاجة إليه، ولم يعثر على لفظ آخر بديل ومألوف، يؤدي إلى المعنى المطلوب. لأن اللفظ العربي أولى بالاستعمال وأحق من غير العربي، وفي ذلك إحياء لكلمات كانت مطوية في عالم النسيان، أو مفقودة في عالم الأقلام والألسنة.

٦- العناية والاهتمام بكل معطيات هذا العصر العلمي المتقدم والتنقيب عن مفرداتها الضرورية، ليكون المعجم المزمع تأليفه كافيًا ووافيًا، وملائمًا كل الملاءمة لمختلف الموضوعات والمعاني والاختصاصات وهذا يقتضي زيادة عدد المواد اللغوية للمعجم، وذكر بعض المترادفات للمعنى الواحد، بغية إيجاد ثروة لفظية يمكن بها تخصيص لفظ لكل معنى إذا تعددت المعاني في العلوم والآداب والفنون المختلفة، فيكون لكل معنى لفظ عربي

يؤديه بصيغته دون اعتماد على القرائن. كما يقتضي ذلك توسعًا في المواد بذكر ما فيها من صيغ الأفعال ومشتقاتها حتى يتيسر التصرف في الكلمات وفقًا للحاجة إليها، دون الرجوع إلى معجم آخر.

٧- تقسيم المعجم إلى أبواب رئيسية في المعاني العامة الكلية، وتقسيم تلك الأبواب إلى فصول أو عناوين فرعية مناسبة، وترتيب ذلك كله وفق منهج قويم، وتسلسل منطقي، ينتقل – على سبيل المثال – من الإنسان وما يتعلق به وبخلقه وبصفاته وطباعه، إلى الحيوانات بأنواعها، ثم الأرض: ما فيها وما عليها، بحرًا وبرًا، فالسماء والأفلاك وما يتبعها من هواء وفضاء وأنواء ونجوم، وفصول وأزمنة.. وتوزع جذاذات الألفاظ والجمل وما إليها على هذه الأبواب وفروعها، كما سبق، وتشرح معانيها جميعًا بوضوح وإيجاز، وتبين الفروق الدقيقة بين دلالاتها واستعمالاتها، مع الاستعانة ببعض الأمثلة والشواهد القصيرة عند الحاجة والضرورة، ولابأس باستعمال اللون الأحمر في أماكن يتفق عليها.

٨- وفي هذه الحال لابد أن تتداخل عناصر بعض الفصول والأبواب، وما تشتمل عليه من ألفاظ وتراكيب، بحيث يصعب تحديد مواضعها هنا أو هناك تحديدًا دقيقًا، لتعدد وظائفها ودلالاتها، وعندئذ لابد من تكرارها في عدة مواضع حرصًا على الفائدة، أو توضع في المكان الأقرب إلى دلالاتها المستعملة أو الشائعة، ويحال على الأمكنة الأخرى.

ويُتَغلَّب على هذه العقبة أيضًا – بعد ذلك – بفهرس لغوي للألفاظ الواردة في المعجم، يثبت في آخره. وعندئذ يصبح هذا المعجم الجديد مرجعًا

لمن يبحثون عن معاني الألفاظ أيضًا في مواضع منه، إلى جانب كونه معجمًا للمعاني، وبذلك يجمع الفضيلتين معًا.

٩- تزويد المعجم بالرسوم والصور الملونة، والخرائط والألواح الضرورية في أمكنتها المناسبة، ولا سيما الحيوانات والنباتات والحشرات والأدوات المختلفة، والاختراعات الحديثة، والأجهزة المهمة لمنع الالتباس والغموض فيما بينها، وليزداد المعرف وضوحًا وجلاء.

١٠- أن يوسم هذا المعجم بـ «المعجم الجديد للمعاني» أو «معجم المعاني الجديد» وإن كان خلوًا من الترتيب الهجائي، ليعرف مضمونه وما يشتمل عليه، بعد أن شاع هذا المصطلح وأصبح واضح الدلالة على المراد، ولأنه لا يوجد لدينا ما يحمل هذا العنوانَ من معجمات المعاني السابقة التي اختلفت أسماؤها وعناوينها.

تلك هي جملة الاقتراحات التي يمكن أن تسهم في إعداد معجم معاصر وجديد للمعاني، ولا جرم أن هذا كله يحتاج إلى جهد ووقت ومثابرة؛ ولو عرفت المؤسسات الثقافية ودور النشر قيمة هذا المعجم وقدرت مزاياه وفوائده، لما ضنت بمال أو جهد، في سبيل تحقيق الأمل المرجو، والمعجم المنشود.

* * *

المصادر والمراجع

١- الإفصاح في فقه اللغة: عبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى — الطبعة الأولى (مجلد واحد) ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م- والطبعة الثانية — القاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م (مجلدان).

٢- الألفاظ الكتابية: عبد الرحمن الهمذاني — ضبطه وصححه: لويس شيخو اليسوعي — بيروت ١٨٩٨م.

٣- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: أبو هلال العسكري — تح. عزة حسن — دمشق ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م.

٤- جواهر الألفاظ: قدامة بن جعفر — تح. محمد محيي الدين عبد الحميد — بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

٥- الرائد: أمين آل ناصر الدين — بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

٦- سحر البلاغة وسر البراعة: الثعالبي — بعناية: أحمد عبيد — دمشق ١٣٥٠هـ.

٧- فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي — تح. مصطفى السقا وآخرين — مصر ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٠م.

٨- كتاب الألفاظ: ابن السكيت — تح. فخر الدين قباوة — بيروت ١٩٩٨.

٩- كفاية المتحفظ: ابن الأجدابي — حلب ١٣٤٥ هـ.

١٠- الكنز اللغوي في اللَّسَن العربي: نشره أوغست هفنر — بيروت ١٩٠٣م.

١١- مبادئ اللغة: الخطيب الإسكافي — صححه: محمد بدر الدين النعساني — مصر ١٣٢٥ هـ.

١٢- متخيَّر الألفاظ: أحمد بن فارس — تح. هلال ناجي — بغداد ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م.

١٣- المخصَّص: ابن سيده — نشرة المكتب التجاري في بيروت ١٣٨٦هـ (طبعة مصورة).

١٤- مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية: محمود فاخوري — حلب ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩م.

١٥- المعجم العربي: رياض زكي قاسم — بيروت ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م.

١٦- المعجم العربي في لبنان: حكمت كشلي — بيروت ١٩٨٢م.

١٧- معجم القطيفة: ناصيف اليازجي — الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٤م.

١٨- نجدة اليراع: سعيد الشرتوني — بعبدا (لبنان) ١٩٠٥م.

١٩- نُجعة الرائد وشِرعة الوارد: إبراهيم اليازجي — لبنان ١٩٧٠م.

٢٠- نظام الغريب: عيسى الربعي الحميري — تح. محمد الأكوع الحوالي — دمشق، بيروت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م.

في المعجمية العربية

كتب الألفاظ ومعاجم المعاني

د. صلاح كزارة

أولاً– مقدمة في اتجاهات الدرس المعجمي عند العرب

توزعت جهود الباحثين في الدرس اللغوي المعجمي عند العرب، نشأته وتأصيله، اتجاهاتٍ ثلاثة. تناوله أصحاب الاتجاه الأول(١) تحت قسمين رئيسين هما(٢):

أ – معاجم الألفاظ(٣): وترمي إلى شرح معاني المفردات، فترتب الكلمات ترتيبًا خاصًا يسهل على من يريد الوقوف على معنى أي كلمة الرجوع إليها في مواطنها(٤). وأبرز طرائق هذا الترتيب ثلاث هي:

١- ترتيب الكلمات ترتيبًا صوتيًا بحسب مخارج الحروف، كالعين للخليل (ت نحو ١٧٠هـ)، والبارع للقالي (ت ٣٥٦هـ)، والتهذيب للأزهري (ت ٣٧٠هـ)، والمحيط للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، والمحكم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ).

٢- ترتيب الكلمات ترتيبًا هجائيًا وفق الحرف الأول من الكلمة، سواء طرح نظام الأبنية والتقليبات، كأساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، والمصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٢هـ)، أم احتفظ بها كالجمهرة(٥) لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، والمجمل والمقاييس لابن فارس (ت ٣٩٥هـ).

٣- ترتيب الكلمات ترتيبًا هجائيًا وفق الحرف الأخير من الكلمة، أو ما أطلق عليه نظام الباب والفصل، أو الترتيب بحسب القافية، كالصحاح للجوهري (نحو ٤٠٠هـ)، واللسان لابن منظور (ت ٧١١هـ)، والقاموس المحيط للفيروزابادي (ت ٨١٧هـ).

ب – معاجم المعاني[٦]: وهي التي يلجأ إليها الباحث، لا عندما يعسر عليه المعنى، ولكن عندما يستعصي عليه لفظ يوافق معنى يدور في خاطره[٧]. وقد رصد الباحثون في نشأة هذه المعجمات وتطورها مراحل ثلاثًا: تمثلت الأولى في رسائل صغيرة تستقل كل منها بألفاظ معنى أو جنس من أجناس النبات أو الحيوان، مثل: المطر، واللبأ واللبن، لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٦هـ)، والخيل والإبل والنبات للأصمعي (ت ٢١٤هـ)، وغير ذلك كثير. وظهرت في الثانية مؤلفات أوسع حجمًا وموضوعًا من الرسائل السابقة جمعت أكثر من موضوع واحد، كالغريب المصنف لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، والألفاظ لابن السِّكِّيت (ت ٢٤٤هـ) والصفات للنضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ) وغيرها. أمّا المرحلة الثالثة فقد انتهت بتأليف معاجم المعاني حقًا، وأهمها المخصص لابن سيده.

ونظر أصحاب الاتجاه الثاني إلى هذا الدرس نظرة تاريخية زمنية، ولكنهم انقسموا في نظرتهم هذه فريقين، تتبع الأول[٨] منهما هذه الدراسات عبر القرون مصاحبًا لها منذ نشأتها في القرن الثاني للهجرة حيث كانت رسائل صغيرة الحجم يتوفر كل منها على موضوع معين من موضوعات اللغة، إلى أن استوت كتبًا أضخم حجمًا وأشمل مادة في القرن الثالث، وحتى نضجت معاجم كاملة الخلق في القرن الرابع الذي «يعد – بحق – قرن المعاجم العربية أو كنوز الألفاظ، ففيه أُلف أكبر عدد من المعاجم المشهورة المعتمدة، وفيه أخذ المعجم العربي الصورة المألوفة لنا[٩]». ثم يعرض لأشهر المعاجم العربية بعد القرن الرابع حتى يقف عند القاموس المحيط الذي تصدى له كثير من الباحثين يشرحونه وينتقدونه ويستدركون ما فاته.

أما الفريق الثاني[١٠] فقد التقى مع أصحاب الاتجاه الأول في حديثهم عن معاجم المعاني والمراحل التي مرت بها، ولكنه سمّاها المعاجم الموضوعية أو التجانسية، وافترق عنهم في الكلام على معاجم الألفاظ فسمّاها معجمات أبجدية، وعرضها

عرضًا تاريخيًا زمنيًا بحسب ظهورها بادئًا بالعين للخليل، ومنتهيًا بالمعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة[١١]، مارًا بالجمهرة والبارع والتهذيب والمحيط والمجمل والمقاييس والصحاح والمحكم وأساس البلاغة ومفردات الراغب الأصفهاني والنهاية والعباب ولسان العرب والمصباح المنير ومختار الصحاح والقاموس المحيط وتاج العروس ومحيط المحيط والجاسوس على القاموس وأقرب الموارد والمنجد ومعجم الطالب والبستان وفاكهته ومنجد الطلاب[١٢].

أمّا الاتجاه الثالث[١٣]، فقد رأى صاحبه[١٤] — لكي يصل إلى دراسة المعاجم — أن يصور الدراسات اللغوية التي اضطلع بها العرب قبل أن يؤلفوا المعجم الأول؛ فدرس كثيرًا من الرسائل اللغوية، وخصّ بالبحث الموضوعات التي نشأت قبل كتاب العين أو في زمن معاصر له، وتتبع كل موضوع منها تتبعًا تاريخيًا إلى أن انتهى التأليف فيه، أو إلى العصر الحديث، ليتبين ما طرأ عليه من تطورات، وآثاره في مناهج المعجمات وموادها، فاجتمع له من ذلك كله كتاب يقرب من مئتي صفحة[١٥] من مؤلفه الضخم، كسره على تسعة أبواب: درس في أولها كتب الغريبين (القرآن والحديث) والفقه، وتناول في الثاني كتب اللغات والعامي والمعرّب (لغات القرآن، لغات القبائل، المعرب، المعاجم المزدوجة اللغة، كتب لحن العامة)، وعرض في الباب الثالث كتب الهمز، وأفرد الرابع لكتب الحيوان (كتب الحشرات، الخيل...)، وخصّ الخامس بكتب النوادر، وذهب السادس بكتب البلدان والمواضع، واستقل السابع بكتب الإفراد والتثنية والجمع، والثامن بكتب الأبنية (المصادر، الصيغ الخاصة من الأفعال، الأفعال عامة، أمثلة الأسماء)، أمّا الباب الأخير وهو التاسع فقد تكلم فيه على كتب الصفات، وهي كتب «لا تقصر بحثها على موضوع واحد، بل تحاول أن تجمع ما أمكنها من موضوعات... وتسمى أيضًا الغريب المصنف... ومن هذه

الكتب: الصفات للنضر بن شميل، والصفات للأصمعي، والغريب المصنف لأبي عبيد، والألفاظ لابن السِّكِّيت، ومبادئ اللغة للإسكافي، والمخصّص لابن سيده الذي توج هذا النوع من الكتب وسما به إلى القمة»[١٦].

وبعد هذه الجولات في أبواب الكتاب انتقل إلى الكتاب الثاني فتحدث فيه عن المعاجم، فرأى أنها تتوزع في مدارس أربع: رتبت أولاها المواد بحسب مخارج الحروف، وتمسكت الثانية بالترتيب الألفبائي، ورتبت الثالثة الكلمات بحسب الحرف الأخير، والرابعة بحسب الحرف الأول.

ثانيًا: كتب الألفاظ[١٧] واختلاف الباحثين في تصنيفها:

تلك هي الاتجاهات التي سار فيها الدرس اللغوي عند العرب منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر. ولو تساءل الباحث عن كتب كالألفاظ لابن السِّكِّيت (ت ٢٤٤هـ)، والألفاظ الكتابية للهمذاني (ت ٣٢٠هـ)، وجواهر الألفاظ لقدامة ابن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، والألفاظ لابن المرزبان (النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)، ومتخيّر الألفاظ لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وغيرها ممّا يشاكلها، ما موقعها من هذه الاتجاهات؟ وما موقف الباحثين منها؟ لما ظفر بجواب شاف.

فمن الباحثين[١٨] مَن يراها كتبًا جامعة لعدد كبير من الأبواب والمعاني، وهي «على رغم تعدد أبوابها، لا يمكن اعتبارها معاجم حقيقية، فهي بعيدة عن الاستيعاب والشمول من جهة، كما أنها – من جهة ثانية – لم يلتزم في تصنيفها وتنسيق أبوابها نظام معين، وهاتان الصفتان: الشمول والترتيب شرطان ملازمان لفكرة المعجم».

ومنهم[١٩] من يجعلها «كتبًا تعليمية دلالية ذات تصنيف موضوعي... تهدف إلى تقريب الألفاظ لمن أراد حصيلة لغوية تعينه على الكتابة العربية الفصيحة».

ويذهب بعضهم[٢٠] إلى أنها «معجمات متوسطة الحجم ومرتبة على حسب المعاني»، في حين يصفها آخرون[٢١] بأنها «معجمات جامعة ترمي إلى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعاني».

ولكنّ بعض الباحثين[٢٢] صنّفوها ضمن المعاجم الموضوعية، وضمّوا إليها كتبًا أخرى كالغريب المصنف لأبي عبيد، ومبادئ اللغة للخطيب الإسكافي (ت ٤٢٥هـ)، ونظام الغريب لعيسى بن إبراهيم الرّبعي (ت ٤٨٠هـ)، وغيرها.

أمّا حسين نصار[٢٣] فقد جعل كتاب ابن السِّكِّيت فقط ضمن كتب الصفات أو الغريب المصنف، ولكنه – مع ذلك– أحسَّ أن في الكتاب ما يميزه منها فقال: «وأكثر عناية المؤلف – أي ابن السِّكِّيت – موجهة إلى العبارات لا الألفاظ»، في حين أدرجه حسن ظاظا[٢٤] ضمن معاجم المعاني، ولكنّه – في الوقت نفسه – تحرّج من إدراج «الألفاظ الكتابية» فيها، وكأنما شعر بأن له طبيعة خاصة، فأفرده بحديث بعدها فقال: «أمّا الألفاظ الكتابية للهمذاني، فإنه يصرف همّه إلى انتقاء تعبيرات، بعضها جمل كاملة مرتبة بحسب الموضوعات لإمداد الكتّاب، ولا سيما كتاب الدواوين بأساليب فصيحة يضعونها كما هي في كتاباتهم».

ومن الباحثين[٢٥] من صنَّف كتب ابن السِّكِّيت والهمذاني وابن فارس في معاجم المعاني، وصنّف كتاب قدامة بن جعفر فقط في كتب المترادفات!.

ثالثًا– كتب الألفاظ اتجاه مستقل في التأليف اللغوي:

تلك هي أيضًا نظرة الباحثين إلى تلك الكتب، ويحسن بي قبل أن أدلي بدلوي فيها أن أبيّن موقفي من تلك الاتجاهات التي عمّت الدرس اللغوي

المعجمي عند العرب، فأقف مع أصحاب الاتجاه الثالث منها؛ فلا ريب أن هذه النظرة التي رصدت الجهود اللغوية منذ نشأتها، وتتبعتها في مساراتها المختلفة حتى انتهى التأليف فيها إلى العصر الحديث، نظرة موضوعية تتّسم بالدقّة والشمول، إلاّ أنها – مع ذلك – لم تنج في حديثها عن تلك الكتب، وأعني كتب الألفاظ، ممّا وقع فيه الآخرون، ولو أنها أفردت هذه الكتب عن كتب الصفات وجعلتها في باب خاص أسمته: كتب الألفاظ لأصابت الغرض. ذلك أني أرى أن هذه الكتب: الألفاظ لابن السِّكِّيت، والألفاظ الكتابية للهمذاني، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر، والألفاظ لابن المرزبان، ومتخير الألفاظ لابن فارس وغيرها ممّا وصل إلينا أو لم يصل... كل هذه الكتب تؤلف اتجاهًا مستقلاً من اتجاهات التأليف اللغوي يمكن تسميته – مع شيء من التجوز – «مدرسة الألفاظ».

وهذا الاتجاه أو تلك المدرسة تفترق عن مدرسة الصفات أو الغريب المصنف وإن قامتا على أساس واحد هو الترتيب بحسب الموضوعات، إلاّ أن الموضوعات التي عالجتها كتب الألفاظ تختلف – في جملتها – عن الموضوعات التي طرقتها كتب الصفات. فكتب الألفاظ لا تعنى بموضوعات كتب الصفات أو الغريب المصنف كخلق الإنسان وخلق الفرس والإبل والشاء... إلخ عناية كبيرة، ولكنها تورد الألفاظ التي تدل على أفعال هذه المخلوقات وبخاصة الإنسان في أحوالها المختلفة أو بعض ما يتعلق بها؛ أي إنها تعنى، غالبًا، بالأعراض من دون الجواهر، فكتاب كالغريب المصنف لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ) أو المخصص لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) يعرض في أبواب عدة وفصول متنوعة لموضوعات اللغة عامة، كخلق الإنسان والخيل والوحوش والسلاح والنبات والجبال والأودية والحشرات...إلخ، ويفصّل

القول في كل منها تفصيلاً كبيرًا لا يكاد يغادر شيئًا يتعلق بها، كذلك يعرض لظواهر لغوية ونحوية وصرفية، فنجد أبوابًا كثيرة لموضوعات كالأضداد، والإتباع، والقلب والإبدال، والمقصور والممدود، وأبنية الأفعال، والمصادر، والتصغير، والجمع...إلخ. فهذه الكتب أشبه بمعلمات (دوائر معارف) لغوية ضخمة تكاد تجمع معظم ألفاظ اللغة المعروفة إلى زمن أصحابها، في حين أن كتب الألفاظ إذا عرضت للإنسان مثلاً فإنها تعرض للألفاظ الدالة على صفة من صفاته، كالأصل والكرم، والكِبْر، والذكاء، وضعف القلب، والجبن، والشجاعة، والخوف... وغير ذلك من الأحوال، أو تعرض لعيب من العيوب التي تصيب بعض أعضائه كالهزال، والسّمن، وضعف الخلق، والحروق، والجروح... ونحو ذلك. هذا فرق، وثمة فرق آخر بين كتب الألفاظ وكتب الغريب المصنف أو الصفات وهو أن كتب الصفات تعنى بالمفردات واستقصائها لأنها تستهدف جمع اللغة وتدوينها، في حين أن كتب الألفاظ تصرف معظم عنايتها للعبارات والتراكيب، لأن غايتها تعليمية ترمي إلى تقريب الألفاظ لمن أراد حصيلة لغوية تعينه على الكتابة العربية الصحيحة، كما وضّح ذلك الهمذاني في مقدمة كتابه[٢٦]. ولو وازنّا مثلاً بين بابين في موضوع واحدٍ، وليكن باب الشجاعة، أحدهما من الغريب المصنف لأبي عبيد، والآخر من جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر لوقفنا على تلك الفروق بكلّ جلاء ووضوح.

يقول أبو عبيد في باب: «الشجاعة وشدة والبأس»[٢٧].

«الأصمعي: النَّهيكُ من الرجال: الشجاع، وقد نَهُكَ نَهاكةً. ومن الإبل: القوي الشديد. الفرَّاء: الذَّمِر: الشجاع أيضًا، من قومٍ أذمار. الأصمعي: الغَشَمْشَم: الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عمَّا يريد ويَهوَى.

والصَّهْميمُ: نحوه. والمَزيرُ: الشديد القلب. والحَميزُ: مثله، الذَّكيُّ القلب. والمَزيرُ: العاقل المتصرف في الأمور. الرابط الجأش: الذي يربط نفسه عن الفرار يكفّها لجُرأته وشجاعته. والغَلِثُ: الشديد القتال اللّزوم لمن طَالَب. وقال أبو زيد: رجلٌ ثَبْتُ الغَدْر، إذا كان ثَبْتًا في قتال أو كلام. غيره: الباسلُ: الشّجاع، وقد بَسُل بَسَالةً، والمُشَيَّعُ: مثله. والحَلْبَس: الشجاع، ويقال: اللازم للشيء لا يفارقه. والحُلاَبِس: مثله. قال الكميت[٢٨] يصف الكلاب والثور:

فـــلمّاَ دَنَتْ لِلكَاذَتَيْنِ وَأَخْرَجَتْ بـــهِ حَلْبَسًـــا عند اللّقاءِ حُلاَبِسَا

قال الكسائي: الصِّمَّةُ: الشجاع، وجمعه: صِمَم. أبو عمرو: رجل مِخَشّ ومِخْشَفْ وهما الجريئان على الليل».

ويقول قدامة بن جعفر في باب «الشجاعة»[٢٩].

«هو مُشيَّع القلب، مُهيّج الحرب، رابط الجأش، بطيء الانحياش، ثَبْت الجنَان، حَتْف الأقران، شديد الطّعان، جريء اللّبان، قصير العنان، بعيد الإمعان، جريء الفؤاد، حَليف الطّراد، قليلُ الشّراد، فقير الجياد...

ويقال: هَجَم في الحرب ولم يَحْفِل، وانقحم فيها ولم يَعْبَأ، وتَهَكَّمَها ولم يَفْثَأ، ومضى فيها، وهجم عليها ولم يَنْفَثِئ، وأقدم ولم يُحجم، وتقدَّم ولم يُعَقب، وتقحّم ولم يُعَرّج، وصَدَمَهَا ولم يُنَهْنِه، وتدرَّعها ولم يَتكَعْكَع، واندغم في عَجاجها ولم يُكَفكِف، وَلَجَّ في حومتها، وانغمس في معركتها. ويقال: كَفَر في دِرْعه، وتكَمَّى بسلاحه، ودجَّج في شوكته، وخَطَر برمحه، وانصلت بسيفه، وانبرى بنباله، وإنّه لَتَامُّ الأدوات، كامل الآلات شاكي السلاح، قوي البصائر. ويقال: أقبلَ في شِكّته، وبصيرَته، وشَوكَته، وآلتِه وسلاحِه، وعليه سَنَوَّرُه ومِغْفره، وألواحه وبصائره...

ويقال: معه الأبطال المَسَاعير، والأَنجاد المغاوير، وكماة الوقائع، وحماة الحقائق، وأنياب الحروب وسِنانها، وضرام الوغى وشِهابُها...

ويقال: هم لُيوث غابة، وغيوث سحابة، إخوان الكرانه، وأخدان الوقائع...».

فالفرق بين البايين في الكتابين، وإن كان موضوعهما واحدًا، واضحٌ بيِّن لا يحتاج إلى تعليق، وفيه خير برهان على ما تقدم من تفريق بين كتب الألفاظ وكتب الصفات(٣٠). على أن هذا التفريق لا يعني أن بينهما افتراقًا تامًا، وحدودًا فاصلة، ومن ثَمّ فلا لقاء بينهما، فهذا ضربٌ من التحكّم لا يُقرّه البحث العلمي، فمادام الاتجاهان – كتب الصفات وكتب الألفاظ – يَنْهضان على أساس واحد، هو الموضوعات، فلابدّ أن يكون بينهما التقاء ما، مهما اختلفت صوره وأشكاله، فالحدود التي تفصل بينهما ليست إلاّ – إن صح التشبيه – كالحدود التي تميّز المحافظات المتعددة ضمن البلد الواحد.

رابعًا – التأليف في الألفاظ:

نشأ هذا الضرب من التأليف في وقت مبكر، وكان مسايرًا لحركة التأليف اللغوي عند العرب. فمنذ النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة وحتى مطلع القرن الحالي ظهرت كتب كثيرة في هذا الاتجاه، بلغ عددها – فيما توصلت إليه بعد البحث والتنقيب – تسعة عشر كتابًا، وصل إلينا منها ستة بين مطبوع ومخطوط ممّا خلفه الأقدمون، يضاف إليها كتابان أَلّفهما المحدثون على غرار كتب الأقدمين. أمّا الباقي فقد حفظت لنا مصادر التراث العربي أسماءه وأسماء مؤلفيه.

أمّا الكتب الستّة التي خلّفها الأسلاف ووصلت إلينا فهي على الترتيب الزمني: الألفاظ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السِّكّيت(٣١)

(ت ٢٤٤هـ)، والألفاظ لأبي إسحاق الزَّجَّاج[٣٢] (ت ٣١١هـ)، والألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني[٣٣] (ت ٣٢٠هـ)، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر[٣٤] (ت ٣٣٧هـ)، والألفاظ لأبي منصور محمد بن سهل بن المرزبان[٣٥] (النصف الأول من القرن الرابع للهجرة)، ومتخيّر الألفاظ لأبي الحسين أحمد بن فارس[٣٦] (ت ٣٩٥هـ).

وفي مطلع هذا القرن سلك الشيخ إبراهيم اليازجي (١٨٤٧ — ١٩٠٦م) مسلك القدماء فألّف كتابًا على هدي كتبهم سمّاه «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»[٣٧]، كما ألّف معاصره سعيد الخوري الشرتوني (١٨٤٩- ١٩١٢م) كتابًا مماثلاً سمّاه: «نجدة اليراع»[٣٨].

أمّا الكتب الأخرى التي احتفظت لنا المصادر بعناوينها وبأسماء مؤلفيها فتشترك جميعًا في العنوان وهو: «الألفاظ» ومؤلفوها هم على الترتيب الزمني: المفضل الضبي[٣٩] (ت ١٦٨هـ)، والكسائي[٤٠] (ت ١٨٩هـ)، والأصمعي[٤١] (ت ٢١٤هـ)، وهشام بن الحكم مولى بني شيبان[٤٢] (ت وفي قبل ٢١٨هـ)، وكلثوم ابن عمرو العتّابي الشاعر[٤٣] (ت ٢٢٠هـ)، وابن الأعرابي[٤٤] (ت ٢٣١هـ)، وأبو نصر الباهلي[٤٥] (ت ٢٣١هـ) وعبد الملك بن قَطَن المهري[٤٦] (ت ٢٥٣هـ)، وأبو عمر الزاهد[٤٧] (ت ٣٤٥هـ)، ومحمد بن أبي الحسين الكاتب[٤٨] (ت ؟).

وفي الختام نشير إلى أمور ثلاثة تتصل بكتب الألفاظ بسبب:

أولها: نسب ابن النديم (ت ٣٨٥هـ)، وتابعه ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) والقِفطي (ت ٦٤٦هـ)[٤٩]، كتابًا لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) عنوانه: «استخراج الألفاظ من الأخبار»، ولكنّ ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) المتأخر عن هؤلاء والمرجح أنه ينقل من كتبهم ذكر الكتاب بعنوان: «الألفاظ»[٥٠] فقط! فهل وقف ابن خلكان على كتاب آخر غير الذي ذكره ابن النديم ومن تابعه

وعنوانه «الألفاظ» لثعلب، أو أنه تصرف بالعنوان المطوّل فاختصره على هذا النحو، أو أن ذلك كان فعل النسّاخ أو الناشرين؟ هذا ما لا نستطيع له نفيًا أو إثباتًا.

وثانيها: ذكر فؤاد سزكين(٥١) أن في مكتبة شهيد علي باستنبول مخطوطة تحمل الرقم /٣٠٥/ وتقع في ثلاث ورقات عنوانها: «رسالة في المعاني المختلفة للألفاظ» لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، لم نتمكن من معرفة مضمونها.

وثالثها: وقع في كتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (٨/ ٤٤٣ من الترجمة العربية) خلل واضطراب حول كتاب «الألفاظ» لابن المرزبان، فقد جاء فيه كما يلي:

«سهل بن المرزبان، أبو نصر، كان لغويًا أديبًا شاعرًا من أهل أصفهان، سكن نيسابور، ويبدو أن وفاته كانت نحو سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٩م). وأخباره في يتيمة الدهر للثعالبي ٤/ ٣٩١- ٣٩٢- الأعلام للزركلي ٣/ ٢١٠. له «كتاب الألفاظ» ويوجد مخطوطًا في المدينة، عارف حكمت، لغة ٤(٨١ ورقة، نسخت سنة (٧٦٦هـ)، انظر المنتخب لكحالة ٤٦). وفي مخطوطة أحمد الثالث، ٢٤٩٧/ ٢ (٢٦أ – ٣٦أ) كتاب في المترادفات اسمه «كتاب الألفاظ»، منسوب إلى **منصور بن سهل بن محمد بن المرزبان الحاسب.** ويجب البحث عن علاقة المخطوطتين بعضهما ببعض».

ولنا على ما جاء به سزكين التعقيبات التالية:

١- من الواضح أن هناك خلطًا بين أبي نصر سهل بن المرزبان وأبي منصور محمد بن سهل بن المرزبان، وقد نبّه على هذا الخلط بين الرجلين محقق كتاب الألفاظ في مقدمة التحقيق ص ٢٥.

٢- إن رقم مخطوطة الكتاب في مكتبة عارف حكمت (٤ لغة)، صوابه: (١٤ لغة) كما هو واضح جلي في صورة صفحة العنوان من المخطوطة ذاتها، انظر مقدمة تحقيق الكتاب ص ٣٥.

٣- تابع سزكين صاحبي الأعلام والمنتخب من مخطوطات المدينة المنورة في نسبة كتاب الألفاظ لأبي نصر سهل بن المرزبان النيسابوري. ولا ندري كيف وقع هؤلاء الثلاثة في هذا الوهم، مع أن صفحة العنوان (انظر صورتها في مقدمة التحقيق ص ٣٥) تنص صراحة على أن الكتاب «من تأليف **الإمام الأجلّ أبي منصور سهل بن المرزبان الأشَلّ النهاوندي**». ولعل سبب هذا الوهم شهرة أبي نصر النيسابوري معاصر الثعالبي، وعدم الوقوف على ترجمة أبي منصور الأشل في الفهرست لابن النديم.

٤- إن عبارة سزكين في صفة مخطوطة أحمد الثالث «منسوب إلى منصور بن سهل بن محمد ابن المرزبان الحاسب» ربما وقع فيها اضطراب من وجوه عدة تسبب فيه ناسخ المخطوطة. فأول ما يلاحظ سقوط كلمة (أبي) قبل (منصور)، وربما كان ذلك بسبب السهو أو انتقال النظر لمجاورة كلمة (أبي) لما يشابهها في الرسم (إلى). أمّا كلمة (الحاسب) فلعلها تحريف لكلمة (الباحث) كما سنرى، ويبقى أمر التقديم والتأخير في (سهل) و(محمد) يسيرًا، وهذا التصويب يستند إلى ما ذكره ابن النديم في الفهرست[٥٢] من اسم الرجل وكنيته ولقبه، فاسمه: محمد بن سهل بن المرزبان، وكنيته: أبو منصور، ولقبه: الباحث عن معتاص العلم. ويضيف ابن النديم قوله: «وقال لي مَن رآه إنه أشلّ اليد، وله من الكتب (المنتهى في الكمال) ويحتوي على اثني عشر كتابًا وهي: كتاب مدح الأدب، كتاب صفة البلاغة... كتاب الشوق والفراق... كتاب الألفاظ، كتاب نفائس الحكم». إن اتفاق ما جاء

في صفحة العنوان لمخطوطتي الكتاب اللتين اعتمد عليهما في التحقيق (انظر الصورتين في مقدمة التحقيق ص ٣٥ و٤٠) مع ما جاء في الفهرست لابن النديم يكاد يقطع باليقين في نسبة الكتاب لأبي منصور الباحث الأشل، وينفيها عن أبي نصر معاصر الثعالبي وبخاصة أن الذين ترجموا لهذا الأخير وأهمهم صديقه الثعالبي نفسه لم يذكروا له كتابًا يحمل عنوان «الألفاظ».

ويُستأنس إلى جانب كل هذا بما ذكره محقق كتاب «الشوق والفراق» لأبي منصور محمد بن سهل بن المرزبان من أن صاحب الفهرست أورد أسماء بعض الأدباء الذين لقبوا ألقابًا طريفة أو مضحكة، ولهذا فإنّ ابن المرزبان رحّب بهذا اللقب [يقصد: الباحث عن معتاص العلم]. ودليلنا أنّه وشّح بعض أجزاء كتابه بعبارة: قال الباحث»[٥٣].

وتجدر الإشارة أخيرًا إلى أن محقق كتاب الألفاظ لابن المرزبان لم يقف على نسخة أحمد الثالث التي ذكرها سزكين، وأنه حقق الكتاب معتمدًا مخطوطة مكتبة عارف حكمت التي تقدمت صفتها، ومخطوطة مكتبة الأوقاف الوطنية بحلب ذات الرقم ١٧٤ وتقع في إحدى وسبعين ورقة، ولم يذكر تاريخ نسخها[٥٤]. وهي اليوم مما ضُمّ إلى مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

الحواشي

(١) وهم – على الترتيب الزمني – أمجد الطرابلسي (ط٤ ١٩٦٩/ ط١ ١٩٥٤) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب ص ١٠، وعبد الله درويش (١٩٥٦) المعاجم العربية ص ١١، ٨٩، ١١٩، وأحمد عبد الغفور عطار (١٩٥٦): الصحاح ومدارس المعجمات العربية ص ٩٣، وعدنان الخطيب (١٩٦٧): المعجم العربي بين الماضي والحاضر ص ٤٧، ومحمد الأنطاكي (١٩٦٩): الوجيز في فقه اللغة ص ٤٣٥، وعبد

السميع أحمد (١٩٦٩): المعاجم العربية ص ١٨، وأحمد مختار عمر (١٩٧١): البحث اللغوي عند العرب ص ١٣٥، ورمضان عبد التواب (ط٣ ١٩٨٧/ ط١ ١٩٧٣): فصول في فقه اللغة العربية ص ٢٢٩، ورياض زكي قاسم (١٩٨٧): المعجم العربي ص ١٩- ٢٩، ومحمود أحمد المراغي (١٩٩١): دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث ص ٧٦، ومسعود بوبو (١٩٩٤): أبحاث في اللغة والأدب ص ٢٧، ٤٠،٣٦، ومحمود سليمان ياقوت (١٩٩٤): معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث ص ٢٠- ٢٣، وديزيريه سقال (١٩٩٥): نشأة المعاجم العربية وتطورها ص ١٠، وحلمي خليل (١٩٩٧): مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ص ١٢٠- ١٢١.

(٢) اختلف بعض المعاصرين في هذه الاتجاهات فجعلوها أربعة أو خمسة أو أكثر، وهي تقسيمات لا تعدو التنويع على التقسيم الأساسي الذي سار عليه روّاد الدرس المعجمي من المحدثين. وقد لجأ هؤلاء المعاصرون إلى هذه التقسيمات والتفريعات الكثيرة لأغراض تعليمية؛ إذ كانت أصول كتبهم محاضرات على طلاب بعض الجامعات العربية عندما كُلّفوا بتدريس مادة «المعاجم اللغوية العربية»، انظر على سبيل المثال: إميل يعقوب (١٩٨١): المعاجم اللغوية ص ١٥ وما بعدها، وصلاح راوي (١٩٩٠): المدارس المعجمية العربية ص ٣٧ وما يليها.

(٣) ويسمّيها بعضهم «المعاجم المجنّسة» ويسمي معاجم المعاني بالمعاجم المبوّبة، انظر ديزيريه سقال: نشأة المعاجم العربية ص ١٣، وقد تابعه في هاتين التسميتين محمد السيد علي بلاسي في مقالته عن: الثعالبي وكتابيه فقه اللغة وسر العربية، في مجلة الخفجي (الرياض) العدد /١١/ من السنة ٢٥ (أيار ١٩٩٦) ص ٣٥.

(٤) علي عبد الواحد وافي (ط٦ د. ت / ط١ ١٩٤١) فقه اللغة ص ٢٧٧.

(٥) يرى بعض الباحثين تنحية معجم الجمهرة من التصنيف في مناهج أو مدارس، لأنه أخذ بنظام التقاليب الذي ابتدعه الخليل، وأخذ بالترتيب الهجائي الذي سبق إليه، وأبقى على فكرة توزيع المادة اللغوية في أبواب متعددة، فمنهجه المعجمي وليدُ مدرستين وأخذ بمنهجين. انظر: مسعود بوبو: أبحاث في اللغة والأدب ص ٣٦.

(٦) ويسميها بعضهم المعاجم الموضوعية أو التجانسية أو معاجم التوارد أو معاجم تداعي المعاني، انظر: حسن ظاظا (١٩٧١) كلام العرب ص ١٤٨، وتابعه في ذلك من دون إشارة إليه رياض زكي قاسم: المعجم العربي ص ٢٩، ح٩١ مضيفًا تسمية «حقول المعاني» أيضًا، انظر: محمود سليمان ياقوت: معاجم الموضوعات ص ٢٠. وقد سمّاها بعض الباحثين بالمعاجم المبوبة، انظر ما تقدم في الحاشية ٣. وفرّق أحمد الشرقاوي إقبال بين معاجم المعاني ومعاجم الموضوعات مصنفًا كل نوع في مجموعة مستقلة، انظر: معجم المعاجم (١٩٨٧) ص ٩١ و٢٨١.

(٧) حسن ظاظا: كلام العرب ١٤٨.

(٨) إبراهيم أنيس: (١٩٧٣) دلالة الألفاظ ص ٢٢٣ وما بعدها. وانظر حول مناهج المعجمات العربية في مسارها الزمني التاريخي: محمد رشاد الحمزاوي (١٩٨٦): من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا ص ٣٩– ٤٩.

(٩) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص ٢٣١.

(١٠) حسن ظاظا: كلام العرب ص ١٢٨– ١٣٨، وانظر: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة ص ٢٧٦– ٢٧٧.

(١١) ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٦١– ١٩٦٢ بإشراف عبد السلام محمد هارون.

(١٢) أصحاب هذه المعجمات على التوالي: ابن دريد (ت ٣٢١هـ)، أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، أبو منصور الأزهري (٣٧٠هـ)، الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، الجوهري (ت نحو ٤٠٠هـ)، ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الراغب الأصـــفهاني (ت ٥٠٢هـ)، ويجعل محقق المفردات صفوان عدنان الداودي وفاته سنة (ت ٤٢٥هـ)، انظر مقدمة التحقيق ص (٣٨) ، مجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، الفيومي (ت ٧٧٢هـ)، الرازي (ت ٧٦٠هـ)، الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ)، المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، بطرس البستاني (ت ١٨٨٣م)، أحمد فارس الشدياق (ت ١٨٨٨م)، سعيد الخوري الشـــرتوني (ت ١٩١٢م)، جرجس همّام الشويري (ت ١٩٢١م)، عبد الله البستاني (ت ١٩٣٠م)، لويس المعلوف (ت ١٩٤٦م)،

فؤاد أفرام البستاني (مُنَسّق). وقد أنشأ فؤاد أفرام البستاني معجم منجد الطلاب على أساس (المنجد في اللغة) للمعلوف متجهًا وجهة الطلاب، وهو يخلو من الكلمات المهجورة، ويهتم بالمفردات المستحدثة، وشروحه مختصرة. انظر: وجدي رزق غالي (ت١٩٩٣): معجم المعجمات العربية ص ٢٢.

(١٣) ويمثله حسين نصار في مؤلفه الضخم: المعجم العربي نشأته وتطوره (ط١ ١٩٥٦م وط٢ ١٩٦٨ في جزأين)، وتابعه في ذلك موجزًا ومختصرًا عزة حسن في كتابه: المكتبة العربية (١٩٧٠) أمّا محمود فهمي حجازي فقد أفرد في كتابه: علم اللغة العربية (١٩٧٣) فصلاً مطولاً (ص٩٥- ١١٧) بعنوان: «المكتبة اللغوية» اشتمل على الأقسام التالية: ١- جمع اللغة وتأليف المعاجم، ٢- معاجم الترتيب الصوتي، ٣- معاجم الترتيب الهجائي، ٤- مصادر المعاجم الموسوعية العامة، ٥- المعاجم الدلالية الخاصة ذات الترتيب الهجائي، ٦- المعاجم الموضوعية، ٧- كتب الأبنية الصرفية، ٨- كتب التثقيف اللغوي ولحن العامة، ٩- كتب الموضوعات الصوتية.

(١٤) حسين نصار (١٩٦٨): المعجم العربي ١/ ٩.

(١٥) يشغل من الصفحة ٣٩ إلى الصفحة ٢١٣ من الجزء الأول.

(١٦) المرجع السابق ١/ ٢٠٦- ٢١١.

(١٧) أطلق البدراوي زهران على هذه الكتب وأشباهها تسمية «مصنفات الثروة اللفظية»، ورأى أنها مخالفة للمعجم في الغرض والوظيفة وطرائق الاستعمال. انظر: مقدمة تحقيقه لكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني (ط٣/ ١٩٨٩) ص ٦٨- ٦٩، وكتابه: مقدمة في علوم اللغة (ط٣/ ١٩٩٣) ص ١٣٥.

(١٨) أمجد الطرابلسي: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب ص ٦٨، وقارن بالبدراوي، زهران: مقدمة تحقيقه لكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني ص ٦٨- ٦٩ (راجع الحاشية السابقة).

(١٩) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية ص ١١٣، وانظر: رياض زكي قاسم: المعجم العربي ١٧٢- ١٧٣.

(٢٠) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص ٢٣٠، وقارن بديزيريه سقال: نشأة المعاجم العربية وتطورها ص ٢١.

(٢١) على عبد الواحد وافي: فقه اللغة ص ٢٧٧، وعدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر ص ٤٣، ومحمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة ص ٣٥، وأحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب ص ٢٠٣، ورمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ٢٦٠.

(٢٢) أحمد الشرقاوي إقبال: معجم المعاجم ص ١٤٥، ومحمود سليمان ياقوت: معاجم الموضوعات ص ١١٥ وما بعدها، وحلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ص ٣٠٤- ٣٠٥.

(٢٣) المعجم العربي ١/ ٢١٠.

(٢٤) كلام العرب ص ١٢٨.

(٢٥) وجدي رزق غالي: معجم المعجمات العربية، الصفحات ٢٥، ٣٧، ٣٨، ٤٠.

(٢٦) الألفاظ الكتابية (ط٨ بتحقيق لويس شيخو بيروت ١٩١١) ص٧- ٨ و: ص ١٦٢- ١٦٣ من الطبعة التي حققها البدراوي زهران (ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٨٠)، وانظر: محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية ص ١١٣.

(٢٧) الغريب المصنف (حققه محمد المختار العبيدي، تونس ١٩٨٩) ١/ ٨١- ٨٢.

(٢٨) البيت في مجموع شعر الكميت بن زيد الأسدي (بتحقيق داود سلّوم، النجف ١٩٦٩) ١/ ٢٤٣.

(٢٩) جواهر الألفاظ (بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢) ص ١٥٥- ١٥٨.

(٣٠) لمزيد من التوضيح وازن أيضًا باب الجبن وضعف القلب في الغريب المصنف (١/ ٨٣- ٨٥) بباب الجبان في الألفاظ الكتابية (ص ٦٨ ط. شيخو – ص ٢٣٠ ط. زهران)، وكذلك باب المجنون في الغريب المصنف (١/ ٨٩- ٩٠) بباب المسّ والتصورات والجنون في الألفاظ الكتابية (ص٩٧ ط. شيخو – ص ٢٦٧ ط. زهران)، وباب السيوف ونعوتها في الغريب المصنف (١/ ٢٩٣) بباب أسماء السيوف في جواهر الألفاظ ص ٢٥٣.

(٣١) وقف على طبعه وضبطه الأب لويس شيخو اليسوعي: ونشره مع تهذيب الخطيب التبريزي بعنوان: «كنــز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ» في بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٥م. ثم أفرد الناشر متن ابن السِّكِّيت وطبعه بعنوان: «مختصر تهذيب الألفاظ» في المطبعة نفسها عام ١٨٨٧م.

(٣٢) وصل إلينا منه نسخة خطية محفوظة في المكتبة العامة بالرباط، مجموعة الكتاني رقم ٩٩٦، عن: فؤاد سزكين تاريخ التراث العربي ٨/ ١٦٨.

(٣٣) نشر الكتاب مرارًا في القاهرة وبيروت، وأفضل طبعاته التي أخرجها الأب لويس شيخو في بيروت عام ١٨٨٥م، ونحيل إلى المطبعة الثامنة بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت عام ١٩١١م، وقد شرح الكتاب- فيما يقول القفطي في إنباه الرواة ١/ ١٦٥ - اثنان، أولهما في مصر وهو العميدي، والثاني في خراسان وهو الإمام مهدي الخوافي، وكلاهما من أهل المئة الخامسة، وقد وصلت إلينا نسخة من الكتاب منسوبة لابن الأنباري عبد الرحمن بن سعيد (ت ٥٧٧هـ)، نشرها السيد نعمان آلوسي زاده في القسطنطينية سنة ١٣٠٢هـ بعنوان: ألفاظ الأشباه والنظائر، ثم حقق البدراوي زهران هذه النسخة وقدّم لها بدراسة وافية أثبت فيها أنها كتاب الهمذاني نفسه نُسب خطأ لابن الأنباري الذي كانت له تعليقات وشروح على هذا الكتاب فنسبه إليه تلميذه مكي بن ريان وقد طبع تحقيقه في القاهرة طبعة ثالثة صدرت عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٩، انظر مقدمة التحقيق ص ١١ وما يليها.

(٣٤) حققه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ونشرته مكتبة الخانجي في القاهرة سنة ١٩٣٢م.

(٣٥) حققه حامد صادق القيني ونشرته دار البشير في عمان سنة ١٩٩١م، وأشار محقق الكتاب (مقدمة التحقيق ص ٢٥) إلى أن كتب التراجم تخلط بين مؤلف الكتاب أبي منصور محمد بن سهل الذي يصفه ابن النديم بالأشل وبالباحث عن معتاص العلم (الفهرست — ط. طهران ١٩٧١- ص ١٥٢)، وبين أبي نصر سهل بن المرزبان الوزير المتوفى سنة ٤٢٠هـ بسبب التشابه بين الأسماء ولاقــتران الثاني بأبي منصور الثعــالبي (ت ٤٢٩هـ) صاحب يتيمة الدهر وفقه اللغة وسر العربية.

(٣٦) حققه هلال ناجي، ونشره أولاً المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط سنة ١٩٧٠م، ثم نشر في السنة نفسها في بغداد بتحقيق ناجي نفسه. ويذكر كوركيس عواد في كتابه: مشاركة العراق في نشر التراث العربي (مطبعة المجمع العلمي العربي ببغداد ١٩٦٩) ص ١٩ أن محمد عبد اللطيف جبارة نال بتحقيقه درجة الماجستير من جامعة بغداد.

(٣٧) طبع الكتاب للمرة الأولى في جزأين بمطبعة المعارف سنة ١٩٠٤- ١٩٠٥، ثم أعيد طبعه ثانية في جزأين أيضًا بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٣- ١٩١٤م، ثم أصدرته مكتبة لبنان في بيروت سنة ١٩٧٠م في طبعة جديدة أشرف على ضبطها الأمير نديم آل ناصر الدين ووسمت بأنها الطبعة الثانية للكتاب وأشير إلى طبعة مصر على أنها الأولى، ولا ندري سبب إغفال طبعة لبنان سنة ١٩١٣، ولعل الناشر الجديد لم يقف على الطبعة الثانية من الكتاب. فحق الطبعة الجديدة أن توسم بالثالثة، وقد صدرت في مجلد واحد ضمّ الجزأين معًا.

(٣٨) طبع للمرة الأولى بالمطبعة اللبنانية في بعبدا (لبنان) عام ١٩٠٥، ثم حققه شفيق الأرناؤوط وأصدرته دار ألف باء للطباعة في بيروت عام ١٩٨٤م، وذيل عنوانه الأساسي بعنوان فرعي هو: «معجم قاموس مرتب على أبواب المعاني». وقد أشار الناشر إلى هذه الطبعة عندما أسقط الملحق الذي ختم به المؤلف كتابه وعنوانه تفسير معاني هذا الجزء من الغريب ص ١٢٩- ١٤٣، وقد رتبت فيه الألفاظ على حروف المعجم.

(٣٩) ابن النديم: الفهرست ص ٦٩، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٧/ ١٧٣.

(٤٠) عبد القادر البغدادي: شرح أبيات مغني اللبيب ٦/ ١١٧.

(٤١) ابن النديم: الفهرست ص ٤٥، والقفطي: إنباه الرواة ٢/ ٢٠٣، والسيوطي بغية الوعاة ١/ ١١٣، وحاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٣٩٦.

(٤٢) ابن النديم: الفهرست (ط. طهران) ص ٢٢٣- ٢٢٤.

(٤٣) ابن النديم: الفهرست ص ١٢١، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٦/ ٦١٣.

(٤٤) ابن النديم: الفهرست ص ٦٩، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ٧/ ٩ والقفطي: إنباه الرواة ٣/ ١٣١، والسيوطي: بغية الوعاة ١/ ١٠٦، واللبلي: تحفة المجد الصريح ص ٥٤٢، وحاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٣٩٦.

(٤٥) أبو العلاء المعري: رسالة الصاهل والشاحج ص ٥٠٤، واللبلي: تحفة المجد الصريح ص ٥٤٢.

(٤٦) أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٣٠، والقفطي إنباه الرواة ٢/ ٢٠٩.

(٤٧) حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٣٦٩.

(٤٨) ابن النديم: الفهرست (ط. طهران) ص ١٩٦.

(٤٩) انظر على التوالي: الفهرست ٧٤، ومعجم الأدباء ٢/ ١٥٢- ١٥٣، وإنباه الرواة ١/ ١٥١.

(٥٠) وفيات الأعيان ١/ ١٠٤.

(٥١) تاريخ التراث العربي ٨/ ٤٨٣ من الترجمة العربية.

(٥٢) ط. طهران ص ١٥٢.

(٥٣) كتاب الشوق والفراق لمحمد بن سهل بن المرزبان، تحقيق خليل العطية (دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٨٨)، مقدمة للتحقيق ص ١١.

(٥٤) مقدمة تحقيق كتاب الألفاظ ص ٣١- ٣٢.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ):

وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٦٨.

- ابن السِّكِّيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ):

كنــز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، تحقيق الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٥م.

- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ):

متخيَّر الألفاظ: تحقيق هلال ناجي: مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٠م.

- ابن المرزبان: أبو منصور محمد بن سهل (ت وفي أواسط القرن الرابع للهجرة)

كتاب الألفاظ، تحقيق حامد صادق القنيبي، دار البشير، عمّان ١٩٩١م.

كتاب الشوق والفراق، تحقيق خليل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨.

- ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ)

الفهرست: ١- تحقيق غوستاف فلوغل، ليبزيغ ١٨٧١م.

٢- وتحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.

- أبو عبيد: القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ)

الغريب المصنَّف، تحقيق محمد المختار العبيدي، بيت الحكمة – قرطاج (تونس) ١٩٨٩م.

- أبو العلاء المعري: أحمد بن سليمان (ت ٤٤٩هـ)

رسالة الصاهل والشاحج: تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر ط٢، ١٩٨٤م.

- حاجي خليفة: محمد عصمت بن إبراهيم (ت ١٠٦٧هـ)

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط١ بمطبعة وكالة المعارف، استنبول ١٩٤١م.

- الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ)

طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.

- السيوطي: جلال الدين (ت ٩١١هـ)

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٥.

- سعيد الخوري الشرتوني: (ت ١٩١٢م)

نجدة اليراع:

١- المطبعة اللبنانية بعبدا، لبنان ١٩٠٥م.

٢- تحقيق شفيق الأرناؤوط دار ألف باء للطباعة، بيروت ١٩٨٤هـ.

- عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني: (ت ٣٢٠هـ)

الألفاظ الكتابية، ١- تحقيق الأب لويس شيخو، ط٨ بمطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت ١٩١١، ٢- بتحقيق البدراوي زهران، ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٨٩.

- عبد القادر البغدادي: (ت ١٠٩٣هـ)

شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٧م.

- قدامة بن جعفر: أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ)

جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.

- القفطي: الوزير جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)

إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥١.

- الكميت بن زيد الأسدي: (ت ١٢٦هـ)

شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع داود سلوم، مطبعة النعمان بالنجف ١٩٦٩.

- اللبلي: أحمد بن يوسف (ت ٦٩١هـ)

تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح، تحقيق عبد العزيز الميمني. مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٣٥، السنة ١٩٦٠، ص ٥٤١- ٥٤٥، دمشق، سورية.

- اليازجي: الشيخ إبراهيم (ت ١٩٠٦م)

نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ١- ط١ بمطبعة المعارف بمصر ١٩٠٥، ٢- ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٠.

- ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)

معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث، مطبعة هندية، القاهرة ١٩٢٠ وما بعدها.

ثانيًا: المراجع

- أحمد عبد السميع: ١٩٥٦- للمعاجم العربية. دار الفكر العربي القاهرة، /٢٢٤/ صفحة.

- إقبال الشرقاوي: ١٩٨٧ — معجم المعاجم. دار الغرب الإسلامي بيروت، /٣٩١/ صفحة.

- الأنطاكي محمد، ١٩٦٩ — الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشهباء حلب، /٤٧٥/ صفحة.

- أنيس إبراهيم، ١٩٧٣ – دلالة الألفاظ. ط٣ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، /٢٦٧/ صفحة.
- بلاسي محمد السيد علي، ١٩٩٦ – الثعالبي وكتاباه فقه اللغة وسر العربية. مجلة الخفجي العدد ١١، السنة ٢٥، ص ٣٣– ٣٥، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- بوبو مسعود، ١٩٩٤ – أبحاث في اللغة والأدب. دار شمال دمشق /٢٥٤/ صفحة.
- حجازي محمود فهمي، ١٩٧٣– علم اللغة العربية. وكالة المطبوعات الكويت، /٣٧٩/ صفحة.
- حسن عزة ١٩٧٠ – المكتبة العربية، المطبعة الهاشمية دمشق، /٢٢٥/ صفحة.
- الحمزاوي محمد رشاد، ١٩٨٦ – من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا. دار الغرب الإسلامي بيروت، /٣٠٧/ صفحة.
- الخطيب عدنان ١٩٦٧ – المعجم العربي بين الماضي والحاضر. معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة، /١٠٢/ صفحة.
- خليل حلمي، ١٩٩٧ – مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي. دار النهضة العربية بيروت، /٥٥٨/ صفحة.
- الداودي صفوان عدنان، ١٩٩٢ – مقدمة تحقيق مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني. دار القلم دمشق، /١٢٤٨/ صفحة.
- درويش عبد الله، ١٩٥٦ – المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، /١٦٦/ صفحة.
- رمزي صلاح، ١٩٩٠ – المدارس المعجمية العربية دار الثقافة العربية القاهرة، /٣٧٩/ صفحة.
- زهران البدراوي، ١٩٩٢ – مقدمة في علوم اللغة. ط٣ دار المعارف بمصر القاهرة، /٢٣٧/ صفحة.
- سزكين فؤاد، ١٩٨٨ – تاريخ التراث العربي. ترجمة عرفة مصطفى، جامعة الرياض، /٧٢٥/ صفحة.
- سقال ديزيريه، ١٩٩٥ – نشأة المعاجم العربية وتطورها. دار الصداقة العربية بيروت، /٨٨/ صفحة.
- الطرابلسي أمجد، ١٩٦٩ – نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب ط٤، دار الفتح دمشق، /٢٨٠/ صفحة.

- ظاظا حسن، ١٩٧١ — كلام العرب من قضايا اللغة العربية. مطبعة المصري الإسكندرية، /٢٢٠/ صفحة.
- عبد التواب رمضان، ١٩٨٧ — فصول في فقه العربية. ط٣، مكتبة الخانجي القاهرة، /٤٥٦/ صفحة.
- عطار أحمد عبد الغفور، ١٩٥٦ — الصحاح ومدارس المعجمات العربية، دار الكتاب العربي، /١٥٥/ صفحة.
- عمر أحمد مختار، ١٩٧١ — البحث اللغوي عند العرب. توزيع دائرة المعارف بمصر القاهرة، /٢٧٢/ صفحة.
- عواد كوركيس، ١٩٦٩ — مشاركة العراق في نشر التراث العربي. مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد، /٩١/ صفحة.
- غالي رجدي رزق، ١٩٩٣ — معجم المعجمات العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، /٢٨٥/ صفحة.
- قاسم رياض زكي، ١٩٨٧ — المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق. دار المعرفة بيروت، /٤٣١/ صفحة.
- المراغي محمود أحمد، ١٩٩١ — دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث. دار العلوم الحديثة بيروت، /٣٢٥/ صفحة.
- نصـــار حسين، ١٩٦٨ — المعجم العـــربي نشأته وتطوره د. مكتبة مصر القاهرة، /٨٣٥/ صفحة.
- وافي علي عبد الواحد، د. ت — فقه اللغة. ط٦، دار نهضة مصر القاهرة، /٣٢٠/ صفحة.
- ياقوت محمود سليمان، ١٩٩٤ — معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية القاهرة، /٤٨٠ /صفحة.
- يعقوب إميل، ١٩٨١ — المعاجم اللغوية بداءتها وتطورها، دار العلم للملايين بيروت، /٢٠٨/ صفحة.

معاجم غريب القرآن

مناهجها – أنواعها

د. عوض بن حمد القوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

حظي الكتاب العزيز باهتمام المسلمين في كل زمان، فمنذ نزوله تقبلته النفوس، وعقلته القلوب، وعني به الخاصة والعامة، وكان له الفضل في قيام علوم لا تعرفها العرب من قبل، وما كان لتلك العلوم أن تظهر لولا القرآن الكريم، وبلفظ آخر: لقد كان القرآن العزيز سببًا في ظهور علوم كثيرة – **فالنحو** وما يتبعه من قوانين لغوية إنما قام لتيسير قراءة القرآن دون لحن، ولم يخرج عن دائرة القرآن إلا بعد أن حقق هدفه الأول في حفظ النص القرآني من التحريف والتصحيف. **وعلم التفسير**، بطرقه المتنوعة وأشكاله المختلفة، لم يظهر إلا لتسهيل فهم القرآن، ومعرفة أحكامه وإدراك مرامه، واكتشاف أسراره، وإذا كان النحو قد اهتم بإعرابه، فعلم **البلاغة** قد اهتم بدراسة بيانه وبديعه، تمامًا كما اهتم علماء **اللغة** بتتبع ألفاظه ودراسة غريبه ومتشابهه ومشكله. وبرز آخرون فدرسوا رسمه وأحصوا مصاحفه المعروفة عند الصحابة والتابعين[1]. كما درسوا ناسخه ومنسوخه، وأسباب النـــزول، وتتبعوا المدني منه والمكي، ناهيك عن قراءاته وحروفه ومعانيه وأسراره وحِكَمِه، والبحث في فضائل سوره وآياته ومنافعهما، إلا أن هذا الفن الأخير دخل فيه ما صح وما لم

يصح من الأحاديث في فضائل القرآن، الأمر الذي أدى إلى أن تؤلف كتب في الكشف عن الوضع والضعف الذي نال هذا الموضوع[٢].

وهذه الجهود كلها تصب في قناة واحدة قوامها الاهتمام بكتاب الله العزيز وخدمته، وهدفها تيسيره للقارئ، وتقريبه من الفهوم، وكان تَوَجُّهُ المهتمّين إلى هذه العلوم دليلاً صادقًا على أن الله تكفّل بحفظ كتابه **﴿إنّا نَحْنُ نَزَّلْـنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحافظُونَ﴾** [الحِجْر: ٩/١٥] وأنه جعل السبيل إليه سهلة ميسرة **﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾** [القمر: ١٧/٥٤]. فهم جميعًا خدم لهذا الكتاب الكريم، كلٌ فيما يحسن، وبفضل هذا الاهتمام الذي تنوعت مصادره ومشاربه ومآربه، أصبح لدينا مكتبة قرآنية زاخرة بعلومها وفنونها، تفاوتت في مستوياتها ومطالبها، فهناك كتب في إعراب القرآن، وأخرى في قراءاته، وثالثة في تفسيره، ورابعة في غريبه ومشكله وغير ذلك من الفنون العلمية النافعة.

والحديث عن هذه الفنون كلها ذو شجون، إلا أن وكْد ورقتنا هذه محدود بحدود زمانها في هذا اللقاء، إذ كان عليها أن تستقرئ صنفًا واحدًا من التأليف المتصل بالقرآن الكريم، فاختارت «**معجم الغريب**» محورًا لها.

وبادئ ذي بدء لابد من طرح بعض الأسئلة حول الغرابة المذكورة؛ فما معنى «**الغريب**» في القرآن الكريم؟ وإذا تقرر عند علماء البلاغة أن الله سهَّلَ سبيله وأخرجه عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلّفة، وجعله قريبًا إلى الأفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس... فقد أوضح مناره، وقرَّب منهاجه،

وسهّل سبيله، وجعله في ذلك متشابهًا متماثلاً[٣]. فكيف يقول أهل اللغة بوجود الغريب فيه؟ وهل للغريب صلةٌ بمسألة الإعجاز؟

ولقد تقرر عند أئمة البلاغيين «أنه لو كان أكثر ألفاظ القرآن غريبًا، لكان محالاً أن يدخل ذلك في الإعجاز، وأن يصح التحدي به، ذاك لأنه لا يخلو، إذا وقع التحدي، من أن يُتحدى من له علم بأمثاله من الغريب، أو من لا علم له بذلك. فلو تحدي به من يعلم أمثاله لم يتعذّر عليه أن يعارضه بمثله،... ولو تُحُدِّي به من لا علم له بأمثال ما فيه من الغريب كان ذلك بمنزلة أن يُتَحدى العربُ إلى أن يتكلموا بلسان الترك»[٤].

كما تقرر عند فصحاء العرب أن **الغريب** خارج عن باب الفضيلة، لأنهم يرون الفضيلة في ترك استعماله وتجنبه، فهذا عمر بن الخطاب يمدح شعر زهير بقوله: «كان لا يُعاظل بين القول، ولا يتتبع حُوشي الكلام» قال الجرجاني: «فقرن تتبع «الحوشي» وهو الغريب من غير شبهة إلى «المعاظلة» التي هي «التعقيد»[٥]».

فالغريب إذن ليس معجزًا، لأنه إن نبا عن الإدراك عند فئة من الناس لم يُستعجم عند أخرى، بخلاف المعجز الذي يستوي فيه الجميع: إنسهم وجنهم. وذلك أن **الغريب** من الألفاظ معناه ضد الواضح منها، وهو «ما لا يحيط به إلا عربيّ خالص يعرف لغته، ولم وضعها؟ أو عالم ثبت متقن» وهو يُعرف أيضًا بالنادر أو الشاذ[٦]. أو هو العقمي الغامض[٧].

ثم إن الكلام في عمومه على ضربين:

أحدهما: «الواضح» وهو الذي يفهمه كل أحد عرف ظاهر كلام العرب.

والثاني: «المشكل»، وهو الذي يأتيه الإشكال من جهة غرابة لفظه، وهذا يقع في الكلام العام، ومنه شيء غير قليل في القرآن الكريم، كما جاء أيضًا في الحديث النبوي الشريف، وفي الشعر وأمثال العرب[٨].

كما أن هذا النوع من اللفظ لا يفهمه إلا عربيّ قحّ، أو عالم متمرس في العلم بلسان العرب، وقد يندّ فهم بعض الألفاظ حتى على أولئك العرب الخلّص، لأن الإحاطة بلغات العرب قبل تدوينها أمر لا يُطاق، وليس في مقدور كل أحد مهما بلغت درجة فصاحته معرفة مفردات هذه اللغة جميعها. وإذا علمنا أن في القرآن الكريم ألفاظًا غير قليلة من لغات القبائل، وأخرى من لغات شتى غير العربية، أدركنا أن وقوع الغريب في القرآن ليس بمستغرب، فهناك ما قيل إنه يوافق لغة كِنَانَة، ولغة طيّ، ولغة عُمَان، ولغة جُرْهُم، كما أن بعض الألفاظ العربية وافقت اللغة السّريانية كلفظ (الطُّور) بمعنى الجبل، وهناك ألفاظ بلغة هُذَيل، وأَزْدِ شَنُوْءَة، ومَذْحِج، وحِمْيَر، وتَمِيْم، وحَضْرَمَوْتَ وغيرها[٩].

وهناك رسالة تنسب إلى ابن عباس بعنوان «**اللغات في القرآن الكريم**» لم تقتصر على الألفاظ المفردة للغات قبائل العرب بل تعدها إلى لغات الفرس والنبط والحبشة وغيرها، وهو يرى في هذه الرسالة أن القرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب، وربما وافقت اللغة اللغات، وأما الأصل والجنس فعربي لا يخالطه شيء[١٠].

ومن أجل ذلك فإذا ورد لفظ يُعزى إلى غير العربية أشار إلى موافقة لغة العرب تلك اللغة، ففي تفسير «الطُّور» مثلاً قال: يعني الجَبَل، وافقت لغة العرب في هذا الحديث لغة السريانيين[١١]. وأحيانًا يسكت عن تلك الموافقة،

إذ يكتفي بذكر المعنى في اللغات الأجنبية، «فالرَّقِيْم» مثلاً يعني «الكَلْب» بلغة الرُّوم[١٢]. و«سَرِيّا» تعني «جدولاً» بلغة توافق السريانية[١٣]. و«اليَمُّ» يعني «البحر» بلغة توافق النَّبطية[١٤].

فلا عجب إذن أن تلقى اللفظ الغريب في «القرآن الكريم»، أو في الحديث الشريف، بل لا غرابة في وجود الغريب في اللغة نفسها، في الشعر القديم وأمثال العرب، ومن أجل ذلك نهض لتتبع الغريب في مظانه نخبة من علماء الأمة، منذ وقت مبكر، لا سيما بعد انتشار الإسلام خارج أرض الجزيرة، ودخول الأجناس الأخرى فيه واتخاذهم العربية لسانًا، هذا الامتزاج العقيدي والعرقي واللغوي سهّل تسرب اللحن إلى ألسنة الناطقين بالعربية من أبنائها فضلاً عن أولئك الأعاجم.

من أجل ذلك دعت الحاجة إلى التأليف لحلّ هذه المشكلة، فبرزت كتب في «**غريب القرآن**» وأخرى في «**غريب الحديث**» وثالثة في «**غريب اللغة**» وهكذا، وطبيعي أيضًا أن يكون بين دراسة هذه الغرائب وجود من الشبه والاختلاف، فدراسة «غريب الحديث» مثلاً ذات شقين:

الأول: يتصل بسند الحديث، وما يتعلق بالمتن من حيث الزيادة، والاختلاف في الرواية.

الثاني: ما يتصل بتفسير بعض الألفاظ الغريبة، والكلمات المشكلة، والتعريف بمعانيها وضبط بنيتها، والوقوف على تصريفها واشتقاقها، وتأليف حروفها.

ولما كانت دراسة «**غريب الحديث**» إلى علوم اللغة تنتمي وتنتسب – كما قال الخطابي –، فإن دارسه لابد أن يتصف بالدراية، وضبط الرواية،

والملكة الحافظة، والتثبت التام، والتحري الأمين[١٥]. ومن هذا يتضح مدى الترابط والتشابك بين هذه الدراسات والمؤهلات التي ينبغي أن يتصف بها كل مهتم بالغريب أيًا كان مصدره، وأن هناك أصولاً تتطلبها مسؤولية النهوض بهذا العلم الذي ملاكه السيطرة على الأبواب الثلاثة المتمثلة في معرفة «أمثلة الأسماء، وأبنية الأفعال، وجهات الإعراب»[١٦].

ولن يهتم بمثل هذه العلوم إلا من عرف العربية وأحبّها، ولن يحبها إلا من أحب أهلها، ثم أحب الكتاب الكريم الذي أنزل بها، وانصرفت إليه الهمم تدرسه وتحفظه وتزداد معارفها بإعجازه وحلاوة بيانه، والوصول إلى هذه الغايات محفوف بصعوبات لا يتخطاها كل أحد، ولا يقوى عليها إلا من كانت حليته الصبر، وعدته التبحر في طلب العلم مهما كلفه الأمر، والتفكر في نصوص القرآن وشوارد اللغة.

ولقد اهتم بهذا العلم جملة من العلماء منذ وقت مبكر، حتى إنهم أصبحوا لا يحصون[١٧]، واقتضت هذه الكثرة اختلاف مناهجهم في التأليف، لكن الذي يجمعهم استنادهم جميعًا إلى لغة العرب، شعرِها ونثرِها مما صحت روايته للكشف المراد عن اللفظ المشكل[١٨]. فقد روي عن ابن عباس قوله: **«إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب»** وعنه قوله: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك»[١٩].

كما روي عن ابن عباس أيضًا أنه كان لا يعلم تفسير كثير من الألفاظ، حتى تهيأ له السماع من بعض العرب ففهم المراد[٢٠].

ومن أجل إحكام هذه الصنعة كان لابد من إحكام اللغة، فهذا مالك ابن أنس (ت ١٧٩هـ) يحذر غير العالم بلغات العرب أن يجترئ على تفسير كتاب الله فيقول: «**لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً**»(٢١).

وقال النووي (ت ٦٧٦هـ): «يحرم تفسيره (القرآن) بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها (العربية)،... وتفسير الألفاظ اللغوية لا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله»(٢٢).

وسواء أكان التفسير لمعاني القرآن الكريم جميعه، أو كان خاصًا بتفسير غريبه، أو تبيينًا لمتشابهه، أو مجازه، فإن ذلك كلّه يعدّ إعرابًا له وكشفًا عن غامضه، وهو أمر منصوص عليه، فعن أبي هريرة (ت ٥٩هـ) فيما أخرج البيهقي مرفوعًا قوله: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»، وعن ابـن عمر (ت ٧٣هـ) مرفوعًا: «من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات». قال السيوطي (ت ٩١١هـ): «المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها...»(٢٣).

إذن فمعرفة معاني القرآن: غريبه ومُحكَمه ومتشابهه ضرورية للمفسر والقارئ على السواء، لأن ذلك يسهل فهم المراد من كلام الله تعالى، قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): «ومن كماله أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يسهل عليه (القارئ) معرفة ما يقرأ، ويزيل عنه الشك فيما يتلو»(٢٤).

ومما يلحق بتفسير الغريب والمشكل في القرآن الكريم، اهتمام السلف بإعراب القرآن كلّه أو جلّه، وبيان معانيه، فقد وصلت إلينا كتبهم في معانيه كمعاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ)، ومعاني القرآن للأخفش (ت ٢١٥هـ) ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج (ت ٣١١هـ)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢٦هـ)، ولكثرة التأليف في المعاني صارت الإشارة إلى أهلها تحمل هذا المسمى دليلاً عليهم، حتى قال ابن الصلاح: «وحيث رأيت في كتب التفسير: «قال أهل المعاني» فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله...»[٢٥].

كما اهتمت طائفة أخرى بإعرابه على مذاهب النحاة كما نرى عند أبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، بل لقد أفرد بعضهم لمشكل إعرابه مصنفًا ذكر فيه علله وصعبه ونادره، وهذا النوع من التأليف لم يقصد به خدمة كل قارئ للقرآن فحسب، بل توجه به إلى أولئك الذين شَدَوْا طرفًا من العربية وعلومها وتفهّموا ظواهرها النحوية، وجملاً من عواملها، وتعلقوا بطرف من أصولها[٢٦].

واعتنى آخرون بدراسة متشابهه، وما جاء منه مختلفًا بزيادة أو تقديم، أو إبدال حرف بآخر، أو تكرار[٢٧]. ولقد بلغ من اهتمامهم بالغريب وتفسيره أن نظموه شعرًا ليسهل حفظه ونقله كما فعل الإمام أبو زرعة العراقي حين نظم ألفيته المشهورة في تفسير غريب ألفاظ القرآن[٢٨].

وهنا يحسن إيراد بعض أمثلة اللبس التي كشف عنها هذا الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿قُل لا أسْألُكُمْ عَلَيه أجْرًا، إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٦/٩٠] قاله هنا بدون تنوين، وفي سورة يوسف

بالتنوين قوله: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُم عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالمِينَ﴾ [يوسف: ١٢/١٠٤] ؛ لأنه ذكر هنا قبـــل قوله: ﴿فَلا تَقْعُد بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ [الأنعام: ٦/٦٨] بلا تنوين، فناسب ذكره هنا كذلك.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [سورة لقمان: ٣١/ ٧] قالها هنا بزيادة ﴿كَأنَّ فِي أُذُنَيْه وَقْرًا﴾ وفي [الجاثية: ٤٥/ ٨] بحذفه ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأن لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ ألِيمٍ﴾. مـــع أنهما نـــزلا في «النضر بن الحارث» (ت ٢هـ) حيث كان يعدل عن سماع القرآن إلى اللهو وسماع الغناء؛ لأنه تعالى بالغ في ذمّه هنا، فناسب زيادة ذلك، بخلاف ما في الجاثية. وهكذا حل المواقف التي ورد فيها لبس أو شبهه في القرآن الكريم كله.

وبالنظر إلى ما تقدم من تفاسير نجدها مرتبة بترتيب السور في المصحف، تبدأ جميعها بالفاتحة، وتختتم بسورة الناس، أما كتب «**الغريب**» فقد جاءت على منهج معجمي مُرتّب إذا استثنينا منها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند جوابه «مسائل نافع بن الأزرق» (ت ٦٥هـ) التي رويت على غير نظام معين.

وسواء أصَحَّت الرواية لتلك المسائل جميعها أو بعضها، أم لم تصح، فإنها تظل أثرًا من آثار الرواية في تفسير ألفاظ القرآن الكريم، بله موافقة بعضها لما روي عن ابن عباس في كتب التفسير[٢٩].

وعلى هذا فالمنهج الذي سلكته كتب الغريب على قسمين:

قسم سلك في تفسيره ترتيب سور القرآن، وقسم رتب الغريب على ترتيب حروف المعجم.

وقبل الخوض في هذين المنهجين يحسن بنا إلقاء نظرة سريعة على حركة التأليف في «**غريب القرآن**»:

فقد روى السيوطي طرفًا مما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، قائلاً: «ورد عنه ما يستوعب غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة... وعليها اعتمد البخاري في صحيحه، مرتبًا على السور»(٣٠).

من هنا يجعل المهتمون بالدراسات القرآنية عمل ابن عباس في الغريب أول محاولة في هذا الباب، وعلى غير سابقة في الشرح والتفسير؛ وعَمَلٌ كهذا لا يستغرب من ابن عباس، فقد روي أن عمر بن الخطاب قال عنه: «ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد»، وأثنى عليه علي بن أبي طالب بقوله: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق»(٣١).

بعد ابن عباس توالت معاجم الغريب، وسلكت مسالك مختلفة من التنظيم على ما أجملنا آنفًا، حيث تقاطروا بعد ابن عباس، كل يتناول «**الغريب**» من زاويته التي يرى أن عصره بحاجة إليها، فقد أُثِرَ أن أول من صنف في «معنى الغريب» هو أبان بن تغلب بن رباح (ت ١٤١هـ)، ثم مؤرج ابن عمرو السدوسي النحوي (ت ١٧٤هـ)، ثم أبو فَيْد مرثد بن الحارث السدوسي (ت ١٩٥هـ)، ثم النضر بن شميل البصري (ت ٢٠٣هـ)، ثم أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ)، فالأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت ٢١٢هـ)، ثم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، فأبو عبد الرحمن، عبد الله بن يحيى بن المبارك العدوي المعروف باليزيدي (ت ٢٣٧هـ)، ثم أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٦٦هـ)، ثم ابن دريد

أبو محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) وغيرهم الأمر الذي جعل السيوطي يقول: «كثر المشتغلون بهذا الفن حتى كادوا لا يحصون»[٣٢].

وقد جاء أكثر هذه التفاسير مرتبًا على ترتيب سور القرآن الكريم، وهو منهج يقوم على ترتيب الغريب في كل سورة بحسب وروده على حدة، وفيه تيسير على القارئ وهو يتلو تلك السورة ليطلع على الغريب فيها، فتكون تلاوته مقرونة بفهم جميع الألفاظ الواردة فيها[٣٣].

وتفسير الغريب غالبًا ما يتكئ على الشعر، ولم يؤثَرْ ذلك عن ابن عباس وحده، بل كان جل الصحابة والتابعين يفعلون ذلك[٣٤]. فهذا عمر ابن الخطاب وهو يقرأ قول الله تعالى **﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾**[٣٥] فيتوقف عند معنى «**التَّخوُّف**»، **فيقوم رجل من هذيل فيقول له: هذه لغتنا، التَّخَوُّفُ** عندنا: **التَّنَقُّصُ**، فيقول له عمر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيرد عليه أن نعم، ويستشهد بقول الشاعر:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تَامِكًا قَرِدًا … كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفِنُ

فيلتفت عمر ﷺ إلى القوم قائلاً: «عليكم بديوانكم لا تضلُّوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»[٣٦]. وهكذا عكرمة ﷺ وقد سئل مرة عن «الزَّنيم» فقال: هو ولد الزنا، وتمثل قول الشاعر:

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوه … بَغِيُّ الأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ[٣٧]

ولما كثر هذا النوع من الاستشهاد أنكره جماعة من النحويين، زاعمين أن من يفعل ذلك يجعل الشعر أصلاً للقرآن الكريم، فيردّ عليهم: «ليس الأمر أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن

بالشعر، وذلك أنه سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وقد روي عن ابن عباس: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك»(٣٨).

ثم لما اتسع موضوع دراسة «الغريب» وكثر الاهتمام به أخذ الدارسون يبتعد بعضهم عن مناهج بعض، فهذا يطيل في تفسير اللفظ ويستشهد عليه بأقوال العرب، وذاك يختصر ويكتفي بالمعنى الدقيق مؤثرًا عدم الإسهاب، ثم هذا يزيد عدد «الغريب» عنده عن الآخر، ومن أجل ذلك تفاوتت مؤلفاتهم في الطول والقصر، وربما وجدنا بعضهم يهمل بعض الألفاظ ويذكر أخرى، وعلى العكس منه نجد آخرين يهتم بعضهم ببعض ما أهمل سواهم ويهملون بعض ما ذكر أولئك، ناهيك عن اكتفاء بعضهم بإيراد المرادف القريب للفظ الغريب، فيأتي بكلمة واحدة مفسرة، وهكذا، فإذا نظرنا إلى «**تفسير غريب القرآن**» لابن قتيبة (ت ٢٦٦هـ)، مثلاً نجد هذا المعجم مرتبًا على ترتيب السور في كتاب الله، تلته معاجم أخرى على المنهج نفسه، وسبقته معاجم أخرى، وإن خالفته في شيء فإنما هو في زيادة بعض ألفاظ الغريب أو نقصها، أو في تفصيل معانيها أو اختصارها، فمن سبقه مثلاً أبو عبد الرحمن، عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي (ت : ٢٣٧هـ) الذي ألف كتابه «**غريب القرآن وتفسيره**»(٣٩).

فاليزيدي يقدم التفسير اللغوي للفظ «الغريب» متناولاً الأبنية واختلاف اللغات أو تعددها فيه، بالإضافة إلى مثلثات اللغة، مستشهدًا على ذلك بالآيات القرآنية أحيانًا، وبالحديث النبوي الشريف حينًا آخر، وأحيانًا يدلّل على ذلك بما روي في الحرف من شعر أو مثل أو قول من أقوال

العرب[٤٠]. فعند تفسيره «بكّة»[٤١]. قال: «قال بعض المفسرين: إن موضع الطواف «بَكّة»، لأنه يَبُكُّ بعضُ الناس بعضًا وهو الازدحام، واسم القرية «مَكّة» ويقال: بَكّة مأخوذ من بَكَكْتُ الرجل أي: وضعتُ منه ورددت نخوته، وكأنها تضع من نخوة المتجبرين وأنشد الشاهد عن أبي عبد الله:

إذَا الشَّـــرِيبُ أخَذَتْـــهُ أكَّـــهْ فَخَـــلِّه حَـــتَّى يُـــبَكَّ بَكَّـــهْ

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَلَكُوتَ السموات والأرض﴾[٤٢]. قال: «مُلك السموات، وفي التفسير: آياتُ السموات، ومَثَلٌ للعرب: «**الرَّهَبُوت خيرٌ من الرَّحَمُوت**»، يريد: «أن تُرهَبَ خيرٌ من أن تُرْحَم»[٤٣].

هذا المنهج هو نفسه المتبع عند ابن قتيبة في كتابه المذكور آنفًا، فألفاظ الغريب عندهما تكاد تكون واحدة، كما أنهما معًا يتفقان في الاستشهاد بالآيات والأحاديث النبوية والشعر، وربما كان كتاب ابن قتيبة أغنى وأكثر تفصيلاً[٤٤]. وكتاب ابن قتيبة أكثر شهرة لاعتماد أكثر الأئمة عليه، واتباعهم منهجه، ونقلهم عنه كثيرًا، على الرغم من اختصاره وعدم التفصيل في معنى كثير من الألفاظ، مكتفيًا بما يزيل الغرابة، ويكشف الغموض. مستشهدًا بالدليل من الشعر قليلاً، لا كما يشبهه بعضهم بتفسير «البحر المحيط» في الشرح والتفصيل[٤٥].

هذه المعاجم لم تتفق في حجم مادة «**الغريب**» فيها، ولم تخضع مادتها لأي ترتيب معجمي سوى ترتيب السور بحسب ترتيب المصحف، ثم ترتيب الآيات بحسب ورودها في السورة، وتسميتها معاجم إنما هو على سبيل

المجاز، لأن ترتيب السور في المصحف لم يخضع لفكرة معجمية، كما أن ترتيب الآيات في كل سورة ما كان إلا بتوجيه من النبي ﷺ.

أما القسم الثاني من هذا النوع من التفسير، فهو الذي يقوم على ترتيب «**الغريب**» ترتيبًا هجائيًا، متخذًا النظام الألف بائي للكلمات، وقد وضع أصحاب هذا الأسلوب الترتيب المعجمي أمام أنظارهم، ولعلنا نكتفي بالوقوف على ثلاثة من أشهر معاجم هذه الطائفة وأقدمها تأليفًا:

١– التبيان في غريب القرآن، المسمّى: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم لأبي بكر محمد بن عُزَيز السجستاني، المفسر اللغوي (ت ٣٣٠هـ).

وهذا الكتاب يأتي في مقدمة هذه الزمرة من المعاجم، ومن أكثرها شهرة، أقام صاحبه في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه الأنصاري[٤٦]. وقد حظي باهتمام الدارسين قديمًا وحديثًا، فالعسقلاني وهو يُعرِّف بالمؤلف يصفه بقوله: «صاحب الكتاب المشهور»[٤٧]، ومثله قال الذهبي[٤٨]، وحاجي خليفة[٤٩]، وغيرهم[٥٠].

وقد استفاد منه دارسو الغريب، وبلغت درجة اهتمامهم به أن شرح بعضهم شواهده، ورتبه بعضهم، وبعضهم نظمه في أرجوزة[٥١]. أما في العصر الحديث فإن إقبال الدارسين على نشره دليل على أهميته[٥٢]. وقد كشف المؤلف عن منهجه فقال في المقدمة: «هذا تفسير غريب القرآن، أُلِّف على حروف المعجم، ليقرب تناوله، ويسهل حفظه على من أراده»[٥٣].

وإذا نظرنا إلى مادة الكتاب نجدها لا تتبع نظامًا منهجيًا واحدًا، فهو وإن لم يهتم بأصول الكلمات الاشتقاقية، فإنه كان يرتبها بحسب الحرف الأول من

كل كلمة، ولا يفرق بين ما إذا كان هذا الحرف أصلاً فيها أو هو حرف أجنبي عنها كواو العطف أو فائه. أما الحرف الثاني من الكلمة فلم يعره اهتمامًا في الترتيب، كما أنه لم يراع بقية حروف الكلمة.

ففي باب الهمزة مثلاً: تجد المؤلف يورد كلمة «أندادًا» قبل «أزلّهما الشيطان»، وكلمة «آيات» قبل كلمة «أماني»، و«الأسباط» قبل «الأسباب»، و«الأنامل» قبل «الأرحام»، و«الأزلام» قبل «الأحبار»، و«أساطير» بعد «أنباء»، و«أنفال» قبل «أَمَنَةً» التي تليها «أمطرنا»، و«أَذَانٌ من الله»، و«أسلَفَتْ» بعد «أوّاهٌ» و«أدلى دلوه» بعدهما بكثير. وتأتي كلمة «إِرَم» قبل بضع كلمات من نهاية باب الهمزة، الذي ختمه بكلمة «انْحَرْ» في سورة الكوثر.

إلا أن المتفكر في هذا الترتيب يلحظ أن المؤلف حاول بقدر الإمكان إيراد هذه الألفاظ بحسب ورودها في سورها فتراه يتتبع الهمز من أول المصحف إلى آخره، محاولاً اتباع منهج في تفسير الغريب مراعيًا حركة الحرف الأول من الكلمة، ففي باب الراء مثلاً، يبدأ بالراء المفتوحة، فيرتب الكلمات المبدوءة بهذه الراء في جميع سور القرآن مبتدئًا بالبقرة فآل عمران حتى ينتهي ورود الكلمات المبدوءة بالراء المفتوحة، ثم الراء المضمومة، فيعود ليبدأ ترتيب الكلمات من جديد بحسب ورودها في المصحف، حيث بدأت بكلمة «رُكبان» في البقرة، وانتهت بكلمة «الرجعى» في سورة العلق، ثم ينتقل إلى فصل الراء المكسورة فيبدؤه بكلمة «رِجالاً أو ركبانًا» في البقرة، وينهيه بكلمة «رِكابُ» في سورة الحشر. وهكذا كان يقسم الحرف إلى فصول بحسب حركة الحرف الأول من الكلمات، فباب الهمزة مثلاً مقسم على ثلاثة فصول، الأول منها يختص بالهمزة المفتوحة، وترد تحته جميع الكلمات الصعبة بدءًا من سورة البقرة وانتهاء بسورة

الإخلاص، ثم ينتقل إلى فصل الهمزة المضمومة، مبتديًا من جديد بسورة البقرة منتهيًا عند قوله «أُفِكَ» من سورة الذاريات. ثم ينتقل إلى فصل الهمزة المكسورة متبعًا النظام نفسه. والملاحظ على هذه الفصول أن السجستاني لا يفرق بين همزتي الوصل والفصل، فهو يضع الكلمات «أفّ، أُفْرِغْ، أخْفِيها، أُزْلِفَتْ» إلى جنب «اضْمُمْ ، اسْلُكْ، اغْضُضْ، ارْكُضْ» إلى جنب «أُولي، أمّ، أولو...» ثم ليس هناك فرق بين الأسماء والأفعال في هذا الترتيب.

ومثال آخر نأخذه من فصل الهمزة المكسورة، حيث ورد فيه: «اهْدِنَا، اسْتَوْقَدَ» إلى جوار «إِذْ، إذا» تلاها «إِبْلِيسُ» و«ارْهَبُون» ثم «إسرائيل»، ثم «اهْبِطُوا مِنْهَا»... وهكذا.

والواقع أن هذا الكتاب ربما استفاد من كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة في تفسير الغريب ومجازه، فظهر وكأنه مختصر غير منهجي له، لكنه يسّر استعماله بترتيب المواد المختارة منه ترتيبًا هجائيًا[٥٤]. وهو غير مسبوق إلى هذا الترتيب المعجمي. والجهدُ في تتبع الغريب في عموم المصحف وترتيبه هذا الترتيب جهدٌ لا يقدره إلا من خبر صعوبة التأليف المعجمي، ناهيك عن ضعف الوسائل المعينة في عصره، ثم إن تقسيم الغريب في أبواب على حروف الهجاء يتبعه تقسيم كل حرف إلى فصول بحسب حركات الحرف الأول، أمر في منتهى الدّقة لو أسند بالنظرة الاشتقاقية لكل مادة، إلا أن هذا المعجم يظل ضمن دائرة معاجم الغريب التي راعت في نظامها ترتيب السور في القرآن الكريم، و لم يخالفها إلا في التقسيم الداخلي، حين قسم كل حرف أو باب إلى ثلاثة فصول بحسب حركات أوائل كلماتها.

وقد تلا هذا المعجم عدد غير قليل من معاجم الغريب حتى جاء أبو عبيد الهروي، أحمد بن محمد، المتوفى سنة (٤٠١هـ)، فألف كتابه «كتاب الغريبين، غريبـــي القرآن والحديث» ورتبه على حروف المعجم على وضع لم يُسْبَقْ فيه، وكان جامعًا في الحسن، وأصبح عمدة الدارسين للغريب، ودارت حوله دراسات ومشروعات معجمية أخرى، بعضها تعقبه بالنقد والتصحيح، وبعضها بالزيادة والاختصار[٥٥]. ويستمر التأليف في الغريب بعد ذلك على منهج الترتيب في المصحف، وجمع بعضهم «الغريب إلى جوار المشكل»[٥٦].

حتى إذا جاء الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الفضل، أبو القاسم المتوفى سنة (٥٠٢هـ) الذي ألف كتابه «**المفردات في غريب القرآن**» فغيَّر نظام المعجم إلى ترتيب لم يسبق إليه، وسأتركه يبين للقارئ خطته في كتابه «المفردات في غريب القرآن»، يقول: «إن أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق «الألفاظ المفردة» فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللِّبن في كونه من أوَّل المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه... فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلام العرب وزبدتُه... وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم... وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفٍ فيه **مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرًا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات** حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب»[٥٧].

وقد التزم الراغب هذا المنهج، وأفرد لكل حرف من حروف الهجاء كتابًا، فكان كتابه مشتملاً على ثمانية وعشرين كتابًا هي عدة حروف الهجاء من الألف إلى الياء، وكل مادة يبدؤها بالمعنى اللغوي لذلك الأصل، ثم يسرد ما تصرف منه وما جاء من ذلك في القرآن الكريم، غير مقصر في الاستدلال أحيانًا على المعاني بالآية الكريمة أو الحديث أو الشعر أو المشهور من أقوال العرب، ففي كتاب الباء مثلاً قوله: «بدع: الإبداع إنشاءُ صنعة بلا احتذاء واقتداء، ومنه قيل: ركيَّةٌ بديع، أي جديدة الحفر، وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة، ولا مادَّة، ولا زمان، ولا مكان، وليس ذلك إلا لله. والبديع: يقال للمُبْدِعِ، نحو قوله: **﴿بَدِيْعُ السَّموات والأَرْضِ﴾** ويقال للمُبْدَعِ: نحو رَكِيَّةٌ بَديعٌ، وكذلك البِدْعُ: يقال لهما جميعًا بمعنى الفاعل والمفعول. وقوله تعالى: **﴿قُلْ ما كنتُ بِدْعًا من الرُّسُلِ﴾** قيل معناه: مُبْدَعًا لم يتقدمني رسولٌ، وقيل: مبدِعًا فيما أقوله. والبِدعة في المذهب: إيراد قول لم يَسْتَنَّ قائلُها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة، وأصولها المتقنة. وروي «**كلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار**». والإبداع بالرَّجُل: الانقطاع به لما ظهر من كَلاَلِ راحلته وهُزَالِها»(٥٨).

فالناظر في هذا الكتاب يلحظ دقة الراغب في تقليب الألفاظ على معانيها القريبة والبعيدة، واشتقاقات الكلمة وما تعلق بها من المعاني، موثقًا ذلك بالدليل الصحيح، ولابأس من عرض مثال آخر نورده دون اختيار مقصود لذاته، ولكن لنتبين منه منهج الراغب، وهو يعالج اللفظ ويستشهد على الغريب: فمن كتاب الراء قوله: «ريش: رِيشُ الطائر معروف، وقد يخص الجناح من بين سائره، ولكون الرِّيش للطائر كالثياب للإنسان، استعير للثياب،

قال تعالى: ﴿ورِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوى﴾ وقيل: أعطاه إبلاً بِرِيْشِها، أي ما عليها من الثِّياب والآلات، ورِشْتُ السَّهْمَ أرِيشُه رَيْشًا فهو مَرِيشٌ: جعلت عليه الرِّيش، واستعير لإصلاح الأمر، فقيل: رِشْتُ فلانًا فَارْتَاشَ أي حَسُنَ حَالُه، قال:

فَرِشْـــنِي بِخَيْرٍ طَالَما قَدْ بَرَيْتَنِي   فَخَيْرُ المَوالِي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِي

ورُمْحٌ راشٌ خَوَّار، تُصُوِّرَ منه خَوَرُ الرِيش»[٥٩].

ولست بحاجة إلى أن أعيد إلى الذاكرة ما في هذا التفسير من معان مختلفة واستعارات طريفة، مع استشهادات من القرآن والشعر وفصيح أقوال العرب.

وهكذا نسق هذا الكتاب الجليل الذي لم يكن السيوطي وحاجي خليفة مبالغين حين وصفاه بأنه من أحسن التصانيف[٦٠].

ولم يقف التأليف في الغريب، ولم يخرج عن الترتيبين المذكورين آنفًا، أعني ترتيب الكلمات بحسب ورودها في السور أو ترتيبها هجائيًا، إلا أن بعض المؤلفين يضيف إلى غريب اللفظ غريب المعنى، كما فعل ابن الجوزي[٦١].

واهتم بعضهم إلى جانب تفسير الغريب بالإعراب والمعاني وذلك بتأثير من اهتمامهم اللغوي الواسع كما فعل صاحب مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى سنة (٦٦٦هـ) في كتابه «**روضة الفصاحة في غريب القرآن**». كما كان بعضهم يختصر مادته، وبعضهم يتدارك على السابقين فيحاول إغناء القارئ بما لم تضمه كتب الغريب المتقدِّمة عليه.

ولعلنا هنا نقف عند مثال أخير لهذه المعاجم القرآنية وقد سلك صاحبه طريق «مفردات الراغب» في الترتيب واختلف عنه قليلاً باختلاف الهدف، إنه كتاب «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان

الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، الأديب النحوي، المفسِّر، المتوفى سنة (٧٤٥هـ)(٦٢).

ويلخص أبو حيان معنى الغريب في القرآن الكريم موضحًا منهجه الذي يسير عليه كتابه والهدف من اختصاره ذاكرًا الترتيب الذي سيسلكه فيقول: «لغات القرآن العزيز على قسمين: قسمٌ يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم كمدلول السماء والأرض، وفوق، وتحت. وقسمٌ يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي ضعف أكثر الناس فيه، وسموه «**غريب القرآن**» والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم، وأن نرتبه على حروف المعجم، فأذكر في كل حرف ما فيه من المواد معتبرًا في ذلك الحروف الأصلية لا الزائدة، مقتصرًا في ذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن العزيز»(٦٣).

وهذا الكتاب يعدُّ مختصرًا في مادته، يعتمد في تفسير الغريب على أقرب المعاني وأدقها للفظ، ولا يهتم بالمعاني التي يستوعبها اللفظ، كما لا يقدم تفسيرات لغوية مختلفة، ولا يستدل على ذلك بالشعر أو غيره، فمهمته تقف عند المعنى المباشر للكلمة أولاً، ليخف حمله ويسهل على المتعلم فهمه. وأبو حيان في تحفته قد استفاد من سابقيه لاسيما «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة، فقد نقل عنه نقلاً صريحًا ودقيقًا — وإن لم يشر إلى مصدره — لكن الاستفادة منه ظاهرة، ولولا ثقتنا بعلم أبي حيان وسعة ثقافته، وأن عدم ذكر مصدره أو مصادره هنا كانت سمة لعصره وعلماء زمانه، لرابنا الشك في أمانته العلمية، ولكنا نحمله على حسن الظن، لاسيما وقد رأينا له تأليفًا في التفسير أوسع من هذا وأوفى من غريب ابن قتيبة، ونعني به كتابه الموسوم «البحر المحيط» الذي لم يقف عند تفسير الألفاظ وحدها، أو اختص بالغريب منها، لكنه حوى أمورًا

تتعلق بها من حيث اللغة والنحو والتصريف، والاستدلال لكل أمر بالشواهد القرآنية وغيرها، بالإضافة إلى بيان الغريب فيها. ونظلم الرجل لو قارنًا «التحفة» بـ«البحر»، فقد أراد أن تكون التحفة «مختصرًا» لا يهتم إلا بالقسم الغامض من الألفاظ، ذلك القسم الذي «يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية»، وأما «البحر المحيط» فله من اسمه نصيب.

وإذا كان الراغب الأصفهاني قد لجأ إلى تفصيل المعاني لكل لفظ غريب، ورتبه على حروف التهجي في أبواب، وأن كل باب يشمل ثلاثة فصول تبعًا لحركات الحرف الأول، فإن «تحفة الأريب» سعى إلى الإيجاز، وابتعد عن الاستطراد، لكنه استفاد من منهج الراغب في ترتيب الغريب بحسب حروف الهجاء، إلا أنه كان أكثر حرية منه في الترتيب، فالراغب كان يرتب الكلمات بحسب الحرف الأول آخذًا في الاعتبار الحرف الثاني من الكلمة نفسها، وفي هذا الترتيب التزام بالحروف كما هي في الترتيب الهجائي، في حين يلتزم أبو حيان الحرف الأول والحرف الأخير من الكلمة، أما الحشو فلم يلتفت إليه كثيرًا، بل لم يدخله في حسابه، ولابأس أن نورد مثالاً من الكتابين:

ففي «المفردات» جاء «كتاب الألف» كالتالي: أبا: (وفيه: الأب: الوالد، ويَأبو بَهْمَةُ يتفقدها، و[يا أبتِ] نداء الأب، ويأبأ الصبي إذا قال: بابا، وأبى (من الإباء) ورجلٌ أبيٌّ، وتيس أبيٌّ، وعنــز أبواء، وأبٌّ: أي مرعى، وأبَّ إلى وطنه وإلى سيفه إذا تهــيّأ لسلّه، وإبَّانُ ذلك وهو الزمان المهيأ لفعله ومجيئه).

يلي هذا اللفظ الألفاظ التالية بتفصيلات مشابهه لما جاء في معاني اللفظ السابق، وسأكتفي بإيرادها في ترتيبها: أبد، أبق، أبلَ، أتى، أثَ، أثَر، أثَل، إثْم، أج، أجر، أجل، أحد، أخذ، أخ، آخر، إد، أداء، آدم، أذن، أذى، إذا، أرب،

أرض، أريك، أرم، أز، أزر، أزف، أس، أسف، أسر، (وهنا قد اختلّ ترتيبه فقدّم الفاء على الراء)، أسن، أسا، أشر، أصر، أصبع، (وهذا مكان آخر لاختلال المنهج). أصل، أفّ، أفق، أفك، أفل، أكل... .

والراغب يشقق المعاني في كل مادة ويستشهد عليها ويوثقها في أسلوب ظاهره الاختصار، وهو يحاول التزام منهج واحد في الترتيب إلا أن نظامه يختل أحيانًا فيقدم ما حقه التأخير – كما رأينا في الحرفين السابقين.

أما «تحفة الأريب» فقد كان ترتيب (باب الألف – الهمز) كما يلي:

(أ ب ب، أرب، أوب، أ ل ت، أ م ت، أ ث ث، أ ج ج، أ دد، أ ح د، أود، أ ي د، أ ث ر، أ ج ر، أ م ر، أزر، أ ص ر، أ س ر، أزر، أ ف ك، أرك، أي ك...).

فالعمدة عنده على الحرف الأول والأخير من اللفظة، أما الحشو فلا أهمية له تقدمت رتبته أو تأخرت، أما المعاني فإن أبا حيان في تحفته لا يبرح المعنى القريب المباشر للفظ، ولا يهتم بالمعاني الثانوية الأخرى، و لم أره يستشهد على المعاني التي يثبتها.

وقد حظيت «تحفة الأريب» باهتمام الدارسين بعد أبي حيان، فمختصرٌ لها، ومرتب لمادتها ترتيبًا يشابه ترتيب مفردات الراغب، ومعلّق عليها بأوجه القراءات، مستدرك لما أغفله.

وبعد فهذه نظرة سريعة في معاجم «غريب القرآن»، وقفتْ عند مناهجها و لم تتقصَّ جهود علمائها، وبان بعد ذلك أن هذه المعاجم سلكت في ترتيب مادتها مسلكين:

الأول: رتّب غريبه بحسب ترتيب سور القرآن الكريم.

والثاني: رتّب غريبه بحسب حروف الهجاء إلا أن أصحاب هذا المسلك انقسموا فريقين: فريق رتب الغريب هجائيًا مراعيًا تجريد اللفظ من الزوائد، ومراعيًا أيضًا الحرف الثاني من حروف الأصل. وفريق رتب الغريب بحسب الحروف الهجائية ناظرًا إلى الحرف الأخير من الكلمة، مهملاً الحشو بينهما.

ومن حيث المحتوى، كان بعض معاجم الغريب يستفيض في شرح الغريب ويستدل عليه بالشعر أو بالقرآن أو سواهما من كلام العرب أو الحديث الشريف، مقلبًا للفظ ومعانيه، مبينًا اشتقاقه وما يحمله من استعارات ومعان بعيدة أو قريبة، في الوقت الذي مال بعض هذه المعاجم إلى الاختصار واكتفى بالمعنى الدقيق للكلمة، و لم يعبأ بالمعاني الأخرى التي يفرد بها اللفظ، وهي بهذه النظرة المتفاوتة تقدم زادًا علميًا للقارئ بحيث لا يرى أن بعضها يغني عن بعض.

وكما كان القرآن الكريم باعثًا على الإلمام بهذه العلوم، فسيظل مشعل نور للذين يتدبرونه، ومصدر هداية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وبالله التوفيق

الإحالات

(١) اختص بعض الصحابة بمصاحفهم وفيها كما يروي أبو بكر بن أبي داود (ت ٣١٩هـ) من الزيادة أو النقصان، فهناك مصحف عمر بن الخطاب ومصحف عليّ، ومصحف أُبيّ بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف عبد الله ابن عباس، رضي الله عنهم، ثم لما جمع عثمان الناس على المصحف الإمام أمر بنسخ المصاحف منه لتوزع على الأمصار (انظر كتاب المصاحف، لأبي بكر السجستاني، ص٥٠ فما بعدها).

(٢) من الكتب في هذا الفن: منافع القرآن: للإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) وفضائل القرآن، لابـن أبي شيبة (ت ٢٠٧هـ)، وفضائل القرآن لخلف بن هشام (ت ٢٢٩هـ) وغيرهم. ومن الكتب التي تردّ على بعض المصنفات في الفضائل: كتاب: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، وكتاب الموضوعات الكبرى لابن الجوزي، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، وغير ذلك كثير. انظر الإتقان، ٢/ ٨.

(٣) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص٤٦.

(٤) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٩٧.

(٥) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٩٨.

(٦) انظر الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب غريب الحديث، جـ١، ص٤٧.

(٧) انظر الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، جـ٨، ص١١٥ «غرب».

(٨) انظر ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠- ٤١.

(٩) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل للإمام أبي القاسم بن سلام، وهو منشور بحاشية تفسير الجلالين، طبعة البابي الحلبي وشركاه، وقد نشر بتحقيق عبد الحميد السيد طلب، ١٩٨٤م ضمن منشورات جامعة الكويت؛ وانظر كتاب: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب» لجلال الدين السيوطي بتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، ونشره أيضًا سمير حسن حلبي في بيروت ١٤٠٨هـ؛ وكتاب شهاب الدين الخفاجي المعنون: «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، وقد أفرد الأستاذ الدكتور التهامي الراجي بحثًا في «الألفاظ الهذلية الواردة في القرآن الكريم» نشره في مجلة دعوة الحق، العدد الرابع، السنة ٩ بالرباط.

(١٠) اللغات في القرآن، ص ١٦.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٧.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٤. وقد حقق هذا الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد، ونشرته دار

الكتاب الجديد. وهذه الرسالة تنسب خطأ إلى القاسم بن سلام. انظر: مقدمة كتاب المهذب للسيوطي، بتحقيق التهامي الراجي الهاشمي، ص٣- ٤. كما نشر الدكتور جاسر خليل أبو صفية كتابًا عنون له بـــ «معرَّبُ القرآن عربي أصيل»، الناشر: دار أجا، الرياض ١٤٢٠هـ.

(١٥) انظر ابن سلام: كتاب غريب الحديث، جـ١، ص٥١/ المقدمة.

(١٦) انظر الخطابي، أبو سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم: غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ط. جامعة أم القرى، دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج١، ص٥٣.

(١٧) السيوطي، الإتقان، جـ١، ص ١١٥.

(١٨) ابن منظور، لسان العرب، جـ٥، ص٥٥ «فسر».

(١٩) الزركشي، البرهان، جـ١، ص ٢٩٢- ٢٩٤.

(٢٠) انظر القرطبي، الجامع، جـ١، ص٤٤، الزركشي، البرهان، جـ١، ص ٢٩٣.

(٢١) الزركشي، البرهان، جـ١، ص ٢٩٢.

(٢٢) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ج١، ص ٩٩- ١٠٠.

(٢٣) السيوطي، الإتقان، جـ١، ص ١١٥.

(٢٤) القرطبي، الجامع، جـ١، ص ٢١.

(٢٥) الزركشي، البرهان، جـ١، ص ٢٩١.

(٢٦) انظر القيسي، مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج٢، ص٦٤.

(٢٧) انظر مثلاً: الأنصاري، الإمام أبو يحيى زكريا: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، حققه وعلّق عليه محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيـــروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢٨) انظر هذه الألفية منشورة بذيل «تفسير القرآن العظيم» للإمامين الجليلين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، في طبعته الصادرة عن مطبعة دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

(٢٩) انظر مسائل نافع بن الأزرق، عن عبد الله بن عباس... حققها وعلق عليها ووضع فهارسها: الدكتور محمد أحمد الدالي، الجفّان والجابي للطباعة والنشر، قبرص، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣٠) السيوطي، الإتقان، جـ١، ص ١١٥.

(٣١) الذهبي، التفسير والمفسرون، جـ١، ص ٦٥- ٦٧.

(٣٢) السيوطي، الإتقان، جـ١، ص ١١٥.

(٣٣) هناك لبس عند بعض الدارسين بين تفسير ابن عباس للغريب، والمسائل التي كانت جوابًا لسؤالات نافع بن الأزرق، وربما كان مردّ هذا اللبس إلى الأسلوب في معالجة الغريب فيما يروى عن ابن عباس، حيث كان يحتج ﷺ على غريب القرآن ومشكله بالشعر. انظر غريب القرآن، لابن عباس، عرض وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن — القاهرة ١٤٠٨هـ.

(٣٤) انظر: السيوطي، الإتقان، جـ١، ص ١٥٧.

(٣٥) سورة النحل، الآية/ ٤٧.

(٣٦) الذهبي، التفسير والمفسرون، جـ١، ص٧٤.

(٣٧) القرطبي، الجامع، جـ١، ص ٢٥.

(٣٨) السيوطي، الإتقان، جـ١، ص ١٥٧.

(٣٩) نشر الكتاب بتحقيق وتعليق محمد سليم الحاج، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، كما نشرته مؤسسة الرسالة ببيروت، بتحقيق عبد الرزاق حسين عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٤٠) انظر: المقدمة، ص ١١- ١٢.

(٤١) سورة آل عمران، الآية/ ٩٦.

(٤٢) سورة الأنعام، الآية/ ٧٥.

(٤٣) اليزيدي، غريب القرآن وتفسيره، ص ١٣٨؛ وانظر المثل في: الميداني، مجمع الأمثال، جـ١، ص٢٨٨ ومعناه: لأن تُرهب خير من أن تُرحم.

(٤٤) قارن تفسيرهما لقوله تعالى ﴿كيفَ نُنشِزُها﴾، البقرة، الآية/ ٢٥٩. وكذلك تفسيرهما لقوله عز وجل: ﴿وما كانَ لِنَبِيٍّ أن يَغُلَّ﴾، آل عمران، الآية/ ١٦١.

(٤٥) انظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي، المقدمة، ص ١١ .

(٤٦) الإتقان، جـ١، ص ١١٥.

(٤٧) العسقلاني، تبصير المنتبه، ج٣، ص ٩٤٨.

(٤٨) الذهبي، المشتبه، جـ٢، ص ٢٦١.

(٤٩) حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ٢، ص ١٢٠٨.

(٥٠) انظر مقدمة المحقق محمد أديب جمران، ص ٢٣.

(٥١) انظر مقدمة المحقق، ص ٢٣- ٢٤.

(٥٢) أحصى المحقق ثماني طبعات قبل طبعته، انظر ص ٢٨- ٢٩.

(٥٣) غريب القرآن، ص ٤٣.

(٥٤) انظر: العمدة في غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٨، مقدمة المحقق.

(٥٥) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ٢، ص ١٢٠٦. والقيسي، مكي بن أبي طالب، العُمدة في غريب القرآن، ص ٢٩- ٣٠، المقدمة.

(٥٦) على نحو كتاب القرطين، لمحمد بن أحمد بن مطرِّف الكناني، المتوفى سنة ٤٥٤هـ.

(٥٧) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٦، مقدمة المؤلف.

(٥٨) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الباء، ص ٣٨-٣٩.

(٥٩) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الراء، ص ٢٠٧.

(٦٠) انظر الإتقان، جـ١، ص ١٣٣؛ وكشف الظنون، جـ٢، ص ١٢٠٨.

(٦١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي أبو الفرج، توفي سنة ٥٩٧هـ، واسم كتابه في هذا الموضوع «الأريب بما في القرآن من الغريب» انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، جـ٢، ص ١٢٠٨.

(٦٢) حقق الكتاب سمير طه المجذوب، ونشره في بيروت ١٩٧٣م، كما حققه أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ونشراه في بغداد ١٩٧٧م. وقد نشر نشرات سابقة في القاهرة سنة ١٣٣٢هـ، وفي حماة سنة ١٣٤٥هـ، انظر ص ١٤ من مقدمة الكتاب (نشرة بغداد).

(٦٣) انظر مقدمة الكتاب، ص ٢٧- ٢٨.

مصادر البحث

– **الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة**، المؤسسة المصرية العامة للنشر، القاهرة ١٩٦٤م.

– **الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد:المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د.ت).

– **الأنصاري، أبو يحيى زكريا: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، حققه وعلق عليه محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م.

– **الباقلاني، أبو بكر: إعجاز القرآن**، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م.

– **الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

– **حاجي خليفة، مصطفى عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى – بيروت.

– **أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الحياني: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

– **الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم: غريب الحديث**، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، جامعة أم القرى، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

– **الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، القاهرة**، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

– **الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت.

- **السجستاني، أبو بكر، عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث: المصاحف،** مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع – القاهرة (د.ت).
- **ابن سلام، أبو القاسم: – اللغات في القرآن،** رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. – **ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل،** مطبوع بذيل «ت فسير القرآن العظيم» للإمامين الجليلين: جلال الدين السيوطي، وجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- **أبو صفية، جاسر خليل: معرب القرآن – عربي أصيل،** دار أجا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- **السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر: – الإتقان في علوم القرآن،** دار الفكر، بيروت – لبنان ١٣٦٨هـ. – **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب،** تقديم وتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة. مطبعة فضالة – المحمدية – المغرب (د.ت).
- **ابن الضريس، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى: فضائل القرآن، وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة،** تحقيق ودراسة الدكتور مسفر بن سعيد دماس الغامدي، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **ابن عباس، عبد الله: – مسائل نافع بن الأزرق،** حققها الدكتور محمد أحمد الدالي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، قبرص، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. – **غريب القرآن،** عرض وتعليق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، بولاق، القاهرة، ١٩٨٨م (إيداع).
- **أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي: مجاز القرآن،** تحقيق محمد فؤاد سزكين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

– **ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها**، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

– **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله مسلم: تفسير غريب القرآن**، تحقيق أحمد صقر، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، القاهرة ١٩٧٨م.

– **القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م عن طبعة دار الكتب المصرية.

– **القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: – العمدة في غريب القرآن**، حققه وعلق عليه وخرج نصّه: يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

– **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

– **ابن الملقّن، سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد: تفسير غريب القرآن**، تحقيق سمير طه المجذوب، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

– **الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب غريب الحديث**، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف ومراجعة عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية — القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

– **اليزيدي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك: غريب القرآن وتفسيره**، حققه وعلق عليه محمد سليم الحاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

المعجم العربي المعاصر
في نظر المعجمية الحديثة

أ. د. محمد رشاد الحمزاوي

«كان مجمع اللغة العربية بدمشق أوّل من سبق [إلى طرح قضايا اللغة] في ظروف كانت اللغة العربية تواجه فيها أزمة كبيرة، قد حتمت على تلك الهيئة الجديدة أن تقوم برهان صعب من شأنه أن يعيد إلى العربية شبابها، وأن يـــزودها بالطـــرق والمناهج التي تساعدها على أداء المفاهيم التي يستوجبها التقدم، والتي يحتاج إليها الناطقون بها»(١).

I- مدخل:

لقـــد ســـبق لـــنا أن عبرنا عن الرأي المذكور أعلاه في الدراسة التي كنا خصّصناها لمجمع اللّغة العربية بدمشق قبل غيره(٢). ولا غرابة من أن يواصل مجمعنا المشوار ويطرح قضية هي في الصميم تحتاج إلى مزيد من العناية، فضلاً عما قامت بـــه مؤسســـات عربية مختلفة وأخص بالذكر منها مجمع اللغة العربية بالقاهرة(٣)،

---

(١) محمد رشاد الحمزاوي: مجمع اللغة العربية بدمشق والنهوض باللغة العربية — دار التركي للنشر ص ٥ — ٦ تونس ١٩٨٨- وقد صدر هذا العمل بالفرنسية بعنوان:
L'Académie Arabe de Damas et le probléme de la modernisation de la langue Arabe -Brill- Leiden 1965.

(٢) نفسه.

(٣) محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة — دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٨ في ٦٣٧ صفحة، وقد صدر باللغة الفرنسية سنة ١٩٧٥ بتونس، وعرضـــنا فيـــه أعمال المجمع في الميدان المعجمي، إذ وضع معجم ألفاظ القرآن،=

وجمعية المعجمية العربية بتونس[٤]، ومن آزر ذلك من أهل الذكر في الأقطار العـــربية وخارجها[٥]. ولا شك في أن طرح قضية المعجم العربي في رحاب هـــذا الصـــرح العلمي العربي الرائد، وبهذا الشكل، وفي الظروف الحالية، يوحـــي بأننا أمام إشكالية مازالت قائمة، إن لم نقل أزمة دائمة من زمان، على جلال قدر ما بذل من جهود مختلفة لمعالجتها، تستحق – في هذا المقام بـــالذات – أن نقـــف منها موقف التأمل طمعًا في التوصل إلى اقتراحات يُرتَضَى اعتمادها.

وتقديـــرنا موصول لمجمع اللغة العربية بدمشق على عزمه على دعوة الفكر اللغوي والمعجمي العربي النقدي إلى أن تركز العناية على هذه القضية التي تستوجب، حسب رأينا، أن نقف منها موقفين أساسيين:

أ) مقاربـــتها مقاربـــة معـــرفية ونقديـــة عميقة تتحاشى على وجه الخصـــوص طرفين مستبدين في هذا الميدان: غنائية مفرطة آراؤها وحلولها،

=والمعجـــم الوســـيط، والمعجم الوجيز، وتخلى عن معجم فيشر التاريخي، واهتم بالمعجم الكبير الذي هو بصدد الإنجاز.

(٤) جمعية علمية جامعية كونتها سنة ١٩٨٢ ثلة من المهتمين باللسانيات والمعجميات الدولية والعربية، وهي تصدر «مجلة المعجمية» التي بلغت سنة ٢٠٠١ عددها ١٥. ولقـــد عقدت منذ نشأتها ندوات دولية عربية تهتم بالمعجم وقضاياه، ومنها الندوة المخصصة للمعجم العربي التاريخي (متع) والتي صدرت في العددين ٥و٦ من مجلة المعجمية تونس ١٩٩٠، ٥١٥ صفحة.

(٥) انظـــر في هذا الصدد أعمال حسين نصار، ووحدي رزق غالي وغيرهما وكذلك أعمال J. Haywoorth Dunne. ومحمد علي الخولي.

وردية خلابة لكنها لم تسمن و لم تغن من جوع، وبكائية سوداوية تحبط العزائم.

ب) الاقتصار على اللغة لإصلاح اللغة وما إليها من أسس فنيّة وحضارية دون الوقوع في الهامشيات المذهبية والسياسية والغوغائية مبنى ومعنى، والتي حالت دون معالجة القضايا الأساسية المتعلقة بموضوعنا.

ولا شك في أن المعجم عمومًا، وبالأحرى المعجم العربي، مسألة حمّالة وجوه، لأن طبيعته ووظيفته تكونان إشكالية معرفية وفنيّة وحضارية مستديمة تطرح من الرؤى والخيارات والمنهجيات والتقنيات المتحركة، ما يكيف كمًّا وكيفًا هذه الأداة الذاكرة الجماعية، وما تحتوي عليه من قضايا معرفية وعلمية وثقافية وحضارية، كل واحد منا طرف فيها بقدر ما ينتظر منها أن تكون حسب منظوره شاهد صدق وعدل على الخطاب العربي في جميع مستوياته، سواء المفضّلة منه أو المعيشة، وحظها منه من دون إقصاء مبدئي مطلق مسبق استبدت به تناقضات ثلاثة لابد أن نبت في شأنها بجرأة وعزم وهي: التوقيفية – والغبن – واستبداد طبقة الأدباء بشأنه.

II – التوقيفية اللغوية والمعجمية:

وعندنا أن «التوقيفية» هي أولى القضايا التي تستحق الاعتبار، لأن عروقها مازالت متمكنة من الذهنيات والخيارات إلى اليوم. وهي مقولة قد عرفتها لغات كثيرة ومنها اليونانية. فلقد اختلف اليونان في أصل اللغة الطبيعية الإنسانية باعتبارها ملكة طبيعية بحتة عبر عنها بمصطلح فوسال (QUGEL)، أو نتاجًا مصطلحيًا متواضعًا عليه عبّر عنه بمصطلح فيسال (VEGEL) ولعل هذا الخلاف كان سببًا في الحرب اللغوية اليونانية سنة ١٩١٠ بين دعاة

الفصاحة (Katharasouva)[٦]، واللغة الشعبية الجماهيرية (Demodi)[٧]، التي ناصرها اللاجئون منهم إلى الإسكندرية بمصر في العصور الحديثة. ومن المحتمل أنّه كان لهذين المفهومين صدى في الذهنية اللغوية والمعجمية العربية التي قالت بـ «التوقيف» و«الاصطلاح»، وقد عرض قضاياهما وجدلهما العنيف أحيانًا جلال الدين السيوطي في المزهر[٨]، بالصدر منه، وأطلق عليها مصطلحات أخرى منها «الإلهام» و«الوضع».

فالتوقيفية حسب رأينا ذهنية لغوية تمثل رصيدًا من التصورات اللغوية والمعجمية التي تستحق حصرها، فمنها:

١ – **التوقيف**: ولعله كان مظهرها الأول في الثقافة المعجمية العربية إن اعتبرنا سمته العقائدية التي تفيد في نظر بعضهم أن مفردات اللغة الأصلية التي على المعجم جَمْعُها والعناية بها، موحاة للإنسان معنى ومبنى وكما وكيفًا باعتبار الآية الكريمة ﴿وعلّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلّها﴾[٩]. ولقد ظل هذا التصور عالقًا بالأذهان وإن كان ابن جنّي قد خرّج الآية تخريجًا مرضيًا بمعنى

---

(٦) ويعني بها الصفاء والصحة المتمثلة في الرصيد التراثي «الفصيح» اليوناني المستمد من كبار شعرائه.

(٧) ويعني بها الشعب، ومنها Democratie/ Democraty أي حكم الشعب والأغلبية. وسنعود في مقارنة لاحقة لهذين المفهومين وأثرهما في التفكير اللغوي والمعجمي العربي. ولقد وفقت اليونانية في العصور الحديثة إلى المصالحة بين النزعتين في التعليم ابتدائيًا وثانويًا وعاليًا.

(٨) جلال الدين السيوطي – المزهر (د.ت) – المكتبة العصرية – صيدا بيروت ج١/ ٨– ٢٧.

(٩) قرآن كريم – البقرة ٢/ ٣١.

«أقدر آدم»[١٠]. إلا أن ذلك لم يمنع من تجذر نظرةٍ غيبيةٍ للرصيد اللغوي والمعجمي تستند إلى مرجعية ضاربة في الدهر لا نصوص لها تبررها، مما حدا ببعضهم إلى أن قال «ذكرها في الأصول فضول»[١١]. غير أن آثار التوقيف مازالت ظاهرة في تعلق بعض اللغويين بمقاربة تراثية تقليصية تتمثل في تفضيل القديم – وكأنه موحى – على الحديث، إلى حدّ السذاجة. ألم يفضل بعضهم الخشكنان الفارسية القديمة على البسكويت الغربية؟[١٢]. وهما في الأعجمية سواء، والله أعلم بما إذا كانت الأولى تؤدي معنى الثانية. ومن هذا القبيل الذي أوقف مفردات اللغة ومعاجمها كثير، باعتبار: ما كان سيكون، ولا يوجد أحسن مما كان، ولا جديد تحت الشمس. وينقلب هذا التوقيف بسبب طبقيته رصيدًا مرفوضًا لا حظ له من الاستعمال. فيصبح توقيفًا مهجورًا مضعفًا يسد مداخل معجمية متعددة تقوم مقام مداخل مهمشة معجميًا، ضاربة في الاستعمال والتخاطب مما يؤول حتمًا إلى عزل المعجم عن محيطه. ولنا في نصوص معاجمنا الحديثة نماذج من المفيد تخصيص دراسات لها.

٢– التضمين: وهو نوع من التوقيفية في مستوى الجملة وتراكيبها المتنوعة، البسيطة منها والمعقدة، العميقة منها والسطحية على حدّ تعبير اللسانيين التحويليين التوليديين. وتقتضي توقيفية التضمين التي تصيب اللغة في آلية عطائها وتوليداتها الضخمة أن يعود التركيب «المخالف» إلى أصله

---

(١٠) السيوطي، المزهر ١/ ١١.

(١١) نفسه ص ٢٦.

(١٢) جاءت مذكورة في محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

«الصائب». ولقد طبق التضمين[١٣]، على آيات كثيرة من القرآن الكريم: مـــن ذلـــك قوله تعالى: ﴿ولا تأكُلُوا أموالَهم إلى أموالِكم إنه كان حُوبًا كبيرًا﴾ [١٤]. وهي آية قد ضمن فيها «أكل» معنى «ضم»، حتى يخضع التركيب لقاعدة توقيفية عامة ويتعدى بإلى، مما يعني فرض نموذج موقف سابق، أو رفض استعمال أسلوبي جديد يحمل وجوهًا متنوعة من اللغة، تعبر عن مفاهيم حديثة، وبالتالي يمنع باسم التضمين وفنّياته التوقيفية، أن تتجاوز اللغة ومعجمها القرآني حدود النحو والبلاغة إلى آفاق الأسلوبية وإسهاماتها الإبداعية والجمالية.

ولقد وظّف «التوقيف» و«التضمين» توظيفًا لم تبرره لغة القرآن وأساليبه التي تجاوزت باللغة مرحلة التأصيلية إلى رحابات المجازية الخصبة، كما يشهد بذلك مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م) الذي لم ينل إلى الآن حقه لضبط منـــزلته من وضع أسس أسلوبية عربية تستحق العناية، وكما أبدى من بعد ذلك الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) في معجمه: أساس البلاغة[١٥].

---

(١٣) محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع القاهرة ص ٣٥٧ وما بعدها حيث الحديث بالتفصيل عن هذه القضية.

(١٤) قرآن كريم – سورة النساء ٤/ ٢.

(١٥) محمد رشاد الحمزاوي، النظريات المعجمية العربية وسبلها إلى الإحاطة بالخطاب العربي – دار بن عبد الله – تونس ١٩٩٩ ص ١٥٥ وما بعدها حيث الحديث عن إسهام الزمخشري في وضع أسس الأسلوبية المعجمية.

٣- الفصاحة بفصيحها وأفصحها: لكل لغة فصاحة تتقيد بها على أساس تصورات لغوية مبررة لها صلة وثيقة بالمجتمع الذي ينطق بها ويستعملها أداة تواصل يوميًا في حدود ما يقرب من ٩٠ في المئة على أقل تقدير، شريطة أن تراجع تلك الفصاحة ومقاييسها انطلاقًا من ذلك المجتمع واستعمالاته لها في جميع مستوياتها، من معجزها وفصيحها إلى العادي منها والشعبي، حتى ولو كانت تلك اللغة تعتمد لغة مشتركة Lingua Franca(١٦)، لغايات عقدية، وتربوية وثقافية وحضارية، حتى لا تكون معزولة تاريخيًا واجتماعيًا فوقية «بنكرونية»(١٧)، فوق التاريخ والمجتمعات وحاجاتها ومفاهيمها، وما لها من مفردات وتراكيب وأساليب تهم المعجم وتكيفه.

ولقد سعت التوقيفية في لغتنا إلى أن تضيق الخناق على معجمنا باعتماد مفهومي الفصيح والأفصح، وهما من المواصفات التي تطلق على المداخل المعجمية في كل معاجمنا القديمة والحديثة لتمييزهما وتفضيلهما على أصنافها الأخرى. فالفصيح مفهوم يعتبر من ركائز الفصاحة، ومن أرقى مفردات اللغة، شريطة أن يكون من كلام العرب الذين يعتد بعربيتهم – ممن لا صلة لهم مباشرة بالحضارات الكبرى من فرعونية وفارسية ويونانية وبيزنطية. فالفصيح بدوي أساسًا، انعزالي يوهم بلغة صافية نقية، ذات مستوى واحد أوحد لا بديل عنه، لا يأتيها التلوث من قبل ولا من بعد، سليمة من المعربات والدخيلات واللهجات، مما ينفيه قطعًا واقع اللغة المعيشة.

---

(١٦) عبد الرزاق بنور: مجلة المعجمية عدد ١٥/ ٢٠٠١ ص ٢٧- ٤٨.
La lingua Franca et l'hypothèse de la «Relexification».

(١٧) فوق الزمانية Panchronic/ Panchronique.

إن هذه التفاوة المطلوبة وبالأحرى المنشودة، حتى في عصورنا الحديثة، مراتب، لأن فوق الفصيح الأفصح – كما يشهد بذلك نقد لغة الجرائد – قدوة بالحديث الشريف: «رتب الفصيح متفاوتة. ففيها فصيح وأفصح. ونظير ذلك في علوم الحديث تفاوت رتب الصحيح. ففيها صحيح وأصح»[١٨]. فالبرّ أفصح من القمح والحنطة، وإن لم يرد واحد منها في القرآن الكريم، والقمح والحنطة مستعملان والبر مهجور «وفي الصحاح: ضرب لازب أفصح من لازم»[١٩]. وقد جاء في القرآن الكريم ﴿إنّا خلقناهم من طين لازب﴾[٢٠]. حيث لا تقوم لازب مقام لازم. فندرك من الأمثلة السابقة دور التوقيفية الترتيبية التفضيلية المتشددة، فضلاً عن أن «لازب» المهجور لا يؤدي بالضرورة معنى لازم، وإن كان إبدال الميم باء لأسباب صوتية وارد، دون أن يؤول إلى ترادف دلالي. ولا داعي بنا إلى مقارنة اللغة باعتماد معايير علم آخر، وبالأحرى الحديث الشريف الذي كثيرًا ما يروى بمعناه لا بلفظه، مما حدا بكثير من اللغويين والمعجميين إلى إقصائه من الشواهد المعجمية، لولا ابن منظور الذي اعتمده في لسان العرب، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أقرّه مصدرًا أساسيًا من مصادر اللغة، فخلص المعجم من التوقيفية ومن فصاحة الفصيح والأفصح المربوطين بالزمان والمكان[٢١]، وبالأحرى من أولوية فصاحة الوبر وتفضيلها على فصاحة الحضر المنتشرة الغازية: «وفي فقه اللغة للثعالبي:

---

(١٨) السيوطي – المزهر ١/ ٢١٢.

(١٩) نفسه ص ٢١٣.

(٢٠) قرآن كريم – سورة الصافات ٣٧/ ١١.

(٢١) محمد رشاد الحمزاوي: العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، المعهد القومي لعلوم التربية تونس ١٩٨٢ ص ١١– ٢٩ حيث الحديث عن مراجعة أصول الفصاحة قديمًا وحديثًا.

يقال للرجل الذي إذا أكل لايبقي من الطعام ولا يذر: (قحطي)، وهو من كلام الحاضرة دون البادية»[٢٢]. ومن هذا القبيل المتخلص من الفصيح والأفصح كثير ذكره السيوطي في معجمه تحت باب «معرفة المولَّد»[٢٣]، وإن كان في هذا المفهوم التوقيفي نظر باعتباره جاء بعد عصور الفصاحة[٢٤]، التي آلت حسب رأينا إلى فصاحات، منها فصاحة المولد[٢٥].

ولقد سعى مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى التحرر من هذه الذهنية التوقيفية بأن فتح باب القياس من جديد باعتبار قول المازني ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب[٢٦]. وزاد في «التيسير» بلّةً لما دعا إلى السماع من المحدَثين وأهل الحرف والصنائع. وأدرج في مداخل معجمه الوسيط زيادة على الفصيح والدخيل (د) و«المعرب» (مع)، مواصفتين جديدتين وهما: المجدثة (محدثة) والمجمعية (مج).

ولكنه ظل في نهاية الأمر مرتبطًا بمفهوم توقيفي نسبيًا، نابعٍ من العرقية والزمانية والمكانية، وهو «المولد» (مو) الذي لا يسلم من الطعن، ويستوجب الاعتبار والنظر، وإن كان ابن جنِّي (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) قد حسم ذلك بقوله المشهور: يستشهد بشعر المولدين في المعاني كما يستشهد بشعر العرب

(٢٢) السيوطي، المزهر ١/ ٣٠٦ – ٣٠٧ ويرى المعلق بالمزهر أنها عراقية.

(٢٣) نفسه ص ٣٠٤ وما بعدها.

(٢٤) وقد حددت بالقرن الثالث وقيل الرابع بالبوادي والقرن الثاني وقيل الثالث بالمدن.

(٢٥) مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الوسيط جزآن ١٩٦٠، المقدمة ص ١٤.

(٢٦) مبدأ أساسي في تصور المعجم المفتوح على الزمان والمكان.

في الألفاظ[٢٧]

فقدم لنا ربطًا محكمًا ومقاربة لامعة تقر تطور اللغة من مرحلة إلى أخرى، وتواصل حقبها من خلال أصولها وفروعها مما خلّصها والمعجم من النظرة الدونية التي تُنـــزِل المولّد منـــزلة فصيحٍ من مرتبة ثانية. لكن ما هي مواصفات هذا المولد الوارد ذكره في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، وما هي صلاته بالمعرب والدخيل والمحدث والمجمعي؟ سعى المعجم الوسيط في مستوى التنظير إلى التمييز بينها. فالمولد: هو «اللفظ الذي استعمله الناس قديمًا بعد عصر الرواية، والمعرَّب: هو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو الزيادة والقلب، والدخيل: هو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير: كأكسجين والتليفون، والمجمعي: هو اللفظ الذي أقره مجمع اللغة العربية، والمحدَث: هو اللفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامة»[٢٨]. أما في مستوى التطبيق، فلقد لاحظنا أن مدخل «التخت» موسوم بسمة المعرب (مع)، وكذلك بسمة المولّد (مو)، وأنّ تراخوما مجمعية (مج) فحسب، وتراجيديا دخيلة (د)، والتفافة مولدة (مو) ودموع التماسيح محدثة (محدثة). وقد جاءت مداخل من دون ذكر مواصفاتها مثل: التاريخ والتنور والترجمان كأنها عربية وفصيحة. ولا شك في أن التشويش المنبثق عن التوقيفية أساسًا غالب في هذه المصطلحات

(٢٧) السـيوطي المزهر ١/ ٥٦، والملاحظ أن مفهوم «العرب» المقابل «للمولّدين» لا يـنفي العروبة عنهم بالضرورة وكذلك العجمة، وإن كان المراد منه عمومًا العرب والأعاجم الذين عاشوا بعد عصور الفصاحة زمانًا ومكانًا.

(٢٨) المعجم الوسيط جـ١/ ص ١٤.

المعجمية، فرواية اللغة تعزَى لـــ «الناس» و«الأجنبي» و«العرب» و«مؤسسة المجمع» و«المحدثين»، كما أن «المولد» مقصور على القديم بعد عصر الرواية، وأن «المعرب والدخيل» لا عصور لهما حتّى وإن كانا من عهد الفصاحة أو المولد أو الحداثة، وأن «المجمعي» كذلك لا زمان له بالتحديد مثل «الحداثة» التي تبدو مختلفة عنه. وفي انتظار تنظيم تلك المفاهيم وتدقيقها فإن المطلوب عمومًا أن تركز العناوين المداخل على ثلاثية نوعية:

(١) العربي (٢) المعرَّب (٣) الدخيل

باعتبار أن الأول خاضعٌ بفصيحه وأفصحه ومولده وشعبيه للقياس العربي الكلاسيكي عمومًا، أو متصلٌ به. ولا يحتاج إلى صفة تذكر أمام مداخله إلا في معجم تاريخي بالأرقام مثلما هو الشأن في معجم أكسفورد ومعجم ليترى، والثاني ملتزم أوزانَ العربي ولو نسبيًا، والثالث خارج عنها يحتاج إلى ضبط وتقنين[٢٩]، مع وصف هذه الثلاثية بصفات:

القديم (ق) والمحدث (مح) والمجمعي (مج)

لأن (١) و(٢) و(٣) مواصفات لغوية مبررة ثابتة و(ق) و(مح) و(مج) مواصفات زمانية متحولة مهما كان نوعها، وبالتالي نربط، ولو شكليًا، بين الثابت والمتحوّل تخلصًا، ولو نسبيًا، من التوقيفية في انتظار وضع نظام لأصناف المداخل أكثر دقة.

---

(٢٩) محمد رشاد الحمزاوي: النص المعجمي في المولدات والأعجميات – مجلة المعجمية عدد ١١/ ١٩٩٥ ص ٩ – ١٩.

٤- **النخبوية**: وهي مظهر من التوقيفية المتشددة التي تعنى بمظهرين حديثين نسبيًا من اللغة في مستوى «العامية» ولغة الصحافة. إن الأدبيات الرافضة لهذين الصنفين من المفردات والتراكيب تتميز بعنفها وبأحكامها المطلقة، وإن كان السيوطي قد زودنا في مزهره بعينات من «العامي» القديم[٣٠]. وهو يبدو «صنفًا» من «المولد» حسب أمالي ثعلب «في أمالي ثعلب: سئل عن التغيير، فقال: هو كل شيء مولد». وهذا ضابط حسن يقتضي أن كل لفظ كان عربي الأصل ثم غيرته العامة بهمزٍ أو تركه أو تسكين أو تحريك، أو نحو ذلك مولد. وهذا يجمع منه شيء كثير. وقد مشى على ذلك الفارابي (ت نحو ٣٥٠هـ/ ١٢٧٥م) في «ديوان الأدب». فإنه قال في الشمْع والشمْعة بالسكون، إنه مولد، وإن العربي بالفتح. وكذا فعل في كثير من الألفاظ[٣١]. وفي هذه القضية القديمة جدال كبير لم نبت فيه ولم نحتجّ له بما فيه الكفاية بسبب استبداد توقيفية نخبوية لا تقبل بمثيل عينات السيوطي المفيدة، وإن كان المعجم الوسيط قد اتخذ حلاً وسطًا، فأثبت الشمع بالسكون والشّمعة بالتحريك.

وتتواصل القضية الحديثة في مستوى الآداب العربية المعاصرة الإبداعية قصة ورواية ومسرحًا وشعرًا وغناء وعلومًا، والتي زودتنا برصيد لغوي معرفي ونفساني واجتماعي وثقافي وجمالي وحضاري لايزال واقفًا على الحدود، ينتظر تأشيرة دخول إلى رحاب العربية وخطاها ومعجمها. أليس «العامي» – بدون رنة دونية إقصائية – بهذا المنظار «مولدًا» يحتل، بمعربه

(٣٠) السيوطي، المزهر ١/ ٣١١- ٣٢٠.

(٣١) للمعجم الوسيط ١/ ٨٥ نفسه ص ٣١١.

ودخيله، المرحلة الثالثة من مراحل العربية ويستحق العناية، على الأقل في مستوى ما هو مشترك مطرد منه عند كل الناطقين بالعربية؟ فيخصص له حيّز مهم من مداخل المعجم إذ «يجمع منه شيء كثير» كما قيل سابقًا؟.

ولقد سعى مجمع اللّغة العربية إلى إدراجه في معجمه باحتشام كبير، لاسيما إذا كان على وزن عربي مثل «التفاف (شامية) وهو المعروف في مصر باسم الجعيضيض» و«المزّين: الحلاق – وصفّاف شعر النساء، وهي مزينّة» (مو)[٣٢]. وقد دعا نفس المجمع كما أشرنا سابقًا إلى السماع من المحدثين من أهل الحرف والصنائع. وأكد مصطفى الشهابي على ضرورة اعتماد هذا المستوى اللّغوي في تصنيف المواليد[٣٣]، قدوة بابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) في مفرداته، وأشار محمد كرد علي إلى عجائب اللّهجات[٣٤]، واعتبره الشيخ عبد القادر المغربي صنفًا من أصناف الكلمات القاموسية[٣٥]، التي يؤخذ بها، وجاهر الروائي العربي التونسي بشير خريف بخطر الفصحى على العربية[٣٦].

---

(٣٢) الملاحظ أن المولد هنا يشمل العامي، القريب من عامي المزهر للسيوطي.

(٣٣) مصطفى الشهابي: المولّد، مجلة مجمع القاهرة ١٣/ ٩١ – ٩٤، ومحمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة ص ٢٧٩.

(٣٤) محمد كرد علي: عجائب اللّهجات، مجلة مجمع القاهرة ٧/ ١٢٨– ١٣٧.

(٣٥) الشيخ عبد القادر المغربي: الكلمات غير القاموسية، محاضر جلسات مجمع القاهرة ١/ ٢٩٧ – ٣٢١– ٣٣٠.

(٣٦) استثمر هذا الروائي العربية العفوية الشعبية بمهارة في رواياته المشهورة معتبرًا أن العربية الفصحى مرحلة من مراحل العربية.

إن موقف النخبوية التوقيفية يهمش خطاب شرائح اجتماعية حديثة كثيرة على غرار موقف النخبوية القديمة، وإن كانت أكثر تفتحًا واعتدالاً كما جاء في مزهر السيوطي السابق الذكر. والمنتظر أن يدخل المعجم ذلك المستوى اللغوي بأوزانه المطردة الغالبة المشتركة بعدما يوصف ويقنّن، فيضيف إلى العربية أوزانًا ومقاييس هي من صلبها، شريطة ألا يؤول إلى «التفصيح» كما فعل أحمد تيمور في إعادة مفرداته إلى أصولها الفصيحة في معجم الألفاظ العامية، وإن كان ذلك مطلوبًا في المعاجم التأصيلية طبقًا لوظيفتها.

أما لغة الصحافة فحدث عنها ولا حرج، وتستدعي أن يجمع ما خصص لها من الأدبيات والتصويبات لندرك آثار التوقيفية في القضية وفي اللغة العربية الحديثة ومقدراتها المرفوضة التي يسعى مستعملوها من المتعلمين والمثقفين والصحافيين والأدباء والمتخصصين إلى الاستفادة من وجودهابالقوة الذي شمل كل ميادين الحياة، إلا أنها لم تسلم من التوقيفية التراثية التي ترجمت البورجوازية باللهازم والديبلوماسية بالعهادة، والشـيوعية بالمشاعية وOpportunistes بالمداورين... إلخ.

والملاحظ أنه لو خُصِّص للغة الصحافة من العناية والتأهيل والتوظيف ما خُصِّص لنقْدها ورفضْها جملة وتفصيلاً في الواقع وفي الذهنيات، لاستفاد منها المعجم العربي استفادة كبيرة، ولم يقبر الرصيد اللغوي الهائل الذي تعامل معه المواطن العربي على حقب كثيرة دون أن يظل شاهدًا عليه وعلى قضاياه وجـدله الوجـودي ﴿وكانَ الإنسانُ أكثَرَ شيءٍ جَدَلاً﴾[٣٧].

(٣٧) قرآن كريم – سورة الكهف ١٨/ ٥٤.

لم يؤخذ برأي اليازجي في ضرورة جمع معجمها[٣٨]، واستأثر بذلك المستشرقون من أمثال الألماني هنس فير والفرنسي دنيال ريغ في معجميهما المستقرأين من جرائدنا. ولاشك في أننا نجد في أعمال مجمع القاهرة جهودًا من هذا القبيل نستشفها من مشروعه المتواصل تحت عنوان «الألفاظ والأساليب»[٣٩]. وكان أول من نبه للقضية المرحوم أحمد العوامري، وهو من الرعيل الأول من المجمعيين. والمطلوب أن يعنى بهذا الموضوع في حد ذاته في جميع المؤسسات المختصة. وذلك ما دعانا إلى الإفادة من الصحافة العربية بتونس فوضعنا **معجم المفاهيم الحضارية**[٤٠]، من خلال جريدة الرائد الرسمي التونسي (١٨٦٠- ١٩٠٠). ونحن حريصون على مواصلته إلى حدود سنة ٢٠٠٠ اقتناعًا بأنه زوّدنا وسيزوّدنا بمفاهيم ومصطلحات لا وجود لها في لسان العرب[٤١]. إن معاجمنا الحديثة، ومنها الوسيط مدعوة إلى العناية بهذا المظهر الخصب من لغتنا في العصور الحديثة.

٥- المذهبيات: ومن مظاهرها تطويع اللغة لقضايا لا صلة لها مباشرة بذاتها وحد ذاتها، خلافًا لما دعت إليه اللسانيات الحديثة وما زودتنا به من منهجيات وصفية وعلمية لمواجهة التوقيفية التقليدية التي كثيرًا ما تحول

(٣٨) وقد خصص للقضية مؤلفًا عنوانه: «لغة الجرائد» مشهور ورائد.

(٣٩) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الألفاظ والأساليب – القاهرة ١٩٨٥، ٣٢٢ صفحة (الجزء الثاني).

(٤٠) محمد رشاد الحمزاوي: معجم المفاهيم الحضارية – مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية تونس ١٩٩٨- ٣٤٧ صفحة.

(٤١) سواء في شكلها أو دلالاتها.

قضايا اللغة والمعجم إلى مهاترات وهامشيات تفسد للفكر والعقل والود كل قضية، وتؤول أحيانًا إلى نوع من الإرهاب الفكري باسم العقيدة والقومية والاستشراق والصهيونية...إلخ التي تستعمل لاستصفاء حسابات كثيرة على عاتق اللغة والمعجم.

ولا شك في أن للغة والمعجم مظاهر حضارية واجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها تعلقًا بالذات العميقة، والمخزون التراثي الجماعي المعقلن، وحق الشرائح الاجتماعية الغفيرة في التعبير عن حاجاتها بلغاتها الغالبة كما أشرنا إلى ذلك. وللتوقيفية الراشدة في هذا الميدان إمكانات إيجابية واسعة، فهي مؤهلة لأن تكون طرفًا في منهجية علمية لو التزمت بما يسمى بالمستقر من اللغة، وهو: السنكروني في فتراته ومستوياته المختلفة، ووصفته وربطته بالمتحرك منها وهو الديكروني، كما ربط ابن جني بين الألفاظ والمعاني، لأخرجتنا من دوامة اللغة البنكرونية الأزلية الصفاء.

إن التركيز على التوقيفية مصطلحًا[٤٢]، ورؤى لغوية ومعجمية، لا يعني الدعوة إلى مقاربات لغوية ومعجمية همجية فوضوية، بل إلى العناية بظاهرة تجاوزت مرحلة «التوقيف» إلى ذهنية تكاد تكون مستديمة تستحق الاهتمام بها وتسخير إيجابياتها وإيجابيات غيرها لوصف اللّغة من جديد في حركتيها وتطورها واعتمادها مرآة صادقة صدوقة عن الإنسان العربي في مجتمعاتنا بكل شرائحها. ولنا في المعاجم الأوربية مثل معجم أكسفورد أسوة حسنة من خلال رصيده الهائل الذي صالح بين أرصدة اللّغة وسخرها لكل

---

(٤٢) استعملنا المصدر الصناعي عوضًا «عن التوقيف» للتعبير عن أنها أصبحت ذهنية مذهبية أكثر منها آلية لغوية.

ما ينتج ويبدع؛ فمتى سنتخذ القرارات اللّغوية والمعجمية لتجاوز مرحلة التوقيفية إلى قدرة تُقْدِرُ الإنسان – حسب تعبير ابن جنّي – على تعلم الأسماء كلها في ماضيها وحاضرها ومستقبلها مثلما دعا إلى ذلك الخليل من قبله باعتماده منهج التقليب بمستعمله ومهمله، ليرصد المنتظر الذي يبشرنا بمعجم مثالي تفوق قدرته ١٢ مليون مدخل وزيادة(٤٣)، لم تبلغ معاجمنا الأمهات منه ١٠ في المئة.

III– منــزلة المعجمية في الذهنية العربية:

يبدو لنا أن هذه المنــزلة قد تأثرت كثيرًا بما للتوقيفية من سلبيات إلى حد غبنها ولو نسبيًا مقارنة بالعلوم الأخرى في الذهنية اللغوية العربية، ونعني بالغبن الوجوه الموضوعية التالية:

أ – تنــزيــلها منــزلة ثانوية ملحقة تكاد تكون تكميلية إن لم نقل جانبية هامشية، وإن كان لا يُعنَى بالمعجم من شاء، فأصحاب معاجمنا كانوا دائمًا من الأدباء الموسوعيين خلافًا للنحويين والبلاغيين والعروضيين الذين بــرزوا في ميادينهم وعرفوا بها. فلم يروِ لنا تراثنا أخبارًا عمن ادعى أنه معجمــي أو معاجمي أو قاموسي مثلما نطلق ذلك اليوم على المتخصص في هــذا الــباب. فالمعجم كان يدعى «الكتاب المصنَّف في اللغة» والمعجمي «مصــنِّف جمع اللغة» نقلاً عن السيوطي في مزهره(٤٤). ولم يطلق مصطلح المعجــم عــلى أمهات معاجمنا قديمها وحديثها حتى الثلاثينيات، إذ ظهر

(٤٣) محمــد رشــاد الحمــزاوي: الخليل بن أحمد الفراهيدي ونظريته المعجمية، مجلة المعجمية عدد ٩– ١٠/ ١٩٩٣، ص ١١– ٢٨.

(٤٤) السيوطي، المزهر ١/ ٧٦.

مصطلح «المعجم» في الدستور الأساسي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وبلائحته الداخلية.

ب – غياب برامج تدريسية وبحثية جامعية تعنى بالمعجم في القديم وفي البرامج التدريسية الحديثة(٤٥)، حتى السبعينات وبعدها(٤٦)، وإن استثنينا بعض البرامج الاستشراقية في الجامعات الغربية.

ج – غياب مفهوم المدرسة(٤٧)، على غرار المدرسة النحويّة أو البلاغية مثل مدارس البصرة والكوفة وبغداد والقيروان والأندلس... إلخ.

وإن كـــانت مدرسة الخليل تختلف في نظريتها عن مدرسة ابن فارس والجوهري، والفيروزآبادي، وفارس الشدياق وما إليها من «مسائل الخلاف» في موضـــوعنا المطروح، وقد بذل فيه هؤلاء المعجميون اللامعون كل حيل العلم للتخلص من التوقيفية المستبدة، دون أن يتخلصوا منها بما فيه الكفاية.

ولقـــد بادرنـــا إلى العناية بهذا الرصيد القديم والحديث وما إليه من إيجابيـــات، فحظـــي بتونس منذ سنة ١٩٦٩ بمنـــزلة في التدريس والبحث تتســـاوى بالعـــلوم اللغوية الأخرى بكلية الآداب من الجامعة الوطنية، وما وراءهـــا من قضايا وشهائد ورتب جامعية. وتكونت من أجله جمعية علمية

---

(٤٥) ظلت المعجمية والمعجم مغبونين في أغلب البرامج بكليات الآداب العربية.

(٤٦) لم يـــكن للمعجمية والمعجـــم أثر بجامعة الإمارات وجامعة السلطان قابوس في ١٩٩١ و١٩٩٤ حتى أقحمناها في برامج قسم العربية حتى درجة الماجستير.

(٤٧) حســـين نصـــار: المعجم العربي نشأته وتطوره – جزآن – دار مصر للطباعة ١٩٥٦ كان أول من استعمل مفهوم «المدرسة» في عمله الوصفي والتاريخي القيم للمعجمية والمعجم العربي.

متخصّصة وهي «جمعية المعجمية العربية بتونس سنة ١٩٨٢»، وآزرتها بمجلة علمية عربية دولية لا نظير لها بالعالم العربي وهي «مجلة المعجمية» الصادرة سنة ١٩٨٥، وقد بلغت أعدادها ١٥، سنة ٢٠٠١، وخصصت الجمعية للقضية سلسلة متواصلة من الندوات العربية الدولية منها «ندوة المعجم العربي التاريخي (متع)» المنعقدة بتونس في سنة ١٩٩٠[٤٨].

وقد آتت تلك الجهود أُكُلَها من خلال الجدال والخلاف – وفي الخلاف رحمة – عندما أدرجناها في نطاق الدراسات والنظريات اللسانية والمعجمية الحديثة، وتجرأنا لأول مرّة على القول بنظريات معجمية عربية ممكنة[٤٩]، أو ملحقة بها[٥٠]، لأننا سعينا إلى أن نقرأها قراءة جديدة على ضوء سلبيات التوقيفية وإيجابيات العلوم اللسانية الحديثة.

ولا يمكن لنا أن ننسى في هذا المضمار الجهود المبذولة في العالم العربي، سواء للتاريخ للقضية[٥١]، أو لوضع معاجم مجددة معرفيًا وتربويًا وحضاريًا، لا سيما في رحاب مجمع اللّغة العربية بالقاهرة[٥٢]، وفي

---

(٤٨) انظر حاشية رقم ٤ من هذا البحث.

(٤٩) محمد رشاد الحمزاوي: النظريات المعجمية العربية السابق الذكر حيث فصّلنا في الموضوع.

(٥٠) محمد رشاد الحمزاوي: نظرية النحت العربية، دار المعارف، سوسة/ تونس ١٩٩٩، ١٩١ص وفيها التأكيد على مدرسة ابن فارس المعجمية الكوفية المقابلة للمدرسة المعجمية الخليلية البصرية وما وراءها والمدرسة الزمخشرية المكية وأتباعها، فضلاً عن مدرسة الشدياق الحديثة.

(٥١) وقد أرّخ لها حسين نصّار السابق الذكر.

(٥٢) ومعاجمه مذكورة سابقًا في هذا البحث.

المؤسسات الوطنية العربية والإقليمية سواء الجامعية منها أو الثقافية(٥٣)، مع الإشارة إلى أن تلك المبادرات تستوجب وصفها وجمعها ومقارنتها طمعًا في ضبط محاولاتها من أجل التجديد العميق، والتخلص بكل عزم من التوقيفية وسلبياتها، طبقًا لما تقتضيه المعجمية والمعجم بالاستناد إلى النظريات اللسانية الحديثة، ولما تستدعيه حرفة المعجم من آليات وتكنولوجيات لأنه أصبح صناعة(٥٤)، قائمة الذات في سبيل تجديد المعارف وعلوم التربية، والشهادة على المعالم الثقافية والحضارية.

وفي هذا السياق سَعَيْنا إلى أن نضع في اللّغة العربية الأسس النظرية(٥٥) والتطبيقية للمعجم والمعجمية الصالحة لكل اللّغات وفي مقدمتها العربية. وقد فصلنا في الموضوع في مكانه إسهامًا منا في عرض قضاياه الحديثة، مركزين على وجه الخصوص على مفهوم **النص المعجمي وخطابه**(٥٦)، باعتباره الأرضية الأساسية في نطاق قضيتنا ومفتاحها لمعالجة مسائلها بوضوح وعمق وجرأة.

---

(٥٣) مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) التي وضعت المعجم الأساسي لغير الناطقين بالعربية.

(٥٤) ولقد لَمح إلى تلك الظاهرة وأهميتها عدنان الخطيب في كتاب «المعجم العربي بين الماضي والحاضر». فضلاً عن أمثلتها في الغرب من خلال معجم أكسفورد مثالاً.

(٥٥) محمد رشاد الحمزاوي: ظاهرة المعجمية.. مقاربة نظرية – المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة ١٩٩٦، ١٠٨ صفحة.

(٥٦) يشمل هذا الخطاب التعريفات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والشواهد والبلاغية والأسلوبية وما يتصل بها من أدب وتاريخ، وفقه وحديث...إلخ. وحتى الصورة والتكنولوجيات بأنواعها.

ولم نهمل، ربطًا بما سبق، قضية «الفصاحة» في منظورها الحديث، فدعونا إلى تركيزها على نظام التقييس(٥٧)، المعبر عنه بالإنكليزية والفرنسية بمصطلحي «Standardization» و «Normalisation»، المطبق اليوم على اللغات المعاصرة الرائدة. ومفاده اعتماد مبادئ وقواعد لغوية، تعالج معالجة حاسوبية رياضية، لتوحيد مداخل المعجم، لا سيما مداخله العلمية. وتتلخص تلك المبادئ الكيفية والكمية في قواعد (١) الاطراد – (٢) يسر التداول – (٣) الملاءمة – (٤) التوليد اللغوي(٥٨) – (٥) المراجعة – (٦) التجديد. حرصًا منا على وضع المعجم العربي مداخل ونصوصًا وفصاحة في مدار العلوم الحديثة، مما دعانا في مناسبات كثيرة إلى عرض هذا المشروع على الدوائر العربية في ندوات ومؤتمرات كثيرة عليه دون أن ينزل منزلة التنفيذ إلا ما ندر(٥٩).

إنّ هذه القضايا الموصوفة قديمًا والمقترحة جزئيًا(٦٠)، في الحديث، تستوجب منا أن نعرض ولو بعجالة، ومن خلال عينات من المعجم الوسيط لمجمع اللّغة العربية بالقاهرة، بعض العناصر الأساسية المطلوبة لاقتراح بنية المعجم المنتظرة القابلة طبعًا للمراجعة والتطور.

(٥٧) محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتنميطها – دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٨٦، ١٣٠ صفحة.

(٥٨) انظر الملحق رقم ١ المخصص لتقييس كلمة تليفون في العربية المعاصرة.

(٥٩) تبنّاها مكتب تنسيق التعريب في الندوة المنعقدة بعمان بالتعاون مع مجمع اللغة العربية الأردني سنة/ ١٩٩٣.

(٦٠) ويدخل في ذلك مقترحات مجمع اللغة العربية المحدودة المتحشمة.

IV– بنية المعجم العربي المعاصر: المعجم الوسيط[٦١] منطلقًا:

لابد أن نقرّ أن هذا المعجم يمثل ثمرة من ثمرات جهود مجمع اللّغة العربية بالقاهرة استفادة من الأدبيات النقدية المتعلقة بالقضية، وإيفاء بما جاء في دستوره ولائحته من مشاريع تتجاوز سلبيات التوقيفية، وتسنّ قواعد لمقاربات معجمية متنوعة. وعلى هذا الأساس اتخذناه عينه، فضلاً عما تميز به بكونه أول معجم جماعي عربي يصدر عن مؤسسة علمية محكّمة قد التزمت بقرارات علمية كثيرة في هذا الشأن، وغنمت من تجارب مجمعيين من مشارب مختلفة ومن عطائهم.

فهو: معجم وسيط، وسط وظيفته تربوية أدبية ثقافية، لأنه موجه للطلاب والأدباء والمثقفين، يربط بين التراثيات والحداثيات لأن «للّغة ماضيًا وحاضرًا. فلها قديمها الموروث وحاضرها الحي الناطق»[٦٢]، وهو لا يقر للفصاحة زمانًا ولا مكانًا «فيستشهد فيه بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي أنشئ فيه، وتثبت الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور أو فرضها تقدم الحضارة ورقي العلم»[٦٣].

ولقد طالبت به وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٣٦ فهو «لا يقل في

(٦١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المعجم الوسيط – جزآن – ١٩٦٠– أشرف على إخراجه المجمعيون إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، وأنجز طبعه عبد السلام هارون.

(٦٢) نفسه، تصدير إبراهيم مدكور ص ٦.

(٦٣) نفسه.

نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبية»[٦٤]. مما احتج له المجمعيون الأربعة المكلفون بإخراجه في التقديم المخصص له. ولذلك جاء على النظام الألفبائي الاشتقاقي، وشملت مداخله التراثي والمولد (مو) والمعرب (مع) والدخيل (د)، والمحدث (محدث) والمعجمي (مج) الجديدين، وحتى «العامي» الذي لم يحظ في مداخله برمزٍ[٦٥]، يميزه مثل غيره.

وكان أول من بادر بنقده المجمعي العربي من سورية المرحوم عدنان الخطيب الأمين العام لمجمع اللّغة العربية بدمشق، وقد اعتمدنا نقده في رسالتنا الجامعية عن أعمال مجمع القاهرة، كما أننا كنا أول من آزره في رحاب المجمع المذكور لما اشتد النقاش في هذا الشأن بينه وبين المرحوم الدكتور بيومي مدكور رئيس المجمع القاهري آنذاك.

ولقد أشار إلى ذلك في إهدائه كتابه «المعجم العربي بين الماضي والحاضر». فذكر بتلك المناسبة بخط يده «هدية المؤلف إلى الصديق القديم الأستاذ الدكتور رشاد الحمزاوي أول من دافع عن رأي ارتأيته في المعجم الوسيط. وكان من المشجعين على إعادة طبع هذا الكتاب – دمشق ١ رمضان المبارك ١٤١٤»[٦٦].

وليس مرادنا هنا أن ندخل في مقاربة تتعلق بما لهذا المعجم وما عليه. ولقد كفانا عدنان الخطيب وغيره مؤونة ذلك سواء في مظاهره الإيجابية

---

(٦٤) نفسه ص ٧.

(٦٥) يشار إليه بمصدره «شامية» و«في مصر» ...إلخ.

(٦٦) عدنان الخطيب – المعجم العربي بين الماضي والحاضر – ط. ١٩٩٤، ص١.

الغالبة أو السلبية منها.

وسيكون اقتصارنا على عنصر من عناصر البنية المعجمية الحديثة التي نروم عرضها ولو باختصار في هذا البحث، ونعني بذلك النص المعجمي في معجمنا المذكور، نظرًا لما لهذا النص من أهمية نعتبرها من ركائزه الجوهرية. فما عسانا نلاحظ في النصوص المعجمية الواردة في المداخل المذكورة بالصفحة ٧١[٦٧]، من معجمنا المعني بالأمر؟ إننا نجد ما يلي:

أ – مداخل «دخيلة» كثيرة تبلغ ١٢ مدخلاً (البندق، البندقي – البندقية – البندول – بنـزهير – البنـزين، البنط – البنفسج، تبنك – البنك – بنكام – بنكنوت). وهي تقابل ١٧ مدخلاً عربيًا، بمجموع الصنفين ٢٩ مدخلاً، مثل الدخيل منها ٣٥٪، مما يشير إلى تفتح المعجم الوسيط على هذه الشريحة مما يسميه الدخيل والمجمعي والعامي (البنّي بالكسر) وهو يعنى بمصطلحات نباتية واقتصادية.

ب – أضاف إلى التعريف بالمرادف التعريف بالصور التي خصصها لأربعة مداخل مما يمثل نحو ١٣,٨ ٪ من مجموع ٢٩ مدخلاً.

ج – جاءت مداخله معرفة حسب مناهج مختلفة:

* – بالمنطق أي بطبيعة الشيء ووظيفته. وتبلغ ١٢ مدخلاً، والباقي معرف بالترادف.

* – اعـتمد التعريف بالاستشهاد بالشعر في مدخلين: بنك، وبنى، وهو ما يمثل ٧٪ من مجموع المداخل.

---

(٦٧) المعجم الوسيط ج١/ ٧١ سنة ١٩٦٠.

* – مـــن النصـــوص ما هو طويل أو متوسط، وفيها ما يكاد يكون قحلاً مثل البنك، وتبنك عزه.

* – من المداخل ما لا تذكر مواصفته اللغوية مثل البندق وهو معرب (مع) حسب الجواليقي. وذلك شأن البندقي والبندقية والبنك وتبنك لأنها على أوزان عربية. ويدخل تحت الدخيل (د) البنفسج والبنـــزهير والبنـــزين مع ملاحظة اعتماد أداة التعريف في مداخل دون غيرها. فهي مستعملة في البندق والبنط والبندول وغائبة في بنـــزهير وبنكنوت.

فما نستخلص من هذه المداخل ومن نصوصها المعجمية؟ إنها:

– مداخل مكونة من «معيجمات» (كلمة واحدة) بسيطة مفردة لا تزاحمها معيجمات مركبة، وإن كانت بنكنوت (Bank) note من هذا القبيل أصلاً، ولا معقدة (مكونة من ثلاث كلمات فأكثر).

– النص المعجمي يستوجب عنوانًا، وهو مدخله، وشروحًا وتفسيرات تسعة على أقل تقدير ليست موفرة كلها في مداخلنا المختارة من المعجم الوسيط كما سنرى ذلك عند حديثنا عن بنية النص المعجمي في نطاق بنية عناصر المعجم المطلوبة؛ مما يفيد أن المعجم يستوجب أن يركز على مقاييس لسانية ومعجمية منتظمة مترابطة، مستمدة من رؤى ونظريات لغوية أساسية وخيارات مساعدة.

وهنا نصل إلى بيت القصيد، ونعني بذلك العناصر الأساسية التي تستوجب على المعجمي التّقيد بها شروطَ لزومٍ لوضع معجمه وهي:

-١- **الجمع والوضع:** وهما مصطلحان وردا في مقدمة لسان العرب لابـــن منظور، ويكونان ثنائيًا لسانيًا معجميًا دوليًا مترابطًا؛ فالأول يرادف

مفهـــوم «المحـــتوى»، والثاني مفهوم «الترتيب»، ولابد منهما لإنجاز المعجم الـــنموذج، كما أشار إلى ذلك ابن منظور الذي قال «أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه. وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع، مع رداءة الجمع»[٦٨].

فالمعجم لا يسلم من التأرجح بين الحسن والجودة، والإساءة والرداءة، مما يوحي إلينا بأن المعجم المثالي يطلب فلا يدرك، وأن كل معجم نموذج نسبي، لابد من مراجعته وتطويره.

ويقابل «الجمع» مفهوم «Corpus»، و«الوضع» مفهوم Ordre /Order اللسانيين الغربيـــن. فالأول منهما يفترض ضبط المصادر والمراجع المكتوبة والمقولة حسب كل المستويات، أو المستويات المتفق عليها[٦٩]، المحددة زمانًا ومكانًا لا خروج عليها باعتبار المعجم الموضوع ووظيفته الأساسية. ولقد سعت معاجمنا الأمهات التقيد بمفهوم «الجمع» دون أن تحافظ عليه، فكان السبق في هذا الميدان لابن فارس في مقاييسه[٧٠]، وابن منظور في لسان

(٦٨) ابن منظور الإفريقي – لسان العرب – المقدّمة.

(٦٩) كـــان ابـــن فارس أول من اعتمد على خمسة مراجع في مقاييسه وهي «كتاب العين»، للخليل و«الجمهرة» لابن دريد و«إصلاح المنطق» لابن السِّكِّيت، و«غريب الحديث» و«الغريب المصنف» لأبي عبيد.

(٧٠) ابـــن مـــنظور الإفـــريقي وقـــد اعتمد على خمسة مراجع كذلك: «التهذيب» للأزهـــري، و«الصـــحاح» للجوهري، و«المحكم» لابن سيده و«النهاية» لابن الأثير الجزري، و«حواشي ابن برِّي».

العرب[٧١]. ولسنا نعلم ما هو «الجمع» الذي اعتمده الوسيط[٧٢]؛ المهم أنها كانت ومازالت حسب نسب متفاوتة واضحة في هذا الميدان للتلفيق والتداخل، مما يجعل من العسير التفكير في الاستعانة بها لوضع معجم عربي تاريخي أو عام، لأنها لم ترض بالتمييز بين معجمة اللّغة في استقرارها وقرارها النسبي السنكروني[٧٣] وفي مرحلة معينة، وفي استنفارها وتطورها عبر حقب متواصلة معينة ديكرونية[٧٤]، وإن كانت الحالتان متواصلتين مترابطتين.

إن مداخل معاجمنا القديمة والحديثة لا تعتمد على بطاقة تعريف تشهد على تاريخ ميلادها ومكانها، ومستواها الذي أخذت منه. فهي مطموسة الذاكرة عمومًا، خلافًا للمداخل الواردة في معجم أكسفورد الإنكليزي ومعجم ليتري الفرنسي، وما تفرع عنهما من معاجم وظائفها مختلفة. ولقد سعينا إلى استعادة تلك الذاكرة في معجمنا «**المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية**»[٧٥] الاصطلاحي المستمد من مصادر عربية حديثة محددة زمانًا ومكانًا وموضوعًا، وذلك ما حرصنا عليه كذلك في معجمنا «**معجم المفاهيم**

---

(٧١) محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع القاهرة السابق ص ٥١٣ وما بعدها حيث يركز أساسًا على المصادر والمراجع القديمة بالنسبة للمعجم الوسيط.

(٧٢) رغم المصادر والمراجع المختارة المذكورة أعلاه والتي لم تستثمر استثمارًا تاريخيًا.

(٧٣) وهـــو ما يقابل **Synchronique /Synchronic** وهو التزامني – المستقر في زمن واصفه.

(٧٤) وهو ما يقابل **Diachronique /Diachronic** وهو التطوري حسب حقب.

(٧٥) محمد رشاد الحمزاوي: معجم المصطلحات اللغوية الحديثة – تونس الجزائر سنة ١٩٨٧ – ٣١٨ صفحة.

الحضارية» السابق الذكر المستقى من الصحافة العربية التونسية المعاصرة، وبالأحرى من الرائد الرسمي التونسي (١٨٦٠؟- ١٩٠٠).

أما الوضع أو الترتيب فأمره يبدو أهون، لأنه يستوجب أن ترتب مداخل المعجم خارجيًا[٧٦]، حسب حاجة المستفيد منه، ومن ذلك أن المعجم المدرسي يدعو إلى ترتيب مداخله ترتيبًا ألفبائيًا، دون أن يكون بالضرورة اشتقاقيًا لتعسر ذلك على الأحداث. ويأتي الترتيب **داخليًا بالاشتراك أو التجنيس**. فالاشتراك الذي استبد بمعاجمنا، إلا ما ندر منها، غالب فيها ويتطلب أن تدرج تحت المدخل الواحد مفاهيم أو معان كثيرة متداخلة إلى حد الخطأ، لأنه يوهم أن كل المعاني ترجع إلى أصل واحد أساسي (انظر مدخل الكريك في المعجم الوسيط مثلاً لأنه ليس من كرك ولأنه مأخوذ من لغات «دخيلة» ثلاث لا رابط بينها).

ويهدف الوضع أو الترتيب بالتجنيس إلى غايات تربوية تاريخية حضارية متصلة بمفهوم الجمع السابق زمانًا ومكانًا وموضوعًا، فضلاً عن أنه يميز بين المداخل (المعيجمات) البسيطة والمركبة والمعقدة، أي إنه يتدرج في مراتب الاستعمال مهما كانت أنواع المداخل، سواء أكانت أسماء أم أفعالاً. فهو يخصص مدخلاً مستقلاً لكل معنى من البسيط إلى المعقد مثل:

(١) العين: الجارحة.

(٢) العين: منبع الماء.

(٣) عين القوم: سيدهم.

---

(٧٦) ويعني بالترتيب الخارجي: الصوتي (الخليل) الألفبائي (ابن فارس)، بأواخر الكلمات (ابن منظور) الموضوعي (ابن سيده في المخصص... إلخ).

(٤) عين الذهب: خالصه.

(٥) عين على الناس: جاسوس.

ولقد زاحمت المداخل المركبة والمعقدة المداخل البسيطة المفردة، لا سيما في المعاجم التقنية والتكنولوجية، مثلما يشهد على ذلك المداخل التالية الواردة في معجم مصطلحات الاتصالات الدولي الإنكليزي الإسباني الفرنسي الذي أشرفنا على نقله إلى العربية لتستفيد منه ٢١ وزارة عربية في البريد والاتصالات – ولذلك نجد في ذلك المعجم المداخل التالية(٧٧):

١ – دافع:

Drive – Propulseur – Propulsor

٢ – آلية التحريك:

Drive mechanism – Mecanisme d'entrainement-Mecanismo de arraste.

٣– تنويع بترددين:

Dual frequency diversity
Diversité à deux fréquences
Deversidad con dos frecuencias

٢– الوظيفة: المعجم لا يقاس بعدد مداخله فحسب، بل بأهدافه وبكيفياتها، وبالأحرى بوظيفته التي تأخذ بعين الاعتبار أولاً وبالذات حاجات المستفيدين منه. فمعجم الطلاب أو معجم السياح أو معجم التكنولوجيي:ن بقدر ما يعتمد المبادئ العامة للمعجم، يلتزم كذلك بفنيات ومنهجيات لها صلة وثيقة بالتكنولوجيا. وذلك ما لم تؤكد عليه معاجمنا

(٧٧) الاتحاد الدولي للاتصالات International Union of Communication – معجم مصطلحات الاتصالات Glossary of Telecommunication Terms– جنيف ١٩٨٧– ص ٢١٩ والمعجم يحتوي على ١٠٠٥ صفحة.

القديمة والحديثة، وما لم تقبله الذهنيات العامة أو المتخصصة إلى الآن. فالتعريف الدلالي في المعاجم العلمية كثيرًا ما يعتمد التعريف بالمنطق الذي يصف المدخل المعجمي بطبيعته ووظيفته، خلافًا للتعريف الأدبي الذي يستوجب الترادف والصرف والنحو... إلخ.

ورأينا أن الكيف هو الذي يحدد الكم لا العكس. وعلى هذا الأساس فإن المعجم معاجم: الأحادي اللغة، وثنائيها ومتعددها، والعام والمتخصص، والتزامني والتاريخي والتأصيلي، والتقابلي والتجانسي، والمقارن والمعرب والدخيل والوصفي والسياقي..إلخ. فالوظيفة تفرض مواصفاته من حيث جمعه ووضعه وزمانه ومكانه ونصه المعجمي وخطابه ومستوى لغته أو لغاته (راقية، عادية، وسطى، شعبية، علمية، سوقية، بذيئة..إلخ).

ولقد سعت معاجمنا إلى أن تعتمد مفهوم الوظيفة، فأصابت بقدر لا سيما المتخصصة منها. ونذكر على سبيل المثال «المعرب» للجواليقي الذي يعتبر مثالاً للمعجم الفني العربي الدولي إن اعتبرنا زمانه.

أما لسان العرب فلقد أدّى في رأينا وظيفة المعجم المتحف، جمع فيه ما هب ودب، متجاوزًا وظيفة الصحة الانكماشية في صحاح الجوهري، لأنه كان يهدف إلى حماية العربية من الاندثار أمام هجوم التركية والفارسية ولأنه «صار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفلك

وقومه منه يسخرون وسميته لسان العرب»[٧٨]. وكانت جل معاجمنا دفاعية في سبيل لغة مشتركة موحدة آلت في بعض الأحيان إلى توقيفية لم تسلم من التلفيق والتداخل، والتقليد والتكرار.

٣– النص المعجمي وخطابه: لقد كنا أول من دعا إلى الاهتمام بهذين المفهومين وإدراجهما في المعجم عمومًا، وفي المعجم العربي على وجه الخصوص، وكانا غائبين. فالنص المعجمي وخطابه قد أثارا حفيظة التقليديين والتوقيفيين بطبيعة الحال ممن نزلوه كما رأينا منــزلة ثانوية مهمَّشة، وهاجموا كل مبادرة تدعو إلى تأصيل هذين المفهومين في الأذهان، لأن للمعجم أولوية في هذا الميدان على كل العلوم، فهو مجمع مقولاتها وعلومها وآدابها بأنواعها وشواهدها، شعرها ونثرها. وتكون نصوصه خطابات لا تحصى ولا تعد مما ينــزله منــزلة مجمع البحار. فهو النص الأكبــر Macrotext (e) والخطاب الأكبر Macrodiscours (e). فهو يشابه النص الأدبي أو العلمي بعنوانه المتمثل في «المدخل» وبمحتواه المتمثل في تعريفاته وشروحه وشواهده، مع اختلاف في مواصفاتهما. وهو يتكيف حسب وظيفة المعجم كما ألمحنا إلى ذلك سابقًا.

وكنا سَعَيْنا إلى تصور نموذج للنص المعجمي جمعًا ووضعًا كما هو وارد في المخطط بالملحق رقم (٢) من هذا البحث، وغايتنا منه منهجية تنظيمية تدعو إلى الالتزام بعناصره الأساسية، مع ضرورة تطويرها، ودرءًا للخلْط والتداخل والفوضى الموسوعية، أو التخليط والانكماش إلى حد القحط والقحالة، مما وفر لنا نصوصًا وخطابات غير متوازنة، لا تتقيد

(٧٨) ابن منظور الإفريقي – لسان العرب – المقدمة.

بعناصر لغوية لابد منها حتى يؤدي المعجم وظيفته بما فيها من حسن وجودة حسب تعبير ابن منظور الإفريقي في لسان العرب. فهو مركب من عنوان مدخل وتعريفات تسعة[٧٩]، لابد منها ولا داعي إلى التفصيل فيها لأنها واضحة في المخطط الملحق المذكور أعلاه.

ويكفينا هنا أن نشير إلى أن النص المعجمي جمعا ووضعا خيار لا يستغنى عنه وعن عناصره الأساسية التي تتكيف بطبيعة الحال حسب وظيفته، حتى يظل المعجم أداة جماعية معرفية وعلمية وتربوية وثقافية شاهدة علينا وعلى مجتمعاتنا.

٤ – الخطاب المعجمي ومدى شهادته على مجتمعه: لا يمكن أن نقر أن للمعجم وظيفة لغوية بحتة دون سواها، فالشعوب قد اتخذته منذ القدم وسيلة لتسجيل مآثر فكرها وتصورها للكون، ومرآة عاكسة لمعارف ذاتية وجماعية تستحق النظر. أليس من المفيد أن نخصص دراسة للأسباب التي دعت الخليل إلى تصور معجم مفتوح، والجوهري إلى معجم مركز على الصحة وتقشفها، ومجمع اللغة العربية إلى طرح تجديد المعجم العربي؟ ولقد سبق أن ذكرنا ما حدا بابن منظور إلى وضع لسان العرب. إنها قضايا جديرة بالاعتبار نرجو أن تحظى بالدراسة والبحث في نطاق علوم معجمية تتجذر وتنمو في رحاب الجامعات والمعاهد والمؤسسات المتخصِّصة في

---

(٧٩) وهي (١) التعريف الصوتي – (٢) الصرفي – (٣) النحوي – (٤) الدلالي – (٥) السبلاغي – (٦) المجازي – (٧) الأسلوبي (٨) بالشاهد – (٩) بالصورة. ويتفرع كل واحد إلى فروع وليس من الضروري أن تطبق كلها في النص الواحد باعتبار وظيفة المعجم، وهي مطلوبة أساسًا في المعجم العام.

المستقبل.

ومرادنا أساسًا هنا لفت النظر إلى صلة المعجم ببيئته وقضاياه، مما لم نجد له صدًى في مقدمات معاجمنا القديمة، وإن كانت الحديثة منها، مثل المعجم الوسيط، قد أشار إليها في مقدمته دون أن يزودنا برؤى ومنهجيات ملزمة – ولو نسبيًا – لمقاربة هذه المسألة التي نعتبرها من أهم أهداف المعجم العربي المعاصر، ورأينا أن تعنى بتسخير آليات اللسانيات الحديثة لإثراء هذا الموضوع.

إن للسانيات الجغرافية دورًا أساسًا في إثراء رصيد معجمنا، لأنها مؤهلة لتزويدنا بمعلومات ثمينة لابد منها تدعونا إلى أن نقرأ حسابًا للغات واللهجات التي تحيط باللغة الرسمية التربوية والثقافية والحضارية المشتركة المتطورة المتفق عليها، فلا يجوز أن نقصيها ونهمل ما لها من تعامل وتفاعل مع اللغة الرسمية المفضلة المعزولة في ميادين معينة. فالعربية المشتركة لا تتصور بدون لهجاتها ومددها المشترك الذي يمكن أن يعتمد بعد الوصف والتقنين – مثلما جرى في اليونانية الحديثة – فيوفر للعربية أوزانًا وصيغًا يتفق عليها تشهد على تطورها مثلما شهدت عليه صيغها السابقة. ولابد من أن نأخذ بعين الاعتبار اللهجات واللغات المجاورة[٨٠]، مثل البربريّة والكردية، واللغة الخليط مثل المالطية واللغات الغربية ورصيدها المتجذر في محيطنا لأسباب

(٨٠) في مفهوم الفصاحة القديمة كانت اللغة الفصحى تعزل أساسًا ومبدئيًا عمّا يحيط بها من لغات مجاورة خشية التلوث. والواضح أن هذه الحالة مستحيلة في شأن كل لغـــة مهما كانت «عزلتها». وذلك لا يطبق على العربية واتصالاتها العميقة والثرية باللغات الكثيرة لا سيما لغات الأقطار الإسلامية.

قديمة وحديثة، لا سيما إذا كانت جزءاً لا يتجزأ من معجمنا اليومي المعيش الذي لابد من أن يعكسه معجمنا المشترك بأنواعه حسب مناهج وأهداف متفق عليها، خالصة من التوقيفية والمذهبيات والترهات، ولاشك في أننا سنجد في منهجيات **الأطالس اللغوية** ما يجمع لنا أرصدة الأرياف والقرى والمدن، وإن كانت نادرة اليوم لجمع اللغة بجميع مستوياتها ووصفها والاستفادة منها في معاجمنا.

في اللسانيات الاجتماعية آفاق كثيرة للمعجم، سعت المعجمية الاجتماعية إلى استثمارها. فلقد سبق للمفكر الموسوعي في عصر النور، الفرنسي ديدرو Diderot أن أسس لهذه المقاربة بأن أشار إلى أن «لغة شعب ما توفر مفردات كلامه، وتعتبر مرآة تعكس بأمانة معارف ذلك الشعب. فيكفي أن نقارن مفردات كلام أمة على مدى حقب مختلفة لنستخلص منها فكرة عما حققته من تقدم»[(٨١)]، فضلاً عما تتميز به تلك اللغة من مواصفات وخصائص مشتركة أو مختلفة أو متنافرة في مستوى شرائحها الاجتماعية المعنيّة.

ولا داعي هنا إلى أن ندخل في المستويات اللغوية الاجتماعية (الأكاديمي والأدبي، والعادي، والشعبي والصوفي، والملاحنة..إلخ) التي لابد من وضع مدونات (Corpus) مصداقة عنها، وتنزيلها من المعجم ومداخله حسب مقاييس متفق عليها وحسب وظيفة كل معجم. ويهمنا بالخصوص

---

(٨١)
Georges Matoré – la méthode en Lexicologie – Paris 1953 – Préface
(المنهجية في المعجمية – تصدير)

في هـــذا النطاق المنهجيات التي يعتمد عليها لاستقراء الشرائح الاجتماعية ولغاتها.

فلقد زودتنا المعجمية الاجتماعية بمناهج متعددة منها العناية بـــ:

❖ – **الأحداث التاريخية** وبالأحرى السياسية والحضارية، وما ينشأ منها من رؤى ومفاهيم تعبر عن تغيرات عميقة كثيرًا ما تطرأ إثر وفاة ملك أو زعيم رائد، أو حرب أو كوارث طبيعية، أو اختراعات علمية تؤسس للخطاب المعجمي وتؤازره وتجدده.

❖ – **جدل الأجيال** على أساس أن مفاهيمها وصراعاتها كثيرًا ما تتولد عنها لغة بل لغات لها خصائصها ورؤاها وخياراتها ومفاهيمها التي هي في تطور مستمر. ويحدد عمر الجيل بمدة وسط تراوح بين ٣٠ و٣٥ سنة تتوفر في غالب الأحيان فيها أرصدة لغوية ومعجمية تستحق أن تجمع وتوصف وتمعجم.

❖ – **الكلمات الشاهدة على زمانها**، وهي كلمات ومفاهيم ليست مطردة بالضرورة. فهي كلمات تتميز بوزنها/ ثقلها المعجمي على غرار الوزن الذري للمادة، لأنها «الشعار المادي المعبر عن حدث فكري واجتماعي يجسم حدثًا حضاريًا». وذلك ما تنبه إليه الشيخ المرصفي بعنايته بالكلمات التالية:

تربية، حكومة، عدل...إلخ التي تغيّرت معانيها الجديدة عن أصولها القديمة. فكلمة ذرة Atome من هذا القبيل، وهي شاهدة على المجتمع الذري الحديث وذلك شأن كلمتي حاسوب/ حسوب Computer /Ordinateur وانترنيت Internet الشاهدتين على عهد الاتصالات والإعلاميات والعولمة.

ولقد تكاثرت هذه الكلمات الشاهدة حتى كادت تبلغ نسبًا من الشيوع مهمة، مما يفيد أن الإنسان المعاصر قد انتقل من مرحلة الوصف والاستطلاع إلى مرحلة الاختراعات والإبداع.

❖ – **الكلمات المفاتيح:** وهي الكلمات بأنواعها البسيطة والمركبة والمعقدة التي ترمز إلى مثل اجتماعي أعلى تختص به حقبة أو مجتمع معين. وهي تعبر عن مبادئ، وعقائديات ومذهبيات من شأنها أن تدل على تغيرات في كيان المجتمع سلبًا أو إيجابًا مثل برجوازية، رأسمالية، اشتراكية، عمالية، وطنية، قومية، استعمار، عالم ثالث لائكية، علمانية...إلخ، وما وراءها.

وفي هذا السياق يمكن أن نعنى بمنهجيات فرعية تركز على:

– العلوم (القانون، علم الاجتماع، البيولوجية، الماورائيات الفيزيا– الفقه...إلخ).

– التقنيات (الحرف والمهن والتخصصات المتعلقة بالجسم والصحة، والاستهلاك، والصيانة... إلخ).

– الجماليات (الفنون الجميلة، التصوير، الرسم، الموسيقى، الرقص، الغناء، الشعر، الرواية، المسرح... إلخ).

ولابد أن نختم هذه المنهجيات بالإشارة إلى منهجية المعجمية الإحصائية (Lexicometrie /Lexicometry) التي تزود المعجم بأنواع الكلمات المذكورة أعلاه من جميع شرائحها الاجتماعية، وتوفر له نسب اطرادها وشيوعها وندرتها، ومواصفاتها ودلالتها واستعمالاتها المقتبسة والهامشية والبلاغية والأسلوبية، وكل ما من شأنه أن يثري النص المعجمي وخطابه

بمحتويات مرقمة دقيقة وموضوعية شاهدة شهادة صدق على مجتمعاتنا.

وفي هذا السياق المتصل بموضوع ندوتنا نطرح قضية المعاجم المطلوبة بالأولوية. ورأينا أن يحظى بها: المعجم التاريخي العربي (متع)، ومعجم الصحافة، والمعجم العام المشترك بمستوياته، والمعجم العلمي المقيس الموحد، والمعجم اللهجي المشترك، والمعجم التأصيلي، ومعجم المترادفات والأضداد...إلخ وهي كلها أدوات عمل وتواصل عربية مشتركة لابد منها لصالح الحوار العربي – العربي.

V– التوصيات: ومقترحنا أن تركز على القضايا التالية:

١– تنزيل المعجمية والمعجم مادة أساسية معرفية وتربوية وثقافية وحضارية من التدريس والبحث في الكليات والمعاهد بالجامعات العربية.

٢– تركيز الدراسات المعجمية على الرؤى والنظريات اللسانية الرائدة في سبيل معجمية عربية شاهدة على مجتمعاتها.

٣– تهيئة المعجمية والمعجم اختصاصًا علميًا جامعيًا وفنيًا وتقنيًا له منافذه العلمية والاقتصادية والحضارية.

٤– ضرورة التعاون على وضع المعجم العربي التاريخي (متع) واعتباره مشروعًا عربياً جماعيًا يستوجب إنجازه في نهاية ٢٠٠٥ على أقصى تقدير.

٥– ضرورة وصف اللغة العربية من جديد، وحسب مناهج وحقب مترابطة متواصلة من جميع الشرائح الاجتماعية لضبط رصيدها باستمرار، وتوفير أرصدتها المتجددة لتجديد النص المعجمي وخطابه.

٦– تكوين شبكة من الكليات والمعاهد والمؤسسات العربية، لتكليفها برضاها وتخصصها طبعًا بوضع معاجم أساسية مطلوبة بالتنسيق مع أهل الذكر بالعالم العربي.

الملحق رقم ١

توضح وتفسر كفاييسه المختلفة على الشاشة الضوئية

أ- تقييس ترجمات Téléphone العربية الواردة في المصادر العربية الموثقة على جذاذات المصطلحات المعنية

الرقم	الترجمات	الاطراد	يسر المعالجة	الحوافز	الملاءمة	المجموع
1	تليفون	9	4	6	9	28
2	هاتف	9	8	8	9	34
3	مِسَرَّة	1	6	6	1	14
4	مِقْوَل	1	6	6	1	14
5	إرْزيز	1	4	4	1	10
6	سماعة كهربائية	1	1	1	1	4
7	سماعة حديث بالسلك	1	1	1	1	4
8	آلة تكلم على بعد	1	1	1	1	4
9	آلة متكلمة	1	1	1	1	4
10	تلغراف ناطق	1	1	1	1	4

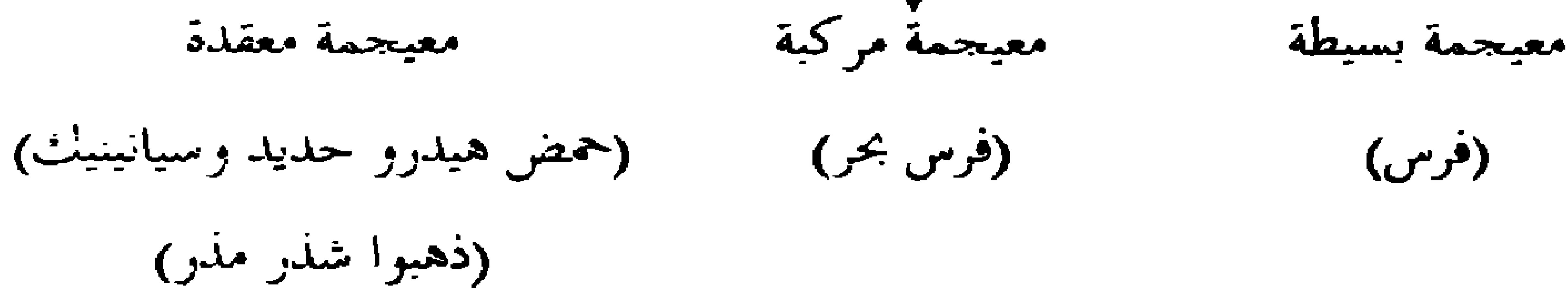
ب- تقييس ترجمات Talkie - Walkie إلى الفرنسية الواردة في المصادر والمراجع الفرنسية الموثقة

الرقم	الترجمات	الاطراد	يسر المعالجة	الحوافز	الملاءمة	المجموع
1	Talkie - Walkie	9	5	10	0	24
2	Émetteur récepteur	6	2	10	10	28
3	Radiotéléphone portatif	1	4	3	3	11
4	Interphone	1	5	6	8	20
5	Top - Toc	1	5	6	8	20
6	Combiné portatif	1 1	5 5	6 6	8 8	20 20

I-النص المعجمي في مستوى الجمع (المحتوى)

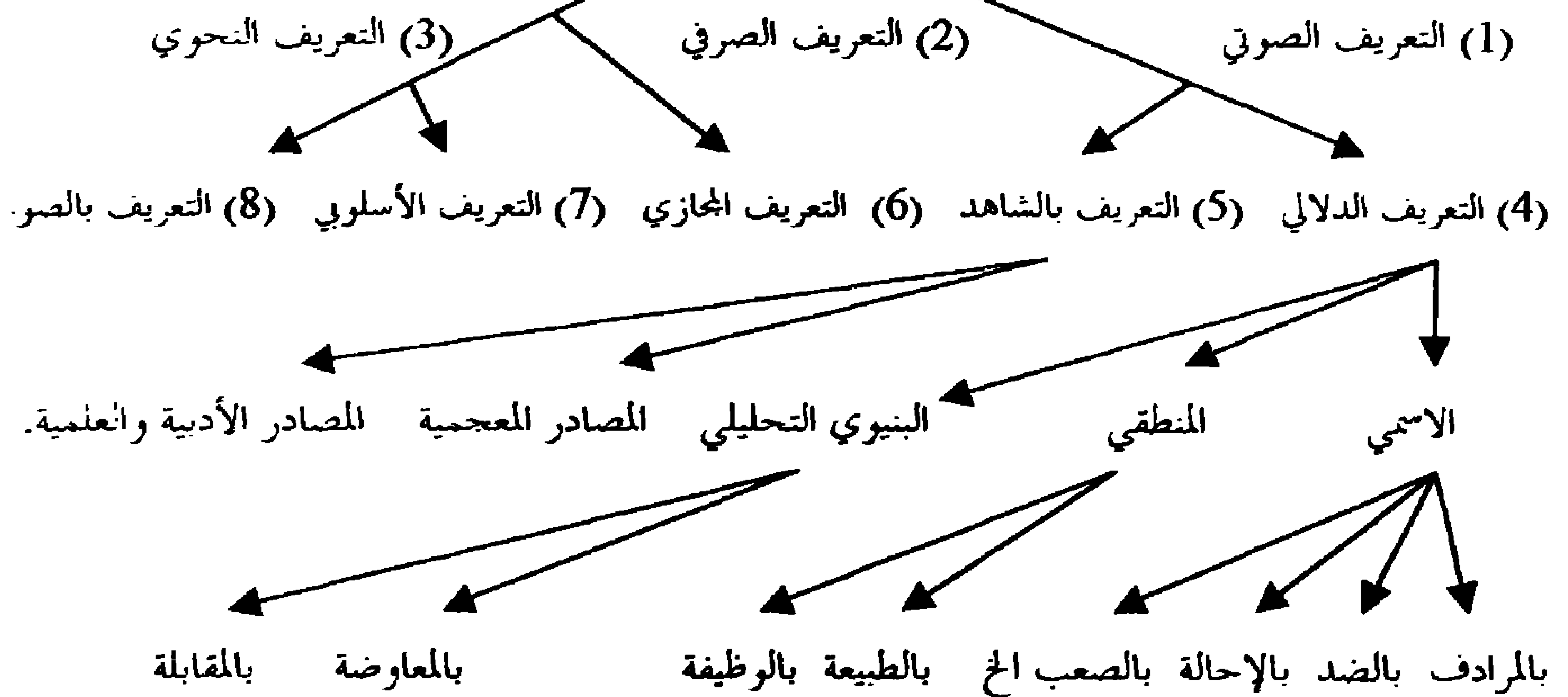
(أ)

المدخل أو العنوان
– عناصره المكونة له –



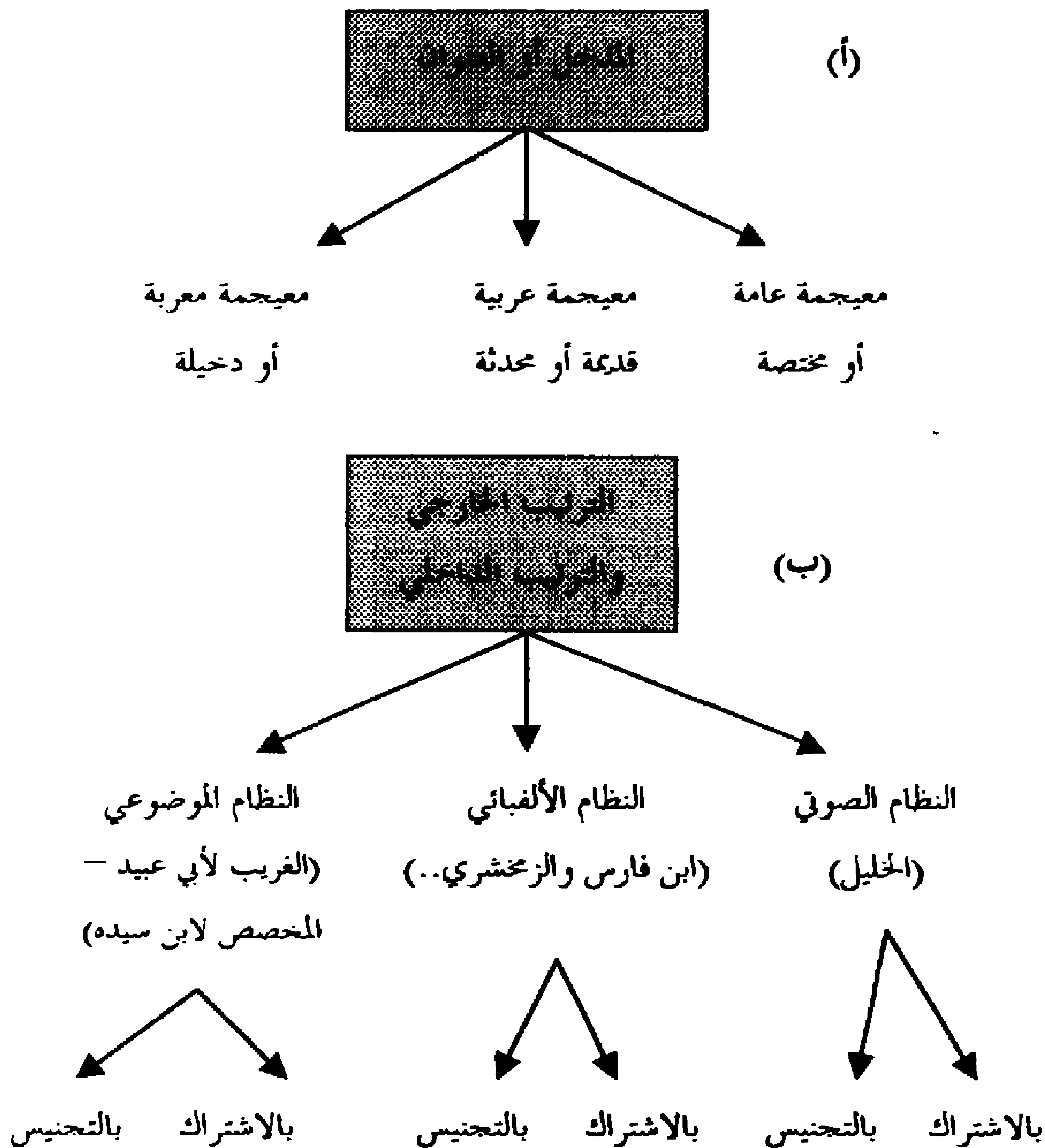
(ب)

النص الخص
– أنواع التعريف –



الملحق رقم (٢)

II–النص المعجمي في مستوى الوضع (الترتيب)



الاستشهاد بشعر المولدين والمعاصرين في المعجم الكبير

د. أحمد بن محمد الضبيب

- ١ -

تمهيد

يعد المعجم الكبير الذي بدأ مجمع اللغة العربية في القاهرة بالتحضير له في الخمسينيات الميلادية، ثم صدر أول أجزائه سنة ١٩٧٠م أهم عمل معجمي لغوي شامل تقوم به مؤسسة علمية في البلاد العربية. ومنذ ذلك الحين صدرت من المعجم خمسة أجزاء آخرها ضم حرف الحاء الذي نشره المجمع سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

لقد هدف هذا المعجم – من الناحية اللغوية – إلى تلبية حاجة الإنسان المعاصر من حيث الشمول اللغوي، ففسح المجال للغة في جميع عصورها، وحاول استيعاب المفردات والاستعمالات التي تمس إليها الحاجة في هذا العصر، ولهذا امتدت النظرة فيها إلى عصور اللغة جميعها منذ عصور الاحتجاج اللغوي إلى عصرنا الحاضر، متجاوزًا بذلك ما سمع عن العرب إلى ما ورد في كتابات المولدين بله المعاصرين، فقد استقر رأي المجمع – كما يقول رئيسه في مقدمة الجزء الأول - «على أن اللغة العربية ليست مقصورة على ما جاء في المعجمات وحدها، بل لها مظان أخرى يجب تتبعها والأخذ عنها، وفي مقدمتها كتب الأدب والعلم، ومن الخطأ أن يرفض لفظ لا لسبب إلا أنه لم يرد في معجم لغوي»(١)، كما رأى: «أن اللغة كل متصل

الأجزاء يرتبط حاضره بماضيه... ومن الظلم أن نقف بها عند حدود معينة، وينبغي أن يعبر المعجم الحديث عن عصور اللغة جميعها، وأن يستشهد فيه بالقديم والحديث على السواء»(٢).

إن هذا الموقف اللغوي يتماشى مع التطور اللغوي الذي تمر به اللغة، وهو منطقي إذا احتفظ لكل عصر بالسمات التي أدخلها على المفردات أو التراكيب – من حيث الصوتيات والبنية والدلالة – دون أن تحملها عبئًا لا تستطيع حمله بنقلها من سياقها المعرفي أو الزماني إلى سياق آخر لا تحمله. ولتحقيق ذلك أكثر المعجم الكبير من الاستشهاد بأشعارٍ لشعراء جاؤوا بعد عصر الاحتجاج اللغوي، وتناقش هذه الورقة طريقة الاستشهاد بهذه الأشعار، وهل حققت هدفًا معينًا يتوخاه المعجم أو يتوقع منه، بحيث دلت على استعمال جديد للألفاظ، أو تطور لمعنى من المعاني على أيدي من استعملها من الشعراء!

يمكن أن تعد هذه الدراسة دراسة استطلاعية إذ تقتصر على الجزء الأول من «المعجم الكبير»، وهو يشتمل على المادة اللغوية الخاصة بحرف الهمزة، ويقع هذا الجزء في ٧٠٠ صفحة، ولكنها – أي الدراسة – تعطي في الوقت نفسه، مؤشرًا على القيمة المعجمية لهذه الشواهد. كما قد تفيد في تسديد ما تبقى من هذا العمل الجبار الذي يؤمل منه نفع كبير. والذي يمثل جهدًا كبيرًا مشكورًا تنهض به منذ عقود من السنين مؤسسة لغوية عريقة.

كان موضوع الشواهد اللغوية والنحوية من الموضوعات المهمة التي تدارسها علماؤنا القدماء ومرت بمراحل عديدة وفقًا لتصور كل عالم منهم، وكان الهدف من هذه الدراسات الحفاظ على نقاء اللغة من أن يشوبها ما

يمكن أن يغير معالمها أو يبتعد بها عن المنبع سواء في الصوت أو البناء أو الدلالة. ولذلك فقد تشدد الرواد القدماء في الاستشهاد بالشعر المعاصر لهم أو القريب من عصرهم، فنجد علماء الطبقة الأولى من اللغويين كأبي عمرو ابن العلاء، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي، والحسن البصري، وعبد الله بن شبرمة يلحّنون الفرزدق والكميت وذا الرمّة وأضرابهم[٣]، ويروى عن الأصمعي قوله المشهور الذي ذكر فيه أنه جلس إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج فما سمعه يحتج ببيت إسلامي[٤]. غير أن هذه النظرة المتشددة لم تسد طويلاً، إذ وجدنا بعض العلماء يجيــز الاستشهاد بشعر الإسلاميين، ويمنع الاستشهاد بشعر المولدين أو المحدَثين كبشار وأبي نواس وابن المعتز وغيرهم، حتى يأتي الزمخشري، في القرن السادس الهجري، فيخرق القاعدة بالاستشهاد بشعر أبي تمام، عند الكلام على تفسير قوله تعالى: ﴿وإِذَا أَظلَمَ عَلَيهِمْ قَامُوا﴾ (البقرة: ٢٠)، محتجًا بورود الفعل أظلم متعديًا في شعر حبيب ابن أوس، معقبًا على ذلك بقوله: «وهو وإن كان محدثًا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنـــزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»[٥]، ومع ذلك فقد اعترض عليه العلماء بأن «قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق، واعتبار القول والاستشهاد به مبني على معرفة الأوضاع اللغوية، والإحاطة بقوانينها، ومن البين أن إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية، فلا يلزم من تصديق العلماء إياه فيما جمعه من الحماسة من أشعار من يستشهد بأقوالهم أن يكون جميع ما في شعره مسموعًا منهم أو مستنبطًا من القوانين المأخوذة من استعمالاتهم»[٦].

ولعل ابن بَرّي (ت سنة ٥٨٢هـ) من أكثر اللغويين الذين استشهدوا بشعر المتنبي، ويعزى إليه ما ورد في (اللسان) من استشهاد بشعره. فقد ورد شعر لأبي الطيب في ثمانية مواضع في (اللسان) سبعة منها نقلها عن حواشي ابن بري على الصحاح، وواحد لم يبين مصدره فيه وهو استشهاده بقول أبي الطيب:

وبهم فخر كل من نطق الضـــــا د وعــــوذ الجــــاني وغوث الطريد

على أن الضاد للعرب خاصة. ولا يبعد أن يكون في نسخة من حواشي ابن بري لم تصل إلينا، إذ إن المادة المتعلقة به غير موجودة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن بري وهي على كل حال نسخة ناقصة.

وقـــد أورد ابن بري شواهد في كتابه لمولدين آخرين كأبي الهندي (ت١٨٨هـ) والعـــتابي (ت٢٠٨هـ) وبشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ) وأبي علي ابن البصير (ت٢٥٥هـ) وأبي العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) وغيرهم.

ونجد الاستشهاد بشعر المولدين ومن أتى بعدهم من الشعراء واضحًا عند السيد محمد مرتضى الزبيدي في (تاج العروس)(٧).

غـــير أن من الملاحظ أن علماءنا القدماء، وإن ذكروا أبيات المولدين في كتـــبهم، فإنهم لا يستدلون بها على صحة اللغة بقدر ما يفسرون ما جاء فيهـــا عـــلى ما سمع عن العرب، أو ما أورده العلماء القدماء، ولذلك فإننا كـــثيرًا ما نرى ابن بري يقدم لهذه الشواهد بعد إيراد الرأي اللغوي بقوله: «وعـــليه قـــول المتنبي..» أو نحو ذلك(٨)، فاستعمال أبي الطيب يتوافق مع المسموع، لكنه ليس دليلاً على صحته.

وعنصر آخر يمكن أن يلاحظه الدارس لاستشهادات القدماء بأشعار المحدثين وهو إيراد أبيات العلماء من الشعراء، وقد نص الزمخشري في تسويغه للاستشهاد بشعر أبي تمام بكونه عالمًا باللغة وبعدالته وذلك بقوله: «وهو وإن كان محدثًا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنـــزلة ما يرويه...»(٩). ونجد إشارات متعددة إلى علم هؤلاء الشعراء باللغة، فالمتنبي يسأله أبو علي الفارسي: كم لنا من الجموع على وزن فِعلى؟ فيقول المتنبي سريعًا: حِجلَى وظِربَى، قال الفارسي: «ففتشت كتب اللغة ثلاث ليال فلم أجد لهما ثالثًا»(١٠). ويذاكره أبو علي فيما جاء على «فِعّيول» فيذكر أبو علي ما يعرفه منها فيقول المتنبي و«كِسّيون» وهو موضع فقال أبو علي: من حكاه؟ فسكت أبو الطيب، قال في (سفر السعادة): «والناس يقولون: «كِسّيون» بكسر الكاف وضم الياء؛ والذي قال أبو الطيب أصوب»(١١). ويسجل ابن بري سعة علم أبي العلاء المعري بمصادر اللغة، فبعد أن ينتقد الجوهري لعدم ذكره شيئًا في فصل الياء من باب الحاء يستدرك عليه مادة: يُوح الشمس، قال: وكان ابن الأنباري يقول: هو بُوح –بالباء– وهو تصحيف منه، وذكره أبو علي الفارسي في «الحلبيات» عن المبرد بالياء المعجمة باثنتين، وكذلك ذكره أبو العلاء أحمد ابن سليمان (المعري) في شعره فقال:

ويوشـــع رد يُوحًـــا بعـــض يوم   وأنـــت متى سَفَرت رددت يوحا

ولما دخل بغداد اعتُرض عليه في هذا البيت، وقيل له: صحفته، وإنما هو بُوح بالباء واحتجوا عليه بكتاب (الألفاظ) لابن السِّكِّيت، فقال لهم:

هذه النسخ التي بأيديكم غيَّرها شيوخكم، ولكن أخرجوا النسخ العتيقة، فأخرجوا النسخ العتيقة فوجدوها كما ذكر أبو العلاء»[١٢].

وينتصر ابن بري لبشار بن برد فيقول في مادة (برأ): «لم يذكر (أي الجوهري) برأت أبرُؤ – بالضم في المستقبل – وقد ذكره سيبويه، وأبو عثمان المازني وغيرهما من البصريين، وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم لحّن بشار ابن برد في قوله:

نفـر الحـي مـن بكائي فقالوا فـز بصـبر لعـل عيـنك تبرُو
مسّـه مـن صـدود عبدة ضر فبـنات الفـؤاد ما تستقر»[١٣].

وهكذا كان الاستشهاد على صحة اللغة عند علمائنا القدماء لا يتم إلا بإيراد أشعار القدماء من المنتمين إلى الطبقات الثلاث المتقدمة، وهي طبقة الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين. أما المولدون والمحدثون فهم، وإن استأنسوا بأشعارهم، إلا أنهم لا يجعلونها عمدة في ذلك. ولا شك أن مسلكهم في ذلك يدل على التزام بمنهج سليم، ينم عن إدراك لما يعتور اللغة أثناء مسيرها من تغير أو تبدل سواء في الأصوات أو البنية أو الدلالة، فكيف يستدلون على شرح بيت جاهلي بقول شاعر محدث، قد يكون أصاب التركيب أو اللفظ لديه تغيير بفعل مرور الزمن؟ وكيف يفسرون القرآن بناء على معطيات لغوية متأخرة عن وقت نزوله بأكثر من مئتي عام؟

ذلك موقف يمكن أن نفهم دواعيه، لكنهم بحفاظهم على نقاء اللغة استبعدوا كثيرًا من الألفاظ التي استحدثَتْ بفعل التطور اللغوي، واستعملها العلماء والشعراء والكتاب في أعمالهم الفكرية، ولو سجلوها لأضافوا إلى

اللغة إضافات جلى. غير أننا نلاحظ أن المتأخرين منهم كالفيروزابادي في (القاموس) والسيد محمد مرتضى الزبيدي في (تاج العروس) قد سجلوا كثيرًا من الألفاظ المستعملة في غير عصور الاحتجاج، ولكن ذلك جاء في زمن متأخر، مما استوجب التفكير بتأليف معجم لغوي تأريخي.

– ٢ –

الدراسة:

لم يكن من أهداف (المعجم الكبير) أن يسد مسد المعجم التاريخي العربي الذي يتطلع إليه الجميع، لكن المعجم، وهو يعبر عن عصور اللغة جميعها، كما نص على ذلك رئيس المجمع في مقدمته[١٤]– نراه يقترب كثيرًا من هذه المهمة، وقد أشار منهج المعجم إلى ذلك من طرف خفي فجاء فيه: «واستشهد بالشعر القديم والحديث تأكيدًا لوحدة اللغة وتكاملها، وغرسًا لنواة في سبيل معجم تاريخي»[١٥].

وتأسيسًا على هذا الكلام فإن من المتوقع أن تكون الشواهد الشعرية التي وردت في (المعجم الكبير) ممثلة للغة في عصور من قالوها، فهل هي كذلك؟ وبعبارة أخرى هل كان المنهج واضحًا في أذهان مؤلفي المعجم بحيث اختيرت الشواهد لتعطي دلائل توثيقية للكلمات أو الاستعمالات اللغوية؟ وهل كانت لهذه الشواهد إضافات معجمية حقيقية أم إنها كانت ذات إضافات محدودة؟ ذلك ما نحاول أن نجيب عليه في هذه الورقة.

استشهد في الجزء الأول من هذا المعجم بخمسين شاعرًا من المولدين والمعاصرين، بلغ عدد الشواهد التي نسبت إليهم فيه ١٨٧ شاهدًا، وتبين القائمة الآتية أسماء هؤلاء الشعراء وعدد مرات الاستشهاد لكل منهم:

الشاعر	عدد مرات الاستشهاد
أبو تمام	٢٩
المتنبي	٢٢
البحتري	٢٠
أبو العلاء المعري	٢٠
ابن الرومي	١٦
أبو فراس الحمداني	١٢
البهاء زهير	٦
محمود سامي البارودي	٥
ابن المعتز	٤
بشار بن برد	٣
مهيار الديلمي	٣
الحسين بن الضحاك	٣
أحمد بن المعذل	٢
أبو العباس الصفري	٢
الشريف الرضي	٢
مسكين الدارمي	٢
مسلم بن الوليد	٢
أحمد شوقي	٢
حافظ إبراهيم	٢

واستشهد لكل واحد من الشعراء الآتية أسماؤهم بشاهد واحد:

دعبل الخزاعي، سديف، القناني، ابن أبي أمية الكاتب، صالح بن عبد القدوس، محمد بن عبد الملك الزيات، طريح الثقفي، المعتضد، مبرمان النحوي، خليد مولى العباس بن محمد، إبراهيم بن المهدي، يحيى بن الفضل، أسامة بن منقذ، الطغرائي، أبو محمد الفقعسي، ابن أبي الخرحين، محمد بن الفضل الجرجرائي، عبد الله الميانجي، ابن صارة الشنترينـــي، أبو الحسن بن نزار، ابن الفارض، سليمان بن داود القضاعي، ابن عبد ربه، أبو الفتح البستي. أبو يعلى عبد الباقي بن أبي حصن، صردر، ابن الجوزي، علي بن نصر، عبد الجليل بن وهبون، أبو الغريب النصري، البوصيري.

كان من هدف المعجم ألا يكون ممحضًا للاستعمالات اللغوية، وإنما يضم بين دفتيه معلومات حضارية وموسوعية، فهو إلى جانب مادته اللغوية يمثل دائرة معارف تعرّف بعض المظاهر والظواهر والأعلام والبلدان والمواقع وغير ذلك، وقد شمل الاستشهاد بالشعر كثيرًا من المواد الموسوعية التي سطرت في المعجم.

لن يكون بمقدورنا أن نستعرض كل ما استشهد به من شعر في هذا الجزء من المعجم، فذلك يخرج عن نطاق الزمن المخصص لهذه الورقة، لكن يكفي أن نعطي نماذج من الشواهد أملاً في أن نخلص في نهاية البحث إلى ملاحظات عامة وتوصيات بما نراه لتحقيق الهدف، وقد آثرنا أن نقسم ما اخترناه من نماذج شعرية ثلاثة أقسام:

١ – الألفاظ العربية.

٢- الألفاظ الدخيلة.

٣- التعبيرات والتراكيب المجازية.

١- الألفاظ العربية:

الأبد: عرّفه المعجم (١/ ٢٧) بأنه: «الدائم، والدهر، وقيل الدهر الطويل الذي ليس بمحدود»، كما ذكر كلامًا للجرجاني في (التعريفات) يبيـن الفرق بين الأزل والأبد هو أن «الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل، والأزل استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في زمن الماضي»، واستشهد على تعريف الأبد وتنكيره بحديث شريف، وبالمثل «طال الأبد على لبد»، يضرب لكل ما قدم، ثم استشهد ببيت أبي تمام في مدحه أبا سعيد الثغري وإشادته بانتصاره:

يـوم بـه أخـذ الإسلام زينته   بأسـرها واكتسى فخرًا به الأبد

قلت: الاستشهاد ببيت أبي تمام يوحي بعدم وروده عند من هم أقدم منه من الشعراء، مع أنه ورد في الشعر الجاهلي في مطلع قصيدة النابغة الذبياني المشهورة:

يـا دار ميـة بالعـلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأبد[١٦]

وبيت النابغة — إلى جانب سبقه — يدل على أن الأبد — عند العرب — زمن غير متناه في الماضي، على عكس ما ذكره الجرجاني، ويعطي المثل الذي ذكره المعجم هذه الدلالة أيضًا، وحبذا لو أشار المعجم إلى ذلك، إذ يكون في تعريف الجرجاني تخصيص للمعنى بوصفه مصطلحًا من مصطلحات المناطقة وعلماء الكلام.

ومما أخلّ به المعجم في هذه المادة الكنايات التي استعملها الشعراء على سبيل التأبيد، وأكثروا منها، مثل قول زهير بن أبي سلمى:

رحب الفناء لو أن الناس كلهم   حلّوا إليه إلى أن ينقضي الأبد

وقول حسان:

فاللؤم فيك وفي سمراء ما بقيتْ   وفي سمية حتى ينفد الأبد

إن قول العرب «حتى ينفد الأبد» أو «حتى ينقضي الأبد» أو «لا أفعله طول الأبد»، أو «آخر الأبد»، أو غير ذلك من تعبيرات نجدها في أشعار الشعراء العرب وبخاصة في العصر العباسي هي تعبيرات من المفيد أن يضمها المعجم.

الأخيّة والأواخي: من المعروف أن المعنى الحسي يسبق المعنى المجازي، وأن من شروط جودة التأليف المعجمي أن تبدأ المادة بالمعنى الحسي ثم يذكر بعد ذلك ما طرأ على المعنى من مجاز، لكن (المعجم الكبير) يبدأ — أحيانًا — بالمعنى المجازي، دون أن يؤسسه على معنى حسي يسبقه. ففي مادة (أخ ي) يبدأ المعجم المادة هكذا: «آخى في فلان آخية: اصطنع معه معروفًا، وأسداه إليه. ويقال: آخى فلان في فلان آخية فكفرها». ثم يقول بعده: «أخّى فلان للدابة، عمل لها آخية، قال أعرابي: أخٍّ لي آخية أربط إليها مهري» ثم يأتي تعريف الآخيّة بعد أكثر من عشرة أسطر وهي: عود يعرض في الحائط، ويصير وسطه كالعروة، أو كالحلقة تشد به الدابة» أو «هو حبل يدفن في الأرض متينًا ويبرز منه شبه حلقة تشد إليه الدابة» أو هو «الطنب».

وقد استشهد المعجم على جمع الآخية: «الأواخي» ببيت أبي فراس الحمداني:

وأسعى لأمرٍ عدَّتي لمناله   أواخيُّ من آرائه وأواصر

والاستشهاد ببيت أبي فراس جيد، وبخاصة أن المعجم أورده للتدليل على معنى الحرمة والذمة التي ترعى، لكن قد يوحي الاستشهاد به بعدم وجود الجمع في الشعر العربي قبل أبي فراس، وقد ورد عند الفرزدق في قوله:

هو الأقرع الخير الذي كان يبتني أواخيَّ مجد ثابت أن ينزعا[١٧]

وترددت الكلمة عند البحتري في عدة أبيات منها قوله:

وما تزال أواخي الملك ثابتة منهم بكل رحيب الباع والبلد[١٨]

إبّان: جاء في المعجم (١/ ٥٦): «إبّان كل شيء وقته وحينه الذي يكون فيه» واستشهد على ذلك برجز من (اللسان) وآخر من (الأساس) مجهولي القائل، ثم استشهد ببيت نسبه إلى المتنبي هو:

واعلم بأن الغيث ليس بنافع للناس ما لم يأت في إبّانه

قلت: نسبة البيت إلى المتنبي غير صحيحة، فالبيت للبحتري من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب مطلعها:

البيت مبني على أركانه والطرف جار في امتداد عنانه[١٩]

وإنما أخطأ مؤلفو المعجم في نسبة هذا البيت لعدم دقتهم في النقل من (معجم فيشر التاريخي) الذي اعتمدوا عليه – فيما يبدو –، إذ إن فيشر ذكر البيت (ص: ٢٧) منسوبًا للبحتري، نقلاً عن شرح ديوان المتنبي للواحدي في الصفحة المرقمة ٦٢١، فظن مؤلفو المعجم أن البيت للمتنبي.

الأمر الثاني: أنني لم أتبين الهدف من إيراد هذا الشاهد في هذا الموضع، فإن كان القصد توضيح الاستعمال للكلمة فقد وضحه الرجز الذي استشهد به قبل، وإن كان القصد إثبات استعمالها عند المتنبي فقد تبيّن لك

أنها كانت في الاستعمال قبله بل قبل البحتري صاحب البيت، إذ وجدت عند أبي نواس:

ذهـبًا يـثمر دُرًّا كـل إبّـان وحـين

وقد ذكره فيشر في معجمه فلم لم يستفد منه؟

أسف: جاء في المعجم (٢٨٦): «أسف أسفا وأسافة: حزن أشد الحزن، ويقال: إنه لأسيف بَيِّن الأسافة. قال البهاء زهير:

ورأس مالك وهي الروح قد سلمت لا تأسـفَنّ لشـيء بعدها ذهبا»

واستشهد بعد ذلك على قولهم: «أسف على ما فاته» بالآية الكريمة: ﴿وَتَوَلَّى عَنهُم وقَالَ يا أسَفَى على يُوسفَ﴾ (يوسف ٨٤) وأتبع ذلك بشاهد للنابغة الشيباني هو قوله:

ومعشـر أكلـوا لحمي بلا تِرَةٍ ولـو ضـربت أنوفًا منهم رعفوا
لا يأسـفون وقد أعذبت ألسنهم ولـو يظنون أن أعنَى بهم أسفوا

ثم أورد شاهدًا للمتنبي يهجو به إسحاق بن كيغلغ:

إن مات مات بلا فقد ولا أسف أو عاش عاش بلا خلق ولا خلق

قلت: الكلمة مألوفة مستعملة في جميع العصور والبيئات العربية، وكان يكفي فيها الاستشهاد بالآية الكريمة وبيت النابغة الشيباني، أما الاستشهاد ببيتـي المتنبـي والبهاء زهير فلست أراهما يزيدان المعنى وضوحًا، ولا يضيفان معنى حقيقيًا أو مجازيًا للكلمة، ولو اتبعنا هذا المنهج في حشد الشواهد لكل كلمة مألوفة لامتلأت معجماتنا بالشواهد بلا طائل.

الآسون: ذكر المعجم (١/ ٣٠٥) جموع آس وهي: أساة وإساة وآسون، واستشهد على الأخير بقول إبراهيم بن المهدي:

ولم يملك الآسون دفعًا لمهجة   عليها لأشراك المنون رقيب

قلت: إن كان المقصود من الاستشهاد بالبيت الاستدلال على ورود الجمع في استعمالات الشعراء فإن لذلك شواهد تسبق ابن المهدي، منها قول الحطيئة:

هم الآسون أمَّ الرأس لما   تواكلها الأطبّة والإساء[٢٠]

وقد استشهد به المعجم في موضع آخر من المادة. كما ورد جمع المذكر السالم عند الفرزدق في قوله:

إذا نظر الآسون فيها تقلبتْ   حماليقهم من هول أنيابها الثعل[٢١]

ألّـه: جاء في المعجم (١/ ٤٤١): «ألّه فلانًا اتخذه إلاهًا و- عظّمه»، واستشهد على المعنى الأخير بقول حافظ إبراهيم في عمريته يذكر عمر وعليًا:

فاذكرهما وترحم كلما ذكروا   أعاظمًا أُلِّهوا في الكون تأليها

قلت: لم نجد هذا المعنى في المعجمات العربية ولا في شعر العرب قبل حافظ، وأظن المعنى الذي قصد إليه حافظ لا يخرج عن معنى العبادة، فهو يقول إذا رأيت بشرًا يصرف لهم نوع من أنواع العبادة، وهو ضلال بلا شك، فاذكر هذين وترحم عليهما، فلو أن بشرًا يعبد لكان هذان أحق بالعبادة.

أما إن ثبت استعمال التأليه بمعنى التعظيم من قبل حافظ أو غيره من الشعراء، فإن من الواجب الإشارة إلى أنه استعمال خاص بالشاعر الذي ورد في شعره.

الأمل: أورد المعجم (١/ ٤٨٢) شاهدًا على لفظة «الأمل» بيتًا للبارودي هو:

لم يـبق لي أمل إلا إليك فلا تقطع رجائي فقد أشفقت من حرجي

وأورد قبله آية قرآنية وبيتًا لقطري بن الفجاءة.

قلت: الكلمة مألوفة في التراث اللغوي منذ الجاهلية، وإيراد بيت البارودي لا يضيف إلى المعنى شيئًا جديدًا، فإن كان القصد من إيراده تمثيل العصور التي وردت في نصوصها هذه الكلمة فقد كان الأولى البدء بالعصر الجاهلي فقد جاءت في شعر عبيد بن الأبرص:

فكـل ذي نعمـة مخلوسـها وكـل ذي أمـل مكذوب(٢٢)

ووردت عند الراعي في العصر الإسلامي في قوله:

أمـلت خـيرك هل تأتي مواعده فالآن قصر عن تلقائك الأمل(٢٣)

وقـد تعـدد ورود الكـلمة عند الشعراء العباسيـن أبي تمام وأبي العـتاهية والبحتري وابن المعتز، فشاعت في أشعارهم كما شاعت عند أبي العـلاء المعـري، فإن كان القصد تمثيل عصور الشعر العربي فإن المنتظر من المعجـم أن يـورد شـواهد من هذه العصور، أما الاستشهاد ببيتي قطري والبارودي فإن ذلك يوحي بعدم ورود الكلمة في الشعر العربي قبل قطري، أو بيـنه وبين البارودي. والواقع أن الكلمة مألوفة، ولا تستحق الاستشهاد عليها إذ ليس فيها غموض يوضحه الاستشهاد، ولا استعمال غريب تفرد به أحد الشعراء، ولا تطور في الدلالة لحق الكلمة عبر العصور.

ويلحق بهذه الكلمة فعل الأمر «تأمّل» فقد استشهد عليه المعجم ببيت للبارودي:

تـأمّل هـل تـرى أثـرًا فإني أرى الآثـار تذهـب كالـرماد

على معنى «تثبت في الأمر والنظر» (١/ ٤٨١) واستشهد قبله ببيت زهير:

تـــأمّل خليلي هل ترى من ظعائن   تحملـــن بالعلـــياء من فوق جُرثُمِ

قلت: لم أجد فائدة أو وظيفة معجمية لبيت البارودي تختلف عما يدل عليه بيت زهير، فإن كان القصد تاريخيًا فإن الشعر العربي على امتداد عصوره ممتلئ بالأمثلة التي كان يجب أن يختار منها ما يمثل تلك العصور.

أنين: استشهد المعجم (١/ ٥٧٠) على لفظة الأنين ببيت عمر بن أبي ربيعة:

ومجلـــس أصـــحابي كأن أنينهم   أنـــين مكـــاكٍ فارقت بلدًا خِصبا

وقول البارودي:

وكـــيف تواريـــه وهـــذا أنيـــنُه   يـــدل عليه السمع من كل جانب

قلت: ليس في بيت البارودي ما يعد إضافة إلى العمل المعجمي، إلا أن يكون من قبيل الزخرف الذي يثقل المعجم.

يؤوده: استشهد المعجم (١/ ٥٩٩) على هذه الكلمة بالآية الكريمة ﴿وسع كرسيُّه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما﴾، (البقرة: ٢٥٥)، وبأبيات للحارث بن خالد المخزومي، ثم أورد بيتًا للبارودي هو قوله:

وحسب الفتى من رأيه خير صاحب   يـــؤازره في كـــل خطب يؤوده

قلت: الكلمة مألوفة في الشعر العربي ولا أرى مزية للاستشهاد ببيت البارودي عليها مادامت لا تمثل عصره، ولم تأت في سياق مختلف عما أتت فيه عند الشعراء قبله، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

وتـــنو فتصـــرعها عجـــيزتها   ممشـــى الضعيف يؤوده البهرُ[٢٤]

وقول بشار:

خـــذ مـــن صـــديقك غير متعبه   إن الجـــواد يـــؤوده تعـــبه[٢٥]

أُولَيات: استشهد المعجم على جمع (أولى) على (أُولَيات) بقول حافظ إبراهيم:

إن مجـــدي في الأوليـــات عظيم   مـــن له مـــثل أوليـــاتي ومجدي

قلت: هذا الاستشهاد لا غبار عليه، إذ يبدو أن استعمال جمع المؤنث السالم لكلمة (الأولى) – وهو قياسي – قليل جدًا في الشعر العربي القديم، ولم أجده – قبل حافظ – سوى عند ابن حيّوس (سنة ٤٧٣هـ) في قوله:

همـــام حـــوى في أُوليات شبابه   مآثـــر أعيت كل كهل ويافع[٢٦]

٢– الألفاظ الدخيلة:

الآس: شجر، استشهد عليه (١/ ١٢) بقول أبي تمام:

نَـــوْر العـــرارة نـــوره ونسيمه   نشـــر الخزامى في اخضرار الآس

قلت: ورد اللفظ في الشعر المحتج به قبل أبي تمام، قال ابن دريد في الجمهرة: «أحسبه دخيلاً، على أن العرب قد تكلمت به، وجاء في الشعر الفصيح»[٢٧]، ولم يورد ابن دريد عليه شاهدًا من الشعر، وقد ورد في شعر رؤبة:

تـــراه منصـــورًا عـــليه الأرغاس   يخضر ما اخضر الألاء والآس[٢٨]

الإبريز: الذهب الخالص، استشهد المعجم عليه ببيت الطغرائي:

بيـــنا ترى الذهب الإبريز مطّرحا   في الأرض إذ صار إكليلا على ملك

قلت: الاستشهاد ببيت للطغرائي – وهو من شعراء القرن السادس الهجري – على هذه اللفظة يوحي بعدم ورودها في الشعر القديم قبله، وهو

أمر يتنافى مع كون المعجم شاملاً للغة في جميع عصورها، فقد وردت في شعر لأبي تمام في قوله:

بالأسيل الغطريف والذهب الإبـــ ـــريــز فينا والأروع الغرنيق[٢٩]

وفي شعر البحتري:

وقـــد هذبـــتك النائـــبات وربما صفا الذهب الإبريز قبلك بالسَّبك[٣٠]

كما وردت في شعر الشريف الرضي (سنة ٤٠٦هـ) وشعر صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ).

الأترُج: استشهد المعجم عليه (١/ ٧٣) بقول ابن المعتز:

يـــا حـــبذا أتــــرجّة تحـــدث في الـــنفس الطربْ

كأنهـــــا كـــــافورة لهـــا غشـــاء مـــن ذهـــبْ

قلت: وردت لفظة الأترجة في الشعر الجاهلي في بيت لعلقمة بن عبدة هو قوله:

يحمـــلن أتـــرجّة نضخ العبير بها كأن تَطيابها في الأنف مشموم[٣١]

وذكره ابن قتيبة في (أدب الكاتب) ضمن ما يهمز من الأسماء التي يبدل العوام همزها أو تسقطها[٣٢]. ولم يشر إلى ذلك في المعجم.

٣- التعبيرات والتراكيب المجازية:

من محاسن هذا المعجم اشتماله على عدد غير قليل من التعبيرات والتراكيب المجازية التي وردت في النثر أو الشعر، غير أن مما يلاحظ أن معظم هذه النماذج قد بُثّت في المعجم دون مراعاة لسياقها التاريخي،

وأحيانًا دون تنبيه على وظيفتها المجازية،وسنعرض لبعض هذه النماذج مما يتصل منها بموضوع الاستشهاد بشعر المولدين أو المعاصرين.

أديم الأرض: قال في المعجم الكبير (١/ ١٥٣): «والأديم من كل شيء ظاهره، يقال أديم الأرض» ثم أورد بيت الأعشى:

يومـا تـراها كأردية الخمـ ـس ويومـا أديمها نغـلا

كما أورد بيت المعري:

خفـف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا مـن هـذه الأجسـاد

قلت: القول بأن الأديم من كل شيء ظاهره لم أجد له سنداً في معجماتنا العربية، وقد صرح علماؤنا القدماء بأن تعبير (أديم الأرض) استعمل على سبيل المجاز، جاء في (التاج): «ومن المجاز الأديم من الضحى أوله، حكى اللحياني: جئتك أديم الضحى، أي عند ارتفاع الضحى، ومن المجاز الأديم من السماء والأرض ما ظهر منهما، وفي (الصحاح) وربما سمي وجه الأرض «أديمًا»[٣٣]، ثم أورد بيت الأعشى السابق.

وقال الثعالبي في (المضاف والمنسوب): «(أديم الأرض) يدخل من باب الاستعارة، كما يقال أديم السماء، وأديم الأرض لما حسن» وذكر بيت الأعشى ثم قال: «وفي استعارة الأديم لغير الأرض يقول بعض الكتاب: كثرة العتاب تنغل أديم المودة»[٣٤].

قلت: فأنت ترى أن إطلاق القول بأن أديم كل شيء ظاهره ليس صحيحًا، وأن ورود الأديم مضافًا إلى الأرض أو السماء هو استعمال مجازي قد لا يرد في غيرهما بهذا المعنى، فباب المجاز واسع ومما لا شك فيه أن (أديم

الضحى) ليس ظاهره وإنما هو أوله و(أدم المودة) في قول الكاتب لا يعني ظاهر المودة بقدر ما يعني وجودها.

والأمر الثاني: أن الاستشهاد ببيت أبي العلاء لم يضف إلى الصناعة المعجمية شيئًا، فالتركيب ليس من ابتكارات المعري، فإلى جانب سبق الأعشى له نجد الاستعمال أيضًا عند الشعراء العباسيين كأبي نواس في قوله:

قد أسحب الزق يأباني وأكرهه حتى له في أدم الأرض أخدود[٣٥]

إليك عني: جاء في المعجم الكبير (١/ ٤٥٢): «ويقال إليك عني في طلب التنحّي» وذكر حديثًا في استعمالها، ثم أورد شاهدًا للمتنبي هو قوله:

إليك فإني لست ممن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

قلت: استعمال اسم الفعل هذا مألوف في عصور الشعر العربي المختلفة، والاقتصار على شاهد للمتنبي قد يوحي – من الناحية التاريخية – بعدم وروده عند غيره. وقد ورد الاستعمال في شعر الجاهلية في قول النابغة:

ألكني يا عيين إليك قولا سأهديه إليك.. إليك عني[٣٦]

وفي شعر المجنون:

إليك عني (إني) هائم وصب أما ترى الجسم قد أودى به العطب[٣٧]

وإن كان القصد من إيراده التمثيل على طريقة الاستعمال، فإن ما ورد في بيت المتنبي يمثل صورة واحدة من صور استعمال هذا التعبير في الشعر العربي، فقد تفنن الشعراء في صياغته، فتارة يأتون به كما ورد في الأبيات السابقة، وتارة يدخلون كلمة بين «إليك» و«عني»، كقول العباس ابن الأحنف:

فقلت لها إليك – هواك – عني فإني عن هواك لذو اشتغال[٣٨]

وتارة يقدمون «عني» كما في قول أبي تمام:

عـــني إليـــك فإني عنك في شغل ... لي منه يومٌ يُبَكِّي مهجتي وغد[٣٩]

وأحيانًا يكررون كلمة «إليك» كما في قول أبي العتاهية في أرجوزته ذات الأمثال:

إليـــك يـــا دنيـــا إليـــك عـــني ... مـــاذا تـــريدين، تخـــلَّي مني[٤٠]

شامخ الأنف: جاء في المعجم الكبير (١/ ٥٥٧) «ويقال شمخ فلان بأنفه: رفع رأسه متكبرًا، وهو شامخ الأنف: مترفع معتز بنفسه» ثم استشهد ببيت للبهاء زهير:

كـــامل الظـــرف أديـــب ... شـــامخ الأنـــف أشَـــمُّ

قلت: التعبير مألوف في الشعر العربي، وقد ورد فيه قبل البهاء زهير بقرون، في شعر عبيد بن الأبرص:

في روابي عُدْمُـــلي شـــامخ الْــ ... أنـــف فيـــه إرث مجدٍ وجمال[٤١]

وحبذا لو كان التمثيل من شعر البهاء يمثل استعمالاً نادرًا أو متصلاً بلغة عصره فذلك أجدر بالتمثيل.

أنف البرد: جاء في المعجم الكبير (١/ ٥٥٩) وأنف البرد أوله وأشده، قال أبو العلاء المعري:

مـــتى ذنّ أنـــف البرد سرتم فليته ... عقيب التنائي كان عوقب بالجدع

قلت: مراعاة للجانب التاريخي لاستعمال هذا التركيب نشير إلى أنّ أبا العلاء لم يكن أول من استعمله فقد سبقه إليه ذو الرمة في قوله:

إذا شـــم أنـــف البرد ألحق بطنه ... مراس الأوابي وامتحان الكواتم[٤٢]

ومما يستدرك على «المعجم» في هذا الصدد أن الأنف قد ورد عند العرب في استعارات كثيرة، كان من المستحسن تضمين معظمها في هذا المعجم الموسوعي الكبير، من ذلك قول الرسول ﷺ: «جدع الحلال أنف الغيرة»، وذكر الثعالبي في (ثمار القلوب) أن استعارة الأنف للكرم من ابتكارات بشار بن برد في قوله:

ألا أيهـــا الســـائلي جـــاهلاً   ليخـــبرني أنـــا أنـــف الكـــرم

وقوله لأبي عمرو بن العلاء:

أنـــت أنـــف الجـــود إن زايلته   عطـــس الجـــود بـــأنف مصطلم

قال الثعالبي: «ثم تبعه ابن الرومي وزاد عليه وأحسن في قوله:

لو كنت عين المجد كنت سوادها   أو كنت أنف الجود كنت المارنا»

وقد أورد الثعالبي جملة من هذه الاستعارات، مشيرًا إلى أن الناس قد تصرفوا في استعارة الأنف بين الإصابة والمقاربة..(٤٣).

– ٣ –

نتائج البحث

يتضح من دراستنا لشواهد شعر المولدين والمعاصرين في المعجم الكبير ما يأتي:

١- لم يوضح المعجم المعايير التي ارتضاها مؤلفوه لاختيار الشواهد بصفة عامة، والغرض من إيرادها في المعجم. والحدود التي التزموها في ذلك،

٢- ورد معظم هذه الشواهد للتدليل على ألفاظ أو تراكيب كانت قد وردت عند الشعراء المحتج بشعرهم. وذلك قد يوحي بعدم ورود المواد

اللغوية المستشهد لها عند أولئك الشعراء القدماء، مما يتعارض مع الهدف التاريخي للمعجم.

٣- لا تمثل معظم الشواهد المنسوبة إلى الشعراء المولدين والمعاصرين عصورهم، فليس في هذه الشواهد ما يعبر عن ألفاظ أو تراكيب تنتمي إلى تلك العصور، أو ابتكارات لهؤلاء الشعراء، وبهذا يمكن أن يقال إن المعجم فيما يخص الشواهد كان محافظًا إلى حد بعيد على الرغم من أنه أورد شواهد كثيرة للمولدين والمعاصرين. وهذا يتعارض مع قول رئيس مجمع اللغة العربية في مقدمته للمعجم: «وينبغي أن يعبر المعجم الحديث عن عصور اللغة جميعًا، وأن يستشهد فيه بالقديم والحديث على السواء». من ذلك مثلاً أن المعجم أورد كلمة الأزل ذاكرًا قول ابن فارس في عدم قياسيتها وقول الزمخشري إن اللفظ مصنوع، ليس من كلام العرب وكأنهم نظروا في ذلك إلى لفظ (لم أزل)، لكن المعجم لم يورد شاهدًا عليها، سواء من النثر أو الشعر، منسوبًا إلى من استعملها من العلماء أو الأدباء وقد وردت النسبة إليها عند أبي العلاء في شعره وذلك في قوله:

لقـــد فرعتـــنا قـــدرة أزليـــة فعشنا وعدنا راجعين إلى القنس(٤٤)

وقوله:

وصـــفت لقـــوم رحمـــة أزليـــة ولم تدركي بالقول أن تصفيها(٤٥)

وقد وفق المعجم في الاستشهاد على لفظة (الأستاذ) ببيت للمتنبي، ولكن الكلمة وردت في الشعر المنسوب للإمام الشافعي في قوله:

أخـــي لـــن تنال العلم إلا بستة ســـأنبيك عـــن تفصـــيلها ببيان

ذكـــاء وحـــرص واجتهاد وبلغة وصـــحبة أستاذ وطول زمان[٤٦]

وهنالك استعمالات كثيرة للشعراء المولدين وتصرف في بعض الألفاظ أو التعبيرات قد لا تكون سمعت من العرب، ولكنهم قاسوها على كلام العرب فلم يضمها المعجم، فمن استعمالات بشار وابتكاراته إطلاقه كلمة «الإطار» على حوض الماء في قوله:

وكـــنت إذا ظمـــئت إلى قراح شركت الكلب في ذاك الإطار[٤٧]

٤- لم يخدم الجانب التاريخي للألفاظ والتراكيب بالقدر الكافي، فقد استفاد مؤلفو المعجم من القطعة التي صنعت من جذاذات معجم فيشر، لكن لم تبذل جهود واضحة للتقدم خطوات نحو هذا الهدف، على الرغم من أن الوسائل المتاحة الآن خير منها عندما كتب فيشر جذاذاته.

٥- أكثر المعجم من الاستشهاد بالشعر المولد أو المعاصر على ألفاظ مألوفة في جميع عصور العربية، دون فائدة حقيقية للأبيات المستشهد بها، فهي لا تؤرخ للفظة ولا توضح استعمالها في سياق معين، ولا تدل على تغير حقيقي أو مجازي طرأ عليها، مما يوحي بأن الشاهد مقصود لذاته، مع أن المفترض أن يكون للشاهد وظيفة معجمية محددة.

وأخيرًا فإن المعجم الكبير عمل ضخم نهض به – مشكورًا – مجمع اللغة العربية في القاهرة، وأحرى بمثل هذا العمل الكبير أن يردد النظر فيه بين حين وآخر، وأن يستفاد في إعداده من المعطيات الحديثة، وبخاصة ما يعين منها على توثيق الألفاظ والتراكيب وربطها بعصورها التاريخية، بعد أن أصبح الوصول إلى ذلك أسهل من ذي قبل. والله ولي التوفيق.

الهوامش

١) مجمع اللغة العربية، **المعجم الكبير**، القاهرة: مطبعة دار الكتاب ١٩٧٠م، (١/ و).

٢) نفسه.

٣) البغدادي، عبد القادر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١/ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، (١/ ٦).

٤) نفسه

٥) الزمخشري، جار الله، **الكشاف**، القاهرة: مط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، (١/ ٢٢٠ – ٢٢١).

٦) الجرجاني، السيد علي بن محمد، حاشية على الكشاف، على هامش الطبعة السابقة من الكشاف، (١/ ٢٢١).

٧) انظر في ذلك كتاب: «**الزبيدي في كتابه تاج العروس**» تأليف د. هاشم طه شلاش، ط١، بغداد، دار الكتاب للطباعة سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٤٢ وما بعدها.

٨) انظر: على سبيل المثال **اللسان** (قرط) و(قوم) و(رأى).

٩) الكشاف، مصدر سابق ص ٢٢.

١٠) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت، ١٤/ ١ (حوادث سنة ٣٥٤هـ).

١١) السخاوي، علي بن محمد، **سفر السعادة وسفير الإفادة**، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، ط٢، بيروت: دار صادر ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، (٢/ ٤٣٣).

١٢) ابن بري، عبد الله، **التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح**، تحقيق مصطفى حجازي، ط١ القاهرة: مجمع اللغة العربية، مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، (١/ ٢٨٠).

١٣) نفسه، (١/ ٧).

١٤) **المعجم الكبير**، المقدمة، ص: و.

١٥) **المعجم الكبير**، ص: ص.

١٦) **ديوان النابغة الذبياني**، صنعة ابن السكيت، تحقيق د. شكري فيصل، دمشق: دار الفكر [١٩٦٨م]، ص ٢.

١٧) **ديوان الفرزدق**، شرح مجيد طراد، ط١ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، (٢/ ٢٥).

١٨) **ديـــوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط٣، القاهرة: دار المعارف د. ت، (٢/ ٦٦٠).

١٩) ديوانه السابق (٤/ ٢٢٦٢).

٢٠) **ديوان الحطيئة**، تحقيق د. نعمان طه، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٨٧.

٢١) ديوانه السابق، ص ٢٠٨.

٢٢) **ديوان عبيد بن الأبرص**، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة: مكتب مصطفى البابي الحلبي سنة ١٤٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص ١٣.

٢٣) **ديوان الراعي النميري**، تحقيق ر. فايبرت، بيروت: ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٩٨.

٢٤) **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، نشر: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م. ص ١٥٠.

٢٥) **ديوان بشار بن برد**، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، سنة ١٩٧٦م، (١/ ٢٧٦).

٢٦) ديـــوان ابن حَيُّوس، تحقيق خليل مردم بك، بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، (١/ ٣٢٩).

٢٧) ابن دريد، **الجمهرة في اللغة**، ط مصورة، بغداد: مكتبة المثنى، د. ت، (١/ ١٧).

٢٨) **ديوان رؤبة بن العجاج** (ضمن مجموع أشعار العرب)، تحقيق وليم بن الورد البروسي، ليبزج، ١٩٠٣م.

٢٩) **ديــوان أبي تــمام**، تحقيق محمد عبده عزام، ط٤، القاهرة: دار المعارف، د. ت، (٢/ ٤٣٣).

٣٠) **ديــوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي ٣١، القاهرة: دار المعارف، د. ت، (٣/ ١٥٦٤).

٣١) **ديوان علقمة الفحل**، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، حلب: دار الكتاب العربي. سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٥١.

٣٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، القاهرة، مط السعادة سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م. ص ٢٨٥.

٣٣) الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (أدم).

٣٤) الثعالبي، عبد الملك، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م. ص ٥١٥.

٣٥) **ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي**، تحقيق إيفالد فاجنر، النشرات الإسلامية، فيسبادن سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، (٣/ ١١٨).

٣٦) ديوان النابغة، مرجع سابق، ص ١٩٧.

٣٧) **ديوان مجنون ليلى**، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة: مكتبــة مصر، د. ت، ص ٤١. ورد البيت بدون كلمة (إني) فبدا مكسورًا، وقد أضفناها كي يستقيم الوزن.

٣٨) **ديوان العباس بن الأحنف**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢هـ، ص ٢٤٥.

٣٩) **ديوان أبي تمام**، مرجع سابق، (٤/ ٧٥).

٤٠) **أبو العتاهية: أشعاره وأخباره**، تحقيق: د. شكري فيصل، دمشق: مكتبة دار الملاح، د. ت. ص ٤٥٥.

٤١) **ديوان عبيد بن الأبرص**، تحقيق: د. حسين نصار، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ص ١١٨.

٤٢) **ديوان ذي الرمة**، تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح، دمشق: مجمع اللغة العربية سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، (٢/ ٧٦٦).

٤٣) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، مرجع سابق ص ٣٢٠.

٤٤) المعري، أبو العلاء، **اللـزوميات**، تحقيق د. عمر الطباع، بـيروت: دار الأرقم، د. ت. (٢/ ٢٨).

٤٥) نفسه (٢/ ٤٣٥).

٤٦) ديوانه، جمع محمد عفيف الزعبي، حمص: مكتبة المعرفة، جدة: دار العلم سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٨١.

٤٧) ديوانه، مرجع سابق (٣/ ٢٠٩).

منهج أحمد بن فارس في النقد اللغوي
في معجم مقاييس اللغة
نقد الخليل وابن دريد نموذجًا

د. محمود عبد الله جفّال

I – التمهيد :

العلاّمة اللغوي أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) هو أحد أعلام اللغة والنحو والفقه والحديث في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وقد شهر بالعديد من مؤلفاته في شتى صنوف المعرفة المتعلقة باللغة والأدب والفقه والحديث.

كما شُهر ابن فارس أيضًا بآرائه اللغوية المتميزة في عصره؛ فهو أول مؤلف لكتاب في اللغة عنوانه: «فقه اللغة»، وهو من الأعلام اللغويين الذين وضعوا أكثر من عمل معجمي، ومن أشهر المعاجم التي وضعها معجماه: المقاييس في اللغة، والمجمل في اللغة. وقد نال (المقاييس) شهرة واسعة لدى الدارسين قديمًا وحديثًا. ولعل سبب شهرة هذا المعجم أنه وضع تطبيقًا لنظريتين لغويتين عُرف بهما ابن فارس وهما: نظرية الأصول والمقاييس بالنسبة للمواد الثنائية والثلاثية، ونظرية النحت للمواد الرباعية والخماسية الأصول. وأما معجمه المجمل في اللغة فقد وُضع لغاية معجمية خالصة تتمثل بترتيب الألفاظ ثم ذكر معانيها مجملة.

وقد أتيح لابن فارس أن ينظر نظرة ثاقبة في الأعمال اللغوية التي سبقته – وهي كثيرة – غير أنه استصفى منها أعمالاً خمسة جعلها مصادر رئيسة لمعجمه المقاييس، وكل ما عداها فروع. وهذه الخمسة هي: (معجم

العين) المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، وكتابا أبي عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت ٢٢٤هـ): (غريب الحديث) و(مصنف الغريب)، وكتاب ابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ): (المنطق)، وكتاب أبي بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ): (الجمهرة)[١].

والناظر المتفحّص في المقاييس يجد أن الكم الأكبر من مادته: ألفاظًا ومعاني مستقاة من مصدريه الرئيسين: العين والجمهرة، فقد أكثر ابن فارس من النقل عنهما واقتباس ما ورد فيهما، بحيث تبدو بقية المصادر كأنها بالفعل مصادر ثانوية. وتكاد لا تخلو صفحة من المقاييس من ذكر للخليل وابن دريد.

ومما تجدر الإشارة إليه أنْ جعل بعض الدارسين ابن فارس من المعدودين على المذهب الكوفي (البغدادي)[٢]، غير أنه لم يُظهر تعصبًا لهذا المذهب على المذهب المنافس (البصري). ويتضح عدم تعصبه في إعجابه الشديد بإمام العربية وعالمها الأول اللغوي البصري الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد تأثر به ونقل عنه. وكذلك الحال بالنسبة إلى ابن دريد البصري، غير أن هذا الإعجاب والتأثر لم يمنعا ابن فارس من نقد العين والجمهرة في المواطن التي يراها ابن فارس معارضة لمواقفه اللغوية. ولعلنا منذ الآن، نطمئن على حقيقة أن التعصب المذهبي لم يكن الدافع لابن فارس في مآخذه ومن ثم نقده للعين والجمهرة.

II– موقف ابن فارس من الخليل:

أ – جعل ابن فارس (العين) المنسوب إلى الخليل على رأس مصادر الخمسة للمقاييس، ويظهر هذا جليًا في عبارته التي صدّر بها مصادره الخمسة إذ يقول: «فأعلاها وأشرفها..»[٣]، وهذا يدلنا على مكانة الخليل وكتاب

العين لدى ابن فارس الذي استصفى من كل كتب اللغة خمسة، وجعل العين «ذروة سنام هذه الخمسة».

ومن الجدير بالذكر أن عددًا من اللغويين والدارسين من قدامى ومُحدَثين قد شككوا في نسبة العين إلى الخليل، ولهم في ذلك ثلاثة مذاهب: أ) إنـــكار نسبة العـــين إلى الخليل؛ ب) إقرار نسبة العين إلى الخليل؛ ج) ومذهب ثالث يرى أن الخطة والمنهج هما للخليل، وأما حشو المادة فهو لغيره، وعزا عدد من الدارسين حشو المعجم إلى الليث بن المظفر(٤).

وأما أحمد بن فارس فإنه – فيما يبدو – يقر بنسبة العين إلى الخليل؛ إذ يذكر العين وسلسلة سند رواته إلى الخليل. ورغم ذلك فقد وجه ابن فارس أحيانًا نقدًا شديدًا للعين – كما سيتضح ذلك فيما بعد – إن شاء الله –.

ب – ويرى أثر العين في ترتيب المقاييس، ومن المعلوم أن ترتيب العين يقوم على ثلاثة أسس:

١– الترتيب المخرجي للحروف.

٢– ترتيب الأبنية (وهي ستة أنواع).

٣– نظام التقاليب.

وعلى الرغم من اتخاذ ابن فارس الترتيب الألفبائي للحروف، إلا أنه اقتبس من العين ترتيب الأبنية وإن خالف الخليل في جعل الأبنية ثلاثة أقسام: الثنائي/ المضاعف، والثلاثي(٥)، ومازاد على الثلاثي (ويشمل الرباعي والخماسي).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن دريد اتخذ الترتيب الألفبائي للحروف؛ غير أن الأبنية عنده ستة أنواع تشبه تقسيم الخليل مع اختلافات يسيرة، وأبقى صاحب الجمهرة على نظام التقاليب. ويرى بعض الدارسين المحدثين

اتفاقًا كبيرًا في الترتيب في الجمهرة والمقاييس على أن ابن فارس طرح نظام التقاليب و لم يعتدّ به.

وربما يجد الدارس المطالع للمعاجم العربية القديمة أن معجم ابن فارس المقاييس يمكن أن يشكل مدرسة قائمة بذاتها، ويتبعه في ذلك معجمه الآخر (المجمل) إلى حد ما، إلا أن شيخ دارسي المعاجم من المحدثين (د. حسين نصّار) جعل المقاييس — والمجمل معه — ضمن مدرسة الجمهرة، مع الإشارة إلى أوجه الفرق بين الجمهرة وبين كل من المقاييس والمجمل. ورغم ذلك فقد كان المقاييس أقرب إلى العين منه إلى الجمهرة[٦].

ولحظ الدارسون المحدثون أيضًا «أن ابن فارس اقتفى أثر الخليل وابن دريد في ترتيب المواد بالنسبة لحروفها التالية شريطة أن يكون التالي متأخرًا عن سابقه في ترتيب الهجاء»[٧]. ومن ذلك أن حرف السين (باب السين) يبدأ بالكلمات التي يكون الحرف التالي للسين في الترتيب الهجائي هو الذي يبدأ به ابن فارس.

فنجد الكلمات التالية: في المضاعف: سع، سغ، سف، سك، سل، سن، سم، سب، ستّ، سجّ، سحّ، سخّ، سدّ، سرّ، وفي الثلاثي: سطع، سطل، سطن،... إلخ.

وحين ينتهي ابن فارس إلى حرف الياء أو أي حرف قبل الياء مما تتألف منه المواد المستعملة يعود فيقدم الألفاظ التي يكون الحرف التالي للسين هو الألف ثم الباء ثم التاء... إلى ما قبل السين..

ويرى هؤلاء الدارسون أن هذا الترتيب يناسب منهجي العين والجمهرة، وسبب ذلك أن هذا الترتيب كان ضروريًا للخليل وابن دريد

لأنهما يجمعان التقاليب في موضع واحد؛ فتأتي تآليف كل حرف فيما سبقه من أبواب [٨].

ج – إمامة الخليل في اللغة:

أقر ابن فارس بفضل الخليل في عملية استنباط الأصول والمقاييس، كما أقرّ بأن الخليل هو الذي مهد الطريق إلى اكتشاف نظرية النحت. ومن المعلوم أن المقاييس كتاب لغوي في ثوب معجمي، وقد تجاوز فيه ابن فارس مجرد جمع المواد اللغوية وترتيبها إلى تحليلها واستنباط أصولها ومقاييسها. وهو يعترف بإمامة الخليل في ذلك كله. ففي مادة (جذو) وهي: «أصل يدل على الانتصاب، يقال: جذوت على أطراف أصابعي؛ إذا قمت». ينقل ابن فارس عن الخليل قوله: «يقال: جذا يجذو، مثل جثا يجثو، إلا أن جذا أدلّ على اللزوم». ثم يأتي تعليق ابن فارس المؤيد لقول الخليل، بل إن قول الخليل هو الدليل على صحة ما استنبطه ابن فارس، قال: «وهذا الذي قاله الخليل دليل لنا في بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام، والخليل عندنا في هذا إمام» [٩].

وكثيرًا ما يذكر ابن فارس أقوال الخليل تأييدًا لما يستنبطه من أصول ومقاييس؛ كقوله في مادة (أخر): «وهذا قياسٌ أخذناه من الخليل» [١٠]، وفي مادة (عقّ): «وهذا الذي أصّله الخليل رحمه الله صحيح» [١١]، وفي مادة (عبر): «والذي قاله الخليل صحيح يدل على صحة القياس الذي ذكرناه» [١٢].

والخليل ثقة فيما يروى عنه حتى لو خالفت الرواية موقف ابن فارس، أو كانت الرواية مثيرة للشك؛ ففي مادة (خنب) وهي أصل واحد يدل على لين ورخاوة، يقول ابن فارس: «وحكى بعضهم عن الخليل أنه قال: هو خِنَّأْبٌ؛

مكسور الخاء شديدة النون مهموزة»، ويتبع ابن فارس ذلك بتعليقه التالي: «وهذا إن صح عن الخليل، فالخليل ثقة، وإلاّ فهو ما ذكرناه من غير همز»[١٣].

د – اعتماده على شروحات الخليل وتعليقاته:

اعتمد ابن فارس اعتمادًا كبيرًا في الشرح والتفسير على الخليل من بين اللغويين القدامى، بل إنه يقدم أقوال الخليل على سائر اللغويين غالبًا. ولعل هذا التقديم مشروط، لدى ابن فارس، بما يؤيد ما استنبطه من الأصول والمقاييس، فها هو ذا ابن فارس يورد تفسيرًا لغويًا دقيقًا للخليل تعليقًا على لهجة عربية، ففي مادة (بقى) وهو أصل يدل على الدوام؛ ينقل قول الخليل كيفية تصريف المادة في لغة طيّئ، فهم يقولون: «بقى يبقى، وكذلك لغتهم في كل مكسور ما قبلها، يجعلونها ألفًا؛ نحو بقى ورضا، وإنما فعلوا ذلك لأنهم يكرهون اجتماع الكسرة والياء فيفتحون ما قبل الياء، فتنقلب الياء ألفًا[١٤].

ومن مظاهر اعتماده على شرح الخليل وتفسيره إقراره بالتفسير الاشتقاقي لمادة (بحر)؛ إذ يذهب الخليل إلى أن البحر سُمّي بحرًا «لاستبحاره وهو انبساطه وسعته..»[١٥].

ومن مظاهر اعتماده على الخليل اقتباسه ما ذكره الخليل مصوبًا به ما أخطأ فيه الناس من رواية لفظة. ففي مادة (يمّ) وهي: «كلمة تدل على قصد الشيء وتعمده وقصده»، ينقل عن الخليل قوله: تيمَّمْتُ فلانًا بسهمي ورمحي، إذا قصدته دون سواه، وأنشد قول الشاعر:

يمَّمْتُه الرمْحَ شزرًا ثم قلت له   هذي البسالةُ لا لِعْبُ الزحاليق

ويبدو أن بعض الرواة قال: أمَّمْتُه. ولذلك عقب ابن فارس بقول الخليل مبينًا وجه الخطأ في هذه الرواية: «ومن قال في هذا البيت: أمَّمْتُه فقد أخطأ؛ لأنه قال: شَزْرًا، ولا يكون الشزر إلا من ناحية، وهو لم يقصد أمامه فيقول: أمَّمْتُه»(١٦).

ويلاحظ فيما سبق ذكره أن ابن فارس ينقل عن الخليل معاني المادة وشروحها والتعليق عليها، غير أنه في مئات الأمثلة يكثر الاقتباس والنقل عن الخليل من دون تعليل أو تعليق أو تعقيب. ومن أمثلة ذلك ما ورد من مادة (بوع) وهو أصل واحد هو امتداد الشيء، فقد قال الخليل: «البَوْع والباع لغتان، ولكنّهم يسمّون البَوْع: الخِلْقة. فأما بسط الباع في الكرم ونحوه فلا يقولون إلا كريم الباع»(١٧).

III – نقد الخليل:

أ – لم يمنع إعجاب ابن فارس بالخليل، وإقراره بإمامته في اللغة وتوثيقه، من توجيه النقد إلى أقواله، ومخالفته، والتشكيك بصحة ما ورد عنه.

ولعل من أهم أسباب ذلك أن ابن فارس كان صاحب نظر لغوي، فكان يحكم بعدم الصحة وعدم الصواب لكل ما كان يخالف موقفه اللغوي حتى لو كان مرويًا عن إمام اللغويين الخليل بن أحمد.

ومن الجدير بالذكر أن ابن فارس يعزو الكثير من الأقوال التي لا توافق موقفه مما ينسبه إلى الخليل ليس للخليل مباشرةً، بل ينسبه إلى ما يسميه «الكتاب الذي للخليل» أو «الكتاب المنسوب إلى الخليل»(١٨). ولعل أقسى عبارة نقدية وجهها ابن فارس إلى ما رُوي عن الخليل قوله في مادة

(علك): «... وقد ذكر عن الخليل... أن العكنكع: الذكر الخبيث من السّعالي، وأنشد:

كأنّها وهُوْ إذا استبّا معا   غولٌ تُداهي شَرِسًا عكَنْكَعا»

ويختم ابن فارس بالتعليق على هذه المادة، وهذا المعنى بقوله: «وأرى أن كتاب الخليل إنما تطامن قليلاً عند أهل العلم لمثل هذه الحكايات»[١٩].

ولكنه يقف موقفًا مغايرًا من بعض الروايات المخالفة، فيبدي شكه في نسبتها إلى الخليل، ومن أمثلة ذلك فيما يروي عن الخليل ما أشار إليه من أن معنى من معاني مادة (ترك)؛ وهي في الأصل «التخلية عن الشيء» قد ورد في الكتاب المنسوب إلى الخليل كما يلي: «.. يقال تركتُ الحبل شديدًا». ويرى ابن فارس أن هذا المعنى ليس للخليل بقوله: «وما أحسب هذا من كلام الخليل»[٢٠].

وهناك نصٌّ في المقاييس يثير الريبة حول وضع الخليل لكتاب العين ففي مادة (شجذ) ذكر ابن فارس أنها «كلمة واحدة» ثم قال: «وأما نسختي من كتاب العين للخليل، ففيها أن ش ج ذ مهمل، ولا أدري أهي سقطٌ في السماع أم خفيت الكلمة على مؤلف الكتاب، والكلمة صحيحة»[٢١].

وقوله (مؤلف الكتاب) ولم يقل (الخليل) يفتح الباب أمام المتشككين الذين ذهبوا إلى أن الخطة والمنهج كانا للخليل، وأما حشو المادة فكان لتلامذة الخليل. وقد خصّ بعض الدارسين اسم (الليث بن المظفر) بالذكر. ويعجب الباحث من موقف ابن فارس هذا، فهوّ يقر سلفًا بنسبة العين للخليل، وقد ورد هذا في مقدمته للمقاييس، ثم في أثناء الكتاب يتشكك في هذه النسبة. ولعل في موقف ابن فارس هذا إجابة أو/ تفسيرًا لورود مواد

لغوية أو تفسيرات عديدة مخالفة لآراء ابن فارس في اللغة، ولذلك لجأ إلى التشكيك بهذه الأقوال/ الآراء فنسبها مرةً إلى (الكتاب الذي للخليل) أو ما إلى ذلك من عبارات. أو قد يقول: «إن صحّ» أو «إن صحت» أو«إن كان صحيحًا»، فإن كانت لا تخالف موقفه/ رأيه قَبِلَها. وأما إن خالفت رأيه أبدى تشككًا فيها. على أن ابن فارس لم يكن يتشكك بكل ما روي عن الخليل مما ذكر أنه ورد «في الكتاب الذي للخليل»[٢٣].

ب – ويتشكك ابن فارس في عدد كبير من المواد التي نقلت عن الخليل، وكان يرى أن الكثير منها ليست أصولاً ولا يقاس منها، ففي مادة (دظّ) وهي عنده «ليست أصلاً يعوّل عليه ولا ينقاس منه»، ينقل عن الرواة «عن الخليل أن الدظّ الشّلّ؛ يقال دظظناهم إذا شللناهم». ولما كان ابن فارس لا يرى المادة أصلاً مقيسًا فقد أعقب قول الخليل بتعليقه التالي: «وليس ذا بشيء». وهذا يعني رفض ما نقل عن الخليل، والشك فيما روي عنه من معنى[٢٤]. ومن مظاهر الشك فيما نُقل عن الخليل وذكر في كتابه (أي العين) ما ورد في مادة (غرب)، وهو أصل صحيح، من أنه «إذا أمعنت الكلاب في طلب الصيد قيل: غرّبت». ويعقب ابن فارس على هذا بقوله: «وفيه نظر». ولعل هذه العبارة تدلّ على تشكك ابن فارس. وقد يصل الأمر إلى حد أنه لم ينكر هذه الرواية[٢٥].

وقريب من هذا ما أورده ابن فارس وقدم له بقوله: «زعم الخليل». ولا ندري إن كان هذا يعني رفض الرواية أو إنكارها، أو أنها تعني ما خصّ به الخليل و لم يرد عند غيره؛ فقد تكون بمعنى فسّر أو وضّح. وربما لا تحمل كلمة «زعم» تشكيكًا في الرواية. والذي يحملنا على هذا التفسير عدم

تصويب ابن فارس لكثير من الروايات التي نقلت عن الخليل، ففي مادة (عدل) ورد لفظ (عَدَوْلية) في النص التالي: «يقال لضرب من السفن عَدَوْلية.. على أن الخليل زعم أنها منسوبة إلى موضع يقال له: عَدَوْلَى».

ويلاحظ وقوع الإبدال أو القلب في بعض حروف أكثر المواد/ أو الألفاظ التي تشكك فيها ابن فارس ونُسبت إلى الخليل. وقد انتهج ابن فارس عدة طرق في التعامل مع تلك الأمثلة، فنراه تارةً يقول في مادة «ليس له أصل»، وتارةً أخرى يقول: «ليست بشيء» وثالثة يقرر «لا ينقاس منه».

ولعل بعض هذه الأمثلة ما يقع في الفروق بين اللهجات العربية، أو ربما يقع تحت ما يسميه القدماء بالتصحيف أو التحريف؛ وقد يكون التصحيف عادةً من نقل النسّاخ، وأما التحريف فكثيرًا ما يقع من الخطأ في السماع، والله أعلم.

ومن بين الأمثلة على الإبدال مادة (سدع) التي يرجح ابن فارس أن فيها إبدالاً، إذ الأصل (صدع). ويشير ابن فارس إلى أنّ ما ذكره الخليل عن هذه المادة «لا أصل له»[٢٧].

ومن أمثلة القلب في مادة (ترف) ما نُسب إلى الخليل: «التُّرفة: الهنة في الشفة العليا. ولكن ابن فارس الذي ينسب هذه المادة إلى «كتاب الخليل» لا الخليل نفسه، يرى اللفظة غلطًا منسوبًا للخليل. ويصوّب هذا الغلط ببيان وجه الصواب فيها وهو: التّفرة. وهذا يدلنا على ما وقع فيها من قلب مكاني بين الراء والفاء[٢٨].

وربما يشك ابن فارس فيما يروى عن الخليل، بل إنه يرى أن الخليل أعلى رتبة من «أن يصحح مثل هذا»، كما ورد في مادة (عضم). ويرى ابن

فارس أنّ ورود كلمات مروية عن الخليل «غلط من الرواة عنه»، وأنّ ما ذُكر «كله كلام»، وهو «لا أصل له». غير أنه يذكر هذه الروايات تعريفًا لها لا إقرارًا بما ورد فيها[٢٩].

ويجتهد ابن فارس أحيانًا في تقديم تفسير/ أو شرح للفظة عربية رادًا في ما يقدمه تفسيرًا روي عن الخليل، ومناقشًا «التفسير الخليلي». ففي مادة (عجم) ذهب الخليل إلى أن حروف المعجم هي الحروف المقطعة؛ لأنها أعجمية. وكتاب معجم، وتعجيمه: تنقيطه حتى يستبين عُجمته ويتضّح». ويؤول ابن فارس قول الخليل بما يلي: «وأظن أن الخليل أراد بالأعجمية أنها مادامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم، فهي أعجمية لأنها لا تدل على شيء». ويرى ابن فارس أن الخليل إن «كان هذا أراد فله وجه، وإلا فما أدري أي شيء أراد بالأعجمية؟». ثم يقدم ابن فارس وجهة نظره فيقول: «والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المعجم حروف الخط المعجم، وهو الخط العربي. فأما أنه إعجام الخط بالأشكال فهو عندنا يدخل في باب العضّ على الشيء لأنه فيه، فسمي إعجامًا لأنه تأثير فيه يدل على المعنى[٣٠].

إن من منهج ابن فارس حين يفتتح مواده أن يذكر إن كانت المادة صحيحة أو غير ذلك. ولكنه في عدد كبير من المواد الصحيحة/ ذات الأصول الصحيحة يذكر مقاييسها/ أي اشتقاقاتها المتنوعة. ثم يعرض بعد ذلك إلى ما شذّ عن الأصول الصحيحة. والشاذّ عند ابن فارس كثير، وهو يروي هذا الشاذ عن العلماء السابقين ومنهم الخليل، ويلاحظ أن ما شذ يعني به — على الغالب — اتفاق حروف لفظة/ ألفاظ مع الأصل الصحيح، ولكن المعنى مختلف عن معنى الأصل. وروى ابن فارس عددًا من مثل هذه

الألفاظ عن الخليل كقوله في مادة (مهى) وهي أصل صحيح يدل على إمهال وإرخاء، ثم ينقل لفظة شاذة عن هذا المعنى عن الخليل: «أن المهاء ممدود: عيبٌ وأودٌ يكون في القدح». غير أنه يستدرك فيقول: «ويحتمل أن يكون من الباب أيضًا؛ فإن ذلك يقرب من الإرخاء ونحوه»[٣١].

ويستدرك ابن فارس على الخليل فيذكر ألفاظًا/ أو مواد لم ترد في كتاب الخليل رغم أنها معروفة ومستعملة. وقد صرح ابن فارس في مادة (عكش)، وهي من المواد المهملة في كتاب الخليل بأنه قد يشذ عن العالم الباب من الأبواب، والكلام أكثر من ذلك»[٣٢]. وفي مادة (عيق) «لم يذكر الخليل منه شيئًا، وهو صحيح، يقولون العيقة: ساحل البحر»[٣٣].

ويقرن ابن فارس في بعض استدراكاته الجمهرة لابن دريد بالعين. كما ورد في مادة (ثب)؛ إذ يقول «كلمة ليست في الكتابين، وإن صحت فهي تدل على تناهي الشيء». ويلاحظ أن ابن فارس ينعت العين والجمهرة بالكتابين[٣٤].

IV– موقف ابن فارس من ابن دريد:

سبقت الإشارة إلى أن ابن فارس قد اقتفى أثر ابن دريد في الترتيب المعجمي المعتمد على الترتيب الألفبائي للحروف — حسب أوائل الكلمات —، والترتيب البنائي وإن اختلفا في عدد الأبنية التي جعلها ابن دريد ستة — كما في مدرسة العين —، وجعلها ابن فارس ثلاثة وفقًا لنظرته اللغوية للألفاظ العربية وأصولها، وقد طرح ابن فارس نظام التقليبات الخليلي الذي اقتفاه ابن دريد.

ولا يخفى على مطالعي مقاييس ابن دريد أن يرى أثر ابن دريد الذي يأتي ثانيًا بعد الخليل. ويتجلى موقف ابن فارس من ابن دريد وجمهرته فيما يلي:

أ – كثرة الاقتباس والنقل، غير أنه يلاحظ أن ابن فارس يمحص ما ينقل عن ابن دريد فيؤيده ويقره إذا انسجم ما يذكره ابن دريد مع مقاييسه، ولكنه يرفض وينكر ما لا ينسجم مع مقاييسه.

ب – تأصيل ابن دريد للمواد، ويوافق ابن فارس على ما أصّله ابن دريد من أصول اعتمدها. كما في مادة (ردح) التي يقول فيها: أصّل فيه ابن دريد أصلاً، قال: أصله تراكم الشيء بعضه على بعض»[٣٥].

ج – إقرار معان ذكرها ابن دريد: ويعتمد ابن فارس كثيرًا على المعاني التي ينقلها عن ابن دريد. وله فيها موقفان:

أ) ذكرها دون تعليق أو تعقيب نحو قوله في مادة (جسم) وهو: «يدل على تجمع الشيء. فالجسم كل شخص مدرك، كذا قال ابن دريد».

ب) وأما الموقف الثاني ففيه يجعل قول ابن دريد أصح من أقوال غيره إذا اختلف اللغويون في ذكر معاني مادة من المواد، ففي مادة (جرم) يرجح ابن فارس قول ابن دريد على أقوال غيره، فيقول: «وأما قولهم لصاحب الصوت: إنه لحسن الجِرْم، فقال قوم: الصوت يقال له الجِرْم. ثم يضيف قول ابن دريد مرجحًا له؛ فيقول: «وأصح من ذلك قول أبي بكر بن دريد: إن معناه: حَسَنُ خروج الصوت من الجرم»[٣٦].

موقف ابن فارس من ألفاظ اللغات واللهجات التي ينقلها عن ابن دريد:

جعل ابن فارس جمهرة ابن دريد مصدرًا من مصادر ألفاظ اللغات، واللهجات العربية، والألفاظ المولدة. و لم يكن ابن فارس ينقل هذه المواد/ أو الألفاظ في كثير من الأحيان دون تمحيص وتدقيق. وله في تناول هذه الألفاظ عدة طرائق، منها:

١. يكتفي بمجرد ذكرها دون تعليق، نحو مادة (فدى) يذكر حكاية عن ابن دريد أن «الفَدَاء ممدود؛ هو مِسطح التمر بلغة عبد القيس»[٣٧].

وكذا يفعل في بعض المواد/ الألفاظ من اللغات اليمانية، رغم أنه منكر لكون هذه الألفاظ تنسجم مع مقاييسه، ومن ثم مع ألفاظ العربية الشمالية. فها هو ذا يروي عن ابن دريد في مادة (قشب): «القَشْبة: الخسيس من الناس؛ لغة يمانية»[٣٨].

وقد ينقض ابن فارس موقفه من اللغات اليمانية بالاستشهاد ببعض أقوال ابن دريد حول هذه الألفاظ فيؤيده ويقرّه عليها. ففي مادة (عَنَكَ) يروي عن ابن دريد قوله: «عنكْتُ الباب وأعنكته، أي أغلقته، لغة يمانية». ولهذه المادة أصلان كما استنبط ابن فارس، ولحظ ابن فارس أن هذا المعنى ينسجم مع الأصل الثاني فيقول معقبًا على قول ابن دريد: «وهذا يصحِّحُ ما ذكرناه من قياس الأصل الثاني»[٣٩].

٢. وينفي ابن فارس نسبة ألفاظ معينة إلى العربية، مستندًا في حكمه هذا على ما ذكره ابن دريد، نحو مادة (هرو) التي يقول فيها ابن فارس: وهو باب «لم يوضع على قياس وأصول، وكلمة متباينة»، ثم ينقل عن ابن دريد قوله: «الهَرْوُ لا أصل له في العربية إلا أن ابن مالك جاء بحرف أنكره أهل اللغة، قال: هروت اللحم، أنضجته، وإنّما هو هرأته»[٤٠].

٣. ويسمي ابن دريد بعض الألفاظ بأنها مولدة، ولكن ابن فارس يرى بعضها ذات أصول صحيحة، ولاينكر نعت ابن دريد لها، كما في مادة (كبس) الذي هو أصل صحيح. وفيه أن (الكابوس) هو ما يقع على الإنسان بالليل. ويراه ابن دريد مولدًا في قوله: «أحسبه مولّدًا»[٤١].

٤. وينقل ابن فارس ألفاظًا معرّبة عن الفارسية كما يقول ابن دريد؛ ففي مادة (نفق) يورد ابن فارس عن ابن دريد أن قولهم «ينفق السراويل... هو فارسي معرّب»[٤٢].

موقف ابن فارس من اتفاق أقوال الخليل وابن دريد واختلافها:

قد تتفق أقوال الخليل وابن دريد، أو قد تختلف. ولابن فارس في هاتين الحالتين عدة مواقف، منها:

١. موافقة ما جاء عن العالمين، ويلاحظ في هذه الحالة أن يتفق الكلام المنسوب إلى الخليل وابن دريد مع الأصول والمقاييس التي استنبطها ابن فارس للمادة. ففي مادة (جسّ) وهو «تعرّف الشيء بمسّ لطيف»، يروي ابن فارس عن الخليل «أن الحواس التي هي مشاعر الإنسان ربما سُميت جواسّ». ثم نقل عن ابن دريد قوله: «وقد يكون الجسّ بالعين». ويرى ابن فارس أن هذا يصحّح ما قاله الخليل». ثم أورد شطر بيت ذكره ابن دريد في هذا المعنى:

فاعصوصبوا ثم جسّوه بأعينهم[٤٣]

٢. ومنها: السكوت عن التعليق إذا اختلف التفسيران، وفي هذه الحالة يذكر ابن فارس تفسير كل منهما دون ترجيح واحد على الآخر؛ فقد ذكر أن في مادة (جنـــز) كلمة واحدة، ثم قدّم قول ابن دريد: «جنـــزت الشيء أجنـــزه جنـــزًا، إذا سترته، ومنه اشتقاق الجنازة». ولكن الخليل يرى أن اشتقاق لفظ الجنازة غير هذا؛ إذ يذكره ابن فارس كما يلي: «فأما الخليل فمذهبه غير هذا؛ قال: الجنازة الميت، والشيء الذي ثقل على القوم واغتموا به هو أيضًا جنازة»[٤٤].

٣. ومنها رفض تفسيرَي الخليل وابن دريد إذا اتفقا في معنى، ولكن قد يزيد أحدهما معنى على الآخر. نحوُ مادة (تلم) فقد أورد ابن فارس في تقديم هذه المادة تشككه في صحة بعض معانيها. والغريب أنه قدم تفسير ابن دريد رغم اتفاقه مع تفسير الخليل وهو أن: «التّلام في قول ابن دريد» إنه التلاميذ، وأنشد:

كالحماليج بأيدي التلام

ثم أورد تفسير الخليل فقال: «وفي الكتاب المنسوب إلى الخليل: التَّلَم مَشَقُّ الكراب بلغة أهل اليمن، وذكر في التلام نحوًا مما ذكره ابن دريد».

ويظهر أن ابن فارس تشكك في هذه المادة فرأى أنها «ليس بأصل، وليس فيه كلام صحيح ولا فصيح»؛ ولذلك فقد عقّب على هذه المادة بما لا ينافي ما قدمه، فقال: «وما في ذلك شيء يعوّل عليه». ولعل سبب رفض ابن فارس لهذه المادة يعود إلى أحد أمرين أو كليهما؛ فأما أحدهما فهو ما ذكره من «أن التلميذ ليس من كلام العرب». وأما الثاني فقد يكون بسبب نسبة لفظ (التلم) الذي ذكره الخليل، إلى لغة اليمن[٤٥].

ويرى الباحث في هذه المادة أنه كان على ابن فارس أن يقدّم كلام الخليل على ما ذكره ابن دريد؛ لأن الخليل أقدم زمنًا من ابن دريد، ولأنه زاد معنى عليه.

٤. ومنها — ترجيح قول ابن دريد على رأي الخليل إذا اختلفا، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن فارس في مادة (أخر) وهي: «أصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدم». ويعترف ابن فارس أن «هذا قياس أخذناه عن الخليل، فإنه قال: الآخِر نقيض المتقدم. والأُخُر نقيض القُدُم». ولكن ابن

فارس في إيراده لبعض فروع هذه المادة يقدم رأي/ تفسير ابن دريد على قول الخليل؛ فروى عن ابن دريد قوله: «الآخِر تالٍ للأول»، ويعقب ابن فارس على قول ابن دريد قائلاً: «وهو قريب مما مضى ذكره، إلا أن قولنا قال آخر الرجلين، وقال الآخِر، هو لقول ابن دريد أشدّ ملاءمة وأحسن مطابقة»[٤٦].

نقد ابن فارس لما جاء عن ابن دريد:

أ – ذكر سابقًا أن ابن فارس لم يكتف باقتباس أقوال ابن دريد وآرائه، بل أخضع ما نقل عنه للقبول أو للنقد والتمحيص، ولم يتحرج ابن فارس من إبداء الشك في الكثير مما نقله عن ابن دريد. وربما يتجاوز ابن فارس مجرد الشك إلى نقد المادة أو نقد اللفظة، إلى نقد منهج ابن دريد في ذكرها. ففي مادة (جعم)، وهي «أصلان: الكِبَر، والحرص على الأكل»؛ وهذا ما استنبطه ابن فارس من أقوال الخليل، غير أنه أورد قول ابن دريد وقدم له بقوله: فإنه ذكر ما أرجو أن يكون صحيحًا، وأراه قد أملاه كما ذكره حفظًا، فقال: جعم يَجْعَم جعمًا؛ إذا لم يشته الطعام؛ قال: وأحسبه من الأضداد؛ لأنهم ربما سموا الرجل النهم جَعِمًا». ويعقب ابن فارس على قول ابن دريد قائلاً: «هذا قول أبي بكر، واللغات لا تجيء بأحسب وأظن. فأما قوله: جَعَمْتُ البعير مثل كعمته، فلعله قياس في باب الإبدال استحسنه فجعله لغة، والله أعلم بصحته»[٤٧].

ولنا على تعقيب ابن فارس ملحوظتان: إحداهما محاكاة ابن فارس لمناهج الفقهاء، وهو يقرّر قاعدة منهجية لغوية في قوله: «واللغات لا تجيء بأحسب وأظن»، إذ ليس في تقرير القواعد الفقهية مجال للحسبان والظن. والثانية: ما ختم به ابن فارس معالجته للمادة بقوله: «والله أعلم بصحته»،

وهذه عبارة تتكرر كثيرًا في المعجم وخاصةً في المواد/ الألفاظ التي قد يتشكك فيها/ أو بصحتها ابن فارس. ولعل هذا أن يكون من تأثير علماء الشريعة الذين يختمون كل أمر يعالجونه بقولهم: «والله أعلم»(٤٨).

ب – نقد اللغات اليمانية:

على الرغم من أن ابن فارس جعل ابن دريد من مصادره الرئيسة في اللغات واللهجات، إلا أنه كان يرفض الكثير مما يُنسب إلى اللغات اليمانية. والحق أن ابن دريد كان متهمًا لدى علماء العربية بوضعه للألفاظ وافتعالها، ونسبة أكثرها إلى اللغات/ اللغة اليمانية.

يذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أن معجم الجمهرة لابن دريد كان مصدرًا مهمًا من مصادر اللهجات العربية، خاصةً اليمنية والأزدية منها، يقول حسين نصار عن ابن دريد: «ركز عنايته باللغة اليمانية خاصةً فذكرها في قريب من ٢٢٠ موضعًا. ولعل سبب ذلك أنها لغته الأصلية، وأنه كان متعصبًا لأهله من اليمن. وكانت الكلمات اليمنية من أهم ما دار حول الجمهرة من شك ونقد، لعدم اتساقها مع المعروف من لغة الشمال»(٤٩).

ولم يكن ابن فارس الوحيد الذي أنكر هذه المواد/ الألفاظ ورفضها ثم وجه الاتهام إلى ابن دريد بافتعالها؛ بل لقد اتهمه معاصره نفطويه (ت ٣٢٣هـ) بالكذب ووضع الألفاظ، وتبعه في ذلك الأزهري صاحب التهذيب(٥٠). ومن الأمثلة الكثيرة التي اتهم فيها ابن فارس ابن دريد بصنعها ما ذكره في مادة (ثبن) وهي عند ابن فارس «أصل واحد، وهو وعاء من الأوعية». وروى عن ابن دريد قوله «المثبنة: كيسٌ تتخذ فيه المرأة المرآة وأداتها». وقدم ابن فارس لقول ابن دريد بالتعليق التالي: «وقال ابن دريد

قياسًا ما أحسبه إلا مصنوعًا». ثم ختم المادة بقوله: «وزعم (أي ابن دريد) أنها لغة يمانية». وكأني بابن فارس قد قدم الحكم على رواية ابن دريد، فهو حكم مسبق(٥١).

ويلاحظ الباحث المتفحص للمقاييس أن ابن فارس قد بالغ أحيانًا في توجيه أصابع الاتهام والنقد القاسي إلى ابن دريد فيما يتعلق بالمواد/ الألفاظ اليمانية. ففي مادة (جفز) يقول ابن فارس: «لا يصلح أن يكون كلامًا إلا كالذي يأتي به ابن دريد من أن الجَفْزَ السرعة، وما أدري ما أقول»(٥٢).

وأما نص ابن دريد – كما ورد في الجمهرة – فهو: «الجفز السرعة في المشي لغة يمانية لا أدري ما صحتها»(٥٣).

ويرى الباحث أن ما اتهم به ابن دريد يحتاج إلى مراجعة وتحقيق؛ فإن ما ذكره ابن دريد يرد دعوى ابن فارس واتهامه، فإذا كان ابن فارس قد تشكك بصحة هذه المادة، فإن كلام ابن دريد لا يخرج عن هذا المعنى. ومن أوضح الأمثلة على عدم دقة ابن فارس في توجيه الاتهام إلى ابن دريد ما أورده ابن فارس في معالجته مادة (ثحج) فقد ذكر عن ابن دريد أن معنى قولهم: ثحجه برجله إذا ضربه بها هي «كلمة زعم أنها لِمهْرة بن حَيْدان». ويرى ابن فارس في تعقيبه على هذا التعبير ومعناه أن ابن دريد قد أبعد «شاهده ما استطاع». ولكن بمقابلة ذلك بما ورد في الجمهرة يجد الباحث أن ابن دريد قال «لغة مرغوب عنها لمهرة بن حيدان...»(٥٤).

لقد حاول بعض الدارسين المحدثين أن يؤول موقف ابن فارس من اللغات اليمانية التي رواها عن ابن دريد فذهبوا إلى أن ابن فارس كان لا يعتد باللغة اليمانية أصلاً من الأصول التي يقاس عليها في كلام العرب،

ويقصد ابن فارس بكلام العرب العربية الشمالية العدنانية، إذ يُخرج ابن فارس العربية الجنوبية من مقاييسه العربية الصحيحة[٥٥].

والحقيقة أن ابن فارس لم يكن يرفض كل ما ذكره ابن دريد ونسبه إلى اللغة اليمانية، بل هناك مواد/ أو ألفاظ ذات أصول يمانية ينقلها ابن فارس دون تعليق»[٥٦].

ويمكن للباحث المتبصر في المواد/ الألفاظ التي جعل فيها ابن فارس شيخه ابن دريد مولدًا لها ومفتعلاً، أنها بالفعل ألفاظ يمانية، وليس لابن دريد من ذنب سوى أنه ينقلها ويرويها ويذكرها في معجمه، وهذا مما يجعل ابن فارس، كمن سبقه من اللغويين، يتسرع في الحكم على ابن دريد بتوجيه تهمة الافتعال والتوليد لها. وكان ابن فارس – كما مرّ آنفًا – يتشكك في صحتها.

ويكثر اتهام ابن فارس في المقاييس لابن دريد، وتمثّل اتهامه بألفاظ متعددة تؤدي غرضًا واحدًا؛ فقد اتهمه بالتوليد والتدليس وغيرها. ومن أمثلة ذلك أن وجّه ابن فارس تهمة توليد الألفاظ إلى ابن دريد كما في مادة (ج غ ب)، إذ يقول عنها: «... فلا أصل لها في الكلام، والذي قاله ابن دريد في الجَغْب إنه ذو الشَّغَب، ويعقب ابن فارس على قول ابن دريد بقوله عن هذا المعنى: «فجنس من الإبدال يولده ابن دريد ويستعمله»[٥٨].

ووجّه ابن فارس أيضًا عبارة: «أعاجيب ابن دريد» تعليقًا على مادة (خزف) التي قال ابن فارس عنها إنها «ليس بشيء». ويرى أن الخزف «هذا معروف، ولسنا ندري أعربي هو أم لا؟»، وأما ابن دريد فقد ذكر أن «الخزْف الخطر باليد عن المشي». وهذا المعنى يراه ابن فارس «من أعاجيب ابن دريد»[٥٩].

«الخزْف الخطر باليد عن المشي». وهذا المعنى يراه ابن فارس «من أعاجيب ابن دريد»[٥٩].

وقد انفرد ابن دريد بذكر مواد/ أو ألفاظ لم ترد عند غيره. وقد وقف منها ابن فارس موقف المتشكك فجعل بعضها «ليست أصولاً» كما في مادة (حبص) «ليس أصلاً، ويزعمون أن فيه كلمة واحدة، ذكر ابن دريد: «حبص الفرس؛ إذا عدا عدوًا»[٦٠].

وقد يجعل ابن فارس اللفظة شاذة، ففي مادة (حرب) وهي ثلاثة أصول شذّ عنها الحُرْبة: «ذكر ابن دريد أنها العزارة السوداء»[٦١].

ومن نعوت ابن فارس لبعض ما يذكره ابن دريد «التدليس». وهي من التهم التي وجهها ابن فارس إلى المواد/ أو الألفاظ التي تخالف قياسًا جاء به ابن فارس. ففي مادة (عزق) يرى ابن فارس أنها ليس فيها كلام أصيل رغم ما رُوي عن الخليل من أنها مستعملة في الكلام في أكثر من معنى، غير أن ابن فارس علق عليها جميعًا بقوله: «وكل هذا في الضعف قريب بعضه من بعض»، ثم أتبع ذلك بتوجيه إصبع الاتهام إلى ابن دريد إذ يقول: «وأعجب منه اللغة اليمانية التي يدلسها أبو بكر محمد بن الحسن الدريدي رحمه الله، وقوله: إن العزيق مطمئن من الأرض، لغة يمانية، ولا نقول لأئمتنا إلا جميلاً»[٦٢].

ونعت ابن فارس بعض ما جاء به ابن دريد بالهفوات، وبأن ما يأتي به ليس بشيء؛ كالذي ذكره تعليقًا على مادة (عدك): «ليس بشيء إلا كلمة من هفوات ابن دريد، قال: العدك: ضربٌ من الصوف بالمطرَقة»[٦٣].

ومرة أخرى بمراجعة الجمهرة نرى أن ابن فارس قد تجنّى على ما ذكره ابن دريد، فقد ورد في الجمهرة النص التالي: «والعدك لغة يمانية زعموا

وهو ضرب الصوف بالمطرقة»[٦٤].

وهذا يدلنا على أن ابن فارس، رغم تقواه، إلا أنه كان يحرف ويصحف ولم يكن دقيقًا فيما نقله عن ابن دريد، إذ لا وجه لتخطئة ما ذكره ابن دريد خاصةً أن ابن فارس — رحمه الله — حذف نسبة الكلمة إلى اللغة اليمانية، كما حذف قول ابن دريد «زعموا»[٦٥].

ويظهر أن ابن فارس قد استخدم كلمة (زعم) لاتهام ابن دريد في عدد من المواد التي تشكك بصحتها، على أن ابن فارس قد استخدم (زعم) أيضًا في موادّ يراها صحيحة، ففي مادة (فدغ) يقول: «زعم ابن دريد أن الفَدْغ: الشَّدْخ، وذكر الحديث «إذًا تَفْدغ قريش رأسي». ويعقب ابن فارس على هذا الحديث بقوله: «وهذا صحيح»[٦٦].

ونعت ابن فارس بعض المواد/ أو الألفاظ التي يذكرها ابن دريد بقوله: طريفة وجمعها طرائف، ففي مادة (فدش) يقول: «ليس منها إلا طريفة من طرائف ابن دريد: فدشتُ الشيء إذا شدختُه»[٦٧].

تغليط ابن دريد:

ويغلّط ابن فارس تفسيرًا أورده ابن دريد، فقد ذكر في مادة (فصح): «أصل يدل على خلوص شيء. وفي كتاب ابن دريد: أفصح العربي إفصاحًا، وفصُح العجمي فصاحةً؛ إذا تكلم بالعربية، وأُراه غلطًا، والقول هو الأول»[٦٨].

وينقض ابن فارس استنتاجًا لغويًا لابن دريد، ففي مادة (قفى) وهي: «أصل صحيح: إتباع شيء لشيء»، ثم ينقل عن ابن دريد قوله: «يقال: فلان قِفْوتي: أي تهمتي. وقفوتي: خِيرتي. قال: فكأنه من الأضداد». ويعقب ابن فارس بنفي استنتاج ابن دريد إذ يقول: وهذا الذي قاله فإن المعنى فيه

إذا اتهمه: قفاه أي تبعه بطلب سيئة عنده، وإذا كان خيرتَه قفاه أيضًا؛ أي تبعه يرجو خيره. وليس ذلك عندنا من طريقة الأضداد[٦٩].

واتهم ابنُ فارس ابنَ دريد برواية ألفاظ «ليس فيها شيء يصح»، ولم ترو إلا عن طريق ابن دريد؛ نحو مادة (قلط) التي يصفها بقوله: «ليس فيه شيء يصح»، ثم يذكر قول ابن دريد: «رجلٌ قلاطٌ: قصير»[٧٠].

واتهمه أيضًا بأنه قد انفرد برواية ألفاظ/ أو أصول لم ترد عند شيوخه، نحو مادة (معت)،: «قال أبو بكر (أي ابن دريد): المعْت: الدلك، ومعتُّ الأديم: دلكته، وهو عند الخليل مهمل»[٧١].

وأنكر ابن فارس ألفاظًا غريبة ذكرها ابن دريد، نحو مادة (ولذ) «الولْذ: سرعةٌ في المشي والحركة، وولذ يلذ». وعزا ابن فارس هذه المادة إلى ما سماه (غرائب ابن دريد)»[٧٢].

والألفاظ الغريبة هي الألفاظ غير المألوفة، وهي كذلك الحوشية/ أو الوحشية. وربما لا تصل هذه الألفاظ إلى حدّ أن توصف بأنها خطأ، بل هي غريبة إما لتأليف حروفها، أو لغرابة معناها/ معانيها. ويظهر أن ابن دريد قد تأثر بشيوخه في حفظ هذه الألفاظ، وربما نقل الكثير منها عن الأصمعي عن طريق ابن شقيق الأصمعي عبد الرحمن. والمعلوم أن الأصمعي كان مشهورًا بحفظه للغرائب من الألفاظ والحكايات.

وأنكر ابن فارس أيضًا مادة لغوية عزاها إلى ما يسميه «حكاية»، ويقصد بذلك (حكايات الأصول). والمعلوم أن ابن فارس ينكر أن تكون حكايات الأصوات أصولاً لها مقاييس يعترف بها. فنراه يقول في مادة (لتغ)

«ليس بشيء غير حكاية». قال «أنتغ الرجل إذا ضحك ضحك المستهزئ». ثم روى عن ابن دريد أن قولهم «رجل منتغ فعال لذلك»[٧٣].

الخلاصة

لقد كان أحمد بن فارس ذا بصر لغوي نافذ في الدرس اللغوي العربي. ولم يكن يردد ما كان ينقله أو يرويه عن شيوخه من علماء العربية فحسب. بل كان يخضع الروايات جميعها للدرس والنقد. وكان يؤيد ويقر ما ينسجم مع مقاييسه ونظراته اللغوية، وينكر ويرفض ما خرج عنها.

واتبع ابن فارس مناهج متعددة في التعامل مع المواد اللغوية/ أو المعاني التي تلقاها عن شيوخه. ويلخص أحد الدارسين المحدثين منهج ابن فارس في النقد اللغوي في ثلاثة أمور: أولها: إصدار الحكم بالضعف، وثانيها: المقارنة المجردة، وثالثها المقارنة مع الترجيح[٧٤]. ويمكن إضافة أمر آخر وهو: تصويب ما كان يراه خطأً أو محرفًا.

ويرى دارس آخر «نضج النقد في المقاييس» ويحتج على ذلك بأمثلة منها ما أورده ابن فارس في مادة (توخ)، إذ يقول: «تاخت الإصبع مثل ثاخت»، ويضيف «ذكر في كتاب الخليل حرف أراه تصحيفًا، قال: تاخت الإصبع في الشيء الرخو، وإنما هو بالثاء ثاخت»[٧٥].

وبمراجعة مادة (ثوخ) في المقاييس نرى أن ابن فارس يرى أن: «الثاء والواو والخاء ليس أصلاً»؛ ويبين أن سبب ذلك «لأن قولهم ثاخت الإصبع إنما هي مبدلة من ساخت، وربما قالوا بالتاء: تاخت»[٧٦].

ولقد اصطنع ابن فارس أيضًا مناهج علماء الشريعة من فقهاء ومحدثين ومفسرين بالإضافة إلى مناهج اللغويين والرواة المدققين. فكان يخضع مواد معجمه، أصولاً ومقاييس، لهذه المناهج جميعًا.

واصطنع ابن فارس كذلك العدل والموضوعية في نقده لمصادره، فكان رغم إعجابه الكبير بشيوخه جميعًا – ومنهم الخليل وابن دريد – لايتحرج من ردّ بعض ما أصّلوه أو فسّروه، ولعلّ أهم شرط لنقده هو مخالفة ما رُوي عنهما للأصول والمقاييس التي استنبطها في معجمه المقاييس.

ومن عناصر نقده لما نُقل إليه عن الخليل وابن دريد أن أخضع الروايات والتفسيرات لمبدأ الشك الذي يصل به إلى اليقين؛ فكان يرجح، أو يصوّب، أو ينكر، أو يستدرك ما فات هذه المصادر من أصول وفروع.

ويبدو واضحًا – مما ورد في البحث – أن ابن فارس كان يجلّ الخليل ويقدّمه في التأصيل على سائر اللغويين ومنهم ابن دريد، ولكن ابن فارس أكثر من تخطئة ابن دريد خاصةً في رواياته لألفاظ اللغة اليمانية.

ويؤخذ على ابن فارس أحيانًا تحريفه وتصرّفه للنصوص التي يرويها عن ابن دريد خاصةً، كما يؤخذ عليه تسرّعه في إصدار الحكم على ما نقل عن ابن دريد.

* * *

الحواشي والمصادر والمراجع

١- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ١/ ٣-٥.

٢- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ١/ ٣٥٢.

٣- المقاييس، ١/ ٣.

٤- السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ١/ ٧٧ وما بعدها. وانظر: أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ص ٦١ وما بعدها.

٥- ترتيب الأبنية في مدرسة العين: ١- الثنائي/ المضاعف والمطابق، ٢- الثلاثي الصحيح، ٣- الثلاثي المعتل، ٤- اللفيف، ٥- الرباعي، ٦- الخماسي. ويلاحظ أن الثلاثي ثلاثة أنواع في حين أنه نوع واحد عند ابن فارس. ويلاحظ أيضًا أن العين جعل الرباعي بابًا مستقلاً، والخماسي بابًا آخر مستقلاً، بينما جعل ابن فارس كلاً من الرباعي والخماسي واحدًا أسماه: مازاد على الثلاثي، وهو الذي طبق عليه نظريته في النحت.

٦- المعجم العربي، ٢/ ٤٤٥.

٧- رضوان، العلاّمة ابن فارس، ص ١٢٥.

٨- نصّار، المعجم العربي، ٢/ ٤٣٦- ٤٣٩، وانظر: رضوان، ابن فارس، ص ١٢٥.

٩- المقاييس، ١/ ٤٣٩ — ٤٤٠.

١٠- المصدر نفسه، ١/ ٧٠.

١١- المصدر نفسه، ٤/ ٣ —٤.

١٢- المصدر نفسه، ٤/ ٢٠٨، وانظر المواد: خدع، ٢/ ١٦١، سطن، ١/ ٧١.

١٣- المصدر نفسه، ٢/ ٢٢١- ٢٢٢. والواقع أن ابن فارس كثيرًا ما يتشكك في صحة مواد/ ألفاظ مروية عن الخليل، ثم يقرها ويذكرها لذكر الخليل إياها. وانظر: مادة أيس وهي عند ابن فارس «ليست أصلاً يقاس عليه، و لم يأت فيه إلا كلمتان

ما أحسبهما من كلام العرب». ويعترف أنه يذكرهما «لذكر الخليل إياهما». المقاييس ١/ ١٦٤.

١٤- المصدر نفسه، ١/ ٢٧٦.

١٥- المصدر نفسه، ١/ ٢٤٦.

١٦- المصدر نفسه، ٦/ ١٥٢- ١٥٣.

١٧- المصدر نفسه، ١/ ٣١٨.

١٨- انظر على سبيل المثال لا الحصر المواد التالية: جذر ١/ ٤٣٧، صعد ٣/ ٢٨٧، طفو ٣/ ٤١٤، ظبَّ ٣/ ٤٦٤، كنو ٥/ ١٣٩.

١٩- المقاييس، ٤/ ٩- ١٢.

٢٠- المصدر نفسه، ١/ ٣٤٦.

٢١- المصدر نفسه، ٣/ ٢٤٦.

٢٢- انظر المواد: عهب ٤/ ١٦٦، وعهم ٤/ ١٧٤.

٢٣- المصدر نفسه، انظر المواد: بزر ١/ ٢٤٦، ترك ١/ ٣٦٤، توخ ١/ ٣٥٧.

٢٤- المصدر نفسه، ٢/ ٢٥٧، وانظر مادة ردخ ٢/ ٥٠٨.

٢٥- المصدر نفسه، ٤/ ٤٢٠ – ٤٢٢.

٢٦- المصدر نفسه، ٤/ ٢٤٧، وانظر: مادة عرس، ٤/ ٢٦١- ٢٦٣، ومادة كدى، ٥/ ١٦٧.

٢٧- المصدر نفسه، ٣/ ١٤٨، وانظر على سبيل المثال لا الحصر المواد: زمخ وأصلها شمخ ٣/ ٢٣، وعظ ولعلها في الأصل عض، ٤/ ٥٢.

٢٨- المصدر نفسه، ١/ ٣٤٥، ومما يراه ابن فارس غلطًا على الخليل ووقع فيه إبدال مادة عسم (٤/ ٣١٥)؛ فقد روي عن الخليل أن «العُسُوم: كِسَر الخبز»، ويرجح ابن فارس أن «هذا في باب الشين أصح»، وانظر مادة: عشم، ٤/ ٣٢١.

٢٩- المصدر نفسه، ٤/ ٣٤٦- ٣٤٧. وانظر مادة علق، قال الخليل: «يسمى الشراب عليقًا». لكن ابن فارس يتشكك في صحة هذا القول، فيعقب عليه بقوله: «ومثل هذا مما لعل الخليل لا يذكره»؛ ٤/ ١٢٨. وانظر مادة عزق، ٤/ ٣٠٦ – ٣٠٧.

٣٠- المصدر نفسه، ٤/ ٢٤٠- ٢٤١. وانظر مادة: دمع: فقد ورد في كتاب الخليل أنه «يقال شجّة دامعة: تسيل دمًا»، ولكن ابن فارس يذهب إلى أنّ «الأصح من هذا أن التي تسيل دمًا هي الدامية، فأما الدامعة فأمرها دون ذلك لأنها التي كأنها يخرج منها ماءٌ أحمر رقيق»، ٢/ ٣٠١. وانظر مادة: عزّ، ٤/ ٣٨.

٣١- المصدر نفسه، ٥/ ٢٨٠، وانظر قول الخليل في مادة: وزن (٦/ ١٠٧) إن «الوزين: الحنظل المعجون كان يُتّخذ طعامًا». وقد صرّح ابن فارس أنها «من الشاذ الذي نقل عن الخليل».

٣٢- المصدر نفسه، ٤/ ١٠٨.

٣٣- المصدر نفسه، ٤/ ١٩٨، وانظر مادة: عدب، ٤/ ٢٥٢.

٣٤- المصدر نفسه، ١/ ٣٧٠، وانظر المواد: ثعم، ١/ ٣٧٧، وثغم، ١/ ٣٧٩- ٣٨٠.

٣٥- المصدر نفسه، ٢/ ٥٠٨، وانظر المواد: سبّ (٣/ ٦٣) فأصل الباب «القطع ثم اشتق منه الشتم». ويرى ابن فارس أن «الذي قاله ابن دريد صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه». ومادة: ظهر، ٣/ ٤٧٢- ٤٧٣، وعجس، ٤/ ٢٥٣.

٣٦- المصدر نفسه، ١/ ٤٤٥- ٤٤٦.

٣٧- المقاييس، ٤/ ٤٨٤.

٣٨- المصدر نفسه، ٥/ ٩٠، وانظر المواد، رضف، ٢/ ٤٠١، ركع، ٢/ ٤٣٥.

٣٩- المصدر نفسه، ٤/ ١٦٥، وانظر مادة: عحس، ٤/ ٢٣٥.

٤٠- المصدر نفسه، ٦/ ٤٨.

٤١- الجمهرة، ١/ ٢٨٧، المقاييس، ٥/ ١٥٤، وانظر المزهر، باب المولّد، ١/ ٣٠٥.

٤٢- المقاييس، ٥/ ٤٥٥، وانظر الجمهرة، ٣/ ١٥٥.

٤٣- المصدر نفسه، ١/ ٤١٤.

٤٤- المصدر نفسه، ١/ ٤٨٥.

٤٥- المصدر نفسه، ١/ ٣٥٣.

٤٦- المصدر نفسه، ١/ ٧٠.

٤٧- الجمهرة، ٢/ ١٠٣، المقاييس، ١/ ٤٦١- ٤٦٢.

٤٨- انظر المقاييس، مادة لتخ، ٥/ ٢٣٣.

٤٩- المعجم العربي، ٢/ ٤٢٩، وانظر: شرف الدين الراجحي، محمد بن دريد وكتابه الجمهرة، ص ٢٩٩ وما بعدها.

٥٠- أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ١/ ٣١.

٥١- المقاييس، ١/ ٤٠١.

٥٢- المصدر نفسه، ١/ ٤٦٤.

٥٣- الجمهرة، ٢/ ٩٠.

٥٤- المصدر نفسه، ٢/ ٣٢، المقاييس، ١/ ٣٧٢.

٥٥- نصار، المعجم العربي، ٢/ ٤٢٩، وانظر: رضوان، العلامة ابن فارس، ص ١٥٩- ١٦٠.

٥٦- انظر على سبيل المثال لا الحصر مادة (نتك)، المقاييس، ٥/ ٣٨٨.

٥٧- انظر مادة ثبن، ١/ ٤٠١.

٥٨- المصدر نفسه، ١/ ٤٦٤، وانظر مادة جلج، ١/ ٤٧٠.

٥٩- المصدر نفسه، ٢/ ١٧٧.

٦٠- المصدر نفسه، ٢/ ١٢٩، وانظر المواد: مس، ومدس، ومدق، ومدل.

٦١- المصدر نفسه، ٢/ ٤٩.

٦٢- الجمهرة، ٣/ ٦، المقاييس، ٤/ ٣٠٦- ٣٠٧.

٦٣- المقاييس، ٤/ ٢٤٦.

٦٤- الجمهرة، ٢/ ٢٨٠.

٦٥- المقاييس، انظر المواد: نتك ٥/ ٣٨٨، قشب، ٥/ ٩٠، كحم، ٥/ ١٦٤، كدع، ٥/ ١٦٥.

٦٦- المصدر نفسه، ٤/ ٤٨٢.

٦٧- المصدر نفسه، وانظر المواد، فدك، فدخ، فشح، قزب، قزع، هوب، هدق.

٦٨- المصدر نفسه، ٤/ ٥٠٧، وانظر مادة: بحل، ٥/ ٢٩٩، وقارن الجمهرة، ٢/ ١١١.

٦٩- المقاييس، ٥/ ١١٢- ١١٣.

٧٠- المصدر نفسه، ٥/ ٢١.

٧١- المصدر نفسه، ٥/ ٢٣٥.

٧٢- الجمهرة، ٢/ ٣١٨، المقاييس، ٦/ ١٤٣.

٧٣- المقاييس، ٥/ ٣٨٧.

٧٤- محمد رضوان، العلامة اللغوي ابن فارس، ص ١٦٥.

٧٥- المقاييس، ١/ ٣٥٧.

٧٦- المصدر نفسه، ١/ ٣٩٦.

نظرة نقديّة مقارنة
في المعجم اللغوي العربي الحديث
انطلاقًا من أربعة معاجم متداولة

د. عبد اللطيف عبيد



«المعجم» في اللغة العربية تسمية اصطلاحيّة تشير إلى المفهومين التاليين:

١- مجموع ألفاظ اللغة، وبالذات وحداها المعجميّة الدّالة.

٢- الكتاب (المؤلّف) الذي تجمع فيه ألفاظ اللغة جُلّها أو بعضُها، وتُرتَّب ترتيبًا ألفبائيًّا أو غير ألفبائي، وتكون مصحوبة ببيانات معجميّة أخصّها الشرح أو التعريف.

ومعجم اللغة العربية الحديثة أو المعاصرة – بالمعنى الأوّل – معجم حيّ متجدّد متطوّر، يسعى إلى مواكبة الحراك الذي عرفه المجتمع العربي منذ مطلع القرن التاسع عشر ثمّ في النصف الثاني من القرن العشرين خاصّة، وذلك على الرّغم ممّا تتعرّض له اللغة العربية من مزاحمة العاميات وهيمنة اللغات الأجنبيّة. ويتجدّد معجم اللغة العربية – كغيره من معاجم اللغات الحيّة – بتغيّر يطرأ على بعض المباني والمعاني تارة، وبالزيادة والنّقص فيها تارة أخرى.

ويفترض في المعجم اللغوي العربي الحديث – بالمعنى الثاني المذكور آنفًا – أن يعكس تطوّر اللغة العربية وتجدّد معجمها أي مجموع ألفاظها،

وأن يكون مرآة صادقة لنهضتها وحيويّتها وحداثتها ومواكبتها للحضارة المعاصرة في مختلف المجالات وفي كلّ أنحاء الوطن العربي.

ويفترض أيضًا في المعجم اللغوي – أي القاموس – أن تتّصف مادّته اللغوية بالغزارة والشمول، والدقّة والموثوقيّة، وجودة العرض والترتيب، فيكون تطويرًا حقيقيًّا للصناعة المعجميّة العربيّة، مؤدّيًا لوظيفته الأساسيّة أداةً تربويّة وعلمية وثقافية لا غنىً عنها للمتعلّم والمعلّم والباحث والمثقّف.

وسيحاول هذا البحث اختبار مدى توافر هذه الخصائص والشروط في المعجم اللغوي العربي الحديث في ضوء الأدبيات العربية والأجنبية القائلة بأنّ معجمنا الحديث صورة مصغّرة، أو تكاد، من معاجمنا القديمة المشهورة من جهة؛ وانطلاقًا من فحص أربعة معاجم لغويّة عربية حديثة متداولة صدرت خلال العقود الأربعة الأخيرة بأربعة من أقطارنا العربية من جهة أخرى. وهذه المعاجم الأربعة هي:

أ – «المعجم الوسيط» لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقد اعتمدنا طبعته الثالثة التي صدرت سنة ١٩٨٥.

ب– «المعجم المدرسي» للأستاذ محمد خير أبو حرب والصادر في طبعته الأولى سنة ١٩٨٥ عن وزارة التربية السورية.

ج– «القاموس الجديد الألفبائي» لـــ: علي بن هادية وزميليْه (وهم تونسيّون) والصادر في طبعته العاشرة سنة ١٩٩٧ عن «الأطلسيّة للنشر» بتونس و«الأهلية للنشر والتوزيع» ببيروت.

د– «المنجد في اللغة العربية المعاصرة» الصادر في طبعته الأولى سنة ٢٠٠٠ عن «دار المشرق» ببيروت.

ولدراسة هذه المعاجم دراسة نقديّة اخترنا موادّ حرف «القاف» التي تمثل في المعاجم الأربعة ما يزيد قليلاً على ٥٪ من مجموع صفحات كلّ معجم، وهي نسبة قد تكون كافية للوصول إلى نتائج ذات مصداقيّة.

تقع موادّ حرف القاف في «المعجم الوسيط» في ٦٦ صفحة أي ما نسبته ٥,٩٤٪ من مجموع صفحات المعجم.

وتقع موادّ حرف القاف في «المعجم المدرسي» في ٦٠ صفحة أي ما نسبته ٥,١٨٪ من مجموع صفحات المعجم.

وتقع موادّ حرف القاف في «القاموس الجديد الألفبائي» في ٥٨ صفحة أي ما نسبته ٥,٥٢ ٪ من مجموع صفحات المعجم، علمًا بأنّ بعض مشتقات هذه الموادّ تتضمّنها حروف أخرى نظرًا إلى أن هذا المعجم ألفبائي لا جذريّ.

وتقع موادّ حرف القاف في «المنجد في اللغة العربية المعاصرة» في ٨٧ صفحة أي ما نسبته ٥,٥٣٪ من مجموع صفحات هذا المعجم.

أما هذه الموادّ نفسها فقد بلغ عددُها في المعجم الوسيط ٣١٥ مادّة أو أصلاً، أي مدخلاً رئيسيًّا. وقد أفرغنا هذه الموادّ في جدول اتخذناه عيّنة أصلية، (انظر العمود الأوّل في يمين الجدول)، ثم قارنّا به المداخل الرئيسية في المعاجم الثلاثة الأخرى، وتوصّلنا إلى النتائج الإحصائية التالية:

١- تبلغ موادّ المعجم الوسيط (أي مداخله الرئيسة) ٣١٥ مادّة كما ذكرنا، بينما تبلغ موادّ «المعجم المدرسي» ٢١١ مادّة منها ٢٠٧ موادّ مشتركة بين المعجمين (الوسيط والمدرسي) و٤ موادّ أضافها «المدرسي» إلى ما اشترك فيه مع «الوسيط» وهي: **القُدموس** (القديم، والعظيمُ من الإبل)

وقَوْزَمَ الشاعرُ شعرَه (جاء به رديئًا) والقَطُوَسُ (جنس طيور بحريّة... إلخ) والقُنْبُزُ (حَبُّ القِنَّب).

٢- تبلغ موادّ «الألفبائي» ٢٢٦ مادّة منها ٢٢١ مادّة يشترك فيها مع «الوسيط»، و٥ موادّ جديدة عنده ولا وجود لها في «الوسيط» وهي: قَسَحَ (الشيءُ = صَلُبَ)، وقرْطَلّ (سَلّة من قضبان أو قصب... وقرْطَلّة أيضًا) وقَرْقَعَ (أسمَعَ صوتًا جافيا...) وقَرنْبى (دُويبة طويلة الرجلَيْن تشبه الخنفساء) وقَشّابيّة (جلباب مغربي منسوج من صوف ينتهي بطربوشة تُوضع على الرأس، أو تنـــزل على القفا).

٣- تبلغ موادّ «المنجد» ٢٦٥ مادّة منها ٢٢٨ مادّة مشتركة بينه وبين «الوسيط» و٣٧ مادّة جديدة فيه ولا وجود لها في العينة الأصلية (أي الوسيط). وهذه الموادّ الجديدة دالة غالبًا على أدوية أو نباتات أو حيوانات أو أدوات حديثة (قابوق، قاشاني، قاوون، قباجور، أو أباجور، قُتامين، قَرتين، قَرْطَلّ... إلخ).

ومّما يمكن استنتاجه من مقارنة هذه الإحصائيات ما يلي:

١- إنّ المعجم الوسيط أوفر هذه المعاجم الأربعة موادّ، فهو يزيد على «المدرسي» بـــ ٣٣٪ وعلى «الألفبائي» بـــ ٢٨,٣٪ وعلى «المنجد» بـــ ١٥,٨٪.

٢- إن نسبة التجديد في موادّ «المدرسي» و«الألفبائي» و«المنجد» قياسًا بـــ «الوسيط» الذي أُلّف قبلها وظهرت طبعته الأولى – التي لا تختلف كثيرًا عن طبعته الثالثة المعتمدة – محدودة جدًّا. وهي تبلغ ١٩,٠٪ في «المدرسي» (٤ موادّ جديدة من مجموعة موادّه البالغ عددها ٢١١ مادّة)

و٠,٢٢٪ في «الألفبائي» (٥مواد من ٢٢٦) و١٣,٩٦٪ في «المنجد» (٣٧ مادة جديدة من ٢٦٥ مادة).

ويستخلص من ذلك أنّ مداخل المعجم العربي (أي القاموس المؤلّف) تتجدّد بالحذف أكثر ممّا تتجدّد بالزيادة وتبنّي المولّد والمحدَث والمقترَض، كما يمكن أن نستشفّ من هذه المقارنة نزعة تقليدية محافظة لدى مؤلّفي المعاجم العربية الحديثة حتّى وإن صرّحوا في مقدّمات معاجمهم بعكس ذلك. والحقيقة أن التقليد والمحافظة لدى هؤلاء المؤلّفين ليسا ناتجَيْن عن اختيار واع وموقف مدروس من اللغة وما يطرأ عليها من تغيّر، بقدر ما هما نتيجة استسهال للتأليف المعجمي واتّكاء على «المعجم الوسيط» الذي جعل منه صدورُهُ عن جهة لغوية رسميّة تحظى بكلّ الاحترام والتوقير «حجّة» في اللغة ومعيارًا ينسج على منواله ويحتذى حذوُه. ويتضح لنا من فحصنا لموادّ المعاجم اللغوية العربية الحديثة التي أُلّفت بعد «المنجد في اللغة» و«المعجم الوسيط» أنّ هذه المعاجم لا تكاد تضيف جديدًا إلى هذين المعجمين إلاّ في ما ندر. وإذا علمنا أنّ «المنجد في اللغة» و«المعجم الوسيط» كثيرًا ما وُصفا بأنهما تشذيبٌ وتهذيب لمعاجمنا اللغوية القديمة – وخاصّة لسان العرب والقاموس المحيط – أدركنا سرّ تواصل هذه النـزعة التقليدية المحافظة في معاجمنا الحاليّة أو في معظمها على الأصحّ.

وإذا رجعنا إلى الجدول المتضمّن موادّ المعاجم الأربعة لاحظنا أنّ من أهمّ الموادّ التي استغنت عنها المعاجم الثلاثة الأخرى غير «الوسيط» ما يلي: قَأب، قتن، قثا، قحر، قدف، القُذَعْمِلَةُ، قَذَم، قرث، القردَدُ، القرْدَع، القِرْشَبُّ، قرطَبَ، قَرْمَصَ، قَزَا، قَسَبَ، قَسْقَسَ، قَشا، قَصْمَلَ، قَضُفَ،

قَعْتَلَ، قَعَثَ، قَعْسَرَ، قَعَشَ، قَعْضَبَ، القعضم، قَعَطَ، قَعَّ، قَعْفَزَ، قَعَم، قَعْوَلَ، قَفِيءَ، قَفَحَ، قَفَسَ، قَفَنَ، قَلَزَ، القَلْفِعُ، قَمَدَ، قَنَعَ، قَنْسَرَ...إلخ.

وهذه الموادّ (أو الأصول أو الجذور) تنتمي إلى المهجور أو المُمات الذي عَزَّ على مؤلّفي «المعجم الوسيط» أن يفرّطوا فيه على الرغم من انعدام مشتقات حيّة من هذه الموادّ في العربية المعاصرة، وعلى الرّغم من أنّ «المعجم الوسيط» إنّما أُلّف بناء على طلب وزارة المعارف المصرية ليسعف المجمع «العالم العربي بمعجم على خير نمط حديث، بحيث لا يقلّ في نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبيّة، فيجيء محكم الترتيب، واضح الأسلوب، سهل التناول (...) وبذا ينتفع به طلاب العلم، وييسّر عليهم تحصيل اللغة» مثلما جاء في تصدير المرحوم الدكتور إبراهيم مدكور للطبعة الأولى الصادرة في مطلع الستينيّات.

والحقيقة أنّ نظرة المعجميّين خاصّة، واللغويين عامّة، لاتزال تقليدية في معظمها. ومن أبرز خصائص هذه النـــزعة التقليدية المحافظة عدمُ التمييز الواضح بين الآنية والزمانية في النظر إلى اللغة. ومن المعلوم أنّ العربية ممتدّة في الزمان والمكان، لكن ذلك لا ينفي تنوّعها عبر الزمان والمكان أيضًا، لأنّه من دون هذا التنوّع والتغيّر تجمد اللغة وتتحجّر. وإنّ معاجمنا الحديثة — ورائدها حتى الآن «المعجم الوسيط» — تُفْرِطُ في القديم وتفرّط في الكثير من الحديث الذي يحتاج إليه المتعلّم والمعلّم والباحث والمترجم والمثقّف لا من العرب فحسب بل من غير الناطقين بالعربية أيضًا. لذلك لا يسعنا هنا إلا أن نخالف المرحوم الدكتور إبراهيم مدكور عندما قال في تصدير الطبعة الأولى: إن «الوسيط» «قد خطا في سبيل التحديد اللغوي خطوات فسيحة، ففتح باب الوضع للمحدثين (...) وشدّد في هجر الحوشي والغريب». ولعلّ

عدم التفريق بين المكاني والزماني في تأليف «الوسيط» يتضح ممّا قاله الدكتور مدكور نفسه في التصدير نفسه من أن «الوسيط» «يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة...». ونحن، وإنْ كنّا حَريصين أشدّ الحرص على وحدة اللغة واستمراريتها، فإنّا نرى أن هذه الوحدة وتلك الاستمراريّة يضمنها تواصل البنى الصوتية والصرفية والنحوية للعربية، أمّا المعجم – أي مجموع ألفاظ اللغة – فهو نظام مفتوح كما يقول اللسانيون، وهو متجدّد باستمرار بالتغيّر والزيادة والنقصان. ﴿يَمحُو اللهُ ما يشاءُ ويُثبتُ وعنده أمُّ الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩].

إلاّ أنّ الحكم بأنّ المعاجم اللغوية العربية الحديثة تقليدية محافظة لا تعكس حيوية اللغة العربية حكمٌ يحتاج إلى مزيد دليلٍ من جهة، وإلى تعديل واستثناء من جهة أخرى. وقد سبق أن استشهدنا على ما نقول بموادّ المعاجم، أي بمداخلها الرئيسيّة. وسنقدّم الآن أمثلة من المداخل الفرعيّة (المشتقات) يتضح في بعضها التقليد وفي بعضها الآخر سعيٌ جادٌّ إلى التجديد وجعل المعجم اللغوي يواكب الاستعمال الواقعي الحقيقي للغة في إطارها الاجتماعي والعلمي والثقافي.

جاء في «الوسيط» في مادّة: **قَبَــصَ** ما يلي:

قَبَصَ يَقبِصُ قَبْصًا: عدا عدوًا سريعًا. و- الغلامُ: شَبَّ. و- الشيءَ: تناوله بأطراف أصابعه. و- الرجُلَ وغيرَه: قطع عليه ما هو فيه قبل أن يُتمّه. يقال: قَبَصَ الشاربَ: قطع عليه شُرْبَه قبل أن يُروَى.

قَبِصَ يَقْبَصُ قَبَصًا: خَفَّ ونَشِط. و ـــ: أصابَهُ القَبَصُ، فهو قَبِصٌ.
و ـــ الرجُلُ: عظُم رأسُهُ، فهو أقْبَصُ، وهي قبصاء. ويقال: هو أقبصُ الرأس: ضَخْمُه مدوَّرُه. وهامة قبصاء: عظيمة ضخمة مرتفعة. (ج) قُبْصٌ.

قَبَّصَ الشيءَ: تناوله بأطراف أصابعه.

اقتبص من أثره قبصةً: أخذها.

انقبص: انقبض.

تقبَّصَ الجراد على الشجر: تقبّض. و ـــ الحبْلُ: لم يمتدّ.

القابصة: الجماعة. (ج) قوابِصُ.

القَبَصُ = وَجَعٌ يُصيبُ الكَبِد.

القِبص = العدد الكثير من الناس. يقال: هم في قِبص الحصى، لا يستطاع عدّهم. و ـــ: مجتمع الرَّمل الكثير الكبير. و ـــ: الأصل. يقال: فلان كريم القِبْص.

القَبِصُ: – يقال: حَبْل قَبِصٌ: لا يمتدّ.

القَبَصُ: القِبْصُ.

القَبْصَةُ: ما تناولتَه بأطراف أصابعك. و ـــ من الطعام والحَبّ: ما حَمَلَتْ كفاك. و ـــ: الجرادةُ الكبيرة.

القبيص: الترابُ المجموع. و ـــ من الخيل: الوثيق الخَلْق لا يمسّ الأرض منه عند الركض إلا أطراف سنابكه من قُدُم.

المِقْبَصُ: الحبْل الذي يُمدّ بين أيدي الخيل في الحلبَة إذا سُوبِقَ بينها. (ج) مقابِصُ.

وقد شذّب «المدرسي» هذه المادة فأبقى على:

قَبَص الشيءَ يَقبِص قَبْصًا: تناوله بأطراف أصابعه.

أما «الألفبائي» فتضمنّ:

قَبَصَ يقبص قبصًا الرجلُ: عدا عدوًا شديدًا... إلخ.

قَبِص يَقْبَصُ قَبَصًا الرجُلُ: أصابَهُ وَجَعُ القَبْص، فهو قَبِصٌ. كما خصّص مدخلَيْن لـــ: قَبَصٌ وقَبْصَةٌ.

وأمّا «المنجد» فتضمّن:

قَبَصَ يَقْبِصُ قَبْصًا: الشيء: تناوله بأطراف أصابعه.

قَبْصَةٌ: ما تناولته بأطراف أصابعك «قَبصة من حصًى». ما حملتْ كفاك: «قَبْصة من طعام».

وهكذا لم يَتمكّن «المعجم الوسيط» من الانفلات من أسْر معاجمنا التراثية القديمة، كما لم تتمكّن المعاجم الثلاثة الأخرى من التخلّص من «قَبْصَة» الوسيط، وإن احتفظت بـــ «ما لا مفرّ منه»!، وهذا على الرغم من زعمها كلّها أنّها تتجنّب الحوشيّ والمهجور مثلما رأينا في تصدير «الوسيط» ومثلما جاء في مقدّمة «المنجد» عندما صرّح مؤلّفوه من أنّه «كان لابُدّ من أن نضع، إلى جانب المنجد في اللغة الذي يبقى في خدمة اللغة والأدب القديمَيْن، مُنجدًا حديثًا، أسميناه المنجد في اللغة العربية المعاصرة، يضمّ جميع المفردات والعبارات التي يحتاج إليها مثقّف القرن الحادي والعشرين، حتّى المأخوذة من أصل غير عربي».

أمّا عن جوانب التجديد في اختيار مشتقات المادّة اللغوية (أي المداخل الفرعية) وشرحها وتحديث معانيها والتمثيل لها فيمكن أن نمثّل لها بالمداخل الفرعيّة لمادّة: قبس في المعاجم الأربعة: جاءت المداخل الفرعية لمادة قبس كالتالي:

أقبس- اقتبس- قابسٌ- قابوس- قَبَسٌ- قَبْسة- قوابسُ- مقباسٌ- مَقبِسٌ- مقْبَس- مُقتَبَسٌ؛ ووردت المداخل الفرعية التالية في «المدرسي»:

قَبَسٌ- قَبْسَةٌ- قابِسٌ- قابوس- مِقباسٌ- مَقْبِسٌ- مَقبَس- مِقْبَسٌ- أَقْبَسَ- اقتبَسَ- مُقْتَبَسٌ.

أما «الألفبائي» فقد ورد فيه:

قَبَسٌ- قَبسَة- قابِس- مقباس- مَقْبِس- مِقبَس- مُقتبسٌ- أقبس- اقتبس.

وتضمن «المنجد» المشتقات المذكورة باستثناء: قَبْسَة، وأَقْبَسَ، وأضاف: مقتبس.

لكن عند التأمل في شرح هذه المداخل الفرعيّة نجد أنّ «المنجد» قدّم شروحًا عصريّة ملائمة لروح العصر ومواكبة للتطوّر الفكري والفني.

فبينما شرح «الوسيط» اقتبس بقوله: ـــ نارًا: قَبَسها. وـــ فلانًا: طلب منه نارًا. ويقال اقتبس منه نارًا. وـــ منه علمًا: استفاده. ويقال: جئت لأقتبس من أنوارك... إلخ؛ وتابعه في مثل هذا الشرح «المدرسي» و«الألفبائي»، نجد «المنجد» قد عرّف اقتبس كما يلي: اقتَبسَ: استمَدّ: «يقتبسُ القمرُ نورَه من الشمس» — اختار فكرة من كاتب وتصرّف فيها وأعاد صياغتها في نصّ خاصّ به «اقتبس فكرة من كاتب». — اختار كتابةً وأعاد سردَها حرفيًا في نصّ من تأليفه: «اقتبس مقطعًا من كتاب»... إلخ.

ومثل هذا التطوير في تضمين المشتقات وتحديث شروحها نجده في «المنجد» في مواضع كثيرة أخرى. ولنذكر هنا، على سبيل المثال أيضًا، أنّ مادّة قبل تضمّنت مداخل فرعية بمعانٍ مُحدَثة لا نجدها في المعاجم الثلاثة

الأخرى. من ذلك: مقبوليّة، قَبْليّ، قبْليًّا، قَبْليّة، قبليّ، لا تقبليّة، مستقبلي، مستقبليّة. وبينما عُرّفت المقابلة في «المعجم الوسيط» كما يلي:

المقابَلَةُ من الشاءِ والنُّوقِ: ما قُطعت أُذُنُها قطعةً لم تَبِنْ وتُركَت مُعلَّقةً مِنْ قُدُم... إلخ، فإنّها عُرّفت في «المنجد» كما يلي:

لقاءٌ شخص لعَرْض مشكلة أو التقدّم بمطالب: «التَمِسْ مقابلةَ مُدير أو رئيس». ــ: مواجهة صِحافيّة لأخذ حديث من شخص رسميّ، ومناقشته، وطرح الأسئلة عليه، لمعرفة آرائه وتوجّهاته، ومن ثَمَّ نقلها إلى جمهور القرّاء على سبيل التوضيح وتعميم الفائدة: «أجرى مقابلة مع وزير...».

وهذا فإذا كان «المنجد» تقليديًا محافظًا في اختيار الموادّ أي المداخل الرئيسيّة – وإن كان ذلك بدرجة أقلّ من «المدرسي» و«الألفبائي» – فإنّه كان مجدّدًا في اختيار المداخل الفرعيّة وتحديث مدلولاتها، بما يجعله أكثر التصاقًا بواقع اللغة وأكثر تصويرًا لحيويتها وتطوّرها المستمرّين، وهو ما يسمح لنا باعتباره خطوة متطوّرة على طريق تحديث المعجم العربي.

وإذا كان لابدّ من خاتمة لهذه الورقة المقتضبة فهي التأكيد على أنّنا أردنا أن نبيّن – انطلاقًا من أمثلة قليلة تتضمّنها أربعة من معاجمنا الحديثة المتداولة – أنّ الفرق عندنا كبير بين المعجم باعتباره مجموع ألفاظ اللغة (أي المعنى الأوّل لمصطلح معجم كما أوردناه في المقدّمة) والمعجم المصنوع أو المدوّن، وأنّ الثاني لا يعكس الأوّل وإنّما هو متخلّف عنه. فمعجمنا المدوّن تقليدي محافظ في موادّه وفروعه وشروحه، وما ذلك إلا بسبب نظرتنا إلى اللغة نظرة لا تاريخية من جهة، وتأخّر صناعة المعاجم العصرية عندنا من جهة أخرى. يقول محمد عابد الجابري في فصل مهمّ جدًّا من كتابه «تكوين العقل

العربي» وعنوانه: «الأعرابي صانع العالم العربي» ما يلي: «والنتيجة هي أنّ اللغة العربية الفصحى، لغة المعاجم والآداب والشعر، وبكلمة واحدة لغة الثقافة، ظلّت وماتزال تنقُلُ إلى أهلها عالمًا يزداد بعدًا عن عالمهم، عالمًا بدويًا يعيشونه في أذهانهم، بل في خيالهم ووجدانهم، عالمًا يتناقضُ مع العالم الحضاري- التكنولوجي الذي يعيشونه والذي يزداد غنىً وتعقيدًا. فهل نبالغ إذا جَنَحْنا إلى القول بأنّ الأعرابي هو فعلاً صانع «العالم» العربي، (...) وأن هذا العالم ناقص فقير ضحل جاف، حسي – طبيعي، لا تاريخي، يعكس «ما قبل تاريخ» العرب: العصر الجاهلي، عصر ما قبل «الفتح» وتأسيس الدولة».

على أن تطوير الصناعة المعجمية وتحديث المعاجم المصنوعة لن يتحقّقا إلا بمزيدٍ من الانكباب على دراسة العربية نفسها وخاصّة معجمها، أي مجموع ألفاظها. وما أحوجنا إلى مَرْصد للمولّدات أو المحدَثات اللفظية العربية، يسجّل ما يظهر منها بمختلف أرجاء الوطن العربي في الصحافة والتأليف والتدريس، ويتتبّع مسارَه، ويضبط معانيه، ويحيله إلى المجامع ومؤلفي المعاجم، فتُسَدُّ به ثغرات كثيرة ماثلة في معاجمنا، وتثرى به لغتنا ثراءً وظيفيًا عمليًا بما يجعلها في خدمة الإنسان العربي وتنميته الشاملة المنشودة.

موادّ حرف القاف في أربعة معاجم لغوية عربية حديثة

الوسيط = المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

الألفبائي = القاموس الجديد الألفبائي لعلي بن هادية وزميليْ.

المدرسي = المعجم المدرسي من تأليف محمد خير أبو حرب وإصدار وزارة التربية السورية .

المنجد: المنجد في اللغة العربية المعاصرة لدار المشرق — بيروت

١-١٨				١٩-٣٦			
الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد
القاف	+	+	+	قَتَدَ	+	+	+
قأب				قَتَرَ	+	+	+
القِنْقِئُ		+		قَتَعَ			+
قَبَّ	+	+	+	قَتَلَ	+	+	+
القَبَحُ			+	قَتَمَ	+	+	+
قَبَحَ	+	+	+	قَتَنَ			
قَبَرَ	+	+	+	قَتَا	+	+	
قَبَس	+	+	+	أقْتَأَ	+	+	+
قَبَصَ	+	+	+	قَثَّ		+	
قَبَضَ	+	+	+	قَثَمَ	+		
قَبَطَ	+	+	+	قَثَا			
قَبَعَ	+	+	+	قَحَبَ		+	+
قَبْقَبَ	+	+	+	قَحَّ	+	+	+
قَبِلَ	+	+	+	قَحَرَ			
قَبَنَ	+	+	+	قَحَزَ		+	
قَبَا	+	+	+	قَحَطَ	+	+	+
قَتَبَ	+	+		قَحَفَ	+	+	+
قَتَّ	+	+	+	قَحِلَ	+	+	+

٣٧- ٥٦				٥٧-٧٦			
الوسيط	المدرسي	الألفباني	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفباني	المنجد
قَحَمَ	+	+	+	قَرَتَ		+	
قَحَا			+	قَرَثَ			
قَدَحَ	+	+	+	قَرَحَ	+	+	+
قَدَّ	+	+	+	قَرَهَ	+	+	+
قَدَرَ	+	+	+	قَرْدَحَ	+	+	+
قَدَسَ	+	+	+	القَرْدَدُ			
قَدَعَ		+		القِرْدَعُ			
قَدَفَ				قَرَّ	+	+	+
قَدَمَ	+	+	+	قَرَسَ	+	+	+
قَدَا	+			قَرَشَ	+	+	+
قَذَّ	+	+	+	القِرْشَبُ			
قَذَرَ	+	+	+	قَرَصَ	+	+	+
قَذَعَ	+	+	+	قَرْمَعَ		+	
القُذَعْمِلَةُ				القُرْصان	+	+	+
قَذَفَ	+	+	+	قَرَضَ	+	+	+
قَذَلَ	+	+	+	قَرْضَبَ	+		
قَذَمَ				قَرِطَ	+	+	+
قَذَى	+	+	+	قَرْطَبَ			
قَرَأَ	+	+	+	قَرْطَسَ	+	+	+
قَرَبَ	+	+	+	قَرْطَمَ	+		+

٧٧-٩٦				٩٧-١١٦			
الوسيط	المدرسي	الألفباني	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفباني	المنجد
قَرَظَ	+	+	+	قَرَهَ			+
قَرَعَ	+	+	+	قَرَه جُوز			
قَرَفَ	+	+	+	قرا	+	+	+
قَرْفَصَ	+	+	+	قَزَحَ	+	+	+
قَرْفَلَ	+	+		قَزَّ	+		+
قَرَقَ		+	+	قَزَعَ	+	+	+
قَرْقَرَ	+	+	+	قَزَلَ		+	+
القِرْقِسُ			+	قَزَمَ	+	+	+
قَرْقَفَ	+	+	+	القَزَانُ		+	+
القِرِلَّى	+	+	+	قَزَا			
قَرَمَ	+	+	+	قَسَبَ			
قَرْمَدَ	+	+	+	قَسَرَ	+	+	+
القِرْمِزُ	+	+	+	قَسَّ	+	+	+
قَرْمَشَ			+	قَسَطَ	+	+	+
قَرْمَصَ				قَسْطَرَ	+		+
قَرْمَطَ	+	+	+	القَسْطَلُ	+	+	+
قَرْمَلَ	+	+	+	قَسْقَسَ			
قَرَنَ	+	+	+	قَسَمَ	+	+	+
قَرْنَسَ	+		+	أَقْسَنَ			
القَرَنْفُلُ	+	+	+	قَسَا	+	+	+

١١٧–١٣٦				١٣٧–١٥٦			
الوسيط	المدرسي	الألفباني	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفباني	المنجد
قَسْوَرَ		+		قَصَفَ	+	+	+
قَشَبَ	+	+	+	قَصْقَصَ	+	+	+
قَشَدَ	+	+	+	قَصَلَ	+	+	+
قَشَرَ	+	+	+	قَصَمَ	+	+	+
قَشَّ	+	+	+	قَصْمَلَ			
قَشَطَ	+	+	+	قَصَا	+	+	+
قَشَعَ	+		+	قَضِئَ			
اقْشَعَرَّ	+	+	+	قَضَبَ	+	+	+
القَشْعام	+		+	قَضَّ	+	+	+
قَشِفَ	+	+	+	قَضَعَ	+		
قَشْقَشَ			+	قَضُفَ			+
قَشَمَ			+	قَضْقَضَ	+	+	+
قَشَا				قَضِمَ	+	+	+
قَصَبَ	+	+	+	قَضَى	+	+	+
قَصَدَ	+	+	+	قَطَبَ	+	+	+
القَصْدِيرُ	+	+	+	قَطَرَ	+	+	+
قَصَرَ	+	+	+	تَقَطْرَبَ	+	+	+
قَصَّ	+	+	+	قَطْرَنَ		+	+
القَصْطَلُ	+	+	+	قَطَّ	+	+	+
قَصَعَ	+	+	+	قَطَعَ	+	+	+

١٥٧-١٧٦				١٧٧-١٩٦			
الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد
قَطَفَ	+	+	+	قَعَّ			
قَطْقَطَ			+	قَعَفَ	+		
قَطَلَ			+	قَعْفَزَ			
قَطَمَ	+	+	+	قَعْقَعَ	+	+	+
القِطْمِيرُ	+	+	+	قَعَمَ			
قَطَنَ	+	+	+	قَعَنَ		+	
قَطَا	+		+	قَعْنَبَ			
قَعَّبَ	+	+		قَعِيَ	+	+	+
قَعْبَلَ				قَعْوَلَ			
قَعَثَ				قَفِئَ			
قَعَدَ	+	+	+	قَفَحَ			
قَعَرَ	+	+	+	قَفَدَ			+
قَعَسَ	+	+	+	قَفَرَ	+	+	+
قَعْسَرَ				قَفَزَ	+	+	+
قَعَشَ				قَفَسَ			
قَعَصَ	+	+		قَفَشَ		+	+
قَعْضَبَ				قَفَصَ	+	+	+
القَعْضَمُ				قَفَطَ			+
قَعَطَ				القُفْطَان			+
قَعِطَ				قَفَعَ	+	+	+

١٩٧-٢١٦				٢١٧-٢٣٦			
الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد
قَفَّ	+	+	+	قَلْقَلَ	+	+	+
قَفْقَفَ	+	+	+	قَلَّ	+	+	+
قَفَلَ	+	+	+	قَلَمَ	+	+	+
قَفَنَ				القَلَنْسُوَةُ	+	+	+
قَفَا	+	+	+	قَلاَ- قَلَى	+	+	+
قَلَبَ	+	+	+	قَمَأَ	+		+
قَلِتَ	+	+		قَمَحَ	+	+	+
قَلِحَ	+	+	+	القَمَحْدُوَةُ			+
قَلَسَ	+	+	+	قَمَدَ			
قَلَزَ			+	قَمَرَ	+	+	+
قَلْزَمَ				قَمَزَ		+	
قَلَسَ	+	+	+	قَمَسَ	+	+	+
قَلَصَ	+	+	+	قَمَشَ	+	+	+
القَلِيطُ			+	قَمَصَ	+	+	+
قَلاَوُوظ				قَمَطَ	+	+	+
قَلَعَ	+	+	+	قَمْطَرَ	+	+	+
قَلَفَ	+	+	+	قَمَعَ	+	+	+
القِلْفِعُ				قَمْقَمَ	+	+	+
قَلَقَ	+	+	+	قَمِلَ	+	+	+
القُلْقَاسُ		+	+	قَمَّ	+	+	+

٢٣٧-٢٥٦				٢٥٧-٢٧٦			
الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد
قَمِنَ	+	+	+	قَنْطَرَ	+	+	+
قَمَهَ		+		قَنَعَ	+	+	+
قَما – قَمَى		+		قَنِفَ			
قَنَأَ	+	+		تَقَنْفَنَ	+	+	+
قَنَبَ	+	+	+	قَنِمَ	+	+	+
القُنْبُرَة		+	+	قَنَّ	+	+	+
القُنَّيْطُ	+	+	+	القَنْقَنُ			+
قَنْبَعَ	+	+	+	قَنَا	+	+	
قَنْبَلَ	+	+	+	قَهِبَ			
قَنَتَ	+	+	+	قَهَدَ		+	
قَنَحَ				قَهَرَ	+	+	+
قَتَدَ			+	القَهْرَمُ		+	+
قَنْدَسَ	+	+	+	قَهْقَرَ	+	+	+
قَنْدَلَ		+	+	قَهْقَهَ	+	+	+
القُنْزُعُ	+		+	قَهِلَ		+	
أَقْنَسَ	+	+		قَهِمَ		+	+
قَنْسَرَ				قَهَّ			
قَنَصَ	+	+	+	أَقْهَى		+	+
القُنْصُلُ		+	+	قَهِيَ		+	+
قَنَطَ	+	+	+	قَابَ	+	+	+

٢٧٧-٢٩٦				٢٩٧-٣١٥			
الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد	الوسيط	المدرسي	الألفبائي	المنجد
قاتَ	+	+	+	القُولُونُ			+
قاوَحَ			+	قامَ	+	+	+
قادَ	+	+	+	القَوْنَةُ			
قارَ	+	+	+	قَوَّةَ			
قَوَّزَ		+		قَوِيَ	+	+	+
قَوْزَعَ		+		قاءَ	+	+	+
قاسَ	+	+	+	القِيثارُ-القِيثارةُ	+	+	
تَقَوْمَرَ				قاحَ	+	+	+
قاضَ	+	+	+	قادَ	+	+	+
القَوْطُ			+	قَيَّرَ	+	+	+
قاعَ	+	+	+	قاسَ	+	+	+
قافَ	+	+	+	قاصَ			
قاقَ	+	+	+	القَيْصَرُ	+	+	+
قَوْقَأَ				قاضَ	+	+	+
قَوْقَ(ت)			+	قاظَ	+	+	+
المُقَوْقِسُ	+			قاقَ	+	+	+
القَوْقَعُ			+	قال- يَقِيلُ	+	+	+
قَوْقَلَ				قَيَّمَ			
قالَ	+	+		قانَ	+	+	+
القُولَنجُ			+				

نحو تصور جديد لبناء المعجم العلمي العربي المختص
معجم المصطلحات اللسانية نموذجًا

أ.د. عز الدين البوشيخي

مدخل:

لا يسع المرء المريء إلا أن ينوه بهذا الملتقى، وأن يشكر للقائمين عليه والداعمين له جهودهم الموصولة وصنيعهم الحسن، وذلك لعظم الأهداف المتوخاة منه، ومنها:

أ- تعميق النظر في أهم قضايا المعجم النظرية والتجريبية.

ب – تطوير البحث المعجمي في اتجاه ترسيخ قواعده ومبادئه العلمية وتدقيق أدواته ووسائله المنهجية.

ج – تقويم الأعمال المعجمية العربية، ومعاودة النظر فيها بهدف تطويرها لتؤدي الأهداف المتوخاة منها على أكمل وجه.

و – توسيع فئة المهتمين بالمعجم العربي والتنبيه إلى أهميته في تنمية المجهود العلمي العربي وتقويته وإشاعته.

هـ - ربط نتائج البحث المعجمي بالمتطلبات العلمية للترجمة.

تتعلق مساهمتنا في هذه الندوة بتقديم تصور جديد لبناء معاجم المصطلحات العلمية. وسنتبع من أجل هذا الغرض الخطوات التالية:

سنذكّر بأهم خصائص الصناعة المعجمية الحديثة، العلمية منها والتقانية، ثم نبين بتركيز أهم حدود المعجم العربي المعاصر، ثم نتجه إلى

تقدم تصور جديد لبناء المعجم العلمي العربي المختص، محددين الفوائد النظرية والعملية التي يمكن أن يقدمها معجم عربي قائم على هذا الأساس.

١ – خصائص الصناعة المعجمية الحديثة:

لقد حظيت المعاجم – أحادية اللغة أو متعددها، عامها أو خاصها– بعناية متزايدة من أهل الاختصاص في المعجم والمصطلح والترجمة والتوثيق، علاوة على اللسانيين وخبراء التعليم وعلماء الحاسوب. وبالنظر إلى هذه العناية، عرفت المعاجم الغربية تطورًا نوعيًا في شكلها ومضمونها، الورقية منها والإلكترونية. ويرجع الفضل في إنجاز هذا التطور إلى التقدم المحرز في البحث المعجمي المعاصر الذي يمكن اختزال أهم خصائصه في ثلاث، هي:

١- خاصية الواقعية العلمية، ومضمونها تحديد موضوع البحث المعجمي بدقة، وتحديد الإطار النظري الذي سيعالج فيه، وتحديد الوسائل الصورية التي تمكن من تمثيل الموضوع تمثيلاً كافيًا. فإذا كان موضوع البحث المعجمي الحديث قد حُدد في وصف «القدرة المعجمية»، فإن اختيار الإطار النظري يقتضي تحديد موقع هذه القدرة ضمن باقي مكونات «القدرة اللغوية» ككل، وتحديد مضمونها باتخاذ قرارات نظرية تعين مكوناتها، كما تعين المواد التي تنتمي إلى هذه القدرة والمواد التي لا تنتمي. وبفضل الوسائل الصورية يتم تعيين طريقة مضبوطة وموحدة لتمثيل المعلومات داخل المعجم، ونمذجة المعرفة المعجمية.

وعلى هذا الأساس، فإن بناء معجم لغة من اللغات يندرج في إطار أعم هو وصف «القدرة المعجمية» التي يتوفر عليها المتكلم استنادًا إلى

معطيات لغة محددة كاللغة العربية أو الإنكليزية أو اليابانية أو غيرها. ويعني ذلك بناء نموذج للمعرفة المعجمية وفق محددات تصورية ونظرية وتجريبية.

ب – الواقعية الذهنية، ومضمون هذه الخاصية التقيد بنتائج الأبحاث النفسية ونتائج اللسانيات النفسية التجريبية وكل الدراسات المعنية – عامة– ببناء نماذج الإدراك وغيرها مثلها في بناء المعجم. فإذا كان موضوع البحث المعجمي الحديث هو القدرة المعجمية أو «المعجم الذهني» الذي يكتسبه كل متكلم فطري أيًا كانت اللغة التي اكتسبها، فإن صناعة المعجم يجب أن تكون محكومة بأهم النتائج التي تسلط الضوء على المعجم كما هو قائم في ذهن المتكلم أو عقله، وعلى صانع المعجم ألا يتصور أنه حر في بناء المعجم كما يشاء.

ج – الحوسبة، ومضمونها بناء المعجم بصورة تيسر برمجته في الحاسوب. ويعني ذلك التقيد بعدة قيود؛ منها: انتقاء المواد المدرجة في المعجم على أساس الاقتصاد وتلافي الحشو، وتمثيل هذه المواد المعجمية تمثيلاً صوريًا، ومراعاة النسقية في هذا التمثيل.

ومن المعلوم أن بناء أي جهاز حاسوبي قادر على الترجمة من لغة إلى لغات أخرى، أو قادر على توليد الكلام أو على تحليل النصوص وغيرها، متوقف – في جزء كبير منه– على النجاح في حوسبة المعجم. وهذا ما يفسر ارتباط الأهداف العلمية عمومًا بالأهداف التقانية انسجامًا مع التصور العلمي المعاصر الذي يرهن قيمة النظريات العلمية بمدى ما لها من إسقاطات تقانية[1].

ونقدم نموذجًا لهذا التطور الذي عرفه المعجم من خلال العمل الذي أنجزه زوتفن في إطار نظرية لسانية حديثة، هي نظرية النحو الوظيفي.

انطلاقًا من معجم اللغة الإنكليزية المعاصرة المسمى (Longman Dictionary Of Contemporary English)، قام زوتفن[٢] باستخلاص كل المعلومات الواردة فيه، وأعاد صياغتها في صورة تطابق صياغات النحو الوظيفي، ثم وضع قواعد إعادة كتابتها وفقًا للمتطلبات الحاسوبية التقنية. وكانت نتيجة عمله حوسبة معجم اللغة الإنكليزية المعاصرة. وقد تم له ذلك بفضل ما يوفره النحو الوظيفي من نسقية في تمثيل المعلومات وصورنتها؛ حيث يمثَّل للوحدات اللغوية في صورة مداخل معجمية أو أطر حملية مصحوبة بمعانيها التعريفية. ويتضمن الإطار الحملي المعلومات الآتية:

صورة المحمول المجردة (أي جذره ووزنه الصرفي)،

ومقولته (فعل أو اسم أو صفة)،

ومحلات موضوعاته (س١، س٢، س٣)،

وقيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات موضوعاته (<إنسان>، <حسي>، <مجرد>...)،

والوظائف الدلالية (منفذ، متقبل، مستقبل...).

ـ ويُصاغ التعريف في صورة إطار حملي آخر. ويقوم على فكرة مفادها تأليف كلمات أبسط من الكلمة المراد تعريفها إلى حين بلوغ مرحلة لا يمكن تعيين معنى هذه الكلمات بالطريقة ذاتها[٣].

فالمعجم، إذن، ليس قائمة من الكلمات تدرج كيفما اتفق، وترتب كيفما اتفق؛ وإنما هو نسق من العلاقات التركيبية والصرفية والدلالية القائمة بين الوحدات المعجمية، ومنضبط بمبادئ عامة تحكم تنظيم مواده وبناء علائق نسقية بينها.

٢– حدود المعجم العربي المعاصر:

يتيح النظر في المعاجم العربية المعاصرة عامة الخلوص إلى أنها لم تواكب هذا التطور؛ حيث لم يرتبط بناء هذه المعاجم بتصور مضبوط، أو بنظرية في المعجم محددة، أو بنتائج أبحاث لسانية أو غيرها. ومازال صانع المعجم العربي يتصور أنه حر من أي قيد في بناء المعجم الذي يريد، غير آبهٍ بالإجابة عن الأسئلة الضرورية التي تحدد طريقة بنائه للمعجم، من قبيل:

ما مصدر المعطيات اللغوية التي يضمنها معجمه؟

وإلى أي حد يعتمد المعطيات اللغوية التي ينتجها المتكلم العربي المعاصر؟

وأي تحديد يقدمه للمتكلم العربي المعتمد؟

وعلى أي أساس ينتقي موادّ معجمية دون أخرى؟

وكيف يمثل لهذه المواد المعجمية داخل المعجم؟

وما النظرية التي يعتمدها في ذلك؟

ولأي طبقة من المتكلمين يقدم هذا المعجم؟

وما الهدف أو الأهداف التي يريد تحقيقها بهذا المعجم؟

وما الدراسات والأبحاث المعتمدة في اتخاذ ما يتخذ من قرارات؟

«... إن المعاجم العربية الحالية – يقول أحد المختصين– رغم بعض الجهود القليلة المبذولة، لا تتيح مواكبة تطور اللغة، وتطور مناهج التحليل اللساني، وتطور تقنيات وأساليب وضع المعاجم...

وبعبارة أخرى، فإن هذه المعاجم لا تختلف عن سابقتها في حصر المادة وانتقائها وترتيبها، وفي طبيعة المواد التي ترد في المداخل، بل حتى في التقنيات أحيانًا.

ومهما يكن من أمر المعاجم العربية الحديثة، وأمر ما وصل إليه البحث المعجمي العربي، فإنه لم يصل بعد إلى وضع قاموس عام متوسط من مثل Le Petit Larousse الفرنسي، أو لاروس الأطفال، أو The Shorter Oxford English Dictionary في أحجام مختلفة، أو غيرها من معاجم الأمم الأخرى التي يبلور فيها القاموس ثقافة العصر ولغته، ويستجيب للأهداف المتوخاة من وضعه...». ويضيف أنه «إذا كان المعجم الوسيط قد اعتبر تجديديًا لأنه أهمل المواد الغريبة والمهجورة، وأثبت ألفاظًا مستحدثة أو معربة مما أقره المجمع اللغوي بالقاهرة، فإنه يظل، مع هذا، بعيدًا كل البعد عن المعجم المنشود. وسبب ذلك يرجع، من جهة، إلى مشكل تحديد المادة المعتمدة، ومن جهة أخرى إلى طرق تنظيم هذه المادة ومعالجتها»[٤]. وعلى الرغم مما يلاحظ من إنتاج معجمي متزايد، فماتزال الحاجة قائمة إلى معاجم عربية مبنية بطريقة نسقية تراعي أهم المستجدات العلمية والتقانية، وبصورة تستجيب بها لكل فئة من المتكلمين، أطفالاً ومتوسطين وكبارًا، ولمختلف الأهداف التي ينشدها المتعلمون.

٣- المعجم العلمي العربي المختص:

بما أنه يتعذر توحيد لغة إنتاج المعرفة، فإنه لا مندوحة من البحث عن الوسائل الكفيلة بالتقريب بين لغات إنتاج المعرفة. ومن أهم هذه الوسائل: المعاجم المصطلحية الثنائية اللغة أو متعددتها؛ إذ إنها تيسر التواصل بين الباحثين والعلماء والخبراء في مجالات العلوم والمعارف المتنوعة المتعددة؛ كما تسمح بإدراك الإنتاجات العلمية والمعرفية، وتسمح بالعمل على تطويرها

سواء بلغة إنتاجها أو باللغة المنقولة إليها. وبالنظر إلى أهميتها وتعدد وظائفها، فإنها تحظى بعناية متزايدة من المنظمات الدولية المختصة، وكذا من العلماء أهل الاختصاص. ويكفي –لإثبات هذه العناية– الإبحار انطلاقًا من مواقع معلومة في الإنترنت للاطلاع على الأعداد الكبيرة من المعاجم العامة والخاصة، ومن الهيئات والمؤسسات والجامعات ومراكز البحث الدولية المعنية ببنائها وتطويرها، ناهيك عن الأرقام المدهشة المقدمة عن الكلمات أو المصطلحات المخزنة في هذه المعاجم.

وإذا كنا نرى غير مفيد أن نسرد ما استطعنا الحصول عليه من هذه المعاجم، فإننا نرى من المفيد أن نورد بعضًا منها حصرًا للأهداف التي وضعت من أجلها. من بين هذه الأهداف:

١– تقريب المعارف والعلوم من خلال الربط بين عشرات المعاجم العامة والخاصة المتعددة اللغات، كما هو الشأن في معجم Alex Fomine(٥) الذي استطاع الربط بين أكثر من مئة معجم، وتيسير البحث فيها من خلال معجم واحد، وكما هو شأن بنك المصطلحات المتعددة اللغات بتعدد دول الاتحاد الأوروبي، حيث بلغ مجموع ما يحتويه هذا البنك من المصطلحات فقط خمسة ملايـــــن، مرفوقة بتعاريفها وسياقات ورودها.

ب – تطوير العمل المعجمي واستثمار النظريات اللسانية في ذلك، كما هو شأن المعاجم المبنية على أساس نظرية المحلاتية، من قبيل المعجم الذي أنجزته مجموعة البحث في النحو المقارن ببلجيكا، وعنوانه:

- The Dutch -French- English contrastive verb Valency Dictionary

ج – تيسير الترجمة، كما هو شأن المعجم الآتي:

- Dictionnaire anglais francais de traduction.

د – تيسير تعليم لغة من اللغات باعتبارها لغة أجنبية، كما هو الشأن في:

- قاموس المتعلم: عربي – إنجليزي، لمؤلفه ستانغلس.

والقاموس العالي للمتعلم: عربي – إنجليزي، لمؤلفه سلموني حبيب أنطون[٦].

ومعاجم تعليم اللغة اليابانية:

- Kanji Dictionary: Dictionaries for Learning Japanese.

و- تقوية لغة الكتابة الأدبية، كما هو الشأن في:

- قاموس (اللغة الكتابية): عربي – فرنسي، لمؤلفه أوغست تربونو[٧].

وبالطبع، فإن تنوع هذه الأهداف يقتضي اختلاف طرائق وضع هذه المعاجم وكيفية تدبير مادها. وتقيدًا بما اخترنا الحديث عنه في هذه المناسبة سنحصر عنايتنا في «معاجم المصطلحات العلمية الثنائية اللغة أو متعددها».

ما نلاحظه أن هذا النمط من المعاجم –كما يوجد في أغلبه اليوم– يتعامل مع المصطلح العلمي كأنه وحدة لغوية معزولة، ويبحث عن مقابل له في اللغة الهدف، دون اعتبار لعلاقته بمصطلحات أخرى. ويعتمد في إيراده الترتيب الألفبائي الذي يطمس وظيفته في بنية الميدان المعرفي الذي ينتمي إليه. يضاف إلى ذلك عدم إرفاقه بتعريف يحدد المفهوم الذي يحيل عليه. وبعبارة أوضح، إن هذه المعاجم تتعامل مع المصطلحات كما تتعامل أبسط المعاجم العامة مع الكلمات، بل تكون دون مستواها حين لا تُعرف بحدود مضبوطة ما تقدمه من مواد اصطلاحية. إنها معاجم بلا كفاية وظيفية، علميًا وتعليميًا؛ حيث لا تساعد على تمثل المجال العلمي أو المعرفي الذي تقدم مصطلحاته، كما لا تساعد الطالب على إدراك مفاهيم هذا المجال.

فما العلاقة مثلاً بين هذه المصطلحات التي يوردها «المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات»[٨] في حرف C؟.

Calligraphy	فن الخط
Cacography	خط أو هجئة خاطئة أو غير واضحة
Calque	اقتراض بالترجمة
Cacology	هجنة
Caninocal Form	صيغة معيارية
Cacophony	تنافر صوتي
Capactiy	قدرة
Cacuminal	تقعيسي
Cardinal number	عدد أصلي
Cadence	نغمة ختامية
Cardinal Vowels	أصول المصوتات
Caducous	معرض للحذف
Caret	علامة إقحام
Caesura	مقطع شعري

ما المفاهيم التي تحيل عليها؟ وأين تتجلى نسقيتها؟ وما وظيفتها في مجالها العلمي؟

نجد بعض عناصر الإجابة في ما قررته دراسة تقويمية لهذا المعجم بالقول: «يضم المعجم ٣٠٥٩ مدخلاً يندرج عدد كبير منها ضمن ما يمكن أن نسميه مصطلحات عامة، «أي التي ليست أساسية بالنسبة للموضوع المبحوث فيه،

مقابل المصطلحات الخاصة، أي المصطلحات الضرورية لتمثل النظرية اللسانية وأصولها وتطبيقها بحيث يجب أن ترد في أي مشروع لساني قبل غيرها» [حسب عبارة الدكتور علي القاسمي]. ذلك أن عددًا وافرًا من مصطلحات المعجم الموحد يتناول جوانب عامة جدًا في دراسة اللغة تتعلق بالخط والكتابة والنقوش والإملاء والقراءة وتعليم اللغة وأمراض اللغة والترجمة والشعر والبلاغة والعروض ونشأة اللغة وأنظمة سيميولوجية أخرى»(٩).

ونتيجة لذلك وغيره، وُصف هذا المعجم بأنه «يضيف متاعب جديدة للقارئ العربي»، وقد يزيد في «إرباكه»(١٠).

وليست المعاجم العربية المختصة أحسن حالاً من المعجم الموحد، فقد وصل بعضها إلى حد من الضعف دفع أحد الدارسين إلى القول: «من «حسنات» هذا المعجم (المعجم المفصل في الأدب لمحمد التونجي) أنه «لخص» المشكلات والسلبيات التي قد تعترض سبيل التأليف المعجمي المختص، (وأنه) يمثل درجة من درجات الاستخفاف بالقارئ واحتقاره...»(١١). يضاف إلى ذلك أن الخطاب السائد في هذا المجال اعتاد إحصاء الأخطاء ورصد الثغرات وتتبع المزالق والعثرات دون اقتحام العقبة بإنجاز أعمال معجمية تستفيد من التجارب السابقة ومن تجارب الأمم المتقدمة، أو بتقديم تصورات جديدة مؤسسة علميًا.

٤- نحو تصور جديد لبناء المعجم العربي المختص:

لتجاوز الوضع الموصوف أعلاه، نقترح تصورًا جديدًا لبناء معاجم المصطلحات العلمية ثنائية اللغة أو متعددها. وجوهر هذا التصور يكمن في

بناء المعجم بطريقة يصبح فيها مرآة تعكس صورة العلم الذي يقدم مصطلحاته بوضوح؛ حتى ليمكن القول إن المعجم العلمي المختص مرآة للعلم الذي يمثله.

ويقوم ذلك على أساس مراعاة خصائص هذا النمط من المصطلحات، أعني المصطلحات العلمية، ومراعاة خصائص العلم موضوع المعجم.

نفترض –بدءًا– أن المصطلح العلمي نمط ضمن أنماط مصطلحية متعددة، له وضع خاص يجب اعتباره في التعامل معه بناءً ودراسة وتقويمًا[١٢]. إذ إن هذا النمط من المصطلحات يختلف عن المصطلحات التقنية التي تصف أدوات وأجهزة تقنية وتقانية، كالتلفزة والحاسوب والمسبار والأقمار الاصطناعية... ويختلف عن المصطلحات التي تنتمي إلى حضارة معينة وتعبر عن فكر أمة من الأمم، كمصطلحات الشورى والإمامة والخلافة...، ويختلف عن المصطلحات العامة التي لا تتقيد بميدان علمي محدد، ولا تشكل – بالضرورة– مكونًا من مكوناته، كالمصطلحات الدالة على المهن وغيرها مثلها.

وترجع خصوصية المصطلحات العلمية إلى كونها:

– مصطلحات تشكل مكونًا من مكونات أي علم من العلوم، سواء أكانت علومًا شرعية أم علومًا إنسانية أم علومًا مادية، حتى إنه لا يمكن تصور قيام علم دونها، بل يمكن قياس درجة نضج علم من العلوم بمدى توفقه في بناء أنساقه الاصطلاحية متعالقة مع أنساقه المفهومية.

فبالمصطلح يتم تحديد الموضوع العلمي في مجال مخصوص، وبالمصطلح يتم وصف ظواهر الموضوع المحدد في علم من العلوم، وبالمصطلح يتم وضع

القواعد وصوغ المبادئ التي تفسر سلوك الظواهر، وبالمصطلح تبنى النظريات وتقام المناهج[١٣]. وباستحضار قليل من مصطلحات اللسانيات التوليدية نستطيع إدراك أهمية الوظائف التي يقوم بها المصطلح العلمي: لنتذكر مدى التغيير الذي أحدثه مصطلح القدرة اللغوية ومصطلح الإنجاز اللغوي، والمصطلحات التي ارتبطت بهما كمصطلح النحوية ومصطلح المقبولية ومصطلح الحدس اللغوي.

ولنتذكر المصطلحات التي وردت في تركيب القواعد وصوغ المبادئ كمصطلح البنية التحتية ومصطلح البنية السطحية ومصطلح السلكية ومصطلح الإشراف ومصطلح المراقبة، وغيرها كثير... ولنتذكر أيضًا مصطلح الصورنة ومصطلح التوليد ومصطلح التمثيل، ومصطلحات التركيب والدلالة والصواتة.

ولعله من المفيد هنا أن نبين أن تراكم المصطلحات في مجال من المجالات ليس كافيًا للحكم على هذا المجال بالنضج العلمي ما لم يستطع توظيف مصطلحاته في تحديد موضوعه العلمي، وبناء نسقه المفهومي، وصياغة قواعده ومبادئه التفسيرية، وإقامة نظرية علمية ومنهج محدد.

– ومن خصائص المصطلحات العلمية انتظامها في نسق اصطلاحي مربوط بواسطة الحدود والتعريفات بنسق المفاهيم المعتمد. ويعني ذلك أن يُحدد لكل مصطلح مفهومه بالنظر إلى باقي المصطلحات التي تتوارد معه في النسق[١٤]. وبالنتيجة، فإنه لا يجوز أن نتحدث في مجال المعرفة العلمية عن مصطلحات معزولة أو عن مفاهيم معزولة، وإنما عن أنساق المصطلحات وأنساق المفاهيم؛ إذ بفضل هذه الأنساق يتم تنظيم المعرفة العلمية وتصميم هندستها، وليس للمصطلح أو المفهوم المتعالق معه قيمة علمية خارج نسقه ونظامه المعرفي.

على أساس ما تقدم، فإن معاجم المصطلحات العلمية الثنائية اللغة أو متعددها لا يمكن أن تحقق كفايتها الوظيفية ما لم تراع خصائص المصطلح العلمي المشار إليها أعلاه، وما لم تراع الهدف أو الأهداف التي وضعت من أجلها أصلاً، وما لم تراع طبيعة المخاطبين بهذه المعاجم ونوعية تكوينهم. وتفصيل ذلك كالآتي:

إن هذا النمط من المعاجم مقيد – على الأقل- بقيدين اثنين:

- بألاّ يورد إلا المصطلح دون الكلمة أو غيرها،

- وبألاّ يورد إلا المصطلح الذي ينتمي إلى ميدان علمي محدد.

وبمقتضى ما تتميز به المصطلحات العلمية من خصائص نسقية ووظيفية، فإن هذه المعاجم مطالبة بأن تبنى بطريقة تعكس هذه الخصائص. ويتم ذلك بإيراد المصطلحات معرفة وبحسب نسقيتها داخل المجال العلمي أو النظرية العلمية التي تنتمي إليها. ولابأس –بعد ذلك- من إيرادها مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا في مسرد خاص تسهيلاً للبحث. ونبين ذلك بالتجربة الآتية:

اخترنا كتابًا يشكل أساس توجه جديد في اللسانيات المعاصرة، هو كتاب سيمون ديك، رائد اللسانيات الوظيفية وصاحب نظرية النحو الوظيفي، وعنوانه:

The Theory of Functional Grammar
Part ١: The structure of the clause.

قمنا باستخلاص المصطلحات الواردة في هذا الكتاب بهدف بناء معجم للمصطلحات اللسانية الوظيفية: إنجليزي – عربي/ عربي – إنجليزي استنادًا إلى التصور المشار إليه أعلاه. بعد جرد المصطلحات، وجدناها أصنافًا أربعة:

- صنف ينتمي إلى العلوم كافة، ولا يختص باللسانيات فقط.

- وصنف ينتمي إلى اللسانيات العامة، ولا تختص به اللسانيات الوظيفية.

– وصنف ينتمي إلى النظرية الوظيفية خاصة.

– وصنف ينتمي إلى النظريات اللسانية غير الوظيفية التي ورد الحديث عنها في سياق المقارنة، كالنظرية التوليدية أو نظرية النحو الوظيفي المعجمي أو نظرية النحو المركبي المعمم أو غيرها من النظريات.

وأثار هذا الوضع عددًا من المشكلات؛ إذ إن ذكر كل هذه الأصناف من المصطلحات يتعذر معه المحافظة على النسقية المطلوبة، وحذفها يعرض المعجم لقصور مخل وغير مقبول. فاقترحنا لتجاوز هذا الوضع بناء المعجم على أساسين: الموضوعات والمفاهيم؛ حيث تُصنف هذه الموضوعات تصنيفًا يراعي خصوصياتها العلمية من قبيل اللسانيات العامة، واللسانيات التصنيفية، واللسانيات النظرية أو التفسيرية، ويُعرَض داخل كل موضوع ما يتعلق به من مصطلحات بحسب مجالاته الفرعية ونظرياته، كمصطلحات النظرية الوظيفية مثلاً، ويتم عرض هذه المصطلحات داخل موضوعها في نسقية تامة تعكس نسقية النظرية التي تمثلها. وبيان ذلك كالآتي:

Explicative Linguistics	اللسانيات التفسيرية
Functionalism	(اللسانيات) الوظيفية
Funcitonal theory	النظرية الوظيفية
Communicative competence	القدرة التواصلية
Pragmatic competence	القدرة التداولية
Capacities	الطاقات
Grammatical capacity	الطاقة النحوية
Cognitive capacity	الطاقة المعرفية

Logical capacity	الطاقة المنطقية
Perceptual capacity	الطاقة الإدراكية
Social capacity	الطاقة الاجتماعية
Functional grammars	أنحاء وظيفية
Explanatory adequacy	الكفاية التفسيرية
Typological adequacy	الكفاية النمطية
Pragmatic adequacy	الكفاية التداولية
Psychological adequacy	الكفاية النفسية
Computational adequacy	الكفاية الحاسوبية
Functional grammar	النحو الوظيفي
Predicative structure	بنية حملية
Functional structure	بنية وظيفية
Constituency structure	بنية مكونية
Fund	الأساس
Lexicon	المعجم
Formation rules	قواعد التكوين
Basic Predicates	المحمولات الأصول
Derived predicates	المحمولات المشتقة
Basic terms	الحدود الأصول
Derived terms	الحدود المشتقة

الإطار الحملي	Predicative frame
صورة المحمول	Form (of the predicate)
مقولة (المحمول)	Category (of the Predicate)
محلاتية (المحمول) الكمية	Quantitative valency
الموضوعات	Arguments
محلاتية (المحمول) الكيفية	Qualitative valency
قيود الانتقاء	Selection restriction
الوظائف الدلالية	Semantic functions

يعكس هذا الترتيب بنية النظرية اللسانية موضوع هذا المعجم والعلائق النسقية القائمة بين مفاهيمها؛ فاللسانيات التفسيرية هي الإطار العام الذي تندرج فيه اللسانيات الوظيفية في مقابل لسانيات وظيفية أخرى تندرج في إطار آخر هو اللسانيات الوصفية. والنظرية الوظيفية المتحدث عنها هنا تتفرع عن اللسانيات الوظيفية ذات البعد التفسيري، وموضوعها المنشغلة به هو القدرة التواصلية أو التداولية. ومكونات القدرة التواصلية أو التداولية مجموعة من الطاقات، هي: الطاقة النحوية والطاقة المعرفية والطاقة المنطقية والطاقة الإدراكية والطاقة الاجتماعية. ونظرًا لتعدد الأنحاء داخل النظرية الواحدة، فإن كل نظرية تضع معايير تفاضل بواسطتها بين هذه النماذج النحوية المقترحة. ويُقاس نجاح النحو بمدى بلوغه أعلى درجة من الكفاية التفسيرية المحددة – في النظرية الوظيفية- في أنواع أربعة من الكفايات، هي: الكفاية النمطية والكفاية النفسية والكفاية التداولية والكفاية الحاسوبية[١٥]. ومن أهم الأنحاء الوظيفية المعروفة الآن النحو الوظيفي

لصاحبه سيمون ديك(١٦). ومكونات النحو الوظيفي –حسب صيغته الأولى– بنيات ثلاث، هي: البنية الحملية والبنية الوظيفية والبنية المكونية. تُبنى البنية الحملية انطلاقًا من الأساس الذي يضم المعجم وقواعد التكوين. أما المعجم فيتضمن المحمولات والحدود الأصول؛ وأما قواعد التكوين فتضطلع بتكوين المحمولات والحدود المشتقة. ويمثل داخل المعجم لكل محمول (أو حد) في إطار حملي يتضمن المعلومات الآتية:

أ – صورة المحمول، ب – ومقولته، ج – ومحلاتية المحمول الكمية، أي عدد محلات موضوعات المحمول، د– ومحلاتية المحمول الكيفية، أي:

- قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات موضوعاته،
- والوظائف الدلالية المسندة إلى هذه المحلات.

ويمكن أن نستمر على هذا المنوال حتى الانتهاء من مصطلحات النحو الوظيفي لصاحبه سيمون ديك(١٧)، ثم ننتقل إلى مصطلحات نحو وظيفي آخر كنحو هاليداي أو النحو النسقي إلى حين الانتهاء من الأنحاء الوظيفية الموجودة.

ولا يمنع هذا الترتيب النسقي للمادة المصطلحية من عرضها –بعد ذلك– مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا تسهيلاً للاطلاع.

هذا فيما يتعلق بترتيب المصطلحات داخل المعجم، أما عن تعريف المفاهيم التي تحيل عليها فيرفق كل مصطلح بتعريف يحدد مفهومه بدقة، ويورد المقابل له في اللغة الهدف. وبيان ذلك الآتي(١٨):

Arguments الموضوعات

Are those terms wich are required by some predicate in order to form a complete nuclear predication.

الحدود **Terms**

Are expressions wich can be used to refer to entities.

المحمولات **Predicates**

Are expressions which designate properties or relations.

الحمل **Predication**

When a predicate is applied to an appropriate set of terms, the result is a predication.

وفي الجزء الثاني، يورد المصطلح المقابل، ويعرفه تعريفًا دقيقًا، ثم يورد إلى جانبه المصطلح في لغته الأصل. ويبين المثال الآتي ذلك(١٩):

الموضوعات **Arguments**

هي الحدود التي يستلزمها المحمول لبناء حمل نووي تام، ولا تكون الخاصية أو العلاقة التي يعينها المحمول تامة ولا كافية إلا بوجودها.

الحدود **Terms**

هي العبارات التي يمكن أن تستعمل للإحالة على الأشياء أو الذوات.

المحمولات **Predicates**

هي العبارات التي تعين خصائص الحدود أو العلاقات القائمة بينها.

الحمل **Predication**

هو العبارة الناتجة عن تطبيق محمول على مجموعة مناسبة من الحدود.

ويمكن – بطبيعة الحال– إضافة أمثلة توضيحية بحسب مستوى المخاطبين بهذا المعجم. مثال ذلك تطبيق المحمول (كتب) على الحدود المناسبة التالية: (زيد) و(رسالة) و(البارحة). فنحصل –إجمالاً– على الحمل الآتي:

– كتب زيد رسالة البارحة.

المحمول (كتب) يعين موضوعين اثنين لقيام الحمل، ويستلزمهما استلزامًا، وهما الموضوع (زيد) الذي يفرض عليه المحمول أن يكون (إنسانًا عاقلاً كاتبًا)، والموضوع (رسالة) الذي يفرض عليه المحمول أن يكون (شيئًا قابلاً للكتابة). وأما الحد (البارحة) فيمكن الاستغناء عنه دون الإخلال بالحمل، لذلك لا يعد حدًا موضوعًا؛ بل يعد حدًا لاحقًا.

وبهذه الطريقة، لا نقدم – فقط– مصطلحات العلم ومقابلاتها في اللغة الهدف، وإنما نقدم أيضًا العلم ذاته من خلال نسقه المفهومي والتصور الذي يحكمه.

وبهذه الصورة نتأكد – أيضًا – من مدى استيعاب المؤلف للمعرفة العلمية التي يقدم معجمها المصطلحي، واستيعابُه لها شرط وجوبٍ في قَبول علمه.

كما تفيد هذه الطريقة المؤلف ذاته أثناء البحث عن مقابلات للمصطلحات التي يوردها، إذ إنه يتعامل معها باعتبارها وحدات في نسق، وسيستحضر كل مكونات هذا النسق مهتديًا بما يرتبط به من مفاهيم، وما يستند إليه من تصورات.

أما عظيم الفائدة فيجنيها المقبل على هذه المعاجم لأنها تزوده بالمادة العلمية وبمفاتيحها المفهومية من خلال مصطلحات العلم الذي يبحث فيه.

على هذا الأساس نقترح أن تبنى معاجمنا العلمية العربية الخاصة. ونستدرك هنا بتقرير أمرين اثنين:

أولهما، إننا نقصر الحديث هنا عن المعاجم الخاصة بمصطلحات علوم استوت شخصيتها العلمية، ولا نرمي إلى تعميم هذا التصور –إن تبينت كفايته– على كل المعاجم الخاصة.

وثانيهما، إن تطبيق هذا التصور على المعاجم الثنائية اللغة أو متعددتها يحسن، بل ينبغي، أن يكون مسبوقًا بوجود معاجم أحادية اللغة قائمة على أساس التصور المقترح ذاته.

٤ – خاتمة:

لقد كان هدفنا أن نبين أن المعجم العربي المعاصر مازال في حاجة إلى التطوير حتى يستجيب لحاجات العصر ولحاجات المستهلكين، وأن تحقيق ذلك رهين بالانفتاح على تجارب الأمم المتقدمة في هذا الميدان واستثمار معطيات النظرية اللسانية وغيرها في بناء المعجم المنشود.

ومن أجل المساهمة في تحقيق هذا الهدف، ألححنا على ضرورة تعميق النظر في كيفية بناء المعجم العربي المعاصر، العام منه والخاص، داعين إلى الاستفادة من أهم المنجزات العلمية والتقانية التي حققها عصرنا الراهن.

واجتهدنا في تقديم تصور جديد لبناء معجم المصطلحات العلمية الثنائي اللغة، يقوم أساسًا على مراعاة خصائص المصطلح وخصائص العلم، محددين الفوائد النظرية والعملية التي يمكن أن يقدمها معجم عربي قائم على هذا الأساس.

الهوامش

١- انظر مزيدًا من التفاصيل في مقال صاحب هذا البحث: «خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية»، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٦، ١٩٩٨. وانظر أيضًا المراجع الواردة هناك.

٢- انظر مقال زوتفن في قائمة المراجع.

٣- انظر في هذا الصدد الأطروحة الجامعية لكاتب هذا البحث «قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأنحاء»، كلية الآداب، مكناس، ١٩٩٨.

٤- الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي —نماذج تحليلية جديدة، الصفحات ١٣-١٤ و١٩-٢٠، دار توبقال للنشر/ الدار البيضاء، المغرب —١٩٨٦.

٥- انظر التفاصيل في الموقع الآتي:

- Index of on
line Dictionaries

٦- انظر التفاصيل في الموقع الآتي:

WWW. Librairie –du- liban. Com. 1b

٧- انظر التفاصيل في الموقع الآتي:

WWW. Librairie -du- liban. Com. 1b

٨- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الصفحة ٢٢ وما بعدها، تونس/ ١٩٨٩.

٩- الدكتور مصطفى غلفان، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، أي مصطلحات لأي لسانيات؟ ص١٥٤، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٦، السنة ١٩٩٨.

ونشير إلى أن ما ورد بعبارة الدكتور علي القاسمي أحيل عليه في المقال كالآتي: الدكتور علي القاسمي، النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، ص١٢٧، مجلة اللسان العربي، العدد٢٩، السنة ١٩٨٧.

١٠- انظر الصفحات ١٤٩ و١٥٠ و١٥١ من المرجع السابق.

١١- الدكتور محمد خطابي، المادة المصطلحية الحديثة في المعجم المفصل في الأدب لمحمد التونجي، ص١١٧، مجلة اللسان العربي، العدد٤٦، السنة ١٩٩٨. نشير إلى أن ما وُضع بين قوسين من عندنا.

١٢- انظر مقال صاحب هذا البحث «واقعية المبادئ الأساس في وضع المصطلح وتوليده» ضمن وقائع الندوة التي انعقدت بمجمع اللغة العربية بدمشق من ٢٥ إلى ٢٨ من شهر أكتوبر ١٩٩٩، في موضوع: «**إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته**».

١٣- للاطلاع أكثر، انظر مقال صاحب هذا البحث «**دور المصطلحات في بناء العلوم الإسلامية**» ضمن وقائع ندوة: الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية. مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٦.

١٤- للاطلاع أكثر، انظر مقال صاحب هذا البحث «**المصطلح والمفهوم وأشكال التعالق بينهما**» ضمن وقائع ندوة: «**قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة**». منشورات كلية الآداب بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات ٨، ١٩٩٨.

١٥- انظر التفاصيل في الرسالة الجامعية لكاتب هذا البحث «النحو الوظيفي وإشكال الكفاية» كلية الآداب، مكناس، ١٩٩٠.

١٦- ظهر النحو الوظيفي في صيغته الأولى في كتاب بالإنكليزية يحمل عنوان «النحو الوظيفي» لصاحبه سيمون ديك سنة ١٩٧٨، وفي سنة ١٩٨٩ تم تطوير الصيغة الأولى للنحو الوظيفي في كتاب بالإنكليزية يحمل الجزء الأول منه عنوان « نظرية النحو الوظيفي— بنية العبارة»، ويحمل الجزء الثاني منه عنوان «نظرية النحو الوظيفي —العبارات المشتقة والعبارات المركبة»، وقد نُشر سنة ١٩٩٧ بعد وفاة صاحبه بنحو سنتين. ولاتزال الأبحاث قائمة —إلى حد الساعة— من أجل تطوير هذا النحو نظريًا وتطبيقيًا وحاسوبيًا. —انظر في هذا الصدد الأطروحة الجامعية لكاتب هذا البحث «قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأنحاء»، كلية الآداب، مكناس ١٩٩٨. وانظر أيضًا مقال صاحب هذا البحث «النحو الوظيفي وبناء الحاسوب» بمجلة مكناسة، عدد ٤و٥/ ١٩٩٠.

١٧- المصطلحات العربية التي قابلنا بها المصطلحات الإنكليزية الواردة في الجدول أعلاه هي المتداولة بين اللسانيين الوظيفيين المغاربة، وهي عمومًا من وضع الدكتور أحمد المتوكل. للاطلاع، انظر بعضًا من أعماله المشار إليها في قائمة المراجع.

١٨- استخلصنا مضمون هذه التعريفات من كتاب ديك المشار إليه سابقًا، الصادر سنة ١٩٨٩، الصفحات ٧٢ و٧٣ و٤٦ بالتوالي.

١٩- صياغة هذه التعريفات باللغة العربية من اجتهادنا الخاص.

المراجع العربية:

– البوشيخي، عز الدين:

النحو الوظيفي وإشكال الكفاية. رسالة جامعية لنيل دكتوراه السلك الثالث، مرقونة، كلية الآداب، ١٩٩٠ مكناس/ المغرب.

«**النحو الوظيفي وبناء الحاسوب**» مكناسة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، عدد ٤و٥/ ١٩٩٠ – المغرب.

«**دور المصطلحات في بناء العلوم الإسلامية**». ضمن وقائع ندوة: الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية مطبعة المعارف الجديدة، الرباط/ المغرب، ١٩٩٦.

قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأنحاء.

أطروحة جامعية لنيل دكتوراه الدولة، مرقونة، كلية الآداب، ١٩٩٨ – مكناس/ المغرب.

«**خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية**». مجلة اللسان العربي، العدد ٤٦، ١٩٩٨ –الرباط/ المغرب.

«**المصطلح والمفهوم وأشكال التعالق بينهما**». ضمن وقائع ندوة: قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة. منشورات كلية الآداب بوجدة، سلسلة ندوات ومناظرات ٨، ١٩٩٨ –المغرب.

– المتوكل، أحمد:

آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي: مطبعة دار الهلال العربية، ١٩٩٣ –الرباط/ المغرب.

قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية– البنية التحتية أو التمثيل الدلالي – التداولي. مطبعة دار الأمان، ١٩٩٥ – الرباط/ المغرب.

قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي. مطبعة دار الأمان، ١٩٩٦ – الرباط/ المغرب.

قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب، من الجملة إلى النص. مطبعة دار الأمان، ٢٠٠١ –الرباط/ المغرب.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات. مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٩ – تونس.

المراجع الأجنبية:

Dik, Simon:
Functional Grammar,
Foris Puplications, Dordrecht, 1978.
The Theory of Functional Grammar,
Part 1: The structure of the clause.
Foris Puplications, Dordrecht, 1989.
Zutphen, V.H:
Towords a Lexicon of Functional Grammar.
In J, Connolly and S, Dick (eds)
Functional Grammar and The Computer
Foris Puplications, Dordrecht, 1989.

جلسة الختام

توصيات ندوة «المعجم العربي» ومقرراتها

٢٢ – ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠١

عقدت لجنة الصياغة المؤلفة من السادة:

١ – الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان	رئيسًا
٢ – الأستاذ جورج صدقني	عضوًا
٣ – الأستاذ فائز طوبجي	عضوًا
٤ – الأستاذ مأمون صاغرجي	عضوًا
٥ – الأستاذ عدنان عبد ربه	عضوًا
٦ – الأستاذ خير الله الشريف	عضوًا
٧ – الأستاذ أديب الجادر	عضوًا
٨ – الأستاذ سامر الياماني	عضوًا

عدة اجتماعات درست فيها مجمل البحوث والاقتراحات والمداخلات التي عرضت في الندوة، وخلصت إلى المقررات والتوصيات الآتية:

أولاً ـ المعجم العربي الحديث الشامل

١ ـ وضع خطة لإعداد معجم عربي حديث يراعى فيه ما يأتي:

أ ـ لا يورد فيه من المعاجم القديمة مايكون مخالفًا للمفهوم العلمي أو لم يعد مألوفًا.

ب – دقة التعريف وشموله كل ما يتصل باللفظ.

ج – استبعاد التعاريف غير الصحيحة وغير الوافية.

د- وضع المقابل الصحيح للفظ الأجنبي مع إثبات اللفظ الأجنبي.

هـ- التزام ضبط واحد للفظ الذي يرد في المعجم، ويمكن أن يحال أقل صور الضبط انتشاراً على أكثرها انتشاراً.

و- تجنب تعريف الكلمة التي تندرج تحت مدخل ما بلفظة من أسرتها أو مشتقة منها أو بلفظ أعسر منها .

ز- تزويد المعجم بالرسوم والصور الضرورية المعبِّرة عن مسمياتها.

ح- استيعاب ما جدّ من الألفاظ الحضارية الواسعة الانتشار.

ط- التزام الترتيب الألفبائي للمداخل تبعًا لجذور الكلمات بعد تجريدها من الزوائد، وإحالة الألفاظ التي يعسر معرفة جذرها على جذرها الأصلي لدى ورودها مع الزوائد.

ي- يشار في حالة الفعل إلى لزومه أو تعدّيه وإلى حروف الجر التي تلحق به وإلى معانيه المختلفة.

ك- يميز لدى بيان معاني اللفظ بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.

ل- ينبغي أن يعتمد المعجم الحديث في مواده الأساسية على أصالة المعجمات القديمة، وأن يتلافى مافيها من عيوب في بيان معاني الألفاظ.

م- ينبغي أن يحتوي المعجم الحديث ما استحدثته مجامع اللغة العربية والمؤسسات المعنية باللغة العربية من مفردات ومصطلحات، وما جرى على أقلام كبار الكتاب والمؤلفين من ألفاظ ومصطلحات مستحدثة.

ن- ينبغي أن تلتزم طريقة واحدة في إيراد مادة اللفظ،كأن يبدأ بذكر الفعل فالمصدر فالمشتقات ثم الاسم وما يتصل به.

ص- يستعان في المعجم بالآيات القرآنية والأشعار التي يستشهد بها على معاني الألفاظ.

ثانيًا ـ المعجمات المتخصصة

أ – معجم المعاني

توصي الندوة بتأليف معجم شامل للمعاني مبوب وفق خطة واضحة على غرار المخصص لابن سيده وفقه اللغة للثعالبي وغيرهما.

ب – معجم ألفاظ الحضارة والحياة العامة

توصي الندوة بتأليف معجم لألفاظ الحضارة التي ترد في المصادر القديمة الأدبية والتاريخية وغيرهما، يضاف إليها ما استحدث في العصور الحديثة من ألفاظ وتراكيب وما يتصل بالحياة العامة من الألفاظ الفصيحة. أو ما يستخدمه العامة مع بيان اللفظ الفصيح الذي يقابله وما شاع استعماله من التراكيب السياقية، وصولاً إلى وضع معجم موحد لألفاظ الحضارة والحياة العامة تتعاون مجامع الأقطار العربية ومؤسساتها اللغوية في وضعه.

ويشار في هذا الصدد إلى ما أنجزته المجامع والمؤسسات اللغوية في الأقطار العربية من بحوث ومعجمات تتناول ألفاظ الحضارة كجمعية المعجمية العربية في تونس، ومعجم الحضارة الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة، وما قام به مجمع اللغة العربية الأردني من رصد ألفاظ الحياة العامة والمجمع العلمي العراقي في هذا الشأن.

ج– المعجم التاريخي

أصبحت الحاجة ماسة في عصرنا هذا إلى وضع معجم تاريخي للغة العربية، يؤرخ حياة هذه اللغة منذ أقدم عصورها حتى اليوم، ويبين ما طرأ على معاني الألفاظ من تطور، مع الاستشهاد بالنصوص الواردة في المظان القديمة الأدبية والعلمية والفلسفية وغيرها التي تبين تغير دلالات الألفاظ من عصر إلى آخر.

ولا بد من وضع خطة مفصلة لهذا المعجم يتفق عليها في اتحاد المجامع العربية اللغوية العلمية توضح الأسس المنهجية التي يعتمد عليها في وضع هذا المعجم.

ويشار في هذا الصدد إلى المحاولات السابقة لوضع هذا المعجم مثل معجم فيشر، وإلى ما قامت به جمعية المعجمية العربية في تونس من إنجاز المعجم التاريخي

المشتمل على الألفاظ الواردة في الشعر الجاهلي، والاستفادة من تجربة هذه الجمعية والتعاون معها لاستكمال هذا المعجم.

د- المعجم المدرسي

توصي الندوة بوضع معجم لتلاميذ المدارس يراعى فيه التبسيط والوضوح وسهولة الرجوع إلى الألفاظ، والاقتصار على الألفاظ المتداولة في كتب التراث والعصر الحاضر، مع تجنب إيراد المعاني الغريبة والمهملة في كل لفظ.

وينبغي السعي في تعميم هذا المعجم على أوسع نطاق ممكن في جميع الأقطار العربية.

هـ- معجم الأطفال

توصي الندوة بوضع معجم مختصر للأطفال في المرحلة الابتدائية يراعى فيه ذكر الألفاظ المتصلة بحياة الأسرة والمجتمع وما يستحدث من ألفاظ علمية.

و- المكنز العربي

تشيد الندوة بما قام به الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر بتأليفه مكنزاً يشتمل على المعاني والمصطلحات والألفاظ المتداولة وغير ذلك، وتحث على الإفادة من هذا الجهد في وضع تآليف على غراره.

ز - الذخيرة اللغوية

تشيد الندوة بالجهود التي بذلت في الجمهورية الجزائرية لإعداد مشروع الذخيرة اللغوية العربية، وتهيب بالحكومات العربية ومجامع اللغة العربية والمؤسسات اللغوية أن يتم التعاون بينها لإنجاز هذا المشروع الضخم على أسس علمية دقيقة.

ثالثًا - توصيات عامة

أ- العناية باستكمال وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها وإشاعتها في مختلف أرجاء الوطن العربي، على أن يوضع تعريف موجز لكل مصطلح علمي يوضح مفهومه توضيحًا دقيقًا ، وينبغي أن يكون بناء المعجم فيه بناءً ييسر إدخاله في الحاسوب. ويستفاد في إعداد المعجمات من أهم المنجزات التقانية لان وضع المصطلحات العربية

من أعظم المهام اللغوية في العصر الحديث، ذلك أن المصطلح العلمي العربي السليم السائغ هو حجر الزاوية في تحقيق لغة علمية عربية معاصرة هي من أظهر ضرورات تعريب العلم وتوطينه.

وإن من واجب الباحث اللغوي أن يعود إلى كتب التراث ويستخرج مايراه قابلًا للاصطلاح من الكلام ويضعه بين أيدي المترجمين والمعرّبين، ويمكن الرجوع في هذا الأمر إلى توصيات ندوة إقرار منهجية موحّدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته، التي أقامها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق من ٢٥ إلى ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٩ في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق.

ويشار في هذا الصدد إلى الندوات الكثيرة التي عقدت في مختلف الأقطار العربية والتي تناولت موضوع المصطلح العلمي العربي، ومن أحدثها الندوة التي أقامها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق بالتعاون مع مجمع اللغة العربية فيها. ومن الضروري الأخذ بتوصياتها بهذا الشأن.

ب – الاستفادة من الوسائل المستحدثة في التقانة والمعلوماتية كالحاسوب والانترنيت لإعداد المعجمات المذكورة آنفًا وإنجازها وتيسير الرجوع إليها والاستفادة منها.

ج – السعي بشتى الوسائل إلى الحفاظ على اللغة العربية السليمة، ومجابهة ما شاع من استخدام لغة العامة والألفاظ الأجنبية في وسائل الإعلان والإعلام، مع التأكيد على حيوية لغتنا العربية الفصيحة وطواعيتها وقدرتها على مواكبة التطور العلمي والفكري والحضاري.

وفي الختام يعرب المشاركون في ندوة المعجم العربي من خارج القطر العربي السوري عن شكرهم العميق لمجمع اللغة العربية لعقده هذه الندوة في رحابه، ولضيافته الكريمة وللتنظيم الدقيق لجلسات الندوة وكل ما يتصل بها.

وقد أرسل المشاركون في هذه الندوة برقية شكر إلى الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لرعايته السامية لهذه الندوة وهذا نصها:

سيادة الرئيس بشار الأسد
رئيس الجمهورية العربية السورية الموقّر

المشاركون في ندوة «المعجم العربي» من العلماء والباحثين من سورية وسائر الأقطار العربية الشقيقة، والتي انعقدت برعايتكم الكريمة في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق، يرفعون إلى سيادتكم أسنى آيات الإجلال والولاء لرعايتكم السامية لندوتهم، ويقدرون أعظم التقدير رعايتكم للّغة العربية وعلمائها وأعضاء المجامع اللغوية العلمية العربية.

وهم يكبرون أعظم الإكبار مواقفكم الوطنية والقومية الرائعة في ذودكم عن حقوق الأمة العربية، وحرصكم على سلامة ترابها، وثباتكم ووقفتكم الشامخة في وجه المؤامرات التي يحوكها أعداء الأمة العربية، وإيمانكم بالمبادئ الراسخة التي تصون كرامة الأمة وعزّتها، ومساندتكم الفعالة لإخواننا في فلسطين المحتلة الصامدين في وجه العدوان الصهيوني .

وفقكم الله في مسيرتكم النضالية وجهودكم المباركة في إعلاء شأن الأمة العربية، أدامكم الله ذخراً للأمة والوطن.

(كلمة الختام)

للأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

السادة العلماء الأفاضل

أحييكم أجمل التحيات وأكرمها، وأعبر لكم عن سعادتي البالغة بهذا اللقاء المحبَّب الذي جمعنا لنتدارس في موضوع

المعجـــم العربـــي

وهو موضوع له شأنه الكبير في حياتنا الثقافية.

لقد أمضينا في رحاب مجمع اللغة العربية أربعة أيام (٢٢-٢٥/١٠/٢٠٠١م) كانـــت حافلة بما ألقي فيها من بحوث جادّة مفيدة، تناولت الماضي اللغوي العربيّ، ومـــا أغنى به المكتبة العربية من معاجم وكتب ودراسات لغوية جمّة، واستَعْرَضَتْ من بعدُ معاجمَ عصر النهضة العربية، وما تمّ فيها من تطور، وتابع الحديثُ ليتوقف هنيهة عند المعجم الحاضر فيصف واقعه بحسناته ومتطلباته.

ثم تتالت البحوث الجادة التي تناولت مستقبل المعجم العربي بتنوعاته، ليكون أقـــدرَ على تلبية مطالب الحركة العلمية المتجددة المتسارعة، ويستجيب لدواعيها، فتحدثـــت عـــن المعجم العربي الحديث، والمعجم التاريخي، والمعجمات المدرسية، والمعجم الحضاري، وأمثالها.

وقد حرصت هذه البحوث على بيان الصفات الأساسية التي يجب أن تلتزم بهـــا أمـــثالُ هـــذه المعجمات المتنوعة لتلبـــي متطلبات العصر، وتستشرف آفاق

المستقبل، وتسعى لتبلغ من الدقة والإتقان ما يجعلها أقرب إلى الكمال في موضوعاتها مادةً، وحسنَ عبارة.

لقد قضينا معًا أيامًا خصبة غنية تمور بالعمل الجاد المنتج، وساد ندوتنا جوٌّ من الألفة والمودّة، وتبادلنا الآراء والأفكار لا همَّ لنا إلا الوصول إلى الأحسن والأنفع، وقد أكملت مناقشاتُنا وتوصياتُنا الصورةَ المثلى التي رسمناها لمعاجمنا المرتقبة. وستضع الخطط التي تتيح لنا أن تتقاسم مجامعُنا اللغوية في الوطن العربي العمل في المعجمات الكبيرة التي يتطلب إنجازها سنوات وسنوات لنقوى على إخراجها في أحسن حلة، وأقل زمن ممكن.

إننا نفتتح صفحة جديدة في تاريخ المعجم العربي تُكمل سابقاتها، يحدونا إلى متابعة العمل وحثّ الخطا لنمضي في الطريق القاصد الموصل إلى الهدف ما للمعجم من أثر بعيد في تثقيف من يعودون إليه من القراء والباحثين ينهلون من ينابيعه، إنه يأخذ بيدهم، ويرشدهم إلى الضبط الصحيح، والمعنى الدقيق، ويحفظ عليهم اللغة، ويصونها من عبث العابثين وغلط الجاهلين.

وإني لأستعرض بعين الرضا والارتياح ما انتهت إليه ندوتنا، وما ختمت به أعمالها بإصدار هذه التوصيات التي تفتح لنا الطريق اللاحب، وتفسح لنا الأمل في نجاح أعمالنا التي نزمع النهوض بها إن شاء الله، لتظل العربية طاقة إبداعية متجددة تعبر عن عصرها، وتستجيب لمتطلباته، وتقدم لأجيال العربية ما يغني ثقافتها، ويؤهلها لتساير الركب الحضاري العالمي.

أعود فأشكر لكم، أيها السادة الأفاضل، كل الشكر مشاركتكم الجادة، وجهودكم الموفقة التي أغنت ندوتنا، وأنجحت خطتنا، وأرجو أن نتابع الخطا معًا في خدمة هذه اللغة الشريفة. وإلى اللقاء في ندوة قادمة إن شاء الله.

(آراء وأنباء)

انتخاب

الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري

عضوًا في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٣م (من الدورة المجمعية لعام ٢٠٠٣) الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري عضوًا في مجمع اللغة العربية، وقد صدر بتعيينه المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٢٨٤) التالي:

المرسوم رقم /٢٨٤/

رئيس الجمهورية يرسم ما يلي:

المادة ١– يُعيّن الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري عضوًا في مجمع اللغة العربية.

المادة ٢– ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق في ١٤/٦/١٤٢٤ هـ **رئيس الجمهورية**

١٢/٨/٢٠٠٣م **بشار الأسد**

انتخاب

الأستاذ عاصم البيطار

عضوًا في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٣م (من الدورة المجمعية لعام ٢٠٠٣) الأستاذ عاصم البيطار عضوًا في مجمع اللغة العربية، وقد صدر بتعيينه المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٢٨٥) التالي:

المرسوم رقم /٢٨٥/

رئيس الجمهورية يرسم ما يلي:

المادة ١ – يُعيَّن الأستاذ عاصم البيطار عضوًا في مجمع اللغة العربية.

المادة ٢ – ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق في ١٤٢٤/٦/١٤ هـ — **رئيس الجمهورية**

٢٠٠٣/٨/١٢م — **بشار الأسد**

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ٢٠٠٣م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **الآثار والانعكاسات المتزايدة للأمن الاجتماعي في المجتمع الكويتي/** د. محمد سليمان الحداد – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠١ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢١؛ الرسالة ١٦٦).

– **ابن طباطبا العلوي والتصور التداولي للشعر/** د. عبد الجليل هنوش– الكويت: مجلس النشر العلمي ، ٢٠٠١ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢١؛ الرسالة ١٦٨).

– **ابن المقفع بين حضارتين: قراءة فكرية نقدية وأدبية/** د. حسين علي جمعة – دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٣ – (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٧).

– **الاثنينية/** مجموعة من الأساتذة – ط١ – جدة: عبد المقصود محمد سعيد خوجه، ٢٠٠٢ – ج (١٩).

– **أحكام الوقف وحركة التقنين في دول العالم الإسلامي المعاصر/** عطية فتحي الويشي – ط١ – الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٢ .

– **إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين/** الجحاف؛ حققه وعلق عليه: محمد جواد الحسيني الجلالي، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي – شيكاغو:

المدرسة المفتوحة — ج ٢ و ٣.

— **أسبوع العلم الأربعون..: شرف الدين الطوسي**/ المجلس الأعلى للعلوم — اللاذقية: جامعة اللاذقية، ٢٠٠٠ .

— **إعلام الملا بمناقب الملا**/ محمد خير عماد — ط١ — بيروت:دار صادر، ١٩٩٨ .

— **أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتب على العولمة؟**/ مجموعة من الباحثين — الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٢ — (سلسلة الدورات).

— **برنامج نشاطات جمعية العاديات لعام ١٤٢٠ — ١٤٢١هـ**/ جمعية العاديات — حلب: الجمعية، ٢٠٠٠.

— **التبغ ومشكلة التدخين في العالم: تحليل جغرافي..**/ د. محمد مدحت جابر — الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠١ — (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢١؛ الرسالة ١٦٧).

— **التحليق إلى البيت العتيق**/ د. عبد الهادي التازي — الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٢هـ — (سلسلة كتاب الدارة١).

— **تنظيم الأسرة يحافظ على الحياة**/ باربرا شين؛ إعداد وترجمة: د. محسن يوسف؛ مراجعة: د. عبد الرحيم عمران — ط٣ — القاهرة: مركز ابن خلدون، المكتب المرجعي للسكان؛ ١٩٩٧ .

— **حمد الجاسر اللغوي في ضوء نقده لتاج العروس والمعجم الكبير**/ د. عبد العزيز بن عبد الكريم التويجري — ط١ — الرياض: دار تراث العربية، ٢٠٠٣.

— **حوارات ١٩٧٩ — ٢٠٠٠**/ أغناطيوس الرابع؛ إعداد: د. يوسف هزيم — ط١ — دمشق: بطريركية الروم الأرثوذكس، ٢٠٠١ — ٢ج.

— **الدرر المنتثرة في طرق الحديث المسلسل بالعترة**/ محمد ياسين الفاداني؛

استدراك: محمد الحسين الحسيني الجلالي — ط١ — شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٢هـ.

— **دليل جامعة حلب**/ جامعة حلب — حلب: الجامعة، ٢٠٠٣.

— **دليل رسائل الدراسات العليا لعام ٢٠٠١**/ وزارة التعليم العالي — دمشق: الوزارة، ٢٠٠٢.

— **سجاد الأكراد بإيران: دراسة أثرية فنية**/ د. حسن محمد نور عبد النور — الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠١ — (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢١؛ الرسالة ١٦٥).

— **الصحيفة السجادية**/ رواية: ابن سهيل الإسكافي؛ تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي — شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٢هـ.

— **ظل الغمامة وطوق الإمامة...**/ ابن أبي الخصال؛ تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي — ط١ — شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٢هـ.

— **العرفان والتصوف**/ ابن سينا؛ تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي — شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٢هـ.

— **عظات**/ أغناطيوس الرابع؛ إعداد: د. يوسف هزيم — دمشق: بطريركية الروم الأرثوذكس، ٢٠٠٢ — ج١.

— **العلاقات الدولية في العشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين: أي أفق؟**/ مجموعة من الباحثين — الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٢ — (سلسلة الدورات).

— **العلاقات السعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين**/ مجموعة من الباحثين — الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٢.

— **عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي** /د. عبد اللطيف بن عبد الله ابن دهيش — الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، ١٩٩٩.

– **القبيلة التونسية بين التغير والاستمرار../** د. محمد نجيب بوطالب – تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢ – (سلسلة علم الاجتماع؛ المجلد VIII).

– **قراءة في ديوان « قصائد في قفص الاحتلال»...**/ د. عبد الستار ضيف – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠١ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢١؛ الرسالة ١٦٢).

– **الكشاف التحليلي ١٩٨٠ – ٢٠٠٠/** د. عبد الله العمر – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠١ .

– **كشاف المواسم الثقافية لمجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٣ – ١٩٩٩/** إعداد: محمد علي العناسوة – عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠٠٠.

– **كلام لا يهم أحدًا/** محمد الفايدي – ط١ – جدة: المؤلف، ٢٠٠٢.

– **كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة/** إعداد: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس – ط١ – مكة المكرمة: مكتبة إمام الدعوة العلمية، ٢٠٠٢ – السفر الأول.

– **كيف نواصل مشروع حوار الحضارات: الحضارات حوار أم صدام/** مجموعة من المحاضرين – دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٢ – ج٢ – (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٣).

– **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام:** قراءة ميثولوجية/ إبراهيم محمد علي – ط١ – طرابلس: جزوس برس، ٢٠٠١.

– **مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها/** جمع وتحرير: إدوارد. ب. أدكوك وآخرين؛ ترجمة: د. عبد العزيز المسفر، د. فؤاد فرسوني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ.

– **محكمة الضمير/** إعداد: عبد الله بن إبراهيم الهويش – ط١ – الرياض:

مكتبة الحميضي، ٢٠٠٠.

– **مصطلحات العلل في المراجع العربية الأصيلة بطريقة التأثيل/** محمد بلقزيز – ط١ – الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٢ – ٣مج.

– **معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق/** ابن عساكر؛ تحقيق: د. حسام الدين فرفور وآخرين – دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩ – ج (١ – ٤).

– **معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية.../** إعداد: د. أحمد خان – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٠ – (السلسلة الثالثة ٤٧).

– **من رواد التعليم والقضاء: الشيخ إبراهيم بن عبد الله الهويش/** إعداد: عبد الله بن إبراهيم الهويش – الرياض: مطابع الحميضي، ٢٠٠٠.

– **المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين.../** وزارة الإعلام – ط ١ – الرياض: نبراس، ٢٠٠٠ – ٢ج.

– **مواقف وأقوال/** أغناطيوس الرابع؛ إعداد: د. إيلي أديب سالم، د. يوسف هزيم – طرابلس: جامعة البلمند، ٢٠٠١.

– **نداء هام.../** الإمام الخامنئي – دمشق: مكتب المرجع الديني، ١٤٢٣هـ.

– **الندوة الرابعة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي/** مجموعة من الباحثين – دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ٢٠٠٣.

– **نماذج الرحلات في رواية أمين معلوف: ليو الإفريقي/** د. أنطوني جوهي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠١ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢١؛ الرسالة ١٦٣).

ب- المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	١، ٣، ٤ (عدد خاص) ٢٢/ (١٩٧٩)،		سورية
	٢٣، ٢٤، (عدد خاص) ١٩٨٠		
الأسبوع الأدبي	٨٤١، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٦٢، ٨٦٣،	٢٠٠٣	سورية
	٨٦٤ ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩		
بناة الأجيال	٤٧	٢٠٠٣	سورية
الجندي	١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠	٢٠٠٣	سورية
	١٥٥٣، ١٥٥٤		
دراسات تاريخية	(٧٩ – ٨٠)	٢٠٠٢	سورية
صوت فلسطين	٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧	٢٠٠٣	سورية
عالم الذرة	٨٥، ٨٦	٢٠٠٣	سورية
الفكر العسكري	٤ (١٩٧٦)، ٤ (١٩٧٩)، ٢ (١٩٨٠)،		سورية
	٤ (١٩٨٣)، ٦ (١٩٨٤)		
الكاتب العربي	٩	١٩٨٤	سورية
المجلة البطريركية	(٢٢٤ – ٢٢٥ – ٢٢٦)	٢٠٠٣	سورية
مجلة جامعة البعث	مج ٢٤ (العلوم الطبية: ٥) (٢٠٠٢)		سورية
	مج ٢٤ (العلوم الهندسية: ٦، ٧) (٢٠٠٢)		
	مج ٢٥ (العلوم الطبية: ٢) (٢٠٠٣)		
	مج ٢٥ (العلوم الهندسية: ٣) (٢٠٠٣)		
مجلة جامعة دمشق	مج ١٨ (الآداب والعلوم الإنسانية: ٢)	٢٠٠٢	سورية
	مج ١٩ (العلوم الاقتصادية والقانونية: ١)	٢٠٠٣	

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المجلة العربية للعلوم الصيدلية	٦ (مج ٢)	٢٠٠٣	سورية
المجلة العسكرية	١	١٩٥٨	سورية
المعلم العربي	(١ و ٢)، (٧ و ٨) عدد خاص/ ١٩٥٥ ، ٤، (٥ و ٦)، (٧ و ٨) عدد خاص/ ١٩٥٦، (١و ٢)/ (١٩٥٧)، ٤ (عدد خاص)/ (١٩٦٠)، (٦ و ٧) عدد خاص/ (١٩٦١)، ٩ (عدد خاص) / ١٩٦٢، ١(٢٠٠٣)		سورية
المهندس العربي	١٣٧، ١٣٨ (٢٠٠٢)		سورية
الموقف الأدبي	٧١، ٨٠، (١٩٧٧)، ٩٣، ٩٥، ٩٩ (١٩٧٩)، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨ (٢٠٠٣)		سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	١	٢٠٠٣	سورية
نضال الفلاحين	٢٨	٢٠٠٣	سورية
دراسات	مج ٢٩ (علوم الشريعة والقانون: ٢) (٢٠٠٢) مج ٣٠ (العلوم الإدارية: ١) (٢٠٠٣) مج ٣٠ (العلوم الإنسانية والاجتماعية: ١) (٢٠٠٣) مج ٣٠ (العلوم التربوية: ١) (٢٠٠٣) مج ٣٠ (علوم الشريعة والقانون: ١) (٢٠٠٣)		الأردن
الشريعة	٤٥٠، ٤٥١	٢٠٠٣	الأردن
أخبار الألكسو	(٢٢ – ٢٣)	٢٠٠٣	تونس
جذور التراث	مج ٧ (ج ١٣)	٢٠٠٣	السعودية
الدرعية	٧١ ، (١٨و ١٩)	٢٠٠٢	السعودية
عالم الكتب	(٥ و ٦) عدد مزدوج (مج ٢٤)	٢٠٠٣	السعودية
علامات في النقد	مج ١٢ (ج ٤٨)	٢٠٠٣	السعودية
المجلة العربية	٣١٥، ٣١٦	٢٠٠٣	السعودية
نوافذ	٢٤	٢٠٠٣	السعودية
الثقافة الجديدة	٣	١٩٩٣	العراق
الطليعة الأدبية	١١	١٩٧٩	العراق

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
البيان	٣٩٥، (٣٩٦ – ٣٩٧)	٢٠٠٣	الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢٣ (١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١)	٢٠٠٢ – ٢٠٠٣	الكويت
مجلة العلوم	مج ١٩ (٤ – ٥/ ٢٠٠٣)		الكويت
الآداب	١ – ١٢ (١٩٥٣)، ١ – ١٢ (١٩٥٤) ١ – ١٢ (١٩٥٥)، ١- ١٢ (١٩٥٦) ١- ١٢ (١٩٥٨)، ١- ١٢ (١٩٥٩) ٧ (١٩٦٢)، (٥ و٦)، (٨و٩)/ ١٩٧٧		لبنان
إسكوا اليوم	١٠	٢٠٠٢	لبنان
الدراسات الفلسطينية	٥٤	٢٠٠٣	لبنان
مواقف	٣٣ (١٩٧٨)، ٣٤ (١٩٧٩)		لبنان
الوقت	٢	١٩٦٤	لبنان
الشعر	١٧	١٩٦٥	مصر
المجلة	١٠٤، ١٠٦	١٩٦٥	مصر
مجلة كلية دار العلوم	٣٠	٢٠٠٣	مصر
دراسات مغاربية	(١٥ – ١٦) عدد مزدوج	٢٠٠٢	المغرب
رسالة التقريب	٣٦ – الدورة ٩	٢٠٠٣	إيران
الفكر الإسلامي	(٢٥ – ٢٦)	١٩٧٥	إيران
النشرة الاخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون	٦٠	٢٠٠٣	تركيا
ثقافة الهند	مج ٣٨ (٣ – ٤) (١٩٨٧)، مج ٣٩ [ج١ (١-٢)، ج٢ (٣-٤)] (١٩٨٨)، مج ٤١ (١)(١٩٩٠)		الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

Books

- Acritical History of English Poetry / by: Herbert Grierson and J . C . Smith.
- Ahistory of Modern Criticism / by: Ren' Wellek, London.
- Ahistory of Fcench Literature / by: L . Cazamian, Oxford 1960.
- Archetypal patterns in poetry/ by: maud bodkin, oxford.
- Ashort History of English Poetry / by: James Reeves, London.
- Aspects of Eighteenth Century Nature Poetry / by: C. V. Deane, Holland.
- Critcs on pop / by: Judith O' Neill, London.
- The Death of Tragedy / by: George Steiner, London.
- English Poetry / by: F. W. Bateson.
- The Forked Flame / by: H. M. Daleski,London.
- The First Philosophers / by: George Thomson.
- Herbert Read Poetry and Experience / by: Herbert Read, London.
- James Joyce / by: Richard Ellmann, U. S. A.
- Milton's Grand Style / by: Christopher Ricks.
- N ew Bearings in English Poetry / by: F. R. Leavis.
- Our Language / by: Simeon potter, London.
- Political and Comic Charcters of Shakespeare.
- Purity of Diction in English Verse / by: Donald Davie, London.
- The Romantic Imagination / by: Maurice Bowra, London.
- Shakespearean Tragedy / by: A. C. Brad Ley.

Periodicals

- Acta Orientalia, Vol. 56, no. 1, 2003
- Ajames, No. 18 (1 –2) , 2003, Japan.
- Awŕaq, Vol. Xx1, 2000, Madrid.
- Boleti'n de la Asociaci'on Española de orientalistas, Ano. XXXVIII, 2002, Madrid.

- Dawah, vol. XIII, Issue 11,2002, Islam Abad.
- Deutshland, No. (3 – 4), 2003, Germany.
- Dirasat, Vol. 30, no. 1, 2003, Jordan.
- East Asian Review, Vol. 15, No. (2 – 3), 2003, Korea.
- Hamdard Islamicus, Vol. xxvI, No.1, 2003, Pakistan.
- I B L A, No. 191, 2003.
- Interational Family Planning Perspectives, Vol. 29, No. 2, 2003.
- Journal of Asian and African Studies, No. 65, 2003, Japan.
- The Middle East Journal, VOL. 57, No. 3, 2003.
- Le Muséon, Tom. 116, Fasc. (1 – 2), 2003, Belgique.
- The Muslim World, No. (3 – 4), 2003, Norwich.
- ميراث شهاب / المجلد السادس/ قم – إيران (فارسية)
- Orient, VOL. XXXVIII, 2003, Japan.
- Population and Development Review, Vol. 29, No. 1, 2003
- Resistance, No. (6, 7, 8)2003, Syria.
- Self Realisation, Summer, 2003, U.S.A.

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والسبعين

وفيه القسم الثاني من بحوث

ندوة المعجم العربي

(٥-٨ شعبان ١٤٢٢هـ/٢٢-٢٥ تشرين الأول ٢٠٠١م)

(بحوث الندوة)

(جلسة الختام)

(آراء وأنباء)

الفهارس العامة للمجلد الثامن والسبعين

أ. سامر الياماني

أ- فهرس أسماء كتّاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب- فهرس عناوين المقالات

منسوقة على حروف المعجم

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي

حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ ــ ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ ــ ١٩٩٣)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)

النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.ميرعلم، د. الطيان

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ــ ١٩٩٥م

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ــ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ ــ ١٩٩٦

كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

NO.4. VOL LXXIX

REVUE

DE L' ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)

E-mail: mla@net.sy

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٨، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٩، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٠

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٥١، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق حسين محمد عجيل

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠١

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٢.

كتاب ((كتب الأنساب العربية)) تأليف الدكتور إحسان النص.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٩.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٠.

الأسماء والأفعال والحروف (أبنية كتاب سيبويه)، تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش

فهرس مجلة مجمع اللغة العربية للمجلدات الخمس عشرة (٦١-٧٥)، (الجزء السابع) (١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) صنعة مأمون الصاغرجي

السعر: ٤٠ ل.س داخل القطر

مطابع دار البعث

